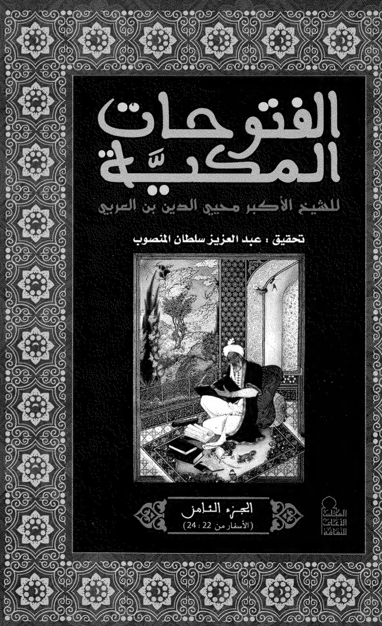

الفتوحات المكيّة
للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي
تحقيق : عبد العزيز سلطان المنصوب
الجزء الثامن
(الأسفار من 22 : 24)

الفتوحات المكية

الجزء الثامن- الأسفار ٢٢-٢٤

المجلس الأعلى للثقافة

ابن عربى، محمد بن على بن محمد ابن عربى
ابو بكر، ١١٦٥ - ١٢٤٠.
الفتوحات المكية/محمد بن على بن محمد ابن
العربى الطائى الحاتمى محيى الدين بن العربى؛
تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب. ـ القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.
مج ٨، ٢٨ سم.
تدمك ٩ ٥٤٥ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ التصوف الاسلامى.
٢ ـ فتح مكة.
أ ـ المنصوب، عبد العزيز سلطان (محقق).
ب ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٥٥٢/ ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 545 - 9

ديوى ٢٦٠

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت : ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٢٧٣٥٨٠٨٤
El. Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 27352396 Fax: 27358084
www.scc.gov.eg



الفتوحات المكية

للشيخ الأكبر

محمد بن علي بن محمد ابن العربي الطائي الحاتمي

محيي الدين بن العربي

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

السفر الثاني والعشرون من الفتوح المكي[1]

[1] العنوان ص ١ب، ويليه بقلم صدر الدين القونوي: "إنشاء مولانا وشيخنا الإمام العالم الراسخ الفرد الأكمل، سلطان المحققين، شيخ الإسلام والمسلمين، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي، رضي الله عنه وأرضاه به منه" يليه في يسار الصفحة: "انتقلت هذه المجلدة وسائر الكتاب، من مولانا منشئ هذا الكتاب بحكم الإنعام، إلى خادمه وربيب نظره محمد بن إسحق غفر الله له ولوالديه، ونفعه بكل علم مقرب إليه نافع لديه، في شهر الله المحرم سنة سبع وثلاثين وستمائة. والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى". ووسط الصفحة بخط مائل: "وقف هذا الكتاب مع ما قبله وبعده إلى آخره الشيخ الإمام العالم الراسخ صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد، ﷺ وعن سلفه، على المكان والشرط المذكورين المعلومين عند الأصحاب، للانتفاع به لسائر المسلمين، تقبل الله منه ورضي عنه". يليه ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٢، وطابع دمغة برقم ١٧٦٢.
وفي الصفحة السابقة وهي الصفحة الداخلية للغلاف يوجد طابع دمغة برقم ١٨٦٦، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٢٩٨ صحيفة.

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾	آيات قرآنيّة
« »	حديث شريف
( )	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية
س	نسخة السليمانيّة
هـ	نسخة القاهرة

- إذا جاء التعبير في الحاشية من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.
- عندما تقتصر الحاشية على تعبير مثل: (ص ١) أو (ص ١ب) مثلا، فذلك يعني أنّ الكلمة التي تدلّ عليها هذه الحاشية هي الكلمة الأولى في ص ١ في مخطوط قونية (جهة اليمين) أو (جهة اليسار) على التوالي.

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

149

الصفحة قبل الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الباب السادس والعشرون وثلاثمائة
في معرفة منزل التحاور والمنازعة
وهو من الحضرة المحمديّة الموسويّة

يَـنْزِلُ اللهُ أَيْنَمَـا كُنَّـا   دُونَ أَسْمَاءِ ذَاتِهِ الحُسْنَى

وهْوَ نُورٌ والنُّورُ مُظْهِرُهُ   ولِهَـــذَا أَزَالَهُ عَنَّـــا

فَـذَواتُ الكِيـانِ مُظْلِمَـةٌ   وَهْيَ أَدْنَى الدُّنُـوِّ لا أَدْنَى

سَمِعَ اللهُ صَـوْتَ سـائِلِهِ   بِالَّذِي قَــدْ أَرَادَهُ مِنَّـا

ثُمَّ حُـزْناهُ صُـورَةً شَرَفًـا   جُمْلَةَ الأَمْرِ نِعْمَ ما حُزْنا[2]

فَلِهَـذَا نَكُونُـهُ أَبَـدًا   وَلِهَـذَا عَنَّـا فَمَـا زُلْنَـا

فَـإِذا شـاءَ أَنْ يُـوَلِّدَنا   فِي هَيُـولِي وُجُـودِهِ أَمْـنَى

بُلْبُلُ[3] البَالِ فِي ذُرَى فَنَنٍ   يُطْرِبُ الشَّرْبَ[4] كُلَّمَا غَنَّى

فَظَهَـرْنا بِـهِ لَنَـا فَـأَبَى   فاسْـتَحَلْنا عَنَّـا وَمـا حُلْنَـا

اعلم -أيّدك الله- أنّ هـذا المنزل خاصّة دون غيره من المنازل ما فيه علَم يظهر منه في الكون، أو يدلّ عليه في العين، أو في الاسم، أو في الحكم، إلّا ولِحكم "الله" من حيث هذا الاسم -الذي هو الجامع لمراتب الألوهيّة فيه، أي في ذلك العَلَم- نظرٌ من وجه، ووجهين، وثلاثة، وأربعة، وأكثر. ولا تجد ذلك في غيره من المنازل. فسألت: كم علَمٌ فيه؟ فَرُفع لي المنزل بكماله، فرأيت فيه ثلاثة وعشرين عَلَما منصوبا، ونظرت إلى الألوهيّة في تلك الأعلام كلّها؛

---

١ البسملة ص ٢

٢ كررت كتابة هذا البيت في الهامش قبل البيت السابق له، مع إشارة التصويب، مسبوقة بلفظ مكرر

٣ ص ٢ب

٤ الشَّرب: جماعة يشربون، ولغة في الشُّرب

فوجدت نظرها إليها من أربعين وجها. وقيل لي: ما جمعها إلّا رسول الله ﷺ. ومن هذا المنزل كانت سيادته على جميع العالَم، فمن ورثه فيه من أمّته؛ حصل له من السيادة بِقَدره في هذه الجمعيّة. ومن هذا المنزل تعطى الحكمة لمن اخلص لله أربعين صباحا؛ فهو يشهد الله في جميع أحواله؛ كما كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كلّ أحيانه.

ويتضمّن هذا المنزلُ من المسائل معرفةَ[1] ازدواج المقدّمات للإنتاج. وعِلْمَ منازعة المرسَل إليه للرسول ﷺ مع إيمانه به وبما جاء به من عند الله؛ فيرجع خصما في هذا المنزل، ويتولّى الله الحكم بين الرسول وبين المرسَل إليه؛ مع علمه بأنّ الرسول لا ينطق عن الهوى، وأنّه يبلّغ عن الله ما أرسله به. ومع هذا كلّه يدّعي عليه في نفس ما جاء به، فيرتفع إلى الله ليحكم بينهما. وهو من أصعب العلوم في التصوُّر؛ لوجود الإيمان والتصديق به من الخصم.

وفيه عِلْمُ مَن ترك خلفه ما شُرع له أن يكون أمامه.

وفيه عِلْمُ الانتساب؛ أعني انتساب الفروع إلى أصولها، ومَن ألحق فرعا بغير أصله؛ ما حُكم الله فيه من طريق الكشف؟

وفيه عِلْمُ ظهور الباطل بصورة الحقّ، والباطلُ عدمٌ لا وجود له، والصورة موجودة فهي حقّ؛ فأين عين الباطل الذي ظهر، والصورة إنما هي للحقّ؟ وما الستر الذي بين العقل والحقّ حتى يستره الباطل بصورة الحقّ؟

وعِلْمُ الفَرق بين الخاطر الأوّل والخاطر الثاني؛ وأنّه غير مؤاخذٍ بالخاطر الأوّل، مؤاخذٌ بالخاطر الثاني، والثاني عين صورة الأوّل؛ فلماذا لم يصدق في الثاني في بعض الأمور كما يصدق في الأوّل؛ فهل ذلك لمرتبة الثاني؟ فإنّ[2] الثاني مما زاد من مراتب العدد، أصله عدم، والأوّل وجود، وبالأوّل ظهر من الأعداد ما ظهر، ما هو ظهر بها.

وفيه عِلْمُ إلحاق مَن استرقَّه الحِجاب من الأمثال بالحرّيّة لمن قَلَبَ الحقائق في نظره؛ فألحقَ

١ ص ٣
٢ ص ٣ب

الأمور بغير مراتبها والفروع بغير أصولها.

وفيه عِلْمُ السبب الإلهيّ الذي لأجله كان هذا.

وفيه إضافة عِلم الأذواق إلى الله -تعالى- وهو شعور بالعلم بها من غير ذوق، فأيُّ نِسبة إلهيّة أعطت مثل هذا الحكم في العلم الإلهيّ، مثل قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾[1] وهو يعلم؛ فهذا هو علم الذوق.

وفيه عِلْمُ مقدار إقامة الصفة التي لا تقبل المِثل بالعبد لإزالة رَفْع هذا الواقع من هذا الشخص الذي أنزل الخَلْف منزلة الأمام في غير موضعه؛ فخلط بين الحقائق، وتخيّل هذا أنّ قول النبيّ ﷺ: «إنّي أراكم من خلف ظهري» أنّه برؤيته صار (هذا الخلف) أماما، فإنما جعل له حكم النظر كما هو للأمام. والأمام أمام والخلف خلف؛ فإن عجز عن اللبث تحت قدر حكم هذه الصفة العديمة المِثل، فلم يكشف غلطَه، ولا رأى الحقَّ؛ لعجزه عن القيام بهذه المدّة التي تفنى فيها نفسُه حصل في علم آخر في[2] هذا المنزل مجاور لهذا، يطلبه بحياة أنفسٍ معدودين موفّين له بالصفة التي، كان، تفني نفسه. فظهر شرف نفسِه على غيره؛ حيث قام جماعة من أمثاله مقام نفسه، مع الاشتراك في الصورة والمقام والحال، وقد بيّن الله الفُرقان بينهما، وجعل حقَّ النفس على نفسها أعظم من حقوق أمثالها عليه، بلغت ما بلغت، فأدخل قاتل أنْفُس الغير في المشيئة؛ من غير قطع بالمؤاخذة؛ فهو بين العفو والمؤاخذة مع تعلُّق حقوقهم به. وجعل قاتل نفسه في النار؛ بأن حرّم عليه الجنّة؛ لعظم حقّ نفسه على نفسه. وقد ورد: «إنّ حقَّ الله أحقُّ أن يقضى» من حقّ الغير، فجعل كذلك حقَّ النفس.

وفيه عِلْمُ السبب الذي لأجله رتّب هذه الحقوق هكذا، وجعل لها هذه الحدود الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ صفة عذاب مَن يستر الحقَّ عن أهله إذا توجّه عليه كشفه لهم بالإيجاب الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ مَن عدل عن الحق بعد إقامة البيّنة عليه المقطوع بها؛ ما الذي عدل به عن الحقّ؟

١ [محمد : ٣١]
٢ ص ٤

وما حُكمه في هذا العدول عند الله؟

وفيه عِلمُ عذاب أهل الحُجب؛ هل عذابهم بحجابهم؟ أو بأمر آخر؟

وفيه عِلمُ الجمع للتعريف[1] بالأعمال المنسيّة عندهم وغير المنسيّة؛ ومَن يتولّى ذلك من الأسماء الإلهيّة؟

وفيه عِلمُ تعلّق علم الله الذي تدركه الأكوان بما في العالم بطريق المشاهدة والمجالسة، ثمّ تأخير التعريف بما كان من الأكوان من الأعمال إلى زمان مخصوص معيّن عند الله.

وفيه عِلمُ النجوى الأخراويّة والدنياويّة.

وفيه عِلمُ آداب المناجاة بين المتناجين؛ وبماذا يبدأ مَن يناجي ربّه، أو أحدا من أهل الله؟

وفيه عِلمُ اتّساع مجالس الذاكرين الله؛ لكون الله جليسهم من الاسم الواسع.

وفيه عِلمُ مراتب الإيمان من العلم؛ وأيّ الدرجات أرفع؟

وفيه عِلمُ المفلِسين؛ وما الذي أفلسهم مع ما عندهم من الموجود؟

وفيه عِلمُ رجوع الله على العبد متى رجع؛ هل يختلف، أو لا يختلف؟ ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع ذلك الاختلاف إن كان مختلفا؛ هل للراجع؟ أو لحال المرجوع إليه؟

وفيه عِلمُ ما ينتجه التولّي عن الذِّكر من الغضب الإلهيّ.

وفيه عِلمُ ما يفنى، وما لا يفنى؟

وفيه تفرّق الأحزاب؛ من أيّ حقيقة تفرّقوا من الحقائق الإلهيّة؟

وفيه عِلمُ الوجوب الإلهيّ؛ بماذا تعلّق؟

وفيه عِلمُ مَن ترك أحبّاءه؛ لماذا تركهم؟ وما حِليتهم وصِفتهم؟

١ ص ٤ب

وفيه[1] عِلمُ البقاء والفوز والنجاة.

وكلّ علم من هذه العلوم، من العلوم الإلهيّة، من الاسم "الله" لا من غيره من الأسماء، ولا تجد ذلك إلّا في هذا المنزل خاصةً؛ فإنّه منزل مخصوص بحكم الله دون سائر الأسماء، مع مشاركة بعض الأسماء فيه. فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم؛ عيّناها لك لترتفع الهمّة منك إلى نَيلها؛ فتح مكاشفة من الله.

ثمّ نرجع إلى الكلام على بعض ما يحوي عليه هذا المنزل فنقول: إنّ الله قال في كتابه: إنّه وضع الميزان ليظهر به إقامة العدل في العالم بصورة ظاهرة محسوسة؛ ليرتفع النزاع بين المتنازعين؛ لوجود الكفّتين المماثلة للخصمين. ولسان الميزان هو الحاكم؛ فإلى أيّة جهةٍ مالَ حَكَمَ لتلك الجهة بالحقّ، وإن هو بقي في قبّته من غير مَيل إلى جهة إحدى الكفّتين؛ عُلِم أنّ المتنازعين لكلّ واحدٍ منهما حقّ فيما ينازع فيه؛ فيقع له الإنصاف لَمّا شهد له به حاكم لسان الميزان؛ فارتفع الخصام والمنازعة.

والحاكم لا يكون خصما أبدا؛ فإن نوزع فما ينازعه إلّا مَن عزله عن الحكم، أو من جهل أنّه حاكم. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «عند نبيّ لا[2] ينبغي تنازع» أي: لا يكون نزاع مع حضوره، أو تمكّن الوصول إلى حضوره. فإذا فُقِد؛ ظهر النزاع، وادّعى كلّ واحد من الخصماء أنّ الحقّ بيده. فلو أنّ الله يفتح عين بصائر الخصماء لمشاهدة الحقّ، ويعلمون أنّه بالمرصاد، وهو الحاكم، وبيده الميزان يرفع ويخفض؛ لم يصحّ نزاع في العالم. فدلّ وقوعه أنّ الكلّ في حجاب عن الحاكم صاحب الوزن والميزان.

فإذا رأيت من ينازِع في العالم فتعلم أنّه في حجاب عن الله. فإن نازع أحدهما ولم ينازع الآخرُ؛ بل سكت عنه، فتعلم أنّ الساكت عنه؛ إمّا صاحب شهود، أو صاحب خُلُق. فإن كان النزاع في تعدّي حَدٍّ إلهيّ؛ فالمنازع في ذلك صاحب أدب إلهيّ، أو متصوّر بصورة صاحب

١ ص ٥
٢ ص ٥ب

أدب إلهيّ، وهو المُرائي، لكنّه خير بالجملة. فصاحب الأدب الإلهيّ ما هو منازع؛ وإنما هو ترجمانُ منازع، والمترجَم عنهم هم الأسماء الإلهيّة التي منها نشأ النزاع في العالم، ومن أجلها وضع الميزان الشرعيّ في الدنيا، والميزان الأصليّ في الآخِرة. فإنّ المعِزّ والمذِلّ خصم، والضارّ والنافع خصم، والمحيي والمميت خصم، والمعطي والمانع خصم، وكلّ اسم له مقابل من الأسماء في[1] الحكم (كذلك). والميزان الموضوع بين هذه الأسماء: للاسم الحَكَم، والميزان العدل في القضاء. فينظر الحَكَم استعداد المحلّ، فيحكم له بحسب استعداده، فيجعله في حزب أحد الاسمين المتقابلين المتنازعين.

فإذا علمتَ وضع الموازين على اختلاف صوَرها في المعنى والحسّ؛ كنتَ أنت عين الحاكم بها، وصحّتْ لك النيابة عن الله، في كون الميزان بيدك؛ تخفض وترفع. غير أنّ الفارق بينك وبين الله في الوزن؛ إنّ الله يرفع بالمشيئة ويخفض بالمشيئة، وأنت لا أثر لمشيئتك في الوزن، وإنما تَزِن لمن ترى الحقَّ بيده. فأنت صاحب علامة تعرف صاحبَ الحقّ فتَزِن له، والحقّ صاحب مشيئة. وهنا سِرٌّ يَخْفَى عن بعض العارفين؛ وهو أنّ المشيئة تعيّن بالميزان إذا رفعت أو خفضت؛ أنّ استعداد المحلّ أعطى ذلك؛ كما أنّ وجود الحقّ في نفس الأمر أعطى لصاحب العلامة أن يَزِنَ له؛ لعلمه بأنّ الحقّ له؛ كما علم الحقُّ -تعالى- أنّ استعداد هذا المحلّ أعطاه الوزن له.

ولا أثر للمشيئة في الاستعداد، بما هو استعداد، وإنما أثرها في تعيين هذا المحلّ الخاصّ لهذا الاستعداد الخاصّ[2]؛ إذ يجوز أن يكون لغيره؛ لا يجوز أن تزول حقيقة الاستعداد ولا أن ينقلب، مثل ما نقول في علم الطبيعة: إنّ الحرارة لا تنقلب برودة، لكن الحارّ ينقلب باردا من جهة كونه محلّا وعينا، لا من كونه حارًّا ولا باردا. فالاستعداد الذي هو كذا لا ينقلب للاستعداد الذي هو كذا، وإنما المحلّ القابل لهذا الاستعداد المعيَّن قابلٌ لغيره من الاستعدادات. فالمشيئة خصّصته بهذا الاستعداد دون غيره ما خصّصت الاستعداد. فإنّي

١ ص ٦
٢ ص ٦ب

رأيت جماعة من أصحابنا غلطوا في هذه المسألة، ورأوا أنّ المشيئة لا أثر لها في هذا المحلّ، لما يعطيه استعداد ذلك المحلّ، إذ لا أثر لها في الاستعداد. والأمر على ما بيّنّاه إن عقلتَ.

فمن مسائل هذا الباب: أنّ[1] ميزان الطبيعة نازع الميزان الإلهيّ الروحانيّ، لمّا علِمَتْ أنّ ميزانها ما هو بجعل جاعل، وذهلتْ أنّ ظهور ميزانها في شيء معيّن إنما هو بجعل جاعل، وهو الميزان الإلهيّ. فلمّا نازعت الطبيعة بميزانها الميزانَ الإلهيّ الروحانيّ، ونازعها الميزانُ الروحانيّ الإلهيّ وهو الأقوى وله الحكم. وما وقع الخصام إلّا من الطبيعة لأنّها ما رضِيَتْ بذلك الميزان ولا[2] بالوزن. فارتفعت إلى الله تطلب منه أن يحكم بينها وبين الميزان الروحانيّ، ويحكم بينها وبين الروح المتوجّه عليها بالنكاح الروحانيّ النوريّ؛ لظهور الأجسام الطبيعيّة والأرواح الجزئيّة، الإنسانيّة وغير الإنسانيّة؛ إذ كان لكلّ جسم في العالم مقيّد بصورةٍ روحٌ إلهيٌّ يلازم تلك الصورة؛ به تكون مسبّحةً لله. فمن الأرواح ما تكون مدبّرة لتلك الصورة، لكون الصورة تقبل تدبير الأرواح، وهي كلّ صورة تتّصف بالحياة الظاهرة والموت. فإن لم تتّصِف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روحُ تسبيح لا روح تدبير. فإذا ظهرت صورة طبيعيّة تقبل التدبير، وظهرتْ لها نفس جزئيّة مدبّرة لها؛ كانت الصورة بمنزلة الأنثى، والروح المدبّر لها بمنزلة الذَّكَر؛ فكانت الصورة له أهلا، وكان الروح لتلك الصورة بعلا.

وهذه الأرواح الجزئيّة متفاضلة بالعلم بالأشياء. فمنهم مَن له علم بأشياء كثيرة، ومنهم مَن لا يعلم إلّا القليل. ولا أعلمَ بالله من أرواح الصور التي لا حظّ لها في التدبير، لكون الصورة لا تقبل ذلك، وهي أرواح الجماد. ودونهم في رتبة العلم بالله[3] أرواحُ النبات. ودونهم في العلم بالله أرواحُ الحيوان. وكلّ واحد من هؤلاء الأصناف مفطور على العلم بالله والمعرفة به، ولهذا ما لهم همّ إلّا التسبيح بحمده -تعالى-. ودون هؤلاء، في العلم بالله، أرواحُ الإنس. وأمّا الملائكة فهم والجمادات مفطورون على العلم بالله، لا عقول لهم ولا شهوة. والحيوان مفطور على العلم بالله

١ ثابتة في الهامش
٢ ص ٧
٣ ص ٧ب

وعلى الشهوة. والإنس والجنّ مفطورون على الشهوة والمعارف، من حيث صُوَرهم، لا من حيث أرواحهم. وجعل الله لهم العقل ليَرُدُّوا به الشهوة إلى الميزان الشرعي، ويدفع عنهم به منازعة الشهوة في غير المحلّ المشروع لها. لم يوجِدِ اللهُ لهم العقلَ لاقتناء العلوم؛ والذي أعطاهم الله لاقتناء العلوم إنما هي القوّة المفكّرة؛ فلذلك لم تُفطر[1] أرواحهم على المعارف، كما فُطِرت أرواحُ الملائكة وما عدا الثقلين.

ولمّا تفاضلت مراتب الإنس في العلم بالأشياء، أراد بعضُ الأرواح أن يُلحِق حكمَ الصورة التي هو مدبّر لها، بحكم الطبيعة التي وُجِدت عنها تلك الصورة، وينزلها منزلتها في الحكم، وهي لا تنزل منزلتها أبدا. فقال له المعلّم[2]: هذا الذي رُمْتَهُ محال؛ فإنّ الصورة لا تفعل فِعْلَ الطبيعة فإنّها منفعلة عنها. وأين رتبة الفاعل من المنفعل؟ ألا ترى النفس الكلّيّة التي هي أهلُ العقل الأوّل، ولَمّا زوّج الله بينهما لظهور العالم، كان أوّل مولود ظهر عن النفس الكلّيّة (هي) الطبيعة، فلم تقو الطبيعة أن تفعل فعل النفس الكلّيّة في الأشياء، لأنّ الجزء ما له حكم الكلّ، والكلّ له حكم الجزء؛ لأنّه بما يحمله من الأجزاء كان كُلًّا.

فلمّا عجز هذا الروح الجاهل عن إلحاق الصورة بالطبيعة، التي هي أُمٌّ له، قال: لعلّ ذلك لعجزي وقصوري عن إدراك العلم في ذلك. فيعود في طلب ذلك من الله، إلى الله. فطلب من الله أن ينفعل عن الصورة ما ينفعل عن الطبيعة، فوجد القوابل التي تؤثّر فيها الصورة، غير قابلة لما تقبله الصور التي لها قبول أثر الطبيعة. والحقّ -سبحانه- لا يعطي الأشياء -كما تقدّم- إلّا بحسب استعداد المعطى إيّاه؛ إذ لا يقبل ما لا يعطيه استعداده.

فلمّا تبيّن لهذا الروح خطؤه[3] من صوابه، وعلِم أنّه نفخ في غير ضرم؛ طلب الوقوف مع صورته بحسب ما يعطيه استعدادها. فقَبْل الوصول إلى[4] إبراز ما تلقّى منه إلى الصور لإظهار

---

١ ق: يفطر
٢ ص ٨
٣ ق، س: خطاه
٤ ص ٨ب

عين مّا من أعيان الممكنات المعنويّة أو الحسّيّة أو الخياليّة؛ ظهر له في فتوح المكاشفة بالحقّ -لا في فتوح الحلاوة، ولا في فتوح العبارة- ثلاث مراتب: مرتبة الحرّيّة، وقد تقدّم بابها، وهي التي تخرجه عن رِقّ الأكوان، لأنّه كان قد استرقّه هذا الطلب الذي كان عن جهله بالأمور، وكان اللهُ أعلمَ بذلك أنّه لا يقع، ولا عِلم له بما في علم الله، ولا بما هو الأمر عليه. فإن اتّصف بهذا المقام وظهر بهذه الحال، مكّنه الله من مراده، ووهبه قوّة الإيجاد.

وإن عجز عن الاتّصاف بهذا المقام فهو بحاله أعجز -فإنّ الحال موهبة إلهيّة، والمقام مكتسبٌ- عدل عند ذلك إلى المرتبة الثانية، وهي على الترتيب في الحكم والشهود؛ فقام له الحقّ في التجلّي الصمداني. فإن قدر على النظر إليه فيه، وثبت لتجلّيه؛ ولم يك جَبلا فيصير دكّا، ولا موسويًا فيصعق؛ كان له ما طلب من الله، من الانفعال عن صورته ما يعطيه استعدادها، إذا مكّنه الله من الحكم فيها. فإن كان موسويًا أو جَبلا، لم يثبت لذلك التجلّي المفني مَن يطلب باستعدادِه الفناء، والمُهْلِك مَن يطلب استعدادُه الهلاك؛ قامت[1] له مرتبةُ إمساك الحياة على العالَم القابل للموت؛ فوجده في رُتَبٍ على عدد درجات التجلّي الصمداني؛ فإنّه موت أو إمساك حياة. فإن اعتنى الله به وأعطاه القوّة على ذلك؛ تصرّف في صورته كيف شاء. وإن لم يُعْطِ القوّة على ذلك وعجز، فإن كان عجزه عن شهود إلهيّ؛ أعطاه التصرّف في صورته. وإن كان عجزه من خلف حجاب نفسه، مُنِع من التصرّف؛ إذ ليست له قوّة إلهيّة يتصرّف بها. فهذا قد ذكرنا مِن ذوق رجال هذا المنزل، في هذا المنزل، ما بيّنّاه. ويطول الشرح لما يحمله كلُّ منزل.

وهذا منزلٌ ليس في المنازل له شبيه ولا مقاوِم، وهو من أقوى المنازل؛ منه يقع الإخلاص المنطّق بالحكمة بعد الأربعين لمن أخلص من عباد الله. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

---

١ ص ٩
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب السابع والعشرون وثلاثمائة
في معرفة منزل المدّ والنصيف
من الحضرة المحمديّة

الابْتِـدَاعُ شَرِيْعَـةٌ مَرْعِيَّـةٌ	أَثْـنَى عَلَيْهَـا اللهُ فِي تَـنْزِيْلِهِ
هَـذَا[1] بِغَيْرِ حَقِيْقَةٍ قَدْ سَنَّهَا	فَمُشَرِّعُ المَسْنُونِ مِنْ تَأْوِيْلِهِ
أَوْلَى بِأَنْ تُرْعَى ويُعْرَفَ قَدْرُهَا	هَذَا هُوَ المَعْرُوفُ مِنْ تَفْصِيْلِهِ

اعلم -أيدك الله- أنّ من علوم هذا المنزل: علم المفاضلة، والمفاضلة تكون على ضروب: مفاضلة بالعلم، ومفاضلة بالعمل. والمفاضلة بالعلم قد تقع بفضل المعلومات، وقد تكون بطريق الوصول إلى المعلوم. فواحد يأخذ علمه عن الله، وآخر يأخذ علمه عن كون من الأكوان. والذي يأخذ علمه عن الله يتفاضل؛ فمنهم من يأخذ عن سبب؛ كالمتقي بتقواه، ومنهم من يأخذ عن الله، لا عند سبب. ومن الأسباب: الدعاء في الزيادة من العلم.

والمفاضلة في المعلوم: فعلم يتعلّق بالأفعال، وآخر بالأسماء، وآخر بالذات. فبين العلماء من الفضل ما بين متعلّقات هذه العلوم، والكلّ علم إلهيّ.

وكذلك المفاضلة بالأعمال قد تكون بأعيانها، وبالأزمان، وبالمكان، وبالحال. فتقدّر في كلّ شيء بحسب ما تعطيه حقيقة[2] ما وقع فيه التفاضل؛ فثَمّ مَن يكون التقدير فيه بالمكيال والميزان إذا كان إنفاقا، أو وقع التشبيه فيه بالإنفاق؛ كالعقل لمّا قسّمه الله بين الناس بمكيال: فجعل لواحدٍ قفيزا، ولآخر قفيزين. وقد يكون التقدير فيه بالمراتب والدرجات. والذي يحصر لك باب المفاضلة إنما هو العدد، وبماذا يقع؛ ما هو؟ فيقال بحسب ما يريده الواضع أو المخبر به: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3] والنفقةُ بعد الهجرة لا يبلغ أجرُها أجر النفقةِ

١ ص ٩ب
٢ ص ١٠
٣ [المجادلة : ١١]

قبل الهجرة، في أهل مكة، ولا في كلّ موضع يكون العبد مخاطَبا فيه بالهجرة منه إلى غيره. فيعمل فيه خيرا وهو فيه مستوطِن، ثمّ يعمل خيرا بعد هجرته؛ فهذا الخير يتفاضل بقدر المشقّة.

واعلم أنّ هذا المنزل يتضمّن علوما شتّى، أُومِئ إلى تسميتها في آخره لِتُعرف فتُطلب. وهذا المنزل من منازل التنزيه الذي ذكرناه في أوّل هذا الكتاب، عند ذِكْرنا منزل[1] المنازل. وهو تنزيه نصف العالم، ونصف محلّ وجود أعيان العالم، من مقام العزّة الحاكمة على الكلّ، بالقهر والعجز عن بلوغ[2] الغاية فيما قصدوه من الثناء على الله. مثل قول رسول الله ﷺ: «لا أُحصي ثناء عليك» ما قال ذلك حتى عجز عن بلوغ الغاية التي في نفسه طلبُها، فلم تفِ الجوارح بذلك، ولا ما عندنا من الأسماء الإلهيّة؛ فإنّه ما يثنى عليه ﷺ إلّا بأسمائه الحسنى، ولا يُعلم منها إلّا ما أظهر، ولا يُثنى عليه إلّا بالكلام بتلك الأسماء؛ وهو الذِّكْر؛ ولا يكون إلّا منه، لا بالوضع منّا؛ فإنّه لا يجوز عندنا أن يسمّى إلّا بما سمّى به نفسه؛ فلا يُثنى عليه إلّا بما أثنى على نفسه. إلّا القاضي أبو بكر بن الطيّب فإنّه ذهب إلى جواز تسميته بكلّ اسم لا يوهِم صفة الحدوث.

فالعالَم كلُّه تحت قهره وفي قبضته؛ يحيي بشهوده وتجلّيه إذا شاء أو لمن شاء، ويميته باحتجابه وستره إذا شاء أو في حقّ مَن شاء؛ ولكن ما لم يتجلّ لشخص تجلّيا يُعلم أنّه "هو" غير مقيّد. فإذا تجلّى في مثل هذا، فلا حجاب بعد هذا التجلّي، فله الحياة الذاتيّة[3] بشهوده؛ فلا يموت أبدا موت الحجاب والستر.

فإن لم يتجلّ له؛ وهو متجلٍّ أبدا ولكن لا يُعرفُ؛ فالمحجوب بجهله به ميّتٌ؛ فإنّ حياة العلم يقابلها موت الجهل، وبالنور يقع حصوله، كما بالظلمة[4] يكون الجهل في حكمه. قال -تعالى-: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[5] فقد وصفه بالموت ثمّ بالحياة لمن أحياه، ثمّ قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ به يشهده، فليس مثله ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ وإن كان حيّا. وهو الحيّ يعلم الغيب في

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ١٠ب
٣ الحروف المعجمة عدا الذال مهملة في ق، وفي س: الدائمة
٤ ص ١١
٥ [الأنعام : ١٢٢]

الغيب الذي يحكم عليه به الاسم "الباطن" فإن لم يكن حيّا يعلم؛ فتلك الظلمة المحضة والعدَم الخالصُ، ولله -سبحانه- الاقتدار على كلّ ما ذكرناه.

أخبرني الوارد، والشاهد يشهد له بصدقه منّي، بعد أن جعلني في ذلك على بيّنة من ربّي بشهودي إيّاه؛ لما ألقاه من الوجود في قلبي؛ أنّ اختصاص البسملة في أوّل كل سورة تتويجُ الرحمة الإلهيّة في منشور تلك الصورة[1]، أنّها تنال كلّ مذكور فيها؛ فإنّها علامة الله على كلّ صورةٍ أنّها منه؛ كعلامة السلطان على مناشيره. فقلت للوارد: فسورة "التوبة" عندكم؟ فقال: "هي والأنفال سورة واحدة؛ قسمها الحقّ على فصلين؛ فإن فصلها وحكم بالفصل فقد سمّاها بسورة "التوبة"؛ أي سورة الرجعة الإلهيّة بالرحمة، على من غضب عليه من العباد. فما هو غضبُ أبدٍ لكنّه غضبُ أمدٍ. والله هو التوّاب. فما قرن بالتوّاب إلّا "الرحيم" ليؤول المغضوب عليه إلى الرحمة، أو "الحكيم" لضرب المدّة في الغضب. وحكمها فيه إلى أجل؛ فترجع عليه بعد انقضاء المدّة بالرحمة[2]. فانظر إلى الاسم الذي نعت به "التوّاب" تجد حكمه كما ذكرناه. والقرآن جامع لِذِكْرِ مَن رضي عنه وغضب عليه، وتتويج منازله بالرحمن الرحيم؛ والحكم للتتويج؛ فإنّ به يقع القبول، وبه يعلم أنّه من عند الله". هذا إخبار الوارد لنا ونحن نشهد ونسمع ونعقل. لله الحمد والمنّة على ذلك.

وواللهِ؛ ما قلت ولا حكمت إلّا عن نَفْثٍ في روعٍ من روحٍ إلهيّ قدسيّ، عَلِمه الباطن حين احتجب عن الظاهر؛ للفرق بين الولاية والرسالة. والولاية لها الأوّليّة، ثمّ تنصحب[3] وتثبت ولا تزول[4]، ومن درجاتها النبوّة والرسالة، فينالها بعض الناس ويصلون إليها، وبعض الناس لا يصل إليها. وأمّا اليوم فلا يصل إلى درجة النبوّة، نبوّة التشريع، أحد؛ لأنّ بابها مغلق. والولاية لا ترتفع دنيا ولا آخرة. فللولاية حكم الأوّل، والآخر، والظاهر، والباطن: بنبوّة عامّة، وخاصّة، وبغير نبوّة. ومن أسمائه: "الوليّ" وليس من أسمائه: "نبيّ" ولا "رسول" فلهذا انقطعت النبوّة

١ كتب في الهامش بقلم آخر: "السورة" مع حرف خ ويتفق في ذلك مع هـ، س
٢ ص ١١ب
٣ ق: ينصحب
٤ الحرف الأول من "تثبت.. تزول" مهمل

والرسالة، لأنّه لا مستند لها في الأسماء الإلهيّة. ولم تنقطع الولاية، فإنّ الاسم "الوليّ" يحفظها.

ثمّ إنّ الله -تعالى- قدّر الأشياء علما، ثمّ أوجدها حكما[1]. وجعلها طرفين، وواسطة جامعة للطرفين؛ لها وجهٌ إلى كلّ طرف؛ في تلك الواسطة البرزخيّة أنشأ الإنسان الكامل؛ فجمع بين التقدير وهو العامُّ، وبين الإيجاد وهو خاصٌّ. مثل قوله: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِي﴾[2] فهو ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[3] تقديرا وإيجادا. وهذه مسألة غير مجمَع عليها من أهل النظر؛ فإنّه مَن لا يرى الفعل إلّا لله، ثمّ يفرّق بين الحقّ والخلق؛ بأن يجعل للخلق وجودا في عينه، وللحقّ وجودا في عينه؛ لم يقل: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ إلّا تقديرا، لا إيجادا.

ومِن أهل الله مَن يرى ذلك، ولكن لا يرى أنّ في الوجود إلّا الله، وأحكام أعيان الممكنات في عين وجوده؛ وهذا هو النظر التامّ الذي لا يُنال بالفكر، ولكن يُنال بالشهود. وهو قول النبيّ ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربّه» فمن عرف نفسه أنّه لم تزل عينه في إمكانها، عرف ربّه بأنّه الموجود في الوجود. ومَن عرف أنّ التغييرات الظاهرة في الوجود، هي أحكام استعدادات الممكنات، عرف ربّه بأنّه عينُ مظهرها. والناس، بل العلماء، على مراتب في ذلك.

فلمّا أوجد العالَم طرفين وواسطة، جعل الطرف[4] الواحد كالنقطة من الدائرة، وجعل الطرف الآخرَ كالمحيط للدائرة، وأنشأ العالم بين هذين الطرفين في مراتب ودوائر؛ فسمّى المحيطَ: عرشا، وسمّى النقطة: أرضا، وما بينهما دوائر أركان وأفلاك جعلها محلّا لأشخاص أنواع أجناس ما خلق من العالم. وتجلّى -سبحانه- تجلّيا عامّا إحاطيا، وتجلّى تجلّيا خاصّا شخصيّا. فالتجلّي العام تجلٍّ رحمانيٌّ وهو قوله -تعالى-: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[5] والتجلّي الخاص هو ما لكلّ شخص شخص من العلم بالله. وبهذا التجلّي يكون الدخول والخروج، والنزول والصعود، والحركة والسكون، والاجتماع والافتراق والتجاور. ومن يكون بحيث محلّه، وميّز العالَم بعضه عن

١ ص ١٢
٢ [المائدة: ١١٠]
٣ [المؤمنون: ١٤]
٤ ص ١٢ب
٥ [طه: ٥]

بعضه؛ بالمكان، والمكانة، والصورة والعرَض؛ فما ميّزه إلّا به؛ فهو عينُ ما تميّز، وعينُ ما تميّز به. فهو مع كلّ موجود، حيث كان، بالصورة الظاهرة المنسوبة لذلك الموجود. يعلم ذلك كلَّه العلماءُ بالله من طريق الشهود والوجود.

فممّا ميّز: الغيب من الشهادة؛ فجعل الشهادة عينَ تجلّيه، وجعل الغيب عينَ الحجاب عليه؛ فهو شهادة للحجاب لا للمحجوب. فمن كان حجابُه عينَ صورته، والحجاب[1] يشهد ما وراءه؛ فالصورة من الكون تشهده. والمحجوب بصورته، عن وجود الحقّ محجوب. فهو، من حيث صورته، عارفٌ بربّه مسبّح بحمده. ومن حيث ما هو غير صورة، أو من خلف الصورة؛ محجوب: إمّا بالصورة، أو بشهود نفسه. فإن رزقه الله شهود نفسِه فقد عرفها؛ فيعرف ربَّه بلا شكّ؛ فيكون من أهل الصدور، الذين أعماهم الله بشهوده عن شهودهم كما قال: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾[2] وهي أعيان البصائر ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي: في الرجوع بعد الورود. فهو ثناء؛ فإنّه لا يصدر إلّا بما شاهد في الورود؛ للقوّة الإلهيّة التي أعطاه الله إيّاها. فمن جمع بين العِلمين، وظهر بالصورتين؛ فهو من أهل العلم بالغيب والشهادة، وهو بكلّ شيء عليم.

وصل: (حُكم الاسم الإلهيّ "الوارث")

ومن هذا المنزل حُكم الاسم الإلهيّ "الوارث" وهو حكم عجيب؛ لأنّه ينفذ في السماوات وفي الأرض. ونفوذه في ذلك دليل على خراب السماوات والأرض، وهو[3] قوله (تعالى): ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[4] فكما كان في أوّل الخلق أنّ الأرض خُلِقت قبل السماء، كما قد قدّمناه في ترتيب وجود خلْق العالم، كذلك لمّا وقع التبديل ابتدأ بالأرض قبل السماوات. فوقف[5] الخلقُ على الجِسر، دون الظلمة. وبدَّل الأرضَ غير الأرض لا في الصفة؛ فلو كان في الصفة ما ذكر العين. ولا يكون وارثٌ إلّا مِن مالكٍ متقدِّم، يكون ذلك الموروث في مِلكه؛

١ ص ١٣
٢ [الحج : ٤٦]
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ [إبراهيم : ٤٨]
٥ ص ١٣ب

فيموت عنه؛ فيأخذه الوارث بحكم الوِرث. وقد أخبر اللهُ أنّ له ﴿مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] فلا يرثها إلّا الاسم "الوارث" لا يكون غير هذا، ولم يكن لها مالكٌ إلّا المتصرِّف فيها؛ وهي الأسماء الإلهيّة التي لها التصرُّف.

فإذا انقضتْ مدّتها، بالحكم فيها ما دامت على هذه الصورة والنظم الخاصّ، وكانت المدبّرة لها؛ فلمّا زال تدبيرها، وانقضى حكمها الخاصّ لانقضاء أمد مدّة القبول؛ لذلك سمّي هذا الزوال: موتا، وصارت هذه الأعيان وِرثا. فتولّاها الاسم "الوارث" فأزال حكم ما كانت عليه؛ فبدّل الأرض غير الأرض والسماوات، حتى لا تعرف الأرض ولا السماء موجدا لها إلّا هذا الاسم. ولو بقي عين الأرض والسماء لتقسّمتْ، وذكرتْ مَن كانت مِلْكا له من الأسماء قبل هذا، فربما حنّتْ إليه. والأسماء الإلهيّة لها غَيرة؛ لأنّ المسمّى بها وَصَف نفسه بالغَيرة؛ فتعلّق حكمها بالأسماء لتعلّقها بالمسمّى. والغَيرة مأخوذة من شهود الأغيار. وكلّ اسم[2] إلهيّ يريد الحكمَ له وانفراد المحكوم عليه إليه، لا يلتفت إلى غيره. فبدّل الأرض والسماءَ في العين، فلم تعرف هذه الأرض ولا السماء إلّا هذا الاسم "الوارث" خاصّة؛ فزالت الشركة في العبادة، وظهر التوحيد.

وحكم المال الموروث ما هو مثل حكم المالك الأصلي. فإنّ حكم الوارث حكم الوهب، وحكم المالك الأصلي الموروث عنه حكم الكسب. فتختلفُ الأذواق؛ فيختلف الحكم؛ فيختلف التصريف. فالكاسب حاله: ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾[3] لأنّه في موطن تكليف، وانتظار سؤال وحساب ومؤاخذة؛ فهو حفيظ لهذه المراتب التي لا بدّ منها. وحكم الوارث "يعطي بغير حساب، وينزّل بلا مقدار". لأنّ الآخرة لا ينتهي أمدُها فتكون (=بحيث تكون) الأشياء فيها تجري إلى أجل مسمّى. فـ"ينزّل بقَدَرٍ ما يشاء" لأجل ذلك الأجل. والدنيا الأمور فيها تجري إلى أجل مسمّى، وينقضي أمدها، فينزّل فيها مالكها بقدَرٍ معلوم؛ مساوٍ لمدّة الأجل. فلو أعطى بغير حساب؛ لزاد على الأمد، أو نقص؛ فتبطل الحكمة.

١ [آل عمران : ١٨٠]
٢ ص ١٤
٣ [الشورى : ٢٧]

فحكمُ الوارث حكمُ الوهّاب، وحكمُ المالك الموروث عنه حكمُ المقدّر المُقيت. ألا تسمع إلى قوله في خلق هذه الأرض الأُولَى: ﴿وَقَدَّرَ[1] فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾[2] فجعلها ذات مقدار؛ فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وإذا استكملت رزقها ذهب حكم الرازق منها، من كونه رازقا في هذه المدّة الخاصة. وبقي "الرزّاق" ينظر إلى حكم "الوارث" ما يقول له. فيقول "الوارث" له: ارزق بغير قدر ولا انتهاء مدّة. ألا ترى أنّ الله قال للقلم: "اكتب في اللوح علمي في خلقي إلى يوم القيامة". فضرب له[3] الأمد لانقضاء مدّة الدنيا وتناهيها. ولا يصحّ أن يكتب علمه في خلقه في الآخرة؛ لأنه لا ينتهي أمدُها. وما لا ينتهي لا يحويه الوجود، والكتابة وجود؛ فلا يصحّ أن يحصر ما لا انقضاء له؛ فإنّه انتهاء ما لا ينتهي. وهذا خلفٌ. فيرجع حكم الأسماء التي كانت تحكم على الأشياء في الدنيا، تحكم فيها في الآخرة بحسب ما يَرسم لها الاسم "الوارث". فمَن حاز معرفة الأسماء الإلهيّة؛ فقد حاز المعرفة بالله على أكمل الوجوه.

وهذا المنزل يتضمّن علوما جمة: منها عِلمُ تنزيه العالَم العلويّ بما هو محصور في "أين"، وتنزيه "أين" العالم السُّفلي ومحلّه، لا تنزيهه.

وعِلم الترتيب، والمنازل، والمراتب التي لا يمكن أن يوصَل إليها ذوقا ولا حالا.

وعِلم أصناف الحياة، وضروب الموت المعنوي والحسّي، ومَن يقبل ذلك ممن[4] لا يقبله.

وعِلم الأضداد: هل يجمعها عينٌ فتكون الأضداد عينا واحدة؟ أو هي أحكام لعين واحدة تطلبها النِّسب؟

وعِلم حكم الزمان في الإيجاد الإلهيّ؛ هل حكمه في ذلك لذاته؟ أعني لذات الزمان، أو هو بتولية يمكن عزله عنها؟ ومن هنا يُعلم الاسم الإلهيّ "الدهر".

وعِلم الأدوات التي توجب المهلة وعدم المهلة؛ فيحكم على الحقّ في الأشياء بحسب الأداة؛

١ ص ١٤ب
٢ [فصلت : ١٠]
٣ ثابتة في الهامش
٤ ص ١٥

فيقدّم إن اقتضت الأداةُ التقديم، ويؤخّر إن اقتضت الأداةُ التأخير.

وعِلم المُلك بطريق الإحاطة.

وعِلم النكاح الذي يكون عنه التوالد، من النكاح الذي لمجرّد الشهوة من غير توالد.

وعِلمُ مشاهدة الحقّ إيّانا؛ بماذا يشهدنا: هل بذاته؟ أو بصفة تقوم به؟

وعِلم ما يظهر من الغيب للشهادة، وما لا يظهر.

وعِلم رجوع الشهادة إلى الغيب بعد ما كان شهادة، بحيث أن لا يبقى في الخيال مثال منه، فيمن من شأنه أن يتخيّل.

وعِلم النور المنزل في ظلمة الطبيعة؛ هل يبقى على صفائه؟ أو يؤثّر فيه ظلام الطبيعة فيكون كالسدفة؟

وعِلم الإيمان بالمجموع: هل يقبل الإيمان الزيادة والنقص، أو لا يقبل؟

وعِلم المفاضلة على اختلافها وكثرتها.

وعِلم[1] الرّبا المحمود المشروط في العامّة. وما معنى قول النبيّ ﷺ: «لم يكن الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم»؟ فاعلم أنّه لا يأخذه منّا ويعطينا إيّاه، ويجوز اشتراطه في معاملة الحقّ دون الخلق في زمان مخصوص.

وعِلمَ مَن يُنسب إليه المشي، من غير أن يكون موصوفا بآلة المشي.

وعِلمَ نُطق مَن ليس من شأنه في رتبة الحسّ أنّه يتكلّم.

وعِلمَ ردّ الأعمال على العاملين.

وعِلمَ البرزخ الذي بين الرحمة والغضب الإلهيّ، فلا يكون لواحد حكم يستقلّ به في

١ ص ١٥ب

الموجود[1]؛ ما حكم ذلك البرزخ؟ وهل له عين موجودة في نفس الأمر؟ أو هو نسبة لها وجهان في الحكم؟

وعِلْمَ ما الذي قعد بالثَّقلين عن النهوض إلى ما فيه سعادتهم، بعد إبانة الله طريق السعادة على ألسنة المخبرين عن الله؟.

وعِلْمَ الموطن الذي يقوم البدل فيها في الحكم، مقام المبدَلِ منه، من الموطن الذي لا يقبل ذلك، مع كونه يقبل التبديل لذاته.

وعِلْمَ المُدَد؛ ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع عددها المحكوم عليها به: هل لعين المدّة فيقبل العدد، كالأشخاص في النوع الواحد؟ أو هل تختلف المدد لذواتها؟

وعِلْمَ ما يحصل من الأثر فيمن هو تحت حكم المدّة من قِصرها وطولها؟

وعِلْمَ[2] اختلاف الأحكام على الأعيان؛ هل تختلف لاختلاف استعداد (الأعيان)[3] باختلاف الأوقات؟ أو هل تختلف باختلاف الأسماء الحاكمة؟

وعِلْمَ مراتب العبيد من الأحرار، وما لكلّ واحد من الصنفين من الله؟

وعِلْمَ الفرق بين الصدّيقيّة والشهادة؛ ومن أيّ مقام نال السرَّ أبو بكر الذي فضَل به غيرَه؟

وعِلْمَ مراتب النار؛ ولماذا تنوّعت الأسماء عليها؟ وما لكلّ اسم من الأصناف الذين يدخلونها؟

وعِلْمَ الفُرقان بين النشأتين والحياتين.

وعِلْمَ السبب الذي ثبّط قوما وأسرع بآخرين، والفرق بين السرعة والسبق.

وعِلْمَ الموطن الذي يقوم فيه الواحد مقام الكثير.

١ مصحفة في ق بين الوجود والموجود، وهي "الموجود" في هـ، س
٢ ص ١٦
٣ لم ترد في ق وأثبتناها من هـ، س

وعِلْمَ القضاء السابق على الحكم الواقع بالصورة.

وعِلْمَ اتّصاف الحقّ باليُسر دون العُسر، وما هو الأصعب عنده من الأهون؛ إذ كان هو الفاعل للأمرين؟

وعِلْمَ مقام إزالة العبد من حكم الصفتين المتقابلتين فلا وصف له؛ كأبي يزيد.

وعِلْمَ ما يؤدّي شهوده إلى أن لا يحبّ الشيء نفسه الذي من شأنه أن يتّصف بالحبّ.

وعِلْمَ المنع الإلهي؛ لِمَ[1] (=إلامَ) يرجع؟

وعِلْمَ المنافع والمضار المحسوسة والمعنويّة.

وعِلْمَ الرسالة والرسل.

وعِلْمَ الاختراع والتدبير.

وعِلْمَ مَن له من كلّ شيء زوجان[2].

وعِلْمَ العناية الإلهيّة؛ هل حكمها في الفرع مثل حكمها في الأصل، أم لا؟

فهذا حصر ما يتضمّنه هذا المنزل من العلوم، وفي كلّ عِلمٍ علوم.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ ق، س، هـ: لما
٢ ص ١٦ب
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب الثامن والعشرون وثلاثمائة
في معرفة منزل ذهاب المركّبات
عند السَّبْك إلى البسائط -وهو من الحضرة المحمديّة

هذا المنزل يعصم الدخول فيه من الموت ما دمت فيه، وهو منزل عجيب.

إنّ المُقَرَّبَ ذُو رَوْحٍ وَرَيحَانِ ‏ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ فِي نُعْمَى وإحْسانِ
مُنَعَّمٌ بِعَذابِ النارِ تُبْصِرُهُ ‏ يُسَبِّحُ اللهَ مِنْ عِلْمٍ وإيْمَانِ
بِنَشْأَةٍ ما لَهَا حَدٌّ فَتَبْلُغُهُ ‏ مُنَزَّهُ الحُكْمِ عَنْ نَقْصٍ وَرُجْحَانِ

من هذا المنزل تكون الوقائع للفقراء؛ وهي المبشّرات، والرؤيا[1] الصادقة؛ ما هي بأضغاث أحلام، وهي جزء من أجزاء النبوّة. ومن هذا المنزل يحصل للمكاشف؛ كشف الميزان الذي بيد الحقّ الذي يخفض به ويرفع.

اعلم أنّ التحليل إذا ورد على المركّبات أذهبَ عين الصورة ولم يُذهب عين الجوهر. وجعله الله مثالا للعارفين بالله فيما يظهر من تركيب أعيان الممكنات بعين الحقّ. فيظهر في عين الحقّ ما يظهر من الصور. فإذا رفعت التناسب بين الحقّ والخلق ذهبتْ أعيان تلك الصور، وبقيتْ أعيان الممكنات وعين الحقّ، من حيث ما هو موصوف بالغنى عن العالمين؛ فلم تذهب الأعيان لذهاب الصور الظاهرة للحسّ.

واعلم أنّ الصور الظاهرة من الحقّ على ثلاث مراتب؛ فإنّ للحقّ في العالَم ثلاثة أوجه. إذ وصف نفسه بأنّ له يَدَين قبض بهما على العالم، وأظهر النبيّ ﷺ ذلك في الكتابين اللذين خرج بهما على أصحابه: في الواحد أسماء أهل الجنّة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وعشائرهم. وفي الآخر أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وعشائرهم. ولم يُخرج لأهل الله وخاصته كتابا ثالثا[2]؛

[1] ص ١٧
[2] ص ١٧ب

فإنّ كتابهم القرآن. قال رسول الله ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» ومنزله ما بين اليدين. فلهم القلب والصدر؛ الذي هو محلّه وحضرته. وذلك هو مقام أهل القربة الذين هم خصوص في السعداء؛ أورثهم ذلك: المسابقةُ إلى الخيرات على طريق الاقتصاد من إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

فانقسم العالم، لانقسام الوجوه، على ثلاثة أقسام: لكلّ يد قسم صنف خاص، ولما بينهما صنف خاص. ولأصناف الأيدي مرتبة العظمة والهيبة. فأمّا اليد الواحدة فالصنف المنسوب إليها عظيم الشأن في نفسه؛ عظمته ذاتيّة له. والصنف الآخر عظيم المرتبة، ليست عظمته ذاتيّة؛ فيعظم لرتبته لا لنفسه. كأصحاب المناصب في الدنيا إذا لم يكونوا أهل فضل في نفوسهم؛ فيعظّمون لمنصبهم؛ فإذا عُزلوا زال عنهم ذلك التعظيم الذي كان في قلوب الناس لهم. فهذا الفرق بين الطائفتين.

فصنف من أهل الله يظهرون في العالم: بالله، وصنف آخر يظهرون في العالم: لله، والصنف الذي بين اليدين يظهر بالمجموع، وزيادة. فأمّا[1] الزيادة؛ فظهورهم بالذات التي جمعت اليدين. وهم أصحاب الهرولة الإلهيّة في أحوالهم التي سارعوا بها في موطن التكليف. وأصحاب اليدين (هم) أصحاب الذراع والباع الإلهيّ؛ لمّا ظهروا في موطن التكليف عند تعيين الخطاب بالشبر والذراع. فوقعت المفاضلة ليقع التمييز في المرتبة؛ فيقول صنف ما بين اليدين:

أَنا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

في مشاهدة دائمة؛ لا تنقطع مراتبها، وإن اختلفت أذواقها. فإنّ الله له عُرُشٌ لا يتجلّى في هذه الصور الدائمة إلّا لأصحاب هذه العُرُش؛ وهم أهل العرش، وهم أهل الوجه: ينظر بعضهم إلى بعض في هذا التجلّي؛ فيكسو بعضهم بعضا من الأنوار التي هم عليها، مع كونهم في حال التجلّي والنظر. وما ثَمّ موطن يجمع بين تجلّي الحقّ ورؤية الخلق، في غير حضرة الخيال والمثال، إلّا موطن أصحاب الوجه: أعطاهم ذلك قوّة المحلّ الذي أحلّهم فيه الحقّ، وهو محلّ المقامة. وهو

[1] ص ١٨

الذي ظهر لرسول الله ﷺ في بعض إسراءاته؛ فعبّر عنه -في حال تدلّيه إليه- برفرف الدرّ والياقوت. فانتقل في إسرائه، من براق إلى رفرف.

فمن حصل في هذا المقام؛ دامت مشاهدته، ولم تغيّبه عن[1] نفسه ولا عن ملكه. ويرى الكثرة في الواحد، والتفرقة في الجمع. وتقوم لهذا الصنف من الوجه صورٌ حاملة لعلوم محمولة؛ مما بينهم وبينها علاقة ومناسبة عمليّة، ومما لا علاقة بينهم وبينها؛ بل هي زيادة من فضل الله لهم يُرزقونها من عين المنّة، لا ينالون هذه العلوم إلّا من تلك الصور المنبعثة من الوجه. فلا يحجبهم الوجه عن رؤية الصور وما تحمله. ولا تحجبهم الصور وما تحمله، ولا ذوق تلك العلوم، عن الوجه. وهذه الرتبة أعلى رتبة للسعداء. ثمّ يفيضون على أصحاب الأيدي، مما حصل لهم من تلك العلوم التي نالوها من تلك الصور. فلا يأخذونها -أصحاب الأيدي- إلّا بوساطة أصحاب الوجه. كما أنّ أصحاب الوجه ما نالوها إلّا من تلك الصور؛ لم ينالوها من الوجه.

وسبب ذلك؛ أنّ تلك العلوم مختلفة الأذواق، والوجه ما فيه اختلاف. فلا بدّ أن يظهر تميّز تلك المراتب[2]؛ بوجود هذه الصور؛ ليُعلم تنوّع المشارب. فما كان عن علاقة؛ فلتنوّع أحوالهم بالشبر، والذراع، والسعي؛ فتنوّعَ المشروب بالذراع، والباع، والهرولة. وما تنوّع من المشارب مما لا علاقة بينها وبينهم؛ فليعلم أنّ ذلك من الاستعداد الذي[3] هي عليه نشأتهم، الذي هو غير الاستعداد العملي، الذي كنى عنه بالمقدار من شبر، وذراع؛ فالهبات الإلهيّة إنما اختلفت لهذا. ولا يذهبُ شيء من هذا كلّه بعقولهم، ولا ينقصهم من مراتب حظوظ حقائقهم شيئاً؛ فينعمون بكلّ جارحة وكلّ حقيقة هم عليها في زمان واحد، لا يحجبهم نعيم شيء عن نعيمهم بشيء آخر. ومن علِم هذا، علِم صورة النشأة الآخرة وأنّها على غير مثال، كما كانت نشأة الدنيا على غير مثال.

وليس في هذا المقام، لهذا الصنف، أعجب من كونه إذا تجلّت لهم صور الوجه؛ بفنون العلوم

١ ص ١٨ب
٢ ق: "المرتبة" وعدلت في الهامش
٣ ص ١٩

في المشروبات. وهم على حقائق، يطلب كلّ شيء جاءوا به، أن يختاروا منها، مع كونها لهم، ولا بدّ لهم من نَيْلها. وأعرّفك بسبب ذلك؛ أنّهم لا يقع لهم الاختيار إلّا في العلوم التي بينهم وبينها علاقة، من تلك المشارب، لا في علوم الوهب. وذلك لأنّهم في حال سلوكهم وإنشائهم للأعمال، اختاروا بعض الأعمال على بعض، فقدّموها لما اقتضاه الزمان أو المكان أو الحال. فإذا ظهر، في هذا التجلّي، نتائج تلك الأعمال؛ وقع الاختيار منهم في تقدّم بعضها على بعض، للتناول على صورة ما جرى في حال أعمالهم.

ألا ترى حكمة قوله في الآخِرة: إنّ لأهل السعادة[1] ما تشتهي نفوسهم[2]، ولم يقل: ما تريد نفوسهم؟ والشهوة إرادة. لكن لمّا لم يكن كلّ مراد يُشتهى؛ لم تكن كلّ إرادة شهوة. فإنّ الإرادة تتعلّق بما يُلتذّ به وبما لا يُلتذّ به، ولا تتعلّق الشهوة إلّا بالملذوذ خاصة. فأخذوا الأعمال بالإرادة والقصد، وأخذوا النتائج بالشهوة. فمن رُزق الشهوة في حال العمل، فالتذّ بالعمل التذاذه بنتيجته، فقد عُجِّل له نعيمه. ومن رُزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة؛ فهو صاحب مجاهدة، نال النتيجة بشهوة. وهي مرتبة دون الأُولَى. ثمّ إنّ لهذا الصنف من الحقّ، في هذه الحال، صورة القهر والظفر بما من شأنه أن يمتنع فلا يمتنع؛ لما يعلمه مما هو عليه من صفة الاقتدار على إنزاله؛ أنتج له ذلك الأخذُ بالشدائد وترك الرخص. فهذا بعض أحوال أهل الوجه.

وأمّا الصنفان الآخران؛ فللواحد منهم التكوين، وللآخر التسليم. فأمّا أهل التكوين، من هذين الصنفين، فتميّزهم في أحوالهم ومكانهم من العالَم العُلويّ، إذا فارقوا هياكلهم بالموت، وفُتحت لهم أبواب السماء، وعرج بأرواحهم إلى حيث شاء الله، أُسكنوا عند السدرة المنتهى، لا يبرحون بها إلى يوم النشور. لأنّهم في حال أعمالهم بلغوا المنتهى في بذل وُسعهم فيما كلّفوه من الأعمال، ما[3] توانَوْا؛ بل بذلوا المجهود الذي لم يبق لهم مساغاً؛ كلٌّ على قدر طاقته: فلا فرق بين

١ ص ١٩ب
٢ يشير إلى الآية الكريمة: "وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ" [فصلت : ٣١]
٣ ص ٢٠

من يتصدّق بمائة ألف دينار إذا لم يكن له غيرها، وبين من يتصدّق بفلس إذا لم يكن له غيره؛ فاجتمع الاثنان في بذل الوسع. ومن هناك جُوزوا، وجَمَعَهم مكان واحد، وهو السدرة المنتهى التي غشّاها من نور الله ما غشّى؛ فلا يستطيع أحد أن ينعتها.

وقد تبيّن مثل هذا في قول الشارع: «سَبَق درهمٌ ألفًا» لأنّ صاحب الدرهم لم يكن له سِوَاهُ، فبذلَه لله، ورجع إلى الله؛ لأنّه لم يكن له مستنَدٌ يرجع إليه؛ سِوَاهُ. وصاحب الألف أعطى بعض ما عنده، وترك ما يرجع إليه؛ فلم يرجع إلى الله؛ فسبقه صاحب الدرهم إلى الله. وهذا معقول. فلو بذل صاحب الألف جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم؛ لساواه في المقام. فما اعتبر الشارع قدر العطاء؛ وإنّما اعتبر ما يرجع إليه المعطي بعد العطاء؛ فهو لما رجع إليه.

فالراجعون إلى الله هم المفلسون من كلّ ما سِوَى الله. وإن كان صاحب الجدة ممّن يرى الحقّ في كلّ صورة، فما يدرِك رتبة مَن يراه في لا شيء؛ فإنّه يراه في ارتفاع النِّسب والإطلاق وعدم التقييد. ولا شكّ أنّ الحقّ إذا تقيّد للمتجلّي له في صورة؛ فإنّ[1] الصورة تقيّد الرائي، وهو -تعالى- عند كلّ راءٍ في صورةٍ لا يدركها الآخَر، فلا يدركه مطلَقَ الوجود إلّا المفلس الذي ذهبتْ الصور عن شهوده. كما قال (تعالى) في الظمآن: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فنفى شيئيّة المقصود ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾[2] يعني عند لا شيء، فإنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]. وهو ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[4]. فلا يدركه إلّا مَن أفلسه الله من العالمين، والمفلس من العالمين في غاية الغنى عن العالمين. لَمّا تقطّعتْ به الأسباب، رَدَّهُ الحقّ إليه، فعلم لمن رجع؟ وبماذا رجع؟ فرجع بالإفلاس لمن له الغنى عنه؛ فعرف الحقَّ حقًّا فاتّبعه؛ فَحَقُّ عينه: عدمٌ وشهودٌ، وحقُّ ربِّه: وجودٌ وشهودٌ.

قال ﷺ صاحبُ الكشف الأتمّ: «إنّ أصحاب الجَدّ محبوسون» والمحبوس مقيّد. والمفلس ما

١ ص ٢٠ب
٢ [النور : ٣٩]
٣ [الشورى : ١١]
٤ [آل عمران : ٩٧]

له جَدٌّ يقيّده ولا يحبسه؛ فهو مطلق عن هذا التقييد الذي لأصحاب الجدّ؛ فهو أقرب إلى الصورة بالإطلاق، من أصحاب الجدّ لتقييدهم. فأصحاب الجدّ في رتبة مَن يرى الحقَّ في الأشياء؛ فيقيّده بها ضرورة؛ لأنّ المقام يحكم عليه. والمفلس محمّديّ لا مقام له؛ فإنّه قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1] فأفلسه. وليس الجدّ إلّا لمن له الأمرُ؛ فكلّ[2] من له الأمر فهو صاحب جدّ. لأنّ الأمر للتكوين؛ فما أراده كان؛ فليس بمفلس. ومَن خرج عن حقيقته فقد زلّ عن طريقه. فما للخلق وللتكوين إن قال أو أمر بحقّ؛ فالتكوين للحقّ، لا له. كما قال فيمن له التكوين: ﴿فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِي﴾[3] وفي آية أخرى: ﴿فَيَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[4] فأعطاه وجرّده. فالبقاء على الأصل أَوْلَى؛ وهو قوله (تعالى) لأكرم الناس عليه، وأتمّهم في الشهود، وأعلاهم في الوجود: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فأفلسه، ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾[5] فإنّ الله ينشئكم في ما لا تعلمون ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ أنّها كانت فيما لا يُعلم ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[6].

فأهل الله لا يبرحون في موطن الإفلاس؛ فهم في كلّ نَفَس على بيّنة لا على لَبْس، في علم جديد لم يكن عنده؛ فإنّه يُنشِئه دائمًا فيما لا يعلم؛ فليس بصاحب نظر ولا تدبير ولا رويّة؛ إذ لا يكون النظر إلّا في مواد وجوديّة؛ وهي الحدود التي حبستهم عن العلم بالله؛ فـ﴿هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[7] وهم فيه وهم لا يشعرون. فإذا دخلوا الجنّة يوم القيامة، فلا ينزلون منها إلّا في «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». وإذا لم يخطر على القلب، وله مقام التقليب في الوجوه، فما[8] ظنّك بالعقل الذي لا تقليب عنده؟ جعلنا الله من هؤلاء المفلسين، وحال بيننا وبين مقام أهل الجدّ المحبوسين.

ثمّ إنّ أصحاب التكوين، الذين لهم القوّة الإلهيّة في إيجاد الأعيان، إذا شاهدوا نضد العالم

١ [آل عمران : ١٢٨]
٢ ص ٢١
٣ [المائدة : ١١٠]
٤ [آل عمران : ٤٩]
٥ [الأحزاب : ١٣]
٦ [الواقعة : ٦٢]
٧ [ق : ١٥]
٨ ص ٢١ب

وترتيبه، وأنّه ما بقي فيه خلاء يعمره تكوينهم؛ علموا عند ذلك أنّ الله قد حال بينهم وبين إيجاد المعدوم. وليس التكوين الحقيقي إلّا ذلك. فما حصل بأيديهم من التكوين إلّا تغيّر الأحوال، وهو الموجود في العامّة؛ فيكون قائمًا فيقعد، أو قاعدا فيقوم، أو ساكنا فيتحرّك، أو متحرّكًا فيسكن. ليس في قدرته غير ذلك. فإنّ التكوين الذي هو إيجاد المعدوم، ما بقي له مكان في العالم يظهر فيه.

فزالت الأمكنة بما عمرته من صور العالم وأعيانه من حيث جوهره، وما زالت المحالُّ التي يظهر فيها تغيّر الأحوال؛ فليس لأصحاب التكوين إلّا مراتب العوام. إلّا أنّ الفرق بينهم وبين العوام، أنّ العامّة لها التكوين في معتاد، ولهؤلاء التكوين في غير معتاد، ولكن هو معتاد لهم؛ فهم بمنزلة العامّة في عاداتهم. وصاحب الوجود والشهود، لا يبرح في: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1].

فإذا عاينوا، أهلُ التكوين، ما ذكرناه من عمارة الأمكنة[2] ونضد العالَم، وأنّه ما يقبل الزيادة ولا النقصان، وأنّه قد خُلق في أكمل صورة، وما بقي لهم تصريف إلّا في المَحالّ وإيجاد الهيئات؛ كالتجلّي الإلهيّ في الصور؛ انكسرت قلوبهم، وعلموا عجزهم، وأنّهم قاصرون مقيّدون في التكوين. فيطلبون الراحة من تعب التكوين[3]؛ فيأتيهم الخطاب الإلهيّ في أسرارهم بقوله (تعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[4] لوجود الراحة؛ فاستراحوا عند هذا الخطاب في ظلّه الممدود، وظِلُّ الشيء يخرج على صورة الشيء. فجعل الله راحتهم بالعالَم، لا به.

والمفلِس ما له راحةٌ إلّا به؛ فإنّه قد أفلسه من العالَم؛ فليس له راحة في الظلّ؛ فلا حُكم للعالم عليه ولا مَزيّة؛ فهو لله بالله. فإذا أراد الله راحة هذا المفلس؛ قبض الظلَّ إليه قبضا يسيرا؛ فانكشف عن موضع استراحة هذا المفلس. لأنّه إذا قبض الظِّلَّ إليه عَمَر النورُ المكانَ

١ [آل عمران : ١٢٨]
٢ ص ٢٢
٣ ق: "الكون" وعدلت في الهامش
٤ [الفرقان : ٤٥]

المقبوضَ منه هذا الظلُّ؛ وهو موضع راحة هذا المفلس. فإنّه لحاجته؛ كالمقرور يطلب الشمس، لوجود الراحة له في النور؛ فإذا استراح أهلُ التكوين في علم قوله قوله (تعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ استراح المفلِس من هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ في بَدْءِ أمره، وفي[1] نهايته إلى قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[2] فما رأى في البداية والنهاية إلّا ربَّه؛ فهو الأوّل في شهوده، والآخر في انتهاء وجوده. وبقي أهل التكوين في عِلم مَدِّ الظلّ، لا في كيفيّته. والمفلسون ما نظروا في الظلّ إلّا من حيث خاطبهم الحقّ وهو قوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ فوقفوا مع الكيفيّة وهي إلهيّة. فما وقفوا إلّا مع الله، لا مع الظلّ. لأنّ الكيفيّة شهود المِمدُّ له، لا شهود الممدود.

فجعلهم الحقُّ، لهذه المنزلة، يُفيضون على أهل التكوين من علوم الحياة؛ ما تحيا به قلوبهم. فإذا رأوا الإمداد يأتيهم؛ نظروا من أيّ وجهة أتاهم ذلك؟ فرأوه من جهة هؤلاء الكمّل من رجال الله؛ فعرفوا أنّ لله رجالا فوقهم، لهم القربة الإلهيّة بما سبق لهم عند الله؛ فكانوا، لهذه السابقة، من السابقين المسارعين إلى الخيرات على طريق الاقتصاد، وأعطوا كلّ ذي حقّ حقّه، كما أعطى الله كلّ شيء خَلقَه. فلهؤلاء العَرْش، ولأهل التكوين الفُرُش. فلهم الاستواء، ولأهل التكوين الاتّكاء. ولهم النزول، ولأهل التكوين الارتفاع والصعود. ولهم حقائقُ أسماء التنزيه، ولأهل التكوين حقائقُ أسماء التشبيه؛ إذ بها يُغيِّرون الأحوال في المَحالّ. فهذا[3] بعض ما هم عليه أهل يد التكوين، وأصحاب الوجه الذين لهم ما بين اليدين.

وأمّا أهل التسليم فهم في جهد ومشقّة، في نار مجاهدة ورياضة. لا يعرفون بَرْدَ اليقين، ولا حرارة الاشتياق إلى التعيين؛ لأنّ الشوق لا يتعلّق إلّا بمعروف. ولا يكون إلّا لأصحاب الحروف؛ الذين يعبدون الله على حرف، لمعناه ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾[4] أي بالحرف؛

١ ص ٢٢ب
٢ [الفرقان : ٤٦]
٣ ص ٢٣
٤ [الحج : ١١]

لأجل الخير الذي أصابه منه، وهو خيرٌ مقيّد معيّنٌ[1] عنده، الذي لأجله لزم هذا الحرف دون غيره؛ إذ الحروف كثيرة. فهو كـ﴿مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ﴾[2] فهو على شَفا لا على شِفاء. ولكن، مع هذا، فرحمة الله شاملة، ونعمته سابغة.

ولكلّ موجود في العالَم وجهان: باطنٌ فيه الرحمة، وظاهرٌ من قِبَلِه العذاب. كالسور بين الجنّة والنار. والعبد حالُه بحسب الوجه الذي ينظر إليه من كلّ موجود؛ لأنّ الحقّ وصف نفسه بالغضب والرضا، والعالَم على صورته. فلا بدّ، مما ذكرناه، أن يكون العالَم عليه. فلا بدّ من القبضتين، ولا بدّ من اليدين، ولا بدّ من الدارين، ولا بدّ من البرزخ بين كلّ اثنين ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[3] لأنّه مخلوق عن صفتين: إرادة[4]، وقول. وهما اللذان يشهدهما كلُّ مخلوق من الحقّ. فإنّ العالَم نتيجةٌ، والنتيجةُ لا تكون إلّا عن مقدّمتين. وهذا هو التناسل الإلهيّ. ولهذا أَوْجَدَهُ على الصورة؛ كوجود الابن على صورة الأب في كلّ جنس من المخلوقات. فالعالَم من حيث أجزائه وتفاصيله كالأعضاء للاسم "الظاهر"، ومن حيث معانيه وتفاصيل مراتبه؛ كالقوى الروحانيّة الباطنة التي لا تُعلم إلّا بآثارها للاسم "الباطن". فقامت نشأة العالَم على الظاهر والباطن ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6]. فهذا قد بيّنّا في هذا هذا المنزل ما تقتضيه الثلاثة الأوجه الإلهيّة، والمراتب الثلاثة التي ظهر فيها التفاضل بين العالَم. فلنذكر ما يتضمّنه هذا المنزل من العلوم.

فأوّلُ ذلك عِلْمُ المبشِّرات.

وعِلْمُ الميزان الإلهيّ الذي بيده الخفض والرفع الوارد حديثه في الخبر النبويّ الذي أشهده الحقّ.

١ ثابتة في الهامش
٢ [التوبة : ١٠٩]
٣ [الذاريات : ٤٩]
٤ ص ٢٣ب
٥ [الحديد : ٣]
٦ [آل عمران : ٦]

وفيه عِلْمُ الحركات الطبيعيّة خاصة.

وفيه عِلْمُ تحليل المركّبات.

وفيه عِلْمُ ما يبدو للمكاشف إذا شاهد الهباء، الذي تسمّيه الحكماء: الهيولي، من صور العالَم، قبل ظهور أعيانها في الجسم الكلّ.

وفيه عِلْمُ الفرديّة الأُولَى التي[1] وقع فيها الإنتاج والتناسل الإلهيّ والروحاني والطبيعي والعنصري، وهو علم عزيز.

وفيه عِلْمُ الاقتدار الإلهيّ، وفيمن ينفذ؟ وفيمن لا ينفذ؟ ولماذا لا ينفذ في بعض الممكنات؟ وما المانع لذلك: هل إحالة الجمع بين الضدّين؟ والأصل جامع بين الضدّين، بل هو عين الضدّين.

وفيه عِلْمُ التحسين والتقبيح.

وفيه عِلْمُ النشأتين.

وفيه عِلْمُ الحياة السارية في جميع الموجودات حتى نطقت مسبّحة لله بحمده.

وفيه عِلْمُ المواد الطبيعيّة والمواد العنصريّة.

وفيه عِلْمُ المبدأ والمعاد.

وفيه عِلْمُ الأصل الذي ترجع إليه هذه المواد.

وفيه عِلْمُ الاسطقسات.

وفيه عِلْمُ مراتب العلوم.

وفيه عِلْمُ الكلمات الإلهيّة من حيث ما هي مؤلّفة.

وفيه عِلْمُ الكتاب المسطور في الرقّ المنشور.

١ ص ٢٤

وفيه عِلْمُ تنزيه الصحف ومنزلتها من الكتب، وما السَّفَرة التي تحمله؟

وفيه عِلْمُ الفروق بالحدود؛ في أيّ الأعيان يظهر؟ وما في الوجود إلّا واحد، فبماذا يتميّز؟ وعن أيّ شيء يتميّز، وما هو ثَمّ؟

وفيه عِلْمُ التغذّي بالعدم.

وفيه عِلْمُ الفرق بين نِسبة الحقّ في القرب في الأحياء، وبين نِسبة قربه في الأموات.

وفيه عِلْمُ الرجعة.

وفيه عِلْمُ الثواب في كلّ صنف صنف؛ أعني في تعيين ثوابهم. والفرق[1] بين أصحاب النور وأصحاب الأجور، وكيف يكون العبد أجيرا لمن هو عبد له، من غير أن يكون مكاتبا ولا مدبّرا؟

وفيه عِلْمُ تنزيه العظَمة[2] الإلهيّة أن تقوم بالأكوان.

وفيه عِلْمُ السبب الذي لو علمه مَن علمه لم يمت ما دام ذلك العلم مشهودا له.

فهذه أمّهات العلوم التي يحوي عليها هذا المنزل، وفيها تفاصيل لا تتناهى.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

---

١ ص ٢٤ب
٢ ق: "الكلمة" وفي الهامش بقلم الأصل: "العظمة"
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب التاسع والعشرون وثلاثمائة
في معرفة علم الآلاء والفراغ إلى البلاء
-وهو من الحضرة المحمديّة

إنّ العَـوالِمَ بِالـرَّحْمَنِ أَوْجَـدَهَا ... رَبُّ العِبَـادِ ولِلـرَّحْمَنِ قَـدْ وُجِـدَتْ

وبِالذِي قُلْتُهُ الآيَاتُ قَدْ نَطَقَتْ ... فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ والأَرْسالِ قَدْ شَهِدَتْ

لَوْلا التَّأَلُّمَ لَمْ يُنْكِرْهُ مِنْ أَحَدٍ ... وَلا وَرَبِّ العُلَا نُعْمَاهُ مـا جُحِـدَتْ

قال[1] النبيّ ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» والعالَم مخلوق بالإنسان على صورته. فلو فُقد منه الإنسانُ ما كان العالَم على الصورة. ولو فُقِد العالم وبقي الإنسان كان على الصورة. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2] وهو عزلُها عن تدبير هذا الهيكل الطبيعي الذي[3] كانت تدبّره في الدنيا في حال إقامتها فيها.

وأمّا قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[4] فلم يقل: "كُلُّ مَنْ فيْهَا فَانٍ" لأنّه إذا كان فيها انحفظ بها، وإذا كان عليها تجرّد عنها. فهذا يدلّك على أنّ التجلّي الإلهيّ يَعُمُّ جميع من عليها: لأنّ الفناء لا يكون إلّا عن تجلٍّ إلهيّ، في غير صورة كونيّة؛ لأنّ التجلّي في صور المِثل، إذا عُرف أنّه عين الصورة، اتّصف المتجلّى له بالخشوع، لا بالفناء. سئل رسول الله ﷺ عن الكسوف. فقال ﷺ: «ما تجلّى الله لشيء إلّا خشع له» فلهذا قلنا بالخشوع لا بالفناء؛ للمناسبة التي بين الحِسّ والخيال؛ ولهذا يسمّى الخيال بالحِسّ المشترك. وإذا لم يُعرف (التجلّي في صورة المثل)، لم يُورِث خشوعا يُعرف به أنّه هو، ولكن لا بدّ أن يورث خشوعا في المتجلّى له؛ ولكن[5] لا يَعرف المتجلّى له أنّه هو، ولا سيما أهل الأفكار. وهذا من علم الظهور

---

١ ص ٢٥
٢ [آل عمران : ١٨٥]
٣ ق: "التي" وصححت في الهامش
٤ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧]
٥ ص ٢٥ب

والخفاء، فظهر بلا شكّ؛ فإنّه هو، وخفي بالتقييد في ظهوره، فلم يُعلم أنّه هو.

فإذا كان العارف، الكامل المعرفة بالله في هذا النوع الإنساني، يَعلم أنّ عين الحقّ هو المنعوت بالوجود، وأنّ أحكام أعيان العالَم هي الظاهرة في هذا العين، أو هو الظاهر بها: عَرَف ما رأى. فإن اقتضى الموطنُ الإقرار أقرّ به عندما يدّعي أنّه هو. وإن اقتضى- الموطن الإنكار سكت العارف؛ فلم ينطق بإنكار ولا إقرار؛ لعلمه بما أراده الحقّ في ذلك الموطن. ولمّا كان التجلّي الإلهيّ يفني مَن هو على الصورة؛ عرفنا أنّ العين لا تذهب؛ بل هو تجريد وخلع؛ لا عزل عن تدبير ملك. إلّا إذا كان الضمير في "عليها" يعود على الأرض، فهو عزل عن تدبير الهياكل التي جعل الله إليها تدبيرها.

وهذا الظهور والخفاء للاسم "الربّ" لا لغيره، وإليه يرجع حكمه. وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام. فيظهر في هذا الحكم، أعني: الظهور والخفاء، في موطنين ليتّخذه صاحب الملك وكيلا فيما هو له مالِك؛ فيكون له التصريف فيه، والعبد مستريح في جميع أحواله من يقظة ونوم. والقِسم الآخر[1] من هذا الحكم أن يكون له في أربعة مواطن، في طول العالم وعرضه، لوجود الإنعام عليه، كما قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[2] فله هذان الحكمان في طول العالم، ومثله في عرضه. وطول العالَم (هو) عالم الأرواح، وعرضه (هو) عالم صور الأجسام.

وإنما قلنا: صور الأجسام، ولم نقل: الأجسام بسبب الأجسام المتخيّلة. وإن كانت أجساما حقيقيّة في حضرتها، فليست أجساما عند كلّ أحد؛ لما يسرع إليها من التغيير، ولأنّها راجعة إلى عين الناظر، لا إليها. والأجسام الحقيقيّة هي أجسام لأنفسها، لا لعين الناظر. فسَواء كان الناظر موجودا أو غير موجود؛ هي أجسام في نفسها، والأُخَر أجسام لا في أنفسها. كما قال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3] وهي أجسام في عينها، لا حكم لها في السعي؛ فظهرتْ في عين موسى بصورة الجسم الذي له سعيٌ، والأمر في نفسه ليس كذلك.

١ ص ٢٦
٢ [لقمان : ٢٠]
٣ [طه : ٦٦]

والقسم الثالث من هذا الحكم، من الظهور والخفاء، يظهر في سبعمائة موطن وعشرين موطنا، وهو منتهى ما يقبل عالم الدنيا من الاقتدار الإلهيّ، لا أنّ الاقتدار يقصر- أو يعجز. فهذا حكم القابل، وكذا وقع الوجود. ويجوز في النظر الفكري خلافه معرّى عن علمه، بما سبق في علم الله[1]. فما ثَمّ إمكان إلّا بالنظر المجرّد إلى الأكوان، معرّى عن علم الله فيها؛ فلا تُعرف إلّا بالوقوع. فانحصرت مواطن الظهور والخفاء، بين تجلٍّ إلهيّ واستتار، في سبعمائة موطن وستة وعشرين موطنا، بأحكام مختلفة. وبين كلّ موطنين من ظهور وخفاء يقع تجلٍّ برزخي، في قوله (تعالى): ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2] ليحفظ هذا البرزخ وجود الطرفين، فلا يرى كلّ طرَف منها حكم الطرف الآخر، والبرزخ له الحكم في الطرفين؛ فيسخف الكثيف ويكثف[3] السخيف. وله في كلّ موطن حكم لا يظهر به في الموطن الآخر، وهو ما تجري عليه أحكام عالَم[4] هذه الدار، إلى أن يرثَ اللهُ الوارثُ[5] الأرضَ ومَن عليها.

ومن حقيقة هذه المواطن ظهر العالَم في الدنيا بصورة الظهور؛ وهو ما أدركه الحِسّ، وبصورة الاستتار؛ وهو ما لا يدركه الحِسّ من المعاني، وما استتر عن الأبصار من الملائكة والجنّ. قال -تعالى-: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾[6] وهو ما ظهر لنا ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾[7] وهو ما خفي عنّا. فالعالَم بين الأبد والأزل برزخٌ، به انفصل الأبد من الأزل، لولاه ما ظهر لهما حكم، ولكان الأمر واحدا لا يتميّز. كالحال بين الماضي والمستقبل، لولا الحال ما تميّز العدم الماضي عن العدم المستقبل. وهذا حكم[8] البرزخ لا يبرح دائما في العالم، وهو الرابط بين المقدّمتين، لولاه ما ظهر علم صحيح.

ثمّ إنّ الله -سبحانه- ولّى الاسمَ "الرحمن" المملكة كلّها، وجعل الاسمَ "الربّ" السادنَ

١ ص ٢٦ب
٢ [طه : ٥]
٣ ق: تكثف
٤ ثابتة في الهامش
٥ ثابتة في الهامش
٦ [الحاقة : ٣٨]
٧ [الحاقة : ٣٩]
٨ ص ٢٧

الأوّل العام، وأعطاه إقليد[1] التكوين، والتصريف، والنزول، والمعراج. فهو يتلقّى الركبان، وينزل بهم على "الرحمن"، و"الرحمن" على عرشه الأبهى يعلم مجموع كَلِمِه في أيّ عين يظهر من العالم. وهو الذي أشرنا إليه بقولنا:

"عَلَّمَ القُرآنَ" كَيْفَ[2] يَنْزِلُ	اسْمُهُ الرَّحمنُ لَمّا عَمِلُوا
بِالذِي تُعْطِيهُمْ حِكْمَتُهُ	وَهْوَ العامِلُ وَهْوَ العَمَلُ
فَرِجالُ اللهِ قُدْمًا سَبَقُوا	وعَلَيْهِمْ بِعَلَيْهِ عَوَّلُوا
فَهُمُ المَطْلُوبُ لا غَيْرُهُمُ	فَبِهِ مِنْهُمْ إِلَيْهِم وَصَلُوا

فقوله: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[3] ونَصَبَ القرآن ثمّ قال: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[4] فنزل عليه القرآن ليترجِم عنه بما علّمه الحقُّ من البيان، الذي لم يقبله إلّا هذا الإنسان. فكان[5] للقرآن علم التمييز؛ فعَلِمَ أين محلّه الذي ينزل عليه من العالَم؛ فنزل على قلب محمد ﷺ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[6]، ثمّ لا يزال ينزِل على قلوب أُمَّتِه إلى يوم القيامة. فنزولُه في القلوب جديد لا يبلى، فهو الوحي الدائم.

فللرسول -صلوات الله عليه وسلامه- الأوّليّة في ذلك، والتبليغ إلى الأسماع والابتداء من البشر. فصار القرآن برزخا بين الحقّ والإنسان، وظهر في قلبه على صورةٍ لم يظهر بها في لسانه؛ فإنّ الله جعل لكلّ موطن حكما لا يكون لغيره. وظهر في القلب أَحديّ العين، فجسّده الخيال وقسّمه؛ فأخذه اللسان فصيّره ذا حرف وصوت، وقيّد به سمع الآذان، وأبان أنّه مترجِم عن الله، لا عن الرحمن؛ لما فيه من الرحمة، والقهر، والسلطان. فقال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[7] فتلاه رسول الله ﷺ بلسانه أصواتا وحروفا، سَمِعها الأعرابي بسمع أذنه في حال

---

١ إقليد: مفتاح
٢ كتب فوقها "صح" وفي الهامش مقابلها بقلم الأصل: حيث
٣ [الرحمن : ١ ، ٢]
٤ [الرحمن : ٣ ، ٤]
٥ ص ٢٧ب
٦ [الشعراء : ١٩٣]
٧ [التوبة : ٦]

ترجمته. فالكلام لله بلا شكّ، والترجمة للمتكلِّم به، كان مَن كان. فلا يزال كلام الله من حين نزوله يُتلى حروفا وأصواتا، إلى أن يُرفع من الصدور، ويمحى من المصاحف؛ فلا يبقى مترجم يقبل نزول القرآن عليه؛ فلا يبقى الإنسان المخلوق على الصورة.

فإذا بقيتْ صورة جسم الإنسان مثل أجسام الحيوان[1]، وزالت الصورة الإلهيّة بالتجريد؛ ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[2] إلى يوم النشور، وهو الظهور الذي لا ضِدّ له؛ فيقابله الخفاء. فمن معافى ومبتلى، بحسب ما يحكم فيه من الأسماء إلى الأجل المسمّى؛ فتعمّ الرحمة التي وسعت كلَّ شيء، من الرحمن الذي استوى على العرش. فتعمُّ النِّعم العالَم، وتظهر أحكام الأسماء بالإضافات والمناسبات، لا بالتقابل. فيكون الأمر مثل قولهم: "حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين" ونعيمُ الأدنى لو أُعطي الأعلى، بعد ذوقه النعيم الأعلى، لتعذَّب بفقده، لا بوجود النعيم الأدنى، لعدم الرضا به؛ فهو عذاب مناسبة وإضافة لبقاء حكم الأسماء الإلهيّة دائما. أرأيتَ صاحب منزلةٍ عُليا؛ كسلطان أخرجه سلطانٌ آخر من مُلكه، وولّاه مُلكا دون مُلكه، يأمر فيه وينهى؛ ولكن إذا أضفته إلى ما كان فيه أوّلا، وجدته ذا بلاء مع وجود المكانة، من حيث ما هي ولاية وتحكُّم بأمر ونهي؛ ولكن يعلم أنّ هذه المنزلة بالنظر إلى الأُولَى عذابٌ في حقّ من يُحْضِر الأُولَى في خاطره. فهذا القدر يبقى في الآخرة من حكم الأسماء؛ إذ يستحيل رَفْعُها من الوجود؛ إذ كان لها البقاء الإلهيّ ببقاء المسمّى.

ثمّ اعلم أنّ الظهور، الذي[3] نحن بصدده، ينقسم الظاهر فيه إلى قسمين: قسم له ظهوره خاصّة، وليس له أمرٌ يعتمد عليه ظهورُه من جانب الحقّ. وقسمٌ آخر يكون له من جانب الحقّ أمرٌ يعتمد عليه؛ وليس ذلك إلّا للإنسان الكامل خاصّة؛ فإنّ له الظهور والاعتماد، لِكَوْن الصورة الإلهيّة تحفظه حيث كان. وغير الإنسان الكامل له الظهور من إنسان، وحيوان، ونبات، وأفلاك، وأملاك، وغير ذلك. فهذا كلّه نِعم أظهرها الحقُّ لِيَنْعَم بها الإنسان الكامل؛ فلها

---

١ ص ٢٨
٢ [الزمر : ٦٨]
٣ ص ٢٨ب

الظهور، وما لها الاعتماد لأنّها مقصودة لغير أعيانها. والإنسان الكامل مقصود لعينه؛ لأنّه ظاهر الصورة الإلهيّة. وهو الظاهر والباطن. فليس عين ما ظهر، بغير لعين ما بطن، فافهم. فهو الباقي ببقاء الله، وما عداه فهو الباقي بإبقاء الله. وحكم ما هو بالإبقاء يخالف حكم ما هو بالبقاء. فما هو بالبقاء فله دوام العين، وما هو بالإبقاء فله دوام الأمثال، لا دوام العين. حتى لا يزال المتنعّم متنعّمًا، والنّعم تتوالى عليه دائمة مستمرة.

وما أنشأ الله من كلّ شيء زوجين إلّا ليعرّف اللهُ العالَمَ بفضل نشأة الإنسان الكامل، ليعلم أنّ فضله ليس بالجعْل. فإنّ الذي هو الإنسان الكامل ظهر به ازدواج[1] مَن لا يقبل لذاته الازدواج، ما هو بالجعْل. فضمن الوجود الإنسان الكامل الظاهر بصورة الحقّ؛ فصار للصورة بالصورة زوجين، فخلق آدم على صورته؛ فظهر في الوجود صورتان متماثلتان، كصورة الناظر في المرآة: ما هي عينه، ولا هي غيره. لكن حقيقة الجسم الصقيل، مع النظر من الناظر، أعطى ما ظهر من الصورة. ولهذا تختلف (الصورة) باختلاف المرآة، لا بالناظر. فالحكم في الصورة الأكبر لصورة المجلى لا للمتجلّي.

كذلك الصورة الإنسانيّة، في حضرة الإمكان، لمّا قبِلت الصورة الإلهيّة، لم تظهر على حكم المتجلّي مِن جميع الوجوه، فحكم عليها حضرة المجلى وهي الإمكان، بخلاف حكم حضرة الواجب الوجود لنفسه؛ فظهر المقدار والشكل الذي لا يقبله الواجب، وهو الناظر في هذه المرآة. فهو من حيث حقائقه كلّها هو هو، ومن حيث مقداره وشكله ما هو هو؛ وإنما هو من أثر حضرة الإمكان فيه، الذي هو في المرآة: تنوّع شكلها في نفسها، ومقدارها في الكبر والصغر.

ولمّا كان الظاهر بالصورة، لا يكون إلّا في حال نظر الناظر الذي هو المتجلّي، لذلك نَسب الصورة إلى محلّ الظهور، وإلى النظر. فكانت الصورة الظاهرة برزخيّة بين المحلّ والناظر، ولكلّ واحد[2] منهما أثر فيها ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ﴾[3] وهو ما كبُر من الجوهر ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ وهو ما

١ ص ٢٩
٢ ص ٢٩ب
٣ [الرحمن : ٢٢]

صَغُر منه، وهو أثر الحضرة لا أثر الناظر. فقال في زوجيّة ظهور الإنسان الكامل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] أي ليس مِثل مِثلِه شيء، أي مَن هو مِثل له، بوجوده[2] على صورته، لا يقبل المِثل. أو لا[3] يقبلُ الموجودُ على الصورة الإلهيّة المثالَ.

فعلى الأوّل؛ نفي المثليّة عن الحقّ من جميع الوجوه لمّا أثّر المحلّ المتجلّى فيه، في الصورة الكائنة، من الشكل والمقدار الذي لا يقبله المتجلّي، من حيث ما هو عليه في ذاته. وإن ظهر به؛ فذلك حكم عين الممكن في عين وجوده. وعلى[4] الآخر؛ نفي المثليّة عن الصورة التي ظهرت، فلم يماثلها شيء من العالم من جميع وجوه المماثلة. فلمّا كان من الصورة زوجان، كان بالجعْل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[5] لأنّ الأصلَ قَبل الزوجيّة، فظهر حكمها في الفرع. ولكنّ حكمها في الأصل يخالف حكمها في الفرع. وهذه مسألة واحدة من مسائل هذا المنزل. فلنذكر ما يتضمّن من العلوم، كما ذكرنا لسائر منازل هذا الكتاب:

فمن ذلك عِلمُ مراتب الأسماء.

وعِلمُ الفهم في القرآن.

وعِلمُ نطق كلّ شيء، ومراتبه في البيان عن نفسه.

وعِلمُ العدد.

وعِلمُ اشتراك العالَم فيما يشترك فيه[6] من الصفات والمراتب.

وعِلمُ الفرق بين العوالم، واختلاف أحكام العدل لاختلاف المواطن والأعصار؛ فما هو حق في شرع، عاد باطلا في شرع آخر بالنسخ الطارئ. والإيمان بحقّيّته واجب، وبنسخه واجب.

وعِلمُ العدول عن الحقّ وإلى الحقّ، وما يتعلّق بذلك من الذمّ والحمد.

١ [الشورى : ١١]
٢ كتب في الهامش مقابلها: "لوجوده" مع إشارة التصويب
٣ "أو لا" واضح أن الألف الأولى مضافة في ق وكانت: ولا
٤ ق: "وعن" وعدلت فوقها بقلم الأصل
٥ [الذاريات : ٤٩]
٦ ص ٣٠

وعِلمُ المولّدات التي هي الأمّهات؛ لماذا وُضِعت في العالم؟ ولم تظهر أعيان الأشياء من غير أن تكون أبناء لأمّهات وآباء؟ وما تحمله الأمّهات مما فيه صلاح الأبناء؟

وعِلمُ تقرير النِّعم الظاهرة والباطنة، ولِمَ تذهب بالكفر وتَزيد بالشكر؟

وعِلمُ نشأة الجنّ والإنس دون غيرهما من الحيوان.

وعِلمُ الستر والتجلّي الذي لأجله لم يكن في الإمكان أبدع من هذا العالم، لعمومه جميع المراتب؛ فلم يبق في الإمكان إلّا أمثاله، لا أزيد منه في الكمال الوجوديّ الحافظ للأصول.

وعِلمُ الفواصل بين الأشياء، وبين كلّ اثنين في المعقول والمحسوس؛ كالخطّ الفاصل بين الظلّ والشمس؛ لماذا (=إلى ماذا) ترجع هذه الفواصل؛ هل لأمرٍ زائد على أعيان المفصولين، أم لا؟

وعِلمُ ما تحوي عليه حروف الوجود من المعاني.

وعِلمُ الأعلام؛ على ما هي أعلام؟

وعِلمُ الفناء والبقاء.

وعِلمُ[1] ما يفعله الحقّ مما يظهر في الحال، لا غير.

وعِلمُ إضافة ما ينزّهُ العقلُ إضافته عن الحقّ إلى الحقّ.

وعِلمُ السرادق الإلهيّ، وما فيه من الأبواب، وما يفتح تلك الأبواب للذين يريدون الخروج منها؟ ولماذا يَخرجون؟ وما يشهدون إذا خرجوا؟ وما يخرجهم؟

وعِلمُ العقاب والعذاب، ولماذا سُمّي عقابا وعذابا؟

وعِلمُ ما يؤول إليه محلّ الملأ الأعلى، لا بل الملأ الأوسط؟

وعِلمُ الخرس والسكوت عن العالَم، وما سببه؟

وعِلمُ العلامات؛ هل تقوم مقام الكلام والعبارة من المتكلّم، أم لا؟ كالمعجزات والنطق المعلوم من قرائن الأحوال، وإن لم يكن هناك عبارة بنظم حروف وإظهار كلمات.

وعِلمُ ما تعطيه العلامات في الأشياء من الأحكام.

---

١ ص ٣٠ب

وعِلمُ تردُّد الأشياء بين الأشياء.

وعِلمُ نتائج المقامات والأحوال.

وعِلمُ حكم الشفعيّة في العالم الأخراويّ.

وعِلمُ الأسباب الموصلة الحكمَ من المسبِّب إلى المسبَّب.

وعِلمُ الأذواق والأفكار.

وعِلمُ الالتذاذ بما يَرِد من الحقّ على الإنسان من طريق شفعيّته؛ أي من حيث شفع الصورة الإلهيّة، لا من حيث ما شابه العالم.

وعِلمُ مَن يمنع بتجلّيه النظر إلى غيره مع القدرة عليه، فلا[1] يكون في حال فناء.

وعِلمُ مقام الأسرار من خلف حجاب الغَيرة والصون الإلهيّ.

وعِلمُ التشبيه والتمثيل.

وعِلمُ المجازاة بالأمثال؛ كالذهب بالذهب مفاضلة[2]، وهو في حكم الدنيا ربًا.

وعِلمُ المفاضلة.

وعِلمُ بماذا تقع المفاضلة بين الأمثال؟

وعِلمُ الفرق بين البُراقات، والرفارف، والأوكار في الأشجار، في الإسراءات.

وعِلمُ مباسطة الحقّ في قبضِه، وقبضه في مباسطته، وما يحدث من الزيادة عند صاحب هذه الأحوال.

فهذا بعض ما يحتوي عليه هذا المنزل من أمّهات العلوم التي يتفرّع أبناؤها بالتناسل إلى ما لا يتناهى مع الآنات ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

---

١ ص ٣١
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ [الأحزاب: ٤]

الباب الثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر
من الحضرة المحمديّة

انْظُـرْ إِلَى نُـوحٍ وَعـادٍ واعْتَبِرْ	فِي صَـالِحٍ وثَمَّ لُـوطٍ وافْتَكِـرْ
وَقُـلْ لَهُـمْ قَـوْلَ شَـفِيْقٍ نَاصِحٍ	وَنادِهِمْ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ مُدَّكِرْ ؟
وَلَيْسَ[1] فِي الكَوْنِ وُجُودٌ غَيْرُهُ	وَلَيْسَ فِي لَيْسَ وُجُودٌ مُسْتَقِرْ
فَهْـوَ لَهُ لَـيْسَ لَنَـا، وَهْـوَ لَنَـا	لَـيْسَ لَهُ بِوَجْـهِ كَـوْنٍ مُسْـتَمِرْ
أَيْـنَ الذِي لاحَ لَنَـا مِـنْ صُـوَرٍ	قَـدْ ذَهَبَتْ وَأَعْقَبَتْهُنَّ صُـوَرْ ؟
لَوْ ذَهَبَتْ فِي الغَيْـبِ زَالَ غَيْبُهُ	وَكَانَ مَشْـهُودًا لِعَـيْنٍ وَبَصَـرْ
أَوْ عدِمَتْ وَمـا أَرَى مِـنْ عَـدَمٍ	يَقُـومُ بِالكَـوْنِ لَهُ الكَـوْنُ ظَهَـرْ
وَمـا بَـدَا مِـنْ عَـدَمٍ لَكِنَّـهُ	مِنْ كَوْنِ حَقٍّ ظَاهِرٍ لا يَسْتَتِرْ

اعلم -أيّدك الله- أنّ القمرَ مقامٌ برزخيٌّ بين مسمّى الهلال ومسمّى البدر، في حال زيادة النور ونقصِه: يسمّى هلالا لارتفاع الأصوات عند رؤيته في الطرفين، وسمّي بدرا في حال عموم النور لذاتِه في عين الرائي. وما بقي للقمر منزلٌ سِوَى ما بين هذين الحكمين. غير[2] أنّ بدريّته في استتاره عن إدراك الأبصار تحت شعاع الشمس الحائل بين الأبصار وبينه يسمّى محقًا، وهو من الوجه الذيْ يلي الشمس بدر. كما هو في حال كونه عندنا بدرا، هو من الوجه الذي لا يظهر فيه الشمس مَحْقٌ. وما بين هذين المقامين، على قدر ما يظهر فيه من النور ينقص من الوجه الآخر، وعلى قدر ما يستتر به من أحد الوجهين يظهر بالنور من الوجه الآخر؛ وذلك لتعويج القوس الفلكي. فلا يزال بدرا دائما، ومحقا دائما. وذلك لِسِرٍّ أراد الله إعلامه للعارفين بالله،

١ ص ٣١ب
٢ ص ٣٢

فضرب لهم هذا المثل بالفعل؛ ليعتبروا فيه بالعبور إلى ما نصب له: من معرفة الإنسان الكامل، ومعرفة الله؛ لوجوده على الصورة.

وتغيّر أحواله فيها، لتغيّر المراتب التي يظهر فيها. قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[1] ولم يسمّه بدرا ولا هلالا؛ فإنّه في هاتين الحالتين ما له سِوَى منزلة واحدة، بل اثنتين؛ فلا يصدق قوله: ﴿مَنَازِلَ﴾ إلّا في القمر. فللقمر درج التداني والتدلّي، وله الأخذ بالزيادة والنقص، في الدخول إلى حضرة الغيب والخروج إلى حضرة الشهادة. ثمّ إنّ الله نعته بالانشقاق؛ لظهور[2] الإنسان الكامل بالصورة الإلهيّة؛ فكان شِقًّا لها. فظهورها في أمرين، ظهور انشقاق القمر فلقتين. ورد في الخبر عن الصاحب: «إنّ القمر انشقّ على عهد رسول الله ﷺ عن سؤال طائفة من العرب أن تكون لهم آية على صدقه؛ فانشقّ». فقال رسول الله ﷺ للحاضرين: «اشهدوا» وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[3] فلا ندري؛ هل أراد الانشقاق الذي وقع فيه السؤال، وهو الظاهر من الآية؟ فإنّه أعقب الانشقاق بقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[4].

وكذا وقع منهم القول لمّا رأوا ذلك. ولهذا قال رسول الله ﷺ للحاضرين: «اشهدوا» لوقوع ما سألوا وقوعه. وما لهم إلّا ما ظهر، وهل هو ذلك الواقع في نفس الأمر، أو في نظر الناظر؟ هذا لا يلزم، فإنّه لا يرفع الاحتمال إلّا بقول المخبِر إذا أخبر أنّه في نَفس الأمر، كما ظهر في العين. وقول المخبِر هو محلّ النزاع. وما اشترطوا في سؤالهم ما ظهر منهم من الاعتراض، عند وقوع ما سألوا وقوعه. فلم يلزم النبيّ[5] أكثر مما وقع فيه السؤال. ثمّ جاء الناس من الآفاق يخبرون بانشقاق القمر في تلك الليلة. ولهذا قال الله -تعالى- عنهم أنّهم قالوا فيه: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ فقال

١ [يس : ٣٩]
٢ ص ٣٢ب
٣ [القمر : ١]
٤ [القمر : ٢]
٥ ص ٣٣

الله: ﴿كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾[1] كان ذلك الأمر ما كان. فالقمر لولا ما هو برزخيّ المرتبة، ما قَبِل الإهلال والإبدار، والمحق والسرار. فالسحر المستمرّ داخلٌ تحت حكم "كلّ أمر مستقرّ". فهذا شقاء بالحقّ، وجهل في عين العلم، وهو قوله: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[2] فأثبته علما.

واعلم أنّ النظر والاعتبار، من العلوم التي تُظهر من الأسرار والأنوار. فالنور للبصر والأبصار. فقال الله لمّا ذكر هذا المقام: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[3] أي جوزوا من ما أعطاكم البصرُ بنوره، مما أدركه من المبصَرات وأحكامِها، إلى ما تدركونه بعين بصائركم شهودا؛ وهو الأتمّ الأقوى. أو عن فكرة؛ وهو الشهود الأدنى عن المرتبة العليا. وكلاهما عابر عمّا ظهر إلى ما استسرّ وبطن. فهي ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، كما هي ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[5]. فالمتّقي يتولّى الله تعليمه؛ فلا يدخل علمه شكٌّ ولا شبهة. والمتفكّر ناظر إلى قوّة مخلوقة؛ فتصيب[6] وتخطئ. وإذا أصاب يقبل دخول الشُّبَه عليه بالقوّة التي أفادته الإصابة لاختلاف الطرق. فالمتّقي صاحب بصيرة، والمتفكّر بين البصر والبصيرة؛ لم يبق مع البصر، ولا تخلّص للبصيرة.

فلنذكر في هذا المنزل مسألة من مسائله، كإخوانه من المنازل، وهو منزل شريف عالٍ يسمّى: منزل النور في الطريق؛ لأنّ الله جعله نورا، ولم يجعله سراجا؛ لما في السراج من الافتقار إلى الإمداد بالدهن لبقاء الضوء. ولهذا كان الرسول ﴿سِرَاجًا مُنِيرًا﴾[7] للإمداد الإلهيّ الذي هو الوحي، وجعل ﴿مُنِيرًا﴾ أي ذو نور، لما فيه من الاستعداد لقبول هذا الإمداد، كالنار التي في رأس الفتيلة التي ينبعث منها الدخان، الذي فيه ينزل النور إلى رأس الفتيلة من السراج، فيظهر سراجا مثله. و"النور" من الأسماء الإلهيّة، وليس السراج من أسمائها، لأنّه لا يستمدّ نورَه من شيء. فعرفتَ من هذا الاعتبار رتبة القمر من الشمس. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ

١ [القمر : ٣]
٢ [النجم : ٣٠]
٣ [الحشر : ٢]
٤ [الرعد : ٣]
٥ [يونس : ٦]
٦ ص ٣٣ب
٧ [الأحزاب : ٤٦]

الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[1] فنور السراج مقيَّد، والنور القمري مطلَق؛ ولهذا نَكّره ليعمّ الأنوار. فكلّ سراجٍ منيرٌ، وما كلُّ منيرٍ سراجٌ.

واعلم أنّه من العلم بالتحقُّق بالصورة، أنّ[2] العلم المطلَق من حيث ما هو متعلّق بالمعلومات ينقسم إلى قسمين: إلى علم يأخذه الكون من الله بطريق التقوى، وهو قوله: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[3] وقوله في خَضِر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[4]. وعلم يأخذه اللهُ من الكون عند ابتلائه إيّاه بالتكليف، مثل قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾[5] فلولا الاشتراك في الصورة، ما حكم على نفسه بما حكم لخلقه، من حدوث تعلُّق العلم. فإن ظهر الإنسانُ بصورة الحقّ، كان له حكم الحقّ؛ فكان الحقُّ سمعَه وبصرَه؛ فسَمع بالحقّ فلا يفوته مسموع، ويبصِر بالحقّ فلا يفوته مبصَر، عدمًا كان المبصَر أو وجودا.

وإن ظهر الحقُّ بصورة الإنسان، في الحال الذي لا يكون الإنسانُ في صورة الحقّ، كان الحكم على الله مثلَ الحكم على صورة الإنسان الذي ما له صورة الحقّ؛ فيُنسب إليه ما ينسب إلى تلك الصورة من حركةٍ وانتقال، وشيخ وشباب، وغضب ورضا، وفرح وابتهاج.

ومن أجل ما بيّنّاه من شأن هذين العِلمين، جعل الله في الوجود كتابين: كتابا سمّاه: أُمًّا؛ فيه ما كان قبل إيجاده، وما يكون كَتَبه بحكم الاسم "المقيت". فهو كتابٌ ذو قدر معلوم، فيه بعض أعيان الممكنات، وما[6] يتكوّن عنها[7]. وكتابا آخر ليس فيه سِوَى ما يتكوّن عن المكلَّفين خاصّة؛ فلا تزال[8] الكتابة فيه ما دام التكليف، وبه تقوم الحجّة لله على المكلّفين، وبه يطالبهم لا بالأُمّ. وهذا هو الإمام الحقُّ المبين، الذي يحكم به الحقّ -تعالى- الذي أخبرنا الله في كتابه، أنّه

١ [نوح : ١٦]
٢ ص ٣٤
٣ [الأنفال : ٢٩]
٤ [الكهف : ٦٥]
٥ [محمد : ٣١]
٦ ص ٣٤ب
٧ ثابتة في الهامش
٨ ق، س: يزال

أَمَره (أي أمر نبيّه) أن يقول لربّه: ﴿احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[1] يريد هذا الكتاب. وهو كتاب الإحصاء؛ فـ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[2] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[3]. وهو منصوص عليه في الأُمِّ، التي هي الزبر؛ ومعناه الكتابة. وإن كانت أصناف الكتب كثيرة ذكرناها في "مواقع النجوم" فإنّها ترجع إلى هذين الكتابين.

وسبب إيجاد الكتابين كونه -سبحانه- خلق من كلّ شيء زوجين؛ فخلَق كتابين أيضا. فمن الكتاب الثاني يسمّى الحقُّ: خبيرا، ومن الأمّ يسمّى: عليما. فهو "العليم" بالأوّل "الخبير" بالثاني إن عقلت. فالقضاء، الذي له المضاء في الأمور، هو الحكم الإلهيّ على الأشياء بكذا. والقدر (هو) ما تقع بوجوده، في موجود معيّنٍ، المصلحةُ المتعدّية منه إلى غير ذلك الموجود. مثل قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[4] فلو وجد البغي عن البسط لم تقم الحجّة[5] عليهم، ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾[6] فما أنزلَ شيئا إلّا بقدَر معلوم، ولا خلق شيئا إلّا بقدَر.

فإذا وجد البغي مع القدَر قامت الحجّة على الخلق، حيث منع الغيْرَ مما بيده، مع حصول الاكتفاء. فما زاد فيعلم أنّه لمصلحة غيرِه، ومِن فضله جعله قرْضا؛ ولا يقع القرض مما هو رزق له، لقوامِ عينِه. وجعل هذا الفعل من جملة مصالح العباد، فرفع ﴿بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[7]. ولمّا أنزل الله -سبحانه- نفسَه منزلة عبادِه، أمضى عليه أحكامهم؛ فما حَكَم فيهم إلّا بهم. وهذا من حجّته البالغة له عليهم، وهو قوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾[8]، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[9]، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[10]. فأعمالهم عذّبتهم، وأعمالهم نعّمتهم. فما حكم فيهم غيرُهم، فلا يلومون إلّا أنفسهم.

---

١ [الأنبياء : ١١٢]
٢ [الكهف : ٤٩]
٣ [القمر : ٥٣]
٤ [الشورى : ٢٧]
٥ ص ٣٥
٦ [الشورى : ٢٧]
٧ [الزخرف : ٣٢]
٨ [النبأ : ٢٦]
٩ [السجدة : ١٧]
١٠ [التوبة : ٨٢]

كما قال الله -في ما حكاه لنا من قول الشيطان لَمّا قُضِيَ الْأَمْرُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾[1] أي من قوّة ولا حجّة ولا برهان ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[2] وليس كلُّ مَن دعا تلزم إجابته. ولهذا كانت المعجزات تشهد بصدق الدعوة من الرسل أنّها دعوة الله. والشيطان ما[3] أقام برهانا لهم لمّا دعاهم وهو قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾[4] فيا عجبا! أنّ الناس جحدوا دعوة الحقّ مع ظهور البرهان وكفروا بها، وأجابوا دعوة الشيطان العريّة عن البرهان. فقال لهم: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[5] نظرا منه إلى حكم الكتاب الثاني؛ الذي به تقوم الحجّة عليهم. فلو نظر إلى الأُمّ والزبر الأوّل لم يقل لهم: ﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

فالقضاء للكتاب الأوّل يطلبه حكم الكتاب الثاني، والقدر للكتاب الثاني. وكِلا الكتابين محصور؛ لأنّه موجود. فعِلْمُ الله في الأشياء لا يحصره كتاب مرقوم، ولا يسعه رقٌّ منشور، ولا لوح محفوظ، ولا يسطّره قلم أعلى. فـ ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[6] أي إلى الحكم، وهو القضاء. فالضمير في "إليه" يعود على الحكم، فإنّه أقرب مذكور، فلا يعود على الأبعد ويتعدّى الأقرب إلّا بقرينة حال. هذا هو المعلوم من اللسان الذي أُنزل به القرآن.

فالقضاء يحكم على القدَر، والقدر لا حكم له في القضاء، بل حكمه في المقدَّر لا غير؛ بحكم القضاء. فالقاضي حاكم، والمقدِّر مؤقِّتٌ. فالقدَرُ (هو) التوقيتُ في الأشياء من اسمه "المقيت". قال[7] تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾[8].

---

١ [إبراهيم : ٢٢]
٢ [إبراهيم : ٢٢]
٣ ص ٣٥ب
٤ [إبراهيم : ٢٢]
٥ [إبراهيم : ٢٢]
٦ [القصص : ٧٠]
٧ ص ٣٦
٨ [النساء : ٨٥]

وهذا المنزل أُشهدته بقونية في ليلة لم يمرَّ عليَّ أشدُّ منها؛ لنفوذ الحكم وقوّته وسلطانه. فحمدت الله على قصوره على تلك الليلة (فقط)، ولم يكن حكم تأبيد، وإنما كان حكم وقوع مقدَّر. فلمّا رُدِدْتُ إليّ وقد سقط في يديّ؛ وعلمت ما أُنزل عليّ، وما قرّره الحقّ لديّ، وفرّقت بين قضائه وقدره في الأشياء؛ كتبتُ به إلى أخٍ في الله كان لي -رحمه الله- أُعرّفه بما جرى، كما جرت العادة بين الإخوان؛ إذ كان كتابه قد ورد عليّ يطلبني بشرح أحوالي، فصادف ورود هذا الحال؛ فكتبتُ إليه في الحال:

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد كتاب المولى يسأل وليّه عن شرح ما رأى أنّه به أَوْلَى، ليكون في ذلك بحكم ما يَرِد عليه.

شِهابَ الدِّينِ يا مَوْلَى المَوالِي   سَأَلْتَ تَهَمُّمًا عَنْ شَرْحِ حالِي
أَنا المَطْرُودُ مِنْ بَيْنِ المَوالِي   ومِثْلِي مَنْ يُصَدُّ عَنِ الوِصالِ
عَصَيْتُ زِجاجَهُ[1] فَجَهِلْتُ قَدْرِي   فَها أَنا طائِعٌ حَدّ الغَوالِي
رميتُ[2] بِأَسْهُمِ الهِجْرانِ حَتّى   تَداخَلَتِ النِّبالُ عَلَى النِّبالِ
فَيَرْمِيْنِي بِأَسْهُمِهِ فَآتِي   إِلَيْهِ فِعْلَ ذُكْرانِ الرِّجالِ
وَقَفْتُ بِبابِهِ أَشْكُو وَأَبْكِي   بُكاءَ فَقِيْدِ واحِدِهِ المُوالِي
وَقُلْتُ بِعَبْرَةٍ وَحَنِيْنِ شَجْوٍ   أَنا المَطْرُودُ مِنْ بَيْنَ المَوالِي
أَنا العَبْدُ المُضَيِّعُ حَقَّ رَبِّي   فَكَيْفَ تُضِيْعُنِي يا ذا الجَلالِ؟
وإِنّ مَكارِمَ الأَخْلاقِ مِنْكُمْ   وإِنّ العَفْوَ مِنْ كَرَمِ الخِلالِ
وَهَلْ نُشِرَتْ لِجالِيْنُوسَ كُتْبٌ   لِغَيْرِ إِزالَةِ الدّاءِ العُضالِ؟
وَيُدَّخَرُ المُقَوَّمُ مِنْ سِهامٍ   حَذارَ كَرِيْهَةٍ يَوْمَ النِّضالِ

[1] الزِّجاج: القوارير، الأقداح، الأنياب، وما تركز به الأرماح في الأرض
[2] ص ٣٦ب

إذا كانَ العُبَيْدُ عُبَيْدَ سُوْءٍ   فإِنّ الفَضْلَ مِنْ شِيَمِ الموالِي
وَعَهْدِي[1] بِاقْتِحامِ عِقابِ نَفْسِي   فَكَيْفَ وَقَفْتُ دُونَكَ فِي ضَلالِ
لَوِ اسْتَنْطَقْتَ عَنْ عَجْزِي وضَعْفِي   لَقُلْتُ فَرَضْتُمُ عَيْنَ المُحالِ
وَها أَنا واقِفٌ فِي حالِ عَجْزٍ   ضَعِيْفٌ مِثْل رَبّاتِ الحِجالِ
بَعَثْتُ إِلَيْهِ حُسْنَ الظَّنِّ مِنِّي   وإِلْحافًا عَظِيْمًا فِي السُّؤالِ
وإِنْ كانَ الطِّباعُ طِباعَ سُوْءٍ   فَحُسْنُ الظَّنِّ مِنْ كَرَمِ الخِصالِ
وَجُودَكَ قَدْ تَحَقَّقَهُ رَجائِي   وَبَعْدَ تَحَقُّقِي ما إِنْ أُبالِي
عَلِمْتُ بِأَنَّ ذَنْبِي لَوْ تَعالَى   لَكانَ بِجَنْبِ عَفْوِكَ فِي سُفالِ
بِلُطْفِكَ قَبْلَ عِلْمِي كُنْتُ تاجًا   فَبَعْدَ العِلْمِ أَلْحَقُ بِالنِّعالِ
لَقَدْ أَيَّدْتَنِي وَشَدَدْتَ أَزْرِي   بِتَوْحِيْدٍ يَجِلُّ عَنِ المَقالِ
بِـ[2]"واقِيَةِ الوَلِيْدِ"[3] مَنَنْتَ رَبِّي   طَرَدْتَ بِهِ القَبِيْحَ مِنَ الفَعالِ
أُعايِنُ ما أُعايِنُ مِنْ جَمالٍ   تَقَدَّسَ عَنْ مُكاشَفَةِ الخَيالِ
وَعَنْ صُوَرٍ مُقَيَّدَةٍ تَعالَى   عَنِ المثلِ المُحَقَّقِ فِي المِثالِ
فَأَشْهَدُهُ وَيَشْهَدُنِي فَأَفْنَى   كَمالٌ فِي كَمالٍ فِي كَمالِ
وَيَأْخُذُنِي لِمَشْهَدِهِ ارْتِياحٌ   كَما نَشَطَ الأَسِيْرُ مِنَ العِقالِ
فَما يَلْتَذُّ بِالحُسْنَى سِوائِي   لِحُسْنِ عِنايَةٍ وَصَلاح بالِ
رَأَيْتُ أَهِلَّةً طَلَعَتْ شُمُوسًا   وَأَيْنَ الشَّمْسُ مِنْ نُورِ الهِلالِ؟
فَنَفَّرَتِ الظَّلامَ فَلا ظَلامٌ   وَلا لَيْلٌ إِلَى يَوْمِ انْفِصالِي
سُلِخْتُ عِنايَةً مِنْ لَيْلِ جِسْمِي   كَما سُلِخَ النَّهارُ مِنَ اللَّيالِي

[1] ص ٣٧
[2] ص ٣٧ب
[3] واقِيَةِ كَواقِيَةِ الوليد هو الطِّفْل فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُول أي كَلاءَةً وحِفْظًا كما يُكْلأُ الطِّفْلُ

فَكانَ[1] المَحْوُ آياتِ انْفِصالِي   وَكانَ النُّورُ آياتِ اتِّصالِي

وَبَعْدَ الوَصْلِ فاسْتَمِعُوا مَقالِي   دَعانِي لِلسُّجُودِ مَعَ الظِّلالِ

وإنّ وَلِيَّكَ لمَّا أراد النهوض في طريقه، والنفوذ[2] إلى ما كان عليه في تحقيقه، اعترضت لِوَلِيِّكَ عقبةٌ كؤود، حالت بينه وبين الشهود، والبلوغ إلى المقصود، والتحقّق بحقائق الوجود. فخفت أن تكون عقبةَ القضاء، لما لسيفه من المضاء. فرأيتها صعبة المرتقى، حائلة بيني وبين ما أريده من اللقاء. فوقفتُ دونها في ليلة لا طلوع لفجرها، ولا أعرف ما في طيّها من أمرها. فطلبت حبل الاعتصام، والتمسك بالعروة الوثقى؛ عروة الإسلام. فنوديت: أن الزم الطلب ما بقيتَ. فعلمتُ أنّي بهذا الخطاب في صورة مثاليّة، متجلّية في حضرة[3] خياليه، وأنّ علاقة تدبير الهيكل ما انقطع، وحكمه فيه ما ارتفع. فاستبشرت بزوال إفلاسي عند رجعتي إلى إحساسي. فنظمت ما شهدت، وخاطبت وليّي في نظمي ببعض ما وجدت. فإذا نظر وليّي[4] إليها، فليعوّل عليها، وليحذر من الأمن من[5] مكر الله، فإنّه ﴿لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[6]. فاسمع هُديتَ، ما به على لساني نوديتَ:

اعْتَرَضَتْ عَقَبَةٌ   وسْطَ الطَّرِيقِ فِي السَّفَرْ

فأَسْفَرَتْ عَنْ مِحَنٍ   فِيْمَنْ طَغَى أَوْ مَنْ كَفَرْ

مِنْ دُوْنِهَا جَهَنَّمٌ   ذَاتَ زَفِيْرٍ وَسُعُرْ

تَرْمِي مِنَ الغَيْظِ وُجُوهَ المُجْرِمِينَ بِشَرَرْ

بُحُورُها قَدْ سُجِّرَتْ   وَسَقْفُها قَدِ انْفَطَرْ

وشَمْسُها قَدْ كُوِّرَتْ   ونَجْمُها قَدِ انْكَدَرْ

١ ص ٣٨
٢ ق: والنفود
٣ ق: "صورة" وفوقها بقلم الأصل: "حضرة"
٤ ق: ولي
٥ ص ٣٨ب
٦ [الأعراف : ٩٩]

أَتَيْتُكُمْ أُخْبِرُكُمْ   لِتَعْرِفُوا مَعْنَى الخَبَرْ

وَلا تَقُولُوا مِثْلَ مَنْ   قالَ: "فَمَا تُغْنِي النُّذُرْ"

فَكانَ مِنْ أَمْرِهِمِ   ما قَدْ سَمِعْتُمْ وذُكِرْ

قَالُوا: "وقَدْ دَعاكُمُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرْ"

فَيَخْرُجُونَ خُشَّعًا   مِثْلَ الجَرَادِ المُنْتَشِرْ

شُعْثًا حُفَاةً حُسَّرًا   فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرْ

إِلَى عَذَابٍ وَتَوًى[1]   إِلَى خُلُودٍ فِي سَقَرْ

فَلَوْ تَرَى نَبِيَّهُمْ   حِيْنَ دَعاهُمْ فَازْدُجِرْ

وَقَدْ دَعا مُرْسِلَهُ   "أَنِّي ضَعِيفٌ فَانْتَصِرْ".

فَقالَ[2] يا عَيْنُ انْسَكِبْ   وأَنْتِ يا أرضُ انْفَجِرْ

حَتَّى التَقَى الماءُ عَلَى   أَمْرٍ حَكِيْمٍ قَدْ قُدِرْ

فاصْطَفَقَتْ أَمْواجُهُ   وَذَاكُمُ البَحْرُ الزَّخِرْ

فالحُكْمُ حُكْمٌ فاصِلٌ   والأَمْرُ أَمْرٌ مُسْتَقِرْ

وأَمْرُهُ واحِدَةٌ   كَمِثْلِ لَمْحٍ بِالبَصَرْ

سَفِيْنَةٌ قامَتْ مِنَ   الْواحِ نَجَاةٍ وَدُسُرْ

تَجْرِي بِعَيْنِ حِفْظِهِ   وَعْدًا لِمَنْ كانَ كُفِرْ

تَسُوقُها الأَرْوَاحُ عَنْ   أَمْرِ مَلِيْكٍ مُقْتَدِرْ

أَنْزَلَها الجُودُ عَلَى الجُودِيِّ فَقالُوا لا وَزَرْ

ناداهُمُ الحَقُّ اخْرُجُوا   مِنْهَا أَنا عَيْنُ الوزَرْ

حَطُّوا وَقالُوا رَبَّنا   لَدَيْكَ نِعْمَ المُسْتَقَرْ

١ التوى: الهلاك والتلف
٢ ص ٣٩

فَيـا سَمـاءُ أَقْلِعـي　　مِـنْ سَحِّ مـاءٍ مُنْهَمِـرْ

وأَنْـتِ يا أَرْضُ ابْلَعـي　　مـاءَكِ[1] واخْزِنْ واحْتَكِرْ

قَـدْ قُضِيَ- الأَمْـرُ فَمَـنْ　　كانَ عَـدُوًّا قَـدْ غَـبَرْ

تَرَكْتُهـا تَـذْكِرَةً[2]　　لَـكُمْ فَهَـلْ مِـنْ مُـدَّكِرْ

وكُلُّ مـا كانَ وَمـا　　يَكُـونُ مِـنْكُمْ مُسْـتَطَرْ

وإنَّ مـا نَفْعَـلُهُ　　فِي الكَوْنِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرْ

مُقَـدَّرٌ[3] مُؤَقَّـتٌ　　كَـذَا أَتانا فِي الزُّبُـرْ

المَـوْتُ سُمٌّ ناقِـعٌ　　والحَشْرُ- أَدْهَى وأَمَـرْ

بسَـفِينُكُمْ أَجْسـامُكُمْ　　فِي بَحْـرِ دُنْيـا قَـدْ زَخَـرْ

وأَنْـتُمْ رُكَّابُهـا　　وأَنْـتُمْ عَـلَى خَطَـرْ

وَمـا لَـكُمْ مِـنْ ساحِلٍ　　غَـيْرُ القَضـاءِ والقَـدَرْ

فَـابْتَهِلُوا واجْتَهِـدُوا　　فَمَـا مِـنَ اللهِ مَفَـرْ

هَـذَا الذِي أُشْـهِدْتُهُ　　فِي لَيْلَـتِي حَـتَّى السَّـحَرْ

فـازْدَجِرُوا واعْتَـبِرُوا　　واتَّعِظُـوا بِمَـنْ غَـبَرْ

فَـالكُلُّ واللهِ بِـلَا　　شَـكٍّ عَـلَى ظَهْـرِ سَـفَرْ

مِـنْ قَبْـلِ ذَا أَشْـهَدَنِي　　أَمْـرًا عَجِيبًـا فِيـهِ سِرْ

فاسْـتَمِعُوا نُطْقِـي بِـهِ　　واعْتَـبِرُوا لَفْظَ الشَـكَرْ[4]

فالحَمْـدُ للهِ الذِي　　بِفَضْـلِهِ أَعْطَـى الشَّـبَرْ[5]

مـا عِنْـدَكُمْ مِنْهَـا خَـبَرْ　　بَـلْ عِنْـدَنا مِنْهَـا الخَـبَرْ

---

١ ق، س: ماك
٢ ق: "علامة" وفي الهامش بقلم الأصل: "تذكرة"
٣ ص ٣٩ب
٤ الشكر: فرج المرأة
٥ الشبر: الجماع، النكاح

قُلْتُ: تُرَى أَيْنَ مَضَتْ؟　　قالَ: مَضَتْ تَقْضِي الوَطَرْ

قُلْـتُ: تُراهـا تَرْعَـوِي[1]؟　　قـالَ: نَعَـمْ عِنْـدَ السَّـحَرْ

قُلْـتُ: وَهَـلْ تَعْرِفُهـا؟　　قـالَ: نَعَـمْ أُخْـتُ القَمَـرْ

قُلْتُ: عَلَى مَنْ نَزَلَتْ؟　　قـالَ: عَـلَى أَبِي البَشَـرْ

قُلْـتُ[2]: وَمـاذا تَبْتَغِـي؟　　قـالَ: "ضِرابٌ بالذَّكَـرْ"

ما يَعْرِفُ السِّـرَّ سِوَى　　والِدَتِي أُمُّ البَشَـرْ

تَقُـولُ: زِدْنِي يا فَـتَى　　مِنْـهُ فَـنِعْمَ المُخْتَـبَرْ

قَبَّلْتُهَـا عانَقْتُهـا　　حَلَّـتْ مَعَاقِـدَ الأَزَرْ

طَعَنْـتُ فِي مُسْـتَهْدَفٍ　　أَجْـرَد مـا فِيْـهِ شَـعَرْ

وعَرْفُـهُ كأَنَّـهُ　　رِيْـحُ الخُزَامَـى والقُطُـرْ[3]

وَجَدْتُـهُ كَمِثْـلِ نارٍ لِمَجُـوسَ تَسْـتَعِرْ

أَرْدَافُهـا كأَنَّهـا　　أَعْجَـازُ نَخْـلٍ مُنْقَعِـرْ

يا نَظْـرَةً قَـدْ أَظْهَـرَتْ　　مِـنَ الوُجُـودِ مـا ظَهَـرْ

لَـولا النِّتـاجُ لَـمْ يَكُـنْ　　لِلسِّـرِّ مَعْنًى فِي البَشَـرْ

سِرٌّ لَنَـا و"كُـنْ" لَهُ　　وُجُـودُ خَلْـقٍ مُسْـتَمِرْ

إذا التَقَى السِّرُّ و"كُنْ"　　بَـدَتْ لِعَيْنَيْـكَ العِـبَرْ

وقائِـلٍ: ذا مَثَـلٌ　　قَـرَّرَهُ لِمَـنْ نَظَـرْ

عَـلَى الفَنـا إذا بَـدَا　　لِمَـنْ يَشَـاءُ فـاعْتَبِرْ

قُلْـتُ: نَعَـمْ، وبَعْـدَ ذَا　　فَهْـوَ لأَشْـياءَ أُخَـرْ

هُنَـا وفِي الأُخْـرَى وَحَيْـثُ مـا نَكُـونُ فـادَّكِرْ

---

١ ترعوي: تحسن الرجوع
٢ ص ٤٠
٣ الخزامى: نبت ذو زهر أحمر طيب الرائحة. والقطر: العود الذي يتبخر به

قالُوا: وَكَيْفَ الأَمْرُ ؟ قُلْ — فَقُلْتُ: سَمْعًا مَا سُتِرْ
إذا[1] الـوَلِيُّ أَقْبَلَتْ — زَوْجَتُهُ عَلَى سُرُرْ
يُفْضِـي إِلَيْهَا بِالَّذِي — يَحْمِلُهُ مِنَ الصُّوَرْ
فَعِنْدَمَا يَنْكِحُهَا — تَصَوُّرًا عَلَى صُوَرْ
مِنْ جِنْسِ مَا لَوْ وَلَدَتْ — كَانَ عَلَى تِلْكَ الصُّوَرْ
مِنْ ذِي إِمَامٍ حَاكِمٍ — أَوْ ذَاتِ غُنْجٍ وَحَوَرْ
فَإِنْ تَكُنْ أُنْثَى فَهِي — وَإِنْ يَكُنْ هُوَ فَذَكَرْ
مِثْلَ تَجَلِّيهِ سَوَا — تَحَوُّلٌ بِلَا غِيَرْ

فليتدبّر وليّي[2] ما سَطّرتُه، وليفكّر فيما ذكرتُه، وليأخذه عبرةً من البصر- لبصيرته. ومن سِرّه لسريرته؛ فقد آن أن يجيء زمانُ المحن. وقد علمتَ لِمَا أوجدك، ورتبة الكمال الذي أشهدك؛ وما طلب منك إلّا ما يقتضيه وجودُك، ويقضي- به شهودُك. فإن أنصفتَ؛ فقد عرفتَ، وإن تعاميتَ، بعد ما أراك ما قد رأيت؛ فقد وَهَيْتَ. فأسَدُّ المقالة سؤالُ الإقالة، والسلام.

فَسُرَّ بورود كتابي عليه، وأَمْعَنَ بالنظر فيه وإليه. فأورثه التفكّر فيه عِلّة، كانت سببَ رحلته وسرعة نقلته. فما بقي إلّا أيّاما ودرج، وعلى أسنى معراج إلى مقصوده عرج. وشهدتُ[3] احتضاره بالدار البيضاء إلى أن قضى-، وسافرتُ من يومي لاستعجال قومي. فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من الأهوال الصعاب التي تعظُم في الشهود صُوَرُها.

واعلم أنّ الله ما ذكر أخبار القرون الماضية إلّا لنكون على حذر من الأسباب التي أخذهم الله بها أخذته الرابية، وبطش بهم البطش الشديد. وأمّا الموت فأنفاسٌ معدودة، وآجال محدودة. وليس الخوفُ إلّا مِن أَخْذِه وبطشه، لا مِن لقائه؛ فإنّ لقاءه يسرُّ الوليّ؛ والموت سبب اللقاء؛ فهو أسنى تحفة يُتْحِفُها المؤمن؛ فكيف به إذا كان عالما؛ بخ على بخ؟!.

---

[1] ص ٤٠ب
[2] ق: ولي
[3] ص ٤١

ويتضمّن هذا المنزلُ من العلوم عِلْمَ الرحمتين.

وعِلْمَ قرب السعي من قرب الشبر والذراع، وهو القرب المحدود.

وعِلْمَ الرتق والفتق.

وعِلْمَ المتشابه من المحكم. وعِلْمَ الأبد. وعلوم الأدلّة.

وعِلْمَ الاتّباع، وما يُسعِد منه وما يُشقي.

وعِلْمَ ثبوت الأمور، ومرتبة الحُكم، والحِكَم. وعِلْمَ الجزاء الوفاق. وعِلْمَ الجبر بالإجابة إلى المكروه كإجابة أولاد أُمّ عيسى[1].

وعِلْمَ التلبيس؛ فيهبك متاعَك من غير الوجهة التي تعرف منها أنّه متاعُك؛ تلبيسا عليك؛ فإذا انكشف الغطاء، وكان البصر حديدا؛ علمتَ أنّه ما أعطاك إلّا[2] ما كان بيدك؛ فما زادك من عنده ولا أفادك مما لديه إلّا تغيُّر الصور. فمن وقف على هذا العلم قال بالرّيّ في مشروبه، ومَن حُرِمه لم يزل عاطشا؛ والماء عنده الذي يُرويه، ولا يشعر به أنّه عنده! وهو من أسنى علم يُوهَبُهُ العارفون بالله؛ فهو كالمطر للأرض. وليس عين ما تطلبه من الارتواء سِوَى بخارها؛ صعد منها بخارا، ثمّ نزل إليها مطرا؛ فتغيّرت صورته لاختلاف المحلّ؛ فما شربتْ ولا ارتوتْ إلّا من مائها! ولو علمتْ ذلك ما حجبتها المعصِرات! فتحقّق هذا النوع من العلم في العلم الإلهيّ؛ فما أعطاك إلّا منك؛ وما هو عليه فلا يعلمه منه إلّا هو. فكلّ عالِمٍ فمن نفسه عِلْمُه؛ ولذلك قال أهل الله: لا يعرف الله إلّا الله، ولا النبيّ إلّا النبيّ، ولا الوليّ إلّا الوليّ.

ويتضمّن أيضا عِلْمَ أسباب النجاة والسعادة.

وعِلْمَ الامتحانات بالعسر واليسر للصابر والشاكر.

وعِلْمَ المناسبة التي بها لم يمتثل أمر الله مَن عصى- أمره، ومن امتثله؛ هل امتثله بأمر

---

[1] أمّ عيسى: الزرافة
[2] ص ٤١ب

مناسب، أو بعدم المناسب؟

وعِلْمَ سبب تأثير الأدنى في الأعلى، كتسليط الحيوانات على الإنسان، كقرصة البرغوث إلى ما فوقها، وقال -تعالى-: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

وعِلْمَ مشاركة الحيوانات الإنسانَ في العلوم عن التجلّي.

وعِلْمَ مَن[2] رَدَّ كلّ ما أتاه من الحقّ؛ من أين رَدَّه؟ ومَن ردَّ بعضه؛ من أين ردَّه؟ وهل يتساوى الحكم الإلهيّ فيهم، أم لا؟

وعِلْمَ من أين انهزم الصحابة يوم حنين؟

وعِلْمَ مؤاخذة الأعلى بالأدنى إذا نُصب دلالةً، نَصَبه مَن نَصبه.

وعِلْمَ السوابق واللواحق.

وعِلْمَ الوحدة في عين الجمع.

وعِلْمَ المراتب والدرجات.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ [البقرة : ١٨٦] ، "وقال.. دعاني" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٤٢
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب الأحد والثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل الرؤية والقوة عليها والتداني
والترقّي والتلقّي والتدلّي -وهو من الحضرة المحمديّة والآدميّة

عَجِبْتُ لِعَيْنٍ كَيْفَ تُدْرِكُ عَيْنَهَا ... وتَعْجَزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَنْ قالَ: إِنَّهَا
وَلَمْ يَكُ مَشْهُودٌ سِوَاهُ وإِنَّمَا ... شُهُودُ وُرُودِ الغَيْبِ عَنْهَا أَجَنَّهَا

اعلم -أيّدك الله- أنّ هذا المنزل بينه وبين المنزل الذي قبله تخالج لكون النبيّ ﷺ[1] شبّه رؤيتنا الله برؤيتنا القمرَ ليلة إبداره والشمس ليس دونها سحاب، وأنّه لا يدركنا في رؤيته ضيم ولا انضمام، ولا ضرر يقوم بنا[2] ولا مضاررة لغيرنا. وقد أبان ﷺ لأُمّته عن صورة تجلّي الحق لعباده بقولٍ ما قاله نبيٌّ لأمّته قبله، وبهذا أثنى الله عليه فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3] وأرسله رحمة للعالَمين[4]، ولم يخصّ مؤمنا من كافر.

فقال ﷺ لمّا حذر من الدجّال في دعواه الألوهة فقال: «أقول لكم فيه قولا ما قاله نبيّ لأمّته، وما من نبيّ إلّا قد حذّر أُمّته الدجّالَ. ألا إنّ الدجّال أعور العين اليمنى كأنّ عينه عنبةٌ طافيةٌ، وإنّ ربّكم ليس بأعور» فعرّفنا بأيّ صورة نرى ربّنا. ولا يقال: إنّه أراد صورة لا تقبل العَور، فكانت فائدة الإخبار ترتفع، فإنّ تلك الصورة كانت تعطي بذاتها نفي العَور عنها. وإنما لمّا كانت الصورة ممن تقبل ذلك، بيَّن لنا أنّه ليس كذلك لما علم من وقوع الشبه فيما وقعت فيه السلامة من العيب، وإنما كان الدجّال أعور لأنّه على نصف الصورة إذ لم يحز رتبة الكمال كما حازها أكثر الرجال.

١ ص ٤٢ب
٢ ثابتة في الهامش
٣ [التوبة : ١٢٨]
٤ من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

ثمّ نرجع ونقول: إنّ موسى لمّا كلّمه ربُّه؛ أدركه الطمع، فقال: ﴿رَبِّ[1] أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[2] فسأل ما يجوز له السؤال فيه؛ إذ كانت الرسلُ أعلمَ الناس بالله، وأنّه ذو إدراك يدركه به، وأنّه المدرِك بالإدراك لا الإدراك؛ فإنّه عالِم بأنّ الأبصار لا تدركه، وإنما هي آلة يُدرَك بها. وإنما مُنِع موسى من الرؤية لكونه سألها عن غير أمر إلهيّ أوحي به إليه؛ فإنّهم أدباء لا يتّبعون إلّا ما يوحى به إليهم، ولا سيما في الجناب الإلهيّ. فلهذا قيل له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ثمّ استدرك استدراكَ لطيفٍ بعبدِه لمّا انتهى فيه حدّ عقوبة فوت الأدب بالسؤال ابتداء، (وهو) الذي حمله عليه شوقه؛ فكان مثل السكران.

فلمّا علم أنّ اليأس قد قام به فيما طلبه، استدرك بالإحالة على الجبل في استقراره عند التجلّي، والجبل من الممكنات، فتجلّى له ربّه؛ فاندكّ عند ذلك التجلّي؛ لكون روحه ما أوجده الله لحفظ الصورة على الجبل مثل الأرواح المدبِّرة، وإنما أوجده ليكون مسبّحا به؛ فلذلك لم يحفظ عليه صورة الجبَليّة، وأثّر فيه التجلّي. وحُفِظ روحُ موسى ﷺ على موسى في صعقه، عند رؤية ما رآه الجبل الذي كان حجابا عليه صورة نشأته. ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ رجَع موسى موسى، وما رجَع الجبل[3] جبلا؛ علِم موسى أنّه قد وقع منه ما كان ينبغي له أن لا يقع إلّا بأمر إلهيّ، فقال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ لمّا علم أنّ الله يحبّ التوّابين ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بوقوع هذا الجائز؛ إذ ما تقدّم لأحد من هذا النوع الإنسانيّ سؤال ربّه رؤيتَه، ولا أنّه رآه؛ فلذلك ادّعى موسى أنّه أوّل المؤمنين.

ثمّ أعلَمَنا ﷺ أنّه ما منّا أحدٌ إلّا سيرى ربّه ويكلّمه كفاحا، وهذا كلّه إعلام بالصورة التي يتجلّى لنا فيها، وهي الصورة التي خلقنا عليها. ونحن نعلم قطعا أنّ ذوق الرّسل فوق ذوق الأتباع بما لا يتقارب. فلا تظنّ أنّ سؤال موسى رؤيةَ ربّه أنّه فاقد للرؤية التي كانت حالة أبي بكر الصدّيق في قوله: "ما رأيت شيئا إلّا رأيت الله قبله". هذه الرؤية ما هي الرؤية التي طلبها

١ ص ٤٣
٢ [الأعراف : ١٤٣]
٣ ص ٤٣ب

موسى من ربّه؛ فإنّها رؤيةٌ حاصلة له لعلوّ مرتبته؛ فإنّ ذوق الصادق ما هو ذوق الصدّيق؛ فالرؤية ثابتة بلا شكّ ذوقا ونقلا، لا عقلا. فإنّ رؤية الله -تعالى- من محارات العقول، ومما يُوقف عندها، ولا يُقطع عليها بحكم من أحكامها الثلاثة؛ إذ ليس للأنبياء ولا للأولياء من أهل الله علم بالله يكون عن فكر؛ قد طهّرهم الله عن ذلك؛ بل لهم فتوح المكاشفة بالحقّ.

فمن الرائين مَن يراه ولا يقيّد. ومنهم[1] مَن يراه به. ومنهم مَن يراه بنفسه. ومنهم مَن لا يراه عنده، وهو قد رآه ولا يعلم أنّه رآه؛ لأنّ هذا الصنف ليس بصاحب علامة في الحقّ، ولا يَعرف صورة ظهوره في الوجود. ومنهم مَن لا يراه؛ لعلمه بأنّ عينَه لا يظهَر منها للعالم إلّا صور أحكام أعيان العالَم، وهو مجلاها؛ فلا يقع الإدراك من الرائي إلّا على صورة الحكم، لا على العين؛ فيعلم أنّه ما رآه. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾[2] الذي لا يُرَى من حيث هُويّته ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تجلّيه حتى يقال: إنّه رِيْء. انظر إلى الصورة الظاهرة للعين في الجسم الصقيل، وحقّق رؤيتك، فتجد تلك الصورة قد حالت بينك وبين إدراكك عينَ الجسم الصقيل، الذي هو مجلاها، فلا تراه أبدا. والحقُّ مجلى صور الممكنات؛ فلم يَرَ العالَم إلّا العالمَ في الحقّ لا بالحقّ وبالحقّ.

ثمّ لتعلم أنّ المرئيَّ الذي هو الحقّ؛ نورٌ، وأنّ الذي يدركه به الرائي إنما هو نور. فنور اندرج في نور، فكأنّه عاد إلى أصله الذي ظهر منه؛ فما رآه سِوَاهُ. وأنت من حيث عينك؛ عينُ الظلّ لا عين النور، بل النور ما تدرِك به كلّ شيء، والنور من الأشياء. فلا تدركه إلّا من كونك حاملا للنور في عين ظِلّك؛ والظلّ راحةٌ، والظلمة حجاب. فإذا طلع كوكب الحقّ، ووقف في قلب العبد، استنار به القلب وأضاء[3]، فأزال عن صاحبه الحيرة والخوف؛ فأخبر عن ربّه بالصريح والإيماء وأنواع الإخبارات.

واعلم أنّ الأنبياء ما اختارت النومَ على ظهورها، إلّا لِعلمها أنّه كلّ ما قابل الوجه فهو أُفُقٌ

١ ص ٤٤
٢ [النحل : ٦٠]
٣ ص ٤٤ب

له؛ إذ كان لا يقابل الوجه إلّا الأُفُق. وثَمّ أُفُق أدنى أي أقرب إلى الأرض، وثَمّ أفق أعلى وهو ما تقابله بوجهك عند استلقائك على ظهرِك. وإذا كان التجلّي في الصور دخله الحدُّ والمقدار، وأقرب القرب في ذلك: أن تكون عين الخطّ الذي به تقسم الدائرة نصفين، لظهور القوسين اللذين قُرْبُ بعضِهما من بعض هو القُرب الأوّل. والقُرب الثاني (هو) القرب الخطّي الذي هو أقرب من حبل الوريد.

ولا تكون رؤية الحقّ أبدا، حيث كانت، إلّا في منازلةٍ بين عروج ونزول. فالعروج منّا، والنزل منه. فلنا التداني، وله التدلّي؛ إذ لا يكون التدلّي إلّا مِن أعلى. ولنا الترقّي، وله تلقّي الوافدين عليه. وذلك كلُّه إعلام بالصورة التي يتجلّى فيها لعباده، وأنّها ذاتُ حَدٍّ ومقدار؛ ليدخل مع عباده تحت قوله في حكمه: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[1]، و﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ﴾[2] أي جعلناه ﴿بِقَدَرٍ﴾ والرؤية مخلوقة، فهي بقدَر. والتنوّع في التجلّي ظهورٌ محدَث عند المتجلّى له؛ فهو[3] بقدَر.

ألا ترى تجلّيه بالحكم في الأعيان المتّخذة آلهة للغَيرة الإلهيّة حيث حَكَم وقضى أنّه لا يُعبد إلّا إيّاه. وكذا أخبر فقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[4] فعلماء الرسوم يحملون لفظ "قضى-" على "الأمر"، ونحن نحملها على "الحكم" كشفا وهو الصحيح. فإنّهم اعترفوا أنّهم ما يعبدون هذه الأشياء إلّا لتقرّبهم إلى الله زلفى، فأنزلوهم منزلة النوّاب الظاهرة بصورة مَن استنابهم، وما ثَمّ صورة إلّا الألوهة؛ فنسبوها إليهم. ولهذا يقضي الحقُّ حوائجهم إذا توسّلوا فيها إليها؛ غَيرةً منه على المقام أن يُهتضَم، وإن أخطؤوا في النِّسبة فما أخطؤوا في المقام، ولهذا قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾[5] أي أنتم قلتم عنها: "إنّها آلهة"؛ وإلّا فسمّوهم. فلو سمّوهم لقالوا: هذا حجر، أو شجر، أو ما كان؛ فتتميّز عندهم بالاسميّة. إذ ما كلّ حجر عُبِدَ ولا اتُّخِذ إلها، ولا كلّ شجر، ولا

١ [الحجر : ٢١]
٢ [القمر : ٤٩]
٣ ص ٤٥
٤ [الإسراء : ٢٣]
٥ [النجم : ٢٣]

كلّ جسم منير، ولا كلّ حيوان. فللّه الحجّة البالغة عليهم بقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾[1].

واعلم أنّه لولا الهوى ما عُبِد اللهُ في غيره، وأنّ الهوى أعظم إلَهٍ متَّخَذٌ عُبِد؛ فإنّه لنفسه حكم، وهو الواضعُ كلَّ ما عُبِد. وفيه قلت:

وَحَقِّ[2] الهَوَى إنّ الهَوَى سَبَبُ الهَوَى ... ولَوْلا الهَوَى فِي القَلْبِ ما عُبِدَ الهَوَى

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[3] فلولا قوّةُ سلطانه في الإنسان، ما أثّر مثل هذا الأثر فيمن هو على علم بأنّه ليس بإلهٍ. فإذا كان يوم القيامة جَسّد اللهُ الهوى كما يجسّد الموتَ لقبول الذبح؛ فإذا جسّده قرّره على ما حكم به فيمن قام به، فحار وَبَالُهُ عليه، فعُذِّبَ في صورته، وأفرد المحلّ عنه فحصل في النعيم. وتَجَسُّدُ المعاني لا يُنكر عندنا ولا عند علماء الرسوم. فحكمُه في هذا مثل الحكم في قوله (ص): «لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال ذرّةٍ من كِبْر» فكان شيخنا أبو مدين ﷺ يقول: صدقَ؛ يُزال؛ فيدخل صاحبُه الجنّة دونَه، ويبقى هو في النار صورةً مجسَّدة، أو يعود الكبر إلى مَن هو له، فيأخذ كلُّ ذي حقّ حقّه.

واعلم أنّ الآلهة، المتّخذة من دون الله آلهة، طائفتان: منها ما (=التي) ادَّعتْ ما ادُّعي فيها، مع عِلمهم في أنفسهم أنّهم ليسوا كما ادَّعوا، وإنما أحبّوا الرئاسة، وقصدوا إضلال العِباد: كفرعون وأمثاله، وهم في الشقاء إلّا إن تابوا. وهم[4] ممن تشهد عليهم ألسنتُهم بما نطقت به من هذه الدّعوى، فما دونها، مما يجب عنه السؤال فينكِر.

ومنها مَن ادّعت ذلك على بصيرة وصحو وتحقّق معرفةٍ في مجلس؛ لقرينة حال اقتضاها المجلس؛ لمّا رأوا أنّ الحقَّ عينُ قواهم؛ وما هم ما هم إلّا بقواهم، وبقواهم يقولون ما يقولون؛ فقواهم القائلة، لا هُم؛ وهي عينُ الحقّ كما أخبر الحقُّ، وكما أعطاه الشهود بخرق العادة في قواهم عندهم؛ فقالوا: "أنا الله"، وإنّي "أنا الله لا إله إلّا أنا" فاعبدون: كأبي يزيد ممن نُقل عنه مثل هذا مع

١ [الرعد : ٣٣]
٢ ص ٤٥ب
٣ [الجاثية : ٢٣]
٤ ص ٤٦

صحوِه وثبوته، وعِلمه[1] بأنَّ الحقّ هو الظاهر بأفعاله في أعيان الممكنات، وأنّه في بعض الأعيان قد نصَّ أنّه هو، وفي بعض الأعيان لم يذكر أنّه هو.

ولذلك قال بعض العارفين في حقّ التلميذ الذي استغنى بالله، على زعمه، عن رؤية أبي يزيد: "لأنْ يَرى أبا يزيد مرّة، خير له من أن يرى الله ألفَ مرّة" فَعَبَرَ أبو يزيد. فقيل له: "هذا أبو يزيد" فعندما وقع بصره عليه؛ مات التلميذ. فقيل لأبي يزيد في موته؛ فقال: رأى ما لا يطيق؛ لأنّه تجلّى له من حيث "أنا" فلم يطقه كما صُعق موسى. لأنّ الله من حيث "أنا" مجلاه أعظم من حيث المجلى[2] الذي كان يشهده فيه ذلك المريد.

ومنها مَن ادّعتْ ذلك في حال سكرٍ كالحلّاج. فقال قول سكران؛ فخبط، وخلّط لحكم السكر عليه، وما أخلص:

قَدْ تَصَبَّرْتُ وَهَلْ يَصْبِرُ قَلْبِي عَنْ فُؤادِي[3]
مازَجَتْ رُوحكَ رُوحِي فِي دُنُوٍّ وبُعادِ
فأَنَا أَنْتَ كَمَا أَنَّكَ أَنِّي وَمُرادِي

فهذا (المدّعي عن بصيرة وتحقّق معرفة) سعيد، وإن شقي به آخرون فلا جناح عليه ولا حرج؛ لأنّه سكران وهم المسئولون. ومثل هذا أيضا (المدّعي عن بصيرة وصحو وتحقّق معرفة) يلحق بأهل السعادة وإن ضلّ به عالَمٌ؛ فما إضلالهم بمقصود له. فهؤلاء أصناف ثلاثة ادّعوا الألوهة لأنفسهم؛ فشقي بها واحد من الثلاثة وسعِد اثنان.

وأمّا الطائفة الأخرى فادُّعِيتْ فيها الألوهة ولم تدَّعِها لنفسها: كالأحجار، والنبات، والحيوان، وبعض[4] الأناسيّ، والأملاك، والكواكب، والأنوار، والجنّ، وجميع مَن عُبِد واتُّخِذ إلها من غير دعوى منه. فهؤلاء كلّهم سعداء. والذين اتّخذوهم، إذا ماتوا على ذلك، أشقياء. ومِن هؤلاء تقع

١ رسمها في ق أقرب إلى: وعلته
٢ ص ٤٦ب
٣ ق: فؤاد
٤ "بعض" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

البراءة يوم القيامة من الذين اتّخذوهم آلهة من دون الله، ما لم يتوبوا قبل الموت، ممن يقبل صفة التوبة[1]؛ وليس إلّا الجنّ وهذا النوع الإنساني؛ مهما عَلِم بذلك (المتَّخَذ) ولم يُفصِح ولا وقعت منه البراءة هنا، مع كونه لم يَدَّعِ ذلك ولكنه سكت؛ فإذا عذّب الله غدًا المشركين الذين ذكر اللهُ أنّه لا يَغفر لهم، فإنما يعذّبهم من حيث أنّهم ظلموا أنفسهم ووقعوا في خَلْقٍ بكلامٍ ودعوى ساءتهم، وتوجّهت منهم عليهم حقوقٌ في أعراضهم يطلبونهم بها. فمؤاخذة المشرك لِحَقِّ الغير، لا من جهة نفسه -تعالى-. وظلم أنفسهم أعظم من ظلم الغير عند الله، بدليل ما جاء في الذي يقتل نفسه من تحريم الجنّة عليه، فعظّم الوعيد في حَقّه.

فإذا كان يوم القيامة، وأُدخل المشركون دار الشقاء وهي جهنّم، أُدخل معهم جميع من عبدوه إلّا مَن هو من أهل الجنّة وعُمّارها؛ فإنّهم لا يدخلون معهم. لكن تدخل معهم المُثُل التي كانوا يصوّرونها في الدنيا، فيعبدونها لكونها على صورة مَن اعتقدوا فيه أنّه إلهٌ. فهم (أي المشركون) يدخلون النار للعقاب والانتقام، والمعبودون يدخلونها لا للانتقام، فإنّهم ما ادَّعَوا ذلك ولا المُثُل، وإنما أُدخلوها نكايةً في حقّ العابدين لها؛ فيعذِّبهم الله بشهودهم إيّاهم حتى يعلموا أنّهم لا يُغنون عنهم من الله شيئا، لكونهم ليسوا بآلهة[2] كما ادَّعَوه فيهم. قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[3] وقُرِئ: ﴿حَطَبُ جَهَنَّمَ﴾[4] وقال: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[5] وقال: ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾[6]. وقال فيمن عُبِد من أهل السعادة كمحمد وعيسى -عليهما السلام والصلاة-، والخلفاء من بعده، ومَن ذكرناه من مدّعٍ عن صحو وعن سكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[7] فَمَن كان مشتهاهُ رَبَّه فهذه صفته.

١ ص ٤٧
٢ ص ٤٧ب
٣ [الأنبياء : ٩٨]
٤ "وقرئ: حطب جهنم" موقع كتابتها في ق بعد الآية التالية.
٥ [البقرة : ٢٤]
٦ [الأنبياء : ٩٩]
٧ [الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢]

وإنما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ لما يؤثّر ذلك السماع في صاحبه من الخوف، لأنّه ليس هو في تلك الحال بصاحب غضب؛ فيلتذّ بالانتقام. فإنّ الغضب لله إنما ينفع في دار التكليف، وهنالك لا نصيب للغضب في السعداء؛ فإنّه موطن شفاعة وشفقة ورحمة من السعداء. فلا يغضب في ذلك الموطن إلّا الله، والسعداء مشغولون بالله في تسكين ذلك الغضب الإلهيّ، بما تعطيه أنواع التسكين. كما يقول محمد ﷺ في[1] بعض المواطن: «سحقا سحقا» طلبا للتسكين والموافقة، ثمّ بعد ذلك يشفع في تلك الطائفة عينها لِتنوّع ما يظهر الحقّ به في ذلك الموطن. فَمن سمع حسيسَها من السعداء الأكابر؛ أثّر ذلك السماع فيهم خوفا على أُممهم، لا على نفوسهم.

فإذا بلغت بهم العقوبة حدّها، وانقضت فيهم بالعدل مدّتُها، جسّدتْ أهواؤهم التي بها عبدوا غير الله، على صور ما اعتقدوه إلَهًا حين عبدوه، وعلى صور بواطنهم؛ فوقع العذاب بصور مجسّدة ليبقى حكم الأسماء دائما، ويبقى سكّان الدار من الناس، حيث هم أهلها، في نعيم؛ بها ينظرون إلى صور أهوائهم معذَّبة؛ فينعمون بها؛ فإنّها دار تتجسّد فيها المعاني صورا قائمة يشهدها البصر؛ كالموت في صورة كبش أملح؛ فيذبحه يحيى عليه السلام بين الجنّة والنار. لأنّ الحياة ضدُّ الموت، فلا يزول الموت إلّا بوجود الحياة. وبهذه الصور المخلوقة يكون ملء النار والجنّة. فإنّه أخبر الجنّةَ والنار أنّه -سبحانه- يملأ كلَّ واحدة، فقال لهما: "إنّ لكلّ واحدة منكما ملأها".

فإذا نزلوا فيها، وبقي منها أماكنُ لم تبلغها عمارة أهلها[2]، أنشأ إراداتِ أهل الدارين صورا قائمة ملأها بها. وهذه الصوَر من الفريقين المعبَّر عنها بالقدمين في أهل السعادة: أنّها قَدَمُ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ، أي سابق عناية بأن يخلق إرادتهم طاعة الله وعبادته صورا متجسّدة وأعمالَهم. وقد ورد أنّ أعمال العباد تَرِد عليهم في قبورهم في صور حسنة تؤنسهم، وفي صور قبيحة توحِشهم. فتلك الصور تدخل معهم في دار السعادة والشقاء، وبها يكون ملْؤُها. وأمّا دار الشقاء إذا طلبتْ مِلأَها من الله؛ وضعَ فيها الجبّارُ قَدَمه، فله[3] "قدم" أيضا كما كان لأهل السعادة، أي سابق

١ ص ٤٨
٢ ص ٤٨ب
٣ س، هـ: فلهم

عنايةٍ يظهر العذاب في ذلك القدم؛ وهو أهواؤهم.

فدار السعداء التي هي الجنّة نعيمٌ كلّها، ليس فيها شيء يغاير النعيم. ودار الأشقياء ممتزجة بين منعَّم ومعذَّب؛ فإنّ فيها ملائكة العذاب؛ لهم نعيمٌ في تعذيب مَن سلّطهم الله عليه. فلا نعيم لهم إلّا بالانتقام لله، وهم أصحاب تكليف بأمرٍ، لا بنهي. فهم يسارعون إلى امتثال أوامر الله، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] فلا يبقى عذاب في النار بعد انقضاء مدّته إلّا العذاب الممثَّل المتخيَّل في حضرة الخيال، لبقاء أحكام الأسماء[2]. فإنّه ليس للاسم إلّا ما تطلبه حقيقته من ظهور حكمِه، وليس له تعيين حضرة ولا شخص، وإنما ذلك من حكم الاسم "العالِم" و"المريد". فحيث ظهر حكم "المنتقم" من جسد، أو جسم، أو ما كان، فقد استوفى حقّه بظهور حكمِه وتأثيره؛ فلا تزال الأسماء الإلهيّة مؤثِّرةً حاكمةً أبدَ الآبدين في الدارين، وما أهلهما منها بمخرَجين.

ولمّا كانت الرؤية لأهل الجنان، جعل الحجاب في مقابلته لأهل النار. وحجابهم مدّة عذابهم، حتى لا تزيدهم الرؤية عذابا، كما زادتهم السورة القرآنيّة هنا رجسا إلى رجسهم، ومرضا إلى مرضهم. فإذا انقضت المدّة بقي الحجاب دونهم مسدَلا لينعموا. فإنّه لو تجلّى لهم هنالك مع ما تقدّم لهم من الإساءة واستحقاق العقوبة، أورثهم ذلك التجلّي الإحساني حياءً من الله، مما جرى منهم. والحياء عذابٌ، وقد انقضت مُدّتُه، وهم لا يعلمون لذّة الشهود والرؤية؛ فلهم نعيمٌ بالحجاب. والغرضُ النعيمُ، وقد حصل، ولكن بمَ؟ فأين النعيم برؤية الله، من النعيم بالحجاب؟ فهم عن ربّهم محجوبون ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3] ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4].

١ [التحريم: ٦]
٢ ص ٤٩
٣ [الأحزاب: ٤]
٤ [يونس: ٢٥]

الباب[1] الثاني والثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل الحراسة الإلهيّة لأهل المقامات المحمديّة -وهو من الحضرة الموسويّة

كُلُّ مَنْ مالَ لاسْتِدارَةِ كَوْنٍ ... فَهْوَ طُورٌ وَجَمْعُهُ أَطْوارُ
وَهْوَ عَطْفُ الإِلَهِ لَيْسَ سِواهُ ... فَهْوَ سِرٌّ فِي كَوْنِنا مُسْتَعارُ
بَدْءُ أَعْيانِنا بِهِ لِوُجُوبٍ ... حَكَمَ العَقْلُ فِيهِ والاضْطِرارُ
لَوْ تَناهَى الوُجُودُ مَا كانَ كَوْرًا ... فَلِهَذا عَقْلُ اللَّبِيبِ يَحارُ

اعلم -أيّدك الله- أنّ الله -تعالى- يقول في حقّ موسى عليه السلام معرِّفا إيّانا: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾[2] فجعل النداء من الطور؛ لانحنائه؛ لأنّه خرج في طلب النار لأهله، لِمَا كان فيه من الحُنُوّ عليهم الذي أورثه الانحناء على مَن خُلِق من الانحناء؛ وهي أَهْلُهُ؛ لأنّها خُلِقَتْ[3] بالأصالة من الضلع، والضلع له الانحناء. وكان الانحناء في الأضلاع لاستقامة النشأة، وحِفظ ما الحنَتْ عليه من الأحشاء؛ لتعمّ بانحنائها جميع ما تحوي عليه؛ فتتساوى أجزاؤها في الحفظ لها، بخلاف لو كانت على غير استدارة، لكانت فيها زوايا فارغة بعيدة من الحفظ الذي[4] خُلِقت له.

ووقع التجلّي لموسى في عين حاجته، فرأى نارا لأنّها مطلوبُه فقصدَها؛ فناداه ربّه منها، وهو لا علم له بذلك لاستفراغه فيا خرج له، وهو قولنا في قصيدة لنا في "جزء الزينبيّات":

كَنَارِ مُوسَى يَراها عَيْنَ حَاجَتِهِ ... وَهْوَ الإِلَهُ ولَكِنْ لَيْسَ يَدْرِيهِ

واعلم أنّ الله ما خلق الذي خلق من الموجودات خلقا خطّيًّا من غير أن يكون فيه مَيْل إلى

١ ص ٤٩ب
٢ [مريم : ٥٢]
٣ ص ٥٠
٤ ق: "التي" وفي الهامش: "الذي" مع إشارة التصويب

الاستدارة، أو مستديرا في عالم الأجسام. وقال -تعالى- في السماوات وهو ما علا، وفي الأرض وهو ما سفل؛ إذ لا أسفل منها: إنّه ﴿لَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾[1] فوصف نفسه بأنّه لكلّ شيء حفيظ؛ والحفظ حُنُوٌّ من الحافظ على المحفوظ؛ فيكون في شكل صورة الأجسام انحناء، وفي المعاني والأرواح حُنُوٌّ.

فلنذكر سبب ميل الأجسام إلى الاستدارة. وذلك[2] أنّ أوّل شكل قَبِلَهُ الجسمُ الاستدارةُ، وهو المسمّى فلَكا، أي مستديرا، وعن حركة ذلك الفلَك ظهر عالم الأجسام علوّا وسفلا. فمنه ما ظهر بصورة ذات الأصل؛ وهو كلُّ مَن كَمُلَت فيه الاستدارة، والتقى طرفا الدائرة. ومَن نَقص عن هذه الصورة لا بدّ أن يوجد فيه مَيْلٌ إلى الاستدارة. يظهر ذلك حِسًّا في الأجسام، حتى في أوراق الأشجار، والأحجار، والجبال، والأغصان. فما في عالَم الأجسام خطٌّ غيرُ مائل إلّا بالفرض والتوهّم، لا بالوقوع. وإنما ظهر الجسم بصورة الاستدارة، أعني الجسم الكلّ الظاهر بالشكل؛ لأنّ الله أراد أن يملأ به الخلاء، فلو لم يكن مستديرَ الشكل لبقي في الخلاء ما ليس فيه مَلأ. والخلاءُ استدارةٌ متوهَّمة لا في جسم، وإنما وقع الأمر هكذا؛ لصدور الأشياء عن الله ورجوعها؛ فمنه بدأ وإليه يعود.

فلا بدّ أن يكون هذا الأمر في عالم الشكل صورةً دائرة؛ لأنّه لا يعود إليه على الطريق الذي خرج عليه، وإنما امتدادُه ينتهي إلى مَبْدئه. ولا يكون ذلك في الشكل الخطّي؛ لأنّه لو كان؛ لم يَعُدْ إليه أبدا، وهو عائد إليه. فلا بدّ من الاستدارة فيه معنى وحِسًّا[3]. ومِن خَلْقِهِ العالَم على الصورة، أن خَلَقَهُ مستدير الشكل. فانظر[4] في حكمة الله.

ولمّا كان المرجع إليه ليظهر الحُنُوُّ الذي صورتُه انحناءٌ؛ لذلك عمّتْ رحمتُه جميعَ الموجودات ووسعت كلّ شيء، كما وسع هو كلّ شيء رحمة وعلما. ولم يَجْرِ للغضب ذِكْرٌ في هذه السعة

١ [البقرة : ٢٥٥]
٢ ص ٥٠ب
٣ "معنى وحسا" ثابتة في الجوار مع إشارة التصويب
٤ ص ٥١

الإلهيّة والرحمانيّة؛ فلا بدّ من مآل العالم إلى الرحمة؛ لأنّه لا بدّ للعالَم من الرجوع إلى الله؛ فإنّه القائل: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[1]. فإذا انتهتْ رجعته إليه عاد الأمر إلى البدء، والمبدأ، والمبدئ. والمبدأ رحمةٌ وَسِعت كلّ شيء، والمبدئ وَسِعَ كلَّ شيء رحمة وعلما. فغرق الأمر في عَوْدِه في الرحمة. فيا من يُسرمد العذابَ على خلق الله! أين أنت من هذا الشهود؟ لولا سَبْقُ الرحمة الشاملة، العامّة، الامتنانيّة، لَتَسرمد العذاب على مَن ينفي رحمة الله من هذه السعة التي ذكر الله فيها. ولكن سَبْق الرحمة جعله أن يبدو له من الله[2] من الرحمة به، مع هذا الاعتقاد، ما لم يكن يحتسبه. فما واخذه اللهُ بجهله لأنّه صاحب شبهة في فَهْمِه. فعينُ بصيرته مطموسٌ، وعقله في قيد الجهالة محبوس.

وما في الحيوان مَن جَرَى في مسكنه، وعمارة بيته، وإقامة صورته على شكل العالم، مثل النحل. فسَدَّسَتْ صُوَرَ[3] بيوتها حتى لا يبقى خلاء، كما سَدّ الشكلُ الكريّ الخلاءَ فلم يبق خلاء. وعمرتْ بيتَها بالعسل الذي هو ملذوذ، نظير الرحمة الإلهيّة التي عمرت الوجود وغمرته. وما عمرته بذلك في حقِّ غيرها، وإنما عمرته به في حقِّ نفسها؛ وكذا صدر العالم على هذه الصورة. فما من شيء من العالم إلّا وهو يسبّح بحمده، فلنفسه أوجدَه لأنّه ما شغله إلّا به.

وقال فيمن جعل فيه استعدادا يمكن أن يسعى به لنفسه ولغير الله، فنبّه أنّه ما خلقهم إلّا لعبادته، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4] فكونهم ما فَعَل بعضهم ما خُلِق له[5]، لا يلزم منه بالقصد المذكور أنّه خلق لما تصرّف فيه؛ ولذلك يُسأل ويحاسَب، كما وقع فيما اختزنته النحل لنفسها وأظهرته منها لِقِوام ذاتها، فأخذه مَن أخذه، وتحكّم فيه في غير ما أوجدَتْهُ له.

ولمّا كان الأمر كما ذكرناه في النّحل دون غيره، لذلك أخبرنا الله عنها أنّه أوحى إليها دون

١ [هود : ١٢٣]
٢ "من الله" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٣ ص ٥١ب
٤ [الذاريات : ٥٦]
٥ ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

غيرها من الحيوان. وقال فيما يخرج من بطونها إنّه ﴿شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[1] فأنزله منزلة الرحمة التي وَسِعَتْ كلَّ شيء. وما ذكر له مَضَرَّة، وإن كان بعض الأمزجة يضرُّه استعماله، ولكن ما تعرَّض لذلك. أي[2] أنّ المقصود منه الشفاء بالوجود، كما المقصود بالغيث إيجاد الرزق الذي يكون عن نزوله بالقصد. وإن هَدَم الغيثُ بيت الشيخ الفقير الضعيف، فما كان رحمة في حقّه من هذه الجهة الخاصّة، ولكن ما هي بالقصد العام الذي له نزل المطرُ؛ وإنما كان ما كان، من استعداد القابل للتهدُّم لِضعف البنيان، كما كان الضررُ الواقع لأكْلِ العسل؛ من استعداد مزاجه، لم يكن بالقصد العام.

واعلم أنّ حفظ اللهِ العالَم إنما هو لإبقاء الثناء عليه بلسان المحدَثات، بالتنزيه عمّا هي عليه من الافتقار. فلم يكن الحفظ للاهتمام به، ولا للعناية؛ بل ليكون مجلاه، ولِيُظْهِر أحكامَ أسمائه. وكذا خلق الإنسان على صورته فقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[3] فجعله لا يسعى إلّا لنفسه؛ ولهذا قَرَن بسعيه الأجرَ حتى يسعى لنفسه، بخلاف مَن لا أجر له من العالم الأعلى والأسفل. وليس بعد الرُّسل؛ ومرتبتهم في العلم بالله مرتبة؛ فهم المطرِّقون والمنبِّهون؛ ومع هذا فما منهم مِن رسول إلّا قيل له: قل لأُمّتِك: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[4] أي على ما بلّغتكم ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾[5] فإنّه الذي استخدمه وأرسله؛ فالأجر عليه. فما سَعَوا ولا[6] بلَغوا إلّا في حظوظ نفوسهم. لكنّ الفرق بين العلماء من أهل الله وبين العامّة، أنّهم عَلِموا؛ ما الأجر؟ ومَن صاحبه؟ ومَن يطلبه منهم ممن يطلبه؟ ولمن يرجع ذلك الحكم؟ فكلُّ ساعٍ في أمرٍ فإنما يسعى لنفسه، كان ذلك الساعي مَن كان، لا يستثنى ساعٍ مِن ساعٍ، بل الأمر كلّه لله.

وتختلف الأجور باختلاف المقاصد؛ فأعلاها حبّ المدح والثناء؛ فإنّها صفة إلهيّة، ولأجلها أوجدَ العالَمَ ناطقا بتسبيحه بحمده. ودون ذلك من الأجور: طَلَبُ الزيادة من العلم بالكوائن.

١ [النحل : ٦٩]
٢ ص ٥٢
٣ [النجم : ٣٩]
٤ [الفرقان : ٥٧]
٥ [يونس : ٧٢]
٦ ص ٥٢ب

ودون ذلك من الأجور: ما تطلبه الطبيعة من القوى الروحانيّة، لوجود الانفعال كثيرا عنها. ودون ذلك: ما تطلبه الطبيعة من القوى الحسّيّة لمجرّد الالتذاذ الذي للروح الحيوانيّ به. وليس وراء ذلك أَجْرٌ يُطلب. فما ذكرنا سعيا إلّا وهو حظٌّ للنفس الساعية.

فإذا علمتَ حِفظ اللهِ العالَمَ، علمتَ قوله -تعالى-: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[1] فكثَّر وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[2] فكثَّر. فكلُّ حافظٍ في العالم أمرًا مّا؛ فهو عينُ الحقّ؛ إذ الحفظ لا يكون إلّا ممن لا يغالَب على محفوظه، ولا يقاوى على حفظه. فكن حافظا لما أنتَ به؛ تكن عينَ الحقّ في[3] وجوده. فحفّاظ العالَم لهم هذه المنزلة، وهم لا يعلمون أنّهم أعينُ الحقّ؛ وذلك لِتعلم فضلَ أهل الشهود والوجود على غيرهم، وإن وقع الاشتراك في الصفة. ولكن ليس مَن عَلِم منزلتَه من حضرة الحقّ، مثل مَن لا يَعلم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[4] فهذا إعلام بأنّهم علِموا.

ثمّ طرأ النسيان على بعضهم. فمنهم مَن استمرّ عليه حكم النسيان؛ فنسوا الله فنسيهم. ومنهم مَن ذُكِّر فتذكَّر، وهم أُولو الألباب. ولُبُّ العقل هو الذي يقع به الغذاء للعقلاء؛ فهم أهل الاستعمال لما ينبغي أن يُستعمل، بخلاف أهل العقول، فإنّهم أَهل قشر زال عنه لُبُّه؛ فأخذه أولو الألباب. فعقِلوا، وما استعملوا ما ينبغي أن يستعملوه، لأنّ العقل لا يُستعمل إلّا إذا كان قشرا على لُبٍّ. فاستعمال العقل (إنما هو) بما فيه من صفة القبول لما يَرِد من الله، مما لا يقبله العقل الذي لا لُبّ له من حيث فكره. فلهذا أهلُ الله هم أهلُ الألباب؛ لأنّ اللبَّ غذاءٌ لهم؛ فاستعملوا ما به قوامهم. وأهل العقل هم الذين يعقلون الأمر على ما هو عليه، إن اتّفق وكان نظرُهم في[5] دليل، فإذا عقِلوا ذلك كانوا أصحاب عقل، فإن استعملوه بحسب ما يقتضي- استعمال ذلك المعقول؛ فهم أصحاب لُبّ.

١ [القمر : ١٤]
٢ [الطور : ٤٨]
٣ ص ٥٣
٤ [الزمر : ٩]
٥ ص ٥٣ب

وفِي اللّبِّ لُبُّ الدُّهْنِ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ وفِي الدُّهْنِ إمْدادٌ لِمَنْ كانَ يَفْهَمُ

فمَن رُزق الفهم من المحدَثات؛ فقد رُزق العلم، وما كلّ مَن رُزق علما؛ كان صاحبَ فَهْمٍ. فالفَهْمُ درجةٌ عليا في المحدَثات؛ وبه ينفصل علمُ الحقّ من علمِ الخلق. فإنّ الله له العلم ولا يتّصف بالفَهم، والمحدَث يتّصفُ بالفَهم وبالعلم. وفي الفَهم عن الله يقع التفاضل بين العلماء بالله. والفَهم متعلّقه الإمداد الإلهيّ الصوَريّ خاصّة، فإن كان الإمداد في غير صورة؛ كان عِلمًا، ولم يكن هناك حكم للفهم، لأنّه لا متعلّق له إلّا هذه الحضرة؛ فلهذا يسمّى مستفيدا؛ لما استفاده مِن فهمه؛ إذ لا تصحّ لمستفيد استفادة، من غيره لإحالة الانتقال من محلّ العالِم المعلّمِ إلى محلّ المتعلّمِ؛ فما استفاد ما استفاد إلّا مِن فهمه. فللمعلّمِ إنشاءُ صورٍ ما يريد تعليمها للطالب المتعلّم، وللمستفيدُ الفَهم عنه. فلولا قوّة الفَهم ما[1] استفاد.

فكما لا تستوي الظلمات والنور، ولا الظلّ ولا الحرور، ولا الأحياء ولا الأموات، كذلك لا يستوي الأعمى وهو الذي لا يَفهم فَيعلم، ولا البصير الذي يفهم فيعلم. كما لا تستوي الحسنة ولا السيّئة، فلا يستوي الحقُّ والخلقُ؛ فإنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ فأَعْلَمَ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]؛ فأَبْهَمَ؛ فحيَّر العقول والفهوم بين الإعلام والإبهام.

غير أنّ الرحمة لمّا عمّتْ، عامَلَهم الحقُّ بما أدّاهم إليه اجتهادهم؛ أصابوا في ذلك أم أخطؤوا طريق القصد بالوضع؛ إذ لا خطأ من هذا الوجه في العالم إلّا على ما ذكرناه، من إضافة شيء إلى غير ما أضيف إليه في نفس الأمر. كمن يطلب الشيء من غير سببه الذي وُضِع له؛ فله أجر الطلب، لا أجر الحصول؛ لأنّه لم يحصل. فهو كطالبٍ في الماء جذوةَ نار، فكان في الإبهام عينُ المكر الإلهيّ. فالعالِم يُلحِق الفروع بأصولها على بصيرة وكشف، والمبهَم عليه يُلحِق الفروع بالأصول؛ فإن وافقتْ أُصولَها فبحكم المصادفة، وهو يتخيّل أنّها أصلٌ لذلك الفرع. فإذا صادف سُمّي خيالا[3] صحيحا، وإن لم يصادف سُمّي خيالا فاسدا. فلولا الإبهامُ ما احتيج إلى الفهم؛ فهي

١ ص ٥٤
٢ [الشورى : ١١]
٣ ص ٥٤ب

قوّةٌ لا تَصَرُّف لها إلّا في المبهَمات، وغوامض الأمور. ويحتاج صاحب الفهم إلى معرفة المَواطن؛ فإذا كان بيده الميزان الموضوع الإلهيّ، عرف مكر الله وميَّزه، ومع هذا فلا يأمنه في المستقبل؛ لأنّه مِن أهل النشأة التي تقبل الغفلات والنسيان وعدم استحضار العلم بالشيء في كلّ وقت.

ولا فائدة في إلحاق الفروع بأصولها إلّا أن يكون للفروع حكم الأصول، وأصل العالَم وجود الحقّ. فللعالَم حكم وجود الحقّ، وهو الوجوب من حيث ما هو وجوب. ثمّ كون الوجوب ينقسم إلى وجوب بالذات، وإلى وجوبٍ بالغير؛ هذا أمرٌ آخر. وكذلك أصلُ وجودِ العلم بالله العلمُ بالنفس. فللعلم بالله حكم العِلم بالنفس الذي هو أصله. والعلم بالنفس بحرٌ لا ساحل له عند العلماء بالنفس؛ فلا يتناهى العلم بها. هذا حكم علم النفس. فالعلم بالله الذي هو فرع هذا الأصل، ملحق به في الحكم؛ فلا يتناهى العلم بالله. ففي كلّ حال يقول: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] فيزيده[2] الله علما بنفسه ليزيد علما بربّه، هذا يعطيه الكشف الإلهيّ.

ويذهب بعض أصحاب الأفكار إلى أنّ العلم بالله أصلٌ في العلم بالنفس، ولا يصحّ ذلك أبدا في علم الخلق بالله، وإنما ذلك في علم الحقّ خاصّة، وهو تقدُّمٌ وأصلٌ بالمرتبة لا بالوجود. فإنّه بالوجود؛ عينُ عِلمِه بنفسه عينُ عِلمِه بالعالَم، وإن كان بالرتبة أصلا فما هو بالوجود. كما تقول بالنظر العقليّ في العلّة والمعلول وإن تساوقا في الوجود، ولا يكون إلّا كذلك. فمعلوم أنّ رتبة العلّة تتقدّم على رتبة المعلولِ لها عقلا، لا وجودا. وكذلك المتضايفان من حيث ما هما متضايفان، وهو أتمّ فيما نريد؛ فإنّ كلّ واحد من المتضايفين علّة ومعلول لمن قامت به الإضافة؛ فكلٌّ واحد علّة لمن هو له معلول، ومعلول لمن هو له علّة. فعلّة البنوّة أوجبتْ للأُبوّة أن تكون معلولةً لها، وعلّة الأبوّة أوجبتْ للبنوّة أن تكون معلولةً لها. ومن حيث أعيانها لا علّة ولا معلول.

واعلم أنّه مما يتعلّق بهذا الباب كون العالم عيالا لله -تعالى- وبعضه اتّخذه أهلا فقال ﷺ في

[1] [طه : ١١٤]
[2] ص ٥٥

الخبر الوارد[1] عنه: «إنّ الخلق عيال الله» وأخبر في خبر آخر أنّ «أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته»، والأهليّة منزلةُ خصوص واختصاص من العموم. وجعل الرحم التي منها ظهر أُولو الأرحام فينا «شجنة من الرحمن» كما أنّ الولد شجنة من أبويه. وجعل له -سبحانه- نَسبا بينه وبين عباده وهو التقوى؛ فيضع أنسابَ العالم يوم القيامة، ويَرفع نَسَبَه، فيعُمّ؛ لأنّه ما ثَمّ إلّا مَن يتّقيه. ومَن اجترأ عليه؛ فمن كونه أجراهُ عليه بما ذُكر مِن حُكم نَعْتِهِ بالعفو، والتجاوز، والصفح، والمغفرة، وعموم الرحمة. فأشهدهم هذه النعوت؛ وليس لها أثر يظهر حكمه عموما لكلّ ناظر إلّا في العصاة، ولا سيما العفو. فكلّ عاص ما اجترأ على الله إلّا به، وهو من حيث نفسه متّقٍ لله.

فإنّ النَّسب ما للأحوال فيه أثر إذا هو[2] صَحّ، وما اعتبر الله إلّا النَّسب الدينيّ، وبه يقع التوارث بين الناس. فإذا اجتمع في **الشخص** النَّسبُ الدينيُّ والطينيُّ، حينئذ له أن يحجب ما يحجبه من النَّسب الطينيّ والدينيّ. فإذا لم يكن له نَسب طينيّ ولا بد[3]؛ رجع على دينه، لم يحجبوا بالنَّسب الطينيّ وراثته[4] عن النَّسب الدينيّ؛ فورثه المسلمون. أو يكون كافرا؛ فيرثه الكفّار إن لم يبق له ذو نَسب طينيّ، إلّا خرج عن دينه؛ فإنّ نَسب التقوى يعمّ كلّ نحلة وملّة إن عقلتَ.

فمن حيث أنّ العالَم عيالُ الله رَزَقَهم. ومن حيث أنّ فيهم مَن هو أهلٌ له اعتنى بهم؛ فأشفق عليهم. ومن حيث أنّهم مخلوقون على الصورة على وجه الكمال استنابهم. ومن حيث أنّ بعضهم (حاز) على بعض الصورة رَفَق بهم. ومن حيث النَّسب المذكور، نظر إليهم الاسم "الرحمن" بالوصل وانتظام الشمل. فمن كلِّ وجهٍ له نظر إليهم بالإحسان؛ ولهذا تسمّى بـ"البَرّ الرحيم" والبَرّ معناه المحسان. وهذا القدر كافٍ في الكلام في هذا المنزل؛ فلنذكر ما يتضمّن من العلوم.

[1] ص ٥٥ب
[2] ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
[3] "ولا بد" كانت في أصل ق: "ولا ديني نسبي" ومسحت كلمة "ديني" بخط الشيخ وكتب فوق "نسب" كلمة "بد". وفي س: "ولا نسب ديني"
[4] ص ٥٦

فمنها علم أفضل الأشكال.

ومنها عِلمُ الكتب ومراتبها، ومعرفة المُبين منها، من المنير، من الحكيم، من الكريم، من المحصي، من المسطور، من المرقوم، من المعنويّ، من الحسّيّ، من الأُمّ، من الإمام، إلى غير ذلك من أصناف الكتب والكُتّاب. فإنّ الله كتب التوراة بيده، وكتب القلمُ بنفسه عن أمر ربّه في اللوح المحفوظ. و(منها كذلك) مرتبة كلّ كاتب، وما كتب من الكتابة في الأرحام؛ وهم كتّاب الخلق، والرزق، والأجل، والشقاء أو السعادة[1]، والكرام الكاتبون[2]. والفرق بين المكتوب فيه، من لوحٍ محفوظ، وألواحٍ غير محفوظة، ورَقٍّ، وغير ذلك. وصور الكتابة الإلهيّة من غيرها. هذا كلّه يُعلم من هذا المنزل ويَشهده مَن دخله.

وعِلمَ المعمور من العالم من غير المعمور. وغيرِ المعمور؛ هل هو معمور بما لا تدركه أبصارنا؟ أو ليس بمعمور في نفس الأمر؟ وعمارة الأمكنة بما يتكوّن فيها من نبات، أو حيوان، أو معدن، أو ما ينزل فيه من حقٍّ، وملَك، وجانّ. والفرق بين الاسم الإلهيّ العليّ والرفيع؟ ولماذا جاء الاسم "الرفيع" مقيّدا بالإضافة، و"العليّ" مطلقا من غير تقييد؟

وعِلمَ كيفيّة انقلاب الضدّ إلى ضدّه إذا جاوز حدّه؛ هل ذلك من حيث جوهره، أو جوهر صورته؟

وعِلمَ الإيلاء الإلهيّ بنفسه، وبالموجودات، والمعدومات.

وعِلمَ المقسَمُ عليه في تقييده بالماضي وهو الواقع، أو بالمستقبل الذي لا بدّ من وقوعه حكما أو وجوده عينا. ولماذا اختصّ المقسَمُ[3] عليه بالقسَم دون غيره، وهو من حيث أنّه عالَمٌ؛ واحد؟

وعِلمَ القضاء؛ هل له رادٌّ أم لا؟ وذلك الرادُّ؛ هل هو منه، أو أمر آخر اقتضاه شرطٌ بالرفع أو بالثبوت؟

١ س، ه: والسعادة
٢ ص ٥٦ب
٣ ق: "المقسوم" وفي الهامش: "المقسم" مع إشارة التصويب

وعِلمَ تغيّر النعوت على المنعوت بها؛ هل كلّ متغيّر قام التغيّر بذاته[1]؟ أو كان التغيّر في حكمه، لا في عينه ولا في صفته إن كان ذا صفة؟

وعِلمَ السبب المؤدّي إلى الجحد مع العلم، وأنّه لا ينزل منزلة الجاهل في الحكم؛ وهل الجاهل معذور، أم لا؟

وعِلمَ العِلم المحمود من العِلم المذموم؛ وهل الذمّ له عرَضيٌّ عرَض له من المعلوم، أم لا أثر له فيه؛ لا بالحكم العرَضيّ ولا الذاتيّ؟ وهل للعلم أثر محسوس في النفس والحسّ، أم لا أثر له إلّا في النفس؟ كمن يعلم أنّه تقع به مصيبة، ولا بدّ، فيتغيّر لذلك مزاجه، ولونه، وحركته، ويتبلبل لسانه، ويقول ولا يدري ما يقول؛ فإنّ العلم أثّر في النفس خوفا، وهذه الآثار (هي) آثارُ وجود الخوف عنده، ما هي آثار العلم؛ لأنّ العلم قد يقع في نفس القويّ الذي يحكم على نفسه، فلا يؤثّر فيها خوفا، فلا يتغيّر مع وجود العلم.

وعِلمَ الأمر الذي يعذَّب به الكاذب؛ هل يعذَّب بِعَدَمِ لمناسبة الكذب؟ أو يعذَّب بأمر وجوديّ، لكون الكذب له مرتبة وجود في الوجود الذهني، وحينئذ يعبِّر عنه الكاذب؟ فهل عقوبته مثل نسبته إلى الحِسّ؛ فيكون بأمر عدميّ؟ أو بمثل نسبته إلى الخيال؛ فيكون بأمر وجوديّ متخيّل؟ وهي علوم عجيبة في المشاهدات، لا[2] عِلم لعلماء الرسوم والنظّار بهذه الموازنات؛ لجهلهم بالميزان الموضوع الذي وضعه الله عند رَفعِ السماء، وبَسْطِ الأرض بين السماء والأرض. وأنّه مع كونه موضوعا هو بيد الحقّ المسمّى بالدهر يخفض ويرفع.

وعِلمَ السِّحر؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع؟ وهل فيه محمود، وما فِعْله؟

وعِلمَ السَّواءِ في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3] وقوله[4]: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[5] وقوله:

١ ص ٥٧
٢ ص ٥٧ب
٣ [البقرة : ٦]
٤ ق: وقوله: سواء عليهم استغفرت..
٥ [التوبة : ٨٠]

﴿اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[1] وموطن الدنيا الذي وقع فيه الاستغفار يقتضي أن يقبل، بخلاف موطن الآخرة. وكما[2] أنّه استوى عندهم الإنذار وعدم الإنذار فلم يؤمنوا، كذلك استوى في حقّهم في الآخرة وجود الصبر وعدمه، فلم يؤثّر في نفوذ الجزاء الوفاق.

وعِلْمَ الاعتماد على غير الله مما يحمد الله أن يعتمد عليه؛ ما أثره في الدار الآخرة في الجزاء الوفاق؟

وعِلْمَ سبب النكاح الذي لا يكون عنه التناسل لإبقاء ذلك النوع.

وعِلْمَ سبب المعاطاة من غير حاجة؛ إذ المعاطاة لا تكون إلّا في ذي حاجة.

وعِلْمَ وجود الامتنان مع[3] المعاوضة في البيوع لا في الهبات، لأنّ الامتنان في الهبات معقول؛ ولهذا شرعت المكافأة عليه ليضعف سلطان الامتنان، والسبب الذي يرفع الامتنان من العالَم، ولمن ينبغي الامتنان مع المعاوضة؟

وعِلْمَ الفرق بين الكهانة والوحي.

وعِلْمَ ما هو الهوى والعقل الذي يقابله؟

وعِلْمَ من أين خلق العالم: هل من شيء، أو من لا شيء؟

وعِلْمَ هل تتفاضل الأرواح في القوّة فيؤثّر بعضها في بعض كالقوى الجسمانيّة، أم لا؟

وعِلْمَ الخزائن الإلهيّة، وما اختزن فيها؟ وأين مكانها؟

وعِلْمَ عنديّة الحقّ؛ هل هي نسبة، أو ظرف وجوديّ؟

وعِلْمَ ترقّي العالم الطبيعيّ على أيّ معراج يكون: هل على طبيعيّ؛ فيفتقر أيضا إلى معراج؟ أو على غير طبيعيّ؟

---

١ [الطور : ١٦]
٢ س، ه: فكما
٣ ص ٥٨

وعِلْمَ صورة تأثير المعاني اللطيفة في الأجرام الكثيفة.

وعِلْمَ تأثير القصد في الأفعال.

وعِلْمَ ما ينبغي أن يكون عليه الإله من الصفات.

وعِلْمَ سبب خيبة الظنون في وقتٍ دون وقت.

وعِلْمَ أحوال التنزيه.

فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم، قد ذكرناه لتتوفّر همّة الطالب على طلبها من الله، أو من العالِم بها ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ[1] يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

---

١ ص ٥٨ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الثالث والثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل: خلقتُ الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي، فلا تهتك ما خلقتُ من أجلي فيما خلقت من أجلك -وهو من الحضرة الموسويّة

إنّ النُّفُوسَ لَتُجْزَى بِالَّذِي كَسَبَتْ ... مَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَلا تُجْزَى بِمَا اكْتَسَبَتْ
ما الاكْتِسابُ بِكَسْبٍ إنْ عَلِمْتَ بِهِ ... جَنَتْ مِنَ الخَيْرِ يَوْمَ الدِّينِ ما غَرَسَتْ

اعلم -أيّدك الله- أنّ الله -تعالى- خلق جميع مَن خلق في مقام الذلّة والافتقار، وفي مقامه المعيّن له؛ فلم يكن لأحد من خلق الله من هؤلاء ترَقٍّ عن مقامه الذي خُلِق فيه إلّا الثّقلين. فإنّ الله خلقهم في مقام العزّة، وفي غير مقامهم الذي ينتهون إليه عند انقطاع أنفاسهم التي لهم في الحياة الدنيا. فلهم الترقّي إلى[1] مقاماتهم التي تورثهم الشهود، والنزول إلى مقاماتهم التي تورثهم الوقوف خلف الحجاب. فهم في برزخ النجدَين ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ فيعلو ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2] فيسفل قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] ما قال: "إلّا في العبادة".

فلمّا جعل العبادة بأيديهم، وجعلها المقصود منه بخلقهم؛ فمنهم مَن قام بما قُصِد له، فكان طائعا مطيعا لأمر الله الوارد عليه بالأعمال والعبادة، فإنّه قال لهم: ﴿اعْبُدُونِي﴾[4] كما أخبر ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ هذا أمرٌ بعبادة ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[5] هذا أمرٌ بعمل، والعمل ما هو عبادة. فالعمل صورة، والعبادة روحها. فالعبادة مقبولة عند الله على كلّ حال، (اقترنت بعمل أو لم تقترن. والعمل لغير عبادة لا يقبل على كلّ حال)[6] من حيث القاصد لوقوعه، الذي هو النفس المكلّفة، لكن من حيث أنّ العمل صدر من الجوارح، أو من جارحة مخصوصة، فإنّها

١ ص ٥٩
٢ [الإنسان : ٣]
٣ [الذاريات : ٥٦]
٤ [الأنبياء : ٢٥]
٥ [طه : ١٤]
٦ ما بين القوسين لم يرد في ق، وأثبتناه من هـ، س

تُجزى به تلك الجارحة. فيُقبل العمل لمن ظهر منه، ولا يعود منه على النفس الآمرة به للجوارح شيء إذا كان العمل خيرا بالصورة؛ كصلاة المرائي والمنافق وجميع ما يظهر على جوارحه من أفعال الخير الذي لم تقصد به النفسُ عبادة.

وأمّا أعمال الشرّ المنهي عنها فإنّ النفس تُجزى[1] بها للقصد، والجوارح لا تجزى بها، لأنّه ليس في قوّتها الامتناع عمّا تريد النفوس بها من الحركات؛ فإنّها مجبورة على السمع والطاعة لها. فإن جارت النفوس فعليها، وللجوارح رَفْعُ الحَرَج، بل لهم الخير الأتمّ، وإن عدلت النفوس فلها وللجوارح. فإنّ النفوسَ ولاةُ الحقّ على هذه الجوارح، والجوارح مأمورةٌ مجبورة غير مختارة فيما تُصرَّف فيه؛ فهي مطيعة بكلّ وجه، والنفوس ليست كذلك.

ومن النفوس من لم يقم بما قصد له، فكان عاصيا مخالفا أمرَ الله حين أمره بالأعمال والعبادة. فالطائع تقع منه العبادة في حالة الاضطرار والاختيار، وإن لم يكن مطيعا من حيث الأمر بالعمل. فإن كان مطيعا طائعا فقد فاز بوقوع ما قُصد له في الخلق والأمر، فإنّ لله ﴿الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2]. وأمّا العاصي فلا تقع منه العبادة إلّا في حال الاضطرار، لا في حال الاختيار، وتقع منه صورة العمل، لا العمل المشروع له؛ فهو مخالِفٌ أمرَ الله؛ فلم يقم بما قُصِد له من الخلق والأمر.

ولَمّا خلق الله الثقلين في هذا المقام الذي قصده بخلقهم، وهو أَجْلِيَّة الحقّ، فرّغهم لذلك حتى لا تقوم لهم حجّة بالاشتغال بما به قوامهم؛ فخلق[3] الأشياء التي بها قوامهم خاصة من أجلهم، ليتفرّغوا لما قُصد بهم؛ فقامت عليهم حجّة الله إذا لم يقوموا بما خلقوا له.

ثمّ إنّه علم من بعضهم أنّه تقوم له شبهة في السعي فيما خُلق من أجله في حقّ الغير لمّا بلغه أنّ الله يقول: «جعتُ فلم تطعمني» وقال لمّا قال له العبد: «يا ربّ؛ وكيف تُطعَم وأنت ربّ العالمين؟» فقال الله له: «ألم تعلم أنّه استطعمك فلانٌ فلم تطعمه، أما إنّك لو أطعمته وجدتَ

١ ص ٥٩ب
٢ [الأعراف : ٥٤]
٣ ص ٦٠

ذلك عندي» فأنزل الحقُّ نفسَه منزلةَ ذلك الجائع. فلمّا لاحت له هذه الشبهة قال: نسعى في حقّ الغير وننتفع أنا بما نسعى به بحكم التّبع. فقال الله له: ما فهمتَ عنّي ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1] لا أنتم، فما بقيتْ لهم حجّة بتمام الآية.

وأمّا اعتمادهم على ذلك الخبر فلا تقوم لهم به حجّة عند الله؛ فإنّه لمّا خلق الأشياء من أجلك التي بها قوامك، أعطاك إيّاها، وأوصلها إليك ليكون بها قوامُك، ثمّ أَفضلَ لبعضهم من ذلك ما يزيد على قوامهم، ليوصله إلى غيره، ليكون به قوام ذلك الغير، ويحصل لهذا أجرُ أداء الأمانة التي أمنه الله عليها. فذلك هو الذي عتبه الحقّ، حيث استطعمه فلان، وكان عنده ما يفضل عن قوامه[2]، فلم يعطه إيّاه. فلم يلزم، من هذا الخبر، أن يسعى في حقّ الغير. وهو المراد في تمام الآية في قوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾.

ولمّا خلق الله الإنسانَ وأعطاه الجدل قال بعضهم: لما استطعمني فلان وعندي ما يفضل عن قوامي؟ فلو كان لهذا المستطعِم أمانةٌ عندي ما استطعتُ إمساكها، فلذلك لم نطعمه. فقيل له ما قيل لإبليس: متى علمتَ أنّه ليس له: بَعْدَ ما منعتَه، أو قبل ذلك أعطاك الله علم الكشف أنّه ليس لهذا؟ أو عيّن لك صاحبَه؟ أَوَ ما علمتَ أنّه ليس له إلّا بعد حصول المنع منك، وانصرافه عنك؟ فلا بدّ أن يقول: بعد المنع علمتُ ذلك. فيقال له: "بذلك أُخِذت" فإنّ إبليس قال للحقّ: أمرتني بما لم تُرِد أن يقع منّي، فلو أردتَ منّي السجود لآدم لسجدتُ. فقال الله له: متى علمتَ أنّي لم أُرِدْ منك السجود: بعد وقوع الإباية منك، وذهاب زمان الأمر، أو قبل ذلك؟" فقال له: بعد ما وقعت الإباية، علمتُ أنّك لو أردتَ السجود منّي لسجدتُ. فقال الله له: "بذلك أخذتُك".

ولم يؤخَذ أحد إلّا بالجهل، فإنّ أهل العلم الذين طالعهم الله بما يحدثه من الكوائن في خلقه

١ [الذاريات: ٥٧ ، ٥٨]
٢ ص ٦٠ب

قبل وقوعها، لا يؤاخذون على ما لم يقع منهم[1]، مما أُمروا به بالواسطة أن يقع منهم؛ فإنّهم في عين القربة بالاطّلاع. وليس المراد بامتثال الأمر إلّا القُربة، ومحلُّ القربة ليس بمحلّ تكليف. فإذا وقع من المقرّبين أعمالُ الطاعات فبشهودٍ، فإنّهم على بيّنة من ربّهم، فهم عاملون -من حيث شهودهم الأمرَ الإلهيّ من غير الواسطة- الذي جاءت به الواسطة[2]. (فهم بالصورة في الظاهر أتباع الأمر بالواسطة)[3]، وفي الباطن أصحاب عين، لا أتباع.

فالحاصل من هذا أنّه مَن لم يغب عن عبوديّته لله في كلّ حال، فقد أدّى ما خُلق له، وكان طائعا. وسواء كان مطيعا أو مخالفا. فإنّ العبد الآبق لا يُخرجه إباقُه عن الرقّ، وإنّما يخرجه عن لوازم العبوديّة من الوقوف بين يدي سيّده، لامتثال أوامره ومراسمه. ألا ترى اسم العبوديّة ينسحب عليه، سواء كان مطيعا أو مخالفا، كما يبقى اسم البنوّة على الابن، سواء كان برًّا[4] أو عاقًّا؟

فالعبد الذي وفّى ما خُلق له لا يخلو أمره في نفسه من حالتين: إمّا أن يكون مشهودُه قيمتَه، فهو يقوم في مقام قيمتِه، فيصحبه الانكسار والتسليم والخضوع. وإمّا أن يقام في حال الاعتزاز بسيّده، فيظهر عليه العُجب بذلك، والنخوة، كعتبة الغلام لمّا زها، فقيل له في ذلك فقال: "وكيف لا أزهو! وقد أصبح لي[5] مولى، وأصبحت له عبدا". كما هو الأمر في نفسه، ولكنّ الفَضْل في أن يكون ذلك الأمر مشهودا له.

فهاتان حالتان محمودتان تشهد كلٌّ واحدة منها للعبد بأنّه وفّى بما خُلِق له. وبقي: أيُّ الحالتين أَوْلى بالعبد: هل شهود القيمة، أو الاعتزاز بالسيّد؟ فمِن قائل بهذا، ومن قائل بهذا. والصحيح عندي عدم الترجيح في ذلك، لما نذكره؛ وذلك أنّ المقامات والمواطن تختلف. فالموطن الذي يطلب ظهور الاعتزاز بالله، لا ينبغي أن يظهر فيه العبد إلّا بالاعتزاز بالله، والموطن الذي يقتضي ويطلب بذاته شهودَ العبد قيمتَه، لا ينبغي أن يظهر فيه هذا العبد إلّا بشهود قيمته.

١ ص ٦١
٢ "الذي جاءت به الواسطة" ثابتة في الهامش بقلم آخر، وورد في هـ، س
٣ ما بين القوسين لم يرد في ق، وأثبتناه من هـ، س
٤ س، هـ: بارا
٥ ص ٦١ب

وقد احتجّ بعضهم في الاعتزاز بقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[1] وبأمره -تعالى-: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[2] وهذه حجّة للفريقين. فإنّه قد يفرّ إلى الله لطلب الاعتزاز بالله، وقد يفرّ إلى الله لتكون ذلّته إلى الله وحاجته لا إلى غيره؛ إذ هو مفطور على الحاجة والافتقار. ولهذا قال بعد الأمر بالفرار إلى الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[3] تفتقرون إليه، بل فِرّوا إلى الله في طلب حوائجكم منه التي فُطرتم عليها.

وأمّا فرار موسى عليه السلام الذي علّله بالخوف[4] من فرعون وقومه؛ فما كان خوفه إلّا من الله أن يسلّطهم عليه، إذ له ذلك، ولا يدري ما في علم الله. كان فراره إلى ربّه ليعتزّ به؛ فوهبه ربّه حكما وجعله من المرسلين إلى مَن خاف منهم، بالاعتزاز بالله، وأيّده بالآيات البيّنات ليشدّ منه ما ضعف، مما يطلبه حكم الطبيعة في هذه النشأة، فإنّ لها خورا عظيما، لكونها ليس بينها وبين الأرواح -التي لها القوّة والسلطان عليها- واسطة ولا حجاب؛ فلازمها الخوف ملازمة الظلّ للشخص.

فلا يتقوّى صاحبُ الطبيعة إلّا إذا كان مؤيّدا بالروح، فلا يؤثّر فيه خور الطبيعة، فإنّ الأكثر فيه جزء الطبيعة. وروحانيّته، التي هي نفسُه المدبّرة له، موجودة عن الطبيعة؛ فهي أُمّها وإن كان أبوها روحا. فللأُمّ أثر في الابن، فإنّه في رحمها تكوّن، وبما عندها تغذّى. فلا تتقوّى النفسُ بأبيها إلّا إذا أيّدها الله بروح قدسيّ ينظر إليها، فحينئذ يقوى على حكم الطبيعة، فلا تؤثّر فيها التأثير الكلّيّ، وإن بقي فيه أثر فإنّه لا يمكن زواله بالكلّيّة.

واعلم أنّ الطبيعة وَلُودٌ لا عقم فيها، ودودٌ متحبّبة لزوجها طلبا للولادة، فإنّها تحبّ الأبناء، ولها الحنوّ العظيم على أولادها، وبذلك[5] الحنوّ تستجلبهم إليها، فإنّ لها التربية فيهم، فلا يعرفون سِوَاهَا. ولهذا لا ترى أكثر الأبناء إلّا عبيدا للطبيعة، لا يبرحون من المحسوسات والملذوذات

١ [الشعراء : ٢١]
٢ [الذاريات : ٥٠]
٣ [الذاريات : ٥١]
٤ ص ٦٢
٥ ص ٦٢ب

الطبيعيّة. إلّا القليل؛ فإنّهم ناظرون إلى أبيهم، وهم المتروحنون، وليس علامتهم التنوّع في الصور؛ فإنّ التنوّع في الصور، كما هو لهم، هو للطبيعة أيضا.

وإنّما علامة المتروحنين على أنّهم أبناء أبيهم؛ تنزّههم عن الشهوات الطبيعيّة، وأخذهم منها ما يقيمون به نشأتهم. كما قال ﷺ: «حسبُ ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» فهمّتهم اللحوق بأبيهم، الذي هو الروح الإلهيّ اليائيّ، لا الأمريّ. وإنّما قلنا: اليائيّ لقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1] بياء الإضافة إليه، لأنّه فرق بين روح الأمر وروح ياء الإضافة. فجعل روح الأمر لما يكون به التأييد، وجعل روح الياء لوجود عين الروح، الذي هو كلمة الحقّ المنفوخ في الطبيعة. فحنّ حنين الولد إلى أبيه ليتأيّد به على ما يطلبه من شهود الحقّ الخارج عن الروح والطبيعة، من حيث ما هو غنيّ عنها، لا من حيث ما هو متجلّ للأبناء منها، أو بها، أو فيها. كلّ ذلك له. وهذا مطلب عزيز.

فإذا ناله وتقوّى به أتى[2] الشهوات بحكم الامتنان عليها، نزولا منه إليها، فهو يحكم بها على المشتهيات، ما تحكم عليه شهوة في المشتهيات؛ فهو مشتهى الشهوة، وغيره تحت حكم الشهوة. فصاحب هذا المقام يحدث عين الشهوة في نفسه قضاء وإجابة، لسؤالات[3] مَن يشتهي منه مِن عالمه الخاصّ به؛ فينالون بتلك الشهوة ما يشتهون؛ فيتنعّم الروح الحيوانيّ، وهي ناظرة إلى ربّها غير محجوبة، قد تجلّى لها في اسمه "الخلّاق"، وخلع عليها هذا الاسم ليتكوّن عنها ما تريد لا ما تشتهي. فهذه هي النفوس الفاضلة الشريفة، المتشبّهة بمن هي له. فتنظر إلى الطبيعة نظر الولد البارّ لأمّه، مع استغنائه عنها، وفاءً لحقّها.

وإنّ الناس انقسموا في هذا الحكم أقساما. فمنهم مَن عبَد الله وفاءً لحق العبوديّة، فأقام نشأتها على الكمال؛ فأعطاها خلقها. ومنهم مَن عبد الله وفاءً لحقّ الربوبيّة الذي تستحقّه على هذا العبد، فأقام نشأة سيادة خالقه عليه، فأعطاها خلقها من غير نظر إلى نفسه. كما كان الأوّل

١ [الحجر : ٢٩]
٢ ص ٦٣
٣ ق: "في سؤال" وفي الهامش: "لسؤالات" مع إشارة التصويب

من غير نظر إلى سيادة سيّده، بما هي ظاهِرةُ كلُّ نشأة، لا بما هي في نفس الأمر؛ لأنّ العبد لا تعمُّل له فيما تقتضيه الأمور لأنفسها[1]. ومنهم مَن عبده لإقامة النشأتين، فأعطاهما خلقهما؛ فأقام نشأة عبوديّته، ونشأة سيادة سيّده؛ وذلك في وجوده وعينه، إذ هو محلٌّ لظهور هذه النشأة. ومنهم مَن عبد الله لكونه مأمورا بالعبادة، وما عنده خبر بإقامة هذه النشآت؛ فعَبَدَه بلازم العبوديّة؛ فعبادته عن أمر إلهيّ، ما هي ذاتيّة. ومنهم مَن أقامه الله في العبادة الذاتيّة، فلم يُحضِر أمرَه إلّا في العمل، لا في العبادة.

ومنهم مَن عبده بهذه الوجوه كلّها، وهو أقوى القوم في العبادة. والنشأة القائمة من مثل هذا العبد أتمّ النشآت خلقا، فإنّ إقامة النشأة لا بدّ منها. فإن كانت مقصودة للعبد، أضيفت إليه وحُمِد عليها، وإن لم تكن مقصودة للعبد العابد أقامها الحقُّ -تعالى- وأضيفت إلى الله، وحمد عليها مع ظهورها من العابد. والقصد إلى إيجادها، أَوْلَى من الغفلة عنها أو الجهل بها. فمن الناس مَن يشهد ما ينشئ، ومن الناس مَن لا يشهد ما ينشئ، لأنّه لا يعلم أنّه ينشئ، فيتولّى الله إنشاءه على غير علم منه حتى تقوم صورة النشأة؛ فيشهدها العابد حينئذ صادرة عنه، فيحمد الله حيث ظهر منه مثل هذا. فهم على طبقات في[2] هذا الباب، أعني باب العبادة. وهكذا الحكم فيما ينشئ عنهم من صور الأعمال الظاهرة والباطنة، هم فيها على طبقات مختلفة: فمنهم الجامع للكلّ، ومنهم النازل عن درجة الجمع.

فَصْلٌ
(حكم الاسم الفرد)

ثمّ اعلم أنّ الأحد لا يكون عنه شيء ألبَتَّة، وأنّ أوّل الأعداد إنما هو الاثنان، ولا يكون عن الاثنين شيء أصلا، ما لم يكن ثالث يزوّجهما ويربط بعضهما ببعض، ويكون هو الجامع لهما؛ فحينئذ يتكوّن عنهما ما يتكوّن، بحسب ما يكون هذان الاثنان عليه: إمّا أن يكونا من الأسماء الإلهيّة، وإمّا من الأكوان المعنويّة أو المحسوسة، أيّ شيء كان. فلا بدّ أن يكون الأمر على ما

١ ص ٦٣ب
٢ ص ٦٤

ذكرناه.

وهذا هو حكم الاسم الفرد. فالثلاثةُ أوّل الأفراد، وعن هذا الاسم ظهر ما ظهر من أعيان الممكنات، فما وُجِد ممكن من واحد وإنما وُجِد من جمع، وأقلّ الجمع ثلاثة وهو الفرد؛ فافتقر كلّ ممكن إلى الاسم الفرد. ثمّ إنّه لمّا كان الاسم الفرد مثلّث الحكم، أعطى في الممكن الذي يوجده ثلاثةَ أمور لا بدّ أن يعتبرها، وحينئذ يوجده. ولمّا كان الغايةُ في المجموع الثلاثةَ التي هي أوّل الأفراد، وهو أقلّ الجمع، وحصل بها المقصود والغنى[1] عن إضافة رابع إليها، كان غاية قوّة المشرك الثلاثة، فقال: "إنّ الله ثالث ثلاثة" ولم يزد على ذلك. وما حكي عن مشرك بالله أنّه قال فيه غير ثالث ثلاثة، ما جاء رابع أربعة، ولا ثامن ثمانية.

وهكذا ظهرت في البسملة ثلاثة أسماء، لمّا كان مَن أعطى التكوين يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2] والتكوين الإلهيّ عن قول: ﴿كُنْ﴾ وهو ثلاثة أحرف: كاف، وواو، ونون. الواو بين الكاف والنون لا ظهور لها، لأمرٍ عارضٍ أعطاه سكون النون وسكون الواو، إلّا أنّه للنون سكون أمر.

فانظر سريان الفرديّة الأوّليّة كيف ظهر في بروز الأعيان، واعتبر الاسم فيما يتكوّن عنه ثلاثة أمور جعلها حقوقا. فمَن أحضر من العابدين، المنشئين صور أعمالهم وعباداتهم، هذه الحقوق عند إرادتهم إنشاءها، وأعطى كلّ ذي حقّ حقّه في هذه النشآت، كان أتمّ وأعلى درجة عند الله، ممن لم يقصد ما قصده.

والصورة المنشأة فيها ثلاثة حقوق يقصدها الموجِد الفرد: الحقّ الواحد لله، وهو ما يستحقّه منها من التنزيه والتسبيح بحمده. وحقٌّ لنفس الصورة من الاسم الفرد، وهو إيجادها بعد أن لم تكن، لتتميّز في حضرة الوجود وتنصبغ به، وتلحق بما هو صفة لخالقها[3] وموجدها، وهو الله. وهذه الدرجة الأُولَى من درجات التشبّه به؛ الظهور في الوجود والانصباغ به. والحقّ الثالث ما

١ ص ٦٤ب
٢ [الفاتحة : ١]
٣ ص ٦٥

للغير في وجودها من المصلحة، فتعطيه تلك النشأة حقّ ذلك الغير منها، وهو مقصودٌ لوجدها.

وذلك الغير صنفان: الصنف الواحد الأسماء الإلهيّة. فتظهر آثارها، المتوقّف ظهور تلك الآثار على وجود هذه العين. والصنف الآخر ما فيها من حقوق الممكنات التي لا تكون لها إلّا بوجود هذه الصورة المنشأة. فيقصد المنشئ لها، في حين الإنشاء، هذه الأمور كلّها. فيكون الثناء الإلهيّ على هذا العابد بحسب ما أحضر من ذلك وما قصد.

فمنهم من يجمع هذا كلّه في صورة عبادته وصورة عمله، فيسري التثليث في جميع الأمور لوجوده في الأصل. ولهذا قال، فيمن قال بالتثليث: إنّه كافر، فقال (تعالى): ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[1] وما سمّاه مشركا. فإنّه ستَر ما كان ينبغي له -إذ قال به- أن يبيّن صورته، ولو أبان صورته لقال هذا الذي قلناه، وتبيّن للسامع الحقُّ في ذلك. فلمّا ستر هذا البيان[2] سمّاه كافرا، لأنّه ما من إله إلّا إله واحدٌ، وإن كانت له أحكام مختلفة، ولا بدّ منها. فلو لم يستر هذا الكافر، وأبان، لقال ما هو الأمر[3] عليه.

وأمّا من يدّعي أنّ الآلهة ثلاثة، فذلك مشرك جاهل، ونعوذ بالله أن يكون عاقلٌ من المشركين.

فالعدد أحكامٌ لواحد، وقد جاء العدد في الأسماء الحسنى، وجاء: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾[4] من حيث دلالته على عين المسمّى ﴿فَلَهُ﴾ أي لذلك المسمّى ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التي[5] "الله" و"الرحمن" منها من حيث ما هي أسماء. لكن الأفهام قاصرة عن إدراك ما يريد الله في خطابه، بأيّ لسان كان. فهذا بعض ما في هذا المنزل قد ذكرناه. فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم النافعة على طريق الذّكرى ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6] فنقول ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ

١ [المائدة : ٧٣]
٢ ق: "اللسان" وفي الهامش: "البيان"
٣ ص ٦٥ب
٤ [الإسراء : ١١٠]
٥ ق: "الذي" وفي الهامش: "التي"
٦ [الذاريات : ٥٥]

الْحَقَّ﴾[1] ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]:

فمن ذلك عِلمُ أسماء التكوين. وعِلمُ حروف التكوين. وعِلمُ الأرواح المفرّقة لا الجامعة.

وعِلمُ الأمور الحاملة للأشياء: ما يقصد بحملها؟ ولمن تنتهي بالحمل إليه؟

وعِلمُ السعايات: ما نهايتها؟ وما المقصود بها من السعاة: هل لنيل ما ليس عندهم؟ أو لإيصال ما عندهم لمن يطلبه؛ إمّا بذاته الذي هو الطلب الذاتي؟ وإمّا بسؤال منه في ذلك، فيعطيه هذا الساعي بتيسير، ويريحه مِن سعيه إليه وكدّه ومشقّته؟.

وعِلمُ[3] تفاصيل الأمور، ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع تفاصيلها وتقسيمها: هل إلى الأصل، وهو الأسماء الإلهيّة؟ أو للقوابل، وهي أعيان الممكنات؟ أو للمجموع، أيّ أمر كان من الأمور التي يطلبها التفصيل والتقسيم؟.

وعِلمُ الجزاء، وصدق الوعد دون الوعيد.

وعِلمُ مدارج الملائكة والأرواح المفارقة المحمولة في الصور الجسديّة.

وعِلمُ الخلاف من علم الاتّفاق، وفي ماذا ينبغي الاتّفاق؟ وفي ماذا ينبغي الاختلاف؟ وهل للاختلاف وجه إلى الموافقة أم لا؟

وعِلمُ السبب الذي منه يتنبّأ مَن ليس بنبيّ وهو المتنبّئ.

وعِلمُ سبب السهو في العالم. وعِلمُ الفتن والملاحم.

وعِلمُ صورة الأخذ من الله كيف يكون على الكشف؟ وما أنتجه في الآخذين من أعمالهم في زمان التكليف؟.

وعِلمُ المسامرة بعد إعطاء الحقوق. وعِلمُ الستر والتجلّي في بعض المواطن.

١ [الأحزاب : ٤]
٢ [يونس : ٢٥]
٣ ص ٦٦

وعِلْمُ أداء الحقوق، ومن يؤدّي بعد طلب صاحب الحقّ حقّه، ومن يبادر به.

وعِلْمُ علامات اليقين. وعِلْمُ أينيّات الأشياء، وتمييز كلّ أين بتميّز الشيئيّة التي تطلبه.

وعِلْمُ التشبيه بين الأشياء بالروابط التي تجمعها والوجوه، وإن فرّقتها أمور أُخَر فحُكم الجامع لا يزول، كما أنّ حكم الفارق لا يزول، فإنّه الحكم المقوّم لذات الشيء.

وعِلْمُ[1] حقوق الزائرين.

وعِلْمُ سبب تقديم السلام على تقديم الطعام للضيف النازل، وتقديم الطعام قبل الكلام. وعِلْمُ ما يتعيّن على الضيف أن يقوله، ويعرّف به صاحب المنزل، لماذا يتعيّن عليه؟.

وعِلْمُ الرسالة، وظهور المَلَك في صورة البشر عند أداء الرسالة؛ ما سببه في بعض الأحوال دون بعض؟

وعِلْمُ الرسالة البشريّة.

وعِلْمُ الأخذات الإلهيّة.

وعِلْمُ تأثير القوّة: هل تؤثّر في قويّ؟ أو ضعيف مطلق؟ أو ضعيف إضافي؟

وعِلْمُ التمهيد والسياسات والنواميس والشرائع.

وعِلْمُ النتاج والإنتاج بين الزوجين.

وعِلْمُ ما طلب الحقّ من عباده على الإطلاق والعموم وعلى التقييد.

١ ص ٦٦ب

الباب الرابع والثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل تجديد المعدوم
وهو من الحضرة الموسويّة

هَوَى النُّورُ فَازْدَدَّتْ عُقُولٌ كَثِيرَةٌ ... عَنِ الحَقِّ لَمَّا أَنْ تَحَقَّقَتِ الهَوَى

وَجاءَ[1] بِحُبٍّ لا يَشُوبُ صَفاءَهُ ... مِنَ الرَّنْقِ[2] ما يُعْمِيهِ فِي مَوْقِفِ السوا

وَثَبَّتَهُ النَّعْتُ الوَدُودُ بِذَاتِهِ ... فَقَامَ خَطِيبًا بَيْنَ مَرْوَةَ والصَّفَا

وَقالَ: أَنَا العِشْقُ الذِي سَجَدَتْ لَهُ ... جِبَاهٌ لِعُشّاقٍ وَأَوْجُهُهَا العُلَا

اعلم -أيّدك الله- أنّ تجديد المعدوم لا يكون إلّا في المعدوم الإضافي. كعدم زيد الذي كان في الدار، فعاد إلى الدار بعد ما كان معدوما عنها بوجوده في السوق. قال -تعالى- في هذا المقام: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[3] فكان محدَثا عندهم، لا في عينه.

وأمّا في الأعراض؛ فهل تُرَدُّ بأعيانها بعد عدمها، أو هي أمثالها لا أعيانها؟ ففي إمكان النظر العقليّ أنّه لا يحيل رجوعها في أعيانها بعد عدمها. فيكون عين الحركة، من المتحرّك، إذا التحقت بالعدم، ثمّ أعقبها السكون، ثمّ تحرّك ذلك الساكن في زمان آخر، يمكن أن يكون تحريكه من حكم تلك الحركة؛ أوجدَها الحقُّ بعد عدمها أو زمان عدمها، يكون خلقها في متحرّك آخر غير ذلك المحلّ؛ فيكون[4] (ذلك) تجديد الوجود عليها؛ فتتصف بالوجود مرّتين، أو مرارا.

وهذا في الكشف لا يكون؛ للاتّساع الإلهيّ. فلا يُكرّر شيئا أصلا؛ فهو في خلق جديد، لا في تجديد. فإذا أطلق على الجديد اسم التجديد فلِما يعطيه الشبه القويّ الذي يعسر مَيْزه وفصله عن مثله فيتخيّل، لوجود الإمكان في النظر العقليّ أنّه عين ما انعدمَ جَدَّدَ الحقُّ عليه

١ ص ٦٧
٢ الرنق: الكدر
٣ [الأنبياء : ٢]
٤ ص ٦٧ب

الوجود. ويقال في الليل والنهار: الجديدان، لا المتجدّدان. فما هو يوم السبت يوم الأحد، ولا هو يوم السبت من الجمعة الأخرى، ولا هو (من) الشهر، (ولا) من السنة. ولا واحد الأحد عشر مركّب من العشرة والواحد الذي كان واحدا في أوّل العدد، والعشرة التي انتهى إليها العدد، وحينئذ ظهر التركيب؛ بل هذا واحد مثله، وعشرة مثلها، ولهما حقيقة واحدة هي أحديّة الأحد عشر، والواحد والعشرين، والواحد والثلاثين.

وكلّ ما ظهر من واحد مركّب، ما هو عين الواحد الآخر المركّب، ولا هو عين الواحد البسيط تَرَكَّبَ؛ بل هو أحد عشر. لنفسه حقيقة واحدة، وكذلك واحد وعشرون، وواحد ومائة، وواحد وألف. كلّ واحد مع ما أضيف إليه عينٌ واحدة، ما هو مركّب من أمرين. فاعلم ذلك، فإنّه علم[1] نافع في الإلهيّات، لما فيها من الأسماء والصفات المقولة على الذات، المعقول منها كونها كذا، ما هو عين كونها كذا؛ فتعرف مِن هذا مَن تجلّى لك في كلّ تجلّ. ولهذا قالت الطائفة من أهل الأذواق: إنّ الله ما تجلّى في صورة واحدة مرّتين، ولا في صورة واحدة لشخصين. فهو في كلّ يوم من أيّام الأنفاس، التي هي أصغر الأيّام، في شأن، بل في شئون. فمَن عَلِم سعة الله عَلِم سعة رحمته، فلم يُدْخِلها تحت الحجر، ولا قَصَرَها على موجود دون موجود.

واعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّ القرآن مجدّد الإنزال على قلوب التالين له، دائما أبدا؛ لا يتلوه مَن يتلوه إلّا عن تجديد تنزّل من الله الحكيم الحميد. وقلوب التالين لنزوله عُرُشٌ يستوي عليها في نزوله إذا نزل، وبحسب ما يكون عليه القلب المتخذ عرشا لاستواء القرآن عليه من الصفة، يظهر القرآن بتلك الصفة في نزوله، وذلك في حقّ بعض التالين. وفي حقّ بعضهم تكون الصفة للقرآن؛ فيظهر عرش القلب بها عند نزوله عليه. سئل الجنيد عن المعرفة والعارف فقال: "لونُ الماء لونُ إنائه" ولو سئل عارف عن القرآن والقلب المنزل عليه، لأجاب بمثل هذا الجواب.

واعلم[2] أنّ الله نعتَ العرش بما نعتَ به القرآن، فجاء القرآن مطلقا من غير تقييد، وجاء ذِكْر

١ ص ٦٨
٢ ص ٦٨ب

العرش مطلَقا من غير تقييد. فالقرآن المطلق للعرش المطلق، أو العرش المطلق للقرآن المطلق؛ بحسب ما يقع به الشهود من المؤثِّر والمؤثَّر فيه. والعُرُش المقيّدة بما قيّد به القرآن: فقرآن عظيم لعرش عظيم، وقرآن كريم لعرش كريم، وقرآن مجيد لعرش مجيد. فكلّ قرآن مستوٍ على عرشه، بالصفة الجامعة بينهما. فلكلّ قلبٍ قرآنٌ من حيث صفتِه، مجدَّد الإنزال، لا مجدَّد العين. والدرجات الرفيعة لذي العرش كالآيات والسور للقرآن.

فأمّا القرآن المطلَق فمثل قوله (تعالى): ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[1] والعرش المطلَق في قوله (تعالى): ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[2] والقلب ترتفع درجاته بارتفاع درج آيات القرآن. ولهذا يقال لقارئ القرآن يوم القيامة: «اقرأ وارْقَ كما كنت تقرأ» وينتهي بالرقيّ إلى آخر آية ينتهي إليها بالقراءة، والدرجات عين المنازل. فإذا نزل القرآن على قلب عبد، وظهر فيه حكمه، واستوى عليه بجميع ما هو عليه مطلقا، وكان خُلُقا لهذا القلب، كان ذلك القلب عرشا له.

سئلت عائشة عن خُلُق[3] رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقه القرآن» فما من آية في القرآن إلّا ولها حكم في قلب هذا العبد، لأنّ القرآن لهذا نزل؛ ليَحكم لا ليُحكم عليه، فكان عرشا له مطلقا. كان رسول الله ﷺ في تلاوته القرآن، إذا مرّ بآية نعيم حكمتْ عليه بأن يسأل الله من فضله؛ فكان يسأل الله من فضله، وإذا مرّ بآية عذاب ووعيد حكمتْ عليه بالاستعاذة؛ فكان يستعيذ. وإذا مرّ بآية تعظيم لله حكمتْ عليه بأن يعظّم الله، ويسبّحه بالنوع الذي أعطته تلك الآية من الثناء على الله. وإذا مرّ بآية قصص وما مضى. من الحُكم الإلهيّ في القرون قبله، حكمتْ عليه بالاعتبار، فكان يعتبر. وإذا مرّ بآية حُكم حكمتْ عليه أن يقيم في نفسه مَن يوجّه عليه ذلك الحكم، فيحكم عليه به، فكان يفعل ذلك. وهذا هو عين التدبُّر لآيات القرآن، والفهم فيه.

١ [البقرة: ١٨٥]
٢ [غافر: ١٥]
٣ ص ٦٩

ومتى ما لم يكن التالي حالُه في تلاوته كما ذكرنا، فما نزل على قلبه القرآنُ، ولا كان عرشا لاستوائه؛ لأنّه ما استوى عليه بهذه الأحكام، وكان نزول هذا القرآن أحرفا ممثّلة في خياله، كانت حصلت له من ألفاظ معلّمه[1] إن كان أخذه عن تلقين، أو من حروف كتابته إن كان أخذه عن كتابة. فإذا أحضر تلك الحروف في خياله، ونظر إليها بعين خياله، ترجم اللسان عنها، فتلاها من غير تدبُّر ولا استبصار، بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله، وله أجر الترجمة لا أجر القرآن، ولم ينزل على قلبه منه شيء. كما قال رسول الله ﷺ في حقّ قوم من حفّاظ حروف القرآن: «يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم» أي ينزل من الخيال الذي في مقدّم الدماغ إلى اللسان، فيترجم به، ولا يجاوز حنجرته إلى القلب الذي في صدره، فلم يصل إلى قلبه منه شيء. وقال فيهم: إنّهم «يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرميّة» لا ترى فيه[2] أثرا من دم الرميّة. وكلامنا ليس هو مع مَن هذه صفته من التالين.

وليس التالي إلّا مَن تلاه من قلبه، والقرآن صفة ربّه وصفته ذاتُه، والقلب المؤمن به التقيّ الورع قد وسعه؛ فهذا هو العرش الذي وسع استواء الحقّ، الذي هو ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾.

وما أحسن ما نبّه الله على صاحب هذا المقام الذي كان قلبه عرشا للقرآن ذوقا وتجلّيا؛ فيعلم لذوقه وخبرته اتّصافَ[3] الرحمن بالاستواء على العرش؛ ما معناه؟ وأَمَرَ من ليس يعلم ذلك أن يسأل من يعلمه، عِلم خبرة من نفسه، لا علم تقليد، فقال -تعالى-: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[4] أي: فالمسئول الذي هو بهذه الصفة من الخبرة يعلم الاستواء، كما يعلمه العرش الذي استوى عليه الرحمن؛ لأنّ قلبه كان عرشا لاستواء القرآن، كما قرّرناه. فانظر ما أعجب تعليم الله عباده المتّقين الذي قال فيهم: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[5]

١ ص ٦٩ب
٢ ق: فيها
٣ ص ٧٠
٤ [الفرقان : ٥٩]
٥ [الأنفال : ٢٩]

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1] ومعناه أن يفهّمكم الله معاني القرآن، فتعلموا مقاصد المتكلّم به. لأنّ فَهْم كلام المتكلّم ما هو بأن تعلم وجوه ما تتضمّنه تلك الكلمة بطريق الحصر ممّا تحوي عليه ممّا تواطأ عليه أهلُ ذلك اللسان، وإنّما الفهم أن تفهم ما قصده المتكلّم بذلك الكلام: هل قصد جميع الوجوه التي يتضمّنها[2] ذلك الكلام، أو بعضها؟.

فينبغي لك أن تفرّق بين الفهم للكلام، أو الفهم عن المتكلّم، وهو المطلوب. فالفهم عن المتكلّم ما يعلمه إلّا مَن نزل القرآن على قلبه، وفَهْمُ الكلام للعامّة. فكلُّ مَن فهم من العارفين عن المتكلّم فقد فهم الكلام، وما كلّ مَن فهم الكلام فهم عن المتكلّم[3] ما أراد به على التعيين؛ إمّا كلّ الوجوه أو بعضها. فقد نبّهتُك على أمر إذا تعمّلتَ في تحصيله من الله؛ حصلتَ على الخير الكثير، وأوتيتَ الحكمة. جعلنا الله ممن رُزق الفهم عن الله.

فنزول القرآن على القلب بهذا الفهم الخاص هي تلاوة الحقّ على العبد. والفهمُ عنه فيه تلاوةُ العبد على الحقّ، وتلاوةُ العبد على الحقّ عَرَض الفهم عنه، ليعلم أنّه على بصيرة في ذلك، بتقرير الحقّ إيّاه عليه. ثمّ يتلوه باللسان على غيره بطريق التعليم، أو تذكُّره لنفسه لاكتساب الأجر، وتجديد خَلْقِ فَهْمٍ آخر. لأنّ العبد المنوّر البصيرة، الذي هو على نور من ربّه، له في كلّ تلاوةٍ فَهْمٌ في تلك الآية، لم يكن له ذلك الفهم في التلاوة التي قبلها، ولا يكون في التلاوة التي بعدها. وهو الذي أجاب الله دعاءه في قوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4]. فمن استوى فهمه في التلاوتين فهو مغبون، ومَن كان له في كلّ تلاوة فَهْمٌ فهو رابح مرحوم، ومَن تلا من غير فهم فهو محروم.

فالآية عنده ثابتة محفوظة، والذي يتجدّد له الفهم فيها عن الله في كلّ تلاوة، ولا يكون ذلك إلّا بإنزال؛ فتارةً[5] يحدث إنزاله من الربّ الذي ينظر إلى التالي خاصّة، لا من حضرة مطلق الربوبيّة. وتارة يحدث إنزاله من الرحمن مطلقا، لكون الرحمن له الاستواء على العرش

١ [البقرة : ٢٨٢]
٢ ق: "الذي يتضمنه" وصححت في الهامش
٣ ص ٧٠ب
٤ [طه : ١١٤]
٥ ص ٧١

المحيط مطلَقا، وله الرحمة التي وَسِعَتْ كلّ شيء، فلم يتقيّد. والربّ ليس كذلك، فإنّه ما ورد الربّ في القرآن إلّا مضافا إلى غائب، أو مخاطَب، أو إلى جهة معيّنة، أو إلى عين مخصوصة بالذّكْر، أو معيّن بدعاء خاصّ؛ لم يرد قطّ مطلقا مثل "الرحمن".

والاسم "الله" له حكم "الرحمن" وحكم "الربّ" فورد مضافا ومطلقا مثل قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[1] فورد مطلقا، ومثل قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾[2] فورد مقيّدا، ولكن بلفظة: ﴿إِلَهٍ﴾ لا بلفظة "الله". فمَن راعى قصد التعريف لم يفرّق بين الله والإله. ومَن راعى حفظ الاسم وحرمته -حيث لم يَتَسَمَّ به أحدٌ، وتسمّى بإله- فرّق بين اللفظين؛ وإذا فرّق فيكون حكم لفظ "الله" لا يتقيّد.

فإذا كان حدوثه في الإنزال على القلب من الربّ، ينزل مقيَّدا ولا بدّ، فيكون عند ذلك: قرآنا كريما، أو قرآنا مجيدا، أو قرآنا عظيما. ويكون القلبُ النازل عليه بمثل ما نزل عليه من الصفة: عرشا عظيما، أو عرشا كريما، أو[3] عرشا مجيدا. وإذا حدث نزوله من الرحمن على القلب، لم يتقيّد بإضافة أمر خاص؛ فكان القلب له عرشا غير مقيَّد بصفة خاصة؛ بل له بمجموع الصفات والأسماء. كما أنّ الرحمن له الأسماء الحسنى، كذلك لهذا العرش النعوت العلى بمجموعها.

وإنما قلنا ذلك لأنّه نزل علينا في الفهم عن الله في القرآن، إطلاقُ القرآن في موضع، وتقييدُه بالعظمة في موضع، في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[4]، وقيّده في موضع آخر بالمجد فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[5] و﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[6]، وقيّده في موضع آخر بصفة الكرم فقال -تعالى-: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[7]. فلمّا أطلقه، وقيّده بهذه الصفات المعيّنة، وجعل القلب مستواه؛ خلع عليه نعوت القرآن من إطلاقٍ وتقييد. فوصف عرش

١ [الإسراء : ١١٠]
٢ [البقرة : ١٦٣]
٣ ص ٧١ب
٤ [الحجر : ٨٧]
٥ [البروج : ٢١]
٦ [ق : ١]
٧ [الواقعة : ٧٧]

القلب في الإطلاق في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾[1] ولم يقيّد العرش بشيء من الصفات كما لم يصف الرحمن، ولمّا قيّد العرش قيّده بما قيّد به القرآنَ من الصفات، فقال في العظمة: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2] فأخذه القرآن العظيم، وقال في الكرم: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[3] فاستوى عليه القرآن الكريم، وقال: ﴿ذُو[4] الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾[5] في قراءة مَن خفض وجعله نعتا للعرش؛ فاستوى عليه القرآن المجيد. فعظّم العرش القلبي، ومجّد، وكرّم؛ لِعِظَمِ القرآن، وكرمه، ومجده. فجاء بثلاثة نعوت للقرآن لما هو عليه الأمر في نفسه من التثليث.

وقد تقدّم الكلام قبل هذا، في غير هذا الباب، في الاسم الفرد، وأنّ له في المرتبة الأُولَى التي يظهر فيها وجود عينه، مرتبة البداية[6]؛ فهي أوّل الأفراد، فلتُنظر هناك رتبة التثليث في العالَم. وقد تقدّم لنا شعر في التثليث في بعض منظومنا نشير به إلى هذا المعنى، وهو في ديوان "ترجمان الأشواق" لنا وأوّل المقطوعة:

بِذِي سَلَمٍ والدَّيْرِ مِنْ حاضِرِي الحِمَى ظِبَاءٌ تُرِيْكَ الشَّمْسَ فِي صُوَرِ الدُّمَى
فأَرْقُبُ أَفْلاكًا وأَخْدُمُ بِيْعَةً وأَحْرُسُ رَوْضًا بِالرَّبِيْعِ مُنَمْنَمَا
فَوَقْتًا أُسَمَّى رَاعِيَ الظَّبْيِ بِالفَلَا وَوَقْتًا أُسَمَّى رَاهِبًا ومُنَجِّمَا

إلى آخر القصيدة. وشرحناها عند شَرْحِنا لديوان "ترجمان[7] الأشواق".

وقد علمتَ -يا وليّ- حدوث نزول القرآن المطلَق على القلب من غير تقييد، وأنّه الذّكْر الذي أتاه من الرحمن، ولكن ما أَعرض عنه كما أَعرض مَن تولّى عن ذِكْره -تعالى- بل تلقّاه بالقبول والترحيب.

١ [الفرقان : ٥٩]
٢ [التوبة : ١٢٩]
٣ [المؤمنون : ١١٦]
٤ ص ٧٢
٥ [البروج : ١٥]، بقراءة حمزة والكسائي وخلف
٦ هـ، س: الثلاثة
٧ ص ٧٢ب

فَقَالَ لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا ومَرْحَبًا   فَرَدَّ بِتَأْهِيلٍ وَسَهْلٍ ومزحبِ

وجعل قلبه عرشا له، فاستوى عليه بحكمه.

وأمّا إذا أتاه القرآن من ربّه، فإنّه القرآن المقيّد بالصفات التي ذكرناها، فيتلقّاه أيضا هذا العبدُ كما تلقّاه من الرحمن بأهلٍ وسهلٍ ومرحب، ويجعل قلبه عرشا له من حيث تلك الصفة المعيّنة؛ فيكسوه القرآنُ صفةَ ما جاء به من عظمةٍ، أو مجدٍ، أو كرمٍ. فظهرت صورة القرآن في مرآة هذا القلب؛ فوُصِف القلب بما وُصِف به القرآن. فإن كان نزوله بصفة العظمة، أثّر في القلب هيبة، وجلالا، وحياء، ومراقبة، وحضورا، وإخباتا، وانكسارا، وذلّة، وافتقارا، وانقباضا، وحفظا، ومراعاة، وتعظيما لشعائر الله. وانصبغ القرآن كلّه عنده بهذه الصفة. فأورثه ذلك عظمة عند الله، وعند أهل[1] الله. ولم يجهل أحدٌ من المخلوقات عظمة هذا الشخص إلّا بعض الثّقلين، لأنّهم ما سمعوا نداء الحقّ عليه بالتعريف. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا أحبّ الله عبدا قال لجبريل: إنّي أحبُّ فلانا؛ فيحبّه جبريل. ثمّ يأمره أن يُعْلِم بذلك أهلَ السماء فيقول: ألا إنّ الله -تعالى- قد أحبَّ فلانا فأحبّوه؛ فيحبّه أهل السماء كلّهم. ثمّ يُوضَع له القبول في الأرض» ولكن عند مَن؟ وأين كان قتلةُ الأنبياء من هذا القبول؟.

أخبر صاحبنا موسى السَّدْراتي، وكان صاحبَ خطوة محمولا، قال: لمّا وصلت إلى جبل قاف، وهو جبل عظيم، طوّق الله به الأرض، وطوّق هذا الجبل بحيّة عظيمة، قد جمع الله رأسها إلى ذَنَبها بعد استدارتها بهذا الجبل. قال موسى: فاستعظمتُ خَلقها!. قال: فقال لي صاحبي الذي كان يحملني: سَلِّم عليها فإنّها ترُدُّ عليك. قال: ففعلتُ. فردّت السلام، وقالت: كيف حال الشيخ أبي مدين؟ فقلت لها: وأنّى لك بالعلم بهذا الشيخ؟! فقالت: وهل على وجه الأرض أحدٌ يجهل الشيخ أبا مدين! فقلت لها: كثير؛ يستخفّونه ويجهّلونه ويكفّرونه. فقالت: عجبا لبني آدم! [2] إنّ الله منذ أنزل محبّته إلى مَن في الأرض وإلى الأرض، عَرَفَتْهُ جميعُ البقاع والحيوانات، وعرفتُه أنا في جملة مَن عرفه، فما تخيّلت أنّ أحدا من أهل الأرض يبغضه، ولا

١ ص ٧٣
٢ ص ٧٣ب

يجهل قدره، كما هم[1] أهلُ السماء في حقّ مَن أحبّه الله.

فلمّا سمعتُ منه هذه الحكاية، قلت: أين هذا الأمر من كتاب الله؟ قال: لا أدري. قلت له: لمّا خلق اللهُ آدمَ، والإنسان الكامل على الصورة، أعطاه حكمها في العالم حتى تصحّ النّسبة والنّسب، فقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فأطلق ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ فعمّ الأمّهات والمولّدات، وما ترك شيئا من أصناف المخلوقات، فلمّا وصل بالتفصيل إلى ذِكْر الناس قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾[2] ولم يقل: كلّهم. فجعل عبدَه الصالح المحبوب في الحكم على صورته؛ فأحبّه، بحبِّ الله، جميعُ مَن في السماوات ومن في الأرض على هذا التفصيل ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ لا كلُّهم. فكفّروه كما كفروا بالله، وشتموه كما شتموا الله -تعالى-، وكذّبوه كما كذّبوا الله. وقد ورد في الحديث الصحيح الإلهيّ: «إنّ الله يقول: كذّبني ابنُ آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وشتمني[3] ابنُ آدم ولم يكن ينبغي له ذلك!» الحديث. فإذا وَجد الإنسان من نفسه هذه الصفة التي ذكرناها عند التلاوة، أو استحضار القرآن، علِم أنّ القرآن العظيم أتاه من ربّه في ذلك الوقت.

وإذا جلّى الله له -سبحانه- وكشف له عن شرف نفسه، بخلْقِه على صورة ربّه، وما أعطاه الله من ظهوره بالأسماء الإلهيّة، وما فضّله الله به من حيث أنّه جعله العين المقصودة، ووسّع قلبَه حتى وسعه علما بما تجلّى له، وكشف له عن منزلته عنده، وقبوله لزيادة العلم به دائما، وتأهُّله للترقّي في ذلك إلى غير نهايةٍ دنيا وآخرة، وما سخّر في حقّه مما في السماوات وما في الأرض جميعا، ونظر إلى نظر كلّ جزء من العالم إليه بعين التعظيم والشغوف عليه، ورأى كلّ العالم في خدمته، كما هو في تسبيح ربّه؛ لظهوره عندهم في صورة ربّه، ويظهر هذا كلّه لهذا الشخص عند التلاوة للقرآن لا غير؛ علِم عند ذلك أنّه يتلو القرآن المجيد، وأنّه الذي نزل عليه وأتاه من ربّه، ولهذا كشف له بنزوله شرفَه ومجدَه، فاستوى مجيد على مجيد.

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ [الحج: ١٨]
٣ ص ٧٤

وإذا جلّى الله له -سبحانه- وكشف له عن كَرَمِ نفسِه بما يؤثِر به على نفسه، مع وجود الحاجة لما آثر به، وسَعَى في قضاء[1] حوائجَ الناس من مؤمن وغير مؤمن، ونظر جميع العالم بعين الرحمة فرحمه، ولم يخصَّ بذلك شخصا من شخص، ولا عالَمًا من عالَم، بل بذل الوسع في إيصال الراحة إليهم، وقبِلَ أعذارَهم، وتحمَّل أعباءهم وجَهْلَهم وأذاهم، وجازاهم بالإساءة إحسانا، وبالذنب عفوا، وعن الإساءة تجاوزا، وسعى في كلِّ ما فيه راحة لمن سعَى له، وذلك كلّه في حال تلاوته؛ عَلِم قطعا أنّه يتلو القرآن الكريم؛ فإنّ هذه صفته، وأنّه القرآن الذي أتاه من ربّه، وأنّ الله يعامله بمثل ما عامل به. وأعظم ما يتكرَّم به العبد، ما يتكرّم به على الحقّ بطاعته وامتثال أمره، فإنّ «اللهَ يفرح بتوبة عبده» فإذا تكرّم على الله بمثل هذا فقد أغاظ[2] عدوَّ الله، وهذا أعظمُ الكرم. فإنّ الأخلاق المحمودة لا تحصل للعبد إلّا بهذا الطريق الذي قرّرناه. فَمن أخذ الأخلاق كما تقرَّر أخذُها، فهو المتمِّم لمكارم الأخلاق والمنعوت بها، وذلك لا يكون إلّا بالتكرّم على الله.

فإنّا قد علمنا أنّه من المحال أن يعمَّ الإنسان بِخُلُقِهِ، ويبلغ به رضا جميع العالم لما هو العالم عليه في نفسه من المخالفة والمعاداة. فإذا أرضى زيدا أسخط عدوَّه[3] عمرا، فلم يعمَّ بِخُلقه[4] جميع العالم. فلمّا رأى استحالة ذلك التعميم عَدَلَ إلى تصريف خُلقه مع الله؛ فنظر إلى كلّ ما يرضي الله فقام فيه، وإلى كلّ ما يسخطه فاجتنبه، ولم يبالِ ما وافق ذلك من العالَم ممن خالفه. فإذا أُقيم في هذا النظر، في حال التلاوة، عَلِم أنّ القرآن الكريم نزل عليه فأعطاه صورته وصِفته. فإنّ الله ما نظر من هذا العالم إلّا للإنسان، لا إلى الحيوان الذي هو في صورة إنسان، ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[5].

فإذا تصرّف هذا التالي، في العالم، تصرُّف الحقّ من رحمته، وبسط رزقه، وكفه على العدوّ

[1] ص ٧٤ب
[2] رسمها في ق: "أغاض" وصححت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[3] ص ٧٥
[4] رسمها في ق أقرب إلى: تخلقه
[5] [الفجر : ١٥]

والوليّ، والبغيض والحبيب، بما يعمُّ مما لا يقدح، ويخصُّ جنابَ الحقّ بطاعته، وإن أسخط العدوّ، كما خصّ الحقُّ بتوفيقه بعض عباده ولم يعمّ، كما عمّ في الرزق؛ فمن هذه صفته في حال تلاوته، فإنّه يتلو القرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون، وهو قلبُ هذا التالي ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وما قال: "ربّ المؤمنين" لعموم الكرم في الرزق والحياة الدنيا.

فاعلم -يا وليّ- ما تتلو، وبمن تتلو، ومَن يسمعك إذا تلوتَ، وبمن تسمع إذا كان الحقّ يتلو عليك. وهذا القدر[2] كافٍ في التنبيه على شرف هذا المنزل. فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم.

فمن ذلك: علم منازل القرآن. وعِلمُ الأوتاد الأربعة الذين[3] قيل إنّ الشافعيّ واحد منهم.

وعِلمُ تعجّب الحقّ، وكلّ ما يتعجّب منه فهو خلقه.

وعِلمُ ما يؤخذ منك؟ وما يبقى عليك؟ ومَن يأخذه منك؟ وهل يأخذه عن عطاء منك؟ أو يأخذه الآخذ جبرا؟

وعِلمُ بعض مراتب الكتب الإلهيّة التي عنده ولم تنزل إلينا.

وعِلمُ السبب الذي حال بيننا وبين أن يكون لنا من الله ما كان للرسل منه، وهو قوله ﷺ في الحديث الصحيح في الكشف، فقال ﷺ: «لولا تزييدٌ في حديثكم، وتمريجٌ في قلوبكم؛ لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع» فهذا قد أبان عن الطريق الموصلة إلى المقام الذي منه رأى ما رأى، وسمع ما سمع. فهل يوجَدُ مَن يزول عنه هذا المانع، فيصِل إلى هذا المقام أم لا؟ فنحن نقول بأنّه يزول، فإنّ الله قد أمر أن يبيّن للناس ما نزّل إليهم، وما أبان عن مانعٍ عن رُقِيٍّ إلى مرتبة عليا إلّا ليُزال، ولا ذكر منزلة زلفى إلّا لِتُنال. فَمن جدَّ وَجد، ومَن قصّر فلا يلومنّ إلّا نفسه.

وعِلمُ[4] الاعتبار.

[1] [الواقعة : ٨٠]
[2] ص ٧٥ب
[3] ق: "الذي" وصححت في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
[4] ص ٧٦

وعِلْمُ مقام الصلاح الذي يطلبه الأنبياء -عليهم السلام- أن يكون لهم.

وعِلْمُ ما تنتجه الأعمال البدنيّة من المعارف الإلهيّة من طريق الكشف.

وعِلْمُ نزول العلم وحكمه في قلوب العلماء، وما فيه من زيادة الفضل على مَن ليس له هذا المقام.

وعِلْمُ تجديد المعدوم.

وعِلْمُ إحصاء الأنفاس؛ بالتمحيص لهذا الإنسان دون غيره.

وعِلْمُ تقاسيم السُّكْرِ في المشروب.

وعِلْمُ ما هو الصُّور الذي ينفخ فيه، فيكون عن النفخ ما يكون من صَعْقٍ وبَعْثٍ بسرعة.

وعِلْمُ التوكيل الإلهيّ على العبيد إلى أين يبلغ مداه ويزول.

وعِلْمُ العلم الذي ينزل منزلة العين في الطمأنينة، الذي قال فيه عليّ ﷺ: "لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقينا".

وعِلْمُ التمييز بين الفِرَق.

وعِلْمُ محلّ[1] الخصام من الدار الأخرى.

وعِلْمُ السوابق وحكمها.

وعِلْمُ النقص في العالم أنّه من كمال العالم.

وعِلْمُ مآل السعداء وطبقاتهم في السعادة.

وعِلْمُ استخراج الكنوز.

وعِلْمُ أحكام أصناف الموصوفين بالوجود.

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

وعِلْمُ الذِّكر المؤقَّت وغير المؤقَّت، وما فائدة التوقيت في ذلك؟.

وعِلْمُ ما يهون وروده على مَن ورد عليه، مما لا يهون.

وعِلْمُ مراتب[1] العالم.

فانظر -يا وليّ- أيّ علم تريده، فتعمَّل في تحصيله من الطريق التي تُوصِلك إليه، أو التحلّي بالصفة التي تُنزله عليك؛ فإنّك بين أعمال بدنيّة؛ وهي محجّة السلوك بالأعمال، وبين أخلاق روحانيّة، وصفات معنويّة، إذا كنتَ عليها؛ نزلَتْ إليك المراتب، وتجلّت لك من ذاتها، وطلبتك لنفسها. وإذا كنت صاحب محجّة، وَصَلْتَ إلى غايتها بالطلب. وفُرقان بين الطالب والمطلوب، والمراد والمريد.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ٧٦ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الخامس والثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل الأُخُوّة
-وهو من الحضرة المحمديّة والموسويّة

بَيْنَ العَمَاءِ والاسْتِوَا حارَتْ عُقُولُ أُولِي النُّهَى
وكَـذَاكَ عِنْـدَ نُـزُولِهِ مِـنْ مُسْـتَواهُ إِلَى السَّـمَا
ووُجُـودُهُ فِي أَرْضِـهِ وبِقَلْبِنَـــــا وبِأَيْنَمَـــــا
هَـــذِي المَعَـــالِمُ كُلُّهـــا تُعْطِـي التَّحَـيُّرَ والعَمَـى
هِيَ سِتَّةٌ مِثْلُ الجِهاتِ لَنَـــا فَصُـــوْرَتُنا سَـــوَا
فَـــاللّٰهُ[1] جَـــلَّ بِذَاتِـــهِ عَنْ نَعْتِ عَلَّ وعَنْ عَسَى

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[2] وجاء في الخبر: أنّ «المؤمن مرآة أخيه»، و"المؤمن" اسم من أسماء الله وقد «خلق آدم على صورته» وله التخلّق بـ"المؤمن". و«واخى رسول الله ﷺ بين أصحابه بدار الخيزران، وأخذ بيد عليّ، وقال: هذا أخي». وقال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3] فجعل أباهم الإيمان؛ فهم إخوةٌ لأبٍ واحد. وقال موسى لربّه حين بعثه إلى فرعون: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[4] فآتاه اللهُ سُؤْلَه.

فاعلم -يا وليّ- أنّ المقام الجامع للأسماء الإلهيّة التي لها التأثير في الممكنات، أخٌ صحيح الأخوّة، شقيقٌ للمقام الجامع لاستعدادات القوابل الممكنات، وهما أخوان لأبٍ واحد، يشدّ كلّ واحد منهما أزر صاحبه، ولكنّ الأسماء هي الطالبة للاستعدادات أن يشدّ الله أزرها، فافهم.

١ ص ٧٧
٢ [المائدة : ٢]
٣ [الحجرات : ١٠]
٤ [طه : ٢٥ - ٣٢]

فإنّ هذا من علم الأسرار التي مقامها بين الستر والكشف. وهو من أصعب العلوم في التصوّر، حيث[1] لا يصحّ نفوذ الاقتدار إلّا باتّفاق الأخوين، لا بأحدهما، وبهما ظهرت أعيانُ الممكِنات، وحصلتْ في الوجود معرفة الكائنات بالله، ووصل؛ بوجود هذه المعرفة المحدَثة؛ الحقُّ -سبحانه- إلى عين مطلوبه. فإنّه ما أَوجدَ العالَمَ إلّا ليعرفه العالَمُ، والعالَم محدَث، ولا يقوم به إلّا محدَث، فقامت به المعرفة بالله: إمّا بتعريف الله، وإمّا بالقوّة التي خَلق فيه، التي بها يصل إلى معرفة الله من وجهٍ خاص لا غير.

فمن نزّهه بهذه القوّة فقد عرفه، وكفَّر مَن شبّهه. ومَن شبّهه بهذه القوّة فقد عرفه وجهَّل مَن نزّهه بل كفَّره. ومَن عرفه بالتعريف الإلهيّ، جمع بين التنزيه والتشبيه، فنزّهه في موطن التنزيه، وشبّهه في موطن التشبيه. وكلّ صنف من هذه الأصناف صاحبُ معرفة بالله. فما جهِله أحد من خلق الله؛ لأنّه ما خلقهم إلّا ليعرفوه، فإذا لم يتعرّف إليهم بهذه القوّة الموصلة التي هي الفكر، أو بالتعريف الإنبائي؛ لم يعرفوه؛ فلم يقع منه في العالَم ما خُلِق العالَم له. ولنا في هذا المقام الذي عمّ المعتقدات نَظْمٌ:

عَقَــدَ[2] الخَلائِــقُ فِي الإِلَهِ عَقَائِــدًا وأَنا شَـهِدْتُ جَمِيْعَ مـا اعْتَقَـدُوهُ
لَمّــا بَــدَا فِي صُــوْرِهِمْ مُتَحَــوِّلًا قـالُوا بِمَـا شَـهِدُوا وَمَـا جَحَـدُوهُ
ذَاكَ الذِي أَجْـنَى عَلَـيْهِمْ خلقُهـم بِجَمِيـعِ مـا قــالُوهُ واعْتَقَــدُوهُ
إِنْ أَفْرَدُوهُ عَنِ الشَّرِيكِ فَقَدْ نَجَوْا فِي مُلكِـــهِ رَبًّا كَمَا شَـــهِدُوهُ[3]
قَـدَ اعْـذَرَ الشَّـرْعُ المُوَحِّـدُ وَحْـدَهُ والمُشْـرِكُونَ شَـقَوْا وإِنْ عَبَـدُوهُ
وَكَذاكَ أَهْلُ الشَّـكِّ[4] أَخْسَرُ مِنْهُمُ والجَاحِـدُونَ وُجُودَ مَنْ وَجَـدُوهُ[5]
والقَــائِلُونَ بِنَفْيِــهِ أَيْضًــا شَــقُوا مِثْـلَ الثلاثَـةِ حِيْنَ لَـمْ يَجِـدُوهُ

١ ص ٧٧ب
٢ ص ٧٨
٣ ق: "وجدوه" وكتب فوقها بقلم الأصل: "شهدوه"
٤ ق: "الشرك" وفي الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب: "الشك"
٥ ق: "بجدوه" وعليها إشارة المسح، وفوقها بقلم الأصل: "وجدوه"

أَجْـنَى عَلَـيْهِمْ مَـنْ تَـأَلَّهَ حِـيْنَ مـا ... أَهْـلُ السـعادَةِ بِالهُـدَى عَبَـدُوهُ[1]

لَـوْ وَافَـقَ الأَقْـوامِ إِذْ أَغْـواهُمُ ... وتَنَزَّهُـوا عَــنْ غَيِّـهِ طَـرَدُوهُ

فالعارف[2] الكامل يعرفه في كلّ صورة يتجلّى بها، وفي كلّ سورة ينزل فيها. وغير العارف لا يعرفه إلّا في صورة معتقدِه، وينكره إذا تجلّى له في غيرها. كما لم يزل يربط نفسه على اعتقاده فيه[3]، وينكر اعتقادَ غيرِه. وهذا مِن أشكل الأمور في العلم الإلهيّ؛ اختلافُ الصور؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع: هل إليه في نفسه، وهو الذي وقع به الإنباء الإلهيّ، وأحاله الدليل العقلي الذي أعطته القوّة المفكّرة؟ فإذا كان الأمر على ما أعطاه الإنباء الإلهيّ، فما رأى أحد إلّا الله؛ فهو المرئيُّ عينه في الصور المختلفة، وهو عينُ كلِّ صورة. وإن رجع اختلاف الصور لاختلاف المعتقدات، وكانت تلك الصورُ مُثُل المعتقَدات لا عين المطلوب؛ فما رأى أحد إلّا اعتقادَه، سَواء عَرَفه في كلّ صورة؛ فإنّه اعتقد فيه قبول التجلّي والظهور للمتجلّي له في كلّ صورة، أو عرفه في صورة مقيّدة ليس غيرها. فمثل هذا العلم لا يُعلم إلّا بإخبار إلهيّ وقرينة حال.

فأمّا الإخبار الإلهيّ فقول رسول الله ﷺ: «إنّه الذي يتحوّل في الصور» في الحديث الصحيح. وقرينة الحال كونُه ما خَلَق الخلق إلّا ليعرفوه، فلا[4] بدّ أن يعرفوه؛ إمّا كشفا، أو عقلا، أو تقليدا لصاحب كشف أو عقل. والرؤية تابعة للمعرفة، فكما تعلّقتْ به المعرفة فكان معروفا، تعلّقتْ به الرؤية فكان مرئيًّا.

فإن قال مُنْكِر الأمرين؛ الذي لا يقول بالوصول إلى معرفته ولا إلى رؤيته، وإنما العلم به (هو) معرفةُ الناظر في ذلك، بأنّه يعجز عن معرفته، فيعلم عند ذلك أنّ مَن هو بهذه المثابة هو الله، فقد حصّل العلم به إجمالا في عين الجهل به والعجز، وهو قول بعضهم: "العجز عن درك الإدراك إدراك" فهذا القدر هو المسمّى معرفة بالله. وصاحب هذا القول، إن جوزي بقوله،

---

١ كتب بجانبها تفسيرا لها بقلم الأصل: أي جحدوه
٢ ص ٧٨ب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ٧٩

فإنّه لا يرى اللهَ أبدا، كما لم يعلمه أبدا. وإن لم يجازِه الله بقوله، وبَدا له من الله ما لم يكن يحتسب، وعَلِم منه في ثاني حالٍ خلاف ما كان يعلمه؛ فإنّه يراه، ويعلم أنّه هو.

والصحيح أنّه يُعلم ويُرى. فإنّ الله -تعالى- خلق المعرفةَ المحدَثة به؛ لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود، ولا يكمل ذلك إلّا بتعلّق العلم المحدَث بالله على صورة ما تعلّق به العلم القديم، وما تعلّق القديمُ بالعجز عن العلم به. كذلك العِلم المحدَث به، ما تعلّق إلّا بما هو المعلوم عليه في نفسه. والذي هو عليه في نفسه أنّه عينُ كلِّ صورة[1]، فهو كلُّ صورة، فما وقع العجز من هذا العبد إلّا في كونه قَصَرَهُ على صورة واحدة، وهي صورة معتقَدِه، وهو عينُ صورة معتقَدِه. فما عجز إلّا عن الحكم عليه بما ينبغي له. ولا يتّصف بالعجز عن العلم به إلّا من أخذ العلمَ من دليل عقله، وأمّا مَن أخذ العلم به من الله لا من دليله ونظره؛ فهذا لا يعجز عن حصول العلم بالله. فإنّه ما حاول أمرا يعجز عنه، فيعترف بالعجز عنه. وليس هذا للذي يطلبه بنظره في دليل عقله، وعلمه من طريق التعريف والتجلّي علم موهوب من حكيم حميد. فالقائل: "سبحانَ من لا يُعرف إلّا بالعجز عن المعرفة به" (هو) صاحبُ علم نظرٍ لا صاحب تعريف إلهيّ. وأمّا العجز عن إحصاء الثناء عليه فهذا قولُ كاملٍ محقِّق، فإنّه لا يكون العجز عن إحصاء الثناء عليه إلّا بعد العلم بالمُثنَى عليه: ما هو؟ فيعلم أنّه أعظم من أن يحيط به ثناء، ويبلغ فيه وصف منتهاه. كما قيل في بعض المخلوقات[2]:

إذا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصالِحٍ ... فَأَنْتَ الذِي نُثْنِي وفَوْقَ الذِي نُثْنِي

هذا[3] قول في[4] مخلوق، وهو قول محقّق؛ فكيف الثناء على الله -سبحانه-؟ وإنما حقّقنا قول هذا الشاعر في هذا المخلوق مع ما يتخيّل العقل بنظره أنّ الإحاطة بالثناء على المخلوق ممكنة، وليس الأمر في نفسه كذلك، وإنما هذا الشاعر قال حقّا؛ إمّا مصادفة وإمّا عن تحقُّق له، وذلك في قوله: "فأنت الذي نثني"، وهو ما هو عليه ذلك الممدَّح في الوقت "وفوق الذي نثني" فإنّه

---

١ ص ٧٩ب
٢ القائل هو أبو نوّاس (١٤٦-١٩٨هـ) في قصيدة مطلعها: مَلَكتَ عَلى طَيرِ السَعادَةِ وَاليُمنِ ... وَحُزتَ إِلَيكَ المُلكَ مُقتَبَلَ السِنّ
٣ ص ٨٠
٤ لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س

محلٌّ قابلٌ لما يخلق الله فيه من النعوت التي يخلق فيه، فيثني عليه بها، وهذه النعوت فيه لا نهاية لها، أي لما يكون عنها مما يوجب الثناء بها على الممدَّح.

وإذا كان هذا الثناء على الحقّ -تعالى- فلها البقاء في الوجود لذاتها؛ لا تقبل العدم، والثناء منّا عليه دائم يتجدّد، لأنّه في كلّ نَفَس فينا، يتجدّد علينا عِلمٌ بالله، فنثني عليه به. أو عِلمٌ بأمرٍ مّا لم يكن عندنا فنثني عليه به. ونحن ما نُنشد هذا البيت كما قاله صاحبه، وإنما أُنشِده على ما قلناه وأعطانا ذلك العلم به فنقول:

إذا نَحْنُ أَثْنَيْنا عَلَيْكَ بِصالِحٍ   فأَنْتَ الذِي يُثْنِي وَلَسْنا الذِي يُثْنِي

وهذا فوق ما قاله الشاعر مِن وجهٍ، ومساوٍ له مِن وجهٍ؛ سَوَاء[1] قال ذلك عن علم محقَّق، أو مصادفة وهو لا يعلم؛ فنطّقه الله -تعالى- بالحقّ من حيث لا يشعر، والحقّ معلوم معروف في نفسِه، والعالِم به عاجزٌ عن إحصاء الثناء عليه كما ينبغي له؛ فإنّه ليس في الوسع حصول ذلك، ولا يعطيه استعداد ممكنٍ أصلًا. فهذا ما أعطاه مؤاخاة الاستعدادات والأسماء الإلهيّة؛ وهذه أعلى أُخوّة يُوصَل إليها.

ثمّ ينزل إلى أُخوّة دونها وهي قوله (تعالى): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[2] ومن أسمائه "المؤمن" وقد وقع النزاع بينه بما أخبر عن نفسه أنّه كذا، فنازعه المؤمن من المخلوقين الذي اجتمع معه في الإيمان، فكانت له أُخوّة معه بهذا الإيمان، بنظره في دليله العقليّ؛ أنّه على خلاف ما أخبر به عن نفسه، مع كونه مصدّقًا له، لكنّه تأوّل عليه. فلمّا ظهرتْ هذه المنازعة بين المؤمن الحقّ والمؤمن الخلق، قال الله لعلماء الكشف: ﴿أَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ فدخل المؤمنون العالمون المكاشفون بينهما بالصلح، وذلك أن يكون المؤمن الحقّ، مع هذا المؤمن أخيه؛ حيث تبلغه قوّته، لأنّه مخلوق على كلّ حال. وما أعطيْتَهُ الكشفَ الكامل ولا ظهرتَ إليه به؛ فكن معه بحيث تعطيه منزلته.

١ ص ٨٠ب
٢ [الحجرات : ١٠]

فيقول[1] للمبلّغ عنه: قل لهذا المنازع: إنّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] و﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[3] وإنّي منزّهٌ عن وصف الواصفين. فجاء الرسول بالتوقيع الإلهيّ إلى هذا المؤمن المنازع بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وبقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4] وأشباه هذا النوع من التنزيه الذي يعطيه دليلُ العقل النظريّ. فإذا سمع هذا منه؛ طاب قلبه، وجنح إليه، وزال نزاعه.

وجاء العلماء إلى "المؤمن" الخلق في المصالحة من هذا الجانب، وقالوا له: أنت تعلم أنّ "المؤمنَ" الحقَّ أعلمُ بنفسه منك به، لا بل أعلم بك مِن علمك بنفسك، وأنّك إنما تحكم عليه بما هو خَلْقٌ له مثلك، وهو عقلك وفكرك ودليلك، فلا فرق بينك وبين كلّ مخلوق في العجز، عمّا لا يعجز عنه "المؤمنُ" الحقُّ؛ فقف معه في موضع التسليم. فإنّه وإن كان مؤمنا وأنت مؤمن، فأنت على مرتبتك التي تليق بك، وهو على مرتبته التي تليق به، وأنت تعلم أنّك لستَ مِثلَه وإن جمعكما الإيمان؛ فليس نِسبتُه إليه مثل نسبته إليك؛ فإنّك لست مثله. فلا تغرّنّك هذه المماثلة، واعرف قدرك.

فإذا سمع مثل هذا، طلبَ الصلحَ والإقالةَ مما وقع منه من[5] النزاع. وامتنّ "المؤمنُ" الحقُّ عليه بما وقع له في المنشور من التنزيه الذي وقع النزاع من أجله. فأصلح المؤمنون العالمون بين "المؤمن" الحقّ وبين هذا "المؤمن" الخلق. فهكذا فليكن الفهمُ عن الله فيما أوحى به إلى عباده على ألسنة رسله، وأنزله في كتبه.

ثُمّ في أخوّة الإيمان درجةٌ أخرى من درجات الكشف، وهي قوله بعد أن تسمّى لنا بالمؤمن وإنَّ المُؤْمنين إخْوَةٌ لأُبوّة الإيمان قال: «المؤمن مرآةُ أخيه». ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[6] هذا

١ ص ٨١
٢ [الشورى : ١١]
٣ [الأنعام : ١٠٣]
٤ [الصافات : ١٨٠]
٥ ص ٨١ب
٦ [النجم : ٣]

القائل. فأثبت الأخوّة بين المؤمنين، وجعل كلَّ واحدٍ من المؤمنين مرآة لأخيه؛ فيراه ويرى فيه نفسَه، من كونه على أيّ صورة، كان كلّ مؤمن منها بهذه المثابة. فيكون المؤمنُ الحقُّ مرآةَ للمؤمنِ الخلق؛ فيراه، ويعلم أنّه يراه، كما يعلم صاحب المرآة أنّ له مرآة، ثمّ ينظر فيها فلا يرى إلّا صورته، وصورة ما أثّرت المرآة فيه.

ولهذا جعل له عينين ليرى بالعين الواحدة صورته، وبالعين الأخرى ما حكمتْ به المرآة في صورته، إذ لم يكن في نفسه على ما حكمتْ به المرآة عليه في الصورة المحسوسة من الكِبَر والصغر، والطول والعرض، والاستقامة والانتكاس، على حسب شكل المرآة. ولا يرى هذا الأثر كلّه[1] هذا الناظرُ إلّا في صورته، فيعلم أنّ له فيه حكما ذاتيا، لا يمكن أن يرى نفسَه في هذه المرآة إلّا بحسب ذلك.

فإذا كان المؤمن الخلق هو عين المرآة للمؤمن الحقّ؛ فيراه الحقّ، وهو في نفسه على استعداد خاصّ، فلا يبدو من الحقّ له إلّا على قدر استعداده، فلا يرى الحقُّ من نفسه في هذه المرآة الخاصّ إلّا قدر ذلك، فأثّرت هذه المرآة في إدراك الرائي[2] القصور على ما رأى، بحكم الاستعداد؛ فأشبهه من هذا الوجه. فعبَّر عن هذا المقام بالأخُوّة؛ إذ لولا المناسبة بين الأمرين لم يكن كلُّ واحد من الأمرين مِرآةً لأخيه. وما نصب الله هذا المِثال، وخلق لنا هذه المرائي إلّا ليعطينا النظرَ فيها إصلاحَ ما وقع في صورتنا من خلل، مما تعلّق بها من أذًى؛ لنزيله على بصيرة؛ فهي تجلّ لإزالة العيوب. فيدلّك هذا أنّ الرائي في المرآة تُحَصِّلُ له علما لم يكن يراه قبل ذلك. ففي المؤمن المخلوق يقرب ذلك ويصحّ، وفي المؤمن الحقّ يعسر مثل هذا. فهو قوله -تعالى- في المؤمن الحقّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾[3].

كذلك إذا رأى الحقُّ نفسَه في مرآة المؤمن المخلوق، رأى أنّه بحكم استعدادها لا يرى غير

١ ص ٨٢
٢ رسمها في ق: الراى
٣ [محمد : ٣١]

ذلك فيها. فيزيل عنه هذا الحكمَ بنظره في مَرَاءٍ متعدّدة[1]، فيختلف الحكم في الصورة الواحدة باختلاف الاستعدادات، وهو عينُه لا غيرُه. فيعلم عند ذلك أنّ حكم الاستعداد أعطى ما أعطى، وأنّه على ما هو عليه في نفسه، فزال ما تعلّق به من أذى التقيُّد، كما أزال الابتلاء أذى التردُّد، وطلبَ إقامة الحجّة ليكون هو[2] الغالبَ، فقال: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ فجعل الابتلاء سببَ حصول هذا العلم، وما هو سببُ حصول العلم، وإنما هو سببُ إقامة الحجّة، حتى لا تكون للمحجوج حجّةٌ يدفع بها.

وأمّا مماثلة السورة في الخلق، فهي للنيابة والخلافة ما هي للأُخوّة. فإنّه من حيث صورة العالَم من العالَم، كما هو الروح من الجسد من صورة الإنسان. وهو من حيث صورة الحقّ، ما يظهر به في العالَم من أحكام الأسماء الإلهيّة، التي لها التعلُّق بالعالَم؛ فليست الصورة بأُخُوّةٍ كما يراه بعضهم. ولهذا لم تذكر الأُخُوّة إلّا في أمر خاصّ، وهو "المؤمن".

إلّا أنّ الصورة تشدُّ أزر أُخوّة الإيمان بالسببيّة. فإنّ الأسباب لولا ما لها أثر في المسبَّب؛ ما أوجدها اللهُ. ولو لم يكن حكمها في المسبَّبات ذاتيا؛ لم تكن أسبابا، ولم يَصْدُق كونها أسبابا. ويعلم ذلك فيمن[3] لا يقبل الوجود إلّا في محلّ، وما ثَمّ محلٌّ، ويريد الموجِد إيجاده، فلا بدّ أن يوجد المحلّ، لوجود هذا المراد وجوده. فيكون وجود المحلّ، سببا في وجود هذا المراد الذي تعلّقت الإرادة بإيجاده.

فعلمتَ أنّ للأسباب أحكاما في المسبَّبات؛ فهي كالآلة للصانع، فتضاف الصنعة والمصنوع للصانع، لا للآلة. وسببه أنّه لا عِلم للآلة بما في نفس الصانع أن يصنع بها على التعيين؛ بل لها العلم بأنّها آلةٌ للصنع الذي تعطيه حقيقتها، ولا عمَل للصانع إلّا بها. فصُنع الآلة ذاتيٌّ، وما الجانب الصانع بها إراديٌّ، وهو قوله: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾[4] و"كن" آلةٌ للإيجاد؛ فما أوْجَد إلّا

١ ص ٨٢ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٨٣
٤ [النحل : ٤٠]

بها. وكَوْنُ تلك الكلمة ذاتَهُ، أو أمرا زائدا عِلْمٌ آخر. إنما المرادُ فَهْمُ هذا المعنى؛ أنّه ما حصل الإيجاد بمجرّد الإرادة دون القول، ودون المريد، والقائل. فظهر حكم الأسباب في المسبَّبات، فلا يزيل حكمها إلّا جاهل بوضعها، وما تعطيه أعيانُها. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ولهذا قال موسى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[2] وقال: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[3] و﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[4] فعلِم ما قال. وعَلِمنا نحن من هذا القول ما[5] أشار إليه به؛ لِيفهم عنه صاحب عين الفهم. فهذا معنى التعاون وهو في قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾[6] ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[7] «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه». فلولا المشاركة في المطلوب بالوجود من المستعان به، ما صَدَق المستعين في استعانته. والمستعين قد يستعين شرفا للمستعان به، مع غناه عنه على التعيين، وإن كان لا بدّ من سبب، أو يكون ممن يَستقلّ به دون السبب، فبقصد[8] جعله سببا؛ لشرفه بذلك على غيره؛ ليعلم منزلته عنده؛ فإنّ الله قد جعل المفاضلة في العالم.

وأمّا المؤاخاة بين الأسماء الإلهيّة فلا تكون إلّا بين الأسماء التي لا منافرة بينها لذاتها. فإنّ الله ما واخى إلّا بين المؤمنين؛ ما واخى بين المؤمن والكافر، بل لم يجعل لأخوّة النَّسب حظّا في الميراث مع فَقْد أخوّة الإيمان. فليس المرعيّ إلّا أخوّة الإيمان. ألا تراه إذا مات عن أخٍ له من النَّسب، وهو على غير دينه، لم يرثه أخو النَّسب، وورثه إخوة دينه؟. والصورة بيننا وبين الحقّ نَسَبٌ ودين. فلهذا ما يرث الأرضَ ﷻ إلّا بعد موت الإنسان الكامل، حتى لا يقع الميراث إلّا في[9] مستحقّ له، كما يرث السماء لما فيها من حكم أرواح الأنبياء -عليهم السلام-، لا من كونها

١ [الأعراف : ٥٤]
٢ [طه : ٣٢]
٣ [طه : ٣١]
٤ [القصص : ٣٤]
٥ ص ٨٣ب
٦ [الأعراف : ١٢٨]
٧ [الفاتحة : ٥]
٨ س، ه: فيقصد
٩ ص ٨٤

محلّا للملائكة. فإذا صُعقوا بالنفخة، ورث الله السماء، فأنزل الاسم "الوارثُ" الملائكةَ من السماء، وبدّل الأرض غير الأرض والسماوات، كما ذكرناه فيما قبل من هذا الكتاب.

فـ«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا» فالمؤمنُ بعضُ المؤمن، والمؤمن لا يقتل المؤمن لإيمانه، والمؤمن يقتل أخا النَّسب إذا كان غير مؤمن. فهذا القدر كافٍ في هذا الباب. فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم.

فمن ذلك عِلْمُ صورة نداء[1] الحقّ عبادَه؛ من أين يناديهم: هل يناديهم من حكم مشيئته؟ أو يناديهم من حيث ما هم عليه؟ ومَن ينادَى: هل ينادى المعرض، أو المقبِل، أو هما؟

وفيه عِلْمُ الآداب الإلهيّة، ومنازل المخلوقات، وما ينبغي أن يعامَل به كلُّ مخلوق، بل كلّ موجود.

وعِلْمُ مصالح الموجودات، فلا يتصرّف صاحب هذا العلم إلّا فيما هو مصلحة لنفسه أو لغيره، على حسب ما يصرّفه المطلوب. فهو خارج في تصرّفاته عن هوى نفسه، إنما هو مع المصالح؛ فهو لكلّ شيء، لا عليه.

وفيه[2] عِلْمُ الفهم بما يأتي به كلّ قائل[3]، فيعلم من أين تكلَّمَ، فيقيم له عذرا فيما يَنسُب إليه مَن لا يعرف ذلك من الخطإ في قوله؛ وهو علم عزيز يقلُّ الإنصاف فيه من أهله، فكيف ممن لا يعرفه؟ وما يؤثّر ترك العمل بمثل هذا العلم في صاحبه من الحسرة والندامة على عدم استعماله؟.

وفيه عِلْمُ الحكمة في التغافل والتناسي، وهو الحِلْم والإمهال الإلهيّ، أو من ذي القدرة، ليرجع المغفول عنه عمّا هو عليه مما كان لا ينبغي أن يظهر به ولا عليه.

وفيه عِلْمُ كون الأشياء بيد الله، ليس بيد المخلوقين منها شيْءٌ، وإن ظهرت الصور بأيديهم،

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٨٤ب
٣ ق: "دليل" وفوقها "قائل"

فهي بحكم الاستعارة لا بحكم المِلك.

وفيه عِلمُ المِنن الإلهيّة التي أسبغها على العباد في الظاهر والباطن، وتعيين ما يمكن أن يعيّن منها.

وعِلمُ برزخ المتشاجرين، ليقف فيه من يريد رفع التشاجر بينهم.

وفيه عِلمُ الأسماء وشرفها، والفرق بينها وبين ما زاد على الأعلام منها، مما وُضِع لمدحٍ أو ذمّ.

وفيه عِلمُ العدول عن الطريق التي تحول بين العبد وبين حصول العلم، فإنّه أعلى ما يُطلب، وأفضل ما يُكتسب، وأعظم ما به يُفتخر، وأسدُّ آلة تُعَدُّ وتُدَّخر[1]، وبه مدح الله نفسه بأنّ له الحجّة البالغة؛ وليس إلّا العلم.

وفيه عِلمُ مراتب الخلق الإنسانيّ في الخلق؛ فإنّهم على طبقات فيه. وما يسمّى[2] به الإنسان الذي خلقه الإنسان: هل هو إنسان؟ أو حيوان في صورة إنسان، من حيث نشأة جسده؟ وما الأمر الذي عجز عنه في ظهور النفس الناطقة في هذا المخلوق: هل لعدم الاستعداد، فيقضي للمنشئ لهذه الصورة ما يقع به قبول النفس الناطقة من النفس الكلّ؟ أو هل هو تعجيز إراديٌّ إلهيّ لأنّه أمر عظيم؟ وقد ذُكِر أنّه وقع مثل هذا في الفلاحة النبطيّة؛ أنّ بعض العلماء بعلم الطبيعة كوّن من المنِيّ الإنسانيّ بتعفينٍ خاصّ، على وزن مخصوص من الزمان والمكان، إنسانا بالصورة، وأقام سنةً يفتح عينيه ويغلقها ولا يتكلّم، ولا يزيد على ما يُغَذّى به شيئا، فعاش سنة ومات. فما يُدرَى: أكان إنسانا حكمه حكم الأخرس؟ أو كان حيوانا في صورة إنسان؟

وفيه عِلمُ الأنساب والأحساب.

وفيه عِلمُ ما يَعتبر اللهُ من المكلّف: هل يعتبر ظاهره؟ أو باطنه؟ أو المجموع في قبول ما

---

١ ص ٨٥
٢ رسمها في و أقرب إلى: سمى

يكون منه بعد التكليف؟ وأمّا قبله فلا يقيّد، بل يجري بطبعه من[1] غير مؤاخذة أصلا، وهو قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2] وإذا كان هذا، فمِن أين وقع الألم للصغير حتى بكى مما يجده؟

وفيه عِلمُ كيفيّة ردّ الجاهل إلى العلم.

وفيه عِلمُ صورة ردّ الأمور إلى الله -سبحانه وتعالى في قدسه-؛ على أيّ طريق يكون: هل بحكم أنّه موجِدها؟ أو أنّه غايتها؟ أو ما هو ذلك؟

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

---

١ ص ٨٥ب
٢ [الإسراء : ١٥]
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب السادس والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل: مبايعةُ النباتِ القطبَ

صاحبَ الوقت في كلّ زمان -وهو من الحضرة المحمديّة

أَقْسَـمْتُ بِاللهِ الَّذِي أَقْسَـمَا بِنَفْسِهِ وَأَيْ وَرَبِّي وَمَا

بِأَنَّـــهُ وِتْـــرٌ بِـــلَا مُـــوتِرٍ فِي أَرْضِهِ وخَلْقِهِ أَيْنَما

وأَنّــهُ يَــنْزِلُ مِــنْ عَرْشِــهِ نُزُولَهُ لِعَرْشِهِ مِنْ عَمَا

مِنْ[1] غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا فُرْقَةٍ فَإِنَّــهُ مُــنَزَّهٌ عَــنْهُمَا

اعلم -أيّدك الله- أنّ المبايَعة العامّة لا تكون إلّا لواحد الزمان خاصّة، وأنّ واحدَ الزمان هو الذي يظهر بالصورة الإلهيّة في الأكوان. هذا علامتُه في نفسه لِيَعلم أنّه هو. ثُمّ له الخيار في إمضاء ذلك الحكم أو عدم إمضائه، والظهور به عند الغير؛ فذلك له. فمنهم الظاهر، ومنهم مَن لا يظهر ويبقى عبدًا، إلّا إن أمره الحقُّ بالظهور؛ فيظهَر على قدر ما وقع به الأمرُ الإلهيّ، لا يزيد على ذلك شيئا. هذا هو المقام العالي الذي يُعتمد عليه في هذا الطريق. لأنّ العبد ما خُلِق بالأصالة إلّا ليكون لله، فيكون عبدا دائما، ما خُلق أن يكون ربّا. فإذا خَلع اللهُ عليه خلعة السِّيادة، وأمره بالبروز فيها، بَرز عبدًا في نفسه، سيّدا عند الناظر إليه. فتلك زينة ربّه وخِلعته عليه.

قيل لأبي يزيد البسطامي -رحمه الله- في تمسّح الناس به وتبرُّكهم فقال ﷺ: "ليس بي يتمسّحون، وإنّهم يتمسّحون بِحِلية حَلّانيها ربّي؛ أفأمنعهم[2] ذلك، وذلك لغيري؟" وقيل لأبي مدين في تمسّح الناس به بِنِيّة البركة، وتركهم يفعلون ذلك: "أما تجد في نفسك من ذلك أثرا" فقال: "هل يجد الحجرُ الأسود في نفسه أثرا يخرجه عن حجريّته؛ إذا قبّلَته الرسل والأنبياء والأولياء وكونه يمين الله؟" قيل: لا. قال: "أنا ذلك الحجر". قال -تعالى- في هذا المقام: ﴿إِنَّ

١ ص ٨٦
٢ ص ٨٦ب

الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[1] فنفاه بعد ما أثبته صورة، كما فعل به في الرمي سَواء؛ أثبته ونفاه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[2] ثمّ جعل الله يده في المبايعة فوق أيدي المبايِعين.

فمن أدب المبايعة، إذا أخذ المبايعون يدَ المبايَع للبيعة ليقبّلوها، جعلوا أيديهم تحتها وجعلوها فوق أيديهم، كما يأخذ الرحمن الصدقة بيمينه من يد المتصدّق. فمن الأدب من المتصدّق أن يضع الصدقة في كفّ نفسه، ويبزل بها؛ حتى تعلو يد السائل، إذا أخذها على يد المعطي حتى تكون هي اليد العليا، وهي خير من اليد السفلى. واليدُ العليا هي المنفقة. فيأخذها "الرحمن" لينفقها له تجارة حتى تعظُم، فيجدها يوم القيامة قد نَمَتْ وزادت. هذا مذهب الجماعة.

وأمّا مذهبنا، الذي أعطاه الكشف إيّانا، فليس كذلك، إنما السائل إذا بسط[3] يده لقبول الصدقة من المتصدّق، جعل الحقّ يده على يد السائل. فإذا أعطى المتصدِّقُ الصدقة، وقعت بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل، كرامة بالمتصدّق. ويخلق مثلها في يد السائل، لينتفع بها السائل. ويأخذ الحقُّ عينَ تلك الصدقة، فيربّيها، فتربُوَ حتى تصير مثل جبل أحد في العِظَم.

وهذا من باب الغَيرة الإلهيّة، حيث كان العطاء من أجله، لما يرى أنّ الإنسان يعطي من أجل هواه ما يعظّم شأنَه من الهِبات، ويعطي من أجل الله أحقر ما عنده. هذا هو الغالب في الناس. فيغار الله لجنابه أن لا يُرى في مقام الاستهضام، فيُرَبِّي تلك الصدقة حتى تعظُم. فإذا جلّاها في صورة تلك العظمة حصل المقصود. فيدُ المعطي تعلو يَدَ الآخِذ. ولهذا قال: تقع. والوقوع لا يكون إلّا من أعلى. وقد قال ﷺ: «لو دلّيتم بحبل لهبط على الله» أي كما يُنسب إلى العلوّ في الاستواء على العرش، هو في التحت أيضا، كما هو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[4] للحفظ، كما يحفظ محيطُ الدائرةِ الوجودَ، أو نسبةَ الوجود على النقطة التي ظهر عنها بنسبة الإحاطة

١ [الفتح : ١٠]
٢ [الأنفال : ١٧]
٣ ص ٨٧
٤ [فصلت : ٥٤]

لوجود الدائرة المحيطة.

فله الفَوْق كما[1] له التحتُ، وله الظاهر كما له الباطن، فهو المبايِع والمبايَع، فإنّه لا يبايع إلّا بالسمع والطاعة، والسمع لا يكون إلّا هو، والعمل بالطاعة لا يكون إلّا له؛ فهو السميع العامل لما أمَر بعمله. فلنذكر صورة البيعة، ولنا فيها كتاب مستقلّ سمّيناه "مبايعة القطب" يتضمّن علما كبيرا، ما علمنا أنّه سُبِقنا إليه. وإن كان العارفون من أهل الله شاهدوه وعلموه، ولكن شَغَلَهم عن تبيينه للناس ما كان المهمّ عندهم، كما كان إظهارُه للناس من المهمّ عندنا؛ إذ هذه الطائفة لا شُغْل لها إلّا بالمهمّ، هذا إذا لم يظهر بحكم القوّة الإلهيّة؛ فإذا ظهر بها لم يشغله شيء عن شيء؛ إذ هو حقٌّ كلُّه. فاعلم ذلك.

إيضاحٌ وبيانٌ لمنصب البيعة وصورتها

فاعلم أنّ الله -سبحانه- إذا ولّى مَن ولّاه النظر في العالَم، المعبّر عنه بالقطب، وواحد الزمان، والغوث، والخليفة؛ نَصب له في حضرة المِثال سريرا أقعده عليه، ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة، كما أنبأ صورةُ الاستواء على العرش عن[2] صورة إحاطته علما بكلّ شيء.

فإذا نصب له ذلك السرير[3]، خَلَع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالَم وتطلبه، فيظهر بها حللا وزينة متوّجًا، مسوَّرًا، مدملجًا؛ لتعمّه الزينة علوا وسفلا ووسطا، وظاهرا وباطنا. فإذا قعد عليه بالصورة الإلهيّة، وأمر اللهُ العالَم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره؛ فيدخل في بيعته كلُّ مأمور أعلى وأدنى، إلّا العالون؛ وهم المهيَّمون العابدون بالذات، لا بالأمر.

فيدخل أوّل من يدخل عليه في ذلك المجلس الملأُ الأعلى على مراتبهم؛ الأوّل فالأوّل، فيأخذون بيده على السمع والطاعة، ولا يتقيّدون بمنشط ولا مكره؛ لأنّهم لا يعرفون هاتين

١ ص ٨٧ب
٢ ثابتة في الهامش
٣ ص ٨٨

الصفتين فيهم؛ إذ لا يُعرف شيء منها إلّا بذوقِ ضِدِّه. فهم في منشط لا يعرفون له طعما؛ لأنّهم لم يذوقوا المكره. وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة، إلّا ويسأله في مسألة من العلم الإلهيّ. فيقول له: يا هذا؛ أنت القائل كذا؟ فيقول له: نعم. فيقول له في المسألة وجها يتعلّق بالعلم بالله يكون أعلى من الذي عند ذلك الشخص؛ فيستفيد منه كلُّ مَن بايعه، وحينئذ يخرج عنه. هذا شأن هذا القطب. والكتاب الذي صنّفته فيه، ذكرتُ فيه سؤالاته للمبايِعين له التي وقعت في زماننا لقطب وقتنا، فإنّها ما هي مسائل معيّنة تتكرر من كلّ قطب، وإنما[1] يُسأل كلّ قطب فيما يخطر الله في ذلك الحين، مما جرى لهذا الذي بايعه من الأرواح فيه كلام.

فأوّل مبايع له: العقل الأوّل، ثمّ النفس، ثمّ المقدَّمون من عمّار السماوات والأرض من الملائكة المسخَّرة، ثمّ الأرواح المدبِّرة للهياكل التي فارقتْ أجسامَها بالموت، ثمّ الجنّ، ثمّ المولّدات. وذلك أنّه كلُّ ما سبّحَ الله من مكان ومتمكن، ومحلٍّ وحالٍّ فيه؛ يبايعه، إلّا العالون من الملائكة، وهم المهيَّمون، والأفراد من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب، وما له فيهم تصرُّفٌ، وهم كُلٌّ مِثله، مؤهَّلون لما ناله هذا الشخص من القطبيّة. لكن لمّا كان الأمر لا يقتضي أن يكون في الزمان إلّا واحد يقوم بهذا الأمر، تعيّن ذلك الواحد لا بالأولويّة، ولكن بسبق العلم فيه بأنّه يكون الوالي. وفي الأفراد مَن يكون أكبرَ منه في العلم بالله.

وهذا المنزل يتضمّن مبايعة النبات من المولّدات، ويدخل فيه قوله في الأجسام الإنسانيّة: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾[2] فَنَبَتُّم ﴿نَبَاتًا﴾ فجاء، في ذِكرهم بالإنبات، أنّه أنبتهم، ولم يؤكّده بالمصدر، وجاء في المصدر يُعرِّف بأنّهم نبتوا حين أنبتهم؛ فأوقع الاشتراك بينه وبينهم في الخلق. بيّنه أنّه لولا استعدادهم للإنبات ما أثّرت فيهم[3] الأسماء، فكان خروجهم من الأسماء والاستعداد. فللأسماء قوله: ﴿أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ وللاستعداد قوله: ﴿نَبَاتًا﴾ لأنّ "نباتا" مصدر "نبت" لا مصدر "أنبت". فإنّ مصدر "أنبت" إنما هو "إنباتا". فانظروا ما أعجب مساق

١ ص ٨٨ب
٢ [نوح: ١٧]
٣ ص ٨٩

القرآن، وإبراز الحقائق فيه، كيف يعلمنا الله في إخباراته ما هي الأمور عليه، فيعطي كلَّ ذي حقٍّ حقّه. إذ لا ينفذ الاقتدار الإلهيّ إلّا فيمن هو على استعداد النفوذ فيه، ولا يكون ذلك إلّا في الممكِنات، إذ لا نفوذ له في الواجب الوجود لنفسه، ولا في المحال الوجود. فسبحان العليم الحكيم.

واعلم أنّ الإنسان شجرةٌ من الشجرات، أنبتها الله شجرة لا نجما، لأنّه قائم على ساق. وجعله شجرة؛ من التشاجر الذي فيه، لكونه مخلوقا من الأضداد، والأضداد تطلب الخصام والتشاجر والمنازعة؛ ولهذا يختصم الملأ الأعلى. وأصل وجوده في العالَم حكمُ الأسماء الإلهيّة المتقابلة في الحكم لا غير. هذا مستندُها الإلهيّ. قال -تعالى- في حقّ محمد (ص) أنّه قال: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1] حتى أعلمه اللهُ -تعالى-، فعلم أنّ للطبيعة فيهم أثرا، كما أنّ للأركان في أجسام المولّدات أثرا.

فلمّا كان الناس[2] شجرات، جعل فيهم وُلاةً يرجعون إليهم إذا اختصموا، ليحكم بينهم، لزوال حكم التشاجر. وجعل لهم إماما في الظاهر واحدا يرجع إليه أمرُ الجميع لإقامة الدين، وأمرَ عبادَه أن لا ينازعوا. ومَن ظَهر عليه ونازعه أمَرَنا الله بقتله؛ لمّا علم أنّ منازعتَه تؤدّي إلى فسادٍ في الدين الذي أمَرَنا الله بإقامته. وأصله قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3] فمِن هناك ظهر اتّخاذ الإمام، وأن يكون واحدا في الزمان، ظاهرا بالسيف. فقد يكون قطبُ الوقت هو الإمام نفسه كأبي بكر وغيره في وقته، وقد لا يكون قطب الوقت. فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يظهر إلّا بصفة العدل، ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نوّاب القطب في الباطن، من حيث لا يشعر. فالجور والعدل يقع في أئمّة الظاهر، ولا يكون القطب إلّا عدلا.

وأمّا سببُ ظهورِه في وقتٍ، وخفاء بعضهم في وقت؛ أنّ الله ما جَبَر أحدا على كينونته في

١ [ص : ٦٩]
٢ ص ٨٩ب
٣ [الأنبياء : ٢٢]

مقام الخلافة، وإنما اللهُ أعطاه الأهليّة لذلك المقام، وعرَض عليه الظهور فيه بالسيف، ما أَمَرَهُ. فمن قَبِله ظهَر بالسيف فكان[1] خليفة ظاهرا وباطنا، ما ثَمّ غيره. وإن اختار عدم الظهور لمصلحةٍ رآها، أخفاه الله، وأقام عنه نائبا في العالم يسمّى خليفة؛ يجور ويعدل، وقد يكون عادلا على قدر ما يوفّقه الله -سبحانه-. ويكون حكمه، وإن كان جائرا، حُكْمَ الإمام العادل: مَن نازعه قُتل، ولا يُقتل إلّا الآخَر؛ فإنّه المنازِع.وأَمَرنا الله أن لا نخرج يدا من طاعة، وأخبرنا أنّه مَن عدل منهم؛ فلهم ولنا، ومَن جار منهم؛ فعليهم ولنا.

ولمّا[2] كان الإنسان شجرة، كما ذكرناه، نهى اللهُ أوّلَ إنسان عن قرب شجرةٍ عيّنها له دون سائر الشجرات، كما هو الإنسان شجرةٌ معيّنة بالخلافة دون سائر الشجرات. فنبّه أن لا يقرب هذه الشجرة المعيّنة على نفسه، ظهر ذلك في وصيّته لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾[3] يعني هوى نفسه. فهو الشجرة التي نهى آدم أن يقربها، أي لا تقارب موضع النزاع والخلاف؛ فتؤثّر فيك نشأةُ جسدك الطبيعي العنصري. يقول ذلك لنفسه الناطقة المدبّرة، فإنّ بها يخالفُ أمرَ الله فيما أمره به أو نهاه عنه. فقوله: ﴿هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[4] بحرف الإشارة، تعيينٌ لشجرة معيّنة.

ولمّا كانت الإمامة عرَضًا، كما كانت الأمانة[5] عَرَضًا، والإمامة أمانة، لذلك ظهر بها بعض الأقطاب، ولم يظهر بها بعضهم. فنظر الحقُّ لهذا القطب بالأهليّة، ولو نظر الله للإمام الظاهر بهذه العين ما جار إمام قطّ، كما تراه الإماميّة في الإمام المعصوم. فإنّه مِن شرط الإمام الباطن أن يكون معصوما. وليس الظاهر، إن كان غيره، يكون له مقام العصمة. ومن هنا غلطت الإماميّة. فلو كانت الإمامة غير مطلوبة له، وأمره الله أن يقوم فيها؛ عصمه الله بلا شكّ عندنا.

وقد نبّه رسول الله ﷺ على ما قرّرناه كلّه؛ فنبّه على العرْض بفعله حيث لم يجبر أحدا على ولايةٍ، بل ذكر أنّه مَن تركها كان خيرا له، وأنّها يوم القيامة حسرة وندامة إلّا لمن قام فيها بصورة

١ ص ٩٠
٢ ثابتة في الهامش
٣ [ص : ٢٦]
٤ [البقرة : ٣٥]
٥ ص ٩٠ب

العدل، ونبّه على عصمة مَن أُمر بها بقوله: «فمَن أعطيها عن مسألة وُكِّلَ إليها، ومَن جاءته عن غير مسألة، وَكَّلَ اللهُ به مَلَكا يُسدّده» وهذا معنى العصمة. والسؤال هنا إشارة إلى الرضا بها، والمحبّة لهذا المنصب؛ فهو سائل بباطنه. وغيره، ممن يكره ذلك، ويُجْبِره أهل الحلّ والعقد عليها، ويرى أنّه قد تعيّن عليه الدخول فيها، والتلبّس بها، لما[1] يرى إن تخلّف عنها من ظهور الفساد. فيقوم له ذلك، في الظاهر، مقام الجبر الإلهيّ بالأمر على التلبّس بها، فيُعصم، فيكون عادلا؛ إذ الملَك الذي يسدّده لا يأمره إلّا بخير، حتى القرين كما قال ﷺ إنّه «أعانه الله عليه فأسلم» -برفع الميم ونَصْبِها- وقال: «فلا يأمرني إلّا بخير».

فمبايعة النباتِ هذا القطبَ، هو أن تبايِعَهُ نَفْسُهُ، أن لا تخالِفَه في منشط ولا مكره مما يأمرها به من طاعة الله في أحكامه، فإنّ الله قد جعل زمام كلّ نفس بيد صاحبها، وأمرها إليه، فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[2] يعني نفسَه. وكذلك في داود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾[3] يعني نفسَه. فإنّه لو كان هوى غيرِه نُهِي أن يتّبعه فاتّبعه، فما يتّبعه إلّا بهوى نفسه، فطاوَع نفسه في ذلك. فلذلك تعيّن أنّه أراد بالهوى، نفسَه لا غيرَه. وهو أن يأمره بمخالفة ما أمره الله به أن يفعله أو نهاه عنه. فإذا بايعَتْهُ نفسُهُ انصرفَ حكم شجريّتها إلى منازعة مَن ينازِع أمرَ الله، فبقي حكمُ حقيقتها في المخالفين أَمْرَ الله؛ إذ علِم اللهُ أنّ حقيقة الخلاف لا تزول؛ فإنّها شجرة لِعَيْنِها؛ فلو زال لزال عَيْنُها. فلهذا عيّن الله لها مصرفا خاصّا تكون فيه سعادتها.

وكلّ[4] مَن عرف القطبَ من الناس لَزِمَتْهُ مبايعته، وإذا بايعه لزمته بَيْعَتُهُ، وهي من مبايعة النبات؛ فإنّها بيعة ظاهره؛ لهذا القطب التحكم في ظاهره بما شاء، وعلى الآخَر التزام طاعته. وقد ظهر مثل هذا في الشرع الظاهر أنّ المتنازِعَيْن لو اتّفقا على حَكَمٍ بينهما فيما تنازعا فيه، فَحَكَمَ بينهما بحكم، لَزِمَهُمَا الوقوف عند ذلك الحكم، وأن لا يخالفا ما حكم به. فالقطب المنصوب من جهة الحقّ أَوْلَى بالحكم، فيمن عرف إمامته في الباطن من الناس. ولهذا التحكّم، الذي قلناه منه، في

١ ص ٩١
٢ [النازعات : ٤٠]
٣ [ص : ٢٦]
٤ ص ٩١ب

ظاهر مَن بايعه، ألحقنا هذه المبايعة ببيعة النبات؛ بل إن حقّقت الأمرَ واتّبعتَ فيه الأصل، وجدت النباتيّة في النفس الجزئيّة الناطقة، لأنّها ما ظهرت إلّا من هذا الجسم المسوَّى المعدَّل، وعلى صورة مزاجه. فهي أرضه التي نَبَتَتْ منه حين أنبتها الله، بالنفخ في هذا الجسم، من روحه. وهكذا كلّ روح مدبّر لجسم عنصريّ. فالسعيد من عرف إمام وقته؛ فبايعه، وحكّمه في نفسه، وأهله، وماله. كما قال ﷺ في حقّ نفسه: «لا يكمل عبدٌ الإيمان حتى أكون أحبّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين».

ولهذا يشترط في البيعة: المنشط والمكره، لأنّ الإنسان ما[1] ينشط إلّا إذا وافق أمر الله هوى نفسه، والمكره إذا خالف أمر الله هوى نفسه، فيقوم به على كُرْهٍ؛ لإنصافه ووفائه بحكم البيعة؛ فإنّه ما بايع إلّا الله؛ إذ كانت ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] وما شاهدوا بالأبصار إلّا يد هذا الشخص الذي بايعوه. والنفس أبدا، في الغالب، تحت حكم مزاجها، والقليل من الناس مَن يحكم نفسَه على طبيعته ومزاجه؛ فإنّ الأمومةَ للجسم المسوَّى، والبنوّةَ للنفس، وقد أُمر الإنسان بالإحسان لأبويه، والبِرّ بهما، وامتثال أوامرهما، ما لم يأمره أحد الأبوين بمخالفة أمر الحقّ؛ فلا يُطِعْهُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[3] فأمر باتّباع المنيبين إلى الله، ومخالفة نفوسهم إن أَبَتْ ذلك. فحقُّ الإمام أحقّ بالاتّباع. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[4] وهم الأقطاب، والخلفاء، والولاة. وما بقي لهم حكم إلّا في صنفِ ما أُبيح لك التصرّف فيه، فإنّ الواجب والمحظور من طاعة الله وطاعة رسوله، فما بقي للأئمّة إلّا المباح، ولا أجر فيه ولا وِزر.

فإذا أَمَرَكَ الإمام المقدَّم عليك[5]، الذي بايعته على السمع والطاعة، بأمرٍ من المباحات،

١ ص ٩٢
٢ [الفتح : ١٠]
٣ [لقمان : ١٥]
٤ [النساء : ٥٩]
٥ ص ٩٢ب

وَجَبَتْ عليك طاعته في ذلك، وحرمتْ مخالفته، وصار حكم ذلك الذي كان مباحا، واجبا. فيحصل للإنسان، إذا عمل بأمره أجر الواجب، وارتفع حكم الإباحة منه بأمر هذا الذي بايعته. فتدبّر ما ذكرناه، وما نبّهنا عليه من أمر الإمام بالمباح، واعرف منزلة البيعة، وما أثمرتْ؟ وما أثّرتْ؟ وكيف نسختْ حكم الإباحة، بالوجوب عن أمر الحقّ بذلك؟ فنزل الإمام منزلة الشارع، بأمر الشارع، فتغيّر الحكم في المحكوم عليه، عمّا كان عليه في الشرع قبل أمر هذا الإمام. فمن أنزله الحقُّ منزلته في الحكم تعيّن اتّباعه.

واعلم أنّ النبات عالَم وسط بين المعدن والحيوان، فله حكم البرازخ، فله وجهان: فيعطي من العلم بذاته لمن كوشف بحقيقته ما فيه من الوجوه، فإنّ الكمالَ في البرازخ أظهرُ منه في غير البرازخ؛ لأنّه يعطيك العلم بذاته وبغيره. وغير البرزخ يعطيك العلم بذاته، لا غير. لأنّ البرزخ مرآة للطرفين، فمن أبصره أبصر فيه الطرفين، لا بدّ من ذلك. وفي النبات سرٌّ برزخي لا يكون في غيره، فإنّه برزخٌ بينه من قوله: ﴿نَبَاتًا﴾ وبين ربّه من قوله: ﴿أَنْبَتَكُمْ﴾. والمنصِفُ العادل مَن[1] حكم بين نفسه وربّه، ولا يكون حَكَمًا حتى تكون نفسُه تنازع ربَّها، فيحكم له عليها، لعلمه أنّ الحقّ بيد الله، بكلّ وجهٍ وعلى كلّ حال. وسببُ نزاعها كونُها على الصورة؛ ففيها مضادّة الأمثال، لا مضادّة الأضداد. فيدخل الإنسان حَكَمًا بين ربّه وبين نفسه.

ألا تراه مأمورا بأن ينهاها عن هواها؟ فأنزلها منزلة الأجنبيّ، وليس إلّا عينها! وهي التي ادّعتْ، فهي الحَكَم والخصم. ولو اقتصر الأمر دونها على الجسم، النامي منه وغير النامي، لم تكن منازعة؛ فإنّه مفطور على التسبيح لله بحمده. فالجسم الإنسانيّ كالنجم من النبات؛ لا يقوم على ساق، فلا يرجع شجرة إلّا بوجود الروح المنفوخ فيه؛ فحينئذ يقوم على ساق. بخلاف الأشجار كلّها، فإنّها تقوم على ساق من غير نفخ الروح الحيوانيّ فيها. فهي نجمٌ بالأصالة، وشجرةٌ بالنفخ. فسجودُه لله سجودُ الظِّلال، وسجودُ الشجر لله سجودُ الأشخاص القائمين على ساق.

ولمّا كان النبات برزخيّا، مرآةً قابلا لصور ما هو لهما برزخ؛ وهو الحيوان والمعدن؛ إذا بايع؛

١ ص ٩٣

بايع لبيعته ما ظهر فيه من صور ما هو برزخ لهما. فتضمّنتْ بيعةُ النبات بيعةَ الحيوان والمعادن، لأنّ هذا الإمام يشاهد الصور الظاهرة في[1] مرائي البرازخ. وهو علم عجيب. كما يرى الناظر في المرآة في الحسّ غيرَ صورته، ممّا تقبله المرآة من صور غير الناظر من الأشخاص، فيدرك فيها ما هي تلك الأشخاص عليه في أنفسها، مع كونها في أعيانها غيبا عنه، وما رأى لها صورة إلّا في هذا الجسم الصقيل.

فإن أعطته تلك الصور علما غير النظر إليها؛ كان ذلك العطاء بمنزلة ما يعطي المبايع، في البيعة، من السمع والطاعة لمن بايعه. وإن لم تعطِ علما، لم يرجع ذلك إليها، وإنّما هو راجع إلى الناظر، وأنّه ليس بإمام ولا خليفة، ولا له بيعة أصلا. وبهذا يتميَّز الإمام في نفسه عن غيره، ويعلم أنّه إمام. فإن أخذ العلمَ، هذا الناظرُ، من تلك الصور، بحكم التفكّر والاعتبار، فيتخيّل أنّه إمام وقته، فليس كذلك؛ إلّا أن تعطيه الصوَرُ العلم، من ذاتها، كشفا من غير فكر ولا اعتبار. وإن اتّفق أن يساويه صاحبُ الفكر، في ذلك العلم الكشفيّ، فليس بإمام؛ لاختلاف الطريق.

فإنّ الإمام لا يقتني العلوم مِن فكره، بل لو رجع إلى نظره لأخطأ، فإنّ نفسه ما اعتادت إلّا الأخذ عن الله؛ وما أراد الله، لعنايته بهذا العبد، أن يرزقه[2] الأخذ من طريق فكره، فيحجبه ذلك عن ربّه. فإنّه في كلّ حال يريد الحقّ أن يأخذ عنه ما هو فيه من الشئون في كلّ نفس، فلا فراغ له، ولا نظر لغيره. وللعاقل، إذا استبصر، دليلٌ قد وقع، يدلُّ على صحّة ما ذكرناه، (وهو) نهي النبيّ ﷺ عن إبار النخل ففسد؛ لأنّه لم يكن عن وحي إلهيّ. و(كذلك) نزوله يوم بدر على غير ماء، فرجع إلى كلام أصحابه. فإنّه ﷺ ما تعوّد أن يأخذ العلوم إلّا من الله، لا نظر له إلى نفسه في ذلك. وهو الشخص الأكمل الذي لا أكمل منه، فما ظنّك بمن هو دونه؟ وما بقي للعارفين بالله علاقة بين الفكر وبينهم بطريق الاستفادة.

١ ص ٩٣ب
٢ ص ٩٤

ولا يسمَّى الشخصُ إلهيّا إلّا أن لا يكون أخذُه العلوم إلّا عن الله من فتوح المكاشفة بالحقّ. يقول أبو يزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت. حدَّثنا فلان. وأين هو؟ قال: مات. عن فلان. وأين هو؟ قال: مات". فقال أبو يزيد: "وأخذنا عِلمنا عن الحيّ الذي لا يموت". فلا حجاب بين الله وبين عبده، أعظم من نظره إلى نفسِه، وأخذه العلم عن فكره ونظره. وإن وافق العلم، فالأخذ عن الله أشرف. وعِلمُ ضرورات العقول من الله؛ لأنّها حاصلة لا عن فكر واستدلال[1]. ولهذا لا تقبل[2] الضرورات الشُّبَه أصلا، ولا الشكوك، إذا كان الإنسان عاقلا. فإن حيل بينه وبين عقله؛ فما هو الذي قصدنا البيان عنه.

وبعد أن أعلمناك ببيعة النبات ومرتبته، وأنّك نباتٌ وأمثالك، فلنذكر ما يتضمّنه هذا المنزل من العلوم، لترتفع الهمّة إلى الوقوف عليها، والتحلّي بها. فمن ذلك عِلمُ الرحموت. وعِلمُ فتوح المكاشفة بالحقّ. وعِلمُ فتوح الحلاوة في الباطن.

وعِلمُ فتوح العبارات في الترجمة عن الله.

وعِلمُ نسخ الأحكام بعد النبيّ ﷺ عن أمر النبيّ ﷺ فإنّه المقرّر حكم المجتهد لتعارض الأدلّة، فله الاختيار فيها. وعِلمُ العناية الإلهيّة ببعض العبيد. وعِلمُ الإشارات.

وعِلمُ التمام والكمال، وأنّ التمام للنشأة والكمال بالمرتبة. وعِلمُ البيان والتبيّن.

وعِلمُ الاستقامة، وما شيّب النبيّ ﷺ من سورة هود؟

وعِلمُ الكشف على مقامات النصّ الإلهيّ؛ هل يؤثّر فيه حكم الأكوان، أم لا؟

وعِلمُ الطمأنينة، والفرق بينها وبين اليقين والعلم. وعِلمُ نسبة العالم ملكا لله.

وعِلمُ مَن نازعه فيه: بماذا نازعه حتى ذكر اللهُ أنّ له جنودا من كونه[3] مَلِكا؟ وما هم أولئك الأجناد؟ وهل تُعلم بطريق الإحصاء، أو لا تُعلم إلّا بطريق الإجمال من غير تفصيل؟ وهل وقع

١ ص ٩٤ب
٢ ق: لا يقبل
٣ ص ٩٥

لأحد العلم بها على التفصيل أم لا؟

وعِلمُ العلل الإلهيّة في الكون.

وعِلمُ الرجوع الإلهيّ على العباد: ممّا يرجع إليه؟ ولما (=وإلام) يرجع، وهو القائل: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[1]؟ فهل هو عين ذلك الأمر الراجع أم لا؟ وهو علم شريف.

وعِلمُ منزلة مَن يستحقّ التعظيم الإلهيّ ممن لا يستحقّه.

وعِلمُ الوفاء بالعقد مع الله فيما يعقِده معه، مما له الخيار في حلّه. ومذهبنا الوفاء به، ولا بدّ، إلّا أن يقترن به أمرٌ من شيخ معتبَر لتلميذ، أو لأحدٍ ممن له فيه اعتقاد التقدّم؛ فإنّ له أن يَحُلّ ذلك العقد مع الله المخيَّر فيه ولا بدّ، وإن لم يفعل قوبل. فإن لم يقترن به مثل هذا، فالوفاء به مذهبنا ومذهب أهل الخصوص.

وعِلمُ السَّواء بين النشأتين، فلا يظهر الظاهر إلّا بصورة الباطن، وهو المعبَّر عنه بالصدق.

وعِلمُ من طلب الستر عند تجلّي الحقيقة حذرا أن تذهب عينه.

وعِلمُ التبديل، وما حضرته، وما يقبل التبديل وما لا يقبله مما هو ممكن أن يقبله.

وعِلمُ الإقبال والتولّي؛ هل الإقبال تولٍّ؟ أو هو إقبال بلا تولٍّ؟

وعِلمُ رفع الحرج[2] من العالَم مع وجوده؛ بماذا يرتفع عند من يرتفع في حقّه؟

وعِلمُ الرضاء ومحلّه، وما ثوابه عند الله؟

وعِلمُ ما ينتج التعجيل بالخير.

وعِلمُ الاقتدار الكونيّ من الاقتدار الإلهيّ.

وعِلمُ تأثير العالم بعضه في بعض؛ هل هو تأثير عِلّة أم لا؟

١ [هود : ١٢٣]
٢ ص ٩٥ب

وعِلمُ التعصّب في العالَم؛ في أيّ صنف يظهر؟ وهل يتّصف به الملأ الأعلى أم لا؟ وهل له مستند في الأسماء الإلهيّة المؤثّرة في الأعيان للأحوال التي تقام فيها أعيان المكلّفين؟ كالعاصي إذا توجّه عليه الاسم المنتقم، وتوجّه عليه الاسم العفو، فيتعصّب له الاسم التوّاب والرحيم والغفور والحليم، هذا أعني بالمستند الإلهيّ.

وعِلمُ ما يظهر على أعيان الممكنات المكلّفين؛ هل يظهر بحكم الاستحقاق؟ أو بحكم المشيئة؟

وعِلمُ ما تجتمع فيه الرسل، وما تفترق فيه.

وعِلمُ منازل القرون الثلاثة الآتية على نسق، والقرن الرابع، وما لها في الزمان من الشهور الأربعة الحرم، التي هي ثلاثةٌ سردٌ وواحدٌ فردٌ.

وعِلمُ ما يطلب بالسجود من الله، ومراتب السجود، والسجود الذي يقبل الرفع منه الساجد من السجود الذي إذا وقع لم يرفع منه؛ وهل خُلق العالَمُ ساجدا[1]؟ أو خُلق قائما ثمّ دعي إلى السجود؟ أو خُلق بعضه قائمًا وبعضه ساجدا، وتعيين مَن خلق ساجدا ممن خلق قائما ثمّ سجد، أو لم يسجد؟

وعِلمُ العلامات الإلهيّة في الأشياء، وما يدلّ منها على سعادة العبد وعلى شقاوته.

وعِلمُ تفاصيل الوعد الإلهيّ؛ ولماذا نفذ بكلّ وجه، ولم ينفذ الوعيد في كلّ من تُوعّد، وكلاهما خبر إلهيّ؟

فهذا بعض ما يحتوي عليه هذا المنزل من العلوم. وتركنا منها علوما لم نذكرها؛ طلبا للاختصار ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2]. ومن هذا المنزل علِمنا حين وقفنا عليه سنة إحدى وتسعين وخمسمائة نصرَ المؤمنين على الكفّار قبل وقوعه بمدينة فاس من بلاد المغرب.

١ ص ٩٦
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب السابع والثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل محمد ﷺ
مع بعض العالم -وهو من الحضرة الموسويّة

أَلَا للهِ مـا الأكْـوان فيـهِ ... مِنَ احْكامِ التَّناقُضِ فِي الوُجُودِ
فَمِـنْهُمُ[1] طـائعٌ عـاصٍ عَلِـيمٌ ... جَهُـولٌ بِالـنُّزُولِ وبِالصُّـعُودِ
وَمِنْهُمْ مَنْ تَحَقَّقَ فِي غُيُوبٍ ... وَمِـنْهُمْ مَـنْ تَحَـقَّقَ فِي الشُّـهُودِ
فَتَظْهَـرُ كَـثْرَةٌ والعَـيْنُ مِنْهـا ... وَحِيْـدٌ بِالدلائِـلِ والعُقُـودِ
فَسُبْحانَ المُرادِ بِكُلِّ نَعْتٍ ... مِنَ اوْصافِ الأُلوهَةِ والعَبِيْدِ
وَسُبْحانَ المُحِيْطِ بِكُلِّ شَيْءٍ ... وَيُوصَفُ فِي المَعارِفِ بِالمَزِيْدِ

قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد الناس يوم القيامة» وعلّل ذلك بكماله وقال: «لو كان موسى حيّا ما وسعه إلّا أن يتّبعني» لعموم رسالته وشمول شريعته. فخُصّ ﷺ بأشياء لم تُعطَ لنبيّ قبلَه. وما خُصّ نبيّ بشيء إلّا وكان لمحمد ﷺ فإنّه أُوتي جوامع الكلم، وقال: «كنت نبيّا وآدم بين الطين والماء» وغيره من الأنبياء لم يكن نبيّا[2] إلّا في حال نبوّته وزمان رسالته. فلنذكر في هذا الباب منزله ومنزلته.

فالمنزل يظهر في بساط الحقّ ومقعد الصدق عند التجلّي والرؤية يوم الزَّوْر العام الأعظم؛ فيعلم منزله بالبصر والشهود.

وأمّا منزلته فهي منزلةٌ في نفس الحقّ، ومرتبة منه، ولا يُعلم ذلك إلّا بإعلام الله. وله المقام المحمود، وهو فتح باب الشفاعة للملائكة فمَن دونهم. وله الأوّليّة في الشفاعة، وله الوسيلة؛ وليس في المنازل أعلى منها ينالها محمد ﷺ بسؤال أُمّته، جزاء لما نالوه من السعادة به، حيث أبان لهم طريقها، فاتّبعوه.

١ ص ٩٦ب
٢ ص ٩٧

واعلم أنّ هذا المنزل مَن يدخله يرى فيه عجائب لا يراها في غيره. فمن ذلك أنّه يرى أعمال الأشقياء مجسّدة، وأعمال السعداء كذلك مجسّدة؛ صورا قائمة تَعْقِل وجود خالقها. وقد جعل الله في نفوس هذه الصور[1] طلبا على الأسباب التي وُجدت عنها؛ وهم العاملون ويجدّون في طلبهم. فأمّا أعمال السعداء فيرون على أيمانهم طريقا يسلكونها، فتأخذ بهم تلك الطريق إلى مشاهدة أصحابهم، وهم السعداء؛ فيميّز بعضهم بعضا، ويتساءلون، ويتّخذونهم، العاملون، مراكب[2] فوز ونجاة تحملهم إلى مستقرّ الرحمة.

وأمّا أعمال الأشقياء فتقوم لهم طرق متعدّدة متشعّبة، متداخلة بعضها في بعض، لا يعرفون أيّ طريق تمشي بهم إلى أصحابهم، فيحارون ولا يهتدون، وهذا من رحمة الله بالأشقياء. فإذا حارت أعمالهم، رجعتْ إلى الله بالعبادة والذِّكْر، ويتفرّقون في تلك الطرق. فمنهم من لا يهتدي إلى صاحبه أبد الآبدين. ومنهم من يصل إلى صاحبه فيشاهده، ويتعرّف إليه فيعرفه، ويكون وجوده إيّاه مصادفة. فيتعلّق به؛ ويقول له: احملني، فقد أتعبتني في طلبك. فيجبر العامل على حمله إلى أن تناله الرحمة، رحمة الله.

وإلى جانب موقف هذه الصور طريقان واضحان: طريق تكون غايته الحقّ الوجود، وطريق لا غاية له، فإنّه يُخْرِجُ السالكَ إلى العدم فلا يقف عند غاية فيه؛ إذ العدم لا ينضبط بحدٍّ فيتقيّد به، بخلاف الحقّ الوجود؛ فإنّه يتقيّد وإن كان مطلَقا. فإطلاقه تقييد في نفس الأمر، فإنّه متميّز بإطلاقه عن الوجود المقيّد؛ فهو مقيّد في عين إطلاقه. وطريق ثالث بين هذين الطريقين برزخيّ، لا تتّصف غايته بالوجود ولا[3] بالعدم، مثل الأحوال في علم المتكلّمين.

فأمّا الطريق التي تكون غايتها الوجود الحقّ، يسلك[4] عليها الموحّدون، والمؤمنون، والمشركون، والكافرون، وجميع أصحاب العقائد الوجوديّة. وأمّا الطريق الأخرى فلا يسلك عليها إلّا المعطّلة، فلا تنتهي بهم إلى غاية. وأمّا الطريق البرزخيّ فلا يسلك فيه إلّا العلماء بالله

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٩٧ب
٣ ص ٩٨
٤ س، ه: فيسلك

خاصّة، الذين أثبتهم الحقّ، ومحاهم في عين إثباتهم، وأبقاهم في حال فنائهم. فهم الذين لا يموتون ولا يحيون إلى أن يقضي اللهُ بين العباد، فيأخذون ذات اليمين إلى طريق الوجود الحقّ، وقد اكتسبوا من حقيقة تلك الطريق صفة، واكتسبوا منها هيئة تظهر عليهم في منزل الوجود الحقّ، يعرفون بها بعضهم بعضا، ولا يعرفهم بها أحد من أهل الطريقين. وهذا ضربُ مثلٍ ضربه الله لأهل الله، ليقفوا منه على مراتب الهدى والحَيرة، والمهتدين والضالّين.

وجعل الله لهم نورا؛ بل أنوارا يهتدون بها في ظلمات برّ طبيعتهم، وفي ظلمات بحر أفكارهم، وفي ظلمات نفوسهم الناطقة برّها وبحرها، بما هي عليه في نشأتها، إذ كانت متولّدة بين النور الخالص، والطبيعة المحضة العنصريّة السدفيّة. وتلك الأنوار المجعولة فيهم من الأسماء الإلهيّة؛ فمن كان عارفا بها، وناظرا بها من[1] حيث ما وُجِدت له؛ وصل بها إلى العلم بالأمور والكشف. ومَن أخذها أنوارا لا يعلم أنّها، بالوضع، للاهتداء، وجعلها زينة كما تراها العامّة في كواكب السماء زينةً خاصّة؛ لم يحصل له منها غير ما رأى. ويراها العلماء بمنازلها وسَيْرِها وسباحتها في أفلاكها موضوعة للاهتداء بها؛ فاتّخذوها علامات على ما يبتغونه في سَيْرِهم على الطرق الموصلة إلى ما دعاهم الحقّ إليه من العلم به، أو إلى السعادة التي هي الفوز خاصّة.

واعلم أنّ الله لمّا جعل منزل محمد ﷺ السيادة فكان سيّدا، ومن سِوَاهُ سُوقة، علمنا أنّه لا يُقاوَم؛ فإنّ السُّوقة لا تقاوِم ملوكها. فله منزل خاصٌّ وللسُّوقة منزل. ولمّا أُعطي هذه المنزلة وآدمَ بين الماء والطين، علمنا أنّه المَمدّ لكلّ إنسان كامل، منعوت بناموس إلهيّ أو حكميّ. وأوّل ما ظهر من ذلك في آدم، حيث جعله الله خليفة عن محمد ﷺ؛ فأيّده[2] بالأسماء كلّها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد ﷺ، فظهر بعلم الأسماء كلّها على من اعترض على الله في وجوده، ورجّح نفسه عليه.

ثمّ توالت الخلائف في الأرض، إلى أن وصل زمان وجود[3] صورة جسمه، لإظهار حكم

١ ص ٩٨ب
٢ كتب في الهامش: "فأمدّه" مع إشارة التصويب، وهي كذلك في س
٣ ص ٩٩

منزلته باجتماع نشأتيه. فلمّا برز كان كالشمس: اندرج في نوره كلُّ نور، فأَقَرَّ من شرائعه التي وَجَّهَ بها نُوّابَه ما أقرّ، ونسخ منها ما نسخ، وظهرتْ عنايته بأُمّته لحضوره وظهوره فيها، وإن كان العالَمُ الإنسانيّ والناريّ كلّه أُمّته، ولكن لهؤلاء خصوص وصفٍ فجعلهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] هذا الفضل أعطاه ظهوره بنشأتيه.

فكان مِن فضل هذه الأمّة على الأمم أن أنزلها منزلة خلفائه في العالم قبل ظهوره، إذ كان أعطاهم التشريع. فأعطى هذه الأمّة الاجتهاد في نَصب الأحكام، وأمرهم أن يحكموا بما أدّاهم إليه اجتهادهم. فأعطاهم التشريع، فلحقوا بمقامات الأنبياء -عليهم السلام- في ذلك، وجعلهم ورثةً لهم لتقدّمهم عليهم؛ فإنّ المتأخّر يرث المتقدّم بالضرورة، فيدعون على بصيرة، كما دعا السيّد محمد ﷺ فأخبر بعصمتهم فيما يدعون إليه. فمنهم المخطِّئ حكم غيره من المجتهدين، ما هو مخطئ الحقّ؛ فإنّ الذي جاء به حقّ. فإن أخطأ حكما قد تقدّم الحكم به لمحمد ﷺ وما وصل إليه، فذلك الذي جعل له أجرا واحدا، وهو أجر الاجتهاد. وإن أصاب الحكم[2] المتقدّم باجتهاده، فله أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة. وإن كان المصيب مجهول العين في المجتهدين، عند نفسه وعند غيره، فليس بمجهول عند الله. وكلُّ من دخل في زمان هذه الأمّة بعد ظهور محمد ﷺ من الأنبياء الخلفاء الأُوَل، فإنّهم لا يحكمون في العالم إلّا بما شرع محمد ﷺ في هذه الأمّة، وتميَّز في المجتهدين، وصار في حزبهم مع إبقاء منزلة الخلافة الأُولَى عليه. فله حكمان؛ يظهر بذلك في القيامة، ما له ظهورٌ بذلك هنا.

ومنزل محمد ﷺ يوم الزَّوْر الأعظم، على يمين الرحمن، من حيث الصورة التي يتجلّى فيها على عرشه، ومنزله يوم القيامة ليس على يمين الرحمن، لكن بين يدي الحَكَم العدل لتنفيذ الأوامر الإلهيّة والأحكام في العالم؛ فالكلّ عنه يأخذ في ذلك الموطن. وهو وجهٌ كلّه يَرى من جميع جهاته، وله من كلّ جانب إعلامٌ عن الله -تعالى- يُفهم عنه: يَرونه لسانا، ويسمعونه صوتا وحرفا. ومَنزلُه في الجنانِ الوسيلةُ التي تتفرّع جميع الجنّات منها. وهي في جنّة عدن دار المقامة.

١ [آل عمران : ١١٠]
٢ ص ٩٩ب

ولها شعبة في كلّ جنّة من الجنّات، من تلك الشعبة يظهر ﷺ لأهل تلك الجنّة. وهي[1] في كلّ جنّة أعظمُ منزلة فيها. وهذه منازل كلّها حسّيّة لا معنويّة. وليست المعنويّة إلّا منزلته في نفس موجِده، وهو الله -تعالى-. وما هذا خاصّ به، بل كلّ منزلة لا تكون إلّا في نفس الله الذي هو الرحمن. والمنازل محسوسة محصورة التي هي جمع منزل، لا جمع منزلة، فاعلم ذلك؛ فإنّه مِن لُباب المعرفة بالله -تعالى وتقدّس في ذاته-. وأمّا منزله في العلوم، فالإحاطة بعلم كلّ عالم بالله من العلماء به فعلى متقدّميهم ومتأخّريهم. وكلّ منزل له ولأتباعه مطيَّب بالطيب الإلهيّ الذي لم يدخل فيه ولا استعملت أيدي الأكوان فيه.

واعلم أنّه من كماله ﷺ أنّه خصّ بستّة لم تكن لنبيّ قبله، والستّة أكمل الأعداد. وليس في الأشكال[2] شكلٌ فيه زوايا، إذا انضمّتْ إليها الأمثال، لم يكن بينها خُلُوٌّ؛ إلّا الستّة. وبها أوحى الله إلى النحل في قوله: ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[3] وأوحى إليها صفةَ عملها، فعملتها مسدّسة.

فأخبر أنّه أُعطي مفاتيح الخزائن، وهي خزائن أجناس العالم، لِيُخْرِج إليهم بقدر ما يطلبونه بذواتهم، إذْ أعلَمنا أنّه السيّد. ومَن اعتبر تعيين الخزائن بالأرض، فليس في الأرض إلّا خزائن المعادن والنبات لا غير؛ فإنّ الحيوان من حيث نموّه نبات. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[4] فأخبرنا أنّا من جملة نبات الأرض، وما أعطيها (ص) حتى كان فيه الوصف الذي يستحقّها به[5].

ولهذا طلبها يوسف عليه السلام من[6] الملِك صاحب مصر أن يجعله على خزائن الأرض لأنّه حفيظ عليم؛ ليفتقِر الكلُّ إليه؛ فتصحّ سيادته عليهم. ولهذا أخبر بالصفة التي يستحقّ مَن قامت به

١ ص ١٠٠
٢ لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س
٣ [النحل : ٦٨]
٤ [نوح : ١٧]
٥ "ومن اعتبر... به" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب "صح، أصل"
٦ ص ١٠٠ب

هذا المقام فقال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1] حفيظ عليها، فلا نخرج منها إلّا بقدر معلوم، كما أنّ الله - سبحانه- يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[2] فإذا كانت هذه الصفة فيمن كانت، مَلِكَ مقاليدَها. ثمّ قال -بعد قوله ﴿حَفِيظٌ﴾-: ﴿عَلِيمٌ﴾ أخبرَ أنّه عالمٌ بحاجة المحتاجين لما في هذه الخزائن التي خزن فيها ما به قوامهم، عليم بقدر الحاجة.

فلمّا أُعطي ﷺ مفاتيح خزائن الأرض، علمنا أنّه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. فكلّ ما ظهر من رزق في العالَم، فإنّ الاسم الإلهيّ لا يعطيه إلّا عن أمر محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح. كما اختصّ الحقّ - تعالى- بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلّا هو؛ أعطي هذا السيّد منزلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن.

والخصلة الثانية: "أوتي جوامع الكلم". والكلم جمع كلمة، وكلمات الله لا تنفد؛ فأُعطي علم ما لا يتناهى. فَعَلِمَ ما يتناهى بما حَصَرَهُ الوجود، وعَلِمَ ما لم يدخل في الوجود وهو[3] غير متناهٍ؛ فأحاط علما بحقائق المعلومات؛ وهي صفة إلهيّة لم تكن لغيره. فالكلمة منه كلمات، كالأمر الإلهيّ الذي هو كلمة واحدة وكلمح بالبصَر. وليس في التشبيه الحِسّيّ أعظم ولا أحقّ تشبيها به مِن لمح بالبصر.

ولمّا علم بجوامع الكلِم أعطي الإعجاز بالقرآن الذي هو كلمة الله، وهو المترجم به عن الله؛ فوقع الإعجاز في الترجمة التي هي له. فإنّ المعاني المجرّدة عن المواد لا يُتصوّر الإعجاز بها، وإنما الإعجاز (هو) ربطُ هذه المعاني بصوَر الكلِم القائم من نظم الحروف؛ فهو لسانُ الحقّ وسمعُه وبصرُه؛ وهو أعلى المراتب الإلهيّة. ويتنزل عنها من كان الحقُّ سمعَه وبصرَه ولسانَه، فيكون مترجِما عن عبده، كما ترجم -تعالى- لنا في القرآن أحوال مَن قبلَنا وما قالوه. فما فيه ذلك الشرف؛ فإنّه يترجم عن أهله والمقرّبين لديه كالملائكة فيما قالوه، ويترجم عن إبليس مع إبلاسه وشيطنته وبُعده بما قاله. ولا يترجم عن الله إلّا مَن له الاختصاص، الذي لا اختصاص فوقه.

١ [يوسف : ٥٥]
٢ [الحجر : ٢١]
٣ ص ١٠١

والخصلة الثالثة: "بعثته إلى الناس كافّة" من الكفت؛ وهو الضمّ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾[1] أي تضُمّ الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها. كذلك ضمّت شريعته جميع الناس، فلا يسمع به أحد إلّا[2] لزمه الإيمان به. ولمّا سمع الجنُّ القرآنَ يُتلى قالوا لقومهم: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[3] فأخبر بقوله إلى: ﴿بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ عن الجنّ، وقول الله مِن: ﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾ إلى ﴿مُبِينٍ﴾ فضمّتْ شريعته الجنّ والإنس. فعمّ بشريعته الإنسَ والجنّ، وعمّت العالَم رحمتُه التي أُرسِل بها، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[4] فأخبر اللهُ أنّه أرسله ليرحم العالَم، وما خَصَّ عالَمًا من عالَم.

فإذا أتى بكلّ ما يرضي العالَم صنفا صنفا، ما عدا بعض مَن هو مخاطَب بحكم شرعه، فقد رحمه، وقام بالرحمة التي أرسِل بها. بل نقول: إنّه جاء بحكم الله. وحُكم الله يرضى به كلُّ صنف من العالم بلا شكّ. فإنّ كلّ العالم مسبّح بحمده، فهو راضٍ بحكمه من جهة ما جاء به هذا الرسول، العامُّ الدعوة، العامُّ بنشر الرحمة على العالَم. غير أنّ من الناس من لم يرض بالمحكوم به، وإن كان راضيا بالحكم، فقد نال من رحمة الله التي أرسل بها على قدر ما رضي به من الحكم المعيَّن الذي جاء به. وليس هذا الواقع إلّا في الناس خاصّة.

وإنما[5] الجنُّ؛ شياطينُهم وغير شياطينهم، فإنّ الله جعل لهم الإغواء، وأمرهم من خلف حجاب البُعد[6] بالاستفزاز، والمشاركة في الأموال والأولاد؛ ابتلاء لهم وامتحانا. فيقول الشيطان للإنسان: ﴿اكْفُرْ﴾. فإذا كفر يقول الشيطان: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[7] هذا إخبار الله عنه. ثمّ قال: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾[8] أي جاءهما عقيب هذا الواقع ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾

١ [المرسلات : ٢٥]
٢ ص ١٠١ب
٣ [الأحقاف : ٣١ ، ٣٢]
٤ [الأنبياء : ١٠٧]
٥ ص ١٠٢
٦ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٧ [الحشر : ١٦]
٨ [الحشر : ١٧]

فأعقب الشيطان برجوعه إلى أصله؛ فإنّه مخلوق من النار؛ فرجع إلى موطنه. وكان للإنسان عقوبة على كفره، حيث ظلم بقبول ما جاءه به الشيطان، ولم يقبل ما جاءه به الرسول. ثمّ قال: ﴿خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ فخلّد الشيطان في منزله وداره، وخُلّد الإنسان جزاءً لكفره. ولهذا تبرّأ منه للافتراق الذي بينهما في العاقبة، وقوله: ﴿وَذَلِكَ﴾ فأشار ببنية الواحد، ولم يُثَنِّ الإشارة إلى العقاب؛ فإنّهما ما اشتركا فيه؛ لأنّ الذي أتى للإنسان عقيب ذنبه إنما هو العذاب، والذي كان سهم الشيطان الذي أتاه عقيب فعله وقوله؛ رجوعه إلى أصله الذي منه خُلِق، فلا يغترّ العاقل.

ألا ترى في قصّة آدم في الجنّة، لمّا وقع منه ما وقع من قرب الشجرة، وأعقبه الله الهبوط إلى الأرض من الجنّة، وأهبط[1] حوّاء وأهبط إبليس، ولذا قال: ﴿اهْبِطُوا﴾[2] فجمع، ولم يُثَنِّ ولا أفْرَدَ. فنزل آدم إلى أصله الذي خُلق منه، فإنّه مخلوق من التراب، فأهبطه الله للخلافة لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3] فما أُهبط عقوبةً لما وقع منه، وإنما جاء الهبوط عقيب ما وقع منه. وأهبط حوّاء للتناسل، وأهبط إبليس؛ عقوبة لا رجوعا إلى أصله؛ فإنّها ليست داره، ولا خُلق منها. فسأل الله الإغواء أن يدوم له في ذرّيّة آدم لمّا عاقبه الله بما يكرهه من إنزاله إلى الأرض، وكان سببَ ذلك في الأصل وجودُ آدم؛ لأنّه بوجوده وقع الأمر بالسجود، وظهر ما ظهر من إبليس، وكان من الأمر ما كان.

فعلمنا أنّ الله أرسله (أي محمدا -ص-) بالرحمة، وجعله رحمة للعالمين. فمَن لم تنله رحمته، فما ذلك من جهته وإنما ذلك من جهة القابل. فهو كالنور الشمسيّ أفاض شعاعه على الأرض، فمن استتر عنه في كِنٍّ وظلّ جدار، فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه، وعدل عنه، فلم يرجع إلى الشمس من ذلك مَنْعٌ. وأخبر ﷺ أنّه بُعث إلى كلّ أحمر وأسود، فذكر من قامت به الألوان من الأجسام. يشير إلى أنّه مبعوث بعموم الرحمة لمن يقبلها[4]، وبعموم الشرع لمن يؤمن به. وأُمّته ﷺ

١ ص ١٠٢ب
٢ [البقرة : ٣٨]
٣ [البقرة : ٣٠]
٤ ص ١٠٣

جميعُ مَن بُعث إليه ليشرّع له: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾[1] والكلُّ أُمّته.

والخصلة الرابعة: أنّه «نُصِر بالرعب بين يديه مسيرة شهر» والشهر قدر قطع القمر درجات الفلَك المحيط، فهو أسرع قاطع. والحساب به للعرب، وهو عربيّ. فإذا نُصِر بين يديه بالرعب مسيرة شهر بِسَيْر القمر، لأنّه ما ذَكر السائر وذكر الشهر، ولا يعيّن الشهر عند أصحاب هذا اللسان إلّا سير القمر، فقد عمّ نصره بالرعب، ما قطعه من المسافة هذا القمر في شهر. فعمّ حكم كلّ درجة للفلَك الأقصى لها أثر في عالم الكون والفساد بقطع القمر تلك المسافة. فما قال ذلك إلّا بطريق الثناء عليه به، ولو كان ثَمّ مَن يقطع الفلَك في أقلّ من هذه المدّة لجاء به. فجاء بأسرع سائرٍ يعمُّ سيْرُه قطع درجات الفلَك المحيط. فعمومُ رُعبه في قلوب أعدائه، عمومُ رحمته. فلا يقبل الرعب إلّا عدوٌّ مقصود، يعلم أنّه مقصود. فما قابله أحد في قتالٍ إلّا وفي قلبه رعبٌ منه، ولكنّه يتجلّد عليه بما أشقاه الله، ليتميّز السعيد من الشقيّ. فيوهِن ذلك الرعبُ مِن جَلادةِ[2] عدوّه على[3] قدر ما يريد الله، فما نَقَص من جلادة ذلك العدوّ، بما وجده من الرعب، كان ذلك القدر نصرا من الله.

والخصلة الخامسة: "أحلّت له الغنائم، ولم تحلّ لأحد قبله". فأُعطي ما يوافق شهوة أُمّته، والشهوة نار في باطن الإنسان تطلب مشتهاها، ولا سيما في المغانم. لأنّ النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم عن قهرٍ منهم وغلبَة وتعمُّل، فلا يريدون أن يفوتهم التنعُّم بها، في مقابلة ما قاسوه من الشدَّة والتعب في تحصيلها. فهي أعظم مشتهى لهم. وقد كانت المغانم في حقِّ غيره من الأنبياء، إذا انصرف من قتال العدوّ، جَمَعَ المغانم كلّها، فإذا لم يبقَ منها شيء، نزلت نار من الجوّ فأحرقتها كلّها. فإن وقع فيها غلول؛ لم تنزل تلك النار حتى يُرَدّ ويلقى فيها ذلك الذي أُخذ منها. فكان لهم نزول النار علامة على القبول الإلهيّ لفعلهم. فأحلّها الله لمحمد ﷺ؛ فقسّمها في أصحابه، فتناولتها نار شهواتهم، عناية من الله بهم، لكرامة هذا الرسول عليه. فأكرمه بأمر لم

١ [البقرة : ٢٥٣]
٢ رسمها في ق: "جلاذة" ومعناها موافق، يقال: ناقة جُلَذية: قوية شديدة صلبة
٣ ص ١٠٣ب

يكرم به غيره من الرسل، وأكرم من آمنَ به بما لم يكرم به مؤمنا قبله بغيره.

والخصلة السادسة: "أن[1] طهّر الله بسببه الأرض، فجعلها كلّها مسجدا له. فحيث أدركَتْهُ، أو لأمّته، الصلاة يصلّي". والمساجد بيوت الله، وبيوت الله أكرم البيوت؛ لإضافتها إلى الله. فصيَّر الأرضَ كلّها بيت الله، من حيث جعلها مسجدا. وقد أخبر ما لِمَنْ يلازم المساجد من الفضل عند الله. فأمّته لا تبرح في مسجد أبدا؛ لأنّها لا تبرح من الأرض؛ لا في الحياة ولا في الموت، وإنما هو انتقال من ظهر إلى بطن. وملازم المسجد جليسُ الله في بيته. فهذه الأمّة جلساء الله حياةً وموتا؛ لأنّهم في مسجد وهو الأرض.

وكذلك جعل الله، أيضا، تربة هذه الأرض طهورا. فكان لها حكم الماء في الطهارة، إذا عُدِم الماء أو عُدم الاقتدار على استعماله، لسبب مانع من ذلك. فأقام لهم ترابَ هذه الأرض والأرضَ طهورا. فإذا فارق الأرض ما فارق منها ما عدا التراب، فلا يتطهّر به إلّا أن يكون التراب. فإنّه ما كان منها يُسمّى: أرضا، ما دام فيها، من معدن، ورخام، وزرنيخ، وغير ذلك. فما دام في الأرض كان أرضا حقيقة؛ لأنّ الأرض تعمّ هذا كلّه. فإذا فارَق الأرضَ انفرد باسمٍ خاصٍّ له، وزال عنه اسم الأرض، فزال حكم الطهارة منه، إلّا التراب خاصّة؛ فسواء فارق الأرضَ أو لم يُفارقها، فإنّه[2] طهور لأنّه منه خُلِق المتطهِّر به، وهو الإنسان؛ فتطهَّر بذاته تشريفا له. فأبقى الله النصّ عليه بالحكم به في الطهارة دون غيره، ممن له اسمٌ غير اسم الأرض. فإذا فارق الترابُ الأرضَ زال عنه اسم الأرض، وبقي عليه اسم التراب، كما زال عن الزرنيخ اسم الأرض لمّا فارق الأرض، وبقي عليه اسم الزرنيخ، فلم تجز الطهارة به بعد المفارقة؛ لأنّ الله ما خلق الإنسان من زرنيخ، وإنما خلقه من تراب. فقال رسول الله ﷺ في الأرض: «إنّ الله جعلها له مسجدا وطهورا» فعَمَّ. ثمّ قال في الخبر الآخر: «وَجُعِلَتْ تربتها لنا طهورا» فخرج التراب، بالنصّ فيه، عن سائر ما يكون أرضا ويزول عنه الاسم بالمفارقة.

فهذه ستّة خُصّ بها هذا النبيّ ﷺ. فكانت منزلةً لم ينلها غيره، لها حكم في كلّ منزل من

١ ص ١٠٤
٢ ص ١٠٤ب

دنيا وهو ما ذكرناه، ومن برزخ وقيامة وجنّة وكثيب. فيظهر حكم هذا الاختصاص الإلهيّ في كلّ منزل من هذه المنازل، ليتبيّن شرفه وما فضّله الله به على غيره، مع كونه أعطي جميع ما فضّلت به الرسل بعضها على بعض.

ثمّ لتعلم -أيّها الوليّ- أنّه من رحمته ﷺ التي بعثه الله -تعالى- بها، ما[1] أبان الله على لسانه لنا، وأمره بتبليغ ذلك فبلّغ، أنّه ليس من شرط الرسالة ظهور العلامات على صدقه، إنما هو شخص منذِر مأمور بتبليغ ما أُمر بتبليغه. هذا حظّه لا يجب عليه غير ذلك. فإن أتى بعلامةٍ على صدقه فذلك فضل الله، ليس ذلك بيده. فأقام عذر الأنبياء كلّهم في ذلك، فكان رحمة للرّسل في هذا. فجاء في القرآن قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[2] وهذا قولُ غير العرب، ما هو قول العرب، لأنّه جاء بالقرآن آيةً على صدقه للعرب؛ إذ لا يعرف إعجازَه وكونه آية غير العرب. فلم يَرِد عنه أنّه أظهر آية لكلّ من دعاه من غير العرب، كاليهود والنصارى والمجوس. ولكن أيّ شيء جاء من الآيات، فذلك من الله لا بحكم الوجوب، عليه ولا على غيره من الرسل.

فقيل له: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[3] ثمّ قال له: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً﴾[4] بهم؛ فإنّا أرسلناك رحمة للعالمين. فَضَمَّنَّا القرآنَ جميع ما تعرف الأمم أنّه آيةٌ على صدق من جاء به؛ إذ لم يعلموا منه بقرائن الأحوال أنّه قرأ، ولا كتب، ولا طالع، ولا عاشر، ولا فارق بلده؛ بل كان أُمّيًّا من جملة الأُمّيّين؛ وأخبرهم[5] عن الله بأمور يعرفون أنّه لا يعلمها مَن هو بهذه الصفة التي[6] هو عليها هذا الرسول، إلّا بإعلام من الله. فكان ما جاء في القرآن من ذلك أنّه كما قالوا وطلبوا. وكان إعجازه للعرب خاصّة؛ إذ نزل بلسانهم، وصُرِفوا عن معارضته، أو لم يكن في قوّتهم ذلك من غير صَرْفٍ حدث لهم. فجاء

١ ص ١٠٥
٢ [الأنعام : ٣٧]
٣ [العنكبوت : ٥٠]
٤ [العنكبوت : ٥١]
٥ ص ١٠٥ب
٦ ق: "الذي" وصححت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

القرآن بما جاءت به الكتب قبله، ولا عِلم له بما جاء فيها إلّا من القرآن، وعلمت ذلك اليهود والنصارى وأصحاب الكتب، فحصلت الآية من عند الله، لأنّ القرآن من عند الله. فقد تبيّن لك منزل محمد من غيره من الرسل.

وخصّه الله بعلوم لم تجتمع في غيره؛ منها: أنّه أعطاه أنواعَ ضُروب الوحي كلّها، فأوحى إليه بجميع ما سمّي وحيًا؛ كالمبشّرات، والإنزال على القلوب والآذان، وبحالة العروج وعدم العروج، وغير ذلك. وخصّه بعموم علوم الأحوال كلّها؛ فأعطاه العلم بكلّ حال، وفي كلّ حال ذوقا؛ لأنّه أرسله إلى الناس كافّة، وأحوالهم مختلفة، فلا بدّ أن تكون رسالته تعمّ العلم بجميع الأحوال.

وخصّه الله بعلم إحياء الموات، معنى وحسّا. فحصّل العلم بالحياة المعنويّة، وهي حياة العلوم، والحياة الحسّيّة؛ وهو ما أتى في[1] قصّة إبراهيم عليه السلام تعليما وإعلاما لرسول الله ﷺ وهو قوله: ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾[2].

وخُصّ بعلم الشرائع كلّها، فأبان له عن شرائع المتقدّمين، وأمره أن يهتدي بهداهم.

وخُصّ بشرع لم يكن لغيره، منه ما ذكرناه في الستّة التي خُصّ بها.

فهذه أربعة منازل لم يَنزل فيها غيره من الأنبياء -عليهم السلام-. فهذا منزل محمد ﷺ قد ذكرت منه ما يَسّره الله على لساني. فلنذكر ما يتضمّن منزله من العلوم.

فمن ذلك عِلمُ الحجاب، أعني حجاب الجحد وحجاب الحكمة.

وعِلمُ الفارق الذي تعيّنتْ به السُّبُل، مثل قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3] ومنها جاء[4]: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[5] وهل هم اليوم بعموم بعثة الرسل أمّة واحدة، أم لا؟ وهل حُكم الله على أصحاب الكتب بالجزية وإبقائهم على دينهم، شرعٌ من الله لهم على لسان

---

١ ص ١٠٦

٢ [هود : ١٢٠]

٣ [المائدة : ٤٨]

٤ "ومنها جاء" وردت في ق برسم: "ومنهاجا" ولكن من غير تنوين كما أثبته في الأولى، ولم نعلم هل هي تكرار غير مقصود للكلمة السابقة، أو أنها مستقلة كما رسمناها بإضافة الهمزة حيث لم يكتب الهمزة عادة. علما أنها لم ترد في ه، س.

٥ [المائدة : ٤٨]

محمد ﷺ؟ فينفعهم ذلك ما أعطوا الجزية عن قوّة من الآخِذين وصَغار منهم؛ فقد فعلوا ما كُلّفوا، وكان هذا حظّهم[1] من الشريعة. فإبقاؤهم على شرعهم شرعٌ محمديّ لهم، فيسعدون[2] بذلك، فتكون مؤاخذةُ مَن أُخِذ منهم بما فرّط فيه من الشرع الذي هم عليه، كسائر العصاة الذين لم يعملوا بجميع ما تضمّنه شرعُهم، وإن كانوا مؤمنين به. وهذا علمٌ غريبٌ ما أعلم له ذائقا من فتوح المكاشفة، وهو من علوم الأسرار التي غار عليها أهلُ الله فصانوها.

وفيه عِلمُ ما حيّر الأكوان فيما تحيّروا فيه، كان ما كان[3].

وفيه عِلمُ الإيمان المطلق والمقيّد.

وفيه عِلمُ ما يُفسِد العمل المشروع ويصلحه.

وفيه عِلمُ سريان الحقّ في الأحكام على اختلافها، وأنّها كلّها حقٌّ من الربّ.

وفيه عِلمُ الكفّارات.

وفيه عِلمُ ما تصلح به أحوال الخلق.

وفيه عِلمُ ما هو الباطل، وما هو الحقّ: هل هما أمر وجوديٌّ، أو ليس بوجوديّ؟

وفيه عِلمُ الشركة في الاتّباع، وإلى ماذا يؤول كلّ تابع: هل غايته أمر واحد، أو مختلف؟

وفيه عِلمُ من تُضرب له الأمثال ممن لا تُضرب؟

وفيه عِلمُ القهر الإلهيّ على أيدي الأكوان، وقول أبي يزيد: "بطشي أشدّ" في هذا المقام.

وفيه عِلمُ الفرح بعد الشدّة؛ وهل من شأن الفرح أن لا يكون إلّا بعد شدّة، أم لا؟

وفيه[4] عِلمُ أنواع الابتلاء.

---

١ ص ١٠٦ب

٢ ق: "فيسعدوا" وفي الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب: "فيسعدون"

٣ "وفيه علم ما حير... كان" ثابتة في الهامش

٤ ص ١٠٧

وفيه عِلْم الصفة التي تزيل الحيرة عمّن قامت به، والإبانة عن ذلك.

وعِلْمُ الأنفاس الإلهيّة.

وعِلْمُ الإسفار ونتائجِ الأسفار.

وعِلْمُ المواعظ.

وعِلْمُ الغلبة التي ليس فيها نصر إلهيّ؛ بماذا كانوا غالبين؟

وفيه عِلْمُ الفرق بين علم العين، وعِلْمِ الدليل؛ وهل يقوم مقام العين، أم لا؟

وفيه عِلْمُ أنواع الزينة في العالم.

وفيه عِلْمُ مراتب العلوم وتفاصيلها.

وفيه عِلْمُ القضاء السابق من علم نفاة القَدَر.

وفيه عِلْمُ الطبع، والختم، والقُفل، والكِنّ. وما هو عمى الأبصار وعمى البصائر؟ ولِمَ[1] اختصّ عمى القلوب بحالة الصدور؛ وهو الرجوع عن الحقّ؟ وهل هو الصدور الذي يكون عن ورود متقدّم؟ أو هو صدور تكوين ممكن عن واجب؟ أو هو صدور محلّ لا صفة؟ فيكون عماه من كونه في المحلّ، فإذا فارق المحلّ بنظره، وانفتح له فيه فَرَجٌ ينظر منها، تزيل عماه.

وفيه تعيين علوم المزيد، فإنّها مختلفة بحكم ما تقع الزيادة عليه.

وفيه عِلْمُ الآيات والعلامات على الكوائن.

وفيه عِلْمُ توحيد المرتبة الإلهيّة أنّه[2] ما حازها إلّا واحد.

وفيه عِلْمُ الستور، وأصنافها التي تُسدل علينا لِنُستَر بها عن إدراك الغير؛ ما هي الستور التي تسدل بيننا وبين من نطلبُ رؤيته فلا نراه؟

١ ق، س: ولما
٢ ص ١٠٧ب

وعِلْمُ الإقامة في المنزل، والتقليب فيه، لا عنه.

وفيه عِلْمُ العناية بقوم، وتركها في حقّ قوم.

وفيه ما تنتجه العزائم في الخير والشرّ.

وفيه عِلْمُ الخير والشرور.

وفيه عِلْمُ النَّسب الرحمانيّ.

وفيه عِلْمُ ما ينفع من الإيمان مما لا ينفع، كما قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[1].

وفيه عِلْمُ البُعد والقُرب الإلهيّ.

وفيه ما يُؤدّي إليه التفكّر.

وفيه عِلْمُ الرجعة؛ ممن؟ وإلى من؟.

وفيه عِلْمُ ما يؤثّر فيه الظنّ مما لا يؤثّر.

وفيه عِلْمُ المشاهدة، وتعلّقها بالمشيئة، مع استعداد المحلّ لقبولها، وما هناك منعٌ، والمحلّ قابل؛ فما هذه المشيئة المانعة؟

وفيه عِلْمُ الإنصاف في المجازاة والفضل.

وفيه عِلْمُ الفرق بين أضداد الأمثال وغير الأمثال.

إلى غير هذا من العلوم. فإنّي لا أسوق من ذلك ما أسوقه على جهة الحصر، مع علمي بذلك، وإنما أسوقه على جهة التنبيه على ما فيه، أو بعض ما فيه، بحسب ما يقع لي. فوقتًا أوردُ[2] ذلك بطريق الحصر، بحيث أنّي لا أترك في المنزل علمًا إلّا نبّهتُ عليه، ووقتًا أقصر عن ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ [النساء : ١٥١]
٢ ص ١٠٨
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب الثامن والثلاثون وثلاثمائة
في معرفة منزل عقبات السّويق
-وهو من الحضرة المحمديّة-

الفَتْحُ فتحان في المَعْنَى وفي الكَلِمِ ... فَمَنْ تَكَمَّلَ[1] يُدْعَى جامِعَ الحِكَمِ

ولَوْ تَسافَلَ في الأكْوانِ مَنْزِلُهُ ... كانَ العُلُوُّ لَهُ في حَضْرَةِ الكَلِمِ

هُوَ المُقَدَّمُ في المَعْنَى بِرُتْبَتِهِ ... في عالَمِ النُّورِ لا في عالَمِ الظُّلَمِ

لا تَحْقِرَنَّ عِبادَ اللهِ إنّ لَهُمْ ... حَظًّا مِنَ اللهِ ذِي الآلاءِ والنِّعَمِ

فَعَظِّمِ الكَوْنَ فالمَدْلُولُ يَطْلُبُهُ ... وَهْوَ البَرِيْءُ مِنَ الآفاتِ والتُّهَمِ

اعلم[2] أنّ لله في المقام المحمود -الذي يقام فيه رسول الله ﷺ يوم القيامة باسمه "الحميد"- سبعةَ ألوية تسمّى: ألوية الحمد. تعطى لرسول الله ﷺ وورثته المحمديّين في الألوية أسماء الله التي يثني بها ﷺ على ربّه إذا أقيم في المقام المحمود يوم القيامة، وهو قوله ﷺ إذا سئل في الشفاعة قال: «فأحمد الله بمحامد لا أعلمها الآن» وهي الثناء عليه -سبحانه- بهذه الأسماء التي يقتضيها ذلك الموطن.

والله -تعالى- لا يثنى عليه إلّا بأسمائه الحسنى خاصّة، وأسماؤه -سبحانه- لا يحاط بها علمًا؛ فإنّا نعلم أنّ «في الجنّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ونعلم أنّا لا نعلم ما أُخفي لنا من قرّة أعين. وما من شيء من ذلك إلّا وهو مستنِد إلى الاسم الإلهيّ الذي ظهر به حين أظهره. والاسم الإلهيّ الذي امتنّ علينا -تعالى- بإظهاره لنا، فلا بدّ أن نعلمه، ونثني على الله به ونحمده؛ إمّا ثناءَ تسبيح، أو ثناء إثبات.

فلمّا عُرِّفْتُ بذلك، سألتُ عن توقيت تلك الأسماء التي يُحمد اللهُ -تعالى- بها يوم القيامة في

---

١ ق: "تكلّم" وفي الهامش بقلم الأصل: "تكمل"

٢ ص ١٠٨ب

المقام المحمود؛ فإنّي علِمت أنّي لا أعلمها الآن، ولا يُعلِّمَنيها[1] الله؛ فإنّها من المحامد التي يختصّ بها ﷺ يوم القيامة. فإذا سمعناه يحمده بها يوم القيامة في المقام المحمود، وانتشرت الألوية بها، والمحامد مرقومة فيها؛ ففي ذلك الموطن نعلمها. فقيل لي: إنّ عدد تلك الأسماء: ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسمًا، كلُّ لواء منها فيه مرقوم «تسعة وتسعون اسمًا مَن أحصاها هناك دخل الجنّة» غيرَ لواءٍ واحد من هذه الألوية، فإنّ فيه مرقومًا من هذه الأسماء سبعمائة وسبعون اسمًا يحمده ﷺ بهذه المحامد كلّها. وكلّها تتضمّن طلب الشفاعة من الله.

وهذا المنزل مما يعطَى مَن ينزله مشاهدةَ لواءٍ من تلك الألوية، وعلمًا بما فيه من الأسماء، ليثني هذا الوارث على الله بها هنالك. ولكلّ لواء منها منزلٌ هنا ناله ﷺ وتناله الورثة الكُمّل من أتباعه. وهذا المنزل منزل شامخ صعب المرتقى، ولهذا سمّي عقبة. وأضيفت إلى السّويق لعدم ثبوت الأقدام فيها، لأنّها مزلّة الأقدام، فلا يقطعها إلّا رجلٌ كاملٌ من رسولٍ، ونبيٍّ، ووارثٍ كاملٍ يَحجبُ كلَّ وارثٍ في زمانه. وهذا هو المنزل[2] الذي سمّاه "النّفّري" في مواقفه: "موقف السّواء" لظهور العبد فيه بصورة الحقّ.

فإن لم يمنّ الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ، ويثبّت قدمَه في هذه العقبة، بأن يبقي عليه في هذا الظهور شهود عبودته لا تزال نُصب عينيه، وإن لم تكن حالته هذه وإلّا زلّت به القَدم، وحِيل بينه وبين شهود عبودته بما رأى نفسَه عليه من صورة الحقّ، ورأى الحقَّ في صورة عبودته، وانعكس عليه الأمر، وهو مشهد صعب؛ فإنّ الله نزل من مقام غِناه عن العالمين إلى طلب القرض من عباده. ومن هنا قال مَن قال: ﴿إنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾[3] وهو الغنيّ، ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وهم الفقراء، فانعكست عندهم القضيّة؛ وهذا من المكر الإلهيّ الذي لا يُشعر به[4].

---

١ ص ١٠٩

٢ ص ١٠٩ب

٣ [آل عمران : ١٨١]

٤ ثابتة في الهامش

فمن أراد الطريق إلى العصمة من المكر الإلهيّ فليلزم عبوديّته في كلّ حال ولوازمها، فتلك علامة على عصمته من مكر الله، ويبقى كونه لا يأمنه في المستقبل، بمعنى أنّه ما هو على أَمْنٍ أن تبقى له هذه الحالة في المستقبل إلّا بالتعريف الإلهيّ الذي لا يدخله تأويل ولا يحكم عليه إجمال. وفي هذا المنزل يشاهد قولَه (تعالى): ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[1] ومحمد ﷺ هو الرامي في الحسّ الذي وقع عليه البصر[2]، ويقوم له في هذا المنزل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

واعلم أنّ السَّواء بين طريقين، لأنّ الأمر محصور بين ربٍّ وبين عبد. فللربّ طريق وللعبد طريق. فالعبدُ طريقُ الربّ فإليه[4] غايته، والربّ طريق العبد فإليه غايته. فالطريق الواحدة العامّة في الخلق كلّهم هي ظهور الحقّ بأحكام صفات الخلق، فهي في العموم أنّها أحكام صفات الخلق، وهي عندنا صفات الحقّ لا الخلق؛ وهذا معنى السَّواء. والطريق الأخرى ظهور الخلق بصفات الحقّ، التي تميّز في العموم أنّها صفات الحقّ، كالأسماء الحسنى وأمثالها. وهذا مبلغ علم العامّة. وعندنا وعند الخصوص كلّها صفات الحقّ بالأصالة، ما أضيف إلى الخلق منها مما تجعله العامّة نزولا من الله إلينا بها. وهي عندنا صفات الحقّ، وأنّ العبد عَلَتْ منزلته عند الله حتى تحلّى بها. فهي عند العامّة أسماء نقص وعندنا أسماء كمال.

فإنّه ما ثَمّ مسمّى بالأصالة إلّا الله. ولمّا أظهر الخلقَ أعطاهم من أسمائه ما شاءَ وحقَّقهم بها. والخلق في مقام النقص لإمكانه وافتقاره إلى المرجّح؛ فما يُتخيّل أنّه أصل فيه وحقّ له أتبعوه في الحكم معه؛ فحكموا على هذه[5] الأسماء الخَلقيّة بالنقص، وإذا بلغهم أنّ الحقّ تسمّى بها، ويَصف نفسَه بها؛ يجعلون ذلك نزولا من الحقّ -تعالى- إليهم بصفاتهم، وما يعلمون أنّها أسماء حقٍّ بالأصالة. فعلى مذهبنا في ظهور الخلق بصفات الحقّ تعمّ الخلق أجمعه، فكلّ اسم لهم هو حقٌّ للحقّ، مستعار للخلق. وعلى مذهب الجماعة لا يكون ذلك إلّا لأهل الخصوص، أعني الأسماء

---

١ [الأنفال : ١٧]
٢ ص ١١٠
٣ [الصفت : ٩٦]
٤ مصحفة في ن وقراءتها بين: فإليه، فالله
٥ ص ١١٠ب

الحسنى منها خاصة. وعندنا لا يكون العلم بذلك إلّا للخصوص من أهل الله. وفرقٌ عظيم بين قولنا: "لا يكون ذلك" وبين قولنا: "لا يكون العلم بذلك" فإنّ الحقّ هو المشهود بكلّ عين في نفس الأمر، ولا يعلم ذلك إلّا آحادٌ من أهل الله، وهو مثل قول الصدّيق: "ما رأيت شيئا إلّا رأيت الله قبله" فعرفته، فإذا ظهر ذلك الشيء لعينه المقيّد، وقد رأى الله قبلَه، ميّزه في ذلك الشيء، وعلِم أنّ ذلك الشيء مَلْبَسٌ من ملابس الحقّ، ظهر فيه للزينة؛ فتلك زينة الله التي تزيّن بها لعباده. هذا مقام الصدّيق؛ فلا يتميّز أهل الله من غيرهم إلّا بالعلم بذلك، لأنّ الأمرَ في نفسه على ذلك. وعند العامّة لا يكون ذلك إلّا لأهل العناية المتحقّقين بالحقّ[1]، وغيرهم هو عندهم خلقٌ بلا حقٍّ.

ثمّ نرجع فنقول: إنّ الله جعل لهذا المنزل بابا يسمّى باب الرحمة، منه يكون الدخول إليه، فيعصمه مما فيه من الآفات المهلِكة التي أشرنا إليها آنفا من حكم السَّواء. فإنّه لهذا المنزل، أعني هذا الباب، كالنّيّة في العمل؛ فما تخلّل العمل من غفلة وسهوٍ لم يؤثّر في صحّة العمل؛ فإنّ النيّة تجبر ذلك، لأنّها أصل في إنشاء ذلك العمل، فهي تحفظه. وكذلك البسملة جعلها الله في أوّل كلّ سورة من القرآن؛ فهي للسورة كالنيّة للعمل. فكلٌّ وعيد، وكلّ صفة توجب الشقاء، مذكورة في تلك السورة. فإنّ البسملة بما فيها من الرحمن في العموم، والرحيم في الخصوص، تحكم على ما في تلك السورة، من الأمور التي تعطي مَن قامت به الشقاء. فيرحم الله ذلك العبد، إمّا بالرحمة الخاصّة وهي الواجبة، أو بالرحمة العامّة وهي رحمة الامتنان؛ فالمآل إلى الرحمة لأجل البسملة، فهي بشرى.

وأمّا سورة "التوبة" على من يجعلها سورة على حِدَةٍ منفصلةٍ عن سورة "الأنفال"، فسمّاها: سورة "التوبة"؛ وهي الرجعة الإلهيّة على العباد بالرحمة والعطف. فإنّه قال للمسرفين[2] على أنفسهم، ولم يخصّ مسرفا من مسرفٍ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فلو قال: "إنّ الرحمن" لم يعذّب أحدا من المسرفين، فلمّا جاء

---

١ ص ١١١
٢ ص ١١١ب

بالاسم "الله" قد تكون المغفرة قبل الأخذ وقد تكون بعد الأخذ، ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1] فجاء بالرحيم آخرا. أي مآلهم، وإن أُخذوا، إلى الرحمة، وأنّ الرجعة الإلهيّة لا تكون إلّا بالرحمة، لا يرجع على عباده بغيرها. وإن كانت الرجعة في الدنيا، ردّهم بها إليه وهو قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[2]. وإن كانت في الآخرة، فتكون رجعتهم مقدّمة على رجعته، لأنّ الموطنَ يقتضي ذلك. فإنّه كلّ مَن حضر من الخلق في ذلك المشهد، سُقِطَ في يديه، ورجع بالضرورة إلى ربّه؛ فيرجع الله إليهم، وعليهم.

فمنهم من يرجع الله عليه بالرحمة في القيامة ومنازلها، ومنهم من يرجع عليه بالرحمة بعد دخول النار، وذلك بحسب ما تعطيه الأحوال ويقع به الشهود. والأمر في ذلك كلّه حِسّيٌّ ومعنويٌّ؛ فإنّ العالم كلّه حرفٌ جاء لمعنى، معناه: "الله" ليظهر[3] فيه أحكامه، إذ لا يكون في نفسه محلّا لظهور أحكامه، فلا يزال المعنى مرتبطا بالحرف، فلا يزال الله مع العالَم. قال -تعالى-: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[4] فالداخل إلى هذا المنزل، في أوّل قدم يضعه فيه، يحصل له من الله تسعة وتسعون تجلّيا؛ مائة إلّا واحد، تتقدّم إليه منها تسعة، يرى فيها صورته فيعلم حقيقته، ثمّ بعد ذلك يقام في التسعين، فيرى ما لم يكن يعلم في حضرة جمع ومنعةٍ وعلوٍّ عن المقاوم. فينزل الحقّ إليه معلّما علما من لدنه، وقد تقدّمت الرحمة له عند دخوله. وهذا منزل خَضِر- صاحب موسى عليه السلام.

واعلم أنّ أهليّة الشيء لأمر مّا، إنما هو نعتٌ ذاتيّ، فلا تقع فيها مشاركة لغيره إلّا بنسبة بعيدة، إذا حقّقتها لم تثبتْ وزلّتْ قدمُك فيها؛ كما قال ﷺ في الصحيح: «أمّا أهل النار الذين هم أهلها» وهم الذين لا يخرجون منها رأسا، لأنّهم أهلها، «فإنّهم لا يموتون فيها ولا يحيون» فجعل نعتَهم نفيَ الحياة والموت، ثمّ استدرك نعت من دخلها وما هو بأهلها فقال: «ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتهم الله فيها إماتة» فنعتهم بالموت، وهو خلاف نعت مَن هو لها أهل.

١ [الزمر : ٥٣]
٢ [التوبة : ١١٨]
٣ ص ١١٢
٤ [الحديد : ٤]

ثمّ ذكر خروج هؤلاء مِن النار[1]. فتنبّهْ لكون الحقّ نطّق العالَم كلّه بالتسبيح بحمده، والتسبيحُ تنزيهٌ؛ ما هو ثناء بأمر ثبوتي، لأنّه لا يثنى عليه إلّا بما هو أهل له، وما هو أهلٌ له لا تقع فيه المشاركة، وما أُثني عليه إلّا بأسمائه، وما مِن اسم له -سبحانه- عندنا معلوم، إلّا وللعبد التخلّق به، والاتّصاف به على قدر ما ينبغي له. فلمّا لم يتمكّن في العالَم أن يثنى عليه بما هو أهله، جَعَل الثناء عليه تسبيحا من كلّ شيء، ولهذا أضاف الحمد إليه فقال: ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2] أي بالثناء الذي يستحقّه، وهو أهله. وليس إلّا التسبيح، فإنّه -سبحانه- يقول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3]، والعِزّةُ المنعُ من الوصول إليه بشيء من الثناء عليه الذي لا يكون إلّا له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وكلُّ مُثنٍ واصفٌ، فذكر -سبحانه- تسبيحه في كلّ حال، ومن كلّ عين فقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[4] وما ثَمّ إلّا هؤلاء. وقال آمرا لمحمد عند انقضاء رسالته، وما شرع له أن يشرّع من الثناء عليه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾[5] فقال: «أنت كما أثنيت على نفسك» هذا هو التسبيح بحمده.

فلمّا كان الأمر بالثناء على الله على ما قرّرناه، لم[6] يمكن لنا أن نستنبط له ثناءً، وإنما نذكره بما ذكر عن نفسه، فيما أنزله في كتبه على حدّ ما يعلمه هو، لا على حدّ ما نفهمه نحن؛ فنكون في الثناء عليه حاكين تالين؛ لأنّ الثناء على المثنى عليه مجهول الذات، لا يقبل الحدود والرسوم، ولا يدخل تحت الكيفيّة ولا يُعرف، كما هو عليه في نفسه، وهو الغنيّ عن العالمين، فلا تدلّ على المعرفة به الدلالاتُ، وإنما تدلّ على استنادنا إليه من حيث لا يشبهنا ولا يقبل وصفَنا. وما من اسم إلهيٍّ إلّا ونتّصف به، فما تلك هي المعرفة المقصودة التي يعلم بها نفسَه. فشرع التسبيحَ، وفطر عليه كلَّ شيء، وهو نفيٌ عن كلّ وصف، لا إثبات.

ولهذا بعضُ أهل النظر تنبّهوا إلى شيء من هذا، وإن كان العلماء لم يرتضوا ما ذهبوا إليه،

١ ص ١١٢ب
٢ [الإسراء : ٤٤]
٣ [الصافات : ١٨٠]
٤ [الإسراء : ٤٤]
٥ [النصر : ٣]
٦ ص ١١٣

ولكن هو حقٌّ في نفس الأمر مِن وجهٍ مّا مليح. وذلك أنّهم رأوا أنّ المشاركة بين المحدَث والله، لا تصحّ[1] حتى في إطلاق الألفاظ عليه. فإذا قيل لهم: "الله موجود" يقولون: "ليس بمعدوم" فإنّ المحدَث موصوف بالوجود ولا مشاركة، فإذا قيل لهم: "الله حيٌّ" يقولون: "ليس بميّت". الله عالِم، يقولون: "ليس بجاهل". الله قادر، يقولون: "ليس بعاجز". الله مريد، يقولون: "ليس بقاصِر" فأتوا[2] بلفظة النفي. والتسبيحُ تنزيهٌ ونفيٌ، لا إثباتٌ؛ فجروا على الأصل الذي نطّق الله به كلّ شيء، فسلكوا مسلكا غريبا بين النُّظّار.

والثناء على الله بالتسبيح لا تكلّ به الألسنة؛ بخلاف الثناء بالأسماء؛ فإنّ الألسنة تَكِلّ وتَعيا وتقف فيها. ولهذا قال مَن قال مما شرع له أن يقول من الثناء على الله، فقال خاتما عند الإعياء والحصر: «لا أحصي ثناء عليكَ أنت كما أثنيت على نفسك» وانظر حكمة الله -تعالى- في كونه لم يجعل له صفة في كتبه، بل نزّه نفسه عن الوصف فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ فجعلها أسماء، وما جعلها نعوتا ولا صفاتٍ، وقال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾[3] وبها كان الثناء. والاسم ما يعطي الثناء، وإنما يعطيه النعتُ والصفةُ. وما شعر أكثر الناس لكون الحقّ ما ذَكَر له نعتا في خلقه، وإنما جعل ذلك أسماءً كالأسماء الأعلام التي ما جاءت للثناء، وإنما جاءت للدلالة.

وتلك الأسماء الإلهيّة الحسنى هي لنا نعوتٌ يُثنى علينا بها، وأثنينا عليه بها، وأثنى الله على نفسه بها. لأنّا قدّمنا أنّ نزول الشرائع في العالم من الله إنّما تنزل بحكم ما تواطأ عليه أهلُ ذلك اللسان، سَواء صادف أهل ذلك اللسان الحقّ في ذلك أو لا. وقد[4] تواطأ الناس على أنّ هذه الأسماء التي سمّى الحقّ بها نفسَه مما يُثنى بها في المحدَثات إذا قامت بمن تقوم به نعتا أو صفة، فأثنى الله على نفسه بها ونبّه على أنّها أسماءٌ لا نعوت؛ ليفهم السامعُ الفَهِم الفَطِن أنّ ذلك حكم التواطي لا حكم الأمر في نفسه، كما دلّ دليل الشرع بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[5] من جميع الوجوه

١ ق: لا يصح
٢ ص ١١٣ب
٣ [الأعراف : ١٨٠]
٤ ص ١١٤
٥ [الشورى : ١١]

فلا يقبل الأينيّة؛ فإنّه لو قبلها لم يَصْدُق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ على الإطلاق، فإنّ قبول الأينيّة مماثلة.

وأمّا الدليل العقلي فلا يقول بها أصلا. ومع هذا حكم التواطي، فقال رسول الله ﷺ للسوداء الخرساء: «أين الله؟» فأطلق عليه لفظ الأينيّة، لعلمه أنّ الأينيّة في حقّه بمنزلة الاسم، لا بمنزلة النعت. فقالت السوداء: «في السماء» بالإشارة، فقَبِلَ ما أشارتْ به وجعلها مؤمنة؛ لأنّ الله أخبرَ عن نفسه أنّه في السماء؛ فصدّقته في خبره؛ فكانت مؤمنة. ولم يقل ﷺ فيها عند ذلك: إنّها عالمة. وأمر بعتقها، والعتق سَراحٌ من قيد العبوديّة، تنبيهٌ من النبيّ ﷺ بالعتق في حقّها من قيد العبوديّة والمِلك، على أنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ سراحٌ من قيد الأينيّة وفاء الظرف التي[1] أتت بها السوداء في الجواب. فانظر ما أعجب الشارعَ العارف بالله!. وهذا كلّه تنزيه، فالثناء على الله بصفات الإثبات التي جعلها الله أسماء، وجعلها الخلق نعوتا كما هي لهم نعوت، إذا وقع هذا الثناء من العبد صورة، لا يكون روحُ تلك الصورة تسبيحا بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ كان جهلا بما يستحقُّه المثنى عليه، فإنّه أدخله تحت الحدّ والحصر، بخلاف كون ذلك أسماء، لا نعوتا.

فيا وليّ؛ لا يفارق التسبيح ثناؤك على الله جملة واحدة؛ فإنّك إذا كنت بهذه المثابة؛ نفخت روحا في صورة ثنائِك التي أنشأتَها، فلا تكن من المصوّرين الذين يعذَّبون يوم القيامة؛ بأن يقال لهم: «أحيوا ما خلقتم» ولا قدرة لهم على ذلك هناك، لأنّ الدّعوى هناك لا تقع؛ لما هو عليه من كشف الأمور، وفي الدنيا ليس كذلك. ثمّ انظر في تحقيق ما ذكرناه من إنشاء صورة الثناء إذا لم ينفخ فيها روح التسبيح قولُه لطائفة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾[2].

فلو قالوا: "عيسى دُعي إلها من دون الله، وقد خلق من الأرض لِما عجنه طينا لانتظام الأجزاء الترابيّة بما في الماء من الرطوبة والبرودة[3]، فزادت كمّيّة برودة التراب، فثقل عن التحليل

١ ص ١١٤ب
٢ [الأحقاف : ٤]
٣ ص ١١٥

وعدم الانتظام، وأزالت الرطوبةُ اليبوسةَ التي في التراب، فالتأمتْ أجزاؤه لظهور شكل الطائر". فقدَّم الحقّ، لأجل هذا القول، أنّ خلْق عيسى- الطيرَ كان بإذن الله، فكان خَلْقُه له عبادةً يتقرّب بها إلى الله، لأنّه مأذون له في ذلك فقال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِي﴾[1]، فما أضاف خلقه إلّا لإذن الله، والمأمورُ عبدٌ، والعبد لا يكون إلها.

وإنما جئنا بهذه المسألة لعموم كلمة "ما" فإنّها لفظة تطلق على كلِّ شيء مما يعقل ومما لا يعقل. كذا قال سيبويه، وهو المرجوع إليه في العلم باللسان. فإنّ بعض المنتحلين لهذا الفنّ يقولون: إنّ لفظة "ما" تختصّ بما لا يعقل، و"مَن" تختصّ بمن يعقِل. وهو قول غير محرَّر. وقد رأينا في كلام العرب جمعَ مَن لا يَعقِل جمعَ مَن يَعقِل، وإطلاق "ما" على من يعقل. وإنما قلنا هذا لئلّا يقال في قوله: ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2] إنما أراد مَن لا يَعقِل، وعيسى- يَعقِل فلا يدخل في هذا الخطاب، وقول سيبويه أَوْلَى. فهذا قد ترجمنا عن هذا المنزل بما فيه تنبيه على شموخه وتفلّته من العالِم به إن[3] لم يكن له مراقبا دائما.

وهو يحوي على علوم، منها:

علم ما خصّ الله به ألوية الحمد من الرحمة؛ هل أعطاها الرحمة العامّة أو الخاصة؟ فإنّ التي تجاورها الرحمة الواجبة، وهي جزء من الرحمة العامّة؛ فهل لواء الحمد يقتصر- عليها؛ وهو أن لا يُثنى على الله إلّا بالأسماء الحسنى في العرف[4]؟ أو يتعدّاها إلى الرحمة العامّة في الثناء على الله بجميع الأسماء والكنايات؟ إذ له الفعل المطلق من غير تقييد، وله كلّ اسم يطلبه الفعل، وإن لم يُطلق عليه فإنّ الرحمة الإلهيّة العامّة تعمّ هذه الأسماء التي لم يجر العُرف بأن تُطلق عليه؛ فتطلق عليه رحمة بها؛ فتجدها مرقومة في اللواء. وهو علم شريف كنّا قد عزمنا أن نضع فيه كتابا

١ [المائدة : ١١٠]
٢ [الزمر : ٣٨]
٣ ص ١١٥ب
٤ ق: "الظرف" وصححت في الهامش بقلم الأصل

فاقتصرنا منه على جزء صغير سمّيناه "معرفة المدخل إلى الأسماء والكنايات" وهو أسلوب عجيب غريب، ما رأيتُ أحدا نبّه عليه من المتقدّمين مع معرفتهم به.

ومن علوم هذا المنزل: عِلْمُ الإجمال الذي يعقبه التفصيل من غير تأخير.

وفيه عِلْمُ إنزال الكتب؛ من أين تنزل؟ وما حضرتها من الأسماء الإلهيّة؟ وهل جميع الكتب المنزلة من حضرةٍ واحدة من الأسماء؟ أو تختلف حضرتها[1] باختلاف سبب نزولها؟ فإنّ التوراة، وإن كتبها الله بيده، فما نزلت للإعجاز عن المعارضة، والقرآن نزل معجزا، فلا بدّ أن تختلف حضرة أسماء الله، فيضاف كلّ كتاب إلى اسمه الخاص به من الأسماء الإلهيّة.

وفيه العلم بالحقّ المخلوق به، وهو العدل عند سهل بن عبد الله.

وفيه عِلْمُ أهل الحجب في إعراضهم عن دعوة الحقّ؛ هل إعراضهم جهل، أو عناد وجحد؟

وفيه عِلْمُ ما يتميّز به الله عمّن تُدَّعى فيه الألوهة وليس فيه خصوص وصف الإله.

وفيه عِلْمُ مآخِذ الأدلّة للعقل بالقوّة الفكريّة.

وفيه عِلْمُ تأخير الإجابة عند الدعاء ما سبب ذلك؟

وفيه عِلْمُ صيرورة الوليّ عدوّا؛ ما سببه؟

وفيه عِلْمُ التفاضل في الفهم عن الله؛ هل يرجع إلى الاستعداد، أو إلى المشيئة؟

وفيه عِلْمُ الشهادة الإلهيّة للمشهود له وعليه، واجتماع المشهود له وعليه في الرحمة بعد الأداء ولم يكن الصلح أوّلا ولا يحتاج إلى دعوى وإلى شهادة. وإذا كان الحقّ شهيدا، فمن الحاكم حتى يشهد عنده؟ فلو حكم بعلمه لم يكن شاهدا. ويتعلّق بهذا[2] العلم عِلمُ الشهادة، ومراتب الشهداء، والشهود فيها. وهل للحاكم أن يحكم بعلمه، أو يترك علمه لشهادة الشهود إذا لم تكن شهادتهم شهادة زور؟ مثل أن يشهد شهود على أنّ زيدا يستحقّ على عمرو كذا وكذا درهما، وهو عندهم كما شهدوا وكان الحاكم قد علِم أنّ عمرا قد دفع له هذا المستحقّ بيقين، وليس لزيد

١ ص ١١٦
٢ ص ١١٦ب

شهودٌ إلّا عِلم الحاكم، ويعلم الحاكم أنّ الشهود شهدوا بما علموا، ولم يكن لهم علم بأنّ عمرا قد أوصل إلى زيد ما كانت الشهادة قد وقعت عليه.

وفيه عِلمُ تكذيب الصادق؛ مِن أين يكذّبه مَن يكذّبه، مع جواز الإمكان فيما يدّعيه في إخباره؟

وفيه عِلمُ أسباب ارتفاع الخوف في مواطن الخوف.

وفيه عِلمُ المناسبة في الجزاء الوفاق، وهل ما زاد على الجزاء الوفاق يكون جزاء، أو يكون هبة؟ وهل الجزاء المؤلم يساوي (الجزاء) المُلِذّ في الزيادة، أم لا تكون الزيادة إلّا في جزاء ما يقع به النعيم، وأمّا في الآلام فلا، ما يزيد على الوفاق بشيء، وقوله -تعالى-: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾[1] لماذا (=إلى ماذا) ترجع هذه الزيادة؟ وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا[2] الْعَذَابَ﴾[3] فهل هذه الجلود المجدَّدة؛ هل هي من الجزاء الوفاق، أو من الزيادة؟ وقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾[4] هل لهم في هذا القول وجهٌ يصدقون فيه، أم لا وجهَ لهم؟ وقول الله في حقّ هؤلاء: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5] هل هو معارِض لقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ فإنّه ما كلّ من دخل النار تمسّه؛ فإنّ ملائكة العذاب في النار، وهي دارهم، وما تمسّهم النار، وما قال الله بعد قوله ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ﴾: "فأولئك الذين تمسّهم النار".

وفيه عِلمُ نَشءِ بني آدم، وصورته الطبيعيّة والروحانيّة.

وفيه عِلمُ الوصف الذي إذا أقيم العبد فيه تجاوز الله عنه فيما أساءوا فيه.

وفيه عِلمُ الحقوق والمستحقّين لها.

وفيه عِلمُ الفرق بين العَرْض والوقوف، فإنّه وَرَد: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾[6]، وورد:

١ [النحل : ٨٨]
٢ ص ١١٧
٣ [النساء : ٥٦]
٤ [البقرة : ٨٠]
٥ [البقرة : ٨١]
٦ [الأنعام : ٣٠]

﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾[1]، وورد: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[2]، وورد: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾[3]، وهل العرض دخول أم لا؟

وفيه عِلمُ المطابقة وهو علم عزيز.

وفيه عِلمُ مضادة الأمثال.

وفيه عِلمُ ما[4] يجب على الرسل مما لا يجب.

وفيه عِلمُ عدم الثقة بالأسباب المعهودة لأمر مّا يكون عنها، فيظهر عنها خلاف ذلك؛ من أين وقع الغلط للذي وثق بها؟

وفيه عِلمُ ما يفنى من الأشياء مما لا يفنى، وما يفنى منها؛ هل يفنى[5] بالذات، أم لا؟

وفيه عِلمُ كلّ شيء فيك ومنك، فلا يطرأ عليك أمر غريبٌ ما هو عندك؛ فلا يكشف لك إلّا عنك، وهو علم عزيز أيضا ما يعلمه كلّ أحد من أهل الله.

وفيه عِلمُ الفرق بين أصناف العالم.

وفيه عِلمُ الاقتداء.

وفيه عِلمُ الزمان الكبير من الزمان الصغير، وظهور الزمان الكبير قصيرا كزمان النّعم والوصال، وظهور الزمان القصير كبيرا كزمان الآلام والهجران.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[6].

١ [هود : ١٨]
٢ [الأنعام : ٢٧]
٣ [الأحقاف : ٢٠]
٤ ص ١١٧ب
٥ "يفنى" وردت ٤ مرات في هذه الفقرة ورسم الفاء في ق يقرب من رسم حرف الغين.
٦ [الأحزاب : ٤]

الباب التاسع والثلاثون وثلاثمائة

في معرفة منزل: جئت الشريعة بين يدي الحقيقة تطلب الاستمداد من الحضرة المحمديّة وهو المنزل الذي يظهر فيه اللواء[1] الثاني من ألوية الحمد الذي يتضمّن تسعة وتسعين اسما إلهيّا

الحَجْرُ مِنْ شِيَمِ الحُدُوثِ فَلا تَقُلْ	إِنّي مِنَ اجْلِ خِلافَتِي لَمُسَرَّحُ
هَيْهَـاتَ أَنْـتَ مُقَيَّـدٌ بِخِلافَـةٍ	أَيْنَ السَّراحُ وبابُ كَوْنِكَ يُفْتَحُ
والقَلْـبُ خَلْـفَ مَغَـالِقٍ مَجْهُـولَةٍ	ضاعَتْ مَفاتِحُها فَلَيْسَتْ تُفْتَحُ
لا تَفْـرَحَنَّ بِشَرْحِ صَـدْرِكَ إِنَّـهُ	شَرْحٌ لِتَعْلَمَ أَنَّ قَيْدَكَ أَرْجَحُ

اعلم -أيّدك الله أيّها الوليّ الحميم- أنّ الناس تكلّموا في الشريعة والحقيقة. قال الله -تعالى- لنبيّه ﷺ آمِرا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2] يريد من العلم به من حيث ما له -تعالى- من الوجوه في كلّ مخلوق ومبدَع، وهو علم الحقيقة. فما طلب الزيادة من علم الشريعة، بل كان يقول: «اتركوني ما تركتُكم».

وعِلْمُ الشريعة[3] علم محجّة وطريق، لا بدّ له من سالك، والسلوك تعب، فكان (رسول الله -ص-) يريد التقليل من ذلك. وغايةُ طريق الشريعة السعادةُ الحسّيّة، وليست الحقيقة غايتها في العموم. فإنّه من الناس مَن ينال الحقيقة في أوّل قدم يضعه في طريق الشريعة، لأنّ وجه الحقّ في كلّ قدم، وما كلّ أحدٍ يكشف له وجهُ الحقّ في كلّ قدم. والشريعة (هي) المحكوم به في المكلّفين، والحقيقة (هي) الحكم بذلك المحكوم به. والشريعة تنقطع، والحقيقة لها الدوام؛ فإنّها باقية بالبقاء الإلهيّ، والشريعة باقية بالإبقاء الإلهيّ، والإبقاء يرتفع، والبقاء لا يرتفع.

١ ص ١١٨
٢ [طه : ١١٤]
٣ ص ١١٨ب

فهذا المنزل يعطيك شرف الإنسان على جميع مَن في السماء والأرض، وأنّه العين المقصودة للحقّ من الموجودات، لأنّه الذي اتّخذه الله مجلى، وأعني به الإنسان الكامل، لأنّه ما كمل إلّا بصورة الحقّ. كما أنّ المرآة، وإن كانت تامّة الخَلْق، فلا تكمل إلّا بتجلّي صورة الناظر؛ فتلك مرتبتُها، والمرتبةُ هي الغاية. كما أنّ الألوهة تامّةٌ بالأسماء التي تطلبها من المألوهين؛ فهي لا ينقصها شيء. وكمالها، أعني الرتبة التي تستحقّها، الغنى عن العالمين؛ فكان له (تعالى) الكمال[1] المطلق، بالغنى عن العالمين.

ولمّا شاء أن يعطي كمالَه حقَّه، ولم يزل كذلك، وخلق العالَم للتسبيح بحمده -سبحانه- لا لأمر آخر، والتسبيح لله، ولا يكون المسبّح في حالة الشهود؛ لأنّه فناء -أعني الشهود- والعالم لا يفتر عن التسبيح طرفة عين، لأنّ تسبيحه ذاتي كالنفَس للمتنفّس؛ فدلّ أنّ العالم لا يزال محجوبا. وطلبُهم بذلك التسبيح (هو) المشاهدة؛ فخلق -سبحانه- الإنسان الكامل على صورته، وعرّف الملائكة بمرتبته، وأخبرهم بأنّه الخليفة في العالم، وأنّ مسكنه الأرض، وجعلها له دارا لأنّه منها خلقه.

وشغل الملأ الأعلى به سماء وأرضا؛ فسخّر له جميع مَن في السماوات ومن في الأرض منه، أي من أجله، واحتجب الحقُّ؛ إذ لا حكم للنائب بظهور من استخلفه؛ فاحتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار. فقال رسول الله ﷺ يخاطب الناس الذين يُشبِهون الإنسان في الصورة الحسّيّة، وهم نازلون عن رتبة الكمال: «إنّ الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وأنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم» فكما لا تدركه الأبصار، كذلك لا تدركه البصائر؛ وهي العقول؛ لا تدركه بأفكارها، فتعزُّ عن الوصول إلى مطلوبها والظفر[2] به.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[3] وأمَرَه بتعليم الملأ الأعلى. وأمر من في السماوات والأرض بالنظر فيما يستحقّه هذا النائب؛ فسخّر له جميع من في السماوات والأرض، حتى المقول عليه:

١ ص ١١٩
٢ ص ١١٩ب
٣ [البقرة : ٣١]

الإنسان؛ من حيث تماميّته، لا من حيث كماليّته. فهذا النوع المشارك له في الاسم، إذا لم يكمل، هو من جملة المسخَّرين لمن كمل، وأُلحِق -في كماله- بالغنيّ عن العالمين.

وهو وحدَه، أعني الإنسان الكامل، يعبد ربّه الغنيّ عنه؛ فكماله أن لا يستغني عنه. وما ثَمّ من لا يعبده من غير تسبيح إلّا الكامل؛ فإنّ التجلّي له دائم.

فإنَّ التَّجَلِّي لَهُ دَائِمٌ   فَحُكْمُ الشُّهُودِ لَهُ لازِمْ

فهو أكمل الموجودات معرفةً بالله، وأدومهم شهودا. وله إلى الحقّ نظران؛ ولهذا جعل له عينين: فينظر بالعين الواحدة إليه من كونه غنيّا عن العالمين؛ فلا يراه في شيء، ولا في نفسه. وينظر إليه بالعين الأخرى من اسمه "الرحمن" بكونه يطلب العالَم، ويطلبه العالَم؛ فيراه ساري الوجود في كلّ شيء. فيفتقر بهذه النظرة، من هذه العين، إلى كلّ شيء، من حيث ما هي الأشياء أسماء الحقّ، لا من حيث أعيانها.

فلا أفقر من[1] الإنسان الكامل إلى العالَم؛ لأنّه يشهده مسخَّرا له؛ فعَلِم أنّه لولا ما هو عليه من الحاجة إلى ما سُخِّروا فيه من أجله؛ ما سُخِّروا؛ فيَعرف نفسَه أنّه أحوج إلى العالَم من العالم إليه. فقام له هذا الفقر العام، مقام الغنى الإلهيّ العام. فنزل في العالم، في الفقر، منزلةَ الحقّ من حيث الأسماء الإلهيّة التي تطلب التأثير في العالم. فما ظهر في فقره إلّا ظهور أسماء الحقّ. فهو حقٌّ في غناه عن العالم، لأنّ العالم مسخَّر في حقّه، بتأثير الأسماء الإلهيّة فيه، أعني في العالم. فما تَسخّر له إلّا مَن له التأثير، لا مِن حيث عين العالَم، فلم يفتقر إلّا لله، وهو حقٌّ في فقره إلى العالَم.

فإنّه لَمّا علم أنّ الله ما سخّر العالَم لهذا الإنسان، إلّا ليشتغل العالَم، بما كلَّفهم من التسخير، عن طلب العلم به من حيث الشهود؛ فإنّ ذلك ليس لهم لأنّهم نازلون عن رتبة الكمال؛ أظهرَ الإنسانُ الكاملُ الحاجةَ لما سخّر فيه العالم، فقوي التسخير في العالم لئلّا يفرّطوا فيما أمرهم الحقُّ

١ ص ١٢٠

به من ذلك؛ لأنّهم لا يعصون الله ما أمرهم؛ فوافق الإنسانُ الكامل -بإظهار هذا الفقر- الحقَّ في إشغال العالم. فكان حقّا في فقره، كالأسماء، وحقّا في[1] غناه، لأنّه لا يرى المسخّر له[2] إلّا مَن له الأثر؛ وهو للأسماء الإلهيّة، لا لأعيان العالم. فما افتقر إلّا لله في أعيان العالَم، والعالَم لا علم له بذلك.

ولمّا أطّتِ السماء بعُمّارها، وقال ﷺ: «وحقّ لها أن تئِط، ما فيها موضع شبر إلّا وفيه ملَك ساجد لله»، فأخبر في قوله: «ساجد لله» ينبّه على نظر كلّ ملَك في السماء إلى الأرض، لأنّ السجودَ (هو) التطأطؤ والانخفاض، وقد عرفوا أنّ الأرض موضع الخليفة، وأُمِروا بالسجود؛ فتطأطأوا، عن أمر الله، ناظرين إلى مكان هذا الخليفة، حتى يكون السجودُ له، لأنّ الله أمرهم بالسجود له؛ ولم يزل حُكم السجود فيهم لآدم وللكامل أبدا دائما.

فإن قلتَ: فيزول في الدار الآخرة مِثْلُ هذا السجود؟. قلنا: لا يزول، لأنّ الصورة الظاهرة من الإنسان الكامل التي وقع السجود لها، أنشأها اللهُ من الطبيعة العنصريّة، ابتداء وإعادة. ففي الابتداء أنبتها من الأرض، ثمّ أعادها إليها بالموت، ثمّ أخرجها منها إخراجا بالبعث. ولها السّفل بالرتبة: تطلب، بهذه الحقيقة، اللهَ الذي قال فيه النبيّ ﷺ: «لو دلّيتم بحبل لهبط على الله»، وكذا ينبغي أن يكون الأمرُ في نفسه. فلا بدّ من استصحاب سجودهم للإمام[3] دنيا وآخرة.

فحاز الإنسان الكامل صورةَ العالم وصورة الحقّ؛ ففضل بالمجموع. فالساجد والمسجود له، فيه ومنه. ولو لم يكن الأمر هكذا، لم يكن جامعًا. فعند الملأ الأعلى ازدحام لرؤية الإنسان الكامل، كما يزدحم الناس عند رؤية الملِك إذا طلع عليهم؛ فأطّت السماء لازدحامهم.

فمن عرف اللهَ بهذه المعرفة، عرف نِعم الله التي أسبغها عليه؛ الظاهرة والباطنة؛ فتبرّأ من

١ ص ١٢٠ب
٢ ثابتة في الهامش
٣ ص ١٢١

المجادلة في الله بغير علم، وهو ما أعطاه الدليل النظريّ، ولا كتاب منير وهو ما وقع به التعريف بما هو الحقّ عليه من النعوت، فقال (تعالى): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أعطاهُ دليلُ فكره ﴿وَلَا هُدًى﴾ يقول: ولا بيان أبانه له كشفه ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[1] ولا ما نزلت به الآيات من المعرفة بالله، في كتبه المنزلة الموصوفة بأنّها نور، ليكشف بها ما نزلت به، لمّا كان النور يكشف به. فنفاهم عن تقليد الحقّ، وعن التجلّي والكشف، وعن النظر العقليّ. ولا مرتبة، في الجهل، أنزل من هذه المرتبة. ولهذا جاءت من الحقّ في معرض الذمّ، يذمُّ بها مَن قامت به هذه الصفة.

وإذا عرفوا نعم الله، كما قلنا، وجبَ عليهم، بل أوجبَ هذا العلمُ عليهم الشكر، فشغلوا نفوسَهم بشكره، كما فعله[2] رسول الله ﷺ حين نزل عليه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[3] فقام حتى تورّمت قدماه، شكرا على هذه النعمة. وهكذا أخبر لمّا قيل له في ذلك فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا» فأتى بـ"فَعُول" وهو بنية المبالغة. فكثر منه الشكر لمّا كثرت النِّعم، فطلبت كلُّ نعمة منه الشكر لله عليها.

ولا يخطر لصاحب هذا المقام، في شكره، طلب الزيادة، لأنّه فِعلٌ يطلب الماضي والواقع؛ فكانت الزيادة من النِّعم للشاكر، فضلا من الله؛ ولهذا سمّاها زيادة يطلبها الشكر، لا الشاكر؛ فيجني ثمرتَه الشاكر. فهي من الشكر جزاء للشاكر، حيث أَوْجَدَ عينَ الشكر في الوجود، وأقام نشأته صورة متجسدة تسبّح الله وتذكره، فطلبتْ من الله -تعالى- أن يزيد هذا الشاكر نعمةً إلى نعمته، حيث كان سببا في إيجاد عين الشكر. فسمع الله منه، وأجابه لما سأل. فسأله أن يعرِّف الشاكرين بذلك حتى يعلموا أنّ الشكر قد أدّى عند الله ما وجب عليه من حقّ الشاكر،

١ [الحج : ٨]
٢ ص ١٢١ب
٣ [الفتح : ٢ ، ٣]

فقال الله لعباده: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ[1]﴾[2] فأعلمنا بالزيادة.

فالعارف بالله يشكر الله ليكون خلّاقا لصورة الشكر؛ ليكثر المسبِّحون لله، القائمون في عبادته. فإذا علم الله هذا منه، زاده في النِّعم الظاهرة والباطنة ليدوم له نعت الخلق للشكر؛ فلا يزال الأمر له دائما دنيا وآخرة. وأعظمُ نشأةٍ يظهر بها الشكر في الوجود (هي) نشأةُ الشكر على نعمة الصورة الكماليّة، ونشأةُ الشكر على نعمة التسخير. والمزيد من الله للشاكر (يكون) على قدر صورة الشكر. فاعلم كيف تشكر، واشتغِل بالأهمّ فالأهمّ من ذلك.

فإذا طلب الشاكرُ بشكره المزيدَ لِمَا وعد الله به، لم يعطه الله من نعمة المزيد إلّا على قدر طلبه وصورته من التخليط والسلامة؛ فيكون مزيده مغفرة وعفوا وتجاوزا، لا غير. وبالجملة، فينزل عن درجة الأوّل الذي أعطي بسؤال الشكر؛ فإنّ نشأةَ الشكر بريئةٌ من التخليط في عينها. وإن كان الشاكر مخلِّطا؛ فلا أثر لتخليطه في صورة الشكر، وله أثر في المزيد إذا شكر لتحصيل المزيد.

فتحصل المفاضلة بين الشاكرين، على ما قرّرناه، من الطالبين المزيدَ وغير الطالبين، والمشتغلين بالأهمّ وغير المشتغلين به. فهذه طرقٌ لله مختلفة. كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا[3] مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4] وهي الطريق، والحقيقة عينٌ واحدة هي غايةٌ لهذه الطُّرق، وهو قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[5].

فأمّا قوله -تعالى- لنبيّه محمد في سورة "الفتح"؛ وهو فتوح المكاشفة بالحقّ، وفتوح الحلاوة في الباطن، وفتوح العبارة، ولهذا الفتوح كان القرآن معجزة؛ فما أعطي أحد فتوح العبارة على كمال ما أُعطيه رسول الله ﷺ فإنّه قال: ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

١ ص ١٢٢
٢ [إبراهيم : ٧]
٣ ص ١٢٢ب
٤ [المائدة : ٤٨]
٥ [هود : ١٢٣]

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] أي مُعينا، فقال له: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[2] في الثلاثة الأنواع من الفتوح؛ ﴿فَتْحًا﴾ فأكّده بالمصدر: ﴿مُبِينًا﴾ أي ظاهرا.

يَعْرِفُهُ كُلُّ مَنْ رَآهُ بِمَا تَجَلَّى وَمَا حَوَاهُ

ففتوح الحلاوة بانت له ذوقا، وفتوح العبارة بانت للعرب بالعجز عن المعارضة، وفتوح المكاشفة بان بما أشهده ليلة إسرائه من الآيات.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3] فيسترك عمّا يستحقّه صاحبُ الذنب من العتب والمؤاخذة. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يسترك عن عين الذنب، حتى لا يجدك فيقوم بك. وأعْلَمَنا بالمغفرة في الذنب المتأخّر (أنّه معصوم)[4] بلا[5] شكّ. ويؤيّد عصمته كونه أن جعله الله أسوة يُتأسّى به. فلو لم يقمه الله في مقام العصمة، للزمنا التأسّي به فيما يقع منه من الذنوب إن لم ينصّ عليها، كما نصّ على النكاح بالهبة أنّ ذلك خالص له مشروع، وهو حرام علينا.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بأن يعطيها خلقها؛ إذ قد عرّفنا بالمخلّقة من ذلك وغير المخلّقة. وأخبر بهذه الآية أنّ نعمته التي أعطاها محمدا مخلّقة، أي تامّة الخلقة ﷺ:

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ وهو صراط ربّه الذي هو عليه. كما قال هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[6] والشرائع كلّها أنوار، وشرع محمد ﷺ، بين هذه الأنوار، كنور الشمس بين أنوار الكواكب؛ فإذا ظهرت الشمس خفيت أنوار الكواكب، واندرجت أنوارها في نور الشمس. فكان خفاؤها نظير ما نسخ من الشرائع، بشرعه ﷺ مع وجود أعيانها، كما يتحقق وجود أنوار الكواكب. ولهذا أُلزمنا، في شرعنا العام، أن نؤمن بجميع الرسل وجميع شرائعهم أنّها

١ [الإسراء : ٨٨]
٢ [الفتح : ١]
٣ [الفتح : ٢]
٤ ما بين القوسين لم يرد في ق وما أثبتناه من هـ، س
٥ ص ١٢٣
٦ [هود : ٥٦]

حقٌّ، فلم ترجع بالنسخ باطلا. ذلك ظنّ الذين جهلوا. فرجعت الطرق كلّها ناظرة إلى طريق[1] النبيّ ﷺ. فلو كانت الرسل في زمانه لَتبِعوه، كما تَبِعَتْ شرائعُهم شرعه؛ فإنّه أوتي جوامع الكلم.

﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[2] والعزيز مَن يُرام، فلا يُستطاع الوصول إليه. فإذا كانت الرسل هي الطالبة للوصول إليه، فعَزَّ عن إدراكها إيّاه ببعثته العامّة، وإعطاء الله إيّاه جوامع الكلم، والسيادة بالمقام المحمود في الدار الآخرة، وبجعل اللهِ أمّته ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3] وأمّة كلّ نبيّ على قدر مقام نبيّها، فاعلم ذلك.

وإذا طلب الوصول إليه القائلون باكتساب النبوّة، عَزَّ عليهم الوصول إلى ذلك؛ فإنّ المكتسَب إنما هو السلوك والوصول إلى الباب. وأمّا ما وراء الباب فلا علم للواصلين إليه بما يُفتح له ذلك الباب؛ فمن الناس مَن يُفتح له بالإيمان العام، وهو مطالعة الحقيقة، كأبي بكر، فلم ير شيئا إلّا رأى الله قبله، ومنهم من يفتح له بالإنباء العام الذي لا شرع فيه؛ وهذان الفتحان باقيان في هذه الأمّة إلى يوم القيامة.

ومن الواصلين من يُفتح له الباب بنبوّة التشريع المقصور عليهم، ومنهم مَن يُفتح له الباب بالرسالة بما شرع. وهذان بابان[4] أو فتحان قد منع الله أن يتحقّق به أحد، أو يُفتح له فيه، إلّا أهل الاجتهاد، فإنّ الله أبقى عليهم من ذلك بعض شيء بتقرير الشرع. فحكمه للشرع لا لهم.

فكلّ ما خرج من وراء الباب عند فتحه ما هو مكتسَب، والنبوّة غير مكتسبة، فنصره الله النصر العزيز؛ فلم يصل إليه من قال باكتساب النبوّة؛ لأنّ الموصوف بالعزّة لا عين للعزّة إلّا مع وجود الطالب لمن قامت به؛ فيحمي مقامه وحضرته أن لا يصل طالب إليه. فالشرائع الحِكميّة السياسيّة، الظاهرة بصورة الشرائع الإلهيّة، ليس لها هذا النصر العزيز، وإنما هو مختصّ بصاحب الشرع الإلهيّ المنزّل، والحقيقة تعُمّ الشرعين: الشرع الإلهيّ والحِكميّ السياسي.

١ ص ١٢٣ب
٢ [الفتح : ٣]
٣ [آل عمران : ١١٠]
٤ ص ١٢٤

فصاحب الشريعة، وهو المؤمن، إنما جثى بين يدي المحقّق الذي هو صاحب الحقيقة ليبيّن له مأخذ كلّ شرع من الحضرة الإلهيّة؛ ولا يعلم ذلك إلّا صاحب الحقيقة؛ فلهذا سمّي هذا المنزل بجثوّ الشريعة بين يدي الحقيقة؛ لأنّ كلّ شرع يطلبها، إذ هي باطن كلّ شرع، والشرائع صورها الظاهرة في عالم الشهادة. ولهذا ما تخلو أمّةٌ عن نذير يقوم[1] بسياستها لبقاء المصلحة في حقّها، سَواء كان ذلك الشرع إلهيّا أو سياسيّا، على كلّ حال تقع المصلحة به في القرن الذي يظهر فيه.

وبعد أن علمت منزلة الشريعة من الحقيقة ولها باب يخصّه من هذا الكتاب قد تقدّم. فلنذكر ما يتضمّنه هذا المنزل من العلوم.

فمن ذلك عِلْمُ لواء خاصّ من ألوية الحمد وأسمائه.

وعِلْمُ ما لهذا اللواء من حكم الرحمة في العالم الذي تكون تحته.

وعِلْمُ المناسبات التي تَنْضَمُّ الأشياء الصوريّة بها بعضها إلى بعض، لإقامة أعيان الصور التي لا تظهر إلّا بهذا الانتظام، وهي صورٌ تعطي العلم بذاتها للناظر.

وفيه عِلْمُ الإعلام بالأعلام المنصوبة على الطريق للسُّلّاك فيه، لئلّا يضلّوا عن مقصودهم الذي هو غاية طريقهم.

وفيه عِلْمُ أنواع الأرزاق، فإنّها تختلف باختلاف المرزوقين.

وفيه عِلْمُ فائدة الإخبار بالعبارة المؤيّدة بقرائن الأحوال؛ هل حصول العلم بذلك الخبر عن الخبر؟ أو عن قرائن الأحوال؟ أو عن المجموع؟ أو العلم الذي تعطيه قرينة الحال (هو) غير العلم الذي يعطيه الخبر؟ أو في موضع يجتمعان، وفي موضع لا[2] يجتمعان؟

وفيه عِلْمُ الفرق بين الاستماع[3]؛ هل يقع بالفهم، أو بغير ذلك؟ والفرق بين من هو هو،

١ ص ١٢٤ب
٢ ص ١٢٥
٣ رسمها في ق يقترب من: الاسماع

وبين من هو كأنّه هو؟

وفيه عِلْمُ الجزاء الخاص بكلّ مجازى.

وفيه عِلْمُ العلم العام الذي غايته العمل، والذي ليس غايته العمل[1].

وفيه عِلْمُ نسبة العالم من الحقّ بطريق خاص.

وفيه عِلْمُ ما تنتجه الأفكار من العلوم في قلوب[2] المتفكّرين.

وفيه عِلْمُ تقرير النعم.

وفيه عِلْمُ ما خُلِق العالَم له، وما السبب الذي حال بينه وبين ما خلق له، مع العِلم بما خلق له؟ ولا أقوى من العلم، لأنّ له الإحاطة؛ فمقاوِمُه تحت حيطته؛ فأين يذهب؟

وفيه عِلْمُ مَن هو مِن أهل الأمر، ممن ليس هو منهم.

وفيه عِلْمُ الولاية الوجوديّة السارية التي بها كان الظالمون بعضهم أولياء بعض، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] من كونه مؤمنا؛ فمن أين هو ﴿وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4]، ولا يتّصف بالتقوى؟ أو يتّصف بالتقوى من حيث أنّه أخذ الجنّ والإنس وقاية يتّقي بها نسبة الصفات المذمومة عُرفا وشرعا إليه؛ فتنسب إلى الجنّ والإنس، وهما الوقاية التي اتّقى بها هذه النسبة؛ فهو وليّ المتّقين من كونه متّقيا؟ وإذا كان وليّهم، وما ثَمّ إلّا متّقٍ، فهي بشرى من الله للكلّ بعموم الرحمة[5] والنصرة على الغضب، لأنّ الوليّ (هو) الناصرُ، فافهم.

وفيه عِلْمُ المراتب بالنسبة إلى الشرع خاصة، لا المراتب بما يقتضيها الوجود.

وفيه عِلْمُ الإله الأعظم الذي شرع اتّخاذ الآلهة من دون الله.

١ "والذي ليس غايته العمل" ثابتة في الهامش
٢ ق: قلب
٣ [آل عمران : ٦٨]
٤ [الجاثية : ١٩]
٥ ص ١٢٥ب

وفيه عِلمُ الحيرة فيما تقطع به أنّه معلوم لك؛ والعلم ضدّ الحيرة، في معلومه؛ فما الذي حيّرك مع العلم؟

وفيه عِلمُ سلب الهداية من العالم، مع قوله: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1] وهو عين الهدى.

وفيه عِلمُ الدهر من الزمان.

وفيه عِلمُ الجمع الأوسط؛ لأنّ الجمع ظهر في ثلاثة مواطن: في أخذ الميثاق، وفي البرزخ بين الدنيا والآخرة، والجمع في البعث بعد الموت. وما ثَمّ، بعد هذا الجمع، جمعٌ يعمّ. فإنّه بعد القيامة كلُّ دار تستقلّ بأهلها، فلا يجتمع عالم الإنس والجنّ بعد هذا الجمع أبدا.

وعِلمُ النِّحَل والملل.

وعِلمُ عموم النطق الساري في العالم كلّه، وأنّه لا يختصّ به الإنسان كما جعلوه في فصله المقوّم له بأنّه حيوان ناطق. فالكشف لا يقول بخصوص هذا الحدّ في الإنسان، وإنما حدّ الإنسان بالصورة خاصة. ومن ليس له هذا الحدّ فليس بإنسان، وإنما هو حيوان يشبه في الصورة ظاهرَ الإنسان. فاطلب[2] لصاحب هذا الوصف حدًّا يخصّه كما طلبتَ لسائر الحيوان.

وفيه عِلمُ ماهيّة النسخ؛ هل يقع في الأعيان فيعبّر عنه بالمسخ كما يقع في الأحكام، أم لا؟

وفيه عِلمُ مراتب الفوز؛ فإنّه ثَمّ فوز مطلق، وفوز مقيّد بالإبانة، ومقيّد بالعظمة، وما حدّ كلّ واحد منهم؟

وفيه عِلمُ الاستحقاق.

وفيه عِلمُ اليقين، والعلم، والظنّ، والجهل، والشكّ، والنظر.

وفيه عِلمُ حكم الشهود من حكم العلم.

وفيه عِلمُ مَن لا يرضى اللهُ عنه، وإن رَحِمه فما رحمه عن رضا. والفرق بين المرحوم عن

١ [الرحمن : ٤]
٢ ص ١٢٦

رضا، وبين المرحوم لا عن رضا، وأين منزل كلّ واحد منهم من الدارين؟

وفيه عِلمُ الكبرياء والجبروت؛ متى يظهر عمومه في العالم بحيث يُعرف على التعيين؟ فإنّه الآن ظاهر لا يعلمه إلّا قليل من الناس.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

١ [الأحزاب : ٤]

الباب الأربعون وثلاثمائة

في معرفة المنزل الذي منه خبّأ النبيّ ﷺ

لابن صيّاد سورة الدخان من القرآن العزيز

فقال[1] له: ما خبّأتُ لك؟ فقال: الدخ. وهي لغة في الدخان، لأنّ فيها آية وهي قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[2] فعلم ابن صيّاد اسمها الذي نواه وأضمره في نفسه رسول الله ﷺ في خبئه. فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأ فلن تَعْدُوَ قدرك» أي عِلمك بهذا لا يخرجك عن قدرك الذي أهّلك الله له، وقد روي: «فلم تَعْدُ قدرَك» يعني بإدراكك لما خبّأته لك.

وفي هذا القول سِرٌّ يطلعك هذا القول من النبيّ ﷺ لِصاف[3] على المقام الذي أوجب على رسول الله ﷺ أن يقول مثل هذا القول له. فإنّه لم يختبره بما خبّأ له عن وحي من الله، فلو كان عن وحيٍ ما عثر عليه ابنُ صائد[4]، لأنّ الله من وراء ما يأمر به بالتأييد، بل كان هذا القول مثل قوله ﷺ في أبّار النخل. فلمّا أخرج خبأه، كان من الله، ذلك، تأديب فعل، ليحفظ على مقام المراقبة، فلا ينطق إلّا عن شهود. إذ بقرينة الحال يُعلم أنّ النبيّ ﷺ ما خبّأ له ما خبّأ إلّا ليعجزه، فأبى الله ذلك، فقال ﷺ: «إنّ الله أدّبني فأحسن أدبي». ولو نطق النبيّ ﷺ[5] للحاضرين بقصده فيما خبّأ له، لارتدّت جماعة من الحاضرين لذلك، ولكنّ الله عصم نبيّه ﷺ عن القول، ولم يخرجه (أي ابن صيّاد) العلم بالخبيئة عن كونه كاهنا، والحاضرون يعرفون أمر الكهنة وشأنهم، ولا سيما أهل اليمن والحجاز وجزيرة العرب، فلم يخرجه ذلك العلم عن قَدْرِه عند الحاضرين. وفي هذه المسألة أمور عظيمة يتّسع الشرح فيها إلى أمر عظيم.

تَرْكُ الرِّضا لا يَكُونُ ... إلّا لِمَنْ هُوَ دُوْنُ

فإنْ يَكُنْ لَكَ حالًا ... فَكُلُّ صَعْبٍ يَهُوْنُ

١ ص ١٢٦ب

٢ [الدخان : ١٠]

٣ صاف: اسم ابن صيّاد؛ من يهود المدينة أيام البعثة النبوية (انظر الأحاديث ١٢٦٧، ٢٤٤٤ في البخاري ١٩٥٢٢ مسند أحمد)

٤ ابن صائد: هو ذاته صاف ابن صيّاد؛ المشار إليه سابقا

٥ ص ١٢٧

وإنْ أَبَيْتَ رِضاهُ ... فَمَا يَشاءُ يَكُونُ

هذا المنزل، منه خبّأ رسول الله ﷺ لابن صيّاد سورة "الدخان" من القرآن. وهو منزل عظيم فيه من المكر الإلهيّ والاستدراج ما لا تأمنُ -مع العلم به- الملائكةُ من مكر الله. فالعاقل إذا لم يكن من أهل الاطّلاع في تصرّفاته، فلا أقلّ من أنّه لا يزيل الميزان، المشروع له الوزن به في تصرّفاته، من يده، بل من يمينه، فيحفظه[1] في نفس الأمر من هذا المكر، ولا يخرُج عن لوازم عبوديّته[2] وأحكامها طرفة عين، يعطى من الزيادات في العلوم والأمور ما لا عين رأت ولا خطر على بال ممكن.

يكون العروج إليه (=إلى هذا المنزل) من الأرواح المفارقة وغيرها، منه تبدو العلامات على صدق الصادق وكذب الكاذب. مَن حصل فيه عَلِم الحكمة الجامعة، وتميّز له الشقيّ من السعيد. فيه تختلف أحوال الناظرين؛ فما يراه زيدٌ نورا، يراه عمرو ظلمة، ويراه جعفر نورا ظلمة معًا؛ فإنّه يكشف به الأشياء فيقول: هذا نور، ويبصره من حيث عينه فيقول: ظلمة.

فيه تكون المنازلات كلّها؛ يلتقي فيه الحقّ النازل والخلق الصاعد، فيقول الحقّ للصاعد: إلى أين؟ فيقول: إليك. ويقول الخلق للنازل: إلى أين؟ فيقول: إليك. فيقول: قد التقينا، فتعال حتى يُعَيِّنَ كلُّ واحد منّا: ما السبب الذي أوجب لكلّ واحد منّا طلب صاحبه. فيقول الحقّ: قصدتُ بالنزول إليك لنريحك من التعب؛ فنعطيك ونَهَبك من غير مشقّة ولا نصب، وأنت في أهلك مستريح، لم يكن لي قصد غير هذا.

ويقول الخلق: قصدتُ بالعروج إليك تعظيما لك وخدمة، لنقف بين يديك، وأنت على سرير مُلكِك، وقد علم الملأ الأعلى أنّي خليفتك، وأنّي أعلم[3] بك منهم لما خصصتني[4] به. فإذا رآني الملأ الأعلى بين يديك؛ اقتدوا بي فيما نقوم به بين يديك، مما ينبغي لمثلي أن يتأدّب معك به؛

١ ق: فتحفظه

٢ ص ١٢٧ب

٣ ص ١٢٨

٤ ق: "حففتني" وكتب فوقها بقلم الأصل: "خصصتني"

فيحصل لهم بالمشاهدة من علم الأدب معك ما لم يكن عندهم، لأنّي رأيتهم جاهلين بمنزلتك مع كونهم يسبّحونك لا يفترون. تقول لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] فيعارضونك فيه بما حكيتَ لي عنهم أنّهم قالوا، ولم يكن ينبغي لهم إلّا السمع كما لك الأمر. فلمّا[2] علمتُ أنّ الأدب الإلهيّ ما استحكم فيهم، وقد أمرتني بتعليمهم، ورأيتُ أنّ التعليم بالحال والفعل أتمّ منه بالقول والعبارة، قصدتُ العروج إليك ليرى الملأ الأعلى بالحال والفعل ما ينبغي أن يعامَل به جلالُك. والاستواء أشرفُ حال ظهرتَ به إلى خلقك، ومع ذلك اعترضوا عليك، فكيف لو نزلتَ إلى أدنى من حالة الاستواء من سماء وأرض؟! فيقول الحقّ: نِعْمَ ما قصدتَ، مِثْلُك مَن يقدِّر قدر الأشياء؛ فإنّه من عرف قدره وقدر الأشياء، عرف قدري ووفّاني حقّي.

ألا ترى محمدا ﷺ لمّا فرضتُ عليه وعلى أمّته خمسين صلاة، نزل بها ولم يقل شيئا ولا اعترض ولا[3] قال هذا كثير. فلمّا نزل إلى موسى ﷺ فقال له: "راجع ربّك، عسى- أن يخفّف عن أمّتك، فإنّي قاسيتُ من بني إسرائيل في ذلك أهوالا، وأمّتك تعجز عن حمل مثل هذا وتسأم منه". فبقي محمد ﷺ متحيّرا. الأدبُ الكاملُ يعطيه ما فَعَلَ من عدم المعارضة، والشفقةُ على أمّته تطلبه بالتخفيف عنها حتى لا يُعبد اللهُ بضجرٍ ولا كُرْهٍ ولا مللٍ ولا كسل؛ فبقي حائرا. فهذا ما أثّرت الوسائط والجلساء. فأخذ يطلب الترجيح فيما قال له موسى ﷺ وفيما وفّى ﷺ من حقّ الأدب مع الله.

وقد كان الله تقدّم إليه عند ذِكْر جماعة من الأنبياء -عليهم السلام- منهم موسى ﷺ بأن قال له: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4]، فتأوّل أنّ هذا الذي أشار به عليه مِن هُداهم، ولم يتفطّن في الوقت أنّ موسى ﷺ لمّا كان في حال هديه ما سأل التخفيف، وذلك الهدى هو الذي أُمِر رسول الله ﷺ أن يقتدي به. فأعطاه هذا الاجتهادُ الرجوعَ إلى الله؛

١ [البقرة : ٣٠]
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ١٢٨ب
٤ [الأنعام : ٩٠]

يسأله التخفيف. فما زال يرجع[1] بين الله -تعالى- وبين موسى ﷺ إلى أن قال ما أعطاه الأدب: «استحييت من ربّي». وانتهى الأمر بالتخفيف إلى العُشر، فنزل به على أُمّته. وشرع له أن يشرّع لأُمّته الاجتهاد في الأحكام التي بها صلاح العالم، لأنّه ﷺ، بالاجتهاد، رجع بين الله وبين موسى ﷺ، فأمضى ذلك في أُمّته، لِتأنَس بما جرى منه ولا تستوحِش.

وجبر، بهذا التشريع، قلبَ موسى في ذلك. فإنّه لا بدّ إذا رجع مع نفسه، وزال عنه حكم الشفقة على العباد، قام معه تعظيم الحقّ وما ينبغي لجلاله، فلم يستكثر شيئا في حقّه، وعلِم أنّ القوّة بيده يقوّي بها مَن يشاء. وإذا خطر له مثل هذا، وأقامه الحقّ فيه؛ لا بدّ له أن يؤثّر عنده ندما على ما جرى منه فيما قاله لمحمد ﷺ؛ فجبر الله قلبه بقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[2] في آخر رجعة، وكان قد تقدّم القول بالتكثير، وبدّله بالتخفيف والتقليل. فأُعلم موسى أنّ القول الإلهيّ؛ منه ما يقبل التبديل، ومنه ما لا يقبل التبديل. وهو: إذا حَقَّ القول منه فالقولُ الواجب لا يبدَّل، والقول المعروض يقبل التبديل. فسُرَّ موسى[3] ﷺ بهذا القول، وأنّه ما تكلّم إلّا في عَرْض القول، لا في حقّه.

وكذلك لَمّا علم بما شرع اللهُ لأمّة محمد ﷺ من الاجتهاد في نصب الأحكام (أنّ ذلك كان) من أجل اجتهاد محمد ﷺ؛ جَبَر الله -تعالى- قلب محمد ﷺ فيما جرى منه، وسَرَى ذلك في أمّته ﷺ.

كما سرى الجحد والنسيان في بني آدم مِن جحد آدم ونسيانِه؛ جبرا لقلب آدم؛ فإنّ هذه النشأة الطبيعيّة مِن حكم الطبيعة فيها الجحد والنسيان. فكانت حركة آدم في جحده حركة طبيعيّة، وفي نسيانه أثر طبيعيّ. فلو تناسى لكان الأمر من حركة الطبيعة، كالجحد: من حيث أنّه جحدٌ هو أثر طبيعيّ، ومن حيث ما هو جحدٌ بكذا هو حكم طبيعيّ، لا أثر. فهذا الفرق بين حكم الطبيعة وبين أثرها؛ والنسيان من أثرها والتناسي من حكمها، والغفلة من أثرها والتغافل

١ ص ١٢٩
٢ [ق : ٢٩]
٣ ص ١٢٩ب

من حكمها. وقليل من العلماء بالله مَن يفرّق بين حكم الطبيعة وأثرها. فاجتمع في آدم حكم الطبيعة بالجحد؛ لأنّه الأوّل الجامعُ في ظَهْرِه للجاحدين، فحكموا عليه بالجحد؛ فجحد[1]؛ لأنّ الابن له أثر في أبيه.

فالجحد وإن كان من حكم الطبيعة، فإنّه من أثر الجاحدين من أبنائه، لأنّ آدم إنسان كامل، وكذلك النسيان الواقع منه هو من أثر الطبيعة وحكم الأبناء؛ فإنّه حامل في ظهره الناسين من أبنائه؛ فحكموا عليه بالنسيان. فانظر ما أعجب هذه الأمور وما يعطيه فتوح المكاشفة من العلوم. وجميع ما ذكرناه من أحكام هذا المنزل. وله من الحضرة الإلهيّة: الغيب، ومن أعيان العالم: الطبيعة، ومن عالم الشهادة: الظلمة؛ ففي الشهادة ترى الظلمة، ولا يُرى بها. وفي الطبيعة تُعلَم ولا تُرى، ويُرى أثرها ويُرى بها. وفي الغيب يُرى ويُرى به، مع بقاء اسم الغيب عليه.

وإنما قلنا هذا لأنّ الأسماء تتغيّر بتغيُّر الأحكام، ولا سيّمَا في الأسماء الإلهيّة. فإنّ الحكم يغيّر الاسم للاسم الآخر الذي يطلبه ذلك الحكم، والعين واحدة. وفي أحكام الشرائع عكس هذا؛ تَغيُّرُ الأحكام تَبَعٌ لِتَغيُّر الأحوال والأسماء، والعين واحدة. قيل لمالك بن أنس، من أئمّة الدين: "ما تقول في خنزير البحر، عن بعض السمك؟ فقال: هو حرام. فقيل له: فسمك البحر ودوابّه وميتته حلال؟! فقال: أنتم[2] سمّيتموه خنزيرا، والله قد حرّم الخنزير". فتغيّر الحكم عند مالك لتغيُّر الاسم. فلو قالوا له: ما تقول في سمك البحر، أو دوابّ البحر؟ لَحَكم بالحِلّ. وكذا تَغيُّرُ الأحوال يُغيِّر الأحكام؛ والشخص الواحد الذي لم يكن حاله الاضطرار؛ أكلُ الميتة عليه حرامٌ. فإذا اضطرّ ذلك الشخص عينُه؛ فأكلُ الميتة له حلال. فاختلف الحكم لاختلاف الحال، والعين واحدة.

واعلم أنّ الله، من هذا المنزل، يقبل التجلّي في الصور الطبيعيّة: كثيفها، ولطيفها، وشفّافها، لأهل البرازخ، والقيامة برزخ، وما في الوجود غير البرازخ؛ لأنّه منتظم شيء بين شيئين؛ مثل

١ ص ١٣٠
٢ ص ١٣٠ب

زمان الحال، ويسمّى: الدائم، والأشياء المعنويّة: دَوْرٌ، والحِسّيّة: كُرَةٌ. فما في الكون طرفٌ، لأنّ الدائرة لا طرف لها؛ فكلّ جزء منها برزخ بين جزأين. وهذا عِلم شريف لمن عرفه. ولهذا جمع في الإنسان الكامل بين الصورتين الطبيعيّتين في نشأته: فخلقه بجسم مظلم كثيف، وبجسم لطيف محمول في هذا الجسم الكثيف، سمّاه روحا له، به[1] كان حيوانا؛ وهو البخار الخارج من تجويف القلب المنتشر في أجزاء البدن المعطى فيه النموّ والإحساس. وخصّه، دون العالم كلّه، بالقوّة[2] المفكرة التي بها يدبّر الأمورَ ويفصّلها، وليس لغيره من العالَم ذلك؛ فإنّه على الصورة الإلهيّة، ومِن صورتها: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾[3].

فالإنسان الكامل مَن تمّمَتْ له الصورة الإلهيّة، ولا يكمل إلّا بالمرتبة. ومَن نزل عنها فعنده من الصورة بقدر ما عنده. ألا ترى الحيوان يسمع ويبصر ويدرك الروائح والطعوم والحارّ والبارد، ولا يقال فيه إنسان؛ بل هو جمل، وفرس، وطائر، وغير ذلك؟ فلو كملت فيه الصورة قيل فيه: إنسان. كذلك الإنسان لا يكمل؛ فيزول عنه الاسم العام إلى الاسم الخاص. فلا يسمّى خليفة إلّا بكمال الصورة الإلهيّة فيه؛ إذ العالَم لا ينظر[4] إلّا إليها. ولهذا لمّا لم تر الملائكةُ من آدم إلّا الصورة الطبيعيّة، الجسميّة، المظلمة، العنصريّة، الكثيفة، قالت ما قالت. فلمّا أعلمهم الله بكمال الصورة فيه، وأمرهم بالسجود له؛ سارعوا بالسجود، ولا سيّما وقد ظهر لهم بالفعل في تعليمه الأسماء إيّاهم. ولو لم يعلّمهم، وقال لهم الله: "إنّي أعطيته الصورة والسورة" لأخذوها إيمانا، وعاملوه بما عاملوه به لأمر الله.

فإذا كوشف الإنسان على الإنسان الكامل[5]، ورأى الحقّ في الصورة التي كساها الإنسان الكامل؛ يبقى في حيرة بين الصورتين؛ لا يدري لأيّتها يسجد!. فيُخيَّرُ في ذلك المقام بأن يُتلى

١ لم ترد في ق وأثبتناها من هـ، س
٢ ص ١٣١
٣ [الرعد : ٢]
٤ كتب في الهامش مقابلها بقلم آخر: لا ينظرون"
٥ ص ١٣١ب

عليه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1] ففي الإنسان وجهُ الله من حيث صورته، وفي جانب الحقّ وجهُ الله من حيث عينه؛ فلأيّ شيء يسجد قُبِلَ سجوده؛ فإنّ الله يقبل السجود للصورة، كما يقبله للعين.

كما تحيّر رسول الله ﷺ في مثل هذا المقام، في منزلة أخرى، لمّا قيل له حين أُسري به، وأُقيمَ في النور وحده؛ فاستوحش. وسبب استيحاشه إنّما كان حيث أسري به[2] بجسمه العنصريّ، فأدركته الوحشة بخروجه عن أصله ووقوفه في غير منزله، فلم يَستوحش منه ﷺ إلّا حقيقةُ ما ظهر فيه من العناصر. فناداه مَن ناداه بصوت أبي بكر؛ إذ كان قد اعتاد الأنس به؛ فأَنِسَ للنداء، وأصغى إليه، وزالت عنه تلك الوحشة بصوت أبي بكر. فقيل له لمّا أراد الدخول من ذلك الموقف على الله: «قف -يا محمد- إنّ ربّك يصلّي» فتحيّر في نسبة الصلاة إليه.

وكان محمد ﷺ في مقام الصورة الإلهيّة الكاملة التي تُستقبل بالصلاة والسجود لها. فلمّا[3] دنا، استقبله ربُّه بالصلاة له، ولا عِلْم له بذلك. فناداه الاسم "العليم"، المنسوب إليه الكلام بصوت أبي بكر، ليعرّفه بمرتبة أبي بكر ويؤنسه به: «قف؛ إنّ ربّك يصلّي» والوقوفُ ثباتٌ، وهو قبلة للمصلّي. فوقف، فأفزعه ذلك الخطاب، لأنّ حاله في ذلك الوقت: التسبيح، الذي روحه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4]. فهذا الذي أفزعه. فلمّا تُلي عليه عند ذلك: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[5] تذكّر ما أنزله الله عليه في القرآن، فزال عنه رُعْبُ نِسبة الصلاة إلى الله بما ذكّره به. وكان من أمر الإسْراء ما كان، وله موضعٌ غير هذا نذكره فيه -إن شاء الله-.

فَمَن أقامه الله بين الصورتين، لا يبالي لأيّهما سجد. فإن رأى، هذا الذي كوشف بالصورتين،

١ [البقرة : ١١٥]
٢ ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٣ ص ١٣٢
٤ [الشورى : ١١]
٥ [الأحزاب : ٤٣]

تَصافُحَ السورتين دون سجود إحداهما للأخرى؛ فهي علامة له على كمال الصورة في حقّ ذلك الإنسان الخاص. وإن رأى السجود من الصورة الإنسانيّة للصورة الأخرى الإلهيّة، فيعلم عند ذلك: أنّ الصورة الإنسانيّة الكاملة (هي) في مقام مشاهدة العين لا مشاهدة الصورة؛ فيوافقها في السجود لها. فإن رأى السجود من الصورة الإلهيّة للصورة الإنسانيّة[1] هنالك، من قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي﴾ لم يوافقها في السجود؛ فإن وافقها هَلك. بل مَن حصل في ذلك المقام يعرف الأمور على ما هي عليه، فإنّه يعلم أنّ الصلاة من الله (إنما هي) على العبد الكامل، لا للعبد الكامل. والصلاة من العبد الكامل (هي) لله، لا على الله. ومَن حصل له هذا الفُرقان، فقد جمع بين القرآن والفُرقان. وهذا مشهد عزيز ما رأيت له ذائقا؛ وهو من أتمّ المعارف.

ولمّا نزل القرآنُ، نزل على قلب محمد ﷺ وعلى قلوب التالين له دائما، التي في صدورهم في داخل أجسامهم؛ لا أعني اللطيفة الإنسانيّة التي لا تتحيّز ولا تقبل الاتّصاف بالدخول والخروج. فيقوم للنفس الناطقة القلبُ الذي في الصدر؛ لبصيرتها مقام المصحف المكتوب للبصر؛ فمِن هناك تتلقّاه النفس الناطقة.

وسبب ذلك؛ لمّا قام لها الشُفوف والفضل على الجسم المركّب الكثيف، بما أُعْطِيَتْهُ من تدبيره والتصرُّف فيه، ورأته دونها في المرتبة لِجهلها بما هو الأمر عليه، وما علمت أنّه من الأمور المتمّمة لكمالها؛ فجعل اللهُ القلبَ -الذي في داخل الجسم في صدره- مصحفا وكتابا مرقوما[2]: تنظر فيه النفسُ الناطقةُ فتتّصف بالعلم، وتتحلّى به بحسب الآية التي تنظر فيها؛ فتفتقر إلى هذا المحلّ لما تستفيده بسببه، لكون الحقّ اتّخذه محلّا لكلامه، ورقمه فيه. فنزلت بهذا عن ذلك الشفوف الذي كان قد أُعجبت به، وعرفت قدرها، ورأت أنّ ذلك القلب مهبط الملائكة والروح الذي هو كلام الله، وما رأت تلك الملائكة النازلة تنظر إليها ولا تكلّمها، إنما ترقم في القلب ما تنزل به، والنفس تقرأ ما نزل فيه مرقوما.

١ ص ١٣٢ب
٢ ص ١٣٣

فتعلم في فهمها عن الله؛ أنّ مراد الله بذلك تعليمها وتأديبها، لما طرأ عليها من خلل العُجب بنفسها. فأقرّتْ، واعترفتْ بأنّ نِسبة الله إلى كلّ شيء نسبةٌ واحدة من غير تفاضُل؛ فلم تر لها شفوفا على شيء من المخلوقات من ملأ أعلى وأدنى، ولا تفضيل ولا ترجيح في العالم؛ ولكن من حيث الدلالة ونِسبة الحقّ، لا من حيث هو العالَم. فإنّه من حيث هو العالَم يكون ترجيح بعضهم على بعض، ويظهر فيه التفاوت.

واعلم أنّ النفس الناطقة من الإنسان، إذا أراد الله بها[1] خيرا، كشف لها عن نطق جميع أجزاء بدنها كلّها؛ بالتسبيح والثناء على الله بحمده، لا بحمدٍ من عندها؛ ولا يُرى فيهم فتور، ولا غفلة، ولا اشتغال. ورأى ذاته غافلةً عمّا يجب لله -تعالى- عليها من الذِّكر، مفرّطةً مشتغلةً عن الله بأغراضها، متوجّهةً نحو[2] الأمور التي تحجبها عن الله والوقوف عند حدوده. فيعظُمُ العالَمُ عندها، وتعلم أنّه شعائرُ الله، التي يجب عليها تعظيمها، وحرماتِ الله. وتصغُر عندها نفسُها، وتعلم أن لو تميّزت عن جسمها، ولم يكن جسمُها من المتمّمات لها في نشأتها؛ لَعَلِمتْ أنّ الجسم المدبَّر لها أشرفُ منها.

فلمّا عَلِمَتْ أنّ ذلك الجسم منها؛ عَلِمَتْ أنّ شرفه بما هو عليه من هذه الصفات، هو عين شرفها، وأنّها ما أُمِرت بتدبيره، واسْتُخْدِمَتْ في حقّه، وصُيِّرت كالخديم له، وتوجّهتْ عليها حقوق له من عينه، وسمعه، وغير ذلك، إلّا لشغله بالله وتسبيح خالقه؛ فعلِمتْ نفسَها أنّها مسخَّرة له. فلو كانت هي من الاشتغال بالله مثل هذا الاشتغال، كان لها حكم جسمها. ولو وُكِّل الجسمُ لتدبير ذاته؛ اشتغلَ عن التسبيح، كما اشتغلت النفس الإنسانيّة. وإذا علِمت[3] أنّها مسخّرة في حقّ جسمها، عرفت قدرها، وأنّها في معرض المطالبة، والمؤاخذة، والسؤال، والحساب. فتعيَّن عليها في دار التكليف أداء الحقوق الواجبة عليها لله، وللعالَم الخارج عنها، ولنفسها بما يطلبه منها جسمها، ولم تتفرّغ مع هذا الاشتغال إلى رؤية الأفضليّة، ولا تشوّفت

١ ص ١٣٣ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ ص ١٣٤

لمعرفة المراتب. وهذه المرتبة، أعني مرتبة أداء الحقوق، أشرفُ المراتب في حقّ الإنسان. والخاسر مَن اشتغل عنها، كما أنّ الرابح مَن اشتغل بها.

واعلم أنّ الله -تعالى- إذا ذكر لك شيئا بضمير الغائب، فما هو غائب عنه؛ وإنما راعى المخاطَبَ وهو أنت. والمذكور غائب عنك؛ فإذا ذكره بضمير الحضور، مِن إشارة إليه وغيرها، فإنما راعاك؛ ومراعاة شهوده لا بدّ منها في كلّ حال، ولكن يفرّق بين ما يحكيه الله من أقوال القائلين، وبين الكلام الذي يقوله من عند نفسه. فإذا كان الحقُّ سمعَ العبدِ وبصرَه، زالت الغيبة في حقّ العبد، فما هو عند ذلك مخاطَبٌ بما فيه ضمير غائب. وقد وُجِد الخِطاب، لمن هذه صفته، بضمير الغائب؛ فكيف الأمر؟

قلنا: لمّا كان العبد المنزل عليه القرآن مأمورا[1] بتبليغه إلى المكلّفين، وتبيينه للناس ما نزل إليهم. ومن الأشياء ما هي مشهودة لهم وغائبة عنهم، ولم يؤمَر أن يُحرِّف الكلِم عن مواضعه، بل يحكي عن الله كما حكى الله له قولَ القائلين، وقولهم يتضمّن الغيبة والحضور، فما زاد على ما قالوه في حكايته عنهم، وقيل له: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[2] فلم يعدل عن صورة ما أُنزل إليه، فقال ما قيل له. فإنّه ما نزلت المعاني على قلبه من غير تركيب هذه الحروف، وترتيب هذه الكلمات، ونظم هذه الآيات، وإنشاء هذه السور المسمّى هذا كلّه قرآنا. فلمّا أقام الله نشأةَ القرآن صورة في نفسها، أظهرها كما شاهدها؛ فأبصرتها الأبصار في المصاحف، وسمعتها الآذان من التالين.

وليس غيرَ كلام الله هذا المسموعُ والمبصَرُ، وألحق الذمّ بمن حرّفه بعد ما عقِله، وهو يعلم أنّه كلام الله. فأبقى صورتَه كما أُنزلت عليه. فلو بدّل من ذلك شيئا وغيَّر النشأة، لبلغ إلينا صورة فَهمِه، لا صورة ما أنزل عليه. فإنّه لكلّ عين من الناس المُنْزَل إليهم هذا القرآن نظرٌ فيه. فلو نقله إلينا على معنى ما فَهِمَ، لما كان قرآنا، أعني[3] القرآن الذي أنزل عليه.

١ ص ١٣٤ب
٢ [المائدة : ٦٧]
٣ ص ١٣٥

فإن فرضنا أنّه قد علِم جميع معانيه، بحيث أنّه لم يَشِذَّ عنه شيء من معانيه؟. قلنا: فإن علِم ذلك، وهذه الكلمات تدلُّ على جميع تلك المعاني؛ فلأيّ شيء يَعْدِل؟ وإن عَدَلَ إلى كلماتٍ تساويها في جمع تلك المعاني، فلا بدّ لتلك الكلمات التي يَعدل إليها، من حيث ما هي أعيان وجوديّة، غير هذه الأعيان التي عدل عنها التي أُنزلت عليه. فلا بدّ أن تخالفها، بما تعطيه من الزيادة من حيث أعيانها على ما جمعته من المعاني التي جمعتها الكلمات المنزلة؛ فيزيد للناظر في القرآن معاني أعيان تلك الكلمات المعدول إليها وما أنزلها الله. فيكون النبيّ قد بلّغ للناس ما نُزّل إليهم وما لم ينزّل إليهم؛ فيزيدون في الحكم شرعا لم يأذن به الله. كما، أيضا، ينقص مما أَنزل الله أعيان تلك الكلمات التي عدل عنها؛ فكان الرسول قد نقص من تبليغ ما نزّل إليه أعيان تلك الكلمات. وحاشاه من ذلك. فلم يكن ينبغي له إلّا أن يبلّغ إلى الناس ما نزّل إليهم صورة مكمّلة؛ من حيث الظاهر: حروفها اللفظيّة والرقميّة، ومن حيث الباطن: معانيها.

ولذلك كان جبريل، في كلّ رمضان، ينزل على محمد ﷺ[1] يدارسه القرآن مَرّة واحدة؛ فكانت له مع جبريل -عليهما السلام- في كلّ رمضان ختمة، إلى أن جاء آخر رمضان شهده رسول الله ﷺ فدارسه جبريل مرّتين في ذلك الرمضان؛ فختم ختمتين؛ فعلم أنّه يموت في السنة الداخلة، لا في سنة ذلك الرمضان؛ فكانت الختمة الثانية لرمضان السنة التي مات فيها، حتى تكون السنة له بعد موته؛ فمات في ربيع الأوّل.

وكان نزول القرآن في ليلة القدر التي هي ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2] فأتى بغاية أسماء العدد البسيط، الذي لا اسم بعده بسيط إلّا ما يتركّب. كما كان القرآن آخر كتاب أُنزل من الله، كما كان مَن أنزل عليه آخر الرسل وخاتمهم. ثمّ أضاف ذلك الاسم الذي هو ألْف إلى شهر بالتنكير؛ فتدخل الفصول فيه. والشهرُ العربي قَدْرُ قَطْعِ منازل درجات الفلَك كلّه لسير القمر الذي به يظهر الشهر. فلو قال أزيد من ذلك لكرّر، ولا تكرار في الوجود؛ بل هو خلق جديد. ولو نقص بذِكْر الأيّام أو الجُمَع، لما استوفى قطع درجات الفلَك؛ فلم تكن تعمّ رسالته، ولم يكن

[1] ص ١٣٥ب
[2] [القدر : ٣]

القرآن يعمّ جميع الكتب قبله؛ لأنّه ما ثَمّ سَيرٌ لكوكب يقطع الدرجات كلّها[1] في أصغر دورة إلّا القمر، الذي له الشهر العربي. فلذلك نزل في ليلة هي ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي أفضل من ألف شهر. والأفضلُ زيادةٌ، والزيادة عينها، وجعل الأفضليّة في القدر، وهي المنزلة التي عند الله لذلك المذكور.

وكانت تلك الليلة المنزل فيها، التي هي ليلة القدر، موافِقة ليلة النصف من شعبان؛ فإنّها ليلة تدور في السنة كلّها. وأمّا نحن فإنّا رأيناها تدور في السنة، وإنّا رأيناها أيضا في شعبان، ورأيناها في رمضان؛ في كلّ وتر من شهر رمضان، وفي ليلة الثامن عشر من شهر رمضان، على حسب صيامنا في تلك السنة. فأيّةُ ليلة شاء الله أن يجعلها محلّا من ليالي السنة، للقدر الذي به تسمّى ليلة القدر؛ جَعَلَ ذلك. فإن كان ذلك من ليالي السنة، ليلة لها خصوص فضلٍ على غيرها من ليالي السنة: كلَيلة الجمعة، وليلة عرفة، وليلة النصف من شعبان، وغير تلك من الليالي المعروفة؛ فينضاف خير تلك الليلة إلى فضل القدْر. فتكون ليلةُ القدر تفضلُ ليلةَ القدر في السنة التي لا ينضاف إليها فضلُ غيرِها، فاعلم ذلك.

ومن هذا المنزل نَزل الروحُ الأمين على قلب محمد ﷺ بسورتين: سورة "القدر" وسورة[2] "الدخان". وهما مختلفتان في الحكم: فسورة "القدر" تجمع ما تفرّقه سورة "الدخان" وسورة "الدخان" تفرّق ما تجمعه سورة "القدر". فمن لا علم له بما شاهده يتخيّل أنّ السورتين متقابلتان، ولم يتفطّن للمنزل الواحد الذي جمعهما، ولم يتفطّن لنشأته التي قامت مِن جَمْعِها للمتقابلات الطبيعيّة. وصاحبُ الكشف الصحيح إذا دخل هذا المنزل، وكان له قلبٌ وهو شهيد؛ رأى أنّ سورة القدْر لا تَقَابُلَ بينها وبين سورة الدخان؛ فإنّ سورة القدر تجمع ما تعطيه لسورة الدخان لتفرّقه على المراتب؛ فتأخذه سورة الدخان فتفرّقه على المراتب؛ لأنّها علِمت من سورة القدر أنّها ما جمعت ذلك وأعطته إيّاها إلّا لتفرّقه؛ فسورة القدر كالجابية[3] لسورة

[1] ص ١٣٦
[2] ص ١٣٦ب
[3] كتب في الهامش مقابلها بقلم آخر: "كالجابي" مع إشارة التصويب

الدخان. هكذا هو الأمر. وهما سورتان: لهما عينان، ولسانان، وشفتان؛ تَعرفان وتَشهدان لمن دخل هذا المنزل بأنّه من أهل المقام المحمود، وأنّه وارث مكمّل.

ويتضمّن هذا المنزلُ: عِلْمَ المطابقة، والمناسبة، والمراقبة.

وعِلْمَ التلويح والرمز.

وعِلْمَ النفوذ في الأمور من غير مشقّة، لأنّ النفوذ في الأمور بطريق الفكر من أعظم المشقّات.

وعِلْمَ الإبانة والكشف.

وعِلْمَ[1] النشآت الطبيعيّة؛ هل حكمها حكم النشآت العنصريّة، أم لا؟

وعِلْمَ الفرق بين الأنوار والظُّلَم، ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع النور والظلمة وهما حجابان بين الله وعباده؟ وما يلي العباد من هذه الحجب، وما يلي الحقّ منها. وهل تُرفع لأحد أو لا تزال مُسْدَلة؟ وهل تعطي هذه الحجب تحديد المحجوب[2] أم لا؟ فإن أعطت تحديد المحجوب[2]؛ فبأيّ نشأة تقيّده وتحدُّه: هل بنشأة عنصريّة أو طبيعيّة؟ وإن لم تقيّده، فبماذا تلحقه: هل بما لا يقبل التحيُّز من العالم، فلا يتّصف بالدخول في الأجسام ولا بالخروج منها؟ أو تقضي عليه بحكمٍ يخصّه خارجٍ عن حكم ما لا يتحيّز، فلا يقبل المكان ولا الحلول؟

وعِلْمَ الرحمة التي يتضمّنها الإنذار ممن كان.

وعِلْمَ الأذواق.

وعِلْمَ ما يُشقي من الأسماء مما يُسْعِد.

وعِلْمَ تعلُّم اليقين.

وعِلْمَ التنزيه في الربوبيّة؛ وهو صعب التصوُّر.

وعِلْمَ مرتبة العلم من مرتبة الشكّ خاصّة، وما تعطي كلّ مرتبة منها لمن حلّ فيها ونزل بها؟

---

١ ص ١٣٧

٢ رسمها في ق أقرب إلى: تحديدا لمحجوب

وعِلْمَ العذاب: مِن علم الآلام هو، أو مِن علم اللذّات؟

وعِلْمَ عدم قبول التوبة عند حلول البأس، وقبولها من قوم يونس خاصّة.

وعِلْمَ نفوذ[1] قضاء السوابق؛ هل ينفذ بالشرّ على مَن هو على بصيرة؟ أو هل هو مختصّ بالمحجوبين؟

وعِلْمَ طبقات العذاب.

وعِلْمَ الابتلاء وطبقاته.

وعِلْمَ النصائح.

وعِلْمَ أهل العناية عند الله مع شمول الرحمة للجميع، وقد ابتُلوا أهل العناية في الدنيا بما به ابتلي مَن ليس منهم في الآخرة. ولماذا (=وإلى ماذا) ترجع عناية الله بأهله مع الابتلاء والبلاء؛ هل لاقتضاءِ الدارين؟ أو لاقتضاءِ سابق العلم؟

وعِلْمَ وجود الحقّ بوجوهه في كلّ فرد فرد من العالم كلّه.

وعِلْمَ توقيت الجمع الأخير من الجموع الثلاثة.

وعِلْمَ الاستثناء؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع؟

وعِلْمَ أين يذهب الظنُّ والجهل والشكّ، والعلم بأصحابهم؟.

وعِلْمَ تقدُّم الموت على الحياة. ومعلوم أنّ الموت لا يكون إلّا عن حياة.

وعلوم هذا المنزل كثيرة، فقصدنا منها إلى التعريف بالأهمّ من ذلك مما تتعلّق السعادة بالعالم[2] به، وإن كان العلم كلّه عينَ السعادة، لكن في العموم ليست السعادة إلّا حصول اللذّات، ونَيْل الأغراض، والفوز من الآلام.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

---

١ ص ١٣٧ب

٢ ق: "بالعلم" وفي الهامش بقلم الأصل: "بالعالم"

٣ [الأحزاب : ٤]

الباب[1] الأحد والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل التقليد في الأسرار

فِي كُلِّ حُكْمٍ مِنَ الأَحْكامِ تَقْلِيدُ ... وفِيهِ سَلْطَنَةٌ فِينَا وتَأْيِيدُ
لَوْلاهُ ما كانَ لِي فِي عِلْمِنا قَدَمٌ ... بِهِ وَلا كانَ تَنْزِيلٌ وتَوْحِيدُ
إنّ الخِلافَةَ تَقْلِيدٌ وسَلْطَنَةٌ ... فَهِيَ الإمامُ الذِي لِلخَلْقِ مَشْهُودُ
هِيَ الأَمانَةُ ما يَنْفَكُّ صاحِبُها ... فِي طاعَةٍ وَهْوَ عِنْدَ اللهِ مَحْمُودُ
جَمِيعُ مَنْ فِي وُجُودِ اللهِ يَرْقُبُهُ ... فِي سِرِّهِ فَهْوَ فِي الأَكْوانِ مَقْصُودُ
حَلّاهُ رَبِّي بِمَا تُعْطِيْهِ حَضْرَتُهُ ... مِنَ الصِّفاتِ فَمَا فِي العِلْمِ مَوْجُودُ
سِوَاهُ فَهْوَ إمامُ الخَلْقِ كُلِّهِمُ ... وَهْوَ الإلَهُ فَمَجْهُولٌ ومَحْدُودُ

اعلم[2] -أيّدنا الله وإيّاك بروحه القُدُسيّ- أنّ التقليد هو الأصل الذي يرجع إليه كلّ علم نظريّ، أو ضروريّ، أو كشفيّ. لكنّهم فيه على مراتب: فمنهم مَن قلّد ربّه؛ وهم الطائفة العليّة أصحاب العلم الصحيح. ومنهم مَن قلّد عقله؛ وهم أصحاب العلوم الضروريّة، بحيث لو شكّكهم فيها مشكّكٌ بأمر إمكانيّ ما قبلوه، مع علمهم بأنّه ممكنٌ، ولا يقبلونه. فإذا قلتَ لهم في ذلك، يقولون: لأنّه يقدح في العلم الضروري. وأمثلته كثيرة، لا أذكرها من أجل النفوس الضعيفة لقبولها، فيؤدّي ذلك إلى ضرر وهوس؛ فذلك يمنعني أن أبيّنها. ومنهم مَن قلّد عقله فيما أعطاه فكره. وما ثَمّ إلّا هؤلاء.

فقد عمّ التقليدُ جميعَ العلماء. والتقليد تقييد؛ فما خرج العالم عن حقيقته؛ فإنّه الموجود المقيَّد؛ فلا بدّ أن يكون علمُه مقيّدًا مثله. والتقييد فيه عين التقليد؛ غير أنّه ذُمَّ في بعض المواطن وهي معلومة، وحُمِدَ في بعض المواطن وهي معلومة. وليس في المنازل أصعب مرتقى من هذا المنزل. هو أصعب من منزل عقبات السَّوِيق؛ لأنّ صاحب ذلك المنزل؛ تارة وتارة، وصاحبُ هذا

[1] ص ١٣٨
[2] ص ١٣٨ب

المنزل؛ ثابتُ القدم فيه.

فإذا كان التقليد هو الحاكم، ولا بدّ ولا[1] مندوحةَ عنه، فتقليدُ الربِّ أَولَى فيما شرَع من العلم به، فلا تعدل عنه؛ فإنّه أخبرك عن نفسه، في العلم به، بما قلّدتَ فيه عقلَك، من حيث تقليده لفكره، الناظر به في دليله، وأعطاك نقيضه من العلم به. والأصلُ في العالَم الجهلُ، والعلم مستفاد. فالعلم وُجودٌ، والوجود لله. والجهل عدم، والعدَم للعالَم. فتقليد الحقّ الذي له الوجود، أَولَى من تقليد مَن هو مخلوق مثلك. فكما استفدتَ منه -سبحانه- الوجودَ، فاستفِد منه العلمَ؛ فقف عند خبره عن نفسه بما أخبر، ولا تبال بالتناقض في الأخبار؛ فإنّه لكلّ خبر مرتبةٌ ينزل ذلك الخبر فيها، وأنت الحضرة الجامعة لتلك المراتب. فكن على بيّنة من ربّك؛ لم يقل من عقلك، لأنّه لا يحيلك إلّا على نفسه؛ لأنّه خلقك له؛ فلا يعدل بك عنه.

فإذا تجلّى لك في ضرورة عقلك، وجدت استنادك ولا بدّ، إلى أمرٍ مّا لا تعلمه من حيث تقليدك لهذه الضرورة العقليّة. فإذا تجلّى لك في نظر عقلك، وجدتَ في نفسك أنّ هذا الذي استندت إليه في وجودك، أمرٌ وجوديٌّ لا يشبهك؛ إذ عَيْنُكَ وكلُّ ما يقوم بك ويكون وصفًا لك[2] (هو) محدَثٌ مفتقِرٌ إلى موجد مثلك. فيقول لك عقلك من حيث نظره: إنّ هذا الموجود ليس مثله شيء من العالم، وأنت جميع العالم؛ لأنّ كلّ جزء من العالم يشترك مع الكلّ، في الدلالة على ما قرّرناه. فإذا تجلّى لك في الشرع أبان لك عن التفاوت في مراتب العالَم؛ فتجلّى لك في كلّ مرتبة. فقلّد في ذلك الشارع حتى يكشف لك، فترى الأمر على صورة ما آمنت به. فقلّدتَ ربّك: فرأيته مشبِّهًا ومنزِّهًا؛ فجمعتَ وفرّقتَ، ونزّهتَ وشبّهتَ؛ وكلُّ ذلك أنت؛ لأنّه تجلٍّ إلهيّ في المراتب؛ وأنت الجامع لها. وهي لك وللعالم كلّه. وهي الحاكمة على كلِّ مَن ظهر فيها؛ فينصبغ في عين الناظر إليه بها؛ ولذلك قلت لك: "وكلّ ذلك أنت" فإنّ العالَمين؛ من العلامة، والعلامة لا تدلّ إلّا على محدود؛ فلا تدلّ إلّا عليك "والله غنيّ عن العالمين". فالعالم لا يدلّ على العلم بذاته، وإنما يدلّ على العلم بوجوده.

[1] ص ١٣٩
[2] ص ١٣٩ب

فاعلم أنّ الحقّ هو، على الحقيقة، أمُّ الكتاب. والقرآن كتاب من جملة الكتب، إلّا أنّ له الجمعيّة دون سائر الكتب. ومع هذا فإنّه صفة الحقّ، والصفة تطلب مَن تقوم به، والنسبة تطلب مَن تُنْسَب إليه. ولذلك قلنا فيه: إنّه[1] ﴿أُمِّ الكِتَابِ﴾[2] الذي عنه خرجتْ الكتب المنزلة. واختلفت الألسنة به لقبوله إيّاها بحقيقته؛ فقيل فيه: إنّه عربيّ، وإنّه عبرانيّ، وإنّه سُريانيّ؛ بحسب اللسان الذي أُنزل به.

وهذا هو عين الجعل في القرآن، وعين نِسبة الحدوث إليه في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾[3]. فهو محدَثُ الإتيان، وما هو الإتيان عين الإنزال. كما أنّه ليس بعين الجعْل، والجعْل يكون بمعنى الخلق وبغيره؛ فيما يُنسب إلى القرآن من قوله: ﴿مُحْدَثٍ﴾ فهو من حكم الجعْل الذي بمعنى الخلق. فلا فرق بين قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[4] وبين قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[5] في الحكم.

واعلم أنّ تحقيق عنديّة كلّ شيء راجعة إلى نفسه، ولهذا قال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ فإنّ حكمكم النَّفاد ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[6] فإنّه له البقاء. فلو كانت عنديّة الشيء عينُ نفس الشيء؛ ما نفِد ما عندنا، لأنّا وما عندنا؛ عند الله، وما عند الله باق، فنحن وما عندنا؛ باق. فتبيّن لك أنّ عنديّة كلّ شيء نفسُه. والعِنديّة في اللسان: ظرفُ مكان، أو ظرف مجلَى: كالجسم للعرَض اللونيّ الذي يدركه البصر؛ فهو أجلى فيما نرومه من الدلالة؛ فهو[7] بحيث محلِّه. وصاحب المكان ما هو بحيث المكان، والعنديّة جامعة للأمرين.

ولمّا لم يتمكّن في التقليد الضروريّ أن يَجحدَ أحدٌ مَن استند إليه في وجوده، لذلك أقرّ به مَن مِن شأنه الإنكار والجحود. فإن قلتَ: فالمعطّلةُ أنكرتْ؟ قلنا: المعطّلة ما أنكرت مستنَدا،

١ ص ١٤٠
٢ [الزخرف : ٤]
٣ [الأنبياء : ٢]
٤ [المؤمنون : ١٣]
٥ [الزخرف : ٣]
٦ [النحل : ٩٦]
٧ ص ١٤٠ب

وإنما أنكرت وعطّلت الذي عيّنتموه أنتم أنّه المستند، ما عطّلت المستنَد. فقلتم أنتم: "هو كذا" فعطّلته المعطّلة، وقالت: "بل المستند كذا" فكما أنّ أولئك معطّلة، أنتم أيضا معطّلةٌ تعطيلَهم؛ لكن اختصّ أولئك باسم المعطّلة. وهم على ضروب في التعطيل، محلُّ العلم بذلك وأمثاله: "العلم بالنِّحَل والمِلَل" وهو علم لا ينبغي للمؤمن أن يقرأه، ولا ينظر فيه جملة. كما يتعيّن على أهل الله أن يعرفوا علم كلّ نحلة وملّة بالله، ليشهدوه في كلّ صورة؛ فلا يقومون في موطن إنكار؛ لأنّه - تعالى- ساري الوجود. فما أنكره إلّا محدود، وأهل الله تابعون لمن هم له أهلٌ؛ فيجري عليهم حكمه، وحكمُه -تعالى- عدمُ التقييد. فله عموم الوجود؛ فلأهله عموم الشهود. فمَن قيّد وجودَه قيّد شهودَه، وليس[1] هو من أهل الله.

واعلم أنّ الله لمّا مهّد هذه الخليقة، جعلها أرضا له؛ فوصف نفسه بالاستواء، وبالنزول إلى السماء، وبالتصرّف في كلّ وجهةِ الكونُ موليّها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[2]، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[3] فإنّه لا يرفع حكم أنّ وجه الله حيثما تولّيتَ، ولكنّ الله اختار لك ما لك في التوجّه إليه سعادتك، ولكن في حال مخصوص؛ وهي الصلاة. وسائر الأينيّات ما جعل لك فيها هذا التقييد؛ فجمع لك بين التقييد والإطلاق، كما جمع لنفسه بين التنزيه والتشبيه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]. فالعالم كلّه أرض ممهّدة ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[5]، هل ترى من تفاوت ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾[6]، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[7] والحقُّ صفة العالَم لأنّ صفته الوجود، وليس إلّا الله. ولذلك ورد في الخبر الصحيح: «كنتُ سمعَه وبصرَه» وهكذا جميع قواه وصفاته. فلمّا كان العالم ظرفا مكانيا لمن استوى عليه؛ ظهر بصورته.

فسُئِل الجنيد عن المعرفة والعارف. فقال: "لَونُ الماءِ لون إنائه". فجعل الأثر للظرف في

١ ص ١٤١
٢ [البقرة : ١١٥]
٣ [البقرة : ١٤٤]
٤ [الشورى : ١١]
٥ [طه : ١٠٧]
٦ [الملك : ٣]
٧ [الزمر : ٢٨]

المظروف، وذلك[1] لتعلم مَن عرفتَ، فتعلم أنّك ما حكمتَ على معروفك إلّا بك؛ فما عرفتَ سِواك. فأيّ لون كان الإناء؛ ظهر الماء للبصر بحسب لون الإناء؛ فحَكَمَ مَن لا عِلم له بأنّه كذا، لأنّ البصر أعطاه ذلك. فله التجلّي في كلّ صورة من صور الأواني، من حيث ألوانها، فلم يتقيّد في ذاته الماء، ولكن هكذا تراه. وكذلك تؤثّر فيه أشكال الظروف التي يظهر فيها؛ وهو ماءٌ فيها كلّها. فإن كان الوعاء مربّعا: ظهر في صورة التربيع، أو مخمّسا: ظهر في صورة التخميس، أو مستديرا: ظهر في صورة الاستدارة. لأنّ له السَيلان؛ فهو يسري في زوايا الأوعية ليظهر تشكّلها. فهو الذي حمل الناظرين، لسريانه، أن يحكموا عليه بحكم الأوعية في اللون والشكل.

فمن لم يره قطّ إلّا في وعاءٍ حَكَم عليه بحكم الوعاء، ومن رآه بسيطا غير مركّب عَلِمَ أنّ ما ظهر فيه من الأشكال والألوان إنما هو من أثر الأوعية؛ فهو في الأوعية كما هو في غير وعاء بحدّه وحقيقته؛ ولهذا ما زال عنه اسم الماء، فإنّه يدلّ عليه بحكم المطابقة. فهذه الأوعية له كالسُبُل في الأرض للسالك فيها؛ فينسب السالك في كلّ سبيل منها إلى أنّه طالبٌ غاية ذلك[2] السبيل الذي سلك عليه: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[3] من صُوَرِه؛ فيكون هو الظاهر، لا أنت؛ لأنّ الظهور للصورة، لا للعين. فالعين غيب أبدا، والصورة شهادة أبدا.

ثمّ إنّه لمّا خلق من كلّ شيء زوجين بَيَّنَ لنا أنّ في أرض العالم نجدين: نجدا تكون غايته أنت عند قومٍ، ونجدا[4] عند هؤلاء القوم يكون غايته هو، أعني الحقّ. وأمّا عند قوم آخرين: فالنجد الواحِد تكون غايته أنت في هو، والنجد الآخر يكون غايته هو في أنت. وأمّا عند قوم آخرين: فالنجد الواحد تكون غايته أنت عين هو، والنجد الآخر يكون هو عين أنت. وأمّا عند قوم آخرين: فيكون غاية النجدين هو، وعين النجدين أنت، وعين السالك هو. وأما عند قوم آخرين: فيكون غاية النجدين وعين النجدين، وأنّها عين اليدين وعين السالك؛ أنت. وكلُّ مَن ذكرناه على صراط مستقيم. فتعويجُ القوس للرمي عينُ صراطه المستقيم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

١ ص ١٤١ب
٢ ص ١٤٢
٣ [الإنفطار : ٨]
٤ ق: ونجد

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[1] فما زلنا من الخلاف، لأنّهم قد خالفوا المختلفين، ولذلك خلقهم. فما تعدّى كلُّ خلق ما خُلق له. فالكلّ طائع، وإن كان فيهم مَن ليس بمطيع مع كونه طائعا.

ولمّا كان الاستواءُ صفةً للحقّ[2] على العرش، وخَلق الإنسان على صورته؛ جعل له مركبا سمّاه فلكا، كما كان العرش فلكا. فالفلَك: مستوى الإنسان الكامل. وجعل لمن دون الإنسان الكامل مركبا غير الفلَك من الأنعام، والخيل، والبغال، والحمير؛ ليستوي الإنسان على ظهور هذه المراكب. وشاركهم في ركوبها الإنسانُ الكامل؛ فالكامل من الناس يستوي على كلّ مركوب، وغير الكامل لا يستوي على الفلَك إلّا بحكم التبعيّة، لا لعينه، كما ورد في اليقين حين قال ﷺ في عيسى عليه السلام: «لو ازداد يقينا لمشى في الهواء» يشير إلى إسرائه. ومعلوم أنّ عيسى عليه السلام أكثرُ يقينا منّا، لا من النبيّ ﷺ. ونحن نمشي في الهواء بحكم التبعيّة لِمَنْ نحن أمّته ﷺ لا أنّا أكثر في اليقين من عيسى عليه السلام، كما أنّ أُمّة عيسى عليه السلام قد مشت على الماء كما مشى عيسى عليه السلام على الماء.

ولكن نعلم، وإن كان الأمر في هذا في حقّنا بحكم التبعيّة، فما كلُّ الأمّة مشت في الهواء، كما مشى محمد ﷺ؛ لأنّه[3] لم يكن بعض أمّته[4] تابعا له في كلّ ما أمر بأن يُتَّبع فيه. فمن وفّى بحقّ اتّباعِه كان له حكمه كما قال: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[5] وأين المشي في الهواء في الشرف، من[6] يكون الحقُّ سمعَه وبصرَه في الدءوب على نوافل الخيرات، المنتجة أو المنتج ذلك الدءوب عليها، لمحبّة الله إيّاه، وتلك المحبّة أنتجت له أن يكون الحقُّ سمعَه وبصرَه؟. فهذا معنى قولنا: "بحكم التبعيّة" لما أُمر به ونُهي عنه، لا من كوننا أُمّة له فقط، بل من المجموع. وهو اتّباعٌ خاصّ، لأنّه نبيّ معيّن خاصٌّ دون غيره. فيورث اتّباعُ شريعتِه بالعمل، ما يكون عليه من الأحوال رسولُ تلك الشريعة.

١ [هود : ١١٨ ، ١١٩]
٢ ص ١٤٢ب
٣ ق: لأنها
٤ ص ١٤٣
٥ [يوسف : ١٠٨]
٦ ق"لمن" وفي الهامش: "من"

وهذه عناية من الله -تعالى- فإنّ أُمّة كلّ نبيّ، لا تطيق حال نبيّها؛ إذ لو أطاقته لكانت مثلا له؛ فتستقلّ بالأمر دونه. وليس الأمر كذلك، فإنّه لو طلع حيثما طلع، لا يزال تابعا. وقد أبان ﷺ عن مثل هذا فقال: «مَن سَنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» فله الزيادة عليهم، بما له من أجرها الزائد على أجر العاملين بها، وليس لهم ذلك الأجر الخاصّ به، فلا يلحقونه أبدا في ذلك المقام؛ فهم[1] تابعون دنيا، وآخرة، وكشفا. والرسل -عليهم السلام- منهم ظهرت السُّنن، فلا تزال أممهم أتباعا لهم أبدا.

واعلم أنّ الله -تعالى- لمّا كان له مطلَق الوجود، ولم يكن له تقييدٌ مانعٌ مِن تقييد، بل له التقييدات كلّها، فهو مطلَق التقييد، لا يحكم عليه تقييدٌ دون تقييد؛ فافهم معنى نسبة الإطلاق إليه. ومَن كان وجوده بهذه النّسبة، فله إطلاق النِّسب؛ فليست نِسبةٌ به أَوْلَى من نِسبة. فما كفر، مَن كفر، إلّا بتخصيص النِّسب؛ مثل قول اليهود والنصارى عن أنفسهم دون غيرهم من أهل المِلل والنِّحَل: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[2]. فإذ، وقد انتسبوا إليه، فكانوا يعُمّون النِّسبة، وإن كانت خطأً في نفس الأمر. فقال لهم الله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾[3] يقول -تعالى-: النِّسبة واحدة، فلِمَ خصّصتم نفوسَكم بها دون هؤلاء؟ وإن أخطأتم في نفس الأمر؛ فخطؤكم من عموم النِّسبة أقلُّ من خطئكم من خصوصها؛ فإنّ ذلك تحكُّمٌ على الله من غير برهان.

وأمّا طائفة أخرى فجعلوا لله ما يكرهون، فقالوا: "الملائكة بنات الله"، فحَكَموا عليه بأنّه[4]: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾[5] فتوجّه عليهم الحكم بالإنكار في حكمهم، مع كونهم يكرهون ذلك لنفوسهم، مع كونهم يقولون في الشركاء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[6]، مع كونهم جعلوا لله جزءا من عِباده. فلو أضافوا الكلّ إليه، لم يكن ذلك من الكفر الظاهر، بل يكون الحكم فيه

١ ص ١٤٣ب
٢ [المائدة : ١٨]
٣ [المائدة : ١٨]
٤ ص ١٤٤
٥ [الصافات : ١٥٣]
٦ [الزمر : ٣]

بحكم ما نَسبوا؛ فإن وقعت النِّسبة العامّة للخلق بكونهم عبيدا سعِدوا، وإن وقعت بالبنوّة طولبوا بما قصدوا.

فإن استندوا في ذلك إلى خبرٍ إلهيّ سلِموا؛ بل سعِدوا، مثل قوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى﴾[1] فأجاز التبنّي، بل فيه رائحة من كون جبريل تمثّل لمريم بشرا سويّا. وقد وصف الحقّ -تعالى- نفسه بالتحوّل في الصور، وجرى أحكامها عليه، وهو عِلم يُومَأ[2] إليه لأجل الإيمان، ولا يُفْشَى في العموم؛ لما يسبق إلى النفوس من ذلك.

وبقي تعلّق الاصطفاء بمن يتعلّق: هل بالصاحبة؛ فيكون من باب التجلّي في الصور؛ فيكون عين الصورتين؟ لأنّه قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ يعني الولد ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾[3] وما له ظهور إلّا من الصاحبة التي هي الأمّ، فيكون الاصطفاء في حقّ الصاحبة[4]، وهي من لدنه؛ فما خرج عن نفسه. كما أنّ آدم عليه السلام ما خرج عن نفسه في صاحبته، فما نكح إلّا مَن هو جزءٌ منه به، وبالمجموع يكون نفسه؛ فهو قوله: ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ وجاء بحرف "لو" فدلّ على الامتناع، فلم يكن من الوجهين. فإن كان الاصطفاء للبنوّة، فذلك التبنّي لا البنوّة.

وإن استندوا إلى غير خبر إلهيّ، وأعني بالخبر الإلهيّ: ما جاء على لسان الرسل في الكتب، أو في الوحي. فإن كان استنادهم إلى كشفٍ إلهيّ واطّلاع في ذلك، فهم تحت حكم ما اطّلعوا. ولا عذر للمقلِّدة في ذلك؛ لأنّ فيهم الأهليّة للاطّلاع بحكم النشأة؛ فإنّ لها استعدادًا عاما؛ وهو الاستعداد للاطّلاع. وإن تفاضَل الاطّلاع، فذلك لاستعداد آخر خاصّ غير الاستعداد العامّ. فأهل الجبر إذا استمسكوا بالخبر سعِدوا، وإن أخطئوا في التأويل ولم يصادفوا العلم، فلهم ثواب الاجتهاد، وإن أصابوا فهو المقصود. فمنهم من هو على بيّنة من ربّه بإصابته، ومنهم من ليس على بيّنة من ربّه، وهو مصيبٌ في نفس الأمر. وكلُّ مَن له مُتَمَسَّكٌ

١ [الزمر : ٤]
٢ رسمها في ق: يومى
٣ [الأنبياء : ١٧]
٤ ص ١٤٤ب

إلهيٌّ فهو ناجٍ، وأمّا مَن كفر بالكلّ فذلك غاية[1] العمى.

وصلٌ في التحضيض الكوني

وهو سِرٌّ جعله الله في عباده؛ العامّة والسالكين في هذا الطريق. وأمّا الخاصّة فلا يقع منهم ذلك أبدا، لأنّه ليس بنعت إلهيّ. إلّا أنّه جاء من الله فيما يرجع إلى الكون، لا فيما يرجع إليه -سبحانه-، مثل قوله: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾[2]. وأمّا أداةُ "لو" فهي إلهيّة، وتتضمّن معنى التحضيض، وقد اتّصف بها خاصّة الله. فقال رسول الله ﷺ: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سُقْتُ الهدي ولجعلتها عمرة، ولكنّي سقت الهدي، فلا يحلّ منّي حرام حتى يبلغ الهدي محلّه» فرائحة التحضيض في "لو" هو ما يُفهم منه، كأنّه قال لنفسه: "هلّا أحرمتِ بعمرةٍ!".

ولا يقع التحضيض من الخواصّ أبدا، إلّا فيما شَغلوا به نفوسهم من الأفعال التي تُرضي الله؛ فيبدو لهم، في ثاني زمان، رِضا الله في فِعل ما هو أتمّ وأعلى من الأوّل؛ إمّا في جناب الله، أو في حقّ نفسه، أو في حقّ الغير رفقا بهم وشفقة عليهم، لا يقع منهم على جهة الاعتراض على الله[3]، بأن يقولوا: "هلّا فعل الله كذا عِوَضا مِن فعله كذا" هذا لا يُتصوّر من الخواصّ أبدا؛ فإنّه سوء أدب مع الله -تعالى-، وترجيح تدبيرٍ كونيٍّ على تدبير إلهيّ. وما وصف الحقّ نفسه بأنّه ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[4] إلّا أن يعرّفنا أنّه ما عمل شيئا إلّا ما تقتضيه حكمة الوجود، وأنّه أنزله موضعه الذي لو لم ينزله فيه، لم يوفِّ الحكمة حقَّها؛ وهو الذي ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[5]. ولذلك لا يمكن أن يظهر لعباده في صفة تحضيض بالنظر إليه. فوضعه في اللسان، بل في جميع الألسنة، ابتلاءً لعباده وتمحيصا؛ ليجتنبه أهل العناية؛ فيتميّزوا بذلك عن غيرهم.

واعلم أنّ الاختصاص الإلهيّ الذي يعطي السعادة (هو) غيرُ الاختصاص الإلهيّ الذي

١ ص ١٤٥
٢ [النور : ١٣]
٣ ص ١٤٥ب
٤ [يونس : ٣]
٥ [طه : ٥٠]

يعطي كمال الصورة، وقد يجتمعان، أعني الاختصاصين، في حقّ بعض الأشخاص. فالاختصاص الذي يعطي السعادة؛ هو الاختصاص بالإيمان، والعصمة من المخالفة، أو بموت عقيب توبة. والاختصاص الذي يعطي كمال الصورة؛ هوا لذي لا يعطي إلّا نفوذ الاقتدار، والتحكم في العالم بالهمّة والحسّ. والكامل مَن يُرزق الاختصاصين. وأقوى التأثير تأثيرُ مَن[1] يُغضِب اللهَ كقوم فرعون حين قال -تعالى- فيهم: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[2] أي أغضبونا. ولله -سبحانه- نفوذ الاقتدار، فانتقم منهم ليجعلهم عبرة للآخرين، وجعل ذلك مقابلا لنفوذ الاقتدار الكونيّ؛ لأنّه قال: ﴿آسَفُونَا﴾.

ألا ترى إلى عِلم فرعون في قوله: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾[3] يقول: "فلولا -وهو حرف تحضيض- أُعطي -يعني موسى- نفوذ الاقتدار فينا، حتى لا ننازعه ونسمع له ونطيع". لأنّ اليدين محلّ القدرة، والأساورة -وهو شكل محيط من ذهب- أكملُ ما يُتحلّى به من المعادن. ونفوذ الاقتدار من الاختصاص الإلهيّ. يقول لقومه: "فما أعطي ذلك موسى". والذي يدلّك على ما قلناه، أنّ فرعون أراد هذا المعنى في هذا القول، لأنّه جاء بـ"أو" بعده -وهي حرف عطف- بالمناسِب فقال: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ لِعلمه بأنّ قومه يعلمون أنّ الملائكة لو جاءت لانقادوا إلى موسى طوعا وكرها. يقول فرعون: "فلم يكن لموسى عليه السلام نفوذ اقتدار فِيَّ، حتى نرجع إلى قوله من نفسي، بأمرٍ ضروريّ لا نقدر على دفعه؛ فترجِعوا إلى قوله لرجوعي، ولا جاء معه مَن يقطع باقتدارهم".

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾[4] أي لطَّف معناهم بالنظر فيما قاله لهم. فلمّا جعل[5] فيهم هذا، حَمَلهم على تدقيق النظر في ذلك، ولم تكن لهم هذه الحالة قبل ذلك ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ ظاهرا: بالقهر الظاهر، لأنّه في محلٍّ يُخافُ ويُرجى. وباطنا: بما نظروا فيه مما قال لهم؛ فلمّا أخذ قلوبهم بالكلّيّة إليه، ولم

١ ص ١٤٦
٢ [الزخرف : ٥٥]
٣ [الزخرف : ٥٣]
٤ [الزخرف : ٥٤]
٥ ص ١٤٦ب

يبق لله فيهم نصيب يعصمهم؛ أغضبوا اللهَ؛ فغضب، فانتقم.

فكان حكمهم، في نفس الأمر، خلاف حكم فرعون في نفسه؛ فإنّه عَلِم صدق موسى ﷺ، وعلِم حكم الله في ظاهره: بما صدر منه، وحكم اللهَ في باطنه: بما كان يعتقده من صدق موسى فيما دعاهم إليه. وكان ظهور إيمانه المقرَّر في باطنه عند الله، مخصوصا بزمان مؤقّت، لا يكون إلّا فيه، وبحالةٍ خاصّة؛ فظهر بالإيمان لمّا جاء زمانه وحاله. فغرق قومُه؛ آيةً، ونجا فرعونُ ببدنه دون قومه عند ظهور إيمانه؛ آيةً. فمِن رحمة الله بعباده قال: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[1] يعني دون قومك ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ أي علامة لمن آمن بالله، أن ينجيه الله ببدنه، أي بظاهره؛ فإنّ باطنَه لم يزل محفوظا بالنجاة من الشرك، لأنّ العلم أقوى الموانع. فسوّى اللهُ في الغرق بينهم، وتفرّقا في الحكم، فجعلهم ﴿سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[2] يعني الأمم الذين يأتون[3] من بعدهم. وخصّ فرعون بأن تكون نجاتُه آيةً لمن رجع إلى الله بالنجاة.

ولمّا كان الاختصاص الإلهيّ الكامل (يتحقّق) في الجمع بين السعادة والصورة، كان الكمال للمؤمن (هو) بالخلافة في المكان الذي من شأنه أن يظهر فيه كمالُ الصورة، من نفوذ الاقتدار، عند الإغضاب. وليست الجنّة بمحلٍّ لهذه الصفة، فليست بدار خلافة؛ بل هي دار ولاية، محكوم على صاحب تلك الولاية بأمر لا يتعدّاه، ولا تعطي نشأته أن يقبل سِوَاهُ. حتى لو كان فيها، تقديرا، مَن مِن شأنه أن يغضب؛ ما قَبِلَ صاحب الولاية صفة الغضب؛ لأنّه على مزاج خاصّ، بخلاف نشأة الدنيا. ولهذا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4] ولم يقل: "في العالَم". ولو لم تعترض الملائكةُ ما ابتُلِيَتْ بالسجود، فكان ما ابتلوا به عن إغضاب دقيقٍ خفيٍّ لا يشعر به إلّا الراسخون.

وهكذا كلّ انتقام إلهيّ يقع بالعالم، لا يكون إلّا بعد إغضاب؛ لأنّ الله خلق العالم بالرحمة،

١ [يونس : ٩٢]
٢ [الزخرف : ٥٦]
٣ ص ١٤٧
٤ [البقرة : ٣٠]

وليس من شأنها الانتقام. كما أنّ الغضب من شأنه الانتقام، لكنّه -أعني الغضب- على طبقات. فيظهر الانتقام على ميزانه، من غير زيادة ولا نقصان. ولا يقع الانتقام أبدا إلّا تطهيرا لمن[1] كان منه الإغضاب، فلذلك لا يكون الانتقام إلى غير نهايةٍ، بل ينتهي الحكم به إلى أجل مسمّى عند الله، وتعقبه الرحمة به؛ لأنّ لها الحكم الأبديَّ الذي لا يتناهى.

ومن جعل بالَه لما ذكرناه، ودقّق النظر فيه؛ رأى علما كبيرا إلهيّا مِن سريان العدل في الحكم الإلهيّ، وشمول الفضل، وسَبْقِ الرحمة الغضب؛ وأنّ الحقّ يجري في حكمه بما هي الحقائق عليه؛ إذ الحقائق لا تتبدّل لأنفسها ولا يجوز. فهذا الذي ذكرناه في هذه المسألة من الآيات التي جاء بها الحقُّ على لسان المترجم ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] ليست لغير هذا الصنف. فحافِظ على تحصيل معرفة الإغضاب على غاية الاستقصاء حتى تجتنبه؛ فإنّه مِن علم الأسرار، ما يعرفه كلُّ أحد.

وهو كان علم حذيفة بن اليمان، صاحب رسول الله ﷺ ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمّونه: "صاحب السّرّ" لعلمه بهذا العلم. وليس فيما يمنح اللهُ أولياءه من العلم به في حقّهم، أنفع من هذا العلم. وما رأيت أحدا له فيه ذوق، ولا سمعتُ عن أحد من أهل الله -تعالى- بعد حذيفة، مَن ظهر عليه حكم هذا العلم. وهو عصمةٌ خفيّة[4] يكاد لا يشعر صاحبها بها، وما في الكشف أتمّ منه. ولا يرزق اللهُ هذا العلم إلّا للأدباء أهل المراقبة؛ فإنّهم يأخذون الأشياء بحكم المطابقة، والمناسبة بين الربّ والمربوب، والخالق والمخلوق. لا يحكم عليهم حاكم الإمكان والجواز؛ لأنّه ليس له في هذه الحضرة قَدَمٌ ولا عين، أعني الإمكان. وهذا مقام وراء طور العقل؛ لأنّ العقل يحكم في مثل هذا بالإمكان، والأمر في نفسه ليس كذلك، ولكن إذا شَهِده قَبِله، وإذا فكّر فيه أدخله تحت الإمكان.

١ ص ١٤٧ب
٢ [يونس : ٢٤]
٣ [البقرة : ١٦٤]
٤ ص ١٤٨

ويختصّ هذا المنزل من العلوم: بعلم الإيهام، والإبهام، والرموز، والألغاز، والأسرار.

وفيه عِلْمُ الحروف المركّبة التي هي الكلمة.

وفيه عِلْمُ الأنوار، وما يختصّ به عالم الشهادة من الشهود.

وفيه عِلْمُ الجعل. وفيه عِلْمُ الجمع والتفصيل.

وفيه عِلْمُ منازل العُلى في الأسماء الإلهيّة وأحكامها.

وفيه عِلْمُ الإعجاز. وفيه عِلْمُ التقرير.

وفيه عِلْمُ نتائج الجهل، وهو أمر عدميٌّ، فكيف يكون له حكم وجوديٌّ؟

وفيه عِلْمُ مقابلة الاقتدار بالاقتدار.

وفيه عِلْمُ سريان وجود الحقّ في العالم، ولهذا ما أنكره أحد؛ وإنما وقع الغلط من طلب الماهيّة، فأدّى إلى الاختلاف فيه[1] الذي ظهر في العالم.

وفيه عِلْمُ ما يختصّ به الحقّ -تعالى- لنفسه من غير أن يكون له حكم في العالم.

وفيه عِلْمُ الشرائع كلّها، وأنّها بالجَعْل، ولهذا تجري إلى أمد؛ وغايتها حكم الحقّ بها في القيامة في الفريقين. فإذا عُمِرَت الداران، وانقضى أمد العقوبة، انتشر حكم الرحمة.

وفيه عِلْمُ الشفع والوتر، وتقدّم علم الزوج على الفرد.

وعِلْمُ الحامل والمحمول. وعِلْمُ شمول النِّعم في البلايا والرزايا والأمور المؤلمة.

وفيه عِلْمُ نفي الطاقة الكونيّة، وردّها إلى الله.

وفيه عِلْمُ قسمة العالَم بين الله وبين العالَم، وما هو عالَم لله، وعالَم للعالَم، وصفة من يعلم هذا ممن لا يعلمه، والعالِم به: هل يجب عليه ستره، أو يعطي ستره لذاته؟

1 ص ١٤٨ب

وعِلْمُ المحاكمات، وتفاضل الناس فيها.

وعِلْمُ المطالبات الإلهيّة؛ متى تكون؟ ولماذا (=وإلى ماذا) تؤول؟

وعِلْمُ السبب الذي يردّ الخلق كلّهم إلى المشيئة الإلهيّة؛ وهل هو رجوع عن علم؟ أو رجوع عن قهر؟

وعِلْمُ الفرق بين علم التقليد وعِلْمِ النظر، وهل ما يربط عليه المقلِّد يكون في حقّه علما أم لا؟

وعِلْمُ حكم السابقة على العالَم بنقيض ما يعطيه عِلْمُهم.

وعِلْمُ العواقب على الإطلاق؛ وهل يعمّ أثرها في الحال للعالِم بها، أم لا[1]؟

وعِلْمُ الفترات، وما حكم أصحابها؟

وعِلْمُ الأشرف؛ ما هو؟ وهل في العالم شريف وأشرف، أم لا مفاضلة في العالم؟ وإذا وقعت المفاضلة[2]، بل هي واقعة، هل يؤول الناظر فيها إلى التساوي؛ فيكون كلُّ مفضول يفضل على مَن فضل عليه؟ وهذا مذهب جماعة منهم أبو القاسم بن قسي صاحب "خلع النعلين".

وفيه عِلْمُ الحكمة بما جعل الله في العالم من الاختلاف.

وفيه عِلْمُ السبب الذي لأجله لزم الشيطانُ الإنسانَ، وقول النبيّ ﷺ: «إنّ الله أعانه عليه فأسلم[3]».

وفيه عِلْمُ حكم مَن التبس عليه الباطل بالحقّ.

وفيه عِلْمُ الكشف، بأنّه ليس لمخلوق اقتدار على شيء، وأنّ الكلّ بيد الله؛ وهو علم الحيرة من أجل التكليف، ووقوعه على مَن ليس له من الأمر شيء.

وفيه عِلْمُ أثر الأسباب الإلهيّة في المسبَّبات؛ هل هو ذاتيّ، أو جَعْلٌ إلهيّ؟

1 "وعلم حكم السابقة... لا" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
2 ص ١٤٩
3 وضع فتحة وضمة على حرف الميم إشارة إلى إمكانية قراءتها بالفتح أو الضم

وفيه عِلْمُ الاغتباط بما يعطيه التجلّي الإلهيّ والاعتصام به.

وفيه عِلْمُ التوحيد النبويّ.

وفيه عِلْمُ الحجب التي تمنع مِن حكم العلم في العالِم مع وجود علمه عنده.

وفيه عِلْمُ قبول الرجعة إلى الله عند رؤية البأس وحُلول العذاب، وأنّ ذلك نافع لهم في الآخرة، وإن لم يكشف عنهم العذاب في الدنيا. وما اختصّ قوم يونس إلّا بالكشف عنهم في الحياة الدنيا عند رجعتهم، فيكون معنى قوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ[1] لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[2] يعني في الدنيا، فإنّ الله يقول: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3] فالراجع مع نزول العذاب به، مقبول رجوعه، لأنّه أتى بما تَرجّى منه بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وفيه عِلْمُ أسرار الحقّ في العالَم، وظهور العالم بصورة الحقّ ومنزلته.

وفيه عِلْمُ عموم الولاية في كلّ نوع، وما ينقضي منها وما لا ينقضي؟

وفيه عِلْمُ الإضافات الإلهيّة؛ هل هي على طريق التشريف؟ أو على طريق الابتلاء؟ أو منها ما يكون تشريفا، ومنها ما يكون ابتلاء؟

وفيه عِلْمُ مرتبة مَن جمع بين الظاهر والباطن ممن لم يجمع.

وفيه عِلْمُ حكمة الاستناد إلى الوسائط؛ هل هو على طريق الابتلاء؟ أو المقصود به تشريف الوسائط؟

وفيه عِلْمُ إقامة الحجّة الإلهيّة على المنازعين، وحكم مَن لم ينازع واعترف بالحقّ لأهله.

وفيه عِلْمُ الإحاطة الإلهيّة بالذات.

وفيه عِلْمُ الزيادات؛ هل هي بأن يؤخذ من زَيْدٍ ما عنده، أو بعض ما عنده؛ فيعطَى عَمْرا؟

---

١ ص ١٤٩ب

٢ [غافر : ٨٥]

٣ [الزخرف : ٤٨]

أو هي زيادات بإيجاد معدوم؟ أو هل منها ما هو إيجاد معدوم، ومنها ما هو عن انتقالٍ من شخص إلى شخص؟

وفيه عِلْمُ ما يختصّ به الله من العلوم، وعِلْمُ ما يختصّ به الكون من العلوم مما لا يجوز في العقل أن يكون ذلك، حكما، لله؛ وهل[1] حكمه في الشرع كما هو حكمه في العقل أم لا؟ وهو علم الأذواق بالحواسّ.

وفيه عِلْمُ مراتب الشفعاء، وعِلْمُ صفتهم التي بها يملكون الشفاعة.

فهذا بعض علوم هذا المنزل.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

انتهى السفر الثاني والعشرون، بانتهاء الباب، يتلوه الباب الثاني والأربعون وثلاثمائة، في معرفة منزل سِرَّين منفصلين عن ثلاثة أسرار تجمعها حضرة واحدة من حضرات الوحي، وهو من الحضرة الموسويّة.[3]

---

١ ص ١٥٠

٢ [الأحزاب : ٤]

٣ كتب في الهامش: "عورضت هذه المجلدة بالنسخة الأولى بحلب في سنة تسع وثلاثين وستمائة، بقراءة الإمام محيي الدين بن سراقة". وأسفل المتن ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٢

المحتويات

السفر الثالث والعشرون من الفتوح المكّيّ[1]

---

[1] العنوان ص ١ب، ويليه بقلم الشيخ الأكبر: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي. رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه" ثم: "وقف هذا الكتاب مع ما بعده الشيخ المذكور أعلاه بخط المؤلف، رضي الله عنهما، في المكان والشرط المذكورين في أول الكتاب وآخره، تقبل الله منه وأثابه رضاه إلى يوم يلقاه في كثيب رؤياه، آمين". ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٧١، وطابع دمغة بذات الرقم ١٧٧١. وفي الجزء الأيسر من الصفحة وأسفل العنوان الرئيسي: "قوبل به". وفي الصفحة السابقة وهي الصفحة الداخلية للغلاف طابع دمغة برقم ١٨٦٧، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٣٠١ صحيفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب ـــــــــــــــ الباب

والاربعون وثلاث مائة في معرفة منزل

سرين مصطفى عن ثلاثة اسرار يجمعها

حضرة واحدة من حضرات الوحي وهو

من الحضرة الموسوية

ثلاثة اسرار وسران بعدها

مرموزة علام وقوره فساد ر

وسران فول شرحهما في بيانه من

يقول للشيء كن حدثه فالمر

فسبحان من لا شيء يدرك كنهه

سر الاول المعقود اعطانا الاخر

قال تعالى ليس كمثله شيء فنفى ثم قال وهو السميع البصير

فاثبت والاية تقتضي عموم الاثبات في عين النفي وفيما بعدها

اذا جعلت الكاف للصفة ويؤيد هذا النظر الخبر وهو قوله

عليه الصلاة والسلام ان الله خلق ادم على صورته ونفي مماثلته

في حال اتصافه بهذا الوصف فورد الشرع بانه اذا ...

الصفحة الثانية من مخطوط قونية

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الباب الثاني والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرَّين منفصلين عن ثلاثة أسرار
تجمعها حضرة واحدة من حضرات الوحي -وهو من الحضرة الموسوية

ثَلاثَــةُ أَسْرَارٍ وَسِرَّانِ بَعْــدَها ... مُرِيْــدٌ وَعَـلّامٌ وَقُــدْرَةُ قَــادِرِ

وسِرَّان قَوْلٌ شَرْطُهُ فِي حَياةِ مَنْ ... يَقُولُ لِشَيْءٍ: "كُنْ" بِحِكْمَةِ فَاطِرِ

فَسُبْحان مَنْ لا شَيْءَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ ... هُوَ الأَوَّلُ المَنْعُوتُ أَيْضًا بِالآخِرِ

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] فنفى، ثمّ قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فأثبت. والآية تقتضي عموم الإثبات في عين النفي وفيما بعدها إذا جعلت الكاف للصفة. ويؤيّد هذا النظر الخبر وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله خلق آدم على صورته» ونفى مماثلته في حال اتّصافه بهذا الوصف. فورد الشرع بأنّه «إذا بويع لخليفتين[3]»، سواء كان في خلافته عامّ الخلافة، أو مقصورا على طائفة مخصوصة، «يُقتل الآخِر منهما». فلا يماثل في تلك الطائفة أو في العموم، بحسب ما يعطيه الوقت. فلولا حكم الإرادة وجودا وتقديرا لما أُمر بقتل الآخر. والقتل زوال من صفة الحكم؛ فَزُلْ أنت يبقى هو؛ فإنّك الآخر.

فإن قال بعض العارفين: فالأوّل هنا ليس بخليفة. قلنا: هو خليفة حقّا عن أمر إلهيّ، ونهى عن المشاركة فيما أمر به من خلافته عنك فقال (تعالى): ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[4]، والوكيل بلا شكّ خليفة الموكِّل فيما وكّله فيه، وقال: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾[5] فنهى أن تَتَّخِذَ وكيلا غيره. فكونه إلها ما هو كونه وكيلا. ونحن إنما تكلّمنا في الوكالة

1 البسملة ص ٢
2 [الشورى : ١١]
3 ص ٢ب
4 [المزمل : ٩]
5 [الإسراء : ٢]

وهي الخلافة، وفي الوكيل وهو الخليفة. كما ننظر باعتبار آخر قوله لنا: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1] فلنا الإنفاق بحكم الخلافة. فالإنفاق[2] مِلك لنا، والإنفاق تصرُّف؛ فجعلناه عن أمرِه وكيلا في الإنفاق، أي خليفة، لِعِلْمِنا بأنّه يعلم من[3] موضع التصرّف ما لا نعلمه؛ فهو المالك، وهو الخليفة.

فما ميّز اللهُ المراتبَ وأبانها لنا، وظهر بأسمائه في أعيانها، وتجلّى لنا فيها إلّا لننزله في كلّ مرتبة رأيناه نزل فيها؛ فنحكم عليه بما حكم به[4] على نفسه. وهذا هو أتمّ العلم بالله: أن نعلمه به، لا بنظرنا، ولا بإنزالنا. تعالى الله الخالق أن نحكم عليه بما خلق، دون أن نظهر له فيما حكم به عليه؛ فيكون هو الحاكم على نفسه، لا أنا. وهذا معنى قول العلماء: "إنّ الحقّ لا يسمّى إلّا بما سمّى به نفسه؛ إمّا في كتابه، أو على لسان رسوله من كونه مترجما عنه".

فمن أقامه الله في مقام الترجمة عنه بارتفاع الوسائط، أو بواسطة الأرواح النوريّة، وجاء باسمِ سمّاه به؛ فلنا أن نسمّيَهُ بذلك الاسم. وسَواء كان المترجِم مشرّعا لنا أو غير مشرّع، لا نشترط في ذلك إلّا الترجمة عنه، حتى لا نحكم عليه إلّا به فإنّه القائل تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[5] تميّزون به، وتفرّقون بين ما ينبغي له وما ينبغي لك؛ فيعطي كلَّ ذي حقّ حقّه. فله المقاليد، وله الفتح بها، ودونها. ولنا الفتح بها، وما هي لنا. بل هي بيده، وما كان بيده فليس يخرج عنه؛ لأنّه ما ثَمَّ إلى أين! فهو المعطِي والآخِذ؛ لأنّ الصدقة تقع بيد الرحمن.

واعلم أنّ الوحي الإلهيّ إنّما ينزل من مقام العزّة الأحمى، ولهذا لا يكون بالاكتساب؛ لأنّه لا يوصَل إلى ذلك المقام بالتعمُّل، ولو وُصِلَ إليه بالتعمّل لم يتّصف بالعزّة. فينزل (الوحيُ) لترتيب الأمور التي[6] تقتضيها حكمةُ الوجود ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[7]

١ [الحديد : ٧]
٢ س، هـ: والإنفاق
٣ ثابتة في الهامش بقلم آخر
٤ ص ٣
٥ [الأنفال : ٢٩]
٦ ص ٣ب
٧ [النساء : ٨٢]

يخالف ترتيب حكمة الوجود، وليس إلّا من الله. فهو في غاية الإحكام والإتقان الذي لا يمكن غيره. فليس في الإمكان أبدع من هذا العالَم، لأنّه أعطاه خلقه، وأنزله في منزلته التي يستحقّها.

فانظر هذه القوّة الإلهيّة التي أعطى اللهُ لمن أنزل عليه الوحي الذي لو نَزَلَ ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] فإنّهم علِموا قدر مَن أنزله؛ فرزقهم الله من القوّة ما يطيقون به حمل ذلك الحال. فإذا سمعوا في الله ما يخالف ما تجلّى لهم فيه ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[2] وقد سمع ذلك أهلُ الله ورسلُه، وما جرى عليهم شيء من ذلك لما أعطاهم من قوّة العلم؛ إذ لا أقوى من العلم. فتجلّى لهم في قوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[3] و(قوله): ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾[4] فعلِم أهلُ الله من رسول ونبيّ ووليّ ما لم تعلمه السماوات والأرض والجبال من الله؛ فأنتج لهم هذا العلم بالله قوّةً في نفوسهم حملوا بها ما[5] سمعوه من قول مَن قال: إنّ المسيحَ ابنُ الله، وإنّ عزيرا ابنُ الله، ولم يتزلزلوا. ولو نزل ذلك على من ليست له هذه القوّة لذاب في عينه لعظيم ما جاء. فانظر ما أكثف حجاب مَن اعتقد أنّ لله ولدا، وما أشدّ عماه عن الحقائق.

وما مَرّ عليّ في التجلّي الإلهيّ أمرٌ حيّرني وأضعف قوّتي من قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[6] والله يقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[7] وأيّ إحسان أعظمُ ممن تاب واتّبع سبيله، وقول نوح وهو من الكمّل من أهل الله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾[8] فهذا كأنّه أبقى شيئا، فإنّه ما طلب المغفرة إلّا للمؤمن، ولم يذكر اتّباع سبيل الله لأنّ المؤمن قد يكون يخالف أمر الله ونهيه، والله يقول

١ [الحشر : ٢١]
٢ [مريم : ٩٠ ، ٩١]
٣ [الزمر : ٤]
٤ [الأنبياء : ١٧]
٥ ص ٤
٦ [غافر : ٧]
٧ [التوبة : ٩١]
٨ [نوح : ٢٨]

للمسرفين على أنفسهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1].

فهذا الصنف من الملائكة قاموا في مقام الأدب. فحكم عليهم بهذا القول، إيثارًا للجناب الإلهي على الخلق؛ ولهذا قدّموا وأخّروا. وما[2] أخبر الله عنهم في قوله قبل هذا الدعاء: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[3] ففيه روائح طلب المغفرة للمسيئين، وأخّروا أيضا قولهم[4]: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾[5] أن تقوم بهم؛ فإنّه أتمّ في العناية، ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم تقيه ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ وهو قولهم: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً﴾ فجاء ما ذكروه في الوسط بين هذين؛ كأنّه إيثار للجناب الإلهي، كما يقول النبيّ ﷺ في القيامة: «سحقا سحقا». وما علّق الله المغفرة إلّا بالذنب حيث علّقها. وقال عن صنف آخر من الملائكة إنّهم ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[6] فأنزل هؤلاء المغفرة موضعها. ما قالوا مثل ما قال ذلك الصنف الآخر الذي حكى الله عنهم أنّهم ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[7] فتنوّعت مشاربهم كما قالوا: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[8].

والوليّ الكامل يدعو الله بكلّ مقام ولسان. والرسل تقف عندما أُوحي به إليها وهم كثيرون؛ وقد يوحى إلى بعضهم ما لا يوحى إلى غيره. والمحمّدي يجمع، برتبته، جميع ما تفرّق في الرسل من الدعاء به؛ فهو مطلق الدعاء بكلّ لسان؛ لأنّه مأمورٌ بالإيمان بالرسل، وبما أُنزل إليهم. فما وقف الوليّ المحمدي مع وحي خاصّ إلّا في الحكم بالحلال والحرمة. وأمّا في الدعاء وما سُكِتَ عنه ولم يُنْزَلْ فيه شيء في شرع محمد[9] ﷺ يؤذن بتركه، فلا يتركه إذ نزل به وحيٌ على نبيّ من الأنبياء -عليهم السلام- رسولا كان أو غير رسول.

ثمّ اعلم أنّه من رحمة الله بعباده أن جعل حكم ما اختلفوا فيه إلى الله. فنأخذ هذا، من جهة

١ [الزمر : ٥٣]
٢ ق: "وأما" مع إشارة شطب لحرف الألف
٣ [غافر : ٧]
٤ ص ٤ب
٥ [غافر : ٩]
٦ [الشورى : ٥]
٧ [غافر : ٧]
٨ [الصافات : ١٦٤]
٩ ص ٥

علم الرسوم، أن ننظر ما اختلفوا فيه وتنازعوا؛ فإن كان لله أو لرسوله حُكْمٌ فيه يَعْضُدُ قولَ أحد المخالفين، جَعَلْنا الحقّ بيده؛ فإنّا أُمرنا إن تنازعنا في شيء نردّه إلى الله ورسوله إن كنّا مؤمنين. فإن كنّا عالِمين، ممن يدعو على بصيرة وعلى بيّنة من ربّنا، فنحكم في المسألة بالعلم وهو ردٌّ إلى الله -تعالى- من غير طريق الإيمان، وليس لنا العدول عنه ألْبَتّة. هذا حدّ علم الرسم.

وأمّا علم الحقيقة؛ إنّ المختلفين حكمهم إلى الله، أي: حكم ظهور الاختلاف فيهم إلى الله من حيث أنّ الأسماء الإلهيّة هي سبب الاختلاف، ولا سيما أسماء التقابل. يؤيّد ذلك قوله في مثل هذا: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾[1] لأنّه ليس غير أسمائه، فإنّه القائل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[2] ولم يقل: "بالله" ولا "بالرحمن" فجعل الاسمَ عينَ المسمّى هنا، كما جعله في موضع آخر غيرَ المسمّى. فلمّا قال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ والإشارة[3] بـ"ذا" إلى الله المذكور في قوله: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[4] فلو لم يكن هنا الاسمُ عينَ المسمّى في قوله: ﴿اللَّهُ﴾ لم يصحّ قوله: "ربّي". والخلاف ظهر في الأسماء الإلهيّة، فظهر حكم الله في العالم به، فنحكم على الخلاف الواقع في العالَم بأنّه عينُ حكم الله ظهر في صور المخالفين.

وصل في الأجور

وهي الحقوق التي تطلبها الأعمال مخصوصة. وهي حكم سارٍ في القديم والمحدَث؛ فكلّ مَن عمل عملا لغيره استحقّ عليه أجرا. والأجور على قسمين: معنويّة وحِسّيّة. فإذا استأجر أحدٌ أحدا على عملٍ مّا من الأعمال، فَعَمِلَهُ؛ فقد استوجب العامل حقًّا على المعمول له، وهو المسمّى أجرا. ووجب على المعمول له أداء ذلك الحقِّ وإيصاله إليه.

والمؤجّر مخيّر في استعمال الأجير في الظاهر، مضطرٌّ في الباطن. والأجير مخيّر في قبول الاستعمال في بعض الأعمال، مقهور في بعض الأعمال. وحكم الخيار ما زال عنه؛ لأنّ له أن لا

١ [الشورى : ١٠]
٢ [الإسراء : ١١٠]
٣ ص ٥ب
٤ [الشورى : ١٠]

يقبل إن شاء، وأن يقبل إن شاء. فهو مخيَّر في الظاهر، مضطرّ في الباطن، كالمؤجِّر له سَواء.

فأوّلُ أجر ظهر في الوجود عن افتقار الممكن إلى الإيجاد؛ وهو[1] عملُ الوجودِ في الممكن حتى يظهر عينُه من واجب الوجود. فقال الممكن للواجب في حال عدمه: "أريد أن أستعملك في ظهور عيني". فالإيجاد هو العمل، والوجود هو المعمول، والموجود هو الذي ظهر فيه صورةُ العمل؛ فكلُّ معمولٍ معدومٌ قبل عمله. فقال له الحقّ: "فلي عليك حقٌّ إن أنا فعلت لك ذلك وأظهرتك". وهذا الحقّ هو المسمّى أجرًا، والذي طلبَ المؤجِّر من المؤجَّر يسمّى إجارة.

والمؤجِّر مخيَّر في نفسه ابتداء في تعيين الأجر؛ فإن شاء عيَّن له ما يعطيه على ذلك العمل، وإن شاء جعل التعيين للمؤجَّر، والمؤجَّر مخيَّرٌ في قبولِ ما عيَّنه المؤجِّر -إن كان عيَّن له شيئًا- أو ردِّه. وإن تبرَّع المؤجَّر بالعمل من نفسه وقال: "لا آخذ على ذلك أجرا" فله ذلك، ولكن لا يزول حكم القيمة من ذلك العمل؛ لأنّ العمل بذاته هو الذي يعيّن الأجر بقيمته. فإن شاء العامل أخذه، وإن شاء تركه؛ ولا يسقط حكم العمل أنّ أجره كذا. وهذه مسألة عجيبة تدور بين اختيار واضطرار في المؤجِّر والمؤجَّر، وكلٌّ واحِد مجبور في اختياره. غير أنّ الحقَّ لا يوصف بالجبر، والممكن يوصف بالجبر. مع عِلمنا أنّه ما يُبَدَّلُ القول لديه، ولا يخرج عن[2] عمل ما سبق في عِلمه أن يعمله، وعن ترك ما سبق في علمه أن يتركه.

وليس الجبر سِوَى هذا. غيرَ أنّ -هنا- عين الذي يجبره هو عين المجبور؛ إذ ما جبره إلّا عِلمُه، وعلمه صفته، وصفته ذاته. والجبر في الممكن أن يجبره غيره، لا عينه. ولو رام خلافَ ما جُبِر عليه لم يستطع: فهو مجبورٌ عن قهر، مخيَّر بالنظر إلى ذاته. وفي الأوّل جبرٌ بالنظر إلى ذاته، مخيَّر بالنظر إلى العمل من حيث المعمول له.

فاتّفق الممكن مع الواجب الوجود؛ أنّه إن عمل فيه الإيجاد وظهرت عينه؛ أنّه يستحقّ عليه -أي على الممكن- في ذلك أن يعبده ولا يشرك به شيئًا، وأن يشكره على ما فعل معه -من

١ ص ٦
٢ ص ٦ب

إعطائه الوجود- بالثناء عليه؛ بالتسبيح بحمده. فقَبِل الممكن ذلك؛ فأوجده الحقّ -سبحانه-. فلمّا أوجده طلب منه ما استحقّ عليه من الأجر في ذلك، ولم يجعل نفسه في إيجاده متبرّعا. فقال له: "اعبدني، وسبّح بحمدي" فسبّحه وعبده جميعُ ما أوجده من الممكنات ووفّاه أجرَه، ما عدا بعض الناس؛ فلم يوفّه أجر ما أوجده له. فتعيّنتْ عليه مطالبةُ العامل، وتعيّن على الحَكَم العدل أن يحكم على المعمولِ له[1]، بأداء الأجر الذي وقع الاتّفاق عليه. وسَرَى حكم هذه الإجارة في جميع الممكنات، لأنّ الأعمال تطلبها بذاتها.

ولهذا إذا تبرّع العامِل وترك الأجر، لا يُزيل ذلك قيمةَ ذلك العمل. فيقال: قيمةُ هذا العمل: كذا وكذا، سَوَاء أخذ العامل أجرَه أو لم يأخذه، وسَوَاء قرَّره ابتداء أو لم يقرِّره؛ فإنّ صورةَ العمل تحفظ قيمة الأجر. وقد أخبر اللهُ عن نفسه أنّه داخل تحت حكم هذه الحقوق. وكيف لا يكون ذلك، وهو الحكيم مرتّب الأشياء مراتبها؛ فمنها ما لم نعرفه حتى عرّفنَا بها مثل قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. فالنصرُ أجرُ الإيمان لذاته، ولكن يقبضه المؤمن، وهو الذي صفته الإيمان. وهو -سبحانه- وَفِيٌّ، فلا بدّ من نصر الإيمان. ولا يظهر ذلك إلّا في المؤمن، والمؤمن لا يتبعّض فيه الإيمان، فاعلم ذلك.

وكلُّ مَن تبعَّض فيه الإيمان لأجل تعداد الأمور التي يؤمن بها، فآمن المؤمن ببعضها وكفر ببعضها، فليس بمؤمن. فما خُذِل إلّا مَن ليس بمؤمن؛ فإنّ الإيمان حُكْمُهُ أن يعمّ ولا يخصّ. فلمّا لم يكن له وجودُ عينٍ في الشخص، لم يجب نصره على الله. فإذا ظهر الكافر على المؤمن في صورة الحكم الظاهر[3]، فليس ذلك بنصرٍ للكافر عليه. وإنما الذي يقابله لمّا وَلَّى وأخلى له موضعه، ظهر فيه الكافر. وهذا ليس بنصرٍ إلّا مع وقوف الخصم فيغلبه بالحجّة.

وممّا أوجب الحقُّ من ذلك على نفسه أيضا -أعني من الأجر- الرحمةَ؛ فجعلها أجرا على نفسه واجبا لمن تاب من بعد ما عمل من السُّوء وأصلح عملَه. وقد يتبرّع متبرّعٌ بأجرٍ يتحمّله لِعاملٍ

١ ص ٧
٢ [الروم : ٤٧]
٣ ص ٧ب

عَمِلَ لغيره عملا لم يعمله لهذا المتبرّع، مثل قوله في المظلوم إذا عفا عمّن ظلَمه ولم يؤاخذه بما استحق عليه وأصلح: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[1]. وكان ينبغي أن يكون أجره على مَن تركت مطالبته بجنايته، فتحمّل الله ذلك الأجر عنه إبقاءً على المسيء ورحمة به؛ فلا يبقى للمظلوم عليه حقٌّ يطالبه به.

ولمّا كان العملُ يطلب الأجر بذاته، ويعود ذلك على العامل، وأداءُ الرسائل عملٌ من المؤدّي لأنّ المرسِلَ استعمله في أداء رسالته لمن أرسله إليه؛ فوجب أجرُه عليه؛ لأنّ المرسَل[2] إليه ما استعمله حتى يجب عليه أجرُه. ولهذا قالت الرسل لأممها عن أمر الله، تعريفا للأمم بما هو الأمر عليه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[3] ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾[4] فذكروا استحقاق الأجر على من يستعملهم، ولم يقولوا ذلك إلّا عن أمره؛ فإنّه قال لكلّ رسول: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

واختصّ محمد[5] ﷺ بفضيلةٍ لم ينلها غيرُه، عاد فضلها على أُمّته، ورجع حكمه ﷺ إلى حكم الرسل قبلَه في إبقاء أجره على الله. فأمره الحقُّ أن يأخذ أجره الذي له على رسالته من أُمّته؛ وهو أن يَوَدُّوا قرابتَه فقال له: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[6]. فتعيّن على أُمّته أداء ما أوجب الله عليهم من أجر التبليغ؛ فوجبَ عليهم حبُّ قرابته ﷺ وأهل بيته. وجعله باسم المودّة، وهي الثبوت في المحبّة. فلمّا جعل له ذلك، ولم يقل إنّه ليس له أجر على الله، ولا أنّه بقي له أجر على الله؛ وذلك ليجدِّد له النعيم بتعريفه ما يُسَرُّ به؛ فقيل له بعد هذا: قل لأمّتك أمرًا ما قاله رسول لأمّته: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾[7] فما أسقط الأجرَ عن أُمّته في مودّتهم في القربى، وإنما ردّ ذلك الأجر بعد تعيينه عليهم، فعاد ذلك

١ [الشورى : ٤٠]
٢ "استعمله.. المرسل" ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب
٣ [الفرقان : ٥٧]
٤ [سبأ : ٤٧]
٥ ص ٨
٦ [الشورى : ٢٣]
٧ [سبأ : ٤٧]

الأجر عليهم الذي كان يستحقّه رسول الله ﷺ؛ فيعود فضل المودّة على أهل المودّة.

فما يدري أحدٌ ما لأهل المودّة في قرابة رسول الله ﷺ من الأجر إلّا الله، ولكن أهل القربى منهم. ولهذا جاء بالقربى، ولم[1] يجيء بالقرابة. فإنّه لا فرق بين عقيل في القرابة النَّسَبيّة وبين عليّ؛ فإنّهما ابنا عمّ رسول الله ﷺ في النّسب. فعليٌّ[2] جمع بين القربى والقرابة. فوَدِدْنا من قرابته ﷺ القربى منهم؛ وهم المؤمنون. ولذلك فرّق عمر ﷺ بين مَن هو أقرب قرابة، وأقرب قربى. وهو عربيٌّ نزل القرآن بلسانه. فلولا ما في ذلك فُرقانٌ في لسانهم واصطلاحهم، ما فرّق عمر بين القربى والقرابة. وانظر ذلك في القرآن في المغانم في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾[3] وليسوا إلّا المؤمنين من القرابة، فجاء بلفظ: ﴿الْقُرْبَىٰ﴾ دون لفظ "القرابة" فإنّ القرابة إذا لم تكن لهم قربى الإيمان لا حَظَّ لهم في ذلك، ولا في الميراث، وهو قول النبيّ ﷺ يوم دخل مكة: «ما ترك لنا عقيل من دار» لأنّه الذي ورث أباه دون عليّ؛ لإيمانِ عليّ وكفر عقيل.

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[4] فلو كان "المودّة في القربى" التي سألها رسول الله ﷺ منّا يريد بها القرابة، ما[5] نفاها الحقّ عنها[6] في قوله: ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ولو كانوا قرابتهم. فعلمنا أنّ المودّة في القربى أنّها في أهل الإيمان منهم، وهم الأقربون إلى الله.

فتميّز ﷺ على سائر الرسل -عليهم السلام- بما أعطى الله لأمّته في مودّتهم في القربى. وتميّزت أمّته على سائر الأمم بما لها من الفضل في ذلك؛ لأنّ الفضل الزيادة، وبالزيادة كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[7] أمّةُ محمد ﷺ، وإن كانت كلّ أمّة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويؤمنون بالله. فَخُصَّت هذه الأمّة بأمور لم تُخَصّ بها أمّة من الأمم، ولها أجور على ما

١ ص ٨ب
٢ ق: كعليّ
٣ [الأنفال : ٤١]
٤ [المجادلة : ٢٢]
٥ ص ٩
٦ ق، س: عنّا
٧ [آل عمران : ١١٠]

خُصّصت به من الأعمال مما لم يُستعمل فيها غيرهم من الأمم؛ فتميّزوا بذلك يوم القيامة، وظهر فضلُهم.

فالأجور متردّدة بين الحقّ والخلق: للحقّ أجرٌ على خلقه أعمالاً[1] عملها لهم. وللخلق أجر على الله لأعمال عملوها له، ولأعمال عملوها للخلق: كالعفو من العافين عن الناس. وللخلق أجر على الخلق في تشريع الحقّ وحكمه في ذلك.

والذي يؤول إليه الأمر، في هذه المسألة، أنّ الأجور تتردّد ما بين الحقّ والحقّ؛ ليس للخلق في ذلك دخول إلّا أنّهم طريق لظهور هذه الأجور، لولا وجودُ الخلق[2] في ذلك لم يظهر للإجارة حكم، ولا للأجر عين. ولذلك كان الأجر جزاء وفاقا.

لأنّ المؤجِّر حقٌّ، والمؤجَّر حقٌّ؛ إذ لا عامل إلّا خالق العمل، وهو الحقّ. والخلق عمل، وفيه ظهور العمل. فلذلك زاحم وأدخل نفسه في ذلك، وأقرّه الحقّ على هذه المزاحمة وَقَبِلَها. فمن الخلق مَن عَلِمَ ذلك، ومنهم مَن جهله.

وهذا المنزل يتّسع المجال فيه ولا سيما لو أخذنا في تعيين الأجور وأصحابها، فلنذكر ما يتضمّن هذا المنزل من العلوم:

فمن ذلك عِلم أجور الخلق دون الحقّ.

وفيه عِلمُ الاتّصال بِمَن؟ والانفصال عمّن؟ والانفصال والاتّصال فيمن؟ وهو علم غريب يتضمّن الوجود كلّه وغير الوجود. فإنّ الموجود المقيّد قد انفصل عن حال العدم، واتّصل بحال الوجود انفصال ترجيح، واتّصال ترجيح. وأمّا الموجود المطلق، فانفصاله عن العدم انفصالٌ ذاتيّ غير مرجّح. فمن علم هذا العلم عَلِمَ أين كان؟ وممن انفصل؟ وبمن اتّصل؟

وفيه عِلمُ التشبيه في المعاني بالمناسبات.

وفيه عِلمُ الترتيب في التوقيت، وبه يتعلّق علم القضاء والقدر.

١ س، هـ: "الأعمال" وهي بنفس المعنى
٢ ص ٩ب

وفيه عِلمُ المِلك والتمليك، وهل حكم التمليك إذا وقع (هو) حكمُ[1] الملك الأصلي؟ أو يختلف حكمها؟.

وفيه عِلمُ ما تميّز به عالم الأفلاك من عالم أفلاك الكَوْر، ولماذا قبل الاستحالة عالم الأركان؛ فذهبت أعيان صوره كما تذهب صور أركانه بالاستحالة بعضها إلى بعض بالسخافة والكثافة؟. وعالم الأفلاك ليس كذلك، وإنما استحالتهم ظهورُهم في الصور التي يظهرون فيها لعالم الأركان، ولمّا كانت هذه الاستحالة في الصور الطبيعيّة التي ظهرت من دون الطبيعة، ولم تظهر في العالم الذي فوق الطبيعة، وظهرت في التجلّي الإلهيّ، وظهر حكم الاستحالة العنصريّة في أعيان صوره، وفي صوره، بل لا في صوره؛ وهل يرجع هذا كلّه لتغيير الأمر في نفسه؟ أو يكون ذلك في نظر الناظر؟

وفيه عِلمُ المتقابلات؛ هل يفتقر العلم به إلى العلم بمقابِلِه؟ أو ينفرد كلٌّ واحد في العلم بنفسه دون العلم بالمقابل من غير توقُّف عليه؟ وهذا لا يكون إلّا عند من لا يرى أنّ العين واحدة.

وفيه عِلمُ أثر الطبيعة في الملأ الأعلى ومكانه.

وفيه عِلمُ أحوال الملأ الأعلى.

وفيه عِلمُ اجتماع الموحِّدين والمشركين في الحفظ الإلهيّ؛ هل ذلك من باب الاعتناء بالخلق، وإن[2] جهلوا؟ أو هو من باب إعطاء الحقائق في أن لا يكون الأمر إلّا هكذا، لا أنّه من باب العناية؟ وهو عندنا من باب العناية؛ بالإعلام الإلهيّ بذلك بطريق الإيماء لا بالصريح؛ لأنّ هذا من علم الأسرار التي لا تفشى في العموم، ولكن لها أهل ينبغي للعالم بذلك أن يبديه لأهله؛ فإنّه إذا لم يعطه لأهله فقد ظلم الجانبين: العلم، ومَن هو أهلٌ له.

وفيه عِلمُ مراتب الأدوات العاملة، أو الظاهرة أحكامها في العبارات؛ وهو علم الحروف التي جاءت لمعنى؛ فمنها مركَّبٌ وغير مركّبٍ.

وفيه عِلمُ تقسيم الظالمين: مَن ينصر منهم ممن لا ينصر؟ ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع الظلم في وجوده: هل وجوده من الظلمة، أو من النور؟

١ ص ١٠
٢ ص ١٠ب

وفيه عِلْمُ كون الحقّ عين الأشياء ولا يُعرف.

وفيه عِلْمُ الفرق بين الحياة والإحياء، وإذا وقع الإحياء؛ بماذا يقع: هل بالحياة القديمة؟ أو ثَمّ حياة حادثة تظهر بالإحياء في الأحياء؟

وفيه عِلْمُ الرجوع ممن؟ وإلى من؟ والاعتماد في ماذا؟ وعلى من؟

وفيه عِلْمُ في ماذا خلق الله الخلق: هل خلقه في شيء؟ أو خلقه في لا شيء، فيكون عينُ المخلوقات عينَ شيئيّاتها؟

وفيه عِلْمُ اشتراك الحقّ والخلق في الوجود، وجميع[1] ما اشترك فيه[2]: هل هو اشتراك معقول، أو مقول لا غير؟

وفيه عِلْمُ النواميس الموضوعة في العالم: هل تضمُّها حضرة جامعة؟ أو لكلّ ناموس حضرة؟ أو تجمعها حضرتان لا غير؛ فينسب الناموس الواحد إلى الحكمة، والناموس الآخر إلى الحكم الإلهيّ النبويّ، وإن كثرت أنواعها؟.

وفيه عِلْمُ الاختصاص الإلهيّ لبعض المخلوقات؛ بماذا وقع: هل بالعناية، أو بالاستحقاق؟ وهو علم منع أهل الله عن كشفه في العموم والخصوص لأنّه علم ذوق لا ينال بالقياس ولا بضرب المثل.

وفيه عِلْمُ كلمة الوصل والفصل: هل هي كلمة واحدة، أو كلمتان؟

وفيه عِلْمُ تفاضل أهل الكتب: هل هو راجع لفضل الكتب، أم لا؟ وهل للكتب المنزلة فضل بعضها على بعض، أم لا فضل فيها؟ فإنّ الله جعل في نفس القرآن التفاضل بين السور والآيات؛ فجعل سورة تعدل القرآن كلّه عشر مرّات، وأخرى تقوم مقام نصفه في الحكم، وأخرى على الثلث، وأخرى على الربع. وآية لها السيادة على الآيات، وأخرى لها من القرآن ما للقلب من نشأة الإنسان. وللقرآن تميُّز بالإعجاز على غيره من الكتب.

١ ص ١١

٢ ثابتة فوق السطر مع إشارة التصويب

وفيه عِلْمُ المواخاة بين سور القرآن، ولهذا[1] قال ﷺ: «شيّبتني هود وأخواتها» فجعل بينهنّ أُخُوّة.

وفيه عِلْمُ تقرير كلّ ملّة على ما هي عليه، وكلّ ذي نحلة على نحلته، وما يلزمه من توفية حقّها.

وفيه عِلْمُ مَن فارق الجماعة؛ ما حكمه؟

وفيه عِلْمُ المواخاة بين الكتب المنزلة من عند الله، والموازين الإلهيّة الموضوعة في العالَم على اختلاف صورها المعنويّة والمحسوسة: فالمعنويّة كالبراهين الوجوديّة والجدليّة والخطابيّة، والموازين المحسوسة مشهود بالحِسّ اختلافُها.

وفيه عِلْمُ مواطن العجلة من مواطن التثبّط.

وفيه عِلْمُ قوّة اللطيف وضعف الكثيف، وأنّ القوّة للمتصرِّف والضعف للمتصرَّف فيه.

وفيه عِلْمُ ما يقتضي الزيادة مما يقتضي النقص، وما بينهما من الفضل.

وفيه عِلْمُ تأخير حكم الحاكم عن إيقاعه في المحكوم عليه، لشبهة تمنعه من ذلك حتى يستيقن فيما يستيقن[2]، أو يغلب على ظنّه فيما لا يوصَل إلى اليقين فيه. فإنّ الكافر في الدنيا يمكن أن يرجع مؤمنا عند الموت؛ فإن عجّل فيه الحكم قبل الموت بالكفر؛ فما أعطى الحاكمَ حُكْمَ الشبهة حقّها فإنّه موطنها.

وفيه عِلْمُ ما يقبل الزيادة من الأعمال، مما لا يقبلها ولا يقبل النقص. وهي في الشرائع: ﴿مَنْ[3] جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[4] وهو عَشْر أمثالها ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾[5].

وفيه عِلْمُ نفوذ الكلمة؛ هل هو لذاتها، أم لا؟ وأنّها من الكَلْم، وهو الجُرْح، وهو أثر من الجارح في المجروح. وكذلك كلّ كلمة لها أثر في السامع؛ أدناه سماعه صورة ما نطق به وتكلّم،

١ ص ١١ب

٢ فيما يستيقن" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

٣ ص ١٢

٤ [النمل : ٨٩]

٥ [الأنعام : ١٦٠]

إلى ما فوق ذلك مما يحمله ذلك الكلام من المعاني.

وفيه عِلْمُ أصل البغي في العالم: وهل هو مشتقٌّ من بغى يبغي إذا طلب، فيكون البغي لمّا ذمّه الله طلبا مقيّدا؛ إذ كان الطلب منه ما هو مذموم، ومنه ما هو محمود؛ وما دواء ذلك البغي؟

وفيه عِلْمُ الطيّ والنشر لحكم الوقت.

وفيه عِلْمُ الدلالات والآيات؛ هل ذلك، أي كونها دلالات وآيات، لأنفسها؟ أو هي بالوضع؟

وفيه عِلْمُ حدوث المشيئة؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع، والحقّ لا تقوم به الحوادث؟

وفيه عِلْمُ النوازل؛ هل تنزل ابتداء، أو تنزل جزاء؟

وفيه عِلْمُ السكون والحركة. وعِلْمُ المواطن التي ينبغي أن يظهر فيها حكم السكون وحكم الحركة.

وفيه عِلْمُ ما يعطي الله عباده في الدنيا من علوم ومراتب وغير ذلك: هل هو من الدنيا، أو هو من الآخرة؟.

وفيه عِلْمُ الاستجابة لأوامر[1] الله إذا قامت صورتها ظاهرة؛ هل تنفع بصورتها؟ وأين تنفع؟ أو هل لا تنفع إلّا حتى ينفخ في تلك الصورة روحا تحيا به، وهو صورة الباطن؟ ويتعلّق بهذا العلم عِلْم الصور مطلّقا؛ هل لها ظاهر وباطن؟ أو منها ما هي ظاهرة لا باطن لها؟

وفيه عِلْمُ ما الباعث للحيوان كلّه على طلب الانتصار لنفسه؛ هل هو دفعٌ للأذى؟ أو هو جزاء؟ أو هو طلب انتقام؟ أو بعضه لهذا، وبعضه لهذا؟

وفيه عِلْمُ التحسين والتقبيح؛ هل ذلك راجع لذات الحَسن والقبيح، أو لأمر عارض؟

وفيه عِلْمُ ما يُحبّ ويُكره من النعوت.

وفيه عِلْمُ ما يرفع الحرج ممن ظهر منه ما يكرهه الطبع.

وفيه عِلْمُ الأسباب التي تمنع ما يطلب الطبع ظهوره.

١ ص ١٢ب

وفيه عِلْمُ ما لا يُدرَك إلّا بالنظر الدقيق الخفيّ.

وفيه عِلْمُ الإقامة والانتقال في الأحوال؛ هل الأحوال تنتقل والعبد ثابت؟ أو العبد منتقل في الأحوال، والأحوال ثابتة؟ وهو من العلوم الغريبة الموقوفة على الكشف.

وفيه عِلْمُ ما يُنكر من الحقّ مما لا ينكر، وعِلْمُ ما يقرّه الحقّ من الباطل مما لا يقرّه، وما الباطل الذي يقبل الزوال، من الباطل الذي لا[1] يقبله؟

وفيه عِلْمُ الإنتاج وغير الإنتاج مع وجود المقدّمات؛ ومتى تنتج المقدّمات؟

وفيه عِلْمُ حجاب ظاهر النشأة، وما مسمّى البشر[2] منها؟ وهل لباطنها مباشرة، كما لظاهرها، أم لا؟؛ ما الحجاب الذي بين الله وبين عبده؟

وفيه عِلْمُ الكلام المحدَث والقديم؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع: هل يختلف؟ أو حكم ذلك واحد؟

وفيه عِلْمُ الأنوار ومراتبها، وسبحات الوجه؛ ولماذا تعدّدتْ، والوجه واحد والسبحات كثيرة؟

وفيه عِلْمُ التمييز بين السُّبُل الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ المبدأ والمعاد.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ ص ١٣
٢ ق: حرف الباء مهمل، وتسمح بقراءتها: النشء
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب الثالث والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرّين في تفصيل الوحي
من حضرة حمد الملك كلّه

لَقَـدْ فَصَّـلَ اللهُ آيَاتِـهِ	لِكُلِّ لَبِيبٍ بَعِيدِ المَدَى
وأَحْكَمَهَـا لِقُلُـوبٍ زَكَـتْ	وَلَمْ تَتَّبِعْ غَيْرَ سُبْلِ الهُدَى
وَنَطَّقَ[1] مَنْ لَمْ يَزَلْ نَاطِقًا	لأَسْمَاعِنَـا نَاشِـدًا مُنْشِـدَا
فَحَـيَّرَ أَلْبَابَنَـا نُطْقُـهُ	وَجَاءَ بِنُورِ الهُدَى فَاهْتَدَى
بَصِـيرٌ بِـأَنْوَارِهِ ظَـاهِرٌ	لَهُ المُنْتَهَـى وَلَهُ المُبْتَـدَا

اعلم -أيّدك الله- أنّ الاسمين الإلهيين "المدبّر، والمفصّل" هما رؤساء هذا المنزل اللذان يَهَبان للداخل فيه جميع ما يحمله وما يتضمّنه من العلوم الإلهيّة مما يطلب الأكوان ومما يتعلّق بالله. وحُكْم المدبّر في الأمور (هو) إحكامها في حضرة الجمع والشهود، وإعطاؤها ما تستحقّه. وهذا كلّه قبل وجودها في أعيانها، وهي موجودة له. فإذا أحكمها، كما ذكرناه، أخذها المفصِّل. وهذا الاسم مخصوص بالمراتب: فأنزل كلَّ كونٍ وأَمْرٍ في مرتبته ومنزلته، كأمير المجلس عند السلطان.

ثمّ إنّ المدبّر لَمّا خلق الله رحمتين؛ والرحمة أوّل خلقٍ خلقه الله: الرحمة الواحدة بسيطة، وخَلَق الرحمة الأخرى[2] مركّبة. فرحم بالبسيطة جميع ما خلق الله من البسائط، ورحم بالمركّبة جميع ما خلق الله من المركّبات. وجعل للرحمة المركّبة ثلاثة منازل لأنّ المركّب ذو طرفين وواسطة، والواسطةُ عينُ البرزخ الذي بين الطرفين حتى يتميّزا؛ فيرحم كلّ مرحوم من المركّب بالرحمة المركّبة من هذه المنازل. فبالرحمة (الأُولَى) المركّبة ضمّ أجزاء الأجسام بعضها إلى بعض، حتى ظهرت أعيانُها صورا قائمة. وبالرحمة المركّبة من المنزل الثاني رَكّب المعاني، والصفات، والأخلاق، والعلوم؛ في النفس الناطقة والنفس الحيوانيّة الحاملة القوى الحسّيّة. وبالرحمة الثالثة

١ ص ١٣ب
٢ ص ١٤

المركّبة ضمّ النفوسَ الناطقة إلى تدبير الأجسام؛ فهو تركيبُ روحٍ وجسمٍ. وهذا النوع من التركيب هو الذي يتّصف بالموت.

فأبرز المدبّر هذه النفوس من أبدانها بتوجُّه النفخ الإلهيّ عليها من الروح المضاف إليه -تعالى-؛ فركّبها المدبّر مع الجسم الذي تولّدت عنه، وهو تركيب اختيار. ولو كان تركيبَ استحقاقٍ ما فارقه بالموت، وجعله مدبّرا لجسد آخر برزخيّ، وأَلْحَق هذا بالتراب؛ ثمّ يُنشئ له نشأة أخرى يركّبه فيها في الآخرة. فلمّا اختلفتِ المراكبُ علمنا[1] أنّ هذا الجسم المعيّن الذي هو أُمٌّ لهذه النفس الناطقة المتولّدة عنه، ما هي مدبّرة له بحكم الاستحقاق؛ لانتقال تدبيرها إلى غيره. وإنما للجسم الذي تولّدت عنه، على هذه النفس من الحقّ، أنّها ما دامت مدبّرة له؛ لا تحرّكُ جوارحَه إلّا في طاعة الله -تعالى-، وفي الأماكن والأحوال التي عيّنها الله على لسان الشارع لها. هذا يستحقُّ عليه هذا الجسم، لما له عليه من حقّ الولادة. فمن النفوس مَن هو ابنٌ بارٌّ؛ فيسمع لأبويه ويطيع، وفي رضاهما رضا الله. قال عزّ وجلّ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾[2] من الوجه الخاص ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ من الوجه السببي. ومن النفوس ما هو ابن عاقٌّ؛ فلا يسمع ولا يطيع. فالجسم لا يأمر النفس إلّا بخير؛ ولهذا تَشهد على ابنه يوم القيامة جلودُ الجسم وجميعُ جوارحه؛ فإنّ هذا الابن قَهَرها وصَرَّفها حيث يهوى.

وقسّم اللهُ هذه الرحمةَ المركّبةَ على أجزاء معلومة، أعطى منها جبريلَ ستمائة جزء، بها يرحم الله أهل الجنّة. وجعل بيده تسعة عشر جزءا؛ يرحم بهذه الأجزاء أهلَ النار الذين هم أهلها، يدفع بها ملائكة العذاب الذين هم تسعة عشر، كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[3].

وأمّا المائة رحمة التي[4] خلقها اللهُ فجعل منها في الدنيا رحمةً واحدة، بها رزق عبادَه: كافرهم ومؤمنهم، وعاصيهم ومطيعهم، وبها يَعطف جميعُ الحيوان على أولاده، وبها يرحم الناسُ بعضهم

١ ص ١٤ب
٢ [لقمان : ١٤]
٣ [المدثر : ٣٠]
٤ ص ١٥

بعضا ويتعاطفون. كما قال الله إنّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض[1]، و﴿الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2] والمنافقين بعضهم أولياء بعض. كلّ هذا ثمرة هذه الرحمة. فإذا كان في الآخرة، يوم القيامة، ضمّ هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين رحمة المدّخرة عنده؛ فرحم بها عباده على التدريج والترتيب الزماني، ليظهر بهذا التأخير مراتب الشفعاء، وعناية الله بهم، وتميّزهم على غيرهم.

فإذا لم يبق في النار إلّا أهلها القاطنون بها، الذين لا خروج لهم منها، وأرادت ملائكةُ العذاب التسعة عشر عذابَ أهل النار، تجسّد من الرحمة المركّبة تسعة عشر؛ فحالوا بين ملائكة العذاب وأهل النار، ووقفوا دونهم، وعضدتهم الرحمة التي وسعت كلّ شيء. فإنّ ملائكة العذاب قد وسعتهم الرحمة كسائر الأشياء؛ فيمنعهم ما وسعهم منها عن مقاومة هذه الرحمة المركّبة. وكان الذي يعضدهم أوّلا غَضَبُ الله الذي ظهر من إغضاب المخالفين؛ فلمّا انقضى[3] مجلس المحاكمة، وكان الحقُّ قد أمر بمن أمر به إلى السجن، وهو جهنّم كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[4] أي سجنا؛ لأنّ المحصور مسجون، ممنوع من التصرّف.

بخلاف أهل الجنّة؛ فإنّ لهم التبوّء منها حيث يشاءون، وليس كذلك أهل النار وهذا من الرفق الإلهيّ الخفيّ بعباده. فلو أعطاهم التبوّء من النار حيث يشاءون، لكانوا لا يستقرّ بهم قرار؛ طلبا للفرار من العذاب إذا أحسّوا به، رجاء أن يكون لهم في مكان آخر منها راحة. وفي وقت العذاب ما فيها راحة، فكان لا يبقى في جهنّم نوعٌ من العذاب إلّا ذاقوه. والعذابُ المستصحَب أهونُ من العذاب المجدّد، وكذا النعيم. ولهذا يبدّل الله جلودهم في النار إذا نضجت، ليذوقوا العذاب. فيمشي عليهم زمانٌ يذوقون فيه العذاب مستصحبا إلى أن تنضج الجلود، وحينئذ يتجدّد عليهم، بالتبديل، عذابٌ جديد. فلو كان لهم التبوُّء من جهنّم حيث يشاءون، لما استقرّوا حتى تنضج جلودهم، بل كانوا يذوقون في كلّ موضع ينتقلون إليه عذابا جديدا إلى حصول الإنضاج؛ فيكون ذلك الانتقال أشدّ في عذابهم؛ فرحمهم الله من حيث لا

١ يشير هنا إلى الآية الكريمة: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" [التوبة : ٧١]
٢ [الجاثية : ١٩]
٣ ص ١٥ب
٤ [الإسراء : ٨]

يشعرون، كما مكر بهم من حيث لا يشعرون.

فهذه سبعمائة رحمة[1] وتسع عشرة رحمة. مائة منها بيد الله، لم يتصرّف فيها أحد من خلق الله، اختصّ بها لنفسه: بها يرحم الله عباده بارتفاع الوسائط، بل منه للمرحوم خاصة. وهي على عدد الأسماء الإلهيّة، أسماء الإحصاء للتسعة والتسعين اسما؛ رحمة واحدة لكلّ اسم من هذه المائة التي بيد الله، لا عِلم لمخلوقٍ بها. وتمام المائة: الرحمة المضافة إليه التي وَسِعت كلّ شيء. فبهذه المائة رحمة ينظر إلى درج الجنّة وهي مائة درجة. وبها -بعد انقضاء زمان استحقاق العذاب- ينظر إلى دركات النار؛ وهي مائة درك، كلّ درك يقابل درجة من الجنّة؛ فتتأيّد بهذه الرحمة الواسعة التسع عشرة رحمة التي تقاوم ملائكة العذاب في النار، وتلك الملائكة قد وَسِعتهم، فيجدون في نفوسهم رحمة بأهل النار؛ لأنّهم يرون الله قد تجلّى في غير صورة الغضب الذي كان قد حرّضهم على الانتقام لله من الأعداء؛ فيشفعون عند الله في حقّ أهل النار الذين لا يخرجون منها؛ فيكونون لهم، بعد ما كانوا عليهم؛ فيقبل الله شفاعتهم فيهم.

وقد حقّت الكلمة الإلهيّة أنّهم عُمّار تلك الدار؛ فيجعل الحكم فيهم للرحمة التي وَسِعت كلّ[2] شيء، ولهذه التسع عشرة رحمة، التي هي الرحمة المركّبة. فأعطاهم في جهنّم نعيم المقرور والمحرور، لأنّ نعيم المقرور (يحصل) بوجود النار، ونعيم المحرور (يحصل) بوجود الزمهرير. فتبقى جهنّم على صورتها ذات حرور وزمهرير، ويبقى أهلها متنعّمين فيها بحرورها وزمهريرها. ولهذا أهلُ جهنّم لا يتزاورون، إلّا أهل كلّ طبقة في طبقتهم: فيتزاور المحرورون بعضهم في بعض، ويتزاور المقرورون بعضهم في بعض؛ لا يزور مقرور محرورا، ولا محرور مقرورا.

وأهل الجنّة يتزاورون كلّهم؛ لأنّهم على صفة واحدة في قبول النعيم؛ لأنّهم كانوا هنا، أعني في دار التكليف، أهل توحيد لم يشركوا: توحيدَ علم، أو توحيدَ إيمان. وأهل النار لم يكن لهم صفة التوحيد، وكانوا أهل شرك؛ فلهذا لم يكن لهم صفة أحديّة تعمّهم في النعيم مطلقا من غير تقييد.

١ ص ١٦
٢ ص ١٦ب

فهم في جهنّم فريقان، وأهل الجنّة فريق واحد؛ فينفرد كلّ شريك بطائفة، وهؤلاء هم "الثنويّة" ما ثَمّ غيرهم؛ وهم أهل النار الذين هم أهلها.

وأمّا أهل التثليث فيرجى لهم التخليص، لما في التثليث من الفرديّة، لأنّ الفرد من نعوت الواحد. فهم موحِّدون توحيد[1] تركيب؛ فيرجى أن[2] تعمّهم الرحمة المركّبة. ولهذا سُمّوا كفّارا لأنّهم ستروا الثاني بالثالث، فصار الثاني بين الواحد والثالث كالبرزخ؛ فربما لحق أهلَ التثليث بالموحِّدين في حضرة الفردانيّة، لا في حضرة الوحدانيّة. وهكذا رأيناهم في الكشف المعنويّ؛ لم نقدر أن نميّز ما بين الموحِّدين وأهل التثليث إلّا بحضرة الفردانيّة، فإنّي رأيت لهم ظلّا في الوحدانيّة، ورأيت أعيانهم في الفرديّة، ورأيت أعيان الموحِّدين في الوحدانيّة[3] والفرديّة؛ فعلمتُ الفرق بين الطائفتين.

وأمّا ما زاد على أهل التثليث فالكلّ ناجون بحمد الله من جهنّم. ونعيمهم في الجنّة يتبوّءون منها حيث يشاءون، كما كانوا في الدنيا ينزِلون من حضرات الأسماء الإلهيّة حيث يشاءون، بوجه حقٍّ مشروع لهم؛ كما كانوا إذا توضّؤوا يدخلون من أيّ باب من أبواب الجنّة الثمانية.

وإذا علمت هذا، فاعلم أنّ هذه الرحمة المركّبة تعمُّ جميع الموجودات، وأنّها مركّبة من رحمة عامّة؛ وهي التي وسعت كلّ شيء، ومن رحمة خاصّة؛ وهي الرحمة التي تميّز بها مَن اصطفاه الله واصطنعه لنفسه؛ من رسول، ونبيّ، ووليّ. وبهذه الرحمة المركّبة جمع الله الكتب، وأنزل كلَّ كتاب سُوَرًا[4] وآيات. فمن آياته ما بقي كالقرآن، وكلّ آية ظهرت بطريق الإعجاز. ومن آياته ما لم يبق اقتصار حكمها على مَن جاء بها؛ فدلّت على غيره كما دلّت عليه؛ فإنّ الله جعلها علامة على صدق ما ادّعاه كلُّ واحدٍ واحدٍ ممن ادّعى القرب من الله: إمّا بالحال، وإن لم ينطق بالدعوى لما يُرى عليه من آثار طاعة ربّه، وإمّا بالدعوى من حيث نُطْقه بذلك، ولا يقع ذلك إلّا عن غفلة؛

١ ص ١٧
٢ ثابتة فوق السطر مع إشارة التصويب
٣ ق: "الأحدية" وفي الهامش "الوحدانية" مع إشارة التصويب
٤ ص ١٧ب

فإنّهم مأمورون بستر هذه الآيات، أعني الأولياء. فهي منسوخة في الأولياء، محكمة في الأنبياء والرسل.

فقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ يقول: من علامة، ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ يقول: أو نتركها، يعني نتركها آية للأولياء، كما كانت آية للأنبياء ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ من باب المفاضلة، أي بأزيد منها في الدلالة. وهي آيات الإعجاز، فلا تكون إلّا لأصحابها أو لمن قام فيها بالنيابة على صدق أصحابها؛ فلا يكون لوليٍّ قطّ هذه العلامة، من حيث صحّة مرتبته. وأمّا قوله: ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ الضمير يرجع إلى الآية المنسوخة، فلم تكن لها صفة الإعجاز؛ بل هي مِثل الأُولَى.

ولا يصحّ حمل هذه الآية على أنّها آي القرآن التي نزلت في الأحكام، فنُسِخ بآية ما كان أُثْبِت حُكمُه في آيةٍ قبلَها؛ فإنّ[1] الله ما قال في آخر هذه الآية: "ألم تعلم أنّ الله عليم خبير" ولا "حكيم" ومثل هذه الأسماء هي[2] التي تليق بنظم القرآن لو أراد آيات الأحكام، وإنما قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] فأراد الآيات التي ظهرت على أيدي الأنبياء -عليهم السلام- لِصدق دعواهم في أنّهم رسل الله. فمنها ما تركها آية إلى يوم القيامة كالقرآن، ومنها ما رفعها ولم تظهر إلى يوم القيامة.

فلمّا جمع اللهُ، بهذه الرحمة المركّبة، القرآنَ في الكتب لا في الصدور؛ فإنّه في الصدور قرآن، وفي اللسان كلام، وفي المصاحف كتاب؛ وضَع ذلك الاسم "المفصِّل" عن أمر "المدبِّر" فإنّه متقدِّم عليه بالرتبة؛ فلهذا له الحكم في التفصيل بالقوّة، وللمفصِّل بالفعل. ومنزل الرحمة رحبٌ واسع المجال فيه، وكيف لا يتّسع وقد وَسِعَتْ كلّ شيء؟ وهذا القدر كافٍ فيما تقع به المنفعة للسامعين من الناس، فذكرنا حكمها في الدارين وما يعود منها علينا، وهو الغرض المقصود.

وفي هذا المنزل معرفة منازل الرحمة المركّبة؛ وإلى كم تنتهي منازلها؟ والمنزل الذي أُكِّدَت فيه،

١ ص ١٨
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ [البقرة : ١٠٦]

والمنزل الذي لم تؤكَّد فيه، وعلى كم من درج وقع التوكيد فيها؟

وعِلْمُ ما لا يعلم إلّا[1] من طريق الخبر الإلهيّ.

وعِلْمُ الإبانة عن مقام الجمع، كالصلاة الجامعة بين الله والعبد في قراءة فاتحة الكتاب؛ ومن هنا يؤخذ الدليل بفرضيّتها على المصلّي في الصلاة؛ فمن لم يقرأها في الصلاة، فما صلّى الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده؛ فإنّه ما قال: "قسمت الفاتحة" وإنما قال: «قسمت الصلاة» بالألف واللام اللتين للعهد والتعريف. فلمّا فسَّر الصلاة المعهودة بالتقسيم؛ جعل محلّ القسمة قراءة الفاتحة. وهذا أقوى دليل يؤخذ في فرض قراءة "الحمد" في الصلاة.

وفيه عِلْمُ تأثير الرحمة المركّبة في العالم المحمّدي خاصّة.

وفيه عِلْمُ تنزيل المعاني منزلة الأشخاص.

وفيه عِلْمُ التراجم[2].

وفيه عِلْمُ الطائفة التي سمعت، وقيل فيها: إنّها لم تسمع، مع وجود الفهم فيما سمعت. فما الذي نفى[3] عنها؟ وما الذي أبقى لها؟

وفيه عِلْمُ الحجب الكونيّة المظلمة والظلمانيّة؛ ومن هو أهل كلّ حجاب. وعمّن حُجِب مَن حُجِب: هل حُجِب عن سعادته؟ أو عن مشاهدة ربّه؟ أو عن مشاهدة مقام رسوله؟

وفيه عِلْمُ اجتراء الكون على الله.

وفيه عِلْمُ اللطف الإلهيّ بالمعاندين الرادّين أوامِرَهُ[4]، المنازعين ناصريه.

وفيه عِلْم ما شيّب عِلْمُه رسولَ الله ﷺ الذي ذكره في سورة "هود" وأخواتها؟

وفيه عِلْمُ طلب الستر الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ الإحاطة بما لا يتناهى.

١ ص ١٨ب
٢ حرف الجيم مهمل
٣ ق: "عرى" وفوقها "صح" وفي الهامش "نفى"
٤ ص ١٩

وفيه عِلْمُ الجزاء، الذي هو على غير الوفاق الزمانيّ؛ فإنّ مدد الأعمال التي تطلب الأجور متناهية، والأجر عليها غير متناهٍ؛ فما هو الجزاء الوِفاق من غير الوِفاق؟

وفيه عِلْمُ الإنكار، والإقرار، والتقرير، والتوبيخ؛ وما صفته؟ وأين محلّه؟

وفيه عِلْمُ الخَلق الجسميّ والجسمانيّ، ومراتب الخَلق؛ وكم له من المقدار الزمانيّ؟

وفيه عِلْمُ مراتب المضاف إليها الربّ.

وفيه عِلْمُ القصد الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ موضع الأجوبة التي تكون بحكم المطابقة عند سؤال السائل.

وفيه عِلْمُ مرتبة العاقل، وشرفه على العالِم إذا كان عالما. فإنّ العاقل إذا رأى ما لا بدّ له منه بادر إليه. وغير العاقل لا يفعل ذلك.

وفيه عِلْمُ مَن خُلِق لأمر واحد، ومَن خُلق لأمرين فصاعدا، ومَن وفّى بما خُلق له؟ ومن لم يوفّ ما خُلق له؟.

وعِلْمُ سعادة مَن استكبر بحقّ، ممن استكبر بنفسه؛ كإبليس ومن شاء الله.

وفيه[1] عِلْمُ تقرير الله المناسبة بينه وبين خلقه، وأين هذا التقرير من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] مثل ما جاء في الخبر: «لله أشدّ فرحا بتوبة عبده من رجل في أرض فلاة» الحديث. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[3]

وفيه عِلْمُ المفاضلة، وأصنافها، ومحلّها.

وفيه عِلْمُ الاختيار الكونيّ، وأنّه مجبور في اختياره. وهل له مستند إلهيّ في جبره في اختياره، أم لا؟ وقوله (ص): «فيسبق عليه الكتاب» وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[4] وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[5] هل معناه: إنما التبديل لله ليس للخلق تبديل، أو لا تبديل

١ ص ١٩ب
٢ [الشورى : ١١]
٣ [فصلت : ١٥]
٤ [ق : ٢٩]
٥ [الروم : ٣٠]

لخلق الله من كونه ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[1]؟

وفيه عِلْمُ حكمة الأخذ الإلهيّ جزاء؛ هل يعمّ؟ أو يؤلم ابتداء من غير جزاء؛ كإيلام البريء والصغير؟ فهل هو كما قاله القائل؟ أو ليس الأمر كذلك، وإنما هو بريء في ظاهر الأمر مما نُسب إليه، وما هو بريء عند الله مِن أمر آخر وقع منه في حقّ حيوان أو ما لا يعلمه إلّا الله؟ والمبتلَى إن تذكّره؛ فلا يكون على هذا الأخذ أبدا، إلّا جزاء لا ابتداء. وإنما قاله مَن قال به؛ بنسبة خاصة رأى الأخذ عندها مع براءة المأخوذ مما نُسب إليه من تلك النِّسبة الخاصّة، ولم[2] يكن عند الله الأخذُ إلّا من أمرٍ عَمِله، استحقّ به هذه العقوبة، فانتظر انقضاء زمان المهلة، فانقضى عند دعوى عليه غير صادقة، هو منها بريءٌ، فأُخِذ عندها. وإنما كان الأخذ بما تقدّم، فقيل: هذا أخذ؛ وهو بريءٌ مما نُسب إليه؛ فصدقوا أنّه بريءٌ، ولم يصدقوا في أنّه أُخِذَ من أجل تلك الدّعوى عليه؛ وهو من علم المكاشفة والاعتبار. والمكاشفة في تحصيل هذا العلم أتمّ؛ لأنّه يعيّن لك الكشفُ العلّةَ على خصوصها. والاعتبار يُجْمِلُها لك من غير تعيين، أو يُخْرِج لها عللا محتملة لا يُدْرَى ما أوجب ذلك الأخذ منها. فهذا الفَرق بين أهل الاعتبار والكشف.

وفيه عِلْمُ إلحاق الله بصفة المتقين حتى كان وليّهم؛ فإنّه ﴿وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] لأنّه مؤمن. وهو ﴿وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4]؛ فمن أين يوصف الحقّ بأنّه متّقٍ؟

وفيه عِلْمُ من أين أعطى مَن أعطى العلم بنطق العالم من غير جهة الخبر؛ فإنّ الخبر تقليد.

وفيه عِلْمُ تأثير الأحوال في أصحابها عند الله.

وفيه عِلْمُ ترك الأدب لما يرجى في ذلك من نيل الغرض المقصود، وسواء كان محمودا أو مذموما؛ لأنّه ما كلّ غرض محمود، ولا كلّ غرض مذموم.

وفيه عِلْمُ تغيّر الأحوال لتغيّر الوارد.

وفيه[5] عِلْمُ المؤاخاة بين الملائكة والناس الصلحاء منهم.

١ [طه : ٥٠]
٢ ص ٢٠
٣ [آل عمران : ٦٨]
٤ [الجاثية : ١٩]
٥ ص ٢٠ب

وفيه عِلْمُ أين ينزل أهل الله يوم القيامة وفي الجنان؟ وأيّ اسم يصحبهم من الأسماء الإلهيّة؟

وفيه عِلْمُ توقُّف الأسماء بعضها على بعضٍ، وأنّها تعطي بالمجموع أمرا لا يكون يعطيه فرد فرد من ذلك المجموع.

وفيه عِلْمُ ما تنتجه السياسة الحِكميّة التي تقضي بها العقول، وأنّها في ذلك على بصيرة من حيث لا تشعر؛ أعطتها ذلك تجربتها النفوس. وما صفة من يقول بهذا العلم؟

وفيه عِلْمُ المَيل: لِمَ يَميل؟ ولِمَ[1] يُمال؟

وفيه عِلْمُ النظر في الأَوْلَى فالأَوْلَى.

وفيه عِلْمُ الأعواض، وهو إذا اعتاض عليك أمر تعوّضتَ عنه بأمر يقوم مقامه فيما تريد؛ إمّا مُوازنه سواء، وإمّا أزيد بقليل، أو أنقص منه بقليل؛ بحيث أنّه لا يؤثّر في المطلوب أثرا يخرجه عن نَيْلِ غرضه بالكلّيّة. وهل في الوجود مَن لا عِوَض له إذا فُقِد، أم لا؟

وفيه عِلْمُ تمييز الرجال بالأحوال.

وفيه عِلْمُ تقاسيم الأوامر الإلهيّة التي تقسّمها قرائن الأحوال؛ وما حكم الأمر إذا تعرّى عن قرائن الأحوال: هل حكمه الوجوب، أم لا؟ أو التوقيف؟ وهل[2] تعرّيه عن قرائن الأحوال قرينة حال عدميّة تعطيه الوجوب؟ وهل عندنا قرينة حال تعطي الوجوب للأمر؟

وفيه عِلْمُ وصف العدم بأوصاف الوجود، من الانتقال من حال إلى حال، مع كونه عدما لا يزول عن هذا الوصف.

وفيه عِلْمُ من أين قدّم الله في نعته نفسه في كلامه بالرحمة على الأخذ، ولم يفعل ذلك في صفة الكون؟ فإنّه قد تقدّم في صفة الكون صفةُ أهل المقت على صفة أهل السعادة، كما وقع في سورة "الغاشية" وأمثالها. وهل جاء مثل هذا ليفرّق بين الخلق والحقّ، أم لا؟

وفيه عِلْمُ الوجهين في الأشياء؛ فما من شيء إلّا وفيه نفعٌ بوجهٍ، وضررٌ بوجهٍ؛ أيّ شيء كان؛ إذا اعتبرتَه ووزنتَه وجدتَ الأمر كما قلنا، فليس لشيء في الوجود وجهٌ واحد أبدا؛

١ ق، س: لما يميل ولما
٢ ص ٢١

أعظمها وأرفعها: نور الله؛ به ظهرت الأشياء من خلف الحجب؛ ولو شال الحجب لأحرقتْ ما أوجدَتْه؛ فهي الموجِدة المعدِمة.

وكذا نزول القرآن له وجهُ نَفْعٍ في المؤمن فإنّه يزيد به إيمانا، وفيه وجهُ ضَرَرٍ للكافر لأنّه يزيد به رجسا إلى رجسه. قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ ثمّ من رحمته بخلقه أن قال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[1] فأعطانا العلامة[2]؛ فمَن وُجِد في نفسه تلك العلامة عُلِم أنّه من أهل الضلال.

وفيه عِلْمُ البُعد الإلهيّ والقرب الإلهيّ من السعداء والأشقياء، والقرب الكونيّ والبعد الكونيّ: هل هو على موازنة القرب والبُعد الإلهيّ؟ أو لهذا حكم ولهذا حكم؟ وكذلك هو.

وفيه عِلْمُ مَن عَلِمَه عَلِم أنّه ليس لله من أعمال العبد شيء.

وفيه عِلْمُ ما هو العِلم؟

وفيه عِلْمُ ما يوجب السآمة والملل، ومَن يتّصف به من العالَم ممن لا يتّصف بهما؟ مع كون الحقّ قد وصف نفسه بالملل، إذا ملّ عبده من الخير الذي يكون عليه أو الشرّ سَواء.

وفيه عِلْمُ ما لا ينفع من الظنون بالخير عند الله، وما ينفع منها.

وفيه عِلْمُ أسباب رجعة الكون إلى الله في الدنيا.

وفيه عِلْمُ أنّ الحقّ هو عينُ الأشياء؛ بمَ[3] هو عينُ الأشياء: هل بنفسه؟ أو بشهوده؟ أو بإحاطته؟

وفيه عِلْمُ ما هو الحقّ؟ وحُكْم هذا الاسم حيث ورد؛ هل تختلف أحكامه؟ أو هو عينٌ واحدة في كلّ موضع وَرَدَ؟ فإنّ الناس تفرّقوا في ذلك فِرَقا.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[4] ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5].

١ [البقرة : ٢٦]
٢ ص ٢١ب
٣ ق، ه: بما
٤ [الأحزاب : ٤]
٥ [يونس : ٢٥]

الباب[1] الرابع والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرَّين من أسرار المغفرة
من الحضرة المحمديّة

رَأَيْتُ رِجالًا لا يَرَوْنَ بِكافِرٍ ... وَلا كاذِبٍ وَالشَّأْنُ صِدْقٌ وإيْمانُ
فَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا عَنِ الزُّورِ إِنَّهُ ... مَقامٌ وَلَكِنْ فِيْهِ بَخْسٌ ونُقْصانُ
فَما كُلُّ عَيْنٍ فِي الوُجُودِ مُغايِرٌ ... أَلا كُلُّ كَوْنٍ مَا سِوَى اللهِ إِنْسانُ
وَلَكِنَّهُ مِنْهُ كَبِيرٌ مُقَدَّمٌ ... وَمِنْهُ صَغِيرٌ فِيْهِ حَقٌّ وَبُهْتانُ
فَلَوْلا وُجُودِي لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عالَمٌ ... وَلا كانَتِ اسْماءٌ وَلا كانَتْ اعْيانُ
وكانَ وَحِيْدُ الذاتِ لَيْسَ بِخالِقٍ ... وَلا مالِكٍ، يَقْضِي بِذَلِكَ بُرْهانُ
ودَلَّ دَلِيْلُ العَقْلِ فِي كُلِّ حالَةٍ ... بِأَنَّ إِلَهَ الخَلْقِ فِي الخَلْقِ مِحْسانُ

قد[2] قدّمنا أنّ لله رحمة عامّة ورحمة خاصّة، وأنّ الله خصّ هذه الأمّة برحمة خاصّة فقال رسول الله ﷺ: «إنّ أمّتي أمّة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب، إنما عذابها في الدنيا: الزلازل، والقتل، والبلاء» خرّج هذا الحديث البيهقي، في كتاب الأدب له، في باب: "المؤمن قلّ ما يخلو من البلاء لما يراد به من الخير" من طريق أبي القاسم علي بن محمد بن علي الأبادي، عن أبي جعفر عبد الله بن إسماعيل إملاء، عن إسماعيل بن إسحق القاضي، عن محمد بن أبي بكر، عن معاذ بن معاذ، عن المسعودي، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: الحديث. وكلّهم قالوا: حدّثنا إلّا[3] المسعودي فإنّه عنعنه، إلّا البيهقي فإنّه قال: أخبرنا.

وفي الباب عن أبي بردة قال: كنت جالسا عند ابن زياد، وعنده عبد الله بن يزيد. فَجُعِل

١ ص ٢٢
٢ ص ٢٢ب
٣ ق: "إلى" وصححت في الهامش بقلم الأصل

يؤتى برءوس الخوارج، قال: وكانوا إذا مرّوا برأس قلت: إلى النار. قال: فقال لي: لا تفعل -يا ابن أخي- فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون عذاب هذه الأمّة في دنياها» وورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال[1]: «أمّا أهل النار الذين هم أهلها فإنّهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم» ولم يخصّص ﷺ أُمّةً من أُمّةٍ؛ فإنّه ما قال: "ناس من أمّتي" فهذه رحمة عامّة فيمن ليس من أهل النار. ثمّ قال ﷺ: «فأماتهم الله فيها إماتةً» فأكّده بالمصدر. فهذا كلّه قبل ذبح الموت.

· وإنما أماتهم حتى لا يُحِسُّوا بما تأكل النار منهم، فإنّ النفوس المتألّمة هي الموحّدة المؤمنة؛ فيمنع التوحيد والإيمانُ قيام الآلام والعذاب بها. والحواسُّ -أعني الجسوم- كلّها مطيعةٌ لله؛ فلا تحِسّ بآلام الإحراق الذي يصيّرهم حُمَمًا؛ فإنّ الميّت لا يُحِسّ بما يُفعل به، وإن كان يعلمه؛ فما كلُّ ما يُعلم يُحَسُّ به. فرفع الله العذاب عن الموحّدين. والمؤمنين، وإن دخلوا النار، فما أدخلهم اللهُ النار إلّا لتحقّ الكلمة الإلهيّة، ويقع التمييز بين الذين اجترحوا السيّئات وبين الذين عملوا الصالحات. فهذا حديث صحيح يعمّ الناس.

ويبقى العذاب على أهل النار، الذين هم أهلها، يجري إلى أجل مسمّى عند الله، إلى أن تذكرهم ملائكة العذاب التسعة عشر. فإنّ الملائكة إذا شفعت، لم تشفع هذه التسعة عشر؛ فتتأخّر شفاعتهم إلى[2] أوان اتّصافهم بالرحمة، عندما يرتفع شهودهُمْ غَضَبَ اللهِ إيثارا منهم لجناب الله على الخلق؛ فإنّ الملائكة تشفع يوم القيامة. يقول الله: «شفعت الملائكة، وشفع النبيّون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين». فيشفع عند "الشديد العقاب والمنتقم" وهذا من باب شفاعة الأسماء الإلهيّة، فيخرج من النار كلّ موحِّد، وحّد الله من حيث علمه لا من حيث إيمانه، وما له عمل خير غير ذلك، لكنّه عن غير إيمان؛ فلذلك اختصّ الله به.

وهذا الصنف من الموحِّدين من طريقٍ هم الذين شهدوا مع شهادة[3] الله -سبحانه- والملائكة

١ ص ٢٣
٢ ص ٢٣ب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]. فمن هناك سبقت لهم العناية بالاشتراك في الشهادة، ولم يعرفهم إلّا الله وحده. والملائكة، وإن عرفتهم، فإنّ الملائكة تحت أمر الله كالثّقلين؛ فيحترمون جناب الله ويؤثرونه على هؤلاء، فلا يقدمون على الشفاعة فيهم لمخالفتهم أمر الله وعدمَ قبولهم الإيمان؛ فينفرد الله وحده -سبحانه- من كونه أرحم الراحمين بإخراج هؤلاء من النار. ويترك أهلها فيها على حالهم إلى تجلّيه في صورة الرضا، وعموم حكم الرحمة المركّبة في عالم التركيب، وشفاعة ملائكة العذاب؛ فحينئذ يتغيّر الحال على أهل النار كما ذكرناه من[2] المحرور والمقرور.

وأعلم أنّ الموازنة بحكم الاعتدال معقولة، غير موجودة الحكم. لأنّه لو كان لها حُكْمٌ ما كان التكوين واقعا. لأنّ حكمها الاعتدال، والاعتدال يقابل الميْل، ولا يكون التكوين إلّا بالميل. ولمّا علم النبيّ ﷺ من الله أنّه ما أوجد العالَم إلّا بترجيح أحد الإمكانين، قال رسول الله ﷺ لقاضي الدَّين: «إذا وزنت فأرجح»؛ فإنّ الممكنَ الوجهانُ فيه على السَّواء، فما أوجده الله إلّا بالترجيح. ثمّ إنّ الله ذكر عن نفسه ما كان عليه ولا عالَم؛ فذكر عن نفسه أنّه أحبّ أن يُعرف؛ فرجّح جانب المعرفة به على مقابِلِهِ؛ فخلق العالَم بالترجيح لجناب العلم على مقابله. فلمّا وازن الله بين الرحمة والغضب؛ رجحت الرحمة وثقلت، وارتفع الغضب الإلهيّ. ولا معنى لارتفاع الشيء إلّا زوال حكمه. فلم يبقَ للغضب الإلهيّ حكم في المآل؛ فإنّه في المآل وقع ترجيح الرحمة وارتفاع الغضب لخفّته. فما ظهر حكم الغضب إلّا في حال وَضْعِ الغضب والرحمة في الميزان؛ فحكم كل واحد منهما في العالم إلى أن يظهر الترجيح، فيرتفع حكم الغضب.

وما قلنا هذا إلّا ردًّا لما قاله مَن يدّعي الكشف، فقال في الموازنة الإلهيّة: إنّ الله لا يحكم عدله[3] في فضله، ولا فضله في عدله، وإنّ القبضتين على السَّواء من جميع الوجوه. وهذا من أعظم الغلط الذي يطرأ على أهل الكشف لعدم الأستاذ، وما يقول هذا إلّا مَن لم يكن بين يدي أستاذ، قد ربّاه أستاذ متشرّع عارف بموارد الأحكام الشرعيّة ومصادرها. فإنّ الله ما

١ [آل عمران : ١٨]
٢ ص ٢٤
٣ ص ٢٤ب

نصب طريقا إلى معرفته التي لا يستقلّ العقل بإدراكها من حيث فكره إلّا ما شرعه لعباده على ألسنة رسله وأنبيائه.

وإنما قلنا هذا لمّا علمنا أنّ ثَمّ طريقا آخر يقتضيه الوجود وتحصّله بعض النفوس الفاضلة، فأردنا أن نرفع الإشكال. وذلك أنّ النفوس تصفو بالرياضة، وترك الشهوات الطبيعيّة، والاستغراق في الأمور المحسوسة، وتتشوّف إلى ما منه جاءتْ وما أُريدتْ له، وإلى أين مآلها، وما مرتبتها من العالم. وعلِمتْ من ذاتها أنّ وراء هذا الجسم أمرا آخر هو المحرّك له والمدبّر لِما عاينتْ من الموت النازل به. فتنظر إلى آلاته على كمالها، ولا ترى له تلك الإدراكات التي كانت له في زمان وَصْفِه بالحياة؛ فعلمت أنّه لا بدّ من أمر آخر هناك، لا تعرف ما نِسبته إلى هذا الجسم: هل نسبة العرَض إلى محلّه؟ أو المتمكّن إلى مكانه[1]؟ أو المَلِك إلى مُلْكه؟

ثمّ علمتْ أنّ بين الموت والنوم فُرقانا بما تراه في النوم من الصور، وتستفيده من الأحوال الملذّة والمؤلمة، وسرعة التغيّر في صورة النائم من حال إلى حال، ولم تر ذلك في صورة الجسم. ثمّ تستيقظ فترى الجسم على حاله في صورته، ما تغيّر. وترى انفعال الجسم في بعض الأوقات لِما يطرأ للنائم في حال نومه؛ مثل دَفْق الماء في الاحتلام عند رؤيته الجماع في النوم. فعلمتْ، بهذا كلّه، أنّ وراء هذا الجسم أمرا آخر، بينه وبين هذه الصورة علاقة.

ثمّ إنّها رأتْ تفاوت الأمثال في العلوم والفهم، وافتقار بعضها إلى التعليم. ونظرتْ إلى حال مَن زهدَ وفكّر واتّخذ الخلوات، ولم يأخذ مِن لذّات المحسوسات إلّا ما تمسّ إليه الحاجات مما به قوام هذا الجسم، وأنّ صاحب هذا الحال يزيد على نفسٍ أخرى بعلوم وفضائل، يُفتقر إليه فيها وفي العلم بها. فنظرتْ في الطريق الذي أوصل تلك النفوس، دون غيرها، إلى هذا المقام؛ فلم تر (مانعا)[2] إلّا انكباب بعض النفوس على تناول هذه المشتهَيات الظاهرة الطبيعيّة، والتنافس فيها.

١ ص ٢٥
٢ لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س

فزهدت في ذلك كلّه، وتحلّت بمكارم[1] الأخلاق، ولم تترك لأحدٍ عليها مطالبة ولا علاقة، ولم تزاحمهم على ما هم عليه، وجنحتْ إلى الخلوات، ورفعتْ الهمّة إلى الاستشراف لتعلم ما هو الأمر عليه. فلمّا كانت بهذه المثابة، وكلٌّ ذلك نظرٌ منها؛ ما هو عن تقليدِ شرعٍ إلهيّ، وإنما هو عن فكرة صحيحة، وإلهام إلهيّ ناقص غير كامل. لأنّ الإلهام الكامل أن تُلْهَم لاتّباع الشرع، والنظر في كلامه، وفي الكتب التي قيل لنا إنها جاءت من عند الله؛ فمثل هذا هو الإلهام الأكمل.

فلمّا صَفَتْ هذه النفس وشَفّتْ، وصارتْ مثل المرآة، وزال عنها صدأ الطبيعة؛ انتقش فيها صور العالَم. فرأت ما لم تكن رأته؛ فنطقتْ بالغيوب، والتحقتْ بالملإ الأعلى التحاق غريبٍ وَرَدَ على غير موطنه. وهو موطنه؛ ولكن ما عرَف؛ لِغُربته لمّا سافر إلى أرض طبيعته وبدنه؛ فلم يكن له ذلك الإدلال، ولا كمال الأُنس بذلك العالَم. ورأى اشتغال ذلك العالَم عنه بالتسبيح والتقديس، وما سُخِّروا فيه من الأعمال في حقّ هذه المولّدات العنصريّة. فرأتْ ما يختصّ منهم بتحريك الأفلاك وتسيير كواكبها، وما يحدث في الأركان منها[2]، وعلمتْ ما لم تكن تعلم. وأخذتْ عن الأرواح الملَكيّة علوما لم تكن عندها، وما علمتْ أنّ ثَمّ طريقا تصل منه، إذا سلكتْ عليه، إلى الأخذ عن الله مُنشئ الكلّ، وأنّ بينه وبينها بابا خاصّا[3] يخصّها. فقالت: هذا هو الغاية؛ وما ثَمّ إلّا هؤلاء. ونظرتْ إلى شفوفها بذلك على غيرها من أمثالها؛ فقنعتْ. فكلّ ما يأتي به مَن هذا نعتُه وحالُه، ليس له ذوق إلهيّ ألْبتّة، ولا يأخذ أبدا إلّا عن الأرواح والعقول الملَكيّة، أخذ حال لا أخذ نُطق؛ إلّا أن تجسّد له في خياله أمرٌ يخاطبه.

وصاحب الطريقة الشرعيّة يقلِّد الشارع فيما أخبره به؛ من أنّه ثَمّ إلهٌ بينه وبين العالَم مناسبة، وأنّه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] ولا يشبه شيئا من العالَم: أعلاه وأسفله. ومع هذا كلّه فله: عين، وأعين، ويد، ويدان، ووجه، وكلام، ونزول، واستواء، وفرحٌ، ومعيّة مع عباده

١ ص ٢٥ب
٢ ص ٢٦
٣ "بابا خاصا" هي في ق: "باب خاص"
٤ [الشورى : ١١]

بالصحبة، وقُرب وبُعد، وإجابة لمن دعاه، ورحمة، وأنّ العالَم كلّه عبيد له: خلقهم وفضّل بعضهم على بعض، وأنّ له غضبا، وأنّ له خلفاء في الأرض من هذا النوع الإنسانيّ.

فعندما سمع ذلك، وعلِم أنّ ثَمّ خليفةً من نوعه؛ تشوَّف إلى تلك المرتبة أن ينالَها، ورأى[1] الطريق التي شرعها شارعُ وقته، وخاطبه بها، ورأى جميع ما كان يفعله صاحب تلك النفس التي فكّرت بنظرها، قد حرّضها هذا الشارع عليه، وحمِده، وقال به. فأخذ به هذا المؤمن من حيث أنّ هذا الشارع جاء به، وعلّق الهمّة بربّه الذي أوجده، لمّا أعلمه الشارع أنّه المنتهى، فقال له: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[2] و«ليس وراء الله مرمى» فجعله موضعَ غايته. وسلك سلوك المفكّر الباحث صاحب النظر العقليّ؛ لكن بالطريق الشرعيّ. فصفتْ نفسُه، وصقلتْ مِرآتُه، وانتقش فيها صورُ العالَم كلّه الروحانيّ. وإلى حدّ الطبيعة، التي دون النفس، يصل أهل الفكر. وما ينتقش فيهم، مما فوقها، إلّا مَن يكون سلوكه على الطريق المشروع.

فإذا وصل هذا السالك على طريق الشرع؛ انتقش فيه ما في اللوح المحفوظ؛ فيرى مرتبة الشرائع، ويرى نفسَه، وحظّه ونصيبه، وغايته من العالَم؛ فيعمل بحسب ما يراه؛ فيرتفع بالطلب إلى الوجه الخاصّ به. فيأخذ عن الحقّ أخذ إلهام، وأخذ تجلٍّ، وأخذ تنزيه، وأخذ تشبيه. ويعاين سَريان الوجود في الممكنات. ويعلم، عند ذلك، لمن[3] الحكم فيما ظهر، ومَن هو الظاهر الذي تظهر فيه هذه الأحكام والاختلافات الروحانيّة والطبيعيّة.

فإذا نطق هذان الشخصان؛ علِم الكاملُ من الرجال الفرقَ بين الشخصين، وعلِم من أين أُتِي على كلّ واحد منهما؟ ولماذا نقص السالك بفكره عن رتبة المتشرّع؟ فصاحبُ الفكر لا يزال أبدا منكوسَ الرأس، منتظرا ما يأتيه به الإمداد الروحانيّ. وصاحبُ الشرع لا يزال منكوسَ الرأس؛ حياءً من التجلّي الإلهيّ في أوقات. كما لا يزال شِبْه الحائر الواله المبهوت إذا رآه في كلّ شيء؛ فلا ينطق إلّا به، ولا ينظر إلّا إليه، ولا يعلم أنّ ثَمّ عينا سِوَاه.

١ ص ٢٦ب
٢ [النجم : ٤٢]
٣ ص ٢٧

فيطلبه الملأ الأعلى، والأرواح العلى، والأفلاك الدائرة المتحرّكة، والكواكب السابحة؛ لتوصل إليه ما أُمِّنَتْ عليه مما يستحقّه عليها؛ فلا تجد من يأخذ عنها بطريق الاختيار والأدب. فتؤدّي ذلك أداء ذاتيّا، ويأخذه منها ما بقي من نشأته أخذًا ذاتيّا، وهو غائب بربّه عن هذا كلّه. فإذا رُدَّ إلى رؤية ذاتِه؛ رأى في ذاته جميعَ ما أعطاه العالَم كلّه؛ أعلاه وأسفله، مما هو له، وهو أمانة عندهم. فشكر الله على ذلك، وعلِم أنّ كلّ ما في الكون مسخَّر له ولأمثاله، ولكن لا يعلمون.

فإذا[1] حصل في هذا المقام رأى أنّ الذين أوتوا العلم على درجات يزيدون بها على غيرهم من أمثالهم، ويرى أنّ أمثالَه بمثابته ولا علم لهم بذلك. فيفرح بذاته، ويحزن لهم؛ حيث هم في مقام واحد معه[2] ولا يشعرون بذلك، وأنّه ما فضل عليهم إلّا بالعلم: به، وبهم، وبما هو الأمر عليه. ولمّا ارتقى هذه الدرجات ارتقاء كَشْفٍ وتحقيقٍ ومعاينةٍ يقينيّة؛ طلب من أين له هذه الدرجات التي ارتقى فيها، واختصّ دون أكثر أمثاله بها؟ فتجلّى له الحقّ عند ذلك في اسمه: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾[3] وأنّه الملقي، من هذه الدرجات، الروحَ على مَن يشاءُ من عباده؛ فعلِم أنّه ممن شاء من عباده.

فقابل الدرجات بالدرجات؛ فإذا هي عينها، لا غيرها. ورأى تلك الدرجات في العالَم كلّه، وأنّه فيها؛ فأخذ يظهر للعالَم بها، والعالَم لا يشعر. فيخاطِب كلَّ إنسان من حيث "هو"، من درجته التي له، فيقول: هذا معي، وعلى مذهبي واعتقادي. فلا ينكره أحد من العالَم، ولا ينكر هو أحدًا من العالَم، مع لزوم الأدب الإلهيّ. ولا يلزم الأدب إلّا صاحب مقام. ومقامُ أن لا مقام؛ مقام. وأمّا صاحبُ الحال، فقد يظهر عليه من[4] هذا -لِنَقْصِه، ونزوله عن صاحب المقام- ما يؤدّي الناظر فيه إلى معرفته به.

١ ص ٢٧ب
٢ ق: "معهم" وصححت في الهامش بقلم الأصل
٣ [غافر : ١٥]
٤ ص ٢٨

فالكامل ينصبغ بكلّ صورة في العالَم، ويتستّر بما يقدر عليه. فإن كان ثَمّ مَن رآه في صورة قد اختلفتْ عليه، لأجل اختلاف الخلق؛ اعتقدَ فيه عدم التقييد الذي هو عليه هذا الناظر؛ فقال بكفره وزندقته. وما عَلِم من أين أُتِيَ عليه. فينبغي لصاحب هذا المقام أن لا يظهر لشخصين في صورة واحدة، كما لا يتجلّى الحقُّ لشخصين في صورة واحدة، أبدا؛ فإنّ الدرجات هي الدرجات.

فإنْ كَفَّره وزندقه مَن لم ير اختلاف الصور عليه؛ فذلك جهلٌ منه وحسدٌ[1]. فيكون ما ينسبه إليه على صورة ما ينسبه إلى الله -جلّ وعلا- من الصاحبة والولد والشريك، وما نَزَّه الحقّ نفسه عنه؛ فهذا لا يؤثّر في صاحب هذا المقام، بل هو على كماله. وذلك الواقعُ فيه من المفترين؛ فإنّه ما حكم عليه إلّا بما شاهده منه، ويقول بلسانه عنه ما يعلم خلافه في نفسه ظلما وعلوا، كما قال -تعالى-: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]. وكذلك[3] تكون عاقبة هذا. فدرجاتُ الحقّ ما هو العالَم عليه. وصاحب هذا المقام قد تميَّز فيها، حين ميَّزها؛ فهو الإله الظاهر والباطن، والأوّل في الوجود والآخر في الشهود، و"الله غنيّ عن العالمين" فلا يدخله تنكير، والإله يدخله التنكير؛ فيقال: "إله".

فاجعل بالك لما نبّهتك عليه، لتعلم الفُرقان بين قولك: "الله" وبين قولك: "إله" فكَثُرت الآلهة في العالَم لقبولها التنكير، والله واحد معروف لا يُجهل. أقرّتْ بذلك عبَدةُ الآلهة فقالت: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[4] وما قالت: "إلى إله كبير هو أكبر منها". ولهذا أنكروا ما جاء به ﷺ في القرآن والسنّة من أنّه إله واحد، من إطلاق "إله" عليه، وما أنكروا الله. ولو أنكروه، ما كانوا مشركين فيمن يشركون؛ إذا أنكروه. فما أشركوا إلّا بالإله، لا بالله، فافهم. فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[5] وما قالوا: "أجعل الآلهة الله" فإنّ الله ليس

١ ق: "من حسد" وعدلت في الهامش مع إشارة التصويب
٢ [النمل : ١٤]
٣ ص ٢٨ب
٤ [الزمر : ٣]
٥ [ص : ٥]

هو عند المشركين بالجعْل، وعصم اللهُ هذا اللفظَ أن يُطلَق على أحد، وما عصمَ إطلاق "إله".

ولقد رأيت لبعض أهل الفكر[1] في كتاب سمّاه "المدينة الفاضلة[2]" رأيته بيد شخص بمرشانة الزيتون، ولم أكن رأيته قبل ذلك. فأخذته من يده، وفتحته لأرى ما فيه. فأوّل شيء وقعت عيني عليه قوله: "وأنا أريد في هذا الفصل أن ننظر كيف نضع إلها في العالم، ولم يقل الله" فتعجّبتُ من ذلك، ورميتُ بالكتاب إلى صاحبه. وإلى هذا الوقت ما وقفتُ على ذلك الكتاب. فمن كان ذا بصيرة وتَنَبُّهٍ، فليتفطّن لما ذكرناه؛ فإنّه من أنفع الأدوية لهذه العلّة المهلكة.

فاسم الإله من الدرجات المذكورة؛ فلا بدّ منه؛ إذ لا بدّ من الدرجات. ومن هذا الباب قول السامريّ: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾[3] في العجل. ولم يقل: "هذا الله الذي يدعوكم إليه موسى"، وقول فرعون: ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾[4] ولم يقل: "إلى الله الذي يدعو إليه موسى" عليه السلام وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[5]. فما أحسن هذا التحرّي؛ لتعلم أنّ فرعون كان عنده علم بالله، لكن الرئاسة وحبّها غلب عليه في دنياه؛ فإنّه قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ﴾ ولم يقل: "ما علمت للعالَم" لمّا علم أنّ قومه يعتقدون فيه أنّه إلهٌ لهم، فأخبر بما هو عليه الأمر، وصدق في إخباره بذلك؛ فإنّه علم أنّه ليس في علمهم أنّ لهم إلها غير فرعون[6].

ولمّا كان في نفس الأمر أنّ ثَمّ درجات منسوبة إلى الله بالرفعة، بكونه رفيع الدرجات، فكثّر لاختلافِ صور التجلّي. لهذا نطق السامريّ بقوله: ﴿وَإِلَهُ مُوسَى﴾ فإنّ التجلّي الإلهيّ لا يكون إلّا للإله وللربّ، لا يكون لله أبدا؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[7]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[8] وهو -سبحانه- لا يتجلّى لشخصٍ في صورةٍ واحدة مرّتين، ولا لشخصين في صورة واحدة؛ فلهذا قال: ﴿وَإِلَهُ مُوسَى﴾ فإنّ تجلّيَهُ للأنبياء مختلف

١ س، هـ: الكفر
٢ ص ٢٩، والكاتب المقصود هو الفيلسوف أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)
٣ [طه : ٨٨]
٤ [القصص : ٣٨]
٥ [القصص : ٣٨]
٦ ص ٢٩ب
٧ [الممتحنة : ٦]
٨ [الإخلاص : ١ - ٤]

الصور، أحديُّ الحكم؛ بأنّه الإله في أيّ صورة تجلّى. ألا تراه في القيامة إذا تجلّى يُنكَر ويُعرَف باختلاف الصور؟.

فإن قلت: فقد رجع إلى الصورة حين أُنكِر حتى يُعرَف؟. فقلنا: لو علمتَ قوله: «هل بينكم وبينه علامة» فتلك العلامة هي الدليل لهم؛ حيثما رأوها عليه أنّه ربّهم؛ فسمِّيت صورةً تلك العلامة؛ إذ كلُّ معلوم ينطلق عليه اسم الصورة. فبالعلامة عرفوه، لا أنّه كرّر عليهم الصورة، وإنما كانت[1] تلك صورة العلامة. فدرجات الحقّ ليست لها نهاية؛ لأنّ التجلّي فيها. وليس له نهاية؛ فإنّ بقاء[2] العالَم ليس له نهاية؛ فالدرجات ليست لها نهاية في[3] الطرفين، أعني الأزل والأبد اللذين ظهرا بالحال، وهو العالَم. فلو زال العالَم لم يتميّز أزلٌ من أبدٍ، كما هو الأمر عليه في نفسه. فما ثَمّ بَدْءٌ في حقّ الحقّ. وبقي البَدْءُ في حقّه؛ درجة من درجاته التي ارتفع بها عن مناسبة العالَم. ودرجاتُ العالَم، التي هي عين درجاته، لا يتناهى أبدها[4]. وإن كان نزل العالم في درجةٍ منها، فتلك الدرجة هي بَدْءٌ للعالَم، لا أنّ الدرجات لها ابتداء؛ بل ظهور العالَم فيها له ابتداء.

واعلم أنّ الحقّ، من حيث ما تميّز عن الخلق، كان برزخا بين الدرجاتِ وبين الدركاتِ. فإنّه وَصَفَ نفسَه بأنّ له يدين. وما بين اليدين (هو) برزخٌ. فما كان على اليمين هو درجات الجنّة لأهلها، وما كان على اليد الأخرى دركات النار لأهلها؛ فنسبة السُّفل إليه نِسبة العلوّ لأنّه مع العباد أينما كانوا: فهو معهم في درجاتهم، وهو معهم في دركاتهم كما يليق بجلاله.

واعلم أنّه من الدرجات: درجة المغفرة. وهما درجتان: الواحدة ستر المذنبين عن أن تصيبهم عقوبة ذنوبهم، والدرجة الأخرى سترتهم عن أن تصيبهم الذنوب؛ وهذا الستر هو ستر العصمة. فقال في الستر الواحد من المغفرة: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[5] وقال[1] في الستر الآخر من المغفرة:

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ثابتة تحت السطر
٣ ص ٣٠
٤ كتب فوقها: "صح" وفي الهامش "أمدها" مع إشارة التصويب
٥ [غافر : ٧]

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾[2] وما ثَمّ للمغفرة ستر آخر. فالستر الحائل بين المذنب والعذاب: ستر كرم، وعفو، وصفح، وتجاوز. والستر الحائل بين العبد والذنب: ستر عناية إلهيّة، واختصاص، وعصمة؛ يوجب ذلك: خوفٌ أو رجاءٌ، أو حياءٌ. كما جاء في صهيب: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يَعْصِهِ» فسبب عصمته من وجود المعصية: خوفه، ولو لم يكن الخوف لمنعه الحياء من الله أن يجري عليه لسان ما يسمّى ذنبا، في حقّ مَن كان. ولو لم يكن ذنبا في حقّه؛ لكونه ما أُقيم إلّا فيما أُبيح له؛ وهذه غاية العناية والعصمة[3] من التصرّف في المباح.

وأعظم المعاصي ما يميت القلب، ولا يموت إلّا بعدم العلم بالله، وهو المسمّى: بالجهل. لأنّه البيت الذي اصطفاه الله من هذه النشأة الإنسانيّة لنفسه، فغصَبَهُ فيه هذا الغاصِب، وحال بينه وبين مالِكه؛ فكان أظلَمَ الناس لنفسه؛ لأنّه حرمها الخير الذي يعود عليها من صاحب هذا البيت لو تركه له. فهذا حرمان الجهل.

غير أنّ هنا نكتةً ينبغي التنبيه عليها. وذلك أنّ صاحب القلب[4] الذي يرى أنّه وسع القلب ربّه دون سائر نشأته، ينزل عن درجة مَن يرى أنّ الحقَّ عينُ نشأته من غير تخصيص؛ إذ كان الحقُّ سمعَه، وبصرَه، وجميعَ قواه؛ فما اختصّ منه بشيء دون شيء. فصاحب القلب مراقب قلبَهُ، وصاحب الحالة الأخرى يحكم بربّه على كلّ شيء استتر فيه ربُّه عن ذلك الشيء، وهو مشهودٌ لصاحب هذه الصفة في ذلك الستر؛ فيعامله بما يوحي إليه به. فإن أوحى إليه بالكشف عنه اعتناءً من الحقّ بهذا المستور عنه؛ كشفه له، وأعرب له عن نفسه، وعرّفه ما هو الحقّ منه. وإن أوحى إليه بإبقاء الستر عليه؛ أبقاه ولم يُظهِر له شيئا، مما هو في نفسه عليه هذا المستور. فيحكم صاحب هذه الصفة على صاحب القلب، ولا يحكم عليه صاحبُ القلب؛ لشغله بحراسة قلبه الذي هو بيت ربّه؛ لئلّا يدخل فيه غير ربّه؛ فإنّه الحفيظ البوّاب. فإذا فهمتَ هذا فانظر أيُّ الرَّجُلَين تكون.

١ ص ٣٠ب
٢ [غافر : ٩]
٣ هناك تصرف في حرف الواو في ق ربما قصد منه شطبه، وأبقيناه هنا وفقا لـ هـ، س
٤ ص ٣١

ولهذا أهل المراقبة لا يزالون في الحجاب عن التصرُّف في الكون، وهم أهل الحدود في الله. فإذا ارتفعوا عن مراقبة قلوبهم فهو أعظم الحجب، وإذا تعدَّوا في مراقبة قلوبهم مراقبة العالَم بأسره اتّسع عليهم المجال، ولكن[1] ما لهم حكم صاحب ذلك الوصف الذي ذكرناه. فإنّهم مراقبون إيّاه لكونه مراقِبا إيّاهم؛ لأنّه على كلّ شيء رقيب. فقابلوا الحفظ بالحفظ، مقابلة الأمثال بالملازمة والمطابقة. فكما راقبهم بعينه، راقبه هذا المراقب بعينه أيضا.

ومَن كان حقّا كلّه، في نفسه وفي العالَم، خرج عن صفة المراقبة؛ فإنّها مقام سلوك ومَحجّة. فإذا سلكتَ فيه به، ومنه إليه؛ لم يكن ثَمّ مَن يُراقَب، إذ لا خوف في ذلك الطريق من مانع يمنع السالك فيه؛ فهو سلوكٌ لا مراقبة فيه.

ويتضمّن هذا المنزلُ من العلوم:

عِلْمَ إسبال الستور، وعلى من تُسْبَل؟ فقد يُسبِل الستر على جهة التعظيم كالحجاب، والستر الذي وراءه الملِك أو المخدرة. ويسبل الستر أيضا دون مَن لا يُرْتَضى للكشف لما وراء الستر. وقد تُسبل الأستار رحمة بمن تُسبل دونهم؛ كالحجب الإلهيّة بين العالَم وبين الله؛ إبقاءً عليهم لئلّا تحرقهم السبحات الوجهيّة. فيتضمّن عِلْمَ لماذا تُسدل؟ وعلى مَن تُسدل؟

وفيه عِلْمُ صور تركيب الكلام الإلهيّ مع أحديّته؛ من أين قَبِل التركيب، وما هو إلّا واحد العين؟ ليفرّق الإنسانُ العالِمُ بين حقيقة الكلام، وبين ما يُتكلّم به من له صفة الكلام؛ فيعلم[2] أنّ التركيب (هو) فيما يتكلّم به، لا في الكلام. وعِلْمُ هذا النوع من المعلومات علم عزيز، لا يختصّ به إلّا العلماء بالله، الذين سمعوا كلام الله في أعيان الممكنات.

وفيه عِلْمُ القابل، والمقبول، والمقبول منه، والقبول، الذي هو نعت القابل؛ هل يتنوّع القبول لتنوّع القابل؟ أو لا أثر للقابل فيه؟

وفيه عِلْمُ الحدود الإلهيّة؛ لماذا (=إلى ماذا) ترجع: هل إليه في ذاته؟ أو إلى الله؟ أو إلى الممكنات التي هي العالَم؟

---

١ ص ٣١ب
٢ ص ٣٢

وفيه عِلْمُ صفات المنازِعين الذين يعلمون الحقَّ فيسترونه، مثل الفقهاء الذين يلتزمون مذهبا لا يعتقدون صحّته، فيناظِرون عليه مع عِلمهم ببطلانه. والخصم الذي يكون في مقابلته، يأتي بالحقّ على بطلانه، ويعلم هذا الآخر أنّ الحقّ بيد صاحبه؛ فيردّه ويظهر الباطل في صورة الحقّ على علمٍ منه. فهل يستوي هو ومَن يظنّ في الباطل أنّه حقّ، فيذبّ عنه لكونه عنده أنّه حقّ؟ وما حكم هؤلاء عند الله يوم القيامة؟ وهل لهم مستنَد إلهيّ أم لا؟

وفيه عِلْمُ الفَرق بين الإنكار، والجحد، والكذب. وهل هذا كلّه أمر عدميٌّ، أو وجوديٌّ؟ فإن كان وجوديّا؛ ففي أيّ مرتبة هو من مراتب الوجود: هل[1] يعمُّها كلّها؟ أو هو في بعضها؟ وكذلك إن كان عدميّا؛ في أيّ مرتبة هو من مراتب العدم: هل هو في مرتبة العدم الذي لا يقبل الوجود؟ وهل ثَمّ للعدم مرتبة لا يقبل الوجود بنسبة مّا؟ أو ما ثَمّ عدم إلّا ويقبل نسبة إلى مرتبة وجوديّة؟ أو هو في مرتبة العدم الذي يقبل المنعوتُ به الوجودَ، وهو العدم الممكن؟

وفيه عِلْمُ همّ الأضعف بالأقوى بالسُّوء؛ هل هو عن قوّة حقيقيّة؟ فما هو أضعف! أو هل هو عن قوّة متوهَّمة؟ فهو في نفس الأمر أضعف ولا يعلم، فما الذي يحجبه عن ضعفه؟

وفيه عِلْمُ مَن جهل قدر الأمور وما تستحقّه؛ ما السبب الذي جعله يجهل ذلك حتى ظهر منه ما لا ينبغي في ما لا ينبغي؟

وفيه عِلْمُ مراتب الملائكة فيما يذكرون العالم به عند الله، إذ لهم القرب الإلهيّ، وهم الوسائط بين الله وبين خلقه، وهم في الوسط في شهادة التوحيد في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[2].

وفيه عِلْمُ المفاضلة في كلّ شيء بين الله وبين خلقه.

وفيه عِلْمُ ما ينتجه الاعتراف بالحقّ عند الله.

وفيه عِلْمُ الحكم بالاختيار[3]: هل يقدح في العدل أم لا؟

وفيه عِلْمُ الفَرق بين مَن عِلم الشيء عن جهل، وبين من علمه عن نسيان. وما صفة أهل

---

١ ص ٣٢ب
٢ [آل عمران : ١٨]
٣ ص ٣٣

التذكّر من صفة غيرهم؟.

وفيه عِلْمُ الإخلاص؛ ممن؟ أو في حقّ مَن؟.

وفيه عِلْمُ ما يكرَه، وما يُحَبّ. وهل عين ما يكرهه زيد هو عين ما يحبّه عمرو، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ما ينفرد به الحقّ دون الخلق: هل يُعلم ذلك، أم لا؟ وهل يمكن الوصول إليه بعناية إلهيّة مِن تعريف، أم لا؟ وما المانع إن امتنع ذلك؟

وفيه عِلْمُ منزلة الإمام العادل ومرتبته.

وفيه عِلْمُ أحوال المحجوبين عن الله بالظلمة دون النور، وعِلْمُ المحجوبين عن الله بالنور دون الظلمة، وعِلْمُ المحجوبين عن الله بالنور والظلمة معًا. وهل هذه الحجب حجب رحمة بالمحجوبين؟ أو حجب بُعْدٍ؟

وفيه عِلْمُ ما يتوجّه على الأعضاء من التكاليف.

وفيه عِلْمُ الاعتبار والتفكّر.

وفيه عِلْمُ تأييد أهل العناية الإلهيّة؛ بماذا يؤيّدهم؟ وفي أيّ موطن يؤيّدهم؟ وما السبب الموجب لتسليط أعدائهم عليهم، وتمكّنهم منهم؟ ولماذا (=وإلى ماذا) استند المعتدي عليهم: هل يستند لأمرٍ وجوديّ إلهي؟ أو لأمر وجودي نفسيّ؟

وفيه عِلْمُ ما أنت إذا رأيته قلتَ فيه: إنّه[1] حقٌّ، ثمّ تقول فيه: إنّه باطلٌ، ثم تقول فيه: إنّه باطلٌ حقٌّ، ثمّ تقول فيه: إنّه لا باطل ولا حق، ثمّ تقول فيه: لا أدري ما هو؟ فعوده إلى الجهل به؛ هل هو عين العلم بذلك الأمر؟ أو يمكن الوصول إلى العلم به، ولكن هذا ما وصل؛ فنطق بنعته، لا بنعت ما تكلّم فيه؟

وفيه عِلْمُ الإنصاف من غير تعصُّب؛ وما حضرته؟ وتسكين الغضب من الغاضب بلطف من المسكِّن، لا بقهر؛ فإنّ القهر لا يسكِّن الغضب، وإنما يخفي حكمه لسلطان القهر عليه.

وفيه عِلْمُ إحاطة الملائكة بالعالَم يوم يُصفُّون، وهم اليوم على تلك الصورة. وعِلْمُ الفرق بين

١ ص ٣٣ب

حكمهم فينا اليوم، وبين حكمهم في ذلك اليوم، والصفة واحدة من الإحاطة، ولماذا ينادي هناك بعضُهم بعضا، وهنا ليس كذلك إلّا في مواطن مخصوصة؟ لأنّ القيامة على صورة الدنيا سَواء.

غير أنّ الحاكم هنالك هو الواحد بارتفاع الوسائط، وهنا هو الحاكم الواحد بعينه لكن بالوسائط، ليفرّق بين الدارين كما فرّق بالجنّة والنار بين القبضتين.

وفيه عِلْمُ مَن تحكّم على الله: من أين تحكّم؟ وما الذي أجراه على ذلك: هل صفة حقّ، أو صفة جهل[1]؟

وفيه عِلْمُ العناية الإلهيّة بالجبّارين المتكبّرين.

وفيه عِلْمُ ما عصم الله من الأسماء الإلهيّة: لماذا عصمه؟ وما لم يعصمه من الأسماء الإلهيّة كاسمه "الأحد"، ولا يتجلّى في هذا الاسم ولا يصحّ التجلّي فيه، ولا في الاسم "الله"، وما عدا هذين الاسمين من الأسماء المعلومات لنا فإنّ التجلّي يقع فيها.

وفيه عِلْمُ الحركة في عين السكون.

وفيه عِلْمُ الاشتراك بين المؤمن والعالِم؛ في أيّ حضرة يكون ذلك؟ وبماذا يتميّزون؟ وهل ينال المؤمن درجة العالِم؛ وما يقبله من جهة الخبر الصادق؛ هل يلحق بذلك درجة العلماء، أم لا؟ وهل الدليل على تصديق الرسل، في ادّعائهم أنّهم رسل، ينسحب في الدلالة على ما جاءوا به من الأخبار والأحكام؟ أو يفتقرون إلى دليل آخر؟ أو يكونون علماء مع كونهم مقلّدين؟

وفيه عِلْمُ الدور في كون الداعي يكون مدعوّا لمن دعاه بحكم التعارض.

وفيه عِلْمُ حكم طلب النجاة في العالَم كلّه بالطبع، ولكن تجهل. ومَن هو الصنف الذي يعلمها من العالَم؟ وما هي النجاة؟

وفيه عِلْمُ علامة كلّ داعٍ، وما يدعو إليه من الأسماء الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ الوقت الذي يُلقي الإنسان فيه ما في يده، ولا يعتمد[2] عليه، ويُسلّم إلى الله جميع أموره.

١ ص ٣٤
٢ ص ٣٤ب

وفيه عِلْمُ الجُنَن، وإعادة السهام على راميها. وقد عاينتُ هذا النّبال، بمدينة تلمسان، من عالِمٍ بصنعة الرمي وإنشاء القِسيّ والنبال؛ فرأيته يرمي بالسهم؛ فإذا انتهى السهم إلى مرماه عاد إلى الرامي وحدَه؛ فكان ذلك لي عبرة في كون الأعمال ترجع على عامليها.

وفيه عِلْمُ ما يتنزّل منزلة الزمان وليس بزمان.

وفيه عِلْمُ التنازع بعد حكم الحاكم؛ وما سببه؟ إذ لا أثر له في ردّ الحكم.

وفيه عِلْمُ مراتب الشهود من الحاكم، وترك الحاكم حكمه بما يعلم، ويحكم بقول الشهود. ما سبب وضع ذلك في العالَم؟ ولكن ليس ذلك عندنا إلّا في الأموال، لا في النفوس، ولا في إقامة الحدود.

وفيه عِلْمُ ما لا يجوز تأخيره لمسيس الحاجة إليه. وما فائدة البيان الذي وضع لحصول العلم، ويترك الحكم به؟ وفي أيّ النوازل يكون ذلك؟ ومَن هو على الصواب في هذه المسألة: هل مَن يقول إنّه يحكم بعلمه؟ أو المخالف؟ وعندي، في هذه المسألة[1]، لو كنتُ عالما بأمرٍ مّا وشهد الشهود بخلاف علمي، ولا يجوز لي أن أحكم بعلمي إذا كنت ممن يقول بذلك، استَنَبْتُ في الحكم مَن لا عِلم له بالأمر، وتركت الحكم فيه. وهذا هو الوجه الصحيح عندي، والذي أعمل به، وإن كان في النفس منه شيء. وهذا عندي في[2] الحكم في الأموال.

وأمّا الحكم في الأبدان، فلا أحكم إلّا بعلمي إذا علمتُ البراءة. فإن لم تكن البراءة، وعلمتُ صدق المفتري، حكمتُ بالشهود وتركتُ علمي. وعِلْمُ سبب هذا الذي ذهبت إليه، يتضمّنه هذا المنزل.

وفيه عِلْمُ ما يفضل به العالَم على الإنسان، وهو أنّ له عليه ولادة.

وفيه عِلْمُ مسمّى الساعة.

وفيه عِلْمُ هل يصحّ التكبُّر مِن العالَم على الله، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ما تطلبه الأشياء من الأمور طلبًا ذاتيًا: هل يصحّ فيه خرق العادة، فيكون

---

١ "هل من.. المسألة" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٢ ص ٣٥

بالجعل، أم لا يصحّ؟ وإن انخرقتْ فيه العادة؛ فما محلُّ خرق العادة: هل في الطالب؛ فيتبعه ما كانت تقتضيه ذاته، أم لا؟

وفيه عِلْمُ حضرة تقرير النِّعم على المنعَم عليه؛ ما يكون من ذلك على جهة التعليم؟ أو على جحده لذلك؟.

وفيه عِلْمُ أصل حياة العالم الحسّيّة والمعنويّة؛ هل ترجع إلى أصل واحد، أم لا؟ وهل في الطبيعة حياة حتى تعطي الحياة الحسّيّة، أم لا؟

وفيه عِلْمُ النشأة الإنسانيّة الدنياويّة، وأحوالها في مدّة بقائها في هذه الدار، وما يؤول إليه أمرُها من حيث جسميّتها بعد الموت.

وفيه عِلْمُ الموت والحياة؛ هل ذلك نسبة؟ أو عين موجودة تظهَر في مواطنَ مختلفة؟ وحكم[1] المميت؛ هل يُميت بموت؛ فيكون نِسبا؟ أو يُميت فقط؟ وكذلك الحياة. فيكون عين الميّت عين الموت بحكم المميت.

وفيه عِلْمُ القضاء وفصله عن القدر.

وفيه عِلْمُ كون الآية التي يأتي بها الرسول ليست بشرط، ولا يجب عليه الإتيان بها.

وفيه عِلْمُ مراعاة الله عبادَه مع سوء أدبهم مع الله.

وفيه عِلْمُ عموم نفع الإيمان في الآخرة. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

---

١ ص ٣٥ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الخامس والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرّ الإخلاص في الدِّين
وما هو الدِّين، ولماذا سمّي الشرع دينا، وقول النبيّ ﷺ: «الخير عادة»

لِكُلِّ شَخْصٍ مِنَ القُرآنِ سُورَتُهُ ... وَسُورَتِي مِنْ كِتَابِ اللهِ "تَنْزِيْلُ"[1]
أَتَى بِهَا المَلَأُ العُلْوِيُّ يَقْدُمُهُ ... عِنْدَ التَّنَزُّلِ مِيْكَالٌ وجِبْرِيلُ
أَتَى بِهَا تَنْثَنِي لِيْنًا مَعَاطِفُهَا ... وفِي جَوَانِبِهَا هَدْيٌ وتَضْلِيْلُ
إِذا[2] نَظَرْتَ تَرَى فِي آيِهَا عَجَبًا ... نَارٌ وَنُورٌ وَتَنْزِيْهٌ وتَمْثِيْلُ
بِكْرُ النَّوَاظِرِ فِي أَجْفَانِهَا دَعَجٌ ... لَمْ يَفْتَرِعْ طَرْفَهَا بِكُحْلِهِ المِيْلُ

تجلّت لنا هذه السورة بمدينة حلب. وقيل لي لمّا رأيتها: "هذه سورة لم يطمثها إنس ولا جانّ". فرأيت لها ومنها مَيلا عظيما إلى جانبي. وقد مُثِّلَتْ لي في شبه هذا المنزل الذي كنت دخلته قبل ذلك. ثمّ قيل لي: "هي[3] خالصة لك من دون المؤمنين". فلمّا قيل لي ذلك فهمتُ الإشارة، وعلمتُ أنّها ذاتي وعين صورتي، لا غيري. فإنّه ما لموجود شيء مخلَص له ليس لغيره، قديمه وحديثه، إلّا ذاته خاصّة. فقلت: ها أنا ذا. فعلمتُ عند ذلك معنى التخليص، وعلمت ما تُلي عليّ فيما أُنزل عليّ من القرآن عند التلاوة.

وذلك أنّه لمّا نزل الإلهام بتلاوة سورة "الإخلاص" رُزقت عين الفهم في تسميتها بهذا الاسم دون غيرها من السور؛ فإنّها كلّها نَسَبُ الله وصفته، وهي عين مجموع العالَم. ففهمتُ الإشارة بها في أنّ العالَم، مع كونه هو الحقّ المبين، من حيث مجموعه لا من حيث جزء جزء منه؛ فتخلّص النَّسَبُ لله[4] من حيث ذاته؛ فهذا المجموع هو في الحقّ عينٌ واحدة، وهو في العالم عين الحقّ

١ هي سورة الزمر
٢ ص ٣٦
٣ ق: "هذه" وفوقها مباشرة بقلم الأصل: "هي"
٤ ص ٣٦ب

المبين.

قالت طائفة من الأمّة اليهوديّة (لمحمد -ص-): «أنسب لنا ربّك؟» فنسبه لمجموع العالَم بما نزل عليه من الله -تعالى- في ذلك. فقيل له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] فنعته بالأحديّة. ولكلّ جزءٍ من العالم أحديّة تخصُّه لا يُشارك فيها، بها يتميّز ويتعيّن عن كلّ ما سِوَاه، مع ما له من صفات الاشتراك. ثمّ قيل له: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[2] وهو الذي يُصمد إليه في الأمور أي يُلجأ. والأسباب الموضوعة كلّها في العالم[3] يُلجأ إليها، ولهذا سُمّيت أسبابا لتوصّل مسبَّباتها إلى الصمد الأوّل الذي إليه تلجأ الأسباب. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وهو العقيم الذي لا يولد له[4]. وبهذه الصفة نعت الريح العقيم؛ لأنّه من الرياح ما هي لواقح. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[5] آدم ﷺ فإنّ الولادة معلومة عند السائلين؛ فخوطبوا بما هو معلوم عندهم. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[6] أراد بالكفؤ هنا: الصاحبة، لأجل ما قال مَن قال: إنّ ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[7] و﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[8] والكفاءة (هي) المِثل، والمرأة لا تماثل الرجل أبدا؛ فإنّ الله يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[9] فليست له بكفؤ. فإنّ المنفعل ما هو كفؤٌ لفاعله؛ والعالَم منفعل عن الله؛ فما هو كفؤ لله. وحوّاء منفعلة[10] عن آدم، فله عليها درجة الفاعليّة؛ فليست له بكفؤ من هذا الوجه.

ولمّا قال إنّه ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ لم يجعل عيسى ﷺ منفعلا عن مريم، حتى لا يكون الرجل منفعلا عن المرأة، كما كانت حوّاء عن آدم. ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ جبريل أو الملَك ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾[11] وقال لها: ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[12] فوهبها عيسى ﷺ فكان انفعال

١ [الإخلاص : ١]
٢ [الإخلاص : ٢]
٣"في العالم" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٤ ق: "يولده" وفي الهامش "يولد له" مع إشارة التصويب
٥ [الإخلاص : ٣]
٦ [الإخلاص : ٤]
٧ [التوبة : ٣٠]
٨ [التوبة : ٣٠]
٩ [البقرة : ٢٢٨]
١٠ ص ٣٧
١١ [مريم : ١٧]
١٢ [مريم : ١٩]

عيسى عن الملَك الممثَّل في صورة الرجل؛ ولذلك خرج على صورة أبيه: ذَكَرًا، بشرًا، روحًا؛ لجمع بين الصورتين اللتين كان عليها أبوه، الذي هو الملَك. فإنّه روحٌ من حيث عينه، بشرٌ من حيث تمثّله في صورة البشر. فسمّى هذه السورة: "سورة الإخلاص" أي خَلَّص الحقَّ للعالَم من التنزيه الذي يُبرهِن عليه العقلُ، وخَلَّصه من العالَم بمجموع هذه الصفات في عين واحدة. وهي، هذه الصفات، مفرّقةٌ في العالَم لا يجمعها عينٌ واحد. فإنّ آدم عليه السلام أكملُ صورة ظهرتْ في العالَم، ومع هذا نقصه ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فإنّه أحد صمد ﴿لَمْ يُولَدْ﴾ ولم تكن له حوّاء كفوًا. فخلّصت هذه السورة الحقَّ من التشبيه، كما خلّصته من التنزيه.

فإذا فهمتَ ما أشرنا إليه، فاعلم[1] أنّ سِرَّ الإخلاص هو سِرُّ القدر الذي أخفى الله عِلمه عن العالَم، لا بل عن أكثر العالَم؛ فميَّز الأشياء بحدودها. فهذا معنى سِرُّ القدر، فإنّه التوقيت عينه، وبه تميّزت الأشياء، وبه تميّز الخالق من المخلوق، والمحدَث من القديم. فتميّز المحدَث بنعتٍ ثابتٍ يُعلم ويُشهد، وما تميّز القديم من المحدَث بنعتٍ ثبوتيّ يُعلم، بل تميّز بسلب ما تميّز به المحدَث عنه لا غير. فهو المعلوم -سبحانه-، المجهول. فلا يُعلم إلّا هو، ولا يُجهل إلّا هو. فسبحان من كان العلمُ به عينَ الجهل به، وكان الجهلُ به عينَ العلم به. وأعظم من هذا التمييز لا يكون، ولا أوضح منه لمن عقل واستبصر.

وأمّا الإخلاص في الدين فهو الجزاء الوفاق، فما ثَمّ إلّا جزاء وفاق؛ لا ينقص ولا يزيد؛ فإنّ الله جعله جزاء وفاقا، إنباء عن حقيقة؛ لأنّ المجازى لا يمكن أن يَقبل ما لا يعطيه استعداده، وباستعداده قَبِل ما ظهر عليه من الدين الذي يطلب الجزاء، فبه[2] بعينه، أعني الاستعدادُ قَبل الجزاء؛ فكان الجزاء وفاقا. والجزاء ما هو إلّا للعمل، ولا يأخذه العامل إلّا مِن عَمَلِه. ولهذا قيل: «إنّ في الجنّة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» وهو الصحيح. فإنّه يَصْدر من العاملين عملٌ[3] من غير قصد ما رأته عينه، ولا سمعته أذنُه، ولا خطر على قلبه؛ إلّا

١ ص ٣٧ب
٢ س، ه: فيه
٣ ص ٣٨

عندما ظهر منه؛ رأته عينه عند ذلك وخطر له، كما يرى ما في الجنّة مما لم يره في الدنيا، ولا سمع به، ولا خطر على قلبه. فذلك هو الجزاء الوفاق لهذا النوع من العمل.

وهذا العمل هو من قوله -تعالى-: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] فأظهره في منزل لا يعلمه من جهة فكره، ولا رأته عينُه، ولا سمِعَتْهُ أذنُه؛ أنّه يقام فيه. فيكون جزاؤه ما ذكره «في الجنّة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» فخلص الجزاء لهذا العمل بصفة الوفاق. وهذا من سِرّ القدر.

ولمّا كان الدّين هو عمل الخير، والدّين (هو) العادة، وذكر عليه السلام: أنّ «الخير عادة» وهذا الذِّكر بشارة من عالِمٍ بالأمور، وهو الرسول ﷺ، لأنّ النفس خيّرة بالذات، وما تقبل الشرّ إلّا لجاجة من[2] القرين بما يلج عليها به؛ فلم يجعل الشرّ من ذاتها، فقال ﷺ: «الخير عادة، والشرّ لجاجة».

ولمّا ألَحّ القرينُ على النفس، ولَجَّ بالشرّ الذي هو عين مخالفة أمر الله ونهيه، وضاقت مَنافِسها من هذا الإلحاح واللجاج؛ أوحى الله إليها، بل كلّمها من الوجه الخاصّ الذي لا يعرفه الملَك، بأن تقبل منه ما ألَحّ عليها به مِن الشرّ. فرأى[3] الحقُّ فيها استيحاشا وخوفا من المكر الإلهيّ؛ فأشهدَها حضرة التبديل، وأشهدها مآل المكلّفين إلى الرحمة، وتلا عليها: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[4] وتلا عليها في المسرفين: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[5] فأزال وحشتها، وقَبِلَتْ من القرين الشرّ الذي جاء به إليها. فسُرَّ بما وقع منها من القبول، بجهله لعموم الرحمة، وعموم العفو والمغفرة، وأنّ الله ما جعل العفو إلّا لهذا الصنف الذي يتلقّى من الشيطان القرين ما جاء به من الشرّ، وما علِم أنّ الله قد جعل النفسَ في قبولها شرّ القرين باللجاج والإلحاح منزلة المكره، والمكره غير مؤاخَذ. فسمّى الشرّ لجاجةً، بشارةً إلهيّة لا

١ [الواقعة : ٦١]
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب
٣ ص ٣٨ب
٤ [الفرقان : ٧٠]
٥ [الزمر : ٥٣]

يَشعر بها كلّ أحد، وجعل الخير عادة.

فإنّ النفس بالذات خيّرة؛ لأنّ أباها (هو) الروح القدسيّ الطاهر؛ فطبعها الخير لا غيره. وأمّا هذه الصورة المسوّاة من هذه الأخلاط. فأوّل قُبول ظهر فيها قبول السَّواء والعدَل، وهو قوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[1] وقبولُ العدَل عينُ الخير، وقبِلتْ، بالأصالة، هذه النشأةُ مجاوَرةَ الأضداد؛ وهي الأخلاط. ومِن عادة الضدِّ المنافرة عن ضدِّه، ولم يوجد هنا تنافُر، فدَلّ على خيريّة[2] الأصل؛ ثمّ قبولها، بعد التعديل والتسوية، لنفخ الروح القدسيّ. فكان أوّل قبول قَبِلَتْهُ على ما زاد على نشأتها هذا الروح الخيِّر الطاهر المطهّر؛ فلهذا كان الخير لها عادةً بالطبع الذي طُبِعت عليه. ولهذا ترجع في المآلِ إلى أصلها؛ فإنّ الأصل منها (هو) ما ذكرناه من قبول الخير. فتلحقها الرحمةُ في المآل، كما كان وجودُها عينَ الرحمة. فختم الأمر بما بدأ؛ والخاتمة عينُ السابقة.

وممّا يؤيّد ما ذكرناه أنّ أوّل نشأة إنسانيّة، التي كانت أصل النشآت الإنسانيّة، كانت في غاية التقديس، وأوج الشرف؛ بكونها مخلوقة على الصورة الإلهيّة؛ فلم يظهر عنها إلّا المناسِب. وكما كان المناسب لها، مع وجود المخالَفة التي تعطيها حقائق الأسماء الإلهيّة المقابلة، لا يتطرّق إليها -لمخالفة بعضها بعضا- لسانُ ذَمّ، كذلك ما ظهر من المخالفة في هذه النشأة الإنسانيّة، لا يتطرّق إليها في المآل تَسرمُد عذاب؛ فإنّ الأصل يحميها من ذلك، وهو الصورة. فكانت مجبورةً في مخالفتها، فلا بدّ من المخالفة. لأنّه لا بدّ من تقابل الأسماء في الذي خُلِقَتْ على صورته. فالنافع ما هو الضارّ، ولا المعطي هو المانع. ولا[3] بدّ من[4] ظهور هذه الحقائق في هذه النشأة، حتى يصحّ كمالُ الصورة.

فالطائع يقابل العاصي، والمشرك يقابل الموحِّد، والمعطِّل يقابل المثبِت، والموافق يقابل المخالف، من إمداد الأسماء الإلهيّة، وهو قوله: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يعني

١ [الإنفطار : ٧]
٢ ص ٣٩
٣ ص ٣٩ب
٤ ثابتة فوق السطر بقلم الأصل مع إشارة التصويب

الطائع والعاصي، وأهل الخير والشرّ ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[1] أي ممنوعا؛ لأنّه يعطي لذاته، والمَحالُّ القوابلُ تَقبل باستعدادها، واستعدادُها أثرُ الأسماء الإلهيّة فيها. ومن الأسماء الإلهيّة الموافقُ والمخالِف. مثل الموافق: الرحيم، والغفور، وأشباهه. ومثل المخالف: المعِزّ، والمذِلّ. فلا بدّ أن يكون استعداد هذا المحلّ، في حكم اسم من هذه الأسماء؛ فيكون قبوله للحكم الإلهيّ بحسب ذلك: فإمّا مخالِف، وإمّا موافِقٌ. ومَن كان هذا حاله؛ كيف يتعلّق به ذمٌّ ذاتيٌّ؟ والأعراض لا ثبات لها.

فالخيرُ في الإنسان ذاتيٌّ، وهو الذي يبقى لها حكمه. والشرُّ عرَضِيٌّ، فيزول ولو بعد حين. قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[2] وهذا معنى قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ﴾[3] فأضافهم إلى نفسه، كما أضاف إلى نفسه نفوسَهم في خلقها، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[4]، و﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ ثمّ[5] قال: ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[6] والإسراف كَرَمٌ عامٌّ خارج عن الحدّ والمقدار. ولذا قال في الإنفاق: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[7] أي لم يوسّعوا ما يخرج عن الحاجة الحاجة ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ لم ينقصوا مما تمسّ إليه الحاجة ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ فإنّها وَسِعت كلّ شيء، وأنتم من الأشياء؛ وقد عرّفتكم كيف أنشأتكم، ومن أيّ شيء أنشأتكم: مِن روح مطهّرة، وطبيعة موافقة قابلة، طائعة غير عاصية ولا مخالفة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فما أبقى منها شيئا. فبأيّ شيء يُسرمد عليهم العذاب؛ ولا يكون إلّا جزاء وفاقا؟ وقد غُفِر، وما غُفِر فلا حكم له؛ فإنّ الذي غفره ﴿هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[8] والْغَفُورُ الرَّحِيمُ لذاته. فلا يبرح من حين يغفر، مغفورا له، لا يعود إليه حكم الذنب؛ لأنّ الحافظ هو ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فلو أزاله، وغفره غير هذا الاسم وأمثاله، أمكن أن لا يثبت؛ لعدم الحافظ. فتنبّه لما أعلمناك به، فإنّه مِن

١ [الإسراء : ٢٠]
٢ [ص : ٨٨]
٣ [الزمر : ٥٣]
٤ [الحجر : ٢٩]
٥ ص ٤٠
٦ [الزمر : ٥٣]
٧ [الفرقان : ٦٧]
٨ [الزمر : ٥٣]

لُباب المعرفة.

واعلم أنّ الكمّل من رجال الله الخلفاء في العالم، الذين عبدوا الله على المشاهَدة لا على الغيب، هم الذين تكون لهم الرؤية الإلهيّة؛ جزاءً لا زيادة. ومَن نزل عن هذا الكمال هو الذي تكون له زيادة على الجزاء، في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ[1] وَزِيَادَةٌ﴾[2] وهو قول رسول الله ﷺ: «إذا وزنتَ فأرجح» لمّا قضى رسول الله ﷺ ما كان عليه. فلمّا وزنه، قال للذي بيده الميزان: «أرجِح» ليزيد له على ما يستحقّ لمّا رأى أنّ الحقّ قد ذكَره الزيادة على المعاوضة. وقال في هذا المقام: «أحسنكم قضاء»[3] فهذا هو الإخلاص في الدين، الذي هو الجزاء.

وهنا يظهر معنى قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك» لأنّه لمّا نُطِّقَ ﷺ بالاستعاذة به، بضمير الخطاب من غير تعيين اسم، لم يجد له مقابلا؛ لأنّه ما عيَّن اسما، فلم يجد بمن يستعيذ منه؛ فرأى نفسَه على صورته، فقال: «منك» فاستعاذ بالله من نفسه. لأنّ النفس الذي هو المِثل وَرَدَتْ في القرآن، مثل قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾[4]: أي أمثالكم. وقال ﷺ: «لا أُزكّي على الله أحدا»، وقال (تعالى): ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[5] أي أمثالكم. فيتوجّه قوله (ص): «وأعوذ بك منك» أنّ الكافَيْن واحدة. ويتوجّه أنّ الكاف في "منك" تعود على المِثل، وهو نفس المستعيذ؛ فإنّه خليفة محصِّلٌ للصورة على أتمّ الوجوه. فاستعاذ بالله من نفسه، لما يعلمه من المكر الخفيّ الإلهيّ؛ فإنّه ما أظهر الصورة المثليّة في هذه النشأة على التشريف فقط[6]؛ بل هي شرف وابتلاء.

فمن ظهر بحكم الصورة على الكمال، فقد حاز الشرف بكلتا يديه؛ فإنّ الصورة الإلهيّة لا يلحقها ذمّ بكلّ وجهٍ. ومَن نقص عن هذا الكمال، كان في حقّه مكرا إلهيّا من حيث لا يشعر.

١ ص ٤٠ب
٢ [يونس : ٢٦]
٣ نص الحديث: "خياركم أحسنكم قضاء"
٤ [النجم : ٣٢]
٥ [الروم : ٢٨]
٦ ص ٤١

كما أنّ الخلافةَ في العالَم ابتلاءٌ لا تشريفٌ، ولهذا قال ﷺ: «إنّها في الآخرة مَنْدَمَةٌ» لما يتعيّن على صاحبها من الحقوق التي يطالَب بها يوم القيامة، حتى يتمنّى أنّه لَمْ يَلِ أمرا من أمور العالَم. وقد جعلَنا رعاةً، فقال: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسئول عن رعيّته» فلكلّ شخصٍ حكم من الصورة الإلهيّة. فمن جُمِعَتْ له الصورة بكمالها لم يُسأل؛ فإنّ الله ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1].

ومَن لا ينطق عن الهوى لا يُسأل عمّا يقول سؤالَ مناقشة وحساب، ولكن قد يُسأل سؤال استفهام لإظهار علم يستفيده السامعون، كسؤالِ الحقّ رسلَه، وهم لا ينطقون عن الهوى يوم يجمعهم ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[2] فيعلم أهل الموقف، أصحاب الكشف، أنّ الرسل هم أتمّ العالم كشفا. ومع هذا فما أطلعهم الله على إجابة القلوب مِن أُمَمِهم، ولا إجابة مَن وَصَلَتْ إليهم دَعْوَتُهم[3] ولم يكونوا حاضرين، ولا مَن كان حاضرا وأجابه بلسانه: هل أجابه بقلبه كما أجابه بلسانه؟.

فإن قلتَ: فقد سمع إجابةَ مَن أجابه بلسانه، وما أجابه به؟. قلنا: لقرائن الأحوال حكم لا يعرفه إلّا مَن شاهدها. وقد عرفنا من عين جواب الرسل -عليهم السلام-، أنّهم فهموا عن الله عند هذا السؤال، أنّه أراد إجابة القلوب؛ فإنّهم قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فلو فَهِموا من سؤاله -تعالى- إجابة الألسنة، لفصلوا بين مَن سمعوا إجابته بإقراره بلسانه، وبين مَن لم يسمعوا ذلك منه. فلمّا ذكروا في الجواب "الغيوب" علِمنا أنّ السؤال كان عن جواب القلوب. واستفدنا من هذا أنّ الذي يُكشف له، ما يلزم أن يَعُمَّ كشفُه كلَّ شيء، لكن عنده استعداد الكشف لا غير. فما جلّى له الحقُّ من أسرار العالم في مرآة قلبه؛ إن كان معنى، أو في مرآة بصره؛ إن كان صورة؛ كشَفَهُ ورآه لا غير.

فإن قلتَ: فمن كان الحقُّ بصرَه؛ قد سمعتك تقول، فيمن هذه حاله: إنّه يُدرِك كلَّ مبصَرٍ في الكون، ولا يغيب عن بصره شيء؛ لأنّه ناظر بحقّ؟ قلنا: صدقتَ. ولكن فرقٌ ما بين المقام

١ [الأنبياء : ٢٣]
٢ [المائدة : ١٠٩]
٣ ص ٤١ب

والحال. والأحوال لا بقاء لها. وهذا حالٌ، فعند حصوله صَحَّ له هذا الكشف في[1] ذلك الزمان. ولمّا رُفع عنه، رجع ينظر بعين خَلق، بإمداد حقٍّ لا بحقٍّ. فيكون حكمه حكم خواصّ الخلق؛ له الكشف الجزئيّ لا الكلّيّ؛ أو لا يكشف إلّا المعتاد الذي للعموم. فإذا كشف كلّ مبصَرٍ للعالَم، كشفه على ما هو عليه في وقته.

فلمّا رُفع عنه، لم يعرف ما آل إليه أمرُ تلك المبصَرات، في زمان رفع هذا الكشف: هل بقوا على ما كانوا عليه؟ أو هل انتقلوا عن ذلك؟ وطلب الله منهم العلم بذلك، لقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ والجواب بالظنون لا يليق. ثمّ تمّموا فقالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فقيّدوه بالغيوب، فإنّه في يوم تبلى فيه السرائر، والسرائرُ غيوبُ العالم، بعضهم عن بعض. فعلّمنا الحقّ، بهذه الآية، التأدُّبَ مع أصحاب الكشف، وأن نعلم مراتب الكشف لئلّا نُنزل صاحبَ الكشف فوق منزلته، ونطلب منه ما لا يستحقّه حاله؛ فنتعبه ولا نعذره، ونتّصف بالجهل في ذلك؛ ولا علم لنا بأنّا جهلنا؛ فتكون جهالتان. وكما أنّ للملائكة مقاماتٍ معلومة، كذلك للبشر مقاماتٌ معلومة؛ منها يكون المزيد لهم لا يتعدّونها. وإن زادوا علما فمن ذلك المقام، وهو المقام الذي يكون فيه عند آخر نفَس[2] يكون منه، ويفارق الروح تركيب هيكله المسمّى موتا. فمن ذلك المقام يكون له المزيد. ولهذا يقع التفاضل بين الناس في الدار الآخرة، ويزيد الذين أوتوا العلم، وهم مؤمنون، على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم؛ درجات. وبالمقامات فضّل اللهُ كلَّ صنف بعضه على بعض.

وفي هذا المنزل من العلوم:

علم العرش: هل العرش الذي استوى عليه الاسم "الرحمن" هو العرش الذي يأتي عليه الله الحَكَمُ العدلُ يوم القيامة، للفصل والقضاء، الذي تحمله الثمانية، أو هو عرشٌ آخر؟ وهل، إن كان عرشا آخر غير الذي استوى عليه، فما معنى قول الرسول ﷺ لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[3] يعني يوم الآخرة، قال: «وهم اليوم أربعة» وما هؤلاء الثمانية

١ ص ٤٢
٢ ص ٤٢ب
٣ [الحاقة : ١٧]

المنكَّرة: هل كلّهم أملاك؟ أو ليسوا بأملاك؟ أو بعضهم أملاك وبعضهم غير أملاك؟ وهل العرش سرير؟ أو هو مُلكٌ معيَّن من المُلك، ما هو المُلك كلّه؟ لأنّه فيه أتى للفصل والقضاء بين عباده، وعباده من المُلك؛ فلا بدّ أن يكون مُلكًا معيّنا. وهل هذا العرش الذي يأتي عليه يوم القيامة، هو ظلل[1] الغمام التي يأتي فيها الله يوم القيامة، أم لا؟ أو الملائكة، هي التي تأتي في ظلل من الغمام، ويكون إتيان الله مطلقا من هذا التقييد.

وفيه علمُ نهاية سطح العرش: هل له فوقيّة، أم لا؟ وما معنى له حول؟ وما معنى الاستواء عليه، إذا لم يتّصف بأنّ له فوقا، فإنّه نهاية الجسم؛ فلا خلاء ولا ملاء بعده؟ وهذا كلّه إذا كان العرشُ سريرا أو مُلكا خاصّا من العالم. فإن كان العرش عبارة عن العالَم كلّه، لا عالم الأجسام؛ كان له حكمٌ آخر ليس هذا. هذا كلّه يتضمّنه هذا المنزل. ويحتاج إلى العلم به ليعلم الأمر على ما هو عليه.

وفيه علمُ اختلاف الاستواء باختلاف الأدوات الداخلة، وبعدم الأدوات.

وفيه علمُ اختلاف الجماعات؛ ولِمَ[2] لم يكن الكلُّ جماعةً واحدة؟ وبماذا تميّزت جماعة من أخرى؟ وما الصفة التي عَدِمتها كلّ جماعة حتى تفرّقت الجماعات، ولِمَ تفترق إلى آحاد؟

وفيه عِلمُ أوّل قوّة يكون لها الحكم عند البعث من قوى الحسّ، وهل يتقدّمها حكم قوّة أخرى من قوى الحسّ قبل البعث أم لا؟

وفيه عِلمُ انتشار الروح الإلهيّ على الأجسام كلّها.

وفيه عِلمُ أحوال حكم الله يوم القيامة في الخلق، وبأيّ اسم يتجلّى في ذلك اليوم؟

وفيه عِلمُ القوّة[3] الإلهيّة والنشر والطيّ في أيّ أوان يكون: هل يتقدّم بعث العالم أو يتأخّر؟ فإن تأخّر: فأين يكون العالم عند ذلك؟ وهل تجتمع الملائكة والبشر في صعيد واحد في ذلك

١ ص ٤٣
٢ ق: ولما
٣ ص ٤٣ب

اليوم، أم لا؟

وفيه عِلْمُ منزلة مَن وصف الحقَّ بأوصاف الخلق من الذمّ، ومبلغه من العلم في ذلك.

وفيه عِلْمُ تأديب الصغير بالكبير، وهو قول: "إيّاكِ أعني فاسمعي يا جارة".

وفيه عِلْمُ الأدوات في ترتيب الخطاب، وما تفيد كلُّ أداة منها، واشتراك الأدوات في الصورة، واختلافها في الحكم؛ كلفظةِ "لا" فصورتُها واحدة، وهي من جملة الأدوات، وأحكامُها مختلفة بحسب الحضرة التي تتجلّى فيها. فيكون حكمه النفي، ويكون النهي، ويكونُ العطف. وهكذا سائر الأدوات. وهذا من علم البيان الذي عُلِّمَهُ الإنسانُ.

وفيه عِلْمُ الإيمان المذموم في الشرع، وهل حكم الإيمان في نفسه حكم الشرع فيه، أم لا؟ وهل يعدل به عن حقيقته، فيظهر له تجلٍّ في غير حقيقته وصورته، فتسمّى به الصورة التي انتقل إليها؟

وفيه عِلْمُ مراتب الكذب، ومحموده من مذمومه، وأين يجب استعماله؟ وأين يَحْرُم استعماله؟ ومراتب المكذِّبين.

وفيه عِلْمُ مرتبة الخنثى، وهو الذي تُنسب[1] إليه الذكورة فيقبلها، وتُنسب إليه الأنوثة فيقبلها؛ فهل هو ذكر وأنثى؟ أو لا ذكر ولا أنثى؟ فإنّ الله قال: ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾[2] فهل يتضمّن هذا الخطاب الخنثى؛ فإنّه مخلوق يُنسب إليه الأمران؛ فيدخل تحت هذا الخطاب؟ أو هو خارج عن هذا الخطاب، ويدخل تحت قوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3]؟ فإنّ الخنثى برزخ متوسّط؛ فإنّ اسم الحيوان ينطلق عليه، ولا بدّ؛ فإنّه ليس من خصائص الإنسان. كما الذكورة والأنوثة ليست من خصائص النوع الإنسانيّ.

١ ص ٤٤
٢ [الليل : ٣]
٣ [الرعد : ١٦]

وفيه عِلْمُ التهيّؤ لانتظار الفجآت؛ لأنّه لا يدرى بما تأتي. وهذا مقام لم أر أحدا أتمّ منّي فيه، لله الحمد على ذلك.

وفيه عِلْمُ التعمّل في اكتساب الأهمّ فالأهمّ، وهو من الحزم، وأين موطنه من موطن التراخي؟ وفي ماذا يكون التراخي أَوْلَى من الحزم؟ وما يحمد من الحزم مع كونه سوء الظنّ؟ ويبتني على هذا أمور كثيرة، فهو علم شريف.

وفيه عِلْمُ مآل العالَم المكلَّف من الإنس، والجانّ، والجانّ[1] الذين هم الملائكة؛ وهل يرتفع عنهم الخوف، أم لا يزال يستصحبهم أبد الآبدين؟

وفيه عِلْمُ التجلّي في غير صورة العلم.

وفيه عِلْمُ حجاب النِّعم، ومتى هو الإنسان أتمّ حضورا مع الله: هل في حال الشدّة؟ أو في حال الرخاء؟ ولأيّ حالٍ هو[2] الحمد العامّ والحمد الخاصّ؟

وفيه عِلْمُ اختلاف المحامد لاختلاف الأحوال.

وفيه عِلْمُ الأنس؛ بمن يقع الأنس: هل بالمناسب؟ أو بغير المناسب؟ أو بهما؟

وفيه عِلْمُ الاعتماد على الأسباب: هل كلّه مذموم؟ أو محمود؟ أو منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود؟ وما هو سببٌ بوضع الحقّ؟ وما هو سببٌ بوضع الخلق؟

وفيه عِلْمُ مراتب الموت.

وفيه عِلْمُ نفي الوكالة من الخلق.

وفيه عِلْمُ الكفاية، وبمن يكتفى؟ وهل يصحّ الاكتفاء بمخلوق في أمر، أم لا؟

١ ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٢ ص ٤٤ب

وفيه عِلْمُ ما هو الإحسان؟ ومَن هو المحسن؟ وعِلْمُ الإساءة، ومَن هو المُسيء؟

وفيه عِلْمُ المثلين إذا تماثلا من جميع الوجوه المعنوية؛ هل يصطحبان، أم لا؛ فإنّ الفائدة قد ارتفعت ما بينهما؟ وهذه مسألة لا يتنبّه إليها إلّا منوَّر البصيرة، مَن لا يزال مع الأنفاس يستفيد. ومن ليست له هذه الحالة فليس بإنسان كامل الإنسانيّة، لأنّه ما أعطي النظر إلّا ليستفيد.

وفيه عِلْمُ الفَرق بين معاملة الله ومعاملة الخلق، وهل تتساوى، عند العامل، المراقبة في المعاملتين أم لا؟ ولا سيما عند من يرى أنّ الله قد جعل للعالَم حقوقا بعضه على بعضه؛ فيتعيَّن على العامل مراقبة الخلق، لأداء الحقوق التي أوجبها الله عليه لهم. فهل ذلك من[1] مراقبته؛ فيكون ما راقب إلّا الحقّ؟ أو هل ذلك من مراقبة الخلق، فيرجع ذلك إلى استحقاق هذه الحقوق: هل استحقّها العالَم على هذا الشخص لذاته، أعني لذات المستحقّين[2]؟ أو هل يستحقّها بجعل الله؟ فيعلم من هذا المنزل صورة الأمر على حقيقته مِن جمع أو تفصيل.

وفيه عِلْمُ تفاضل طبقات العذاب والنعيم.

وفيه عِلْمُ ضرب الأمثال، ومَن ينبغي أن يضرب له مَثل، ومن ينبغي أن لا يضرب له مَثل، لقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾؟ وهو قد ضرب الأمثال، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كيف يضربها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] فناط بهم الجهل بالمَواطن. فالعالِم يقطع عمره في نظر ما ضرب الله من الأمثال، ولا يستنبط مَثلا مِن نفسه، ولا سيما لله. وما أظنّ يفي عمر الإنسان بتحصيل عِلم ما ضَرب الله له من الأمثال.

وفيه عِلْمُ مَن يبيّن عن الله: هل يسمّى هاديا، أم لا؟ فإنّه مهديٌّ بلا شكّ.

وفيه عِلْمُ حال القرآن في التالين عن الله، العارفين بتنزّله على قلوبهم، وما يورّثهم ذلك من القبض والبسط؛ وأيّ الصفتين يتقدّم حكمها في التالي بالحال: هل القبض أو البسط؟

١ ص ٤٥
٢ "لذاته.. المستحقين" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٣ [النحل : ٧٤]

وفيه عِلْمُ فضل العقل في العقلاء، وما لُبّ العقل: هل حكمه حكم العقل، أم لا؟ فإنّ الله فرّق في الآيات؛ فجعل[1] آياتٍ ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2] و﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] فقيّدهم من العِقال، وهو التقييد.

وفيه عِلْمُ المقرَّب: هل له حدّ عند الله في نفوذ عنايته؟ أو تنفذ عنايته مطلقا؟ .

وفيه عِلْمُ شرف اتّباع ما شرع الله اتّباعه من مكارم الأخلاق.

وفيه عِلْمُ الربح والخسران؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجعان؟

وفيه عِلْمُ الحذر العقليّ والحذر المشروع: هل هو الحذر العقليّ الذي يعيّنه العقل؟ أم لا تعيين في ذلك إلّا للشرع؟ أو فيه ما جعل الله تعيينه للعقل، فاكتفى به عن تعيينه في الشرع، ومنه ما جعل الله تعيينه للشرع؟

وفيه عِلْمُ ما يُكره وما لا يُكره.

وفيه عِلْمُ نشء الذرّيّة لا نشء الإنسان، بما هو إنسان.

وفيه عِلْمُ التداخل في الأشياء إذا كانت أحوالا وأعراضا؛ كتداخل الرائحة واللون والسكون، والعلم والجهل، في الذات الواحدة في الزمن الواحد.

وفيه عِلْمُ تعيين أنصبة الشركاء في الشيء؛ وأنّها إذا تعيّنتْ فليسوا بشركاء، ولا بدّ أن يكون النصيب في نفس الأمر معيّنا. وإن وقعت الإشاعة، فلجهل الشركاء في ذلك، فإنّه لا بدّ أن يتعيّن إذا وقعت القسمة: إمّا في عين الشيء، أو في قيمته. فإذَنْ لا[4] تصحّ الشركة أصلا؛ لأنّ الأمور معيّنة عند الله في هذا الشيء المسمّى مشتركا فيه. وقد ثبت اسم الشركاء عُرفا وشرعا؛

١ ص ٤٥ب
٢ [آل عمران : ١٩٠]
٣ [الجاثية : ٥]
٤ ص ٤٦

فلماذا (=فإلى ماذا) يرجع؟ ألا ترى إلى الذين اتّخذوا مع الله شركاء في الألوهة؛ هل لهم منها نصيب؟ فإذا علمتَ أنّه ليس لهم نصيب في الألوهة، فما هم شركاء، وقد سُمّوا شركاء. فيعلم أنّه لا تصحّ الشركة في العالَم أصلا للاتّساع الإلهيّ؛ فلا يشترك اثنان فصاعدا في أمر قطّ؛ فالذي عند هذا، مِثْلٌ لما عند هذا؛ ما هو عينُ ما عند هذا، وإن انطلق على ذلك اسم الاشتراك.

فنقول ما وقع به الاشتراكُ غير ما وقع به الامتياز، وما ثَمّ إلّا الامتياز خاصة، ما ثَمّ اشتراك؛ إذ ليس هذا عند هذا، هو عين الآخر عند الآخر. فنعلم من هذا الكشف معنى إطلاق الشركة في العرف، وأنّ الشرع تبع العرف في ذلك، ليُفهم عنه؛ لأنّه جاء بلسان قومه، وهو ما تواطئوا عليه. ولهذا اختلف الناس في الرسول: هل له وَضْعُ لغة في ذلك اللسان، أو ليس له ذلك؟

وفيه عِلمُ اختلاف تنزّل الشرائع من الله باختلاف الأحوال، والأزمان، والأماكن، والأشخاص، والنوازل.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

١ [الأحزاب : ٤]

الباب[1] السادس والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرّ صدَق فيه بعض العارفين
فرأى نورَه كيف ينبعث من جوانب ذلك المنزل -وهو من الحضرات المحمديّة

عَجِبْتُ لِمَعْصُومٍ يُقَالُ لَهُ اتَّبِعْ   وَلا تَبْتَدِعْ وَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ
وَكَيْفَ يُرَى المَعْصُومُ يَحْكُمُ بِالْهَوَى   مَعَ الوَحْيِ، والتحقيقُ مَا ثَمَّ إلّا هُو
فَكُلُّ هَوًى فِي عَالَمِ الخَلْقِ سَاقِطٌ   إذا نَظَرَتْ مِنْ عارِفِ الوَقْتِ عَيْنَاهُ
ولَكِنَّهُ المَرْمُودُ لا يُدْرِكُ السَّنَا   وشاهِدُ حالِ الوَقْتِ عَنْ ذاكَ أَعْمَاهُ
وَما يَعْلَمُ المَعْنَى الَّذِي قَدْ قَصَدْتُهُ   وبَيَّنْتُهُ إِلّا حَلِيمٌ وَأَوَّاهُ
أَلَا كُلُّ كَوْنٍ حَرْفُ لَفْظٍ مُحَقَّقٍ   ونِسْبَتُكُمْ مِنْ ذَلِكَ الحَرْفِ مَعْنَاهُ

اعلم[2] أنّ هذا المنزل من منازل التوحيد والأنوار، وأدخلنيه اللهُ -تعالى- مرّتين. وفي هذا المنزل صرتُ نورا، كما قال ﷺ في دعائه: «واجعلني نورا». ومن هذا المنزل علمتُ الفُرقان بين الأجسام والأجساد. فالأجسام هي هذه المعروفة في العموم: لطيفها، وشفّافها، وكثيفها. ما يُرى منها، وما لا يُرى. والأجساد هي ما تظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثّلة في صور الأجسام، وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبَّهة بالأجسام فيما يعطيه الحسّ؛ وهي في نفسها ليست بأجسام.

واعلم أنّ مرتبة الإنسان الكامل من العالم، مرتبة النفس الناطقة من الإنسان؛ وهو الكامل الذي لا أكمل منه، وهو محمد ﷺ. ومرتبة الكُمّل من الأناسِي النازلين عن درجة هذا الكمال، الذي هو الغاية من العالَم؛ منزلة القوى الروحانيّة من الإنسان؛ وهم الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-. ومنزلة مَن نزل في الكمال عن درجة هؤلاء من العالَم؛ منزلة القوى الحِسّيّة من

١ ص ٤٦ب
٢ ص ٤٧

الإنسان؛ وهم الورثة ﷺ. وما بقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل، هو[1] من جملة الحيوان؛ فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطِي النمّو والإحساس.

واعلم أنّ العالَم اليوم، بفقد جمعيّة محمد ﷺ في ظهوره روحا وجسما، وصورة ومعنى؛ نائمٌ لا ميّت. وأنّ روحه الذي هو محمد ﷺ هو من العالَم، في صورة المحلّ الذي هو فيه روحُ الإنسان عند النوم، إلى يوم البعث، الذي هو مثل يقظة النائم هنا. وإنما قلنا في محمد ﷺ على التعيين، أنّه الروحُ، الذي هو النفس الناطقة في العالَم؛ لما أعطاه الكشف، وقوله ﷺ: «إنّه سيّد الناس» والعالَم من الناس. فإنّه الإنسان الكبير في الجِرم، والمقدَّم في التسوية والتعديل، ليظهر عنه صورة نشأة محمد ﷺ؛ كما سَوّى اللهُ جسمَ الإنسان وعدله قبل وجود روحه، ثمّ نفخ فيه من روحه روحا كان به إنسانا تامّا، أعطاه بذلك خلقَه؛ وهو نفسه الناطقة. فقبْل ظهور نشأته ﷺ كان العالم في حال التسوية والتعديل؛ كالجنين في بطن أُمِّه، وحركته بالروح الحيوانيّ منه الذي صحّت له به الحياة. فأَجِلْ فِكْرَك فيما[2] ذكرته لك.

فإذا كان في القيامة، حيي العالم كلّه بظهور نشأته مكمَّلة ﷺ موفَّر القوى. وكان أهل النار الذين هم أهلها، في مرتبتهم، في إنسانيّة العالم، مرتبة ما ينمو من الإنسان؛ فلا يتّصف بالموت ولا بالحياة. وكذا ورد فيهم النصُّ من رسول الله ﷺ: «أنّهم لا يموتون فيها ولا يحيون» وقال الله فيهم: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[3] والملائكةُ من العالم كلّه، كالصور الظاهرة في خيال الإنسان. وكذلك الجنّ. فليس العالم إنسانا كبيرا إلّا بوجود الإنسان الكامل، الذي هو نفسُه الناطقة. كما أنّ نشأة الإنسان لا تكون إنسانا إلّا بنفسها الناطقة. ولا تكون كاملةً هذه النفسُ الناطقة من الإنسان إلّا بالصورة الإلهيّة، المنصوص عليها من الرسول ﷺ. فكذلك نفسُ العالَم (الناطقة) الذي هو محمد ﷺ حاز درجة الكمال، بتمام الصورة الإلهيّة في البقاء والتنوّع في الصور، وبقاء العالَم به. فقد بان لك حالُ العالم قبل ظهوره ﷺ أنّه كان بمنزلة الجسد المسوّى. وحالُ العالَم بعد

[1] ص ٤٧ب
[2] ص ٤٨
[3] [طه : ٧٤]

موته بمنزلة النائم، وحالة العالَم ببعثه يوم القيامة بمنزلة الانتباه واليقظة[1] بعد النوم.

واعلم أنّ الإنسان لمّا كان مثال الصورة الإلهيّة، كالظلّ للشخص الذي لا يفارقه على كلّ حال؛ غير أنّه يظهر للحسّ تارة ويخفى تارة. فإذا خفي فهو معقول فيه، وإذا ظهر فهو مشهود بالبصر لمن يراه. فالإنسان الكامل في الحقّ، معقول فيه؛ كالظلّ إذا خفي في الشخص؛ فلا يظهر. فلم يزل الإنسان أزلا. ولهذا كان مشهودا للحقّ، من كونه موصوفا بأنّ له بصرا. فلمّا مدّ الظلّ منه ظهر بصورته، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾[2] أي ثابتا فيمن هو ظلّه؛ فلا يمدّه؛ فلا يظهر له عين في الوجود الحسّيّ إلّا لله وحده. فلم يزل مع الله، ولا يزال مع الله؛ فهو باق ببقاء الله. وما عدا الإنسان الكامل فهو باق بإبقاء الله.

ولمّا سَوّى اللهُ جسمَ العالَم، وهو الجسمُ الكلّ الصوريّ، في جوهر الهباء المعقول، قَبِلَ فيضَ الروح الإلهيّ، الذي لم يزل منتشرا غير معيَّن؛ إذ لم يكن ثَمَّ مَن يعيّنه؛ فحيي جسم العالَم به. فكما تضمَّن جسمُ العالم أجسامَ شخصيّاته، كذلك ضمّن روحَه أرواحَ شخصيّاته ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[3] ومن هنا قال مَن قال: "إنّ الروحَ واحدُ العين[4] في أشخاص نوع الإنسان، وأنّ روح زيد هو روح عمرو، وسائر أشخاص هذا النوع" ولكن ما حقّق صاحبُ هذا الأمرِ صورةَ هذا الأمر فيه.

فإنّه كما لم تكن صورةُ جسمِ آدمَ جسمَ كلِّ شخص من ذريّته، وإن كان هو الأصل الذي منه ظهرنا وتولّدنا، كذلك الروحُ المدبِّرة لجسم العالَم بأسره. كما أنّك لو قدّرت الأرض مستوية، لا ترى فيها عِوجا ولا أَمتا، وانتشرت الشمس عليها؛ أشرقت بنورها، ولم يتميّز النور بعضه عن بعضه، ولا حكم عليه بالتجزّي، ولا القسمة، ولا على الأرض. فلمّا ظهرت البلاد والديار، وبدت ظلالات هذه الأشخاص القائمة؛ انقسم النور الشمسيّ، وتميّز بعضه عن بعضه؛ لما طرأ

[1] ص ٤٨ب
[2] [الفرقان : ٤٥]
[3] [الأعراف : ١٨٩]
[4] ص ٤٩

من هذه الصور في الأرض.

فإذا اعتبرتَ هذا، علمتَ أنّ النور الذي يخصّ هذا المنزل، ليس النور الذي يخصّ المنزل الآخر، ولا المنازل الأُخَر. وإذا اعتبرتَ الشمسَ التي ظهر منها هذا النور، أو هو عينها، من حيث انفهاقه عنها، قلتَ: الأرواحُ روحٌ واحدة، وإنما اختلفتْ بالمحالِّ كالأنوار نور واحد، غير أنّ حكم الاختلاف (هو) في القوابل له لاختلاف أمزجتها، وصور أشكالها.

ولمّا[1] أُعطيتُ هذا المنزل سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وأقمتُ فيه، شُبِّه لي بالماء في النهر؛ لا تميّز فيه صورة، بل هو عين الماء لا غير. فإذا حصل ما حصل منه، في الأواني، تعيَّن، عند ذلك، ماء الحُبّ[2]، من ماء الجرّة، من ماء الكوز. وظهر فيه شكل إنائه، ولون إنائه؛ فحكمتْ عليه الأواني بالتجزّي والأشكال، مع عِلمك أنّه عينٌ ما لم يظهر فيه عينٌ[3] ما ظهر إذ كان في النهر. غير أنّ الفُرقان بين الصورتين، في ضرب المَثل، أنّ ماء الأواني وأنوار المنازل، إذا فُقِدت، رجعتْ إلى النور الأصل والنهر الأصل. وكذلك هو في نفس الأمر؛ لو لم تبق آنية ولا يبقى منزل.

فلمّا أراد الله بقاء هذه الأنوار على ما قَبِلَتْه من التمييز، خلق أجسادا برزخيّة، تميّزتْ فيها هذه الأرواح عند انتقالها عن هذه الأجسام الدنياويّة، في الدنيا في النوم وبعد الموت، وخلق لها في الآخرة أجساما طبيعيّة، كما جعل لها في الدنيا، غير أنّ المزاج مختلِف. فنقلها من جسد البرزخ إلى أجسام نشأة الآخرة، فتميّزتْ أيضا بحكم تميُّز صور أجسامها. ثمّ لا تزال كذلك أبد الآبدين، فلا ترجع إلى الحال الأوّل من الوحدة العينيّة أبدا. فانظر ما أعجب صنع الله الذي أتقن كلّ شيء. فالعالم اليوم كلّه[4] نائم من ساعةِ ماتَ رسول الله ﷺ، يرى نفسه حيث هي صورة محمد ﷺ إلى أن يُبعث.

١ ص ٤٩ب
٢ الحُبّ: الجرّة الضخمة، الخابية الذي يُجعل فيه الماء فلم ينوّعه.
٣ من س فقط
٤ ص ٥٠

ونحن، بحمد الله، في الثلث الآخر من هذه الليلة، التي العالم نائم فيها. ولمّا كان تجلّي الحقّ في الثلث الآخر من الليل، وكان تجلّيه يعطي الفوائد والعلوم والمعارف التامّة على أكمل وجوهها؛ لأنّها عن تجلٍّ أقرب؛ لأنّه تجلٍّ في السماء الدنيا. فكان علمُ آخِر هذه الأمّة أتمَّ مِن عِلم وسطِها وأوّلِها بعد موت رسول الله ﷺ. لأنّ النبيّ ﷺ لمّا بعثه الله؛ بعثه والشرك قائم والكفر ظاهر، فلم يَدَعْ القرنَ الأوّل، وهو قرن الصحابة، إلّا إلى الإيمان خاصّة، ما أظهر لهم ممّا كان يعلمه من العِلم المكنون. وأنزل عليه القرآن الكريم، وجعله يترجم عنه بما تبلغه أفهام عموم ذلك القرن. فصوَّر، وشبَّه، ونعت بنعوت المحدَثات، وأقام جميع ما قاله في صفة خالقه، مقام صورة حسّيّة مسوّاة معدّلة، ثمّ نفخ في هذه الصورة الخطابيّة روحا لظهور كمال النشأة؛ فكان الروح ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] وكلّ آيةِ تسبيحٍ في القرآن فهو روحُ صورةِ[3] نشأة الخطاب، فافهم؛ فإنّه سرٌّ عجيب.

فلاح من ذلك لخواصّ القرن الأوّل دون عامّته، بل لبعض خواصّه من خلف خطاب التنزيه؛ أسرارٌ عظيمة. ومع هذا لم يبلغوا فيها مبلغ المتأخّرين من هذه الأمّة؛ لأنّهم أخذوها عن موادّ حروف القرآن والأخبار النبويّة. فكانوا في ذلك بمنزلة أهل السَّمَر الذين يتحدّثون من أوّل الليلَ قبل نومهم، فلمّا وصل زمان ثلث هذه الليلة، وهو الزمان الذي نحن فيه إلى أن يطلع الفجر، فجر القيامة والبعث، ويوم النشر والحشر؛ تجلّى الحقّ في ثلث[4] هذه الليلة، وهو زماننا؛ فأعطى من العلوم والأسرار والمعارف في القلوب بتجلّيه، ما لا تعطيه حروف الأخبار؛ فإنّه أعطاها في غير موادّ؛ بل المعاني مجرّدة. فكانوا أتمَّ في العلم، وكان القرنُ الأوّل أتمّ في العمل. وأمّا الإيمان فعلى التساوي.

فإنّ هذه النشأة لمّا فطِرت على الحسد، وبُعث فيها نبيّ من جنسها، فما آمن به إلّا قَوِي على دفع نفسه لِمَا فيها من الحسد، وحبّ الشفوف، والنفور، من الحكم عليها، ولا سيما إذا كان

١ [الشورى : ١١]
٢ [الصافات : ١٨٠]
٣ ص ٥٠ب
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

الحاكِمَ عليها جنسها. تقول: بماذا فضل عليّ حتى يتحكّم فيّ بما يريده؟ فينسب إلى المؤمن من الصحابة، من القوّة في[1] الإيمان، ما لا يُنسب إلى مَن ليست له مشاهدة تقدُّم جنسه عليه. فكان اشتغالهم بدفع قوّة سلطان الحسد، أن يحكم فيهم بالكفر؛ يمنعهم من إدراك غوامض العلوم وأسرار الحقّ في عباده. ولم تحصل له رتبة الإيمان بغيب صورة الرسول، وما جاء به؛ لكونهم مشاهِدين له، ولصورة ما جاء به. فلمّا جاء زماننا، ووجدنا أوراقا مكتوبة؛ سوادا في بياض، وأخبارا منقولة، ووجدنا القبول عليها ابتداء، لا نقدر على دفعه من نفوسنا، إذا وفّقنا الله؛ علمنا أنّ قوّة نور الإيمان أعطى ذلك. ولم نجد تردُّدًا، ولا طلبنا آيةً ولا دليلا على صحّة ما وجدناه مكتوبا من القرآن، ولا منقولا من الأخبار؛ علمنا على القطع قوّة الإيمان الذي أعطانا اللهُ عنايةً منه. وكنّا في هذه الحالة مؤمنين بالغيب، الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قَدم. كما لم يكن لنا قدمٌ في الإيمان الذي غلب ما يعطيه سلطان الحسد عند المشاهدة. فقابلنا هذه القوّة بتلك القوّة؛ فتساوتا.

وبقي الفضل في العلم، حيث أخذناه مِن تجلّي هذه الليلة المباركة، التي فاز به أهل ثُلثها، مما لا قَدم للثُّلثَيْن الماضيين من هذه الليلة فيها. ثمّ إنّ تجلّيه -سبحانه- في ثلث الليل من هذه الليالي الجزئيّة التي يعطيها الجديدان[2] في قوله: «إنّ ربّنا ينزل في كلّ ليلة في الثلث الآخر منها إلى السماء الدنيا، فيقول[3]: هل من تائب، هل من مستغفر، هل من سائل حتى ينصدع الفجر» فقد شاركَنا المتقدِّمين في هذا النزول وما يعطيه، غير أنّه تجلٍّ منقطع. وتجلّي ثلث هذه الليلة، التي نحن في الثلث الآخر منها، وهي من زمان موت رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، لم يشاركنا في هذا الثلث أحد من المتقدِّمين. فإذا طلع فجرها، وهو فجر القيامة، لم ينقطع التجلّي؛ بل اتّصل لنا تجلّيه؛ فلم يزل بأعيننا.

فنحن بين تجلٍّ دنياويّ وأخراويّ، وعامّ وخاصّ، غير منقطع ولا محجوب، وفي الليالي

١ ص ٥١
٢ الجديدان: الليل والنهار
٣ ص ٥١ب

الزمانيّة يحجبه طلوع الفجر. فحُزنا ما حازوه في هذه الليالي، وفزنا بما حصل لنا من تجلّي ثلث[1] هذه الليلة المباركة، التي لا نَصيب لغير أهلها؛ جبرًا لقلوبهم لما فقدوه من مشاهدة الرسول ﷺ وكان خيرا لهم؛ فإنّهم لا يعرفون كيف كانت تكون أحوالهم عند المشاهدة: هل يغلبهم الحسد، أو يغلبونه؟ فـ﴿كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[2].

فاعرف -يا وليّ- منزلتَك من هذه الصورة الإنسانيّة، التي محمد ﷺ روحها ونفسها الناطقة: هل أنت مِن قُواها؟ أو مِن محالِّ قُواها؟ وما أنت مِن قُواها: هل بصرها؟ أم سمعها؟ أم شمّها؟ أم لمسها؟ أم طعمها؟ فإنّي -والله-[3] قد علمتُ أيّ قوّة أنا مِن هذه الصورة. لله الحمد على ذلك. ولا تظنّ -يا وليّ- أنّ اختصاصنا في المنزلة من هذه الصورة منزلة القوى الحسّيّة من الإنسان، بل من الحيوان، أنّ ذلك نقصٌ بنا عن منزلة القوى الروحانيّة! لا تظنّ ذلك، بل هي أتمّ القوى، لأنّ لها الاسم "الوهّاب"؛ لأنّها هي التي تهبُ القوى الروحانيّة ما تتصرّف فيه، وما تكون به حياتها العِلميّة، من قوّة خيال، وفكر، وحفظ، وتصوير، ووهم، وعقل. وكلّ ذلك من موادّ هذه القوى الحسّيّة.

ولهذا قال الله -تعالى- في الذي أحبّه من عباده: «كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به» وذكر الصورة المحسوسة، وما ذكر من القوى الروحانيّة شيئا، ولا أنزل نفسه منزلتها؛ لأنّ منزلتها (هي) منزلةُ الافتقار إلى الحواسّ، والحقّ لا ينزل منزلة مَن يفتقر إلى غيره، والحواسّ مفتقرة إلى الله، لا إلى غيره. فنزل (الحقّ) لمن هو مفتقر إليه، لم يشرك به أحدا؛ فأعطاها الغنى. فهي يؤخذ منها وعنها، ولا تأخذ هي من سائر القوى، إلّا من الله. فاعرف شرف الحِسّ وقَدْرَه، وأنّه عينُ الحقّ. ولهذا لا تكمل النشأة الآخرة إلّا بوجود الحسّ والمحسوس؛ لأنّها لا تكمل إلّا بالحقّ. فالقوى الحِسّيّة هم[4] الخلفاء، على الحقيقة، في أرض هذه النشأة عن الله.

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ [الأحزاب: ٢٥]
٣ ص ٥٢
٤ ص ٥٢ب

ألا تراه -سبحانه- كيف وصف نفسه بكونه: سميعا، بصيرا، متكلّما، حيّا، عالما، قادرا، مريدا؟ وهذه كلّها صفات لها أثر في المحسوس، ويُحِسّ الإنسان من نفسه قيام هذه القوى به. ولم يصف -سبحانه- نفسه بأنّه: عاقل، ولا مفكّر، ولا متخيّل. وما أبقى له من القوى الروحانيّة إلّا ما للحسّ مشاركة فيه؛ وهو الحافظ والمصوِّر؛ فإنّ الحسّ له أثر في الحفظ والتصوير. فلولا الاشتراك ما وصف الحقّ بهما نفسه؛ فهو الحافظ المصوِّر. فهاتان صفتان روحانيّة وحِسّيّة.

فتنبّه لما نبّهناك عليه، لئلّا ينكسر قلبُك لَمّا أنزلتُك منزلةَ القوى الحسّيّة، لخساسة الحِسّ عندكَ وشرف العقل. فأعلمتُك أنّ الشرف كلّه في الحسّ، وأنّك جملت أمرك وقدرك. فلو علمتَ نفسَك علمتَ ربّك. كما أنّ ربّك علِمك وعلِم العالَم بعلمه بنفسه. وأنت صورته؛ فلا بدّ أن تشاركه في هذا العلم؛ فتعلمه من علمك بنفسك. وهذه نكتة ظهرت من رسول الله ﷺ حيث قال: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» إذ كان الأمرُ في علم الحقّ بالعالَم عِلْمَهُ بنفسِه. وهذا[1] نظير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فذكر النشأتين: نشأة صورة العالَم بالآفاق، ونشأة روحه بقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾. فهو إنسان واحد ذو نشأتين ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ للرائين ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2] أنّ الرائي، فيما رآه، أنّه الحقُّ لا غيره. فانظر -يا وليّ- ما ألطف رسول الله ﷺ بأمّته، وما أحسن ما علّمهم، وما طرّق لهم؛ فنِعم المدرّس والمطرِّق. جعلنا الله ممن مشى على مدرجته، حتى التحق بدرجته. آمين بعزّته.

فإن كنتَ ذا فطنة، فقد أومأنا إليك بما هو الأمر عليه، بل صرّحنا بذلك. وتحمّلنا في ذلك ما يَنسب إلينا مَن يُنكر ما أشرنا به في هذه المسألة، من العمي الذين ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[3] ووالله؛ لولا هذا القولُ، لحكمنا عليهم بالعمى في ظاهر الحياة الدنيا والآخرة، كما حكم الله عليهم بعدم السماع مع سماعهم في قوله -تعالى- ناهيا:

١ ص ٥٣
٢ [فصلت : ٥٣]
٣ [الروم : ٧]

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[1] مع كونهم سمعوا؛ نفى عنهم السمع. وهكذا هو علم هؤلاء بظاهر الحياة الدنيا، بما تدركه حواسّهم من الأمور المحسوسة لا غير؛ لأنّ الحقّ -تعالى- ليس سمعَهُم ولا[2] بصرَهم.

فلنذكر ما يتضمّنه هذا المنزل من العلوم -إن شاء الله-. فمن ذلك:

علم عطش العالِم الذي لا يقبل معه الرّيّ من العلم بالله.

وفيه عِلْمُ استناد هذا العلم الذي أعطاه هذا التعطّش إلى حضرة الجمع الذي فيه عين الفرقة.

وفيه عِلْمُ ما يحصل بالذِّكْر: هل هو عِلْمُ ما نَسِيَه؟ أو مِثْله لا عينه، لِشبهه في الصورة؟ فإنّه كان عالما بأمر ثُمّ نسيه، لما تعطيه نشأته، فلم تحفظ عليه صورة علمه بذلك المعلوم، ثمّ ذكره بعد ذلك. فهل ما شاهده في ذِكْره، عين ما نسيه، أو مثله؟ فإنّ الزمان قد اختلف عليه، مع شَبَه الزمان بعضه ببعضه. فأنت تعلم أنّ عين أمس، ما هو عين اليوم، ولا عين غد، مع شَبَهِه به في الصورة. فمن أيّ قبيل هو علم الذِّكر: فإن كان هو عينه، فَمن حفِظه حتى ذكره؟ وأين خزانة حفظه: هل هي في الناسي ولا يدري؟ أو لها موضع آخر تحفظ فيه زمان نسيانه؛ فإذا تذكّر كان عين تجلّي ذلك العلم له، فيكون الحقّ خزانته وهو الحافظ له، والمجلي له حتى يذكره هذا الناسي؟ وإن لم يكن الأمر كذلك، وإلّا فليس بذاكر لما نَسِي، بل[3] هو متعلّم علما جديدا مماثلا لعلمه الأوّل؛ وإنما وقع التجديد في التجلّي الذي أعطاه ذكر ما نسي. وهي مسألة عجيبة في علم كون العبد نسي ربّه في أوقات مّا؛ لشغله بنفسه أو بشيء من العالم، ثمّ يتذكّره، وهذا المنسيُّ الذي هو الله لا يقبل التجديد، بل هو عينه. فمن هنا تعرف علم ذِكْر ما نَسِيتَه.

وفيه عِلْمُ البدا؛ وهل يستحيل هذا الوصف على الله، أم لا؟ ومن هنا أنكر من أنكر النسخَ الإلهيّ في الأمور والشرائع، وقال بإنكاره خلق كثير. كما قال بتقريره لا على جهة البدا

١ [الأنفال : ٢١]
٢ ص ٥٣ب
٣ ص ٥٤

خلق كثير. ونحن سلكنا في علم النسخ؛ طريقا بين طريقين؛ فلم نقل بالبداء، ولا نفينا النسخ، وجعلناه انتهاء مدّة الحكم في علم الله؛ إذ لم يرد حكم من الله ذُكِر أنّه مؤبّد أو جارٍ إلى أجل معيّن، ثمّ رفعه قبل وصول ذلك الأجل. فلهذا سلكنا هذه الطريقة فيه.

وفيه عِلْمُ مَن ظهر في غير منزلته بصورة غيره، حتى جعل نفسه شِقًّا أو مِثلا لمن تلك صورته، ليُوقع اللبس؛ ما حُكم الله فيمن هذه صفته؟ وما نعته الذي ينبغي أن يطلق عليه؟

وفيه عِلْمُ الحكمة في الأمور التي تعطي التقديم، والأمور[1] التي تعطي التأخير، بحكم الجزم أو بحكم الاختيار.

وفيه عِلْمُ مَزلّة المعتبِرين في اعتبارهم؛ ومن أين تطرّق لهم هذا الزلل، مع صحّة الاعتبار في نفسه؛ فإنّه لا زلل فيه، وإنما الزلل في المعتبِرين، وتميّز طبقاتهم في ذلك. وهو علم عزيز؛ إذ ما كلّ معتبِر يقيم الاعتبار في موضعه. وهل المعتبَر فيه -بفتح الباء- لَمّا نصبه الحقّ: هل نصبه لمجرّد الاعتبار خاصة، فلا يكون له قرار في نفسه إلّا ما دام عبرة، فإذا ارتفعت صفة الاعتبار من العالم؛ ارتفع وجوده؟ أو هو مقرّر في نفسه لا يزول؛ سواء اعتبره المعتبِر أو لم يعتبره؟ أو زال الاعتبار من العالم، كما يزول في الآخرة عند الإقامة في الدارين؟

وفيه عِلْمُ إنكار الجاهل على العالِم؛ من أين أنكر عليه: هل من حضرة أو صفة وجوديّة في عينها؟ أو عن تخيّل لا وجود له من خارج في عينه، بل في حضرة خيال المنكِر؟ فإنّ إنكار العالِم على الجاهل ما ينكره الجاهل، ما هي صورتُه صورةَ إنكار الجاهل على العالم، وإن اجتمعا في النكران. وهل على الحقيقة في العالَم ما ينكر، أم لا؟ وما هو الإنكار؟ على ما هي حقيقته؛ هل هو أمر وجوديّ أو نسبة؟

وفيه عِلْمُ التنافس[2]؛ من أين ظهر في العالم؟ ولماذا لا يظهر إلّا في الجنس؟ وهل التشبّه

١ ص ٥٤ب
٢ ص ٥٥

بالإله من هذا القبيل؟ فإن كان؛ فما الجنس الجامع بين الخلق والحقّ: هل الصورة التي نالها الإنسان الكامل المخلوق؟ أو ما ينافس هذا الإنسان الجزئي إلّا الإنسان الذي لم يزل يحفظ صورة الحقّ في نفسه، الذي هو ظلٌّ له؛ فيحبّ هذا الإنسان الجزئيّ أن ينال رتبة ذلك الإنسان، الذي هو ظلّ الصورة الإلهيّة؟ أو ليس صورة الحقّ إلّا عين هذا الإنسان الذي عبّرنا عنه بالظلّ، والحقّ روح تلك الصورة. فيكون الحقُّ ذا صورة وروح؛ كما يتجلّى في الآخرة فيُنكَر ويُعرف. فإنّ الله ما ذكر ذلك التجلّي سُدَى، أعني في ذِكْر النبيّ ﷺ له في هذه الحياة الدنيا، فما ذكره إلّا لينبّه القلوب على طلب علم[1] ذلك من الله.

وفيه عِلْمُ خزائن الرحموت، لا الرحمة.

وفيه عِلْمُ الرحمة المستندة إلى عطاء الإنعام، وإلى المقام الذي به رفعت حكم الغضب الإلهيّ من العالم، وإلى المقام الذي يكون منه خلق ما يصلح بالعالَم، وأعني بذلك كلّه عالم التكليف. ومن هذا المقام تكلّم القائلون بوجوب مراعاة الأصلح في حقّ الحقّ.

وفيه عِلْمُ الترقّي في علم الأسباب؛ هل[2] ينتهي، أو لا ينتهي؟ وهل الترقّي سبب فيرتقى فيه وبه؟

وفيه عِلْمُ الفتن والملاحم المعنويّة؛ ولمن تكون الغلبة فيها والظهور، وإلى حيث ينتهي أَمَد هذه الفتن.

وفيه عِلْمُ تشبّه العالَم بالعالم وطبقاته. فمن ذلك ما هو تشبّه محمود، كتشبّه عالم التكليف منّا بعالم التسبيح، وهو كلّ شيء مسبّح بحمد الله من العالم. وكتشبّه الإنسان بمن تقدّمه في مكارم الأخلاق. ومنه ما هو تشبّهٌ مذموم.

وأمّا التشبّه بالحقّ، فذلك التشبّه المطلوب عند أكثر أهل الله. وأمّا عندنا فلا يصحّ

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٥٥ب

التشبّه بالله. وما قال به من الحكماء إلّا مَن لا معرفة له بالأمر على ما هو عليه في نفسه.

وفيه عِلْمُ الفرق بين قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾[1] وبين قوله -تعالى-: ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾[2] فوحّد وثنّى. فما محلُّ التثنية من محلِّ الإفراد؟ أو كيف هو الأمر؟

وفيه عِلْمُ الخاتمة في الحال قبل كونها: هل ذلك خاتمة في حقّ العالِم بها، أم لا؟ وهل العلم بذلك من البشرى التي قال الله فيها: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[3] أم لهذا صورة، وللبشرى صورة أخرى؛ فإنّ النبيّ ﷺ قد بشّر جماعة بالجنّة، وعاشوا بعد ذلك زمانا طويلا. بخلاف[4] بشرى المحتضر.

وفيه عِلْمُ القوّة الحادثة وتجزّيها في المحدَثات، وهل ثَمّ محدَث أخذها كلّها، أم لا يُتصوّر ذلك؟ وما قدرها من القوّة الإلهيّة: هل هي جزء من كذا كذا جزءا منها، أم لا؟ فإنّ القوّة الإلهيّة محلّها الممكنات على الإطلاق، والقدرة الحادثة محلّها بعض الممكنات. فإذا حصرتَ أجناس العالم الممكن، وسمّيتَ ما للقوّة من الممكنات، علمتَ على القطع مقدار ذلك من القوّة الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ الفرق بين التسخير العام والتسخير الخاصّ؛ وهل كون الحقّ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[5] و﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾[6] هل هو من علم التسخير وبابه؟ أم هو من حقيقة أخرى؟ فإنّ السيّد، بصورة الحال، يقوم بما يحتاج إليه عبده؛ فهو تسخير دقيق يعطي كمالا في السيّد؛ فإنّ العبد ليست منزلته أن يسخِّر سيّده. ومنزلة العبد أن يكون مسخَّرا تحت تسخير سيّده بالحالين: تسخير بأمر سيّده، وتسخير بنفسه من ذاته لكونه عبدا. وقد يسخَّر لغير سيّده من أمثال سيّده، ومن أمثاله بطرق مختلفة؛ منها ما يكون تسخيره لذلك الغير عن أمر سيّده، ومنه ما يكون بطريق المروءة مع المسخَّر له -بفتح الخاء-، ومنه ما يكون عادة لاستصحاب

١ [الزمر : ٦٨]
٢ [ص : ١٥]
٣ [يونس : ٦٤]
٤ ص ٥٦
٥ [الرحمن : ٢٩]
٦ [الرحمن : ٣١]

التسخير له[1]، من كونه عبدا، فصار له ذلك دندنا[2] يحكم عليه؛ فيتسخّر لغير سيّده بحكم العادة، لا بالمروءة ولا بأمر السيّد.

وفيه عِلْمُ نظر العالم كلّه إلى هذا الإنسان؛ هل ينظر إليه من كونه خليفة؟ أو ينظر إليه من حيث ما عنده من الأمانات له، ليؤدّيها إليه؟ فهو مرسَل من الحقّ بحكم الجبر، لا بحكم الاختيار؛ لأنّه ما خُلق بالأصالة إلّا لتسبيح خالقه.

وفيه عِلْمُ ما تقع به العناية الإلهيّة للعبد، وما يعطيه ذلك الاعتناء من المنزلة والعلم.

وفيه عِلْمُ الإجمال والتفصيل.

وفيه عِلْمٌ دقيق؛ وهو أنّ آدم عليه السلام أعطى لداود من عمره ستّين سنة، حين رأى صورته بين إخوته؛ فأحبّه؛ فقيل له: ذلك داود. فجحد آدم بعد ذلك ما أعطاه، فانكسر قلب داود عند ذلك، فجبره الله بِذِكْرٍ لم يعطه آدم، فقال في آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3] وما عيّنه باسمه، ولا جمع له بين أداة المخاطَب وبين ما شرّفه به، فلم يقل له: "وعلّمتك الأسماءَ كلّها". وقال في خلافة داود: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[4] فسمّاهُ. فلمّا علم الله أنّ مثل هذا المقام والاعتناء يورثه النفاسة على أبيه آدم؛ فإنّه على كلّ[5] حال بشر؛ يكون منه ما يكون من البشر، وما عرف قدر هذا إلّا رسول الله ﷺ فقال: «إنما أنا بشرٌ. أغضب كما يغضب البشر» يعني لنفسه ولحقِ غيره «وأرضى كما يرضى البشر» يعني لنفسه ولغيره. وكان هذا من التأديب الإلهيّ الذي أدّبه به ربُّه -تعالى- فيما أوحى به إليه، فقال له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[6] أي حُكْمُ البشريّةِ فيَّ حُكمها فيكم.

١ ص ٥٦ب
٢ دندنًا: طبعا وعادة
٣ [البقرة : ٣٠]
٤ [ص : ٢٦]
٥ ص ٥٧
٦ [الكهف : ١١٠]

فلمّا أراد الله تأديب داود لما يعطيه الذِّكْر الذي سمّاه الله به من النفاسة على أبيه، ولا سيما وقد تقدّم من أبيه في حقّه ما تقدّم من الجحد لما امتنّ به عليه، لكون الإنسان ﴿إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[1] غير أنّ آدم ما جحد ما جحده إلّا لعلمه بمرتبته، حيث جعله الله محلّا لعلم الأسماء الإلهيّة، التي ما أثنت الملائكة على الله بها، ولم تُعْطَ بعده إلّا لمحمد ﷺ، وهو العلم الذي كنى عنه بأنّه جوامع الكلم.

فعلم آدمُ أنّ داود، في تلك المدّة التي أعطاه من عمره، لا يمكن أن يعبد الله فيها إلّا على قدر كماله، وهو أنقص من آدم في المرتبة بلا شكّ، لسجود الملائكة، وما علّمهم من الأسماء. فطلب آدم أن يكون له العمر الذي جاد به على ابنه داود ﵇ ليقوم[2] فيه بالعبادة لله، على قدر علوّ مرتبته على ابنه داود وغيره، مما لا يقوم بذلك داود. فإذا قام بتلك العبادة في ذلك الزمان المعيّن، وَهب لابنه داود أجر ما تُعطيه تلك العبادة من مثل آدم، ولو ترك تلك المدّة لداود لم تحصل له رتبة هذا الجزاء، وحصل لآدم ﵇ من الله على ذلك، رتبة جزاء مَن آثر على نفسه بجزاء مثل هذا، ما لم يكن يحصل له لو ترك تلك المدّة لداود.

فكما أحبّه في القبضة حين أعطاه من عُمره ما أعطاه، كذلك -من حبّه- رجع في ذلك ليعطيه جزاء ما يقع في تلك المدّة من آدم من العمل، ولا عِلم لداود بذلك. فلمّا جَبَرَه الله بذِكْر اسمه في الخلافة، قال له من أجل ما ذكرناه مِن تطرُّق النفاسة التي في طبع هذه النشأة: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فحذّره، فشغله ذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله له باسمه، ولكن قد حصل له الفرح، وأخذ حظّه منه قبل أن يصل زمان ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا عن الله. فأمره بمراقبة السبيل، ثمّ أدبَ[3] الله معه حيث قال له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ[4] عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا﴾[5] ولم يقل: "فإنّك إن

١ [المعارج: ٢١]
٢ ص ٥٧ب
٣ كتب مقابلها في الهامش: "تأدب" مع حرف خ
٤ ص ٥٨
٥ [ص: ٢٦]

ضللتَ عن سبيل الله لك عذاب شديد" وهذا علم شريف.

وفي هذا المنزل علم أنّ أصحاب الكشف، ليس من حقيقة الكشف أن يعلمه المكاشف في كلّ صورة، بل ذلك على قدر ما يريده الحقُّ؛ فيستر عنه ما شاء ويطلعه على ما شاء. فليس من شأن المكاشف نفوذ بصره في كلّ صورة تتجلّى له، بل تقوم له تلك الصورة التي لا يدري ما هي، مقام كثافة الصورة عن إدراك الحِسّ البشريّ، لما خطر في نفس تلك الصورة التي أدركها البصر. وفي وقتٍ آخر يعطيه الكشف بما تكلّم به ذلك الشخص في قلبه، وهو الكلام على الخاطر، عن علمٍ معيَّن له وكشف، لا عن زجر، ولا حدس، ولا موافقة.

وفيه عِلمُ ما يبقي الرفق الإلهيّ بالعالم.

وفيه عِلمُ حكمة وجود العالَم.

وفيه عِلمُ أسباب النزول.

وفيه عِلمُ الوهب والكسب.

وفيه عِلمُ ما هو الأمر الذي يقوم فيه العبد مقام سيّده؟.

وفيه عِلمُ رعاية الأسباب التي أعطت الخير لصاحب النظر فيها.

وفيه عِلمُ الأبدال، أي علم الصور التي يتركها البدل على[1] صورته حيث شاء، على علم منه. وأنّ منزله منزلة عيسى- ﵇ في قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[2]، وعِلمُ الصور التي يقيمها الحقُّ بدلا من صورة هذا الذي يقام عنه حيث شاء الحقُّ، على غير علم مِن هذا الذي يقام عنه. ومنزلته فيها منزلة يحيى ﵇ في قول الله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[3] وأيُّ المقامين أتمّ وأعلى؟ وكون يحيى لم يجعل له من قبل

١ ص ٥٨ب
٢ [مريم: ٣٣]
٣ [مريم: ١٥]

سميّا، واختصاصه بذبح الموت يوم القيامة.

وفيه عِلْمُ ما السبب الذي يدعو الإنسان أن يطلب الانفراد بالأتمّ والأعلى، والشفوف على غيره.

وفيه عِلْمُ رفع المقادير؛ هل تُرفع في نفس الأمر؟ أو لا يَصحّ رفعها، وإنما ترفع في حقّ مَن ترفع في حقّه، وهي مقدّره عند الله من حيث لا يشعر العالم بذلك؟

وفيه عِلْمُ أنّ كلّ شيء يعلمه الإنسان إنما هو تذكُّر لا ابتداء علم، وأنّ كلّ علم عنده لكنّه نَسِيَه.

وفيه عِلْمُ صورة تسليط الجنّ على الإنس، والإنس على الجنّ. وهل تسليط الجنّ على الإنس ظاهرا وباطنا[1]؟ أو هو في حقّ قوم ظاهرا خاصّة، والباطن معصوم؟ أو كيف هو الأمر؟ وكذلك القول في تسليط الإنس على الجنّ. إلّا أنّ الإنس ليس لهم تسليط إلّا على ظاهر الجنّ، إلّا مَن تَرَوْحَنَ من الإنس وتلطّف معناه، بحيث أن يظهر في ألطف من صور الجنّ، فيسري بذاته في باطن الجنّ سَريان الجنّ في باطن الإنس؛ فيجهله الجنّي، ويتخيّل أنّ ذلك من حكم نفسه عليه؛ وهو حكم هذا الإنسيّ المتروحِن. وما رأيت أحدا نبّه على هذا النوع من العلم، وأطلعني الله -تعالى- عليه. فما أدري هل عَلِمَه مَن تقدّم من جنسي وما ذَكَره، أم لا؟

وفيه عِلْمُ الدواء الذي به يزيل الإنسان ما أثّرَ فيه الجنّ في تسلّطه عليه. وفيه عِلْمُ ما ينكشف له بعد ذهاب هذا الأثر منه.

وفيه عِلْمُ صدور الكثرة عن الواحد، وهل صدر عن الواحد أحديّة الكثرة، أو الكثرة؟

وفيه عِلْمُ الصادر عن المصدر أنّه يؤذن أن يكون له حكم المصدر. فإن ثبت هذا، فيكون مآلُ العالَم المكلَّف إلى الراحة، فإنّ الحق لـمّا صدر عنه العالم من يوم الأحد إلى يوم الجمعة،

١ ص ٥٩

ودخل يوم الأبد وهو يوم السبت؛ والسبت الراحة؛ وهو السابع من الأيّام الذي لا انقضاء له، وما[1] مسّ الخالق من لُغُوب، في خلقِه ما خلق. ولكن كان يوم السبت يوم الفراغ من طبقات العالم، وبقي الخلق من الله، فيما يحتاج إليه هذا العالم، من الأحوال التي لا ينتهي أبدها، ولا ينقضي أمدها.

وفيه عِلْمُ نشء الملائكة.

وفيه عِلْمُ نشء الإنسان، ومرتبته، وما له من الحضرة الإلهيّة. وتفاضُل أشخاص هذا النوع؛ بِمَ[2] يكون التفاضل: هل بالنشء أو بما يقبله من الأعراض.

وفيه من العلوم غير هذا، ولكن قصدنا إلى المهمّ فالمهمّ من ذلك لنتنبّه القلوب عليه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ ص ٥٩ب
٢ ق: بما
٣ [الأحزاب: ٤]

الباب السابع والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل العِنديّة الإلهيّة
والصفّ الأوّل عند الله تعالى

كَمْ بَيْنَ مَنْ يَعْلَمُ ما كانَ لَه — وبَيْنَ مَنْ زادَ عَلَى عِلْمِهِ
هَـذَا الذِي فِي عِلْمِهِ يَرْتَقِي — وَذاكَ ما يَبْرَحُ مِنْ حُكْمِهِ
فَالحالُ[1] لِلأَوَّلِ مِنْ كَيْفِهِ — والعِلْمُ لِلآخِرِ مِنْ كَمِّهِ
وَكَمُّهُ لا يَنْتَهِي حُكْمُهُ — فَعِلْمُهُ يَرْبِي عَلَى فَهْمِهِ
لَوْلا وُجُودُ الحَرْفِ ما كانَ لِي — فَهْمٌ وَقَدْ يُدْرَكُ مِنْ وَهْمِهِ
فالعِلْمُ والفَهْمُ لِعَيْنِي مَعًا — وَلَيْسَ لِلحَقِّ سِوَى عِلْمِهِ

وقال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[2] وقال: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[3] وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾[4] وقال رسول الله ﷺ: «كما تُصَفُّ الملائكةُ عند ربّها» وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[6] فاختلفت إضافات هذه العِنديّة باختلاف ما أُضِيفَتْ إليه من اسم وضمير وكناية. وهي ظرفٌ ثالثٌ ما رأيتُ مِن أهل الله مَن تَنَبَّهَ له حتى يُعرف ما هو؟ فإنّه ليس بظرف زمان، ولا ظرف مكان مخلّص؛ بل ما هو ظرف مكانٍ جملة واحدة على الإطلاق. وكذلك[7] هو في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾[8] فجعل لنا عنديّة، وما هي ظرف مكان في حقّنا. فعجبتُ من العلماء؛ كيف غفلوا عن تحقيق هذه العنديّة التي اتّصف بها الحقّ والإنسان؟

١ ص ٦٠
٢ [النحل : ٩٦]
٣ [الكهف : ٦٥]
٤ [الأنعام : ٥٩]
٥ [لقمان : ٣٤]
٦ [الحجر : ٢١]
٧ ص ٦٠ب
٨ [النحل : ٩٦]

ثمّ إنّ الله جعل عنديّته ظرفًا لخزائن الأشياء، ومعلوم أنّه يخلق الأشياء ويخرجها من العدم إلى الوجود. وهذه الإضافة تقضي بأنّه يخرجها من الخزائن التي عنده؛ فهو يخرجها من وجودٍ لم ندركه إلى وجودٍ ندركه؛ فما خلص الأشياء إلى العدم الصرف. بل ظاهر الأمر أنّ عدمها من العدم الإضافيّ. فإنّ الأشياءَ في حال عدمها مشهودةٌ له يميّزها بأعيانها، مفصَّلة بعضها عن بعض، ما عنده فيها إجمال. فخزائنها، أعني خزائن الأشياء التي هي أوعيتها المخزونة فيها، إنما هي إمكانات الأشياء، ليس غير ذلك. لأنّ الأشياء لا وجود لها في أعيانها، بل لها الثبوت. والذي استفادته من الحقّ (هو) الوجود العينيّ؛ فتفصّلت للناظرين ولأنفسها، بوجود أعيانها. ولم تزل مفصَّلة عند الله تفصيلا ثبوتيّا.

ثمّ لمّا ظهرت في أعيانها، وأنزلها الحقّ من عنده، أنزلها في خزائنها؛ فإنّ الإمكان ما فارقها حُكْمُهُ. فلولا ما هي في خزائنها، ما[1] حكمتْ عليها الخزائن. فلمّا كان الإمكان لا يفارقها طرفة عين، ولا يصحُّ خروجها منه، لم يزل المرجِّح معها؛ لأنّه لا بدّ أن تتّصف بأحد الممكنَيْن؛ من وجود وعدم. فما زالت هي والخزائن عند الله، إذ المرجِّح لا يفارق ترجيح أحد الممكنَيْن على هذه الأشياء، فما لها خروج من خزائن إمكانها، وإنما الحقّ -سبحانه- فتح أبواب هذه الخزائن، حتى نظرنا إليها ونظرت إلينا، ونحن فيها وخارجون عنها، كما كان آدم خارجا عن قبضة الحقّ، وهو في قبضة الحقّ يرى نفسه في الموطِنَيْن.

فمن رأى الأشياء، ولم يَرَ الخزائن، ولا رأى الله الذي عنده هذه الخزائن؛ فما رأى الأشياء قطّ؛ فإنّ الأشياء لم تفارق خزائنَها، وخزائنُها لم تفارق عنديّة الله أو الضمائر، والعنديّة الإلهيّة لم تفارق ذاته. فمن شهد واحدا من هذه الأمور فقد شهد المجموع.

عِنْدِيَّةُ الحَقِّ عَيْنُ ذَاتِه — فِيهَا لأَشْيائِهِ خَزَائِنْ
يَنْزِلُ مِنْها الّذِي يَرَاهُ — فَهْوَ لِمَا يَحْتَوِيهِ صَائِنْ

١ ص ٦١

إنْـزَالُهُ[1] لَـمْ يُـزِلْهُ عَنْهـا   لأنَّـــهُ أعْـيُنُ الكَــوَائِنْ
عِنْدِيَّــةٌ ظَرْفُهـا تَزِيْــهٌ   مـا هِيَ عِنْدِيَّـةُ الأَمـاكِنْ
وَدَهْرُهــا اللهُ لا زَمــانٌ   والدَّهْرُ ظَرْفٌ لِكُلِّ ساكِنْ
يَمْلِكُــهُ بِالسُّــكُونِ فِيْـهِ   مَسْـكَنُهُ أَشْرَفُ المَسـاكِنْ
لَـيْسَ لَهَـا نَقْلَةٌ بِلا هُـو   فَهِـي كَحُلْزُومَــة فَعَــايِنْ
ما صُغْتُهُ مِنْ دَقِيْقِ مَعْنَى   وَمــا أَنَا لِلغَــرِيْمِ ضَـامِنْ

فما في الكون -إن كنت عالما- أحديّة، إلّا أحديّة المجموع؛ لأنّه لم يزل إلها، ولا يزال إلها، وما تجدّد عليه حكم لم يكن عليه، ولا حدث اسم لم يكن تَسمّى به؛ فإنّه المسمّي نفسَه، ولا قام به نعتٌ لم يكن قبل ذلك منعوتا به؛ بل له الأمر من قبل ومن بعد. فهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى، والإله[2] الذي لم يزل في العماء[3]، والرحمن الذي وصف نفسه بالاستواء، والربّ الذي ينزل كلّ ليلة في الثلث الباقي من الليل إلى السماء، وهو معنا أينما كنّا، وما يكون من نجوى عدد معيّن إلّا هو مُشْفِعُ ذلك العدد أو مُوْتِرُهُ. فهو رابع الثلاثة، وسادس الخمسة، وأكثر من ذلك وأدنى. فهل رأيتَ، أو هل جاءك من الحقّ في وحيه إلّا أحديّة المجموع؟ لأنّه ما جاء إلّا إلهٌ واحدٌ، فـ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ... الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[4].

وأنت تعلم، إن كنت من أهل الفهم عن الله، أنّ هذه الأسماء، وإن ترادفت على مسمّى واحد من حيث ذاته، فإنّا نعلم أنّها تدلّ على معانٍ مختلفة: فـ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[5] فما ندعو إلّا إلها واحدا، له هذه الأسماء المختلفة الحقائق

---

١ ص ٦١ب
٢ ص ٦٢
٣ ق: "عما" وصححت فوق السطر بقلم الأصل
٤ [الحشر : ٢٢ - ٢٤]
٥ [الإسراء : ١١٠]

والمدلولات، ولم تزل له هذه الأسماء أزلا. وهذه هي الخزائن الإلهيّة، التي فيها خزائن الإمكانات المخزونة فيها الأشياء. فقابل الجمع الجمع، والكثرة الكثرة، والعدد العدد؛ مع أحديّة العين؛ فذلك أحديّة الجمع. وكلّ مصلٍّ يناجي ربّه في خلوة به معه، وإنّ الله واضع كنفه عليه؛ فهو[1] المطلق المقيّد، العامّ في الخصوص، الخاصّ في العموم.

واعلم أنّ الله جعل لنا موطنين في التصفيف، لم يجعل ذلك لغيرنا من المخلوقين: صَفٌّ في موطن الصلاة، وصَفٌّ في موطن الجهاد، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[2]، وأمرنا بالتراصّ في الصفّ في الصلاة، وذكر أنّ الملائكة تتراصّ في الصفّ عند ربّها، وجعل صفوفنا كصفوف الملائكة، وليس ذلك لغيرنا من الأمم. ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ وهو الإمام ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾[4] فالإمام صَفٌّ وحده، لأنّه مجموعٌ، وأحديّته أحديّةُ المجموع؛ ولذلك كان صفّا وحده.

وتجلّي الحقّ لأهل الصفوف في مجموع الأحديّة، لا في أحديّة المجموع؛ لأنّ كلّ شخص من أشخاص الصفوف، يناجي من الحقّ ما يعطيه حضورُه، وما يناسب قصده، وما هو عليه من العلم بربّه. ولهذا تجلّى لهم في مجموع الأحديّة، فسبق لهم المجموع، وأضافه إلى الأحديّة حتى لا يُشركوا مع الله أحدا في عبادتهم، مع اختلاف مقاصدهم، وعقائدهم، وأحوالهم، وأمزجتهم، ومناسباتهم. ولهذا تختلف سؤالاتُهم وتكثر. فلو تجلّى لهم في أحديّة المجموع، لم يتمكن لهم النظر إلى المجموع[5]، مع وجود تَقَدُّم الأحديّة. ولو كان ذلك، لكانت مقاصِدُهم مقصدا واحدا، وسؤالهم سؤالا واحدا، وحالاتهم في الحضور حالا واحدة، وعلمهم بالله علم واحد. والواقع ليس كذلك.

فدلّ على أنّ التجلّي كان في مجموع الأحديّة، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[6] فرجع المجموع إلى الواحد، وأضيف إليه لئلّا يتخيّلوا أنّ المجموع وجودُ أعيان، وهو وجودُ أحكام. وأنّ الله ما

---

١ ص ٦٢ب
٢ [الصف : ٤]
٣ [الفجر : ٢٢]
٤ [النبأ : ٣٨]
٥ ص ٦٣
٦ [هود : ١٢٣]

شرع الإمام في الصلاة إلّا ليقابل به الأحديّة، التي أضاف المجموعَ إليها، ويقابل بالجماعة مجموع الأحديّة. فالإمام يناجي الأحديّة خاصّة. ولهذا اعتقد مَن اعتقد عصمة الإمام في الصلاة حتى يسلّم، وهم أصحاب الإمام المعصوم. لأنّ الواحد لا يسهو عن أحديّته إلّا المعلِّم بالفعل، فإنّه يقوم به السهو، ليعلم كيف يكون حكم الساهي من الجماعة؛ وليس إلّا الأنبياء خاصة. وما عدا الرّسل فهو متّبع واحد من أهل الصفّ، فإذا تقدّم وليس برسول، فهو معصوم؛ لأنّه ليس بمعلِّم. هذا الذي جعل أصحاب الإمام المعصوم، الذين هم الإماميّة، يقولون بعصمة الإمام، والواقع بخلاف ذلك.

فإنّه ما من إمام إلّا ويسهو في صلاته، وإن لم يَسْهُ عن[1] صلاته. والجماعة تناجي مجموع الأحديّة؛ كلّ شخص مأموم يناجي ما يقابله من مجموع الأحديّة. فأيّ مصلٍّ صلّى ولم يشاهد ما ذكرناه من إمام ومأموم، فما صلّى الصلاة المشروعة بالكمال. وإن أتمّها فما أكملها. لأنّ تمام الصلاة: إقامةُ نشأتها، واستيفاء أركانها: في فرائضها، وسننها: من قيام، وتكبير، وقراءة، وركوع، وخفض، ورفع، وهيئة، وسلام. إذا أتى بهذا كلّه؛ فقد أتمّها. وإذا شاهد ما ذكرناه؛ فقد أكملها. لأنّ الغاية هي المرتبة؛ وما وُضِعت الصلاة إلّا لغايتها، وهو المعبَّر في العموم بالحضور في الصلاة، أي استصحاب النيّة في أجزائها، من أوّل الدخول فيها والتلبّس بها، إلى الخروج منها.

فانظر -يا أخي- هل صلّيتَ مثل هذه الصلاة، إماما كنت أو مأموما؟ وهل فرّقتَ بينك وبين إمامك في الشهود؟ أم ميّزتَه عنك بالتقدّم المكانيّ وبتقدّم المكانة بالحكم؟ فلا تُكبِّر حتى يكبِّر، ولا تركع حتى يركع، ولا تفعل شيئا من أفعال الصلاة حتى يفعل؛ فإنّ رتبتك الاتّباع. فالإمام متقدّم على المأموم: مكانا إن كان في جماعة ومكانة، ومكانة إن لم يكن معه إلّا واحد. فهو إمامٌ بالمكانة يقابل الأحديّة، ويقابل مجموع الأحديّة بانضمام الآخَر إليه، حتى[2] كان الصفّ. فالإمام[3] إذا تقدّم بالمكان، والجماعة خلفه، لم يشهد سِوَى الأحديّة. وإن كان في الصفّ مع

١ ص ٦٣ب
٢ ص ٦٤
٣ ثابتة فوق السطر بقلم الأصل

المأموم، لوحدانيّة المأموم، شهد الإمام مجموع الأحديّة، والأحديّة. وشهد المأموم مجموع الأحديّة لا غير. فميّزته عنه المكانة؛ لاتّباعه إيّاه، واقتدائه به.

فإن خالفه، فإنّ ناصية المأموم بيد شيطان، والشيطنةُ البُعد، والصلاة قُرْبٌ؛ فهذا قُرْبٌ في عين بُعْدٍ، وبُعْدٌ في عين قُرْبٍ. فلم يشهد هذا المأموم مجموع الأحديّة، لأنّه ليس بمأموم: لا مكانا ولا مكانة. وإذا كان بهذه المثابة، فإنّ الإمام في حال مخالفة المأموم له، ما يشاهد إلّا الأحديّة؛ لأنّه ليس في صفٍّ لفقد المأموم، لمّا زال عن مأموميّته. فالإمام، في هذه الحال، كالمصلّي وحده، بالنظر إلى حال هذا المأموم، وهو إمام بالنظر إلى مَن يصلّي خلفه من الملائكة، والملائكةُ لا تُصَفُّ إلّا خلفه؛ والملائكةُ تُصَفُّ عند ربّها. وهي، في هذه الحال، عند الإمام المصلّي بها، وهي لم تزل عند ربّها. فالإمام خليفةٌ؛ فأُسجِد له الملائكة، والإمام يسجد لله؛ فاللهُ قِبْلَةُ الإمام؛ والإمامُ قِبْلَةُ الملائكة.

وما أمّ جبريل عليه السلام بالنبيّ ﷺ إلّا ليُعلِّمه الصلاة بالفعل؛ فصلّى به مكانةً لا مكانا؛ فإنّه صلّى به وحده؛ لم يتقدّم عليه. فعلّمه[1] عدد الصلوات في أوقاتها وهيئاتها على أتمّ الوجوه. ثمّ أمره، إذا كان في جماعة، أن يتقدّمهم بالمكان. ومَن رأى أنّه تقدّم بالمكان، جبريلُ أيضا، فلم يكن ذلك إلّا حتى كشف الله الغطاء عن بصر النبيّ ﷺ، فرأى الملائكة، فرأى الجماعة، فصفّ معهم خلف جبريل، وأمّا على الستر فلا. ولهذا صلّى النبيّ ﷺ بالرجل وحده، وجعله على يمينه في صفّ واحد؛ لأنّ ذلك الشخص لم يشاهد الملائكة؛ فراعى الإمام حكم المأموم.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ﴾[2] نادى الله موسى، ولا بالجانب الغربيّ إذ قضى- إلى موسى الأمر، ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3] كذلك ما كنت مع رسول الله ﷺ إذ أمّ به جبريلُ الصلوات الخمس، وما كنت من الشاهدين ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾[4] وليس حُكم مَن شاهَدَ الأمور حُكمَ من لم يشاهدها إلّا بالإعلام؛ فللعيان حال لا يمكن أن يعرفه

١ ص ٦٤ب
٢ [القصص : ٤٦]
٣ [القصص : ٤٤]
٤ [يوسف : ٨١]

إلّا صاحب العيان، كما أنّ للعلم حالا لا يعرفه إلّا أُولو العلم، ليس لغيرهم فيه ذوق، ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾[1]، ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[2].

ولَكِنْ لِلعَيانِ لَطِيْفُ مَعْنًى   لِذا سَأَلَ المُعايَنَةَ الكَلِيْمُ

وما[3] زال سجود الملائكة لبني آدم في كلّ صلاة، كما سجدوا لأبيهم آدم. فما زالت الخلافةُ في بني آدم ما بقي فيهم مصلٍّ يقول: "اللهُ اللهُ"؛ فإنّ الأمر الإلهيّ والشأن، إذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمُه إلى يوم القيامة. وقد وقع السجود لآدم من الملائكة، فبقي سجودهم لذريّته خلف كلّ من يصلّي إلى يوم القيامة. كما نسي آدم فنسيت ذريّته، كما جحد آدم فجحدت ذريّته، كما قتل قابل هابلا ظلما فما زال القتل ظلما في بني آدم إلى يوم القيامة. وعلى الأوّل كِفْلٌ من ذلك، كما للأوّل في الخير نصيب من كلّ مَن فعله. فـ«من سَنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَنّ سُنّة سيّئة فعليه[4] وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وهم الذين يحملون ﴿أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[5].

فكلّ مُصلٍّ إمامٌ للملائكة، والملائكة خلفه[6] تسجد له. إلّا أنّ الفرق بين الأصل والفرع، أعني آدم وذريّته، أنّ الملائكة سُجَّد لسجود بني آدم في القراءة والصلاة، وآدم سجدوا له سجود المتعلّم للمعلِّم. فاجتمعنا في السجود واختلفنا في السبب. وإنما المقصود الذي أردناه أن نبيّن أنّ السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع، وأنّ الإمامة ما ارتفعت، من آدم إلى آخر مصلٍّ، والملائكة تبع لهذا الإمام، كما قرّرناه.

فنحن عند الله في[7] حال إمامتنا، والملائكة، في هذه الحال، عندنا بالاقتداء؛ فهي عند ربّها لأنّ الإمامَ عنده، فالملائكة عنده لأنّها عند الإمام؛ وكلّ صفّ إمامٌ لمن خلفه، بالغا ما بلغ.

١ [البقرة : ٢٦٠]
٢ [الأعراف : ١٤٣]
٣ ص ٦٥
٤ ق: فله
٥ [العنكبوت : ١٣]
٦ ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٧ ص ٦٥ب

فَعِنْدِيَّةُ الرَّبِّ مَعْقُولَةٌ   وعِنْدِيَّةُ "الهُوَ" فَلا تُعْقَلُ
وعِنْدِيَّةُ اللهِ مَجْهُولَةٌ   وَعِنْدِيَّةُ الخَلْقِ لا تُجْهَلُ
ولَيْسَ هُما عِنْدَ ظَرْفِيَّةٍ   ولَيْسَ لَها غَيْرُها مَحْمَلُ

الضمير في "لها" يعود على الظرفيّة، و(في) "هما" يعود على عنديّة الحقّ والخلق.

واعلم أنّ العنديّة نِسبة، ما هي أمر وجوديّ؛ لأنّ النِّسب أمور عدميّة؛ ثابتة الحكم معدومة العين. وسيأتي الكلام -إن شاء الله- في أحوال الأقطاب فيمن كان هِجّيره: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[1] من هذا الكتاب. وإنما قلنا: إنّ عنديّة الله مجهولة؛ لأنّ الله، بما هو الله، لا يتعيّن فيه اسم من الأسماء الإلهيّة دون اسم؛ فإنّه عين مجموع الأسماء، وما تخصّصه إلّا[2] الأحوال. فإنّه من قال: "يا ألله؛ افعل لي كذا" فحاله تُخَصِّص أيّ اسم أراد مما يتضمّنه هذا الاسم "الله" من الأسماء؛ فلهذا يقال فيه: إنّه مقيّدٌ في إطلاق، أي تقيّده الأحوال بما تطلبه من الأسماء المدرجة فيه، ومطلَق من حيث انتفاء الأحوال؛ فهو الاسم القابل لكلّ اسم. كما أنّ الهيولي الكلّ قابلة لكلّ صورة.

وعنديّة الربّ قريبة من هذا، إلّا أنّ الفرق بينهما أنّ الربّ ما أتى قطّ إلّا مضافا. فمن كان عنده، فهو عند مَن أُضيف إليه، ولا يضاف إلّا إلى كون من الأكوان. وعنديّة الخلق معلومة، فعنديّة الربّ معقولة. وأمّا عنديّة الـ"هُوَ"، فإنّ الـ"هُوَ" ضمير غائب، والغائب لا يُحكم عليه ما كانت حاله الغَيبة؛ لأنّه لا يُدرى على أيّ حالةٍ هو، حتى يُشهد. فإذا شُهِد فليس هو؛ لأنّ الغَيبة زالت عنه. ألا ترى الساكت لا يُنسب إليه أمر حتى يتكلّم، ولا مذهب؟ ولهذا لا يدخل في الإجماع بسكوته. وهذه مسألة خلاف، والصحيح ما قلناه. كما أنّ ترك النكير ليس بحجّة إلّا في بقاء ذلك الأمر على الأصل المنطوق به في قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[3] وكلامُ بني آدم مما خَلَقَ في الأرض، وجميع أفعالهم (كذلك).

١ [النحل : ٩٦]
٢ ص ٦٦
٣ [البقرة : ٢٩]

فإذا رأينا أمرا قد قيل أو فُعِل بحضر رسول الله ﷺ ولم ينكره، فلا نقول: إنّ حكمه الإباحة؛ فإنّه لم يحكم[1] فيه بشيء. إذ يحتمل أنّه لم ينزل فيه شيء عليه، وهو لا يحكم إلّا بما أوحى الله فيه إليه، فيبقى ذلك على الأصل، وهو التصرّف الطبيعي الذي تطلبه هذه النشأة، من غير تعيين حكم عليه بأحد الأحكام الخمسة؛ وهو الأصل الأوّل. أو نردّه إلى الأصل الثاني، وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وليس بنصّ في الإباحة، وإنما هو ظاهر؛ لأنّ حكم المحظور خلق، أي حَكم به من أجلنا، أي نزل حكمه من أجلنا ابتلاء من الله: هل نمتنع منه، أم لا؟ كما نزل الوجوب، والندب، والكراهة، والإباحة. فالأصل أن لا حكم، وهو الأصل الأوّل الذي يقتضيه النظر الصحيح.

ويتضمّن هذا المنزلُ من العلوم:

عِلْمُ حمد السرّاء وتفاصيله، فإنّه عمّ الطرفين والواسطة، وأضافه إلى العالَمين؛ لم يخصّ عالَمًا من عالَم. فقال في الطرف الواحد في أوّل فاتحة الكتاب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] وجعل هذا التحميد بين الرحمتين المركّبة، فإنّه تقدّمه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[3] وتأخّر بعده ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[4] فصار العالم بين رحمتين. فأوّله مرحوم، ومآله إلى الرحمة. وجاء في وسط سورة "يونس" في صفة أهل الجنّة أنّ آخر دعواهم: ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5] وجاء في سورة "والصافّات": ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6] من بعد قوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[7] وهم المرحومون السالمون. فحَمِدَ الله ربّ العالمين عقيب[8] نصره وظفره بخيبر. فهو حمد نعمة؛ فظهر حمد النعمة في أوّل السورة، وفي وسطها، وفي آخرها؛ فعمّ الطرفين والواسطة. فهل هذا الحمد في هذه المراتب على السواء من كونه حمد سرّاء؟ أو هو مختلف المراتب، لاختلاف الطرفين

١ ص ٦٦ب
٢ [الفاتحة : ٢]
٣ [الفاتحة : ١]
٤ [الفاتحة : ٣]
٥ [يونس : ١٠]
٦ [الصافات : ١٨٢]
٧ [الصافات : ١٨١]
٨ ص ٦٧

والوسط؟ وأيّ المراتب أعلى فيه: هل أحد الطرفين أو الوسط؟ ولمن هو الحمد الأوّل من العالَمين، والوسط، والآخر؟ كلّ ذلك علم يعطيه الله العلماء بالله الذين ﴿يَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾[1].

وفيه عِلْمُ المراتب الملَكيّة والبشريّة، وهل مراتبها على السّواء؟ أو أيّ المراتب أعلى: هل مراتب البشر؟ أو مراتب الملائكة؟ أو لكلّ صنف منها مراتب تعلو على مراتب الآخر؟

وفيه عِلْمُ جلب المنافع؛ وهل المضار في طيّها منافع، أم لا؟ وتعيين المنافع.

وفيه عِلْمُ الاتّباع في الإلهيّات؛ هل يتبع التابع فيها الذِّكْر؟ أو الفكر؟

وفيه عِلْمُ توحيد الإضافة، لا توحيد الإطلاق. وهل التوحيد توحيدان، أم لا؟ أعني توحيد الذات، وتوحيد الإله في الألوهة. وبماذا يُدرك كلّ واحد من هذا التوحيد؟

وفيه عِلْمُ نسبة الله إلى الأشياء؛ هل هي عين نسبة الأشياء إلى الله، أو تختلف؟

وفيه عِلْمُ هل للشيء الواحد وجوه متعدّدة؟ أو ليس للشيء الواحد سِوى وجه واحد؟ وما يصدر عنه إذا كان بهذه المثابة؟

وفيه[2] عِلْمُ الفرق بين الرمي الإلهيّ والكوني.

وفيه عِلْمُ الديمومة.

وفيه عِلْمُ الاختلاس، وما حكمه في المختلِس -بكسر اللام- والمختلَس -بفتح اللام- اسم فاعل واسم مفعول، وأنّ الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

وفيه عِلْمُ ما للعالَم من الخلق.

وفيه عِلْمُ اجتماع خالِقَيْن على مخلوق واحد؛ هل أعطى كلّ واحد منهما ما أعطى الآخر؟ أم أحكامهما في خلقه مختلفة؟ وفيما اختلفوا فيه من خلقه؟ وفيما اجتمعوا؟

١ [الأحزاب : ٣٩]
٢ ص ٦٧ب

وفيه عِلْمُ الرفق بالجاهل في الحال، وإمهاله ليرجع عن جهله.

وفيه عِلْمُ النطق من الجاهل؛ هل حُكمه حكم نطق العالِم أم لا في الإصابة، وإن لم يعلم الجاهل المقام الذي منه نطق؟ وإصابته التي يراها العالِم خطأ، فساوى العالِمُ الجاهلَ في جهل المقام الذي منه نطق الجاهل. والفرق بين من يدري ذلك ممن لا يدريه من العلماء. وما حكم العالِم الذي يعلم ذلك؟

وفيه عِلْمُ تأثير الواحد في الكثيرين؛ من أين أثّر مع أحديّته؟

وفيه عِلْمُ الفصل والوصل.

وفيه عِلْمُ جمع الصفة للمختلفين: بأيّ حقيقة تجمعهم؟

وفيه عِلْمُ الهداية إلى الضلال.

وفيه عِلْمُ المواقف والقول، وهل للرِّضا مواقف كما للقهر، أم لا؟ وكم مواقف القيامة؟ وهل تنحصر مواقف أهل الله، كمواقف "النِّفَّري" أم لا تنحصر؟ أو[1] تنحصر من وجهٍ، ولا تنحصر من وجهٍ؟ ولماذا كان الوقوف؟ وهل هو وقوف سكون، أم لا يزال منتقلا في وقوفه؟

وفيه عِلْمُ الفَرق بين أهل الإسلام وأهل الاستسلام.

وفيه عِلْمُ طلب العلم من الكون.

وفيه عِلْمُ ما يعطيه الاعتراف بالحقّ في أيّ موطن كان؟ وهل هو نافعٌ صاحبَه بكلّ وجه، أم لا؟ وما ينبغي أن يعترف به مما لا ينبغي أن يعترف به؟

وفيه عِلْمُ العلم النافع.

وفيه عِلْمُ أدوات المعاني، ما كان منها مركّبا وغير مركّب.

وفيه عِلْمُ ما يُنْعِم الإنسان وما يعذّبه، وأنّه ليس شيء من الله في أحد.

---

١ ص ٦٨

وفيه عِلْمُ الخطوط والحدود الإلهيّة، وأنّها موسومة لا تختلط، وهي أعلم بمحالّها من محالّها بها، فإنّ محالّها معلومة لها، وليس هي معلومة المكان بمحالّها.

وفيه عِلْمُ النِّعم التي ترفع الآلام، والفرق بينها وبين النِّعم التي لا ترفع ألما.

وفيه عِلْمُ الأُنس بالمثل؛ وهل يقع الأُنس بالله لمن خلق على الصورة؟ أو من حقيقة كونه على الصورة، أنّه لا يأنس بالله كما لا يأنس الله به؟ وهل للعالَم بجملته هذا الحكم أم لا؟ وهل الإنسان، الذي[1] هو كالظلّ للحقّ، حكمه حكم الإنسان الكامل الخليفة الذي هو جزء[2] من ذلك الإنسان المشبَّه بالظلّ، أم لا؟

وفيه عِلْمُ الالتذاذ بالنقم الواقعة بالأغيار: هل هو من كمال الالتذاذ المطلوب؟ أو هل هو نقص في المستلِذّ له؟

وفيه عِلْمُ النفس في قوله: «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون» فإنّ هنا لطفا إلهيّا في الإعلام أجراه اللهُ على لسان رسوله ﷺ إنباءً أنّه ما يلقي الله في القلب إلّا ما هو حقٌّ فيه سعادة الإنسان؛ فإن رجع في ذلك إلى نفسه فقد أفلح. وهذا معنى قول بعض العارفين بهذا المقام حيث قال: "ما رأيت أسهل عليّ من الورع؛ كلّما حاك له شيء في نفسي تركته".

وفيه عِلْمُ تعظيم ما يعظّم من الأحوال في الفريقين[3].

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يثابر عليه.

وفيه عِلْمُ المفاضلة في الأحوال من غير نظر إلى أصحابها القائمة بهم.

وفيه العلم بالماهيّات.

وفيه عِلْمُ تشابه الصورتين، واختلاف الحكم.

وفيه عِلْمُ حكمة إيجاد الأئمّة في العالَم؛ المضلّين منهم وغير المضلّين.

---

١ ص ٦٨ب
٢ ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
٣ س، هـ: القرائن

وفيه عِلْمُ النداء عند البلاء؛ ولماذا اختصّ به دون النِّعم؟

وفيه عِلْمُ إجابة[1] الداعين والسائلين: هل يزيد المجيب على مطابقة ما وقع فيه السؤال، أو لا يزيد؟ فإن زاد؛ فهل هو إجابة سؤال حال؛ فإنّ النطق لم يكن ثَمّ؟

وفيه عِلْمُ ارتباط العالَم العُلويّ بالسفليّ ليُفيد، وارتباط السفليّ بالعُلويّ ليستفيد. والمفيد هو الأعلى أبدا، والمستفيد هو السفليّ أبدا. ولا حكم للمساحة، وعلوّ المكان.

وفيه عِلْمُ تأثير المحجوب في المكشوف له؛ من أيّ وجه أثّر فيه مع علوّ مرتبته[2]، وأنّ الحقّ يعضده؟ وما عقوبة ذلك المؤثّر؟

وفيه عِلْمُ الأسفار.

وفيه عِلْمُ مَن وُصِف بالحلم مع عدم القدرة، والحليم لا يكون إلّا قادرا على مَن يحلم عنه.

وفيه عِلْمُ أثر الخيال في الحسّ؛ وأين يبلغ حكمه؟

وفيه عِلْمُ حكم المراتب على أصحابها بما يكرهون.

وفيه عِلْمُ قيمة الأشياء، ولها حضرة خاصّة، وأنّه ما من شيء إلّا وله قيمة، إلّا الإنسان الكامل؛ فإنّ قيمته ربُّه.

وفيه عِلْمُ ما ينتجه الصدق، ومراتب الصادقين، وأن يسألوا عن صدقهم.

وفيه عِلْمُ حضرات البركات الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ مراتب الظلم، وما يحمد منه، وما يُذمّ؟

وفيه عِلْمُ الاشتراك في الأمر؛ هل حُكم ذلك الأمر في كلّ واحدٍ من الشركاء على السواء؟ أم يختلف الحكم مع الاشتراك في[3] الأمر لاختلاف أحوال الشركاء واستعداداتهم؟

وفيه عِلْمُ صورة حضرة اجتماع الخصوم بين يدي الحاكم.

وفيه عِلْمُ إلحاق الإناث بالذكور.

وفيه عِلْمُ القرعة؛ وأين يحكم به؟ وقول النبيّ ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصفّ

١ ص ٦٩
٢ "مع علوّ مرتبته" من هـ، س فقط
٣ ص ٦٩ب

الأوّل، ثمّ لم يجدوا إلّا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حَبْوًا».

وفيه عِلْمُ الظلمات؛ ولماذا (=وإلى ماذا) ترجع حقيقة الظلمة: هل لأمر وجوديّ أو عدميّ؟

وفيه عِلْمُ فضل التنزيه على غيره من المحامد.

وفيه عِلْمُ الشفقة على الجنين إذا خرج، والرفق به ورحمته، وقول النبيّ ﷺ: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا».

وفيه عِلْمُ اليقين والشكّ؛ وهل يتصف صاحب اليقين بالشكّ فيما هو على يقين فيه، أم لا؟

وفيه عِلْمُ انفراد الحقّ بعلم الخلق.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يُنسب إلى الله.

وفيه عِلْمُ مَن في طبعه أَمْرٌ مّا لا يزول عن حكم طبعه. وإن عرض له عارض يزيله، فليس بدائم الزوال، والطبعُ أغلب.

وفيه عِلْمُ تغيُّر الأحوال على الملائكة؛ من أين حصل لهم ذلك؟

وفيه[1] عِلْمُ العناية، وطبقات العالم فيه[2].

وفيه عِلْمُ الأناة والعجلة.

وفيه عِلْمُ عموم البشارة وخصوص الإنذار.

إلى غير ذلك من العلوم التي يطول ذِكْرها، فقصدنا إلى ذِكْر المهمّ منها.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ ص ٧٠
٢ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل سِرَّين من أسرار قلب الجمع والوجود

إنْ قِيْلَ هَلْ فِي وُجُودِ الكَوْنِ أَوْسَعُ مِنْ ... مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قُلْ قَلْبٌ إذا كانَا

بَيْـتُ الإلَهِ لإيمَـانٍ يَقُـومُ بِـهِ ... مَـعَ التَّـوَرُّعِ والتَّقْـوَى إذا زانَا

يُحِيطُ بِالحَـقِّ عِلْمًـا، عَـيْنُ صُـورَتِهِ ... وَهْوَ العَزِيزُ الَّذِي فِي عَيْنِهِ هانَا

القَلْـبُ مِلْـكِي والسُّـكْنَى لِخَالِقِـهِ ... عُمْرَى وَرُقْبَى وإيمَانًا وإحسانَا

قال رسول الله ﷺ: «إنّي لأجدُ نفَس الرحمن[1] يأتيني مِن قِبَلِ اليمن» فنفّس الله عنه بالأنصار، فكانت الأنصار كلمات الله؛ نصر الله بهم دينه وأظهره. وهذا المنزل هو منزل ذلك التنفيس الرحماني.

وهذا المنزل عنه ظهرت جميع المنازل الإلهيّة كلّها في العالم، الذي هو كلّ ما سِوَى الله -تعالى-؛ علوا وسفلا، روحا وجسما، معنى وحسّا، ظاهرا وباطنا. فمنه ظهرت المقولات العشرة. وجاء في الخبر النبوي رائحةٌ لما قلناه. وله وجوه إلى كلّ جنس، ونوع، وشخص، من العالم لا تكون لجنس آخر، ولا لنوع آخر، ولا لشخص آخر.

ولهذا المنزل صورة وروح وإمداد إلهيّ، من حيث ما نَسب الحقّ إلى نفسه من الصورة، ولكن من باطن الصورة. وحكم هذا الإمداد في الظاهر والباطن من صورة هذا المنزل، لكنّه في الباطن أتمّ. ولهذا أخّر الاسم ﴿الْبَاطِنُ﴾ عن ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ﴾[2] لمّا عبّر عن هذه النعوت الإلهيّة. وذلك أنّ الأمر الإلهيّ في التالي، أتمّ منه وأكمل منه في المتلوّ الذي هو قبله؛ ففيه ما في الأوّل وزيادة. هكذا هي كلمات الوجود الإلهيّة. و"الآخر" يتضمّن "الأوّل" و"الظاهر" يتضمّن ما في "الآخر" و"الأوّل". و"الباطن" يتضمّن ما في "الظاهر" و"الآخر"

١ ص ٧٠ب
٢ [الحديد: ٣]

و"الأوّل". ولو جاء شيء بعد الباطن لتضمّن الباطن وما قبله، ولكنّ[1] الحصر منع أن يكون سِوَى هذه الأربعة، لا خامس لها إلّا هويّته -تعالى-. وما ثَمّ في العالم حكم إلّا من هذه الأربعة. وعلى صورة هذه الأربعة ظهر عالم الأرواح وعالم الأجسام، وما ثَمّ عالَم سِوَى هذين.

فمن الإلهيّات: عِلْم، وإرادة، وقدرة، وقول، عنها ظهر عالم الأرواح الخارج عن الطبيعة، والطبيعة. ثمّ أظهر عن هذه الأربعة الإلهيّة الطبيعةَ على أربع، وعنها أظهر عالم الأجسام: كثيفها ولطيفها. كما أظهر عن هذه الأربع الإلهيّة من عالم التدوين والتسطير: عقلا، ونفسا، وطبيعة، وهيوليّ، قبل ظهور الأجسام. وأظهر الأركان أربعة، وهي: النار، والهواء، والماء، والتراب. وأظهر النشأة الحيوانيّة على أربعة أخلاط، وجعل لهذه الأخلاط أربع قوى: جاذبة، وماسكة، وهاضمة، ودافعة. فأقام الوجود على التربيع.

وجعله لنفسه كالبيت القائم على أربعة أركان؛ فإنّه: الأوّل، والآخر، والظاهر، والباطن. فللباطن ركن الحجر الأسود، فإنّه يمين الله في الأرض، المقبّل على جهة البيعة لله. فالعين تقع على الحجر، والبصيرة تقع على اليمين؛ فاليمين باطن للحجر، غير ظاهر للبصر؛ فشرف ركن الحجر على سائر الأركان[2]. فضَمّ حكم الباطن حكم الثلاثة النعوت التي قبل الباطن، وهو المخصوص بهذا المنزل. ولُبُّ هذا المنزل هو الصورة الإلهيّة التي منها يكون الإمدادُ له، ولُبُّ تلك الصورة هو روحُها؛ وهو لبُّ اللبّ، وهو خزانة الإمداد لهذا المنزل.

ولهذا المنزل التحكّم في العالم كلّه كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة توقد من شجرة هويّته؛ فهي لا شرقيّة ولا غربيّة لا تقبل الجهات. عن هذه الزيتونة يكون الزيت، وهو المادة لظهور[3] هذا النور. فهذه أربعة: مشكاة، وزجاجة، ومصباح، وزيت. والخامس: الهويّة؛ وهي الزيتونة المنزّهة عن الجهات، وكنى عنها بالشجرة، من التشاجر، وهو التضادّ لما تحمله هذه الهويّة من الأسماء المتقابلة: كالمعِزّ والمذِلّ، والضارّ والنافع. فانظر ما أكمل العبارات الإلهيّة، في

١ ص ٧١
٢ ص ٧١ب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

الإخبار بما هو الأمر عليه.

فمن دخل هذا المنزل، وفاته شيءٌ من العالَم وحقائقه؛ فما دخله. وإنما خَيّل الشيطان له، أو النفسُ، أنّه دخله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[1] إذ حضرة الخيال تنشئ كلّ صورة. وكثير من الناس يدخلون هذه الحضرة الخياليّة، ويشاهدون ما تجلّى لهم من الصور؛ فيزعمون أنّهم شاهدوا الوجود الثابت العين[2] على ما هو عليه، ولم يكن سِوَى ما صوّره الخيال. فمن بُلي بمثل هذا فليتربّص قليلا، فإن كان ما شاهده روحا: ثابت العين في الوجود، أو محسوسا في العين؛ فإنّه يثبت ولا يتغيّر. وإن كان خيالا فلا يثبت، ويسرع إليه التغيُّر في الحال، ويرى صورة التغيُّر فيه، ويعلم أنّ الذي ظهر له بالتغيُّر، هو عين الأوّل.

ويرى بعضهم نفسه في صورتين وأكثر، ويعلم أنّه هو. فبهذا يفرّق بين الصور الثابتة في عينها حسًّا وروحا، وبين الصور الخياليّة. وهذا ميزانها لمن لا معرفة له. فقد نبّهْتُك ونصحتك؛ فلا تغفل عن هذا الميزان إن كنت من أهل الكشف. وما جعل الله النوم في العالَم الحيوانيّ إلّا لمشاهدة حضرة الخيال في العموم؛ فيعلم أنّ ثَمّ عالما آخر، يشبه العالم الحسّيّ- ونبّهه، بسرعة استحالة تلك الصور الخياليّة للنائمين من العقلاء، على أنّ في العالم الحسّيّ- والكون الثابت استحالات مع الأنفاس، لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواسّ، إلّا في الكلام خاصّة وفي الحركات. وما عدا هذين الصنفين فلا تدركه صورة الاستحالات والتغييرات فيها إلّا بالبصيرة[3] -وهو الكشف- أو بالعقل الصحيح في بعض هذه الصور، لا في كلّها؛ فإنّ الفكر يقصر- عن ذلك. وأصل ذلك كلّه، أعني أصل التغيير من صورة إلى مثلها، أو خلافها في الخيال أو في الحسّ أو حيثما كان في العالم، فإنّه كلّه لا يزال يتغيّر أبد الآبدين إلى غير نهاية، لتغيُّر الأصل الذي يمدّه، وهو التحوّل الإلهيّ في الصور، الوارد في الصحيح. فمن هناك ظهر في المعاني والصور.

١ [النساء : ١٥٧]
٢ ص ٧٢
٣ ص ٧٢ب

فَمِنْ مَعْنًى إِلَى مَعْنًى   وَمِنْ صُوَرٍ إِلَى صُوَرٍ[1]

وهو قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2] وهو ما يحدثه من التغييرات في الأكوان، فلا بدّ أن يظهر في كلّ صورة تغيّرها بحكم لا يكون إلّا لذلك التغيّر. فإن فهمتَ، فقد أبنتُ لك الأمر على ما هو عليه، فـ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ أي في تغيير العالم ذكرى بتغيُّر الأصل ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[3] فإنّ القلب له التقليب من حال إلى حال، وبه سمّي قلبا. فمن فسَّر- القلب بالعقل فلا معرفة له بالحقائق؛ فإنّ العقل تقييد، من العِقال. فإن أراد بالعقل، الذي هو التقييد، ما نريده نحن، أي هو مقيّد بالتقليب؛ فلا يبرح يتقلّب؛ فهو صحيح. كما نقول بالتمكين في التلوين، فلا يزال[4] يتلوّن، وما كلّ أحد يشعر بذلك.

ولمّا علمنا أنّه من صفة الدهر أنّه الحُوَّل القُلَّب، و«الله هو الدهر» وثبت أنّه يتحوّل في الصور، وأنّه كلّ يوم في شأن، واليوم قدر النفَس، فذلك من اسمه "الدهر" لا من اسم آخر إن عقلت. فلو راقب الإنسان قلبه لرأى أنّه لا يبقى على حالة واحدة؛ فيعلم أنّ الأصل لو لم يكن بهذه المثابة، لم يكن لهذا التقلّب مستنَد. فـ«إنّه بين إصبعين من أصابع» خالقه وهو «الرحمن» فتقليب الأصابع للقلب تغيير حال الإصبعين لتغيُّر ما يريد أن يقلّب القلب فيه. فـ«مَن عَرَف نفسه عَرَف ربّه». وفي حديث الأصابع بشارة إلهيّة حيث أضافها إلى الرحمن، فلا يقلّبه إلّا من رحمة إلى رحمة. وإن كان في أنواع التقليب بلاء؛ ففي طيّه رحمة غائبة عنه، يعرفها الحقّ؛ فإنّ الإصبعين أصبعا الرحمن، فافهم.

فإنّك إذا علمتَ ما ذكرناه، علمتَ من هو قلب الوجود، الذي يمدّ عالم صورته التي هو لها قلب، وأجزاءها كلّها. وأنّه هو قلب الجمع؛ وهو ما جمعته هذه الصورة الوجوديّة من الحقائق الظاهرة والباطنة. فلمّا كان الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[5] كان تقليب العالم -الذي هو صورة

١ كتب في الهامش بقلم الأصل: بيت غير مقصود
٢ [الرحمن : ٢٩]
٣ [ق : ٣٧]
٤ ص ٧٣
٥ [الرحمن : ٢٩]

هذا القلب، من حال إلى حال- مع الأنفاس. فلا يثبتُ العالَم قطّ[1] على حال واحدة زمانا فردا، لأنّ الله خلّاق على الدوام. ولو بقي العالم على حالة واحدة زمانين لاتّصف بالغنى عن الله[2]، ولكنّ الناس ﴿فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[3]. فسبحان من أعطى أهل الكشف والوجود التنزّه في تقليب الأحوال، والمشاهدة لمن هو كلّ يوم في شأن.

و«الله هو الدهر» فلا فراغ لحكم هذا الدهر في العالم الأكبر، والأصغر الذي هو الإنسان. وهو أحد المعلومات الأربعة التي لها التأثير. فالمعلوم الأوّل لنا: الإنسان. والمعلوم الثاني: العالم الأكبر، الذي هو صورة ظاهر[4] العالم الإنساني. والإنسان هو قلب هذه الصورة، ولا أريد بالإنسان إلّا الكامل صاحب المرتبة، و(هو) المعلوم الثالث. والمعلوم الرابع: حقيقة الحقائق التي لها الحكم في القِدم والحدوث. وما ثَمّ معلوم خامس له أثر سِوَى ما ذكرنا.

ويتشعّب من هذا المنزل: شُعَب «الإيمان» وذلك «بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلّا الله» وما بينهما من الشُّعب. وهذا المنزل منزل الإيمان، ومنه ظهر الإيمان في قلب المؤمن، والخاص به الاسم "المؤمن" من الأسماء الإلهيّة. فمن هنا شرع "المؤمن" شعب الإيمان وأبانها. ومن هذا المنزل أخذتْ أمّة محمد أعمارَها. فغاية عُمُر هذه[5] الأمّة المحمديّة سبعون سنة، لا تزيد عليها شيئا. فإن زاد فما هو محمّديّ، وإنما هو وارث لمن شاء الله من الأنبياء؛ من آدم إلى خالد بن سنان[6]؛ فيطول عمره طول مَن ورثه.

---

١ ص ٧٣ب
٢ "ولو بقي.. عن الله" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ [ق : ١٥]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ ص ٧٤
٦ خالد بن سنان العبسي: قال عنه النبي ص: "نبي ضيعه قومه" وورد ذكره في مصنف ابن أبي شيبة والمستدرك على الصحيحين للحاكم والمعجم الكبير للطبراني وفنون العجائب لأبي سعيد النقاش وزاد المعاد لابن قيم الجوزية والطبقات الكبرى لابن سعد وورد في أكثر من ٢٣ من أمهات كتب التفسير وكثير من أمهات المراجع الدينية وخلاصة ما جاء عنه:
عن سعيد بن جبير قال جاءت ابنة خالد بن سنان العبسي إلى رسول الله ﷺ فقال: "مرحبا بأبنة أخي مرحبا بابنة نبي ضيعة قومه".
وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلا من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أطفئ عنكم نار الحدثان، قال: فقال له عمارة بن زياد، رجل من قومه: والله ما قلت لنا يا خالد قط إلّا حقا فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم أنك تطفئها قال: فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد في ثلاثين من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال : إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا قال: فاستقبلها خالد فضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثناي بيدي حتى دخل معها الشق قال: فأبطأ عليهم قال: فقال عمارة بن

ولهذا قال النبيّ ﷺ في أعمار أمّته: «إنّها ما بين السـتّين إلى السبعين» فجعل السبعين الغاية لعمر أمّته. فعلمنا أنّه ما يريد بأمّته، إلّا المحمّديّين الذين خصّهم الله برتبة ما خصّ الله به نبيّه من الأحكام والمراتب على جميع الأنبياء؛ إذ كنّا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] وكلّ حكم ورتبة كانت لنبيّ قبله -وإن كانت له، ووقع فيه الاشتراك- فلم يخلص له وحده. وليس له الشرف الكامل إلّا بما خلص له دون غيره؛ فأمّته مثله. فمن كان عند انفصاله عن الدنيا أو في حاله على شرع مشترَك من هذه الأمّة، نسبناه إلى مَن ظهر به أوّلا قبل ظهور محمد ﷺ ليظهر الفرق بين الأمرين، ولتعرف منزلة الشخصين. وإن كان ما أخذه إلّا من تقرير محمد ﷺ فإنّه من أمّته، ولكن حكم الاشتراك يميّز عن حكم الاختصاص. ومات ﷺ وله ثلاث وستّون سنة.

والذي يزيد على السبعين سنة، بالِغا ما بلغ، وإن[2] كان من أمّته، وممن حصل له الاختصاص المحمّديّ كلّه، فإنّه لا يُقبض، حين يُقبض، إلّا في الشرع المشترك. وما هو نقصٌ به؛ فإنّه قد حصّل حكم الاختصاص، ولكن خروجه عن السبعين التي جعلها رسول الله ﷺ غالب[3] غاية عمر أمّته، المقبوضين في الحكم الاختصاصيّ، جعله أن يفرّق بينه وبين غيره من الأمّة. وهذا من العلوم التي لا تدرك بالرأي والقياس، وإنما ذلك من علوم الوهب الإلهيّ. وكذا ذُكر أنّ كلّ واحد من الخلفاء الأربعة ما مات حتى بلغ ثلاثا وستّين سنة، إثباتا أنّهم قُبضوا في الاختصاص المحمّديّ، لا في حكم الشرع المشترك. فمن هذا المنزل تعيَّن هؤلاء (الخلفاء) الأربعة

زياد : والله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم بعد، قالوا: ادعوه باسمه، قال: فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه قال: فخرج إليهم وقد أخذ برأسه فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي قد والله قتلتموني فادفنوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم ستجدوني حيا، قال: فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا: انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه. قال عمارة بن زياد: لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا والله لا ننبشه أبدا، قال: وقد كان أخبرهم أن في عكن امرأته لوحين فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه وقال: لا يمسهما حائض، قال : فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض قال: فذهب بما كان فيهما من علم قال: فقال أبو يونس: قال سماك بن حرب سئل عنه النبي ﷺ فقال: «ذاك نبي أضاعه قومه» وقال أبو يونس: قال سماك بن حرب: إن ابن خالد بن سنان أتى النبي ﷺ فقال: «مرحبا بابن أخي» قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، فإن أبا يونس هو الذي روى عن عكرمة هو حاتم بن أبي صغيرة وقد احتجا جميعا به واحتج البخاري بجميع ما يصح عن عكرمة، فأما موت خالد بن سنان هكذا فمختلف فيه» فإني سمعت أبا الأصبغ عبد الملك بن نصر، وأبا عثمان سعيد بن نصر، وأبا عبد الله بن صالح المعافري، الأندلسيين وجماعتهم عندي ثقات يذكرون: «أن بينهم وبين القيروان بحر وفي وسطها جبل عظيم، لا يصعده أحد، وإن طريقها في البحر على الجبل، وأنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هناك رجلا عليه صوف أبيض محتبيا في صوف أبيض، ورأسه على يديه، كأنه نائم لم يتغير منه شيء، وإن جماعة أهل الناحية يشهدون أنه خالد بن سنان والله تعالى أعلم»
١ [آل عمران : ١١٠]
٢ ص ٧٤ب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

من غيرهم.

وتعيّنت العشرة أيضا (المبشرون بالجنة) من هذا المنزل الذين هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرّاح. فهذا منزلهم الذي منه عيّنهم رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنّة في مجلس واحد بأسمائهم. فإنّ المشهود لهم بالجنّة كثيرون[1]، لكن ليس في مجلس واحد، ومقيّدون بصفة خاصة: كالسبعين ألفا الذين[2] يدخلون الجنّة بغير حساب، وعيّن منهم عكاشة بن محصن، ونبّه بقوله: "بِغَيْرِ حِسَابٍ" أي لم يكن ذلك في حسابهم ولا تخيّلوه؛ فبدا لهم خير من الله لم يكونوا يحتسبونه. وهم الذين «لا يسترقّون، ولا يكتوون، ولا يتطيّرون، وعلى ربّهم يتوكّلون».

فقوله: «لا يسترقّون» أي لا يستدعون الرقية لإزالة ألم يصيبهم، ولا يرقون أحدا من ألم يصيبه. وجاء بالاستفعال للمبالغة. وإنما رقى النبيّ ﷺ واستعمل الطبّ في نفسه في مرضه، لأنّه يُتأسّى به: فيتأسّى به الضعيف والقويّ، فإنّه رحمة للعالم. وهكذا جميع الرسل، فما حكمهم حكم أممهم؛ فلا يقدح ذلك في مقامهم؛ فلهم المقام المجهول؛ حيث يظهرون لأممهم بصورة القوّة والضعف؛ فلا يعرف أحد لماذا (=إلى ماذا) ينسبهم من المقامات. وقوله: «ولا يتطيّرون» فإنّ الطائر هو الحظّ، فهم خارجون عن حظوظ نفوسهم، مشتغلون بما كلّفهم الله به من الأعمال، وفاء لما تستحقّه الربوبيّة عليهم، لا يبتغون بذلك حظّا لنفوسهم من الأجر[3] الذي وعد الله به على ما هم عليه من الأعمال. فلم يبعثهم على العمل ما نِيطَ به من الأجر، ولكن ما ذكرناه من وفاء المقام[4]. فهذا معنى: «لا يتطيّرون» أي لا يعملون على الحظوظ. وقوله: «ولا يكتوون» فإنّ الاكتواء لا يكون إلّا بالنار، وقد عصمهم الله أن تمسّهم النار؛ فيجدون في نفوسهم أنّهم لا يكتوون؛ وتلك عصمة إلهيّة من حيث لا يشعرون. وقوله: «وعلى ربّهم يتوكّلون» أي يتّخذونه وكيلا، فيتّكلون عليه اتّكال الموكِّل على الوكيل. وهي معرفة وسطى جاءتهم من القصد الثاني؛

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٧٥
٣ رسمها في ق أقرب إلى "الأمر"
٤ ص ٧٥ب

فرأوا أنّ الله خلق الأشياء لهم، وخلقهم له؛ فاتّخذوه وكيلا فيما خلق لهم؛ ليتفرّغوا إلى ما خُلقوا له.

وإنما قلنا: مرتبة وسطى؛ لأنّ فوقها المرتبة العالية، وهو القصد الأوّل. فإنّ الله ما خلق شيئا من العالَم كلّه إلّا له؛ ليسبّحه بحمده، وننتفع نحن بحكم العناية والتبعيّة. والقصد الثاني هو هذا؛ لأنّه سخّر لنا ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾[1] فلما سوّانا قصدان في الخلق؛ فالعالَم الإنساني وغير الإنساني يتوكّل عليه في أمره كلّه، لأنّه مؤمن بأنّ له -تعالى- في كلّ شيء وجها، ولا يقول به إلّا المؤمن؛ إذ كان غير المؤمن من الناس خاصة من يقول: إنّ الله ما وُجِد عنه بطريق العِلّيّة إلّا واحد، ولا عِلْمَ له بجزئيّات العالم على التفصيل إلّا بالعلم الكلّي، الذي يندرج فيه جميع العلم بالجزئيّات. فلهذا جُعل التوكّل في[2] المؤمنين قال -تعالى-: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3] فجعل التوكّل علامة على وجود الإيمان في قلب العبد.

ولم يتّخذه وكيلا إلّا طائفة مخصوصة من المتوكّلين المؤمنين، الذين امتثلوا أمر الله في ذلك في قوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[4]. فيتخيّل مَن لا علم له بالوجوه في الأشياء، أنّك صاحب المال، فاتّخذته وكيلا -سبحانه- فيما هو مِلك لك، وأنّ إضافة الأموال إليك بقوله: ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾[5] إضافة مِلك، وما علم أنّ تلك الإضافة؛ إضافة استحقاق: كسرج الدابّة، وباب الدار، لا إضافة مِلك. والذي نراه نحن والأكابر أنّ الله قال لنا: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[6] فما هو لنا. فوكّلناه، واتّخذناه وكيلا في الإنفاق الذي هو مِلكنا، لعلمنا بعلم الوكيل بالمصالح، ومواضع الإنفاق التي لا يدخلها حكم الإسراف ولا التقتير. فتولّى الله الإنفاق علينا، بأن ألهمنا حيث ننفق، ومتى ننفق؛ فإنّ النفقة على أيدينا تظهر. فيدنا يد الوكيل في الإنفاق. فنحن معصومون في الإنفاق لمعرفتنا بالوجوه. ولأنّ يدنا يدُ حقّ، فإنّه يد الوكيل. وهذا لا يعلم إلّا بالكشف الإلهيّ. فهُم بهذه

١ [الجاثية : ١٣]
٢ ص ٧٦
٣ [المائدة : ٢٣]
٤ [المزمل : ٩]
٥ [البقرة : ١٨٨]
٦ [الحديد : ٧]

المثابة في التوكّل، وما يشعرون بذلك، لأنّه قال: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] فهم على غير بصيرة، وأفعالهم[2] أفعال أهل البصائر؛ عناية إلهيّة. ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3] والفضل: الزيادة.

واعلم أنّ العالم لمّا كان أصله أن يكون مربوطا وجوده بالواجب الوجود لنفسه؛ كان مربوطا بعضه ببعضه. فيتسلسل الأمر فيه، إذا شرع الإنسان ينظر في العلم به، فيخرجه من شيء إلى شيء، بحكم الارتباط الذي فيه، ولا يكون هذا إلّا في علم أهل الله خاصة؛ فلا يجري على قانون العلماء، الذين هم علماء الرسوم والكون. فقانونهم: ارتباط العالم بعضه ببعضه؛ فلهذا تراهم يخرجون من شيء إلى شيء يراه عالِم الرسوم غير مناسب.

وهذا هو علم الله، ومعلوم أنّ المناسبة ثمّ، ولكن في غاية الخفاء. مثل قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[4] لجاء بآية الصلاة، وقبلها آيات النكاح والطلاق، وبعدها آيات الوفاة والوصيّة، وغير ذلك مما لا مناسبة في الظاهر بينها وبين الصلاة. وأنّ آية الصلاة لو زالت من هذا الموضع، واتّصلت الآية التي بعدها بالآيات التي قبلها، لظهر التناسب لكلّ ذي عينين. فهكذا علم أولياء الله تعالى.

سئل الجنيد عن التوحيد. فأجاب[5] السائلَ بأمر. فقال له: لم أفهمه؛ أعِدْ عليّ؟ فأجابه بأمر آخر. فقال السائل: لم أفهمه. فأجابه بأمر آخر، ثمّ قال له: هكذا هو الأمر. فقال له: أَمْلِهِ عليّ. فقال[6]: "إن كنتُ أُجريه فأنا أُمليه". يقول: إنّي لا أنطق عن هوى، بل ذلك عِلْم الله لا علمي. فمن عَلِم القرآن وتحقّق به عَلِم عِلْمَ أهل الله، وأنّه لا يدخل تحت فصول منحصرة، ولا يجري على قانون منطقي، ولا يحكم عليه ميزان؛ فإنّه ميزان كلّ ميزان.

١ [غافر : ٤٠]
٢ ص ٧٦ب
٣ [البقرة : ١٠٥]
٤ [البقرة : ٢٣٨]
٥ ص ٧٧
٦ "فقال له أمله علي، فقال" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

فلهذا المنزل من عالَم الأجسام فلَك الشمس من الأفلاك. فسبعة فوقه منها ثلاث سموات، وفلَك المنازل والأطلس الذي هو فلَك البروج، والكرسي، والعرش المحيط؛ وهو نهاية عالم الأجسام. وتحته أيضا سبعة: ثلاث سماوات، وكرة الأثير، والهواء، والماء، والأرض. وبقطعها في الفلَك تظهر فصول السنة، وهي أربعة فصول لوجود التربيع الذي ذكرناه.

فإنّ البروج، التي هي التقديرات في الفلَك الأطلس، مربّعة. قد جعلها الله على أربع مراتب: ناريّة، وترابيّة، وهوائيّة، ومائيّة؛ لحكم الأربعة الإلهيّة، والأربعة الطبيعيّة. ولكلّ فصل ثلاثة أحكام: حكمان للطرفين، وحكم للوسط. وبينهما أحكام في كلّ حركة، ودقيقة، وثانية، وثالثة، إلى ما لا يتناهى التقسيم فيها.

وجعل[1] نجم السماء الثانية من جمتنا ممتزجا، وهو الكاتب. ولهذا أسكنه عيسى -عليه السلام- لأنّه ممتزج من العالَمَيْن؛ فإنّه ظهر بين ملَك وبشر؛ وهما جبريل ومريم. فهو روح عن روح، وبشر عن بشر. ولم يجعل ذلك في غيره من هذا النوع. كما لم يجعل شيئا من الجواري الخنّس على صورة الكاتب، فهو السادس من هناك؛ ليحصل له شرف رتبة قوله: ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[2] وهو الثاني من جمتنا، لأنّ الثاني هو الباء؛ وهو المبدَع الأوّل -بفتح الدال- الظاهر عن الإنسان الذي هو ظلّ الصورة الإلهيّة الذي لم يزل. فذلك هو الأوّل؛ لأنّ أوليّة الحقّ لا تقبل الثاني؛ فإنّ الواحد ليس بعدد؛ وأوّل العدد الاثنان. فظهر في السنة الامتزاج بظهور الفصول.

واعلم أنّ الله لمّا أعلمنا أنّه هو الدهر، ذكر لنا -سبحانه- أنّ له أيّاما من كونه دهرا، وهي أيّام الله. فعين هذه الأيّام أحكام أسمائه -تعالى- في العالم؛ فلكلّ اسم أيّام؛ وهي زمان حكم ذلك الاسم؛ والكلّ أيّام الله، وتفاصيل الدهر بالحكم في العالم. وهذه الأيّام تتوالج، يدخل بعضها على بعض، ويغشى بعضها بعضا؛ وهو ما نراه في العالَم من اختلاف الأحكام[3] في الزمان الواحد؛

١ ص ٧٧ب
٢ [المجادلة : ٧]
٣ ص ٧٨

فذلك: لتوالجها، وغشيانها، وتقليبها، وتكوّرها. ولهذه الأيّام الإلهيّة ليل ونهار: فليلها: غيب؛ وهو ما غاب عنّا منها، وهو عين حكمها في الأرواح العُلويّة الكائنة فوق الطبيعة والأرواح المهيّمة. ونهارها: شهادة؛ وهو عين حكمها في الأجسام الطبيعيّة إلى آخر جسم عنصري، وهي ما تحت الطبيعة.

وسدفةُ هذا اليوم عينُ حكم هذه الأيّام في الأرواح المسخّرة التي تحت الطبيعة، وهم عمّار السماوات والأرض وما بينهما؛ وهم الصافّون، التالون، المسبّحون. وهم على مقامات معلومة؛ فمنهم: الزاجرات، والمرسلات، والمقسّمات، والملقيات، والنازعات، والناشطات، والمدبّرات، وغير ذلك مثل السائحين، والعارجين، والكاتبين الراقبين. كلّ هؤلاء تحت حكم أيّام الله، من حيث سدف هذه الأيّام. فعن غشيان نهارِ هذه الأيّام ليلَها وُجِدَتْ الأرواح التي فوق الطبيعة، وعن غشيان ليلِ هذه الأيّام نهارَها وُجِدَتْ الأجسام التي دون الطبيعة، وعن توالج ليلها بنهارها؛ فليس بنهارٍ خالص لحكم الليل ومشاركته، وليس بليل خالص لحكم النهار ومشاركته. وهذا الحال لهذه الأيّام تسمّى سُدفا وُجِد عن هذا التوالج الأرواح[1] التي دون الطبيعة.

ولمّا قسّم الله أيّامه هذه الأقسام؛ جعل ليلَها ثلاثة أقسام، ونهارَها ثلاثة أقسام. فهو -سبحانه- ينزل لعباده في الثلث الآخر من ليل أيّامه؛ وهو تجلّيه للأرواح الطبيعيّة، المدبّرة للأجسام العنصريّة. والثلث الوسط يتجلّى فيه للأرواح المسخّرة. والثلث الأوّل يتجلّى فيه للأرواح المهيّمة. وقسّم نهار هذه الأيّام إلى ثلاثة أقسام، يتجلّى في كلّ قسم إلى عالم الأجسام، من أجل ما هي مسبّحة بحمد الله دائمًا. ففي الثلث الأوّل يتجلّى للأجسام اللطيفة التي لا تدركها الأبصار. وفي الثلث الوسط يتجلّى للأجسام الشفّافة. وفي الثلث الآخر يتجلّى للأجسام الكثيفة. ولولا هذا التجلّي ما صحّت لهم المعرفة بمن يسبّحونه. فإنّ المسبّح لا بدّ أن تكون له معرفة بمن يسبّحه. والمعرفة بالله لا تصحّ أن تكون عن فكر، ولا عن خبر؛ وإنّما تكون عن تجلٍّ لكلّ مسبّح.

١ ص ٧٨ب

فمنهم العالم بذلك. ومنهم من لا يعلم ذلك؛ ولا يعلم أنّه سبّح عن معرفة تجلٍّ؛ وذلك ليس إلّا لبعض الثَّقلين. وما عدا هذين فهم عارفون بمن تجلّى لهم، مسبّحون له على الشهود: أجساما عموما، وأرواحا خصوصا. فكلّ مَن ليس له قوّة التوصيل لما يشهده، فعنده العلم بمن تجلّى له[1]. وكذلك مَن له قوّة التوصيل؛ غير أنّه أمينٌ؛ لا يتكلّم إلّا عن أمرٍ إلهيّ؛ فذلك عنده العلم بمن تجلّى له. ومَن علِم أنّ عنده قوّة التوصيل، وهو نمّام يَنُمُّ بما شهده وسمعه، وليس بأمينٍ ينتظر أمر صاحب الأمانة؛ فإنّه لا يُعلمه الحقّ في تجلّيه أنّه هو؛ وهم المنكِرون له إذا تجلّى لهم في الدنيا والآخرة. جعلنا الله من الأُمناء العالمين بمن تجلّى لهم.

فإن قلتَ: فالليل والنهار في اليوم، ما يحدثه إلّا طلوع الشمس وغروبها؛ فما الشمس التي أظهرت الليل والنهار في أيّام الله المسمّى دهرا؟ قلنا: اسمه "النور" الذي ذكر أنّه ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] فله الطلوع علينا من خلف حجاب الإنسان المِثل، الذي ذكرناه أنّه ظلّه المخلوق على صورته، الأزليّ الحكم الذي نفى عنه المِثليّة، وأثبت عين وجوده في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] بكاف الصفة. فسمّى ليله باطنا، ونهاره ظاهرا؛ فهو الباطن من حيث ليله، وهو الظاهر من حيث نوره. وذلك المثل الإنسانيّ يميّز طلوع هذا النور؛ فيكون النهار، و(يميّز) غروب هذا النور؛ فيكون الليل؛ وهو حكم الظاهر والباطن في العالَم.

وقد قرّرنا أنّه لكلّ اسم في العالم حُكْمٌ قبل هذا. فالدهر، من حيث عينه، يوم واحد لا يتعدّد، ولا[4] ليل له ولا نهار. فإذا أخذته الأسماءُ الإلهيّة عيّنتْ بأحكامها، في هذا اليوم الأزليّ الأبديّ الذي هو عين الدهر، الأيّام الإلهيّة، التي أمر المذكّر أن يذكّرنا بها؛ لنعرفها من أيّام الزمان. وإذا أخذ الاسم النور في وجود الظلّ المِثليّ المنزّه، وطلوعه على مَن فيه من العالم؛ سمّى العالم، الذي في هذا المِثل، ذلك الطلوع إلى وقت غروبه: نهارا، ومن وقت غروبه عنهم، سمّوه: ليلا، وذلك النور غير غائب عن ذلك الظلّ، كما أنّ الشمس غير غائبة عن الأرض؛ في

١ ص ٧٩
٢ [النور : ٣٥]
٣ [الشورى : ١١]
٤ ص ٧٩ب

طلوعها وغروبها، وإنما تطلع وتغيب عن العالَم الذي فيها. والظلام الحادث في الأرض إنما هو اتصال ظِلالات ما فيها من العالَم؛ فهو، على الحقيقة، ظلٌّ يسمّونه: ظلاما، والذين يسمّونه ظلّا، ممن ليس له هذا الكشف، يجعل ذلك ظلّ الأرض، لما هي عليه من الكثافة، وهي، في المِثل الظلّي الإلهيّ، ظِلُّ أعيانِ عَمَرَتِهِ لا غير، فاعلم ذلك.

ثمّ جعل الله هذه الأيّام المعلومة عندنا، التي أحدثتها حركة الأطلس، والليل والنهار اللذين أحدثتهما حركة القلب، أعني الشمس؛ لِتُقدّر بها أحكام الأيّام الإلهيّة التي للأسماء. فهي كالموازين لها، يُعرف بها مقادير تلك الأيّام، فقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]. فإذا ضربتَ ثلاثمائة[2] يوم وستّين يوما في ألف سنة، فما خرج لك بعد الضرب من العدد، فهو أيّام التقدير التي ليوم الربّ؛ فينقضي. ثمّ يُنشئ في الدهر يوما آخر الاسم "الربّ". وكذلك تضرب ثلاثمائة يوم وستّين يوما في خمسين ألف سنة، فما خرج لك بعد الضرب من الأيّام فهو أيّام التقدير التي ليوم "ذي المعارج" من الأسماء الإلهيّة. فإذا انقضى ذلك اليوم، أنشأ في الدهر يوما آخر لذي المعارج. هكذا الأمر دائما؛ فلكلّ اسم إلهيّ يوم. وإنّما ذكرنا هذين اليومين: يوم الربّ ويوم ذي المعارج؛ لكونهما جاءتا في كتاب الله؛ فلا يقدرون، المؤمنون بذلك، على إنكارها. وما لم يَرِد إلّا على الاستثناء، فلهم حكم الإنكار في ذلك، بل الأمر كما ذكرناه أنّه ما من اسم إلهيّ مما يُعْلَم ويُجْهَل إلّا وله يوم في الدهر، وتلك أيّام الله؛ والكلّ، على الحقيقة، أيّام الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فإذا نزلنا من الأسماء الإلهيّة إلى يوم العقل الأوّل، قسمه حكمُهُ، في النفس الكلّيّة، إلى ليل ونهار. فليل هذا اليوم، عند النفس، (هو) إعراض العقل عنها حين يقبل على ربّه بالاستفادة. ونهاره، عند هذه النفس، حين يقبل عليها بالإفادة؛ فهو يومهما. وجعل الله من هذا الحكم[4] في النفس قوّتين: قوّة علميّة؛ وهي ليلها في العالم الذي دونها، وقوّة عمليّة؛ وهي النهار في العالم الذي

١ [الحج : ٤٧]
٢ ص ٨٠
٣ [الأعراف : ١٨٧]
٤ ص ٨٠ب

دونها؛ وهو المسمّى: غيبا وشهادة، وحرفا ومعنى، ومعقولا ومحسوسا. فهو في النفس: يوم لا نهار فيه ولا ليل، وهو في العالم: نهارٌ وليلٌ. وكذلك يوم الهيولي الكلّ: ليلها جوهرها، ونهارها صورتها. وهي في نفسها يوم لا ليل فيه ولا نهار. وشمسُ كلِّ ليل ونهاره هو المعنى المظهِر لهذا الحكم، الذي به يُنسب إلى هذا اليوم: ليل ونهار.

فإذا نزلنا إلى فلَك البروج، تعيّن، في حركته، اليوم وعينُ ذلك (هو) الكرسيُّ الذي[1] تقطع فيه. فتعيينه من فوق؛ لأنّه لم يكن ظهر في جوفه بعد ما تعيَّن به، حركته مستوفاة. فهو يوم لا نهار له ولا ليل، ولا تعداد أيّام من جهة مقعَّره. وهو متماثل الأجزاء، ما هو متماثل الأحكام. ولمّا كان الكرسيّ (هو) الذي أظهر فيه تعيين الأحكام، بتعيين المقادير المسمّاة: بروجا، وجعل لكلّ مقدار فيها ملَكا معيَّنا؛ فعيّنت المقادير بتلك الأحكام التي وليها ذلك الملَك المعيّن. فإذا دار دورة واحدة، سمّيت من جهة الكرسيّ: يوما، وكانت الكلمة في العرش واحدة، مثل حكم اليوم. فلمّا وُجِد الكرسيّ تحت[2] العرش، كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، انقسمتْ في الكرسيّ تلك الكلمة الواحدة، التي هي يوم العرش. فكانت قسمتها القدمين اللتين تدلّتا إلى هذا الكرسي؛ وهما قدم الربّ وقدم الجبّار. فكانتا، هاتين القدمين، ليوم العرش؛ كالنهار والليل اللذين قسما اليوم. ويوم العرش أحديّة كلمته؛ لأنّ أمر الله واحدة.

ثمّ إنّ الله أوجد فلَك الكواكب الثابتة التي ميّزتها مقادير البروج، ولكلّ كوكب منها قَطْعٌ في فلَك البروج. فإذا قطعه الكوكب كلّه، كان يوما واحدا من أيّام ذلك الكوكب مدّة قَطْعِه؛ وهو يقطع درجة من ثلاثمائة وستين درجة في مائة سنة مما نعدّه من سنيننا. ثمّ أوجد بين هذين الفلَكين: الجنّة وما فيها، و(أوجد) من العالَم ما لا يحصي عددهم إلّا الله. ومن فلَك البروج إلى آخر العالم الجسمي، ظهر حكم البروج الهوائيّة، والناريّة، والمائيّة، والترابيّة، في الفضاء الذي بين كلّ فلَك وفلَك، ولا يُعلم ذلك إلّا بالمشاهدة. والذين لا علم لهم بذلك يقولون: إنّ الأفلاك تحت مقعّر كلّ فلَكٍ منها سطح الذي تحته. ولا علم لهم بأنّ بينهم فضاء، فيه حكم الطبيعة، كما هي في

١ ق: "التي" وفي الهامش بقلم الأصل "الذي"
٢ ص ٨١

العناصر سَواء، غير أنها مختلفة الحكم بحسب القوابل[1].

ثمّ أوجد الأركان[2] الأربعة على حكم ما هي عليه البروج التي في الفلَك الأطلس؛ لكلّ ركن طرفان وواسطة، للثلاثة الوجوه التي في البروج. فللأثير: حكم الحمل، والأسد، والقوس. فالقوس والأسد للطرفين، والحمل للوسط. وللتراب: الثور، والسنبلة، والجدي. فالجدي والسنبلة للطرفين، والثور للوسط. وللهواء: الجوزاء، والميزان، والدالي. فالميزان والجوزاء للطرفين، والدالي للوسط. وللماء: السرطان، والعقرب، والحوت. فالحوت للوسط، والعقرب والسرطان للطرفين. وإنما رتّبناها هذا الترتيب، لأنّ وجود الزمان والعالم الذي يحوي عليه الفلك الأطلس بطالع الميزان، وقد انتهت الدورة بالحكم إليه من أوّل مبعث رسول الله ﷺ، ونحن اليوم في سلطانه.

ولهذا كان العلم والعدل -في هذه الأمّة- والكشف أكثر وأتمّ مما كان في غيرها من الأمم. وكلّما مضى الأمر استحكم سلطانه، وعظم الكشف، حتى يظهر ذلك في العامّ والخاصّ؛ فتكلّم الرجلَ عذبةُ سوطِهِ، وتكلّم الرجلَ فخذُهُ بما فَعَلَ أَهْلُهُ. وقال رسول الله ﷺ: «إنّ[3] الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقَهُ الله».

ولمّا خلق الله الأركان خلق منها دخانا، فتق فيه سبعَ سموات ساكنة غير متحرّكة، ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[4] بأن خلق لها أفلاكا، وجعلها محلّا لسباحات الجواري[5] الكنَّس الخنَّس، وخلق فيها عُمّارا يعمرونها من الملائكة، وجعل لها أبوابا تُغلق وتُفتح لنزول الملائكة وعروجها، وأسكنها أرواحَ مَن شاء من أنبيائه وعباده. وخلق في الفضاء الذي بين سطح السماء السابعة ومقعّر فلَك الكواكب؛ السدرة المنتهى التي غشّاها من نور الله ما غشّى. وخلق على سطح هذه السماء: البيت الضراح. وقد تقدّم ذِكْرُه وذِكْرُ الملائكة التي تدخله في كلّ يوم. وتخرج من أصل هذه السدرة أربعة أنهار تمشي إلى الجنّة؛ فإذا انتهت إلى الجنّة، أخرج الله منها على دار

١ هناك تعليق في الهامش من أحد القراء على ما يبدو، وهو: "فحركة خلاف الهواء إلى كيف تكون حينئذ"
٢ ص ٨١ب
٣ ص ٨٢
٤ [فصلت : ١٢]
٥ رسمها في ق: الجوار

الجلال نهرين: النيل والفرات، اللذين عندنا في الأرض. فأمّا النيل فظهر من جبل القمر، وأمّا الفرات فظهر من أرزن الروم. وأثّر فيها مزاج الأرض؛ فتغيّر طعمهما عمّا كان عليه في الجنّة. فإذا كان في القيامة عادا إلى الجنّة. وكذلك يعود سيحون وجيحون[1].

ولمّا فتق الله هذه السماوات بعد ما كانت رتقا في الدخان، ومعنى الدخان أنّه أصل لها، وهي[2] اليوم سماوات، كما أنّ آدم خلقه من تراب، أي أصله؛ وهو لحم ودم وعروق وأعصاب، كما خلقنا من ماء مهين. وأحدث الله الليل والنهار بخلق الشمس وطلوعها وغروبها في الأرض.

فأمّا السماوات فنورٌ ليس فيها ليل ولا نهار، ويخرج الليل من كرة الأرض التي غرب عنها الشمس مخروط الشكل، كشكل نور السراج كما تبصره، يخرج من رأس الفتيلة فيشعل الهواء مخروطَ الشكل، إلى أن ينتهي إلى أمد قوّة اشتعاله وينقطع، ويبقى الهواء الذي فوقه محترقا غير مشتعل؛ قويّ الحرارة. فلمّا سَبَحَتْ هذه الأنجم في أفلاكها، جعل الله لكلّ كوكب يوما من أيام حركة فلَك البروج؛ سمّى تلك الأيّام زمانا يعدّ به حركة الفلَك. كما جعل حركة فلك البروج أيّاما؛ كلّ حركة يوم يعدّ به مدّة الزمان المتوهّم الذي يُتوهّم، ولا يُعلم ولا يُدرَك؛ وهو الدهر الذي نُهينا عن سَبِّه. وقال الناهي (ص): «إنّ الله هو الدهر» فجعله اسما من أسمائه. فله الأسماء الحسنى -جلّ وتعالى-.

فعيّن لكلّ يوم ليلا ونهارا، وفرّق بين كلّ ليلة ونهارها، بحكم الكوكب الذي هو لليوم الذي ظهر فيه الليل والنهار؛ فينظر لمن هي أوّل ساعة من النهار من الجواري؛ فهو حاكم ذلك النهار. ويطلب[3] في الليالي؛ فالليلة التي يحكم في أوّل ساعة منها ذلك الكوكب الذي حكم في أوّل ساعة من النهار؛ فتلك الليلة ليلة ذلك النهار. وبالحساب تعرف ذلك. وفتَقَ الأرض سبعا، جعل لكلّ أرض قبولا لنظر كوكب من الجواري إليه. وقد ذكرنا ذلك كلّه فيما تقدّم.

وجعل لكلّ كوكب قَطْعًا في فلَك البروج، فإذا انتهى قَطْعُهُ؛ فذلك يوم واحد له، هو يومه

١ هناك تعليق في الهامش من قبل أحد القراء: "هما سيحان وجيحان في الحديث"
٢ ص ٨٢ب
٣ ص ٨٣

الذي أحدثه قطعُه. وجعل حركات هذه الأفلاك والأركان في الوسط، لا من الوسط ولا إلى الوسط، وجعل حركة عمّارها إلى الوسط ومن الوسط. وتحدث الأشياء عند هذه الحركات؛ في عالَم الخلق والأمر، وفي الجناب الأقدس. وهي آثار محسوسة ومعقولة، يحكم بها دليل الشرع والعقل. وهي آثارُ أحوال؛ كنزول الحقّ إلى السماء الدنيا، وأعمال وأقوال؛ كإجابة الحقِّ مَن دعاه.

وخَلَقَ الملائكةَ من أعمال بني آدم الظاهرة والباطنة. وغَرْسِ الجنّة من أعمال أهلها من بني آدم. ويوم شَرْعِ محمد (ص) إن كَمُلَ ليله ونهاره؛ فهو من أيّام الربّ. وإن لم يكمل، وانقطع في أيّةِ ساعة انقطع فيه، فذلك مقداره. وهو من الاسم الخاذل؛ لأنّ الخاذل والناصر ليس ليومهما مقدار معلوم عندنا، بل ميزانه[1] عند الله لا يعلمه إلّا هو. وحكمهما في كلّ إنسان بقدر عمر ذلك الإنسان، وقدره في هذه الأمّة بقدر بقائها في الدار الدنيا؛ وذلك بحسب نظرها إلى نبيّها محمد ﷺ. فإن نَظَرَتْ إليه كَمُل لها يوم الربّ، وإن أعرضَتْ فلها ما انقضى من مدّة يوم الربّ. ويرجع الحكم لاسم آخر، له عند الله يوم مؤقّت، لا يعلمه إلّا هو.

ويوم هذه الأمّة متّصل بيوم الآخرة، ليس بينهما إلّا ليل البرزخ خاصة، وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث، وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحقّ للفصل والقضاء، وفي قدر ركعتي الإشراق ينقضي الحكم؛ فتَعْمَر الداران بأهلها، وذلك يوم السبت. فيكون نهاره أبديًا لأهل الجنان، ويكون ليله أبديًا لأهل جهنّم، وهو يوم من خمسين ألف سنة في حقِّ قوم، وأقلّ من ذلك في حقِّ قوم، وشفعت التسعة عشر ملكا في أهل جهنّم، للرحمة التي سبقت؛ ارتفعت الآلام. فراحتُهم ارتفاعُ الآلام، لا وجود النعيم. فافهم. وهذا القدر هو نعيم أهل جهنّم إن علمتَ.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ رحمة السيادة، وأين ينادى بها؟ وبماذا يستحقّها؟ وما[2] حكمة كونه نداء ترخيم؟

١ ص ٨٣ب
٢ ص ٨٤

والترخيم (هو) التسهيل، ولهذا يوصف به الحِسان؛ فيقال في المرأة الحسناء: رخيمة الدلال؛ أي سهلة.

وفيه عِلْمُ جمع الحِكَمْ، لا جمع كلّ شيء، فإنّ الحِكم ليس لها عين إلّا في الترتيب خاصة؛ معنى وحسًا.

وفيه عِلْمُ الرسالة على اختلاف أنواعها لاختلاف المرسَل. فإنّ الأسماء رسل، والملائكة رسل، والبشر رسل؛ وتختلف الرسالة باختلاف الأحوال؛ وكلّ ذلك شرائع موصلة إلى الله وإلى السعادة الدائمة، لا اعوجاج فيها ولا ينبغي؛ لأنّها نزلتْ من عرش الرحمة، مرتدية بالعزّة؛ فلا يؤثِّر فيها شيء يخرج أُممها عن حكمها؛ فما مِن أُمّة إلّا والرحمة تلحقها، كما لحقتها الشريعة التي خوطِبتْ بها.

وفيه عِلْمُ حكمة وضع الشرائع في العالَم، ولماذا وضعت في الدار الدنيا، ولم توضع في الآخرة؟ وتوقيت ما وضع منها في الدار الآخرة: أوّلا كالتحجير على آدم في قرب الشجرة، وأُخرى كدعاء الحقّ عباده إلى السجود يوم القيامة، وبهذا الحكم الشرعي يوم القيامة، يرجح ميزان أهل الأعراف؛ فيثقل ميزانهم بهذه السجدة، فينصرفون إلى الجنّة بعد ما كان منزلهم في سور الأعراف؛ ليس لهم ما يدخلهم النار ولا ما يدخلهم الجنّة.

وفيه قوّة المؤمن؛ فيعدل من قوى الكفّار قوى[1] كثيرين، ولهذا شرع لهم أن لا يفرّوا في قتال عدوّهم، وشرع لبعضهم قوّة واحد لعشرة، ثمّ خفّف عنهم مع إبقاء القوّة عليهم؛ فشرع لهم لكلّ قوّةِ مؤمنٍ قوّة رجلين من الكفار، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إنّه يوعك كما يوعك رجلان من أمّته» فأعطي قوّة رجلين من أمّته.

وفيه عِلْمُ رحمة وجود الغفلة والنسيان في العالَم، بل في هذه الأمّة، لما نصّ فيها، وكذلك الخطأ.

١ ص ٨٤ب

وفيه عِلْمُ الفرق بين القول، وقول الله، والقول المضاف إلى الخلق والكلمة. وهل لكلّ قول، وكلمة حقّ، واجب في الإمضاء؟ أو ليس ذلك إلّا لخصوص قول؟ فإن كان لخصوص قول وكلمة، فما السبب الموجب لهذا التخصيص؛ والكلّ قول من حيث ما هو قول، وكلمة من حيث ما هي كلمة؟ وإذا كان في نفس الأمر الحكم للقول وهو السابق، فلماذا وقع الأخذ بالسؤال والتقرير، مع العلم بأنّه مجبور في اختياره؟ وهي مسألة صعبة التصوّر، كثيرة التفلُّت؛ لولا وجود الآلام لهانت وما خطرت على بال.

وفيه عِلْمُ تقييد المعاني، ووجود آثار أحكامها فيمن قامت به، وإلى أين ينتهي حدّ التقييد منها في نشأة الإنسان[1]؟

وفيه عِلْمُ السبب الذي لأجله تُرفع الوجوه والأبصار إلى[2] الفوق يوم القيامة وفي الدنيا: هل حكمها وسببها واحد، أو مختلف؟ وهل الرفع عن جذبٍ مِن خلف، أم عن اختيار؟

وفيه عِلْمُ كون الإنسان بين قضاء الله وقدره، فلا يقدر يتعدّاهما. وهل عمّ القضاء والقدر جهات الإنسان كلّها؟ أو ليس لهما منه إلّا جهتان: جهة الحادي والهادي، وهما السائق والشهيد؟ وما الذي أعمى الناس اليوم عن شهود هذين، وفي الآخرة يرونهما؟ ولِم اختصّا بالخلف والأمام دون سائر الجهات، والشيطان له مسالك الأربع الجهات؟ فهل مكان الخلف والأمام لهما الاستشراف على اليمين والشمال، بحكم اليدين اللذين لهما؟ ولو كان لهما اليمين والشمال لتعطّلت اليد الواحدة من كلّ واحد منهما، في حقّ من التزماه؛ فلا بدّ أن يكون لهما الخلف والأمام؟

وفيه عِلْمُ نسبة العدم والوجود إلى الممكن، وهو لا يُعقل إلّا بالمرجِّح، وليس عند المرجِّح إلّا وجه واحد من هاتين النسبتين؛ فيرتفع الإمكان، فما الصحيح في ذلك: هل بقاء الإمكان، أو ارتفاعه؟

وفيه عِلْمُ القوابل؛ هل هي قوابل لكلّ شيء؟ أو لأشياء مخصوصة؟ أو تميّز في القبول؛

١ رسمها في ق: "الانسين"، وأثبتناها من هـ، س
٢ ص ٨٥

فيكونون على صفة توجب لبعض القوابل ما تقبله مما لا تقبله؟ وهل لما تقبل من الأمور التي تأخذها القوابل طريق واحد، أم تختلف الطرق؟

وفيه عِلْمُ وصف الأجر بالعظمة والكرم[1]؛ لماذا (=إلى ماذا) يرجع؟ وهو علم شريف.

وفيه عِلْمُ الموت، وما معنى إحياء الموات، ومَن يميتهم: هل الله بلا سبب؟ أو هل الملَك؟ وما هو ذلك الملَك: هل هو بعض الأخلاط التي قام بها الجسد الحيواني؟ فإنّ الأخلاط من ملائكة الله، أو هو ملَك من ملائكة السماوات؟. وإن أضيف إلى السماوات؛ هل يضاف إلى واحدة منها بحكم أنّه عن حركة ما أوحى الله فيها قوّى هذا الخلط القاهر المسمّى ملَك الموت؟ وهو ملَك غريب من سكّان السماء السابعة؟ وكذلك المحيي مثل المميت، غير أنّه تختلف السماء، فإنّ السماء السادسة معدن الحياة، ولها تَقْوِيَةٌ من كلّ سماء كما للموت أيضا، والكلام في المحيي كالكلام في المميت. أو يكون المميت هو الله من حيث اسم إلهيّ من أسمائه؟ وكذلك المحيي؟ فهو المميت المحيي.

ولا نقدر نَرفع الأسباب التي وضعها الحقّ، فتَبْطُل حكمة الحقّ، فنَرفع الأسباب في الاعتقاد، ونُقرّها في الوجود في أماكنها، وإسرافيل ينفخ في الصور، وعزرائيل يقبض الأرواح. وهذا الاستعداد الذي في هذه الصور: لقبول الاشتعال فتحيا، ولقبول الانطفاء فتموت. وهذا الملَك الموكّل بنا لا بالموت، هو الذي يقوّي أنّه الملَك الذي به وبأصحابه قامت نشأة جسد[2] الحيوان؛ فيميت لقوّة سلطانه على بقيّة أصحابه، ولهذا تعرف الأطبّاء أنّ الإنسان يموت بالعلامات. فلو كان الملَك غير ما ذكرناه ما انتهى إليه علم الأطبّاء؛ فإنّ ذلك من خصائص علم الأنبياء ومَن أعلمه الله من عباده.

وهل المقتول له هذا الحكم الذي للعليل في الموت، أم له حكم آخر؟ وهل للملَك الموكَّل بنا لا بالموت: هل له حكم الموت؟ أو حكم قبض الأرواح والعروج بها؟ وهل هو ملَك واحد أو

١ ص ٨٥ب
٢ ص ٨٦

ملائكة؟ فإنّ الله أضاف وفاة الأنفُس إليه، وإلى ملَك الموت، وإلى رسله؛ فلا بدّ من علم هـذه الإضافات، وما المراد بها، وهل تختلف مدارجها؟ أو هي على مدرجة واحدة؟

وفيه عِلمُ ما يؤول إليه الجسم بعد الموت، والروح، وما يبعث في نفخة البعـث منهما، وهـل يتغيّر النشء بالعرض أو بالصورة؟

وفيه عِلمُ آثار الأكوان، وما الحضرة التي تمسك فيها إلى وقت الحشر، فيوقف أصحابها عليها؟ وهي آثار المكلَّفين، وهي ما صدر عنهم من الأفعال في زمان التكليف، لا في غير زمانه: مثل النائم والمغلوب على عقله، والشخص الذي لم يبلغ الحلم؛ فلهذا قلنا: زمان التكليف، ولم نقل: دار التكليف.

وفيه عِلمُ تتابع الرسل في الأمّة الواحدة، بخلاف هذه الأمّة[1] المحمديّة؛ فإنّها ما اختلفتْ عليها الرسل، بل إن ظهر فيها مَن كان رسولا؛ التحق بها، وقام بشرعها، وجرتْ عليه أحكام شرع محمد ﷺ.

وفيه عِلمُ النصائح، وكون هذه النشأة الإنسانيّة جُبلت على البخل، والكرم لها بحكم العرَض؛ ما هو لها ذاتيّ. وإذا كانت بهذه المثابة، فمن أين صحّ لها الأجر الكريم، وليس بينها وبين الكرم نسبة ذاتيّة؟ والكرم للأجر ذاتيٌّ، والعظمة له ذاتيّة، وللأجر العظيم قوم مخصوصون، وللأجر الكريم قوم مخصوصون.

وعِلمُ اختلاف أسباب البواعث على العبادة في الثَّقلين وغيرهما.

وفيه عِلمُ التسليم والتفويض إلى الله.

وفيه عِلمُ التمنّي وفائدته، وصفة القائم به.

وفيه معرفة كون العالَم مُلكا لله -تعالى- من حيث ما هو ملِك، ومَن ينازعه، حتى وصف نفسه أنّ له جنودا في الأرض والسماء؟

---

[1] ص ٨٦ب

وفيه عِلمُ ما يضاف إلى الله أنّه منعوت بالوحدة، وما سبب تكثُّر هـذه الوحدة؟ وما أثرها في العالَم؟

وفيه[1] عِلمُ الكشف لِما كان غيبا.

وفيه عِلمُ عدم القبول مع ظهور الدليل، والعلم به أنّه دليل، وما سبب من جَهِل أنّه دليل؟ وهل لكلّ معلوم دليل؟ أم هو لبعض المعلومات؟

وفيه عِلمُ عدم الرجعة إلى ما خرج منه.

وفيه عِلمُ الحضرة التي يجتمع فيها عالم الدنيا من مكلَّف وغير مكلَّف، وهل يُبعث غير المكلَّف من حيوان ونبات وحجر، لتقوم به المطالبة والحجّة من الله على المكلَّفين؟ أو يُبعثون لأنفسهم لما لهم في ذلك من الخير المعلوم عند الله؟ ثمّ ما يؤول إليه أمرهم بعد البعث؟

وفيه عِلمُ ما اختزن الله لنا في عالم السماء والأرض من المنافع.

وفيه عِلمُ الشكر الواجب من الشكر الذي يتبرّع به الإنسان، وأيّهما أكمل أجرًا؟

وفيه عِلمُ السبب والحكمة التي لأجلها خَلق اللهُ من كلّ شيء زوجين؛ وهل من هذه الحكمة خلق آدم على صورته؟

وفيه عِلمُ الزمان الذي يفصِل اليوم.

وفيه عِلمُ سكون مَن لا سكون له.

وفيه[2] عِلمُ مناهل المسافرين، وهـل يحصون عددا، أم لا؟ وفيه اختلاف الصفات على المسافرين[3] باختلاف طرقهم ومناهلهم.

وفيه عِلمُ السابق الذي يُلحق، والسابق الذي لا يُلحق من المسافرين: كالشخص مع ظِلّه لا

---

[1] ص ٨٧
[2] ص ٨٧ب
[3] "وهل يحصون.. المسافرين" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

يلحق ظلَّه أبدا، ويلحقه ظلُّه. وغير ذلك من المسافرين[1]. وهو علم شريف يتضمّن جميع الأسفار الإلهيّة والكونيّة والعلويّة والسفليّة. وهو علم عزيز المنال، بعيد المدرك، لا يتفطّن له كلّ أحد. وأمّا الإحاطة به فلا تعلم إلّا بإعلام الله، ولا يصحّ الإعلام بها على التفصيل، فإنّها أسفار لا نهاية لها.

وفيه عِلْمُ الطرق التي يسلك فيها كلُّ مسافر.

وفيه عِلْمُ الأسباب التي تحول بين بعض المسافرين وبين ما قصدوه في سفرهم، والفرق بين السفر الاختياريّ والجبريّ.

وفيه عِلْمُ زمان الدنيا العام، الذي تكون بعد انقضائه القيامةُ الكبرى. وعِلْمُ زمان عمر الحيوان والمولّدات، وقيامتهم الصغرى بانقضاء مدّتهم، والفرق بين هذين الحشرين؛ فإنّ رسول الله ﷺ قال: «من مات فقد قامت قيامته» لحشرهم إلى البرزخ قيامة.

وفيه عِلْمُ صفات ترجّي الرحمة التي تسأل الرحمة بلسانها.

وفيه عِلْمُ السبب الموجب الذي لأجله أعرض، مَن أعرض، عن[2] النظر في الدلالات العقليّة التي جاءت بها الرسل، والتي لم تجيء بها من الآيات المعتادة، وهل تختلف دلالاتها؟ وما صورة دلالاتها؟ وهل يختلف مدلولها باختلاف قصد الدالّ؟ أو قصد الذي يحرّك الدالَّ للنظر في الدليل؛ كالرسول يجيء بالدلالة على صدقه في كونه رسولا، وتلك الدلالة بعينها تكون دلالة على وجود الحقّ، وعجز الخلق؟

وفيه عِلْمُ التأسّي بالله فيما ذمّه الله؛ هل يذمّ صاحبه من جهة لسان الحقيقة؟ أو لا يذمّ إلّا بلسان الشرع؟

وفيه عِلْمُ ما يُقبض عليه الإنسان: هل يبقى عليه في البرزخ ويُحشر عليه؟ أم يتغيّر عليه الحال؟ أو يُقبض على ما يبدو له عند كشف الغطاء قبل القبض؟ أو هل عين القبض هو عين

[1] "كالشخص.. المسافرين" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
[2] ص ٨٨

الكشف للغطاء؟

وفيه عِلْمُ ردّ السائل؛ هل ردُّه عن سؤاله جواب له عن سؤاله، أم لا؟

وفيه عِلْمُ السبب الموجب للإسراع لمن ناداه الحقّ؛ هل هو إسراع خير؟ أو إسراع توقع خير؟

وفيه ما سبب اختلاف كلام المبعوثين من أهل القبور؟

وفيه[1] عِلْمُ من يجيبهم في ذلك: هل يجيبهم الحقّ؟ أو الملائكة؟ أو العالمون؟

وفيه عِلْمُ ما يتجلّى للذين يُبعثون من قبورهم: هل هو صورة واحدة؟ أم صور مختلفة؟ وهل ذلك المتجلّي اسم إلهيّ، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ما السبب الذي أوجب أن يخالف ترتيب البروج، وهي طبيعيّة ترتيب العناصر. فإنّ ترتيب البروج؛ كلّ برج بين منافر ومناسب بوجه؛ كلّ واحد إذا أخذته تجده كما ذكرناه. وأمّا الأركان فترتيبها لمناسبة ليس فيها تنافر من جميع الوجوه. والناريّة الثالثة بين مائيّة وترابيّة، والترابيّة كلّها بين ناريّة وهوائيّة، والهوائيّة كلّها بين ترابيّة ومائيّة، والمائيّة كلّها بين هوائيّة وناريّة، والأركان ليست كذلك.

وفيه عِلْمُ الفرق بين: عندي ولديّ، وعندنا ولُدُنّا، ولدينا ولدنّي[2].

وفيه عِلْمُ الفصل بين الأشياء ليتميّز بعضها عن بعض.

وفيه عِلْمُ ما يرى الرائي غير صورته وصفته، كان الرائي مَن كان.

وفيه عِلْمُ الاشتغال؛ ولِم سمّي شغلا؟ وعمّن يشتغل؟ وهل ثَمّ شغل يغني عن سِواهُ بالكلّيّة أم لا؟

وفيه[1] عِلْمُ الأنس بمثله إلّا بمثليّة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2].

[1] ص ٨٨ب
[2] مضافة في ق بقلم الأصل، وهي ثابتة في متن س، ه

وفيه عِلْمُ الهيئات والحالات التي تكتسبها النفوس في الدار الدنيا.

وفيه عِلْمُ الأعراس الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ ما لكلّ اسم إلهيّ من الرحمة من الأسماء التي تعطي بظاهرها ذهاب الرحمة منها.

وفيه عِلْمُ الاستحقاق الذي يستحقّه العالم من حيث ما هو عليه من الصفة، فهو استحقاق الصفة لا استحقاق الموصوف.

وفيه عِلْمُ العهد الإلهيّ والكوني؛ في ماذا وقع؟

وفيه عِلْمُ حكم المتقدّم: كيف ظهر في المتأخّر؟ ومن أين ظهر؟

وفيه عِلْمُ البُعد الكوني من البُعد الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ النطق والصمت، وتعيين الناطق والصامت، وزمانه ومكانه.

وفيه عِلْمُ تبدّل الصور العليّة بالصور الدنيّة.

وفيه عِلْمُ سبب التثبّط عن النهوض مع وجود الكشف.

وفيه عِلْمُ ما يعطيه الزمان في نشأة الإنسان، وفي سائر[٣] المعادن، والنبات، والحيوان.

وفيه عِلْمُ الإبهام والإيضاح.

وفيه عِلْمُ اجتماع الكثير على إيجاد الواحد.

وفيه عِلْمُ تمليك ما ينشئه المنشئ لكونه أنشأه.

وفيه عِلْمُ الرياضة الإلهيّة، والفرق بينها وبين الرياضة الكونيّة.

وفيه عِلْمُ حضرة النِّعم، ومآلها في الدنيا والآخرة في الحكم.

---

١ ص ٨٩
٢ [الشورى : ١١]
٣ ص ٨٩ب

وفيه عِلْمُ سبب الاعتماد على من يُعلم أنّه ليس ممن يُعتمد عليه.

وفيه عِلْمُ المبدأ والمعاد.

وفيه عِلْمُ التشبيه وعكس التشبيه؛ وما هو الأصل الذي يقع به التشبيه؟

وفيه عِلْمُ تأثير اجتماع الأضداد من العلم الإلهيّ، ووجود النار في الماء، والماء في النار.

وفيه عِلْمُ الصفة التي أظهرت العالم في عينه.

وفيه عِلْمُ الملكوت؛ وأين حظّه من الملك والجبروت؟

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[١].

---

١ [الأحزاب : ٤]

الباب[1] التاسع والأربعون وثلاثمائة
في معرفة منزل فتح الأبواب وغلقها
وخلق كلّ أمّة -من الحضرة المحمديّة

لا تَرُمْ شَيْئًا مِنَ الأَكْوانِ إِنَّ لَهَا ... نَعْتًا مِنَ الحَقِّ وَالأَكْوانُ أَعْلَامُ
مِنْ غَيْرَةِ الحَقِّ كانَ الحَقُّ أَعْيُنَهَا ... أَتَى بِذَلِكَ قُرْآنٌ وَإِلْهَامُ
لَوْلا افْتِقارِي وَذُلِّي ما اجْتَمَعْتُ بِهِ ... وَلا تَحَقَّقَ لِي قُرْبٌ وَإِلْمَامُ
فِي حَقِّهِ كُلُّ مَوْجُودٍ سَعَى وَمَشَى- ... قَضَى بِهِ فِي كِتابِ اللهِ إِعْلامُ
فَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الأَعْيانِ سَبَّحَهُ ... لِذاكَ أَوْجَدَهُ والله عَلّامُ
وَكُلُّ كَوْنٍ مِنَ الأَكْوانِ مُفْتَقِرٌ ... فِي كُلِّ حالٍ وَلَذّاتٌ وَآلامُ
أَيْنَ الغِنَى وَكَلامُ اللهِ أَبْطَلَهُ ... فَمَا تَرَى غَيْرَ فَقْرٍ فِيهِ إِعْدَامُ

قال[2] الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لما أمركم به (الشيطانُ) من الفحشاء ﴿وَفَضْلًا﴾ لما وعدكم به (الشيطان) من الفقر ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[5]، وقال لأبي يزيد البسطامي: "يا أبا يزيد؛ تقرّبْ إليّ بما ليس لي: الذلّة والافتقار".

واعلم أنّ لله أبوابا فتحها للخير، وأبوابا أعدّها، لم يصل أوانُ وقت فتحها؛ للخير أيضا، وأبوابا فتحها للآلام المعبَّر عنها بالعذاب، لما يؤول إليه أمر أصحابه؛ فيستعذبه في آخر الحال؛

١ ص ٩٠
٢ ص ٩٠ب
٣ [آل عمران : ٩٧]
٤ [البقرة : ٢٦٨]
٥ [فاطر : ١٥]

ولذلك سمّاه عذابا. وإنما يستعذبه في آخر الأمر لكونه ذكّره بربّه. فإنّ الإنسان إذا أصابه الضرّ، وانقطعتْ به الأسباب وهو أشدّ العذاب؛ ذَكَر ربّه؛ فرجع إليه مضطرّا، لا مختارا. فيستعذب -عند ذلك- الأمرَ الذي ردّه إلى الله، وذكّره به، وأخرجه عن حكم غفلته ونسيانه؛ فسمّاه عذابا. فهو اسم مبشّرٌ لمن حلّ به، بالرحمة أنّها تدركه. فما ألطف توصيل الحقّ بشارته لعباده في حال الشدّة والرخاء. ولولا ذلك[1] ما حقّت الكلمة في قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾[2] فأتى بلفظة العذاب.

ألا ترى إبراهيم الخليل عليه السلام يقول: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾[3]؟ والرحمن[4] لا يعطي ألما موجعا، إلّا أن يكون في طيّه رحمة يستعذبها مَن قام به ذلك الألم: كشرب الدواء الذي يتضمّنُ العافيةَ استعمالُه. ألا تراه كيف قال لأبيه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾[5]؟ فلو علم أنّ في الرحمة ما يوجب النقمة، لما عصاه. فما عصى- إلّا الرحمن، لأنّ كلّ اسم يعمل على شاكلته. فما أعلمَ الأنبياء بربّهم!.

وأشدُّ الآلام: عدمُ نيل الغرض. وقد روينا أنّ الله يقول للملَك: «لا تقضِ حاجة فلان في هذا الوقت، فإنّي أحبّ أن أسمع صوته» وإن كان يتألّم ذلك الشخص من فقد ما يسأل فيه ربّه؛ فهذا منع مؤلم عن رحمة إلهيّة. ثمّ إنّ السور ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الخالصة ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[6] ولم يقل: "إلّا العذاب" لعلمه بما يؤول إليه الأمر، فأبان -تعالى- أنّ باطن هذا الموجود؛ فيه الرحمة، والظاهر منه لا يتصرّف إلّا بحكم الباطن؛ فلا يكون من أمر مؤلم في الظاهر إلّا عن رحمة في الباطن؛ فإنّ الحكم للباطن في الظاهر. هل تتصرّف الجوارح، وهي الظاهرة، إلّا عن قصد الباطن المصرّف لها؟ والقصد باطن بلا شكّ. فما كان العذاب في ظاهر السور، إلّا عن قصد الرحمة به التي في باطن السور. فليس الألم بشيء، سوى عدم اللذّة ونيل

١ من هـ فقط
٢ [الزمر : ١٩]
٣ [مريم : ٤٥]
٤ ص ٩١
٥ [مريم : ٤٤]
٦ [الحديد : ١٣]

الغرض.

فما عند الله باب يفتح إلّا أبواب الرحمة. غير أنّه ثمّ رحمة ظاهرة لا ألم فيها، وثمّ[1] رحمة باطنة يكون فيها ألمٌ في الوقت، لا غير؛ ثمّ يظهر حكمها في المآل. فالآلام عوارض، واللذّات ثوابت. فالعالَم مرحوم بالذات، متألّم بما يعرض له. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] يضع الأمور مواضعها، وينزلها منازلها. الإنسان يضرب ابنه أدبا، ويؤلمه بذلك الضرب؛ عقوبة لذنبه، وهو يرحمه بباطنه. فإذا وفّى الأمر حقّه، أظهر له ما في قلبه وباطنه؛ من الرحمة به، وشفقة الوالد على ولده. ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ في قصة طويلة يقول فيها: «وإنّ الله أشفقُ على عبده من هذه على ولدها» وأشار إلى امرأة. وهذا كلّه من علوم الأذواق. جعلنا الله والسامعين من أهل الرحمة الخالصة التي لا ألم لها، بمنّه.

واعلم أنّ الله ما أظهر الممكنات في أعيانها موجودة إلّا ليخرجها من شرّ العدم؛ إذ علم أنّ الوجود هو الخير المحض الذي لا شرّ فيه إلّا بحكم العرَض. وهو، من كونه ممكنا للعدم، نظر إليه؛ وهو الآن موصوف بالوجود؛ فهو في الخير المحض. فالذي يناله، من حيث هو ممكن، من نظر العدم إليه في حال وجوده، ذلك القدر يكون الشرّ الذي يجده العالم حيث وجده. فإذا نظر الممكن إلى وجوده وأبده سُرَّ: لاستصحابه الوجود له. وإذا نظر إلى الحالة التي كان موصوفا[3] بها، ولا وجود له؛ تألّم بمشاهدته؛ لأنّ الحال له الحكم فيمن قام به؛ وحالُ هذا الممكن الآن (هو) مشاهدةُ العدم؛ فيتعذّب عذابا وهميّا.

كان النبيّ ﷺ يقول في الضرّاء: «الحمد لله على كلّ حال» ومن الأحوال الموجبة للحمد أحوال السرّاء التي حَمْدُها: «الحمد لله المنعم المفضل». فلولا أنّ «الحمد على كلّ حال» يتضمّن حمد السرّاء، فهو إعلام بأنّ في الضرّاء سرّاء؛ لعموم حمدها؛ والحمد ثناء على المحمود. وصاحب الضرّاء، لو لم يكن في طيّ تلك الضرّاءِ سرّاء، لم يكن ذلك الحمدُ ثناءً من الحامد في حال

١ ص ٩١ب
٢ [التوبة : ٤٠]
٣ ص ٩٢

الضرّاء، والحمدُ ثناء بلا شكّ في نفس الأمر. فما في العالم ضُرٌّ لا يكون مشوبا برحمة، كما أنّ المؤمن لا تخلص له معصية غير مشوبة بطاعة أصلا، وهي طاعة الإيمان؛ فهو في مخالفته طائع عاصٍ؛ كالمعذَّب المرحوم.

ثمّ لتعلم أنّ الممكنات مفتقرة بالذات، فلا يزال الفقر يصحبها دائما؛ لأنّ ذاتها دائمة. فوضع لها الأسباب التي يحصل لها عندها ما افتقرتْ فيه؛ فافتقرت إلى الأسباب؛ فجعل اللهُ عينَ الأسباب أسماءً له. فأسماء الأسباب من أسمائه -تعالى- حتى لا يُفتقر إلّا إليه، لأنّه العلم الصحيح. فلا فرق عند أهل الكشف بين الأسماء التي يقال في العُرف والشرع[1] إنّها أسماء الله، وبين أسماء الأسباب أنّها أسماء الله. فإنّه قال: ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[2] ونحن نرى الواقعَ الافتقارَ إلى الأسباب؛ فلا بدّ أن تكون أسماءُ الأسباب أسماءَ الله -تعالى-، فندعوه بها دعاء الحال، لا دعاء الألفاظ. فإذا مسّنا الجوع، سارعنا إلى الغذاء المزيل ألَمَ الجوع. وافتقرنا إليه، وهو مستغن عنّا؛ ولا نفتقر إلّا إلى الله. فهذا اسم من أسمائه، أعني صورة ذلك الغذاء، النازل منزلة صورة لفظ الاسم الإلهيّ، أو صورة رقْمه. ولذلك أمر بشكر الأسباب؛ لأنّه أمر بشكره؛ فهو الثناء عليه بها.

واعلم أنّ من رحمة الله بخلقه، أن جعل على قدم كلّ نبيّ وليّا وارثا له فما زاد. فلا بدّ أن يكون في كلّ عصر: مائة ألف وليّ، وأربعة وعشرون ألف وليّ؛ على عدد الأنبياء، ويزيدون ولا ينقصون. فإن زادوا قسّم الله عِلْمَ ذلك النبيّ على من ورثه، فإنّ العلوم المنزلة على قلوب الأنبياء لا ترتفع من الدنيا، وليس لها إلّا قلوب الرجال؛ فنقسّم عليهم بحسب عددهم. فلا بدّ من أن يكون في الأمّة من الأولياء، على عدد الأنبياء وأكثر من ذلك. روينا عن خضِر أنّه قال: "ما من يوم حدّثتُ فيه[3] نفسي: أنّه ما بقي وليّ لله في الأرض، إلّا قد رأيته واجتمعتُ به؛ فلا بدّ لي أن اجتمع، في ذلك اليوم، مع وليّ لله لم أكن عرفته قبل ذلك". وروينا عنه أنّه قال:

١ ص ٩٢ب
٢ [فاطر : ١٥]
٣ ص ٩٣

"اجتمعت بشخص يوما لم أعرفه. فقال لي: يا خضر سلام عليك. فقلت له: من أين عرفتني؟ فقال لي: إنّ الله عرّفني بك" فعلمتُ أنّ لله عبادا يعرفون الخضر، ولا يعرفهم الخضر.

واعلم أنّ لله عبادا أخفياء، أبرياء، أصفياء، أولياء. بينهم وبين الناس حجب العوائد، غامضين في الناس، لا يظهر عليهم ما يميّزهم عن الناس، وبهم يحفظ الله العالَم وينصر عباده. معروفون في السماء، مجهولون في الأرض عند أبناء الجنس، لهم المهناة في الدنيا والآخرة. ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيّون والشهداء. لا في الدنيا يُعرفون، ولا في الآخرة يَشفعون، انفردوا بالحقّ في سرائرهم.

وما كنت عرفت أنّ الله قد جعل في الوجود وليّا له، على كلّ قدم نبيّ؛ فإنّ الله -تعالى- لمّا جمع بيني وبين أنبيائه كلّهم -حتى ما بقي منهم نبيّ إلّا رأيته- في مجلس واحد، لم أر معهم أحدا ممن هو على أقدامهم. ثمّ بعد ذلك رأيت جميع المؤمنين[1]، وفيهم الذين هم على أقدام الأنبياء وغيرهم من الأولياء. فلمّا لم يجمعهم مجلس واحد، لذلك لم أعرفهم، ثمّ عرفتهم بعد ذلك، ونفعني الله برؤيتهم. وكان شيخنا أبو العباس العريبي على قدم عيسى عليه السلام.

وكنّا نقول قبل هذا: إنّ ثَمّ أولياء على قلوب الأنبياء. فقيل لنا: لا، بل هم على أقدام الأنبياء، لا تقل: على قلوبهم. فعلمتُ ما أراد بذلك لمّا أطلعني الله على ذلك؛ رأيتهم على آثارهم يقفون، ورأيت لهم معراجين: المعراج الواحد يكونون فيه على قلوب الأنبياء، ولكن من حيث هم الأنبياء أولياء أو النبوّة التي لا شرع فيها. والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الأنبياء أصحاب الشرائع، لا على قلوبهم. إذ لو كانوا على قلوبهم لنالوا ما نالته الأنبياء من الأحكام المشروعة، وليس ذلك لهم؛ وإن وقع لهم التعريف الإلهيّ بذلك؛ ويأخذون الشرع من حيث أخذته الأنبياء، ولكن من مشكاة أنوار الأنبياء، يقترن معه حكم الاتّباع. فما يخلص لهم ذلك من الله، ولا من الروح القدسي. وما عدا هذا الفن من العلم، فإنّه مخلص للأولياء من الله -سبحانه- ومن الأرواح القدسيّة. وهذا كلّه لتميّز المراتب عند الله، لنعرف ذلك[2]؛ فنعطي كلّ ذي حقّ حقّه، كما

١ ص ٩٣ب
٢ ص ٩٤

أعطى الله كلّ شيء خلقَه. وهذا كلّه من رحمة الله التي أفاضها على خلقه.

ثمّ لتعلم أنّ الله جعل للملائكة ثلاث مراتب في القوّة الإلهيّة؛ فمنهم مَن أعطاه قوّتين، ومنهم من أعطاه ثلاث قوى، ومنهم من أعطاه أربع قوى؛ وهي الغاية. فإنّ الوجود على التربيع قام من غير مزيد، إلّا أنّه كلّ قوّة تتضمّن قوى لا يعلم عددها إلّا الله. وذلك من حيث أنّ الملائكة أجسامٌ نوريّة، فلهم هذه القوى من حيث أجسامهم، فإنّهم مركّبون كالأجسام الطبيعيّة. فالملَك صاحب القوّتين (هو) على تركيب النبات، وصاحب الثلاث (هو) على تركيب الحيوان، وصاحب الأربع (هو) على تركيب الإنسان. وانتهت المولّدات، فانتهت قوى الملائكة. والجسم يجمع الكلّ، فله الإحاطة.

فقبِلت الأجسام النوريّة الملائكة من العماء الذي ظهر فيه الجسم النوريّ الكلّ وقبِل الشكل والصور، وفيه تظهر الأرواح الملكيّة. والعماء لهذا الجسم الكلّ، وما يحمله من الصور والأشكال الإلهيّة والروحانيّة (هو) بمنزلة الهيوليّ في الأجسام الطبيعيّة سواء. والتفصيل في ذلك يطول.

ومن هذا النور الذي فوق الطبيعة تُنفخ الأرواح في الأجسام الطبيعيّة. فما تحت الطبيعة إلى العناصر أنوارٌ[1] في ظلال، وما تحت العناصر من الأجسام العنصريّة أنوارٌ في ظلمة، وما فوق الطبيعة من الأجسام النوريّة أنوارٌ في أنوار، وإن شئت: أنوارٌ في أنفاس رحمانيّة، وإن شئت: أنوارٌ في عماء؛ كيفما شئت عَبّر إذا عرفتَ الأمر على ما هو عليه.

واعلم أنّ كلّ روح مما هو تحت العقل الأوّل صاحب الكلمة؛ فهو ملَك، وما فوقه فهو روح، لا ملَك. فأمّا الملائكة فهم ما بين مسخَّر ومدبِّر، وكلّهم رسل الله عن أمر الله حَفَظَة. وهم على مراتب، ولهم معارج ونزول وصعود؛ دنيا وآخرة. فمنهم المسخَّرون في الدعاء والاستغفار للمؤمنين، وآخرون في الاستغفار لمن في الأرض، ومنهم المسخَّرون في مصالح العالَم المتعلّقة بالدنيا، ومنهم المسخّرون في مصالح العالَم المتعلّقة بالآخرة. وهذا القدر، من العمل

١ ص ٩٤ب

الذي هم عليه، هو عبادتهم وصلاتهم. وأمّا تسبيحهم؛ فذكر الله في هذه الصلوات التي لهم؛ كالقراءة والذِّكر لنا في صلاتنا.

ولا يزال الأمر كذلك إلى الوقت الذي يشاء الله أن تعمّ الرحمة جميع خلقه التي وَسِعَت كلّ شيء؛ فإذا عمّتهم الرحمة، لم يبق لبعض الملائكة الذين كان لهم الاستغفار، من عباداتهم، إلّا التسبيح خاصة[1]. وبقيت الملائكة الذين لهم تعلّق بأحوالنا في الجنان، وحيث كان من كان من الدارين، فذلك لا ينقطع. وزال عن أولئك اسم الملائكة، وبقوا أرواحا لا شغل لهم إلّا التسبيح والتمجيد لله -تعالى- كسائر الأرواح المهيّمة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2] فهذا الصنف المذكور هنا، هم الصابرون، أهل البلاء من البشر.

وأمّا الملائكة التي تدخل على أصحاب النعيم الشاكرين، فلم يَجْرِ لهم ذِكْر، مع أنّه لا بدّ من دخول الملائكة عليهم من كلّ باب؛ لأنّ أبواب النعيم كثيرة، كما هي أبواب البلاء. ومن رأى أنّ النِّعم التي أنعم الله بها على عباده في الدنيا، ليست بخالصة من البلاء لما وجّه عليهم فيها من التكليف بالشكر عليها، وهو أعظم البلاء؛ إذ كانت النعم أشدّ في الحجاب عن الله من الرزايا؛ فدخل أهل النعيم على هذا في قول الملائكة: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي حصلتم في دارٍ نعيمها غير مشوب بتكليف ولا طلب حقّ. فلذلك لم يَجْرِ ذِكْرٌ لأحوال الملائكة مع الشاكرين، واقتصر على ما جاء به الحقّ من التعريف، وهو الصحيح. فإنّ الدار الدنيا تعطي هذا، وهو الذي[3] يقتضيه الكشف الذي لا تلبيس فيه؛ أنّ جميع من في الدار الدنيا مِن مبتلًى ومنعَم عليه، له حال الصبر. فالصبر أعمّ من الشكر، والبلاء أعمّ من النعم في هذه الدار.

وإذا عمّت الرحمة، وارتفعت الآثار التي تناقض الرحمة، ارتفعت نِسب الأسماء التي عيّنتها الآثار؛ لأنّها راجعة إلى عين واحدة. كما بيّن -تعالى- في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[4] وقال:

١ ص ٩٥
٢ [الرعد: ٢٣، ٢٤]
٣ ص ٩٥ب
٤ [الأعراف: ١٨٠]

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[1] والأسماء وضعيّة؛ وضعتها حقائق الممكنات بما تطلبه. فعلى قدر ما تكون عليه من الاستعداد، تطلب ما يناسب ذلك من الفيض الإلهيّ. فإذا أُعطِيَتْه، وضعت لكلّ عين من ذلك اسما. فإذا لم يبق لها استعداد تقبل به الألم والعذاب، لم يوجد للبلاء ولا للعذاب عين؛ لعدم القابل. فترتفع نِسب الأسماء المختصّة بهذه الأحكام، لارتفاع القوابل.

وما كان له من الأسماء حكمان في القابل، فإنّه يبقى: كالغافر، وهو الساتر؛ فلم يبق ذنب يطلب الغافر. وللغافر حكم الحجاب من كونه حجابا مطلقا؛ فيبقى الغافر وإن زال المذنب؛ فإنّ الغفر لا بدّ منه. ولولا ذلك لم يكن مزيد؛ ولا خلق جديد. والمزيد[2] (ثابت) على الدوام، فرفع الستور على الدوام؛ وليس سِوَى الاسم الغفور. بخلاف المنتقم، فإنّ القابل ارتفع؛ فزال هذا الوضع الخاص، فاعلم ذلك.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلم ثناء السماء والأرض والملائكة دون سائر الخلق، وما يثنون به على ربّهم؛ فإنّه لكلّ عالَم ثناء خاص لا يكون لغيره. قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾[3] ثم قال: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ وجَمَع السماوات والأرض جمع من يعقل.

وفيه عِلمُ التشبيه والكنايات، وما في العالم الروحانيّ من القوى.

وفيه عِلمُ الرسائل المبثوثة في العالم، وأنّه كلّ من يمشي- في العالم فإنّه لا يمشي- إلّا رسولا برسالة. وهو علم شريف. حتى الدودة في حركتها هي في رسالة تسعى بها لمن عقل ذلك.

وفيه عِلمُ آثار القدرة، وتمييزها عن سائر النِّسب.

وفيه عِلمُ الأنواء، وما يُحمد منها. وقول أبي هريرة ﵁: «مُطرنا بنوء الفتح».

١ [الإسراء: ١١٠]
٢ ص ٩٦
٣ [الإسراء: ٤٤]

وفيه عِلْمُ الأبواب ومراتبها.

وفيه عِلْمُ المنع الإلهيّ عطاء.

وفيه عِلْمُ التحديد الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ تنزيل الخطاب الإلهيّ على قدر التواطي.

وفيه عِلْمُ الإنباه الإلهيّ في طلب الشكر من عباده.

وفيه عِلْمُ ردّ الخلق إليه -تعالى-.

وفيه[1] عِلْمُ المواعد على الإطلاق.

وفيه عِلْمُ الميز بين الأعداء الظاهرين بصورة الولاء وبين الأولياء.

وفيه عِلْمُ مجازاة العدوّ بالعداوة، والوليّ بالولاية فيما بين العالم؛ وأنّه من اتّخذ العدوّ وليّا أو الوليّ عدوّا فهو مخلّط؛ لا حقيقة عنده.

وفيه عِلْمُ كلّ داع إنما يدعو لنفسه؛ وإن دعا إلى الله -تعالى- أو لغير نفسه فإنما يدعو من حيث نفسه؛ فإنّه يطلب بذلك الدعاء الأنس بالأشكال في المرتبة.

وفيه عِلْمُ ترتيب الثواب على الأعمال. وفيه تمييز الأجور؛ فإنّ منها العظيم، والكريم، والكبير. وهي مراتب في الأجور لا بدّ أن يعرف أصحابها وأعمالها التي توجبها. وعِلْمُ الأجر المطلق الذي لا يتقيّد: هل هو مقيّد في نفس الأمر، أم لا؟ فإنّ الأجور أربعة، كما أنّ نشأة الإنسان على أربع، كما أنّ نشأة جسده على أربع؛ لكلّ واحد أجر على صفة مخصوصة؛ فيُنسب كلّ أجر إلى ما يناسبه.

وفيه عِلْمُ ما وراء الستور.

وفيه عِلْمُ القبيح الذي تحسّنه المشاهدة. وهو سرّ عجيب.

---
١ ص ٩٦ب

وفيه عِلْمُ العزاء.

وفيه عِلْمُ الحث على اشتغال الإنسان بنفسه.

وفيه عِلْمُ الظهور من الخفاء. وفيه عِلْمُ الحاملات العلويّة والسفليّة.

وفيه عِلْمُ تفاضل الصفات في[1] الموصوفين بشديدٍ وأشدّ.

وفيه عِلْمُ الحضرة الجامعة للمنافع الإنسانيّة؛ وهي حضرة النِّعم للراحل والقاطن، والمتحرّك والساكن.

وفيه عِلْمُ التسخير والمسخّرات، وهل كلّ مسخَّر له أجلٌ ينتهي إليه بتسخيره، أم لا؟ أو بعضه له أجل، وبعضه لا أجل له؟.

وفيه عِلْمُ: "عند جهينة الخبر اليقين" وقولهم: "على الخبير سقطت" ولم يقولوا: "على العليم سقطت"، ولم يقولوا: "عند جهينة العلم اليقين".

وفيه عِلْمُ ظهور الحقّ وسريانه في كلّ شيء، وتقسيمات الحقّ في قوله: «لكلّ حقّ حقيقة» فأدخلَ عليه: «كلّ».

وفيه عِلْمُ انفراد كلّ مكلَّف بنفسه، والفرق بينه وبين من لا ينفرد من المكلَّفين بنفسه، أعني من الثّقَلين، وفي ما ينفرد، وفي ما لا ينفرد.

وفيه عِلْمُ القوابل، وفيمن يؤثّر الداعي؟

وفيه عِلْمُ ما يكون لأصحاب القبور في قبورهم، وما هي القبور؟

وفيه عِلْمُ الأخذ من كلّ آخِذ، وصفة المأخوذ والمأخوذ منه.

وفيه عِلْمُ الأعراض: هل هي نِسب عدميّة؟ أو أمور وجوديّة لها أعيان؟

وفيه عِلْمُ ما يحصل لأهل العناية من العزّة والحجاب.

---
١ ص ٩٧

وفيه عِلْمُ مراتب أتباع الأنبياء.

وفيه عِلْمُ المزيد.

وفيه عِلْمُ التمنّي. وفيه عِلْمُ سريان الحكمة في مراتب الموجودات على ما هي عليه.

وفيه عِلْمُ السَّبْق الإلهيّ العالَم.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ[1] يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

[1] ص ٩٧ب
[2] [الأحزاب : ٤]

الباب الموفّي خمسين وثلاثمائة
في معرفة منزل تجلّي الاستفهام ورفع الغطاء عن أعين المعاني
-وهو من الحضرة المحمديّة من اسم "الربّ"

إذا صعقَ الرُّوحُ مِنْ وَحْيِهِ — فَكَيْفَ بِهَيْكَلِ ظَلْمَائِهِ
لَقَدْ ثَبَّتَ اللهُ أَركانَهُ — وأَجْراهُ فُلْكًا عَلَى مائِهِ
وَما هُوَ بَحْرٌ لَهُ ساحِلٌ — وأَيْنَ التَّناهِي لأَسْمَائِهِ
أَبُو الكَوْنِ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي بِهِ — وَتَشْهَدُهُ عَيْنَ أَبْنائِهِ
فَلَا تَفْرَحَنَّ بِإِتْيانِهِ — وَلَا تَقْعُدَنَّ بِسِيْسَائِهِ[1]
فَسُبْحانَ مُذْهِبُ أَعْيانِنَا — بِها إِذْ كَفَرْنا بِنَعْمَائِهِ
وَيا[2] عَجَبًا إِذْ كَفَرْنا بِهَا — وإِنِّيَ مِنْ عَيْنِ آلائِهِ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّ هذا المنزل؛ منزل الحجب المانعة والآلات الدافعة؛ فمنها حجب عناية مثل قوله ﷺ: «إنّ لله سبعين ألف حجاب أو سبعين حجابا» الشكّ منّي «من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه».

وهنا نكتة وإشارة: إنّ البصرَ هنا بصرُ الخلق الذي الحقّ بصره، وهو القابل لهذه الحجب، وهذا الموصوف بأنّ الحقّ بصره وهو عين سبحات الوجه. فإنّ الله لا يزال يرى العالَم ولم يزل، وما أحرقت العالَمَ رؤيتُه. ومنها حجب غير عناية، مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[3].

فاعلم أنّ الحجب على أنواع: حجب كيانيّة بين الأكوان، مثل قوله -تعالى-: ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ

[1] سيسائه: حدّه
[2] ص ٩٨
[3] [المطففين : ١٥]

وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[1]. ومنها حجبٌ احتجب بها الخلق عن الله، مثل قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾[2].
ومنها حجبٌ احتجب بها الله عن خلقه، مثل قوله ﷺ: «إنّ الله يتجلّى يوم القيامة لعباده ليس بينه وبينهم إلّا رداء الكبرياء على وجهه» وفي رواية: «بينه وبين خلقه ثلاثة[3] حجب» أو كما قال. ومنها: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[4] كما كلّم موسى عليه السلام من حجاب النار، والشجرة، وشاطئ الوادي الأيمن، وجانب الطور الأيمن، وفي البقعة المباركة. وكما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[5] فكلّم اللهُ المستجيرَ من خلف حجاب محمد ﷺ، إذ كان هو عين الحجاب؛ لأنّ المستجير من المشركين؛ منه سمع كلام الله. فلا نشكّ أنّ الله كلّمنا على لسان رسول الله ﷺ وكما أيضا كلّمنا من وراء حجاب المصلّي إذا قال: "سمع الله لمن حمده" فألسنةُ العالم كلّها أقوالُ الله، وتقسيمها لله؛ فيضيف إلى نفسه منها ما شاء، ويترك منها ما شاء.

فأمّا الحجب الكيانيّة التي بين الأكوان؛ فمنها جنن ووقايات، ومنها عزّة وحمايات كاحتجاب الملوك، وحجب الغيرة على مَن يغار عليه. كما قال في ذوات الخدور وهنّ المحجّبات، ومن ذلك: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[6]. وأمّا الوقايات والجنن فمنها الحجب التي تقي الأجسام الحيوانيّة من البرد القويّ والحرّ الشديد فيدفع بذلك الألم عن نفسه، وكذلك الطوارق يَدفع بها في الحرب المقاتلُ عن نفسه سهامَ الأعداء[7] ورماحَهم وسيوفَهم؛ فيتّقي هذا وأمثاله بجنّته الحائل بينه وبين عدوّه، يدفع بذلك عن نفسه الأذى، من خوذة، وترس، ودرع.

وقد تكون حجب معنويّة يَدفع بها الأذى الشخصُ[8] عمّن يَكرُم عليه، مثل شخص يصدر منه في حقّ شخص مّا يكرهه ذلك الشخص، لكونه لا يلائم طبعه ولا يوافق غرضه، فيلحق به الذمّ لما جرى منه في حقّه؛ فيقوم شخص يجعل نفسه له وقاية حتى يتلقّى هو في نفسه سهامَ

١ [الأحزاب : ٥٣]
٢ [فصلت : ٥]
٣ ص ٩٨ب
٤ [الشورى : ٥١]
٥ [التوبة : ٦]
٦ [الرحمن : ٧٢]
٧ ص ٩٩
٨ ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب

ذلك الذمّ؛ فيتقرّر في نفس الذامّ أنّه السبب الموجب لذلك؛ وأنّ ذلك الأذى كان من جهته؛ حتى يتحقّق ذلك الذامُّ هذا الأمرَ أنّه كان من جهة هذا الشخص بأيّ وجه أمكنه التوصّل إليه؛ فيعلّق الذمّ به؛ ويكون حائلا بينه وبين الشخص الذي كان منه الأذى لذلك الذامّ؛ فوقى عِرضه بنفسه.

كما نلحق نحن من الأفعال، ما قبح منها مما لا يوافق الأغراض ولا يلائم الطبع؛ بناء، مع علمنا أنّ الكلّ من عند الله. ولكن لمّا تعلّق به لسانُ الذمّ، فَدَيْنا ما يُنسب إلى الحق من ذلك بنفوسنا أدبا مع الله. وما كان من خيرٍ وحَسَنٍ رَفعنا نفوسنا من الطريق، وأضفنا ذلك إلى الله؛ حتى يكون هو المحمود؛ أدبا مع الله. وحقيقة؛ فإنّه لله بلا شكّ، مع ما فيه من رائحة الاشتراك بالخبر الإلهيّ في قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] وقوله[2]: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[3] وقال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[4] فأضاف العمل؛ وقتا إلينا، ووقتا إليه. فلهذا قلنا فيه رائحة اشتراك. قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[5] فأضاف الكلّ إلينا، وقال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[6] فله الإلهام هنا، ولنا العمل بما أُلْهِم. وقال: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾[7] فقد يكون عطاؤه الإلهام، وقد يكون خلق العمل.

فهذه مسألة لا يتخلّص فيها توحيد أصلا؛ لا من جهة الكشف ولا من جهة الخبر. فالأمر الصحيح في ذلك أنّه مربوط بين حقّ وخلق، غير مخلّص لأحد الجانبين. فإنّه أعلى ما يكون من النِّسب الإلهيّة، أن يكون الحقّ -تعالى- هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات؛ فما ثمّ إلّا وجود عين الحقّ، لا غيره. والتغييرات الظاهرة في هذه العين (هي) أحكام أعيان الممكنات؛

١ [الصافات : ٩٦]
٢ ص ٩٩ب
٣ [النساء : ٧٩]
٤ [النساء : ٧٨]
٥ [البقرة : ٢٨٦]
٦ [الشمس : ٨]
٧ [الإسراء : ٢٠]

فلولا العين ما ظهر الحكم، ولولا الممكن ما ظهر التغيير، فلا بدّ في الأفعال من حقّ وخلق.

وفي مذهب بعض العامّة أنّ العبد محلّ ظهور أفعال الله وموضع جريانها. فلا يشهدها الحسّ إلّا من الأكوان، ولا تشهدها بصيرتهم إلّا من الله، من وراء حجاب هذا الذي ظهرت على يديه؛ المريد لها، المختار فيها؛ فهو لها[1] مكتسب باختياره. وهذا مذهب الأشاعرة. ومذهب بعض العامّة، أنّ الفعل للعبد حقيقة، ومع هذا فَرَبْطُ الفعل عندهم بين الحقّ والخلق لا يزول. فإنّ هؤلاء، أيضا، يقولون: إنّ القدرة الحادثة في العبد، التي يكون بها هذا الفعل من الفاعل، أنّ الله خلق له القدرة عليها، فما يخلص الفعل للعبد إلّا بما خلق الله فيه من القدرة عليه، فما زال الاشتراك. وهذا مذهب أهل الاعتزال. فهؤلاء ثلاثة أصناف: أصحابنا، والأشاعرة، والمعتزلة؛ ما زال منهم وقوع الاشتراك.

وهكذا أيضا حكم مثبتي العلل؛ لا يتخلّص لهم إثباتُ المعلول لعلّته، التي هي معلولة لعلّة أخرى فوقها، إلى أن ينتهوا إلى الحقّ في ذلك، الواجب الوجود، الذي هو عندهم علّة العلل. فلولا علّة العلل ما كان معلول عن علّة؛ إذ كلّ علّة دون علّة العلل معلولة. والاشتراك ما ارتفع على مذهب هؤلاء.

وأمّا ما عدا هؤلاء الأصناف من الطبيعيّين والدهريّين، فغاية ما يؤول إليه أمرهم أنّ الذي نقول نحن فيه: إنّه الإله، تقول الدهريّة فيه: إنّه الدهر، و(يقول) الطبيعيّون: إنّه الطبيعة. وهم لا يخلّصون الفعل الظاهر منّا دون أن يضيفوا (أي الطبيعيّون) ذلك إلى الطبيعة، وأصحاب الدهر إلى الدهر. فما[2] زال وجود الاشتراك في كلّ نحلة وملّة؛ وما ثَمّ عقل يدلّ على خلاف هذا، ولا خبر إلهيّ في شريعة تخلّص الفعل من جميع الجهات إلى أحد الجانبين. فلنقرّه كما أقرّه الله، على علم الله فيه؛ وما ثَمّ إلّا كشف، وشرع، وعقل. وهذه الثلاثة ما خلصت شيئا، ولا يخلص أبدا دنيا ولا آخرة؛ جزاء بما كنتم تعملون.

---

١ ص ١٠٠
٢ ص ١٠٠ب

فالأمر في نفسه، والله أعلم، ما هو إلّا كما وقع؛ ما يقع فيه تخليص؛ لأنّه في نفسه غير مخلّص. إذ لو كان في نفسه مخلّصا لا بدّ، إن كان، تظهر عليه بعض هذه الطوائف. ولا يتمكن لنا أن نقول: الكلّ على خطأ؛ فإنّ في الكلّ الشرائعَ الإلهيّة، ونسبة الخطأ إليها محال. وما يخبر بالأشياء على ما هي عليه إلّا الله، وقد أخبر، فما هو الأمر إلّا كما أخبر؛ لأنّ مرجوع الكلّ إليه. فما خلص فهو مخلّص، وما لم يخلص فما هو في نفسه مخلّص، فإنّ ﴿اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1]. فاتّفق الحقُّ والعالم جميعه في هذه المسألة، على الاشتراك. وهذا هو الشرك الخفيّ والجليّ، وموضع الحيرة؛ فلا يرجّح؛ فما ثَمّ إلّا ما قلناه.

فإذ وقد قرّرنا، في هذه المسألة، ما قرّرناه؛ فلنقل: إنّ الجودَ الإلهيّ، والغيرة الإلهيّة، اقتضيا أن[2] يقولا ما نبيّنه -إن شاء الله-؛ وذلك أنّ المتكلّمين في هذا الشأن على قسمين: القسم الواحد أضاف الأفعال كلّها إلى الأكوان، فقال لسان الغيرة الإلهيّة: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[3] أي حادثا[4]. وأمّا القسم الثاني فأضاف الأفعال الحسنة كلّها إلى الله، وأضاف الأفعال القبيحة إلى الأكوان؛ فقال لسان الجود الإلهيّ: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا تكذيبا لهم، بل ثناء جميلا. وما ثَمّ مَن قال: إنّ الأفعال كلّها لله، من غير رائحة اشتراك. فلهذا حصرناها في قسمين من أجل "الطبيعيّة" و"الدهريّة".

وأمّا حجب العناية، وهي حجب الإشفاق على الخلق من الإحراق، فهي الحجب التي تمنع السبحات الوجهيّة أن تحرق ما أدركه البصر من الخلق. وسبب ذلك أنّ الله قد وضع الدعاوى في الخلق، أنّ أعيانهم لمّا اتّصفتْ بالوجود بعد العدم، وأنّ ذلك[5] الوجود كان عن ترجيح المرجّح الذي هو واجب الوجود، فما أنكره أحد، وإن كانت قد تغيّرت العبارات عنه باسم: طبيعة، ودهر، وعلّة، وغير ذلك؛ فهو هو لا غيره. فرأوا أنّ الوجود، وإن كان مستفادا، فإنّه

---

١ [الأحزاب : ٤]
٢ ص ١٠١
٣ [النساء : ٧٨]
٤ "أي حادثا" ثابتة في الهامش
٥ ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب

لهم حقيقة، وأنّ أعيانهم، هم الموجودون بهذا الوجود المستفاد؛ وهذه هي أعيان الحجب التي بين الله وبين[1] خلقه.

فلو كشفها عموما، كما كشفها خصوصا لبعض عباده؛ لأحرقت أنوار ذاته، المعبّر عنها بسبحات وجهه، ما أدركه بصرُه من أعيان الموجودات. أي أنّ بصرَه ما كان يدرك، من الموجودات، سِوَى وجودَ الحقّ، ويُذهب الكلّ الذي قرّرته الدعاوى؛ فيتبيّن أنّه الحقّ لا غيره. فعبّر عن هذا الذهاب بالإحراق لمّا جعلها أنوارا، والأنوار لها الإحراق، لكنّه -تعالى- أبقى حجب الدعاوى ليتميّز أهلُ الله من غيرهم. فلم تزل الممكنات عند أهل الله: من حيث أعيانهم؛ موصوفين بالعدم، ومن حيث أحكامهم؛ لم يزالوا موصوفين بالوجود؛ وهو الحقّ كما قال تعالى: «كنتُ سمعَه وبصرَه» في الخبر الصحيح فأثبتَ العين للعبد؛ وجعلَ نفسَه عين[2] صفته؛ التي هي عين وجوده. فعين الممكن ثابتة غير موجودة، والصفة موجودة ثابتة، وهي عين واحدة. ولو تكثّرتْ بِنِسَبِها؛ فإنّها كثيرة في النِّسَب؛ فهي: سمع، وبصر، وغير هذين، إلى جميع ما في العالم من القوى من ملَك، وبشر، وجانّ، ومعدن، ونبات، وحيوان، ومكان، وزمان، ومحلّ، ومعقول، ومحسوس. وما ثَمّ إلّا هذا.

ولمّا قرّر الله دعاوى المدّعين؛ بإرسال الحجب بينهم وبين ما هو الأمر عليه، وشغلهم بالحجب التي بينهم وبينهم[3]، وبينه وبينهم في الأفعال، وضرب الكلّ بالكلّ؛ انفرد بخاصّته؛ وجعلهم جلساء له عنده بالشهود، وفي صورهم المحسوسة بالذِّكْر؛ فهو جليس الذاكرين. وهم آخر الطوائف، ليس بعدهم أحدٌ له نعتٌ يذكر. قال -تعالى- لمّا وصفهم؛ ذكرانا وإناثا: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[4] فختم بجلسائه. وما بعد جلسائه مَن يقبل صفة، إلّا صفة بُعْدٍ عن هذه المجالسة.

ألا ترى أبا يزيد -رحمه الله- حين جهل الأسماء الإلهيّة، وما تستحقّه من الحقائق، كيف قال

١ ص ١٠١ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
٣ ص ١٠٢
٤ [الأحزاب : ٣٥]

لمّا سمع القارئ يقرأ يوم الجمعة: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[1] طار الدم من عينيه، حتى ضرب المنبر وتأوّه، وقال: "هذا عَجَبٌ؛ كيف يحشر إليه مَن هو جليسه؟!" فإنّه، في تلك الحالة، كان جليسا مع الأسماء، من حيث ما هي دالّة على الذات. كلّ واحد منها لم يكن مع الاسم، من حيث ما تطلبه حقيقته، من عين دلالته على الذات. فأنكر ما لم يعطه مشهده، مع كونه كلام الحقّ. وقد وقع منه الإنكار، بل ما وقع منه إلّا التعجُّب خاصّة؛ فهو يشبه الإنكار وليس بإنكار؛ حتى أنّه لو كان هذا القول من غير الله، لأمر القائل بالسكوت، وزجره عن ذلك. وإنما الرجلُ أظهر التعجُّب من قول الله في حقّ المتّقين الذين هم جلساء[2] الله؛ كيف يُحشرون إليه. فكأنّه إبراهيميّ المشهد في طلب الكيفيّة في إحياء الموتى؛ فأراد أبو يزيد ما أراده إبراهيم في كيفيّة إحياء الموتى، لاختلاف الوجوه في ذلك، لا إنكار إحياء الموتى؛ فدلّ هذا الكلام من أبي يزيد على حاله في ذلك الوقت.

فهذا مثل قول إبراهيم: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾[3]، والرحمة تناقض العذاب، إلّا على الوجه الذي قرّرناه في المنزل الذي قبل هذا المنزل، وهو منزل فتح الأبواب. كذلك أبو يزيد، لو علم أنّ المتّقي ما هو جليس الرحمن، وإنما هو جليس الجبّار، المريد، العظيم، المتكبّر؛ فيحشر المتّقي إلى الرحمن ليكون جليسه، فيزول عنه الاتّقاء. فإنّ الرحمن لا يُتّقى، بل هو محلُّ موضع الطمع، والإدلال، والأنس.

لكنّهم ﷺ صادقون لا يتعدّون ذوقهم في كلّ حال. بخلاف العامّة من أهل الله، فإنّهم يتكلّمون بأحوال غيرهم، والخاصّة لا سبيل لهم إلى ذلك. وإن اتّفق أن يتكلّم أحد منهم في حال نبيّ، أو وليّ هو فوقه؛ فيبيّن أنّه مترجم عن حال غيره، حتى يعرف السامع عمّن يقول. هذه حالهم ﷺ. ولا يقع منهم مثل هذا إلّا في النادر لضرورة تدعو إليه؛ فإنّ لهم الكشف الخبريّ عن مقامات مَن هو فوقهم، وما لهم الكشف الذوقيّ[4] إلّا فيما هو مقامهم وحالهم. فلولا هذه الحجب

١ [مريم : ٨٥]
٢ ص ١٠٢ب
٣ [مريم : ٤٥]
٤ ص ١٠٣

التي أسدلها الله بين الأكوان، وبينه وبين الأكوان، ما تميّزت المراتب، واختلطت الحقائق. وهذا سبب وضع الحدود في الأشياء، وقد لعن اللهُ من غيّر منار الأرض.

وصل: (الجمع بين المشاهدة والكلام)

ومن هذا الباب؛ إنّ الله ما جمع لأحد بين مشاهدته وبين كلامه في حال مشاهدته، فإنّه لا سبيل إلى ذلك، إلّا أن يكون التجلّي الإلهيّ في صورة مثاليّة، فحينئذٍ[1] يجمع بين المشاهدة والكلام، وهذا غير منكور عندنا. وقد بلغنا عن الشيخ العارف شهاب الدين السهروردي ببغداد ﵁ أنّه قال بالجمع بين المشاهدة والكلام، ولكن ما نقل عنه أكثر من هذا؛ فإنّي سألت الناقل، فلم يذكر لي نوع التجلّي. والظنُّ بالشيخ جميلٌ، فلا بدّ أن يريد التجلّي الصوري.

ألا ترى في قول "السيّاري" من رجال رسالة القشيري حيث قال: ما التذّ عاقل بمشاهدة قطّ. ثمّ فسّر فقال: لأنّ مشاهدة الحقّ فناء ليس فيها لذّة. والخطاب في حال الفناء لا يصحّ، لأنّ فائدة الخطاب أن يُعقل، ولذلك قال (تعالى): ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[2] وما زال البشر عن حكم البشريّة، كمسألة موسى. والحجاب عين الصورة التي يناديه منها[3]، وما يزول البشر عن بشريّته. وإن فني عن شهودها، فعين وجودها لا يزول، والحدّ يصحبها. وإنّما قلنا هذا لأنّي سمعت بعض الشيوخ يقول: هذا حظّ البشر. فإذا زال عن بشريّته كان حكمه حكمًا آخر. فأبنْتُ له ﵁ أنّ الأمر ليس كما يظنّه. فلمّا تحقّق ما ذكرناه، رجع عن ذلك وقال: ما كنت أظنّ إلّا أنّ الأمر على ما قلته، لم أجعل بالي من هذا. فإنّه تكلّم في شرح الآية فغلط، ما تكلّم في ذلك عن ذوق الأمر، ومن هنا يقع الغلط.

ونحن نعلم أنّ الذي قال الله حقٌّ كلّه، وأنّه لا يخالف الأذواق؛ فلا بدّ أن يكون كلام الذائق مطابقا للإخبارات الإلهيّة، حتى يقول من لا معرفة له بمقام الرجال: إنّ هذا المتكلّم بما لا يخالف ما جاء به قرآن أو سنّة؛ إنّما هو أخذه منهما، وهو مفسّر لهما. وصاحب الذوق ما قال إلّا

١ ق: "مجسدة" وفي الهامش "فحينئذ"
٢ [الشورى : ٥١]
٣ ص ١٠٣ب

ما ذاقه، فمن المحال أن يخالف شيئا مما جاء عن الله، لكنّ الأجنبيّ الذي لا ذوق له، يقول هذا عن الذائق. بل جماعة من أهل الطريق ممن لا ذوق لهم، يتخيّلون مثل هذا ويقولون: إنّ فلانا يتكلّم من حيث ما ورد في الأخبار الإلهيّة، ليس له مادة غيرها. وينكرون الذوق لأنّهم ما عرفوه من نفوسهم، مع[1] كونهم يعتقدون، في نفوسهم، أنّهم على طريق واحدة.

وكذلك هو الأمر؛ أصحابُ الأذواق وهم على طريق واحدة بلا شكّ، غير أنّ فيهم البصير، والأعمى، والأعشى؛ فلا يقول واحد منهم إلّا ما أعطاه حاله، لا ما أعطاه الطريق، لا ما هو الطريق عليه في نفسه، ولا سيما السلوك المعنويّ؛ فإنّ عمى القلوب أشدُّ من عمى الأبصار. فإنّ عمى القلوب يحول بينك وبين الحقّ، وعمى البصر الذي لم يَرَ قطّ صاحبُه، ليس يحول إلّا بينك وبين الألوان خاصّة، ليس له إلّا ذلك. وهذا العمى من الحجب. وكذلك الصمم، والقفل، والكِنّ، والغشاوة؛ دون العمى في الحكم. إلّا أن تكون الغشاوة تعطي الظلمة؛ فلا فرق بينها وبين العمى. فإن خرجَتْ عن حدِّ الظلمة إلى حدّ السدفة، فقد يكون حالُ صاحبها أحسن من حال صاحب الظلمة ومن حال الأعمى.

قال بعضهم لمحمد ﷺ: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ وهو الأكِنّة ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[2] أي اعمل في رفع ذلك. ويحتمل قولهم: ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ في رفع ذلك، في حقّ من يحتمل صدقه عنده. فإنّهم اعترفوا أنّ قلوبهم في أكنّة مما يدعوهم إليه؛ فما جحدوا قولَه ولا ردّوه، كما اعتقد غيرهم ممن لم يقل ذلك. فلا أدري ما آل إليه أمر هؤلاء؛ فإنّهم[3] عندي في مقام الرجاء.

فإنّا نعلم قطعا أنّ الرسول يعمل في رفع الغطاء عن أعينهم بلا شكّ، حتى قال: «لأزيدنّ على السبعين» ولذا قال في الآية: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[4] ولم يقل: "وويل لكم". فهذا يدلُّ، بقرينة الحال، أنّهم عاملون في رفع الحجاب و(في) إخراج قلوبهم من الأكنّة. وإنما كثَّر الأكنّة، لاختلاف أسباب توقّفهم في قبول ما أتاهم به. فمنهم مَن كِنّهُ الحسد، وآخر الجهل، وآخر شغل

١ ص ١٠٤
٢ [فصلت : ٥]
٣ ص ١٠٤ب
٤ [فصلت : ٦]

الوقت بما كان عنده أهمّ حتى يتفرّغ منه؛ والكلّ حجاب.

ومن أعجب الأشياء الواقعة في الوجود (هو) ما أقوله؛ وذلك أنّ الملائكة، إذا تكلّم الله بالوحي كأنّه سلسلة على صفوان، تُصعق الملائكة. ورسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي كسلسلة على صفوان؛ وهو أشدّ الوحي عليه- فينزل جبريل به على قلبه، فيفنى عن عالم الحسّ، ويُرغُو، ويُسَجّى، إلى أن يُسَرّى عنه. وأنّه لينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيتفصّد جبينه عَرَقا. وموسى ﷺ كلّمه الله تكليما بارتفاع الوسائط، وما صعق، ولا زال عن حسّه، وقال، وقيل له. وهذا المقام أعظم من مقام الوحي بوساطة الملَك. فهذا الملَك يصعقُ عند الكلام، وهذا أكرمُ[1] البشر يصعقُ عند نزول الروح بالوحي، وهذا موسى لم يُصعق، ولا جرى عليه شيء مع ارتفاع الوسائط، وصعق لِذَلِكِ الجبل.

فاعلم أنّ هذا كلّه من آثار الحجب؛ فإنّ الحكم لها حيث ظهرتْ. فإنّ الله لمّا خلقها حجبا، لم يمكن إلّا أن تحجب ولا بدّ. فلو لم تَحجب لَما كانت حجبا. وخلق الله هذه الحجب على نوعين: معنويّة، وماديّة. وخلق الماديّة على نوعين: كثيفة، ولطيفة وشفّافة. فالكثيفة لا يدرك البصر سِوَاها، واللطيفة يدرِك البصر ما فيها وما وراءها. والشفّافة يدرِك البصر ما وراءها، ويحصل له الالتباس إذا أدرك ما فيها. كما قيل:

رقَّ الزُّجاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ	فَتَشاكَلَا فَتَشابَهَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَـا خَمْـرٌ وَلا قَـدَحٌ	وَكَأَنَّمَا قَـدَحٌ وَلَا خَمْـرُ

وأمّا المرائي والأجسام الصقيلة فلا يدرِك (البصر) موضع الصور منها، ولا يدرِك ما وراءها، ويدرِك الصور الغائبة عن عين المدرِك بها، لا فيها. فالصور المرئيّة حجابٌ بين البصر وبين الصقيل، وهي صور لا يقال فيها: لطيفة، ولا كثيفة. وتشهدها[2] الأبصار كثيفة، وتتغيّر أشكالها بتغيُّر شكل الصقيل، وتتموّج بتموّجه، وتتحرّك بتحرُّك مَن هي صورته من خارج، وتسكن بسكونه. إلّا أن يتحرّك الصقيل، كتموُّج الماء، فيظهر في العين فيها حركة، ومَن هي صورته

1 ص ١٠٥
2 ص ١٠٥ب

ساكن. فلها حركتان: حركةٌ مِن حركةِ مَن هي صورته، وحركةٌ مِن حركةِ الصقيل. فما في الوجود إلّا حجب مُسدلة.

والإدراكات متعلّقها الحُجُب، ولها الأثر في صاحب العين المدرِك لها. وأعظم الحجب حجابان: حجاب معنويٌّ؛ وهو الجهل، وحجاب حِسّيٌّ؛ وهو أنت على نفسك. فأمّا الحجاب الأعظم المعنويّ، فقول رسول الله ﷺ لمّا أسري به في شجرة فيها وَكْرا طائر؛ فقعد جبريل في الوكر الواحد، وقعد رسول الله ﷺ في الوكر الآخر. فلمّا وصلا إلى السماء الدنيا، تدلّى إليهما شبه الرفرف: دُرًّا، وياقوتا؛ وكان ذلك نوعا من تجلّي الحقّ. قال ﷺ: «فأمّا جبريل فغُشي عليه» لِعلمه بما تدلّى إليه، وأمّا رسول الله ﷺ فبقي على حاله، لكونه ما علِم ما هو؛ فلم يكن له سلطان عليه. فلمّا أخبره جبريل عندما أفاق: «إنّه الحقّ» قال ﷺ عند ذلك: «فعلمتُ فضلَه» يعني فضل جبريل «عليّ في العلم». فالعلم أصعقَ جبريل[1]، وعدم العلم أبقى النبيّ ﷺ على حاله، مع وجود الرؤية من الشخصين؛ فهذا أعظم الحجب المعنويّة.

وأمّا كونك حجابا عليك، وهو أكثف الحجب الحسّيّة فقول القائل[2]:

بَـدَا لَكَ سِرٌّ طَـالَ عَنْـكَ اكْتِتَامُـهُ	وَلاحَ صَـبَاحٌ كُنْـتَ أَنْـتَ ظَلامُـهُ
فأَنْتَ حِجَابُ القَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ	وَلَـوْلاكَ لَـمْ يُطْبَـعْ عَلَيْـهِ خِتامُـهُ
إذا غِبْـت عَنْـهُ حَـلّ فِيْـهِ وَطَنَّبَـتْ	عَلَى مَنْكَبِ الكَشْفِ المَصُونِ خِيامُهُ
وَجـاءَ حَـدِيْثٌ لا يُمَـلُّ سَمَاعُـهُ	شَـهِيٌّ إِلَيْنَـا نَـثْرُهُ وَنِظامُـهُ

فما جعل حجابا عليك سِواك.

ثمّ نرجع إلى مسألتنا، ونقول: أمّا موسى ﷺ فكان قد استفرغه طلبُ النار لأهله، وهو الذي أخرجه لِمَا أُمر به من السعي على العيال. والأنبياء أشدُّ الناس مطالبة لأنفسهم، للقيام

1 ص ١٠٦
2 وردت البيتان الأولان للحلاج (الموسوعة الشعرية) ثم نسبت الأبيات بمجموعها مرة إلى القاضي المرتضى- عبد الله بن القاسم الشهرزوري (ت ٥٢١هـ) وفق ما جاء في (خريدة القصر- وجريدة العصر- للعماد الأصبهاني. كما نسبت إلى أبي العباس بن العريف الصنهاجي (ت ٥٣٦هـ) وفق كل من ابن عجيبة في إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، وكذا وفق ابن العربي في (السفر ٢٧ ص ٤٨٨).

بأوامر الحقّ؛ فلم يكن في نفسه سِوى ما خرج إليه. فلمّا أبصر حاجته، وهي النار التي لاحت له من الشجرة من جانب الطور الأيمن، ناداه الحقّ من[1] عين حاجته، بما يناسب الوقت: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[2] ولم يقل: لمّا أوحي "إنّني أنا الله"؛ فنبّهه الخطاب الأوّل بالنداء. لأنّه خرج على أن يقبس نارا، أو يجد على النار هدى، وهو قوله: ﴿آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾[3] أي مَن يدلّه على حاجته.

فكان منتظرا للنداء، قد هيّأ سمعه وبصره: بصره لرؤية النار، وسمعه لمن يدلّه عليها؛ فلمّا جاءه النداء بأمرٍ مناسب؛ لم ينكره، وثبت. فلمّا علم أنّ المنادي (هو) ربُّه، وقد صحّ له الثبوت، وجاء النداء من خارج لا من نفسه؛ ثبت؛ ليوفي الأدب حقّه في الاستماع. فإنّه لكلّ نوع من التجلّي حكم. وحكم نداء هذا التجلّي (هو) التهيّؤ لسماع ما يأتي به. فلم يصعق، ولا غاب عن شهوده؛ فإنّه خطاب مقيّد بجهةٍ، مسموع بأذن، وخطاب تفصيلي.

فالمثبت للإنسان على حسّه وشهود محسوسه (هو) قلبُه المدبّر جَسَدَه، ولم يكن لهذا الكلام الإلهيّ الموسوي توجّه على القلب. فليس للقلب هنا إلّا ما يتلقّاه من سمعه، وبصره، وقواه، حسب ما جرت به العادة؛ فلم يتعدّ[4] الحال حكمه في موسى عليه السلام. وأمّا أمر محمد ﷺ فهو نزولٌ قلبيٌّ، وخطاب إجماليٌّ؛ كسلسلة على صفوان؛ فاجعل بالك لهذا التشبيه[5]. فاشتغل القلب، بما نزل إليه، ليتلقّاه؛ فغاب عن تدبير بدنه؛ فسمّي ذلك: غشية وصعقا.

وكذلك الملائكة؛ أخبر النبيّ ﷺ عن الملائكة في طريان هذا الحال، أنّه إذا كان الوحي المتكلّم به كسلسلة على صفوان، وكان نزوله على قلوب الملائكة؛ فإنّه قال: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾[6]، ثمّ لمّا أفاقوا، أخبر عنهم بأنّهم يقولون: ﴿مَاذَا﴾ وهنا وقف. ثمّ يجيبهم فيقول: ﴿رَبُّكُمْ﴾ وهنا وقف، فيقولون: ﴿الْحَقَّ﴾ -بالنصب- أي: قال الحقَّ؛ كذا علمناه ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن هذا

١ ص ١٠٦ب
٢ [طه : ١٢ ، ١٣]
٣ [القصص : ٢٩]
٤ ق: يتعدى
٥ ص ١٠٧
٦ [سبأ : ٢٣]

النزول في هذا النزول ﴿الْكَبِيرُ﴾ عن هذه النِّسبة في هذه النِّسبة. وعلى الوجه الآخر، ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وهنا وقف. فيقول بعضهم لبعض: ﴿الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ من قول الله، لا من قول الملائكة. فعلى الوجه الأوّل؛ لمّا أفاقوا وزال الخطاب الإجمالي المشبّه وزالت البديهة فقَالَ لهم رَبُّكُمْ وهو قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فما صعقوا عند هذا القول بل ثبتوا وقالوا: ﴿الْحَقَّ﴾ أي قال الحقَّ، أي: قال ربُّنا القولَ الحقَّ، يعنون ما فهموه من الوحي. أو قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾، أو هما معا وهو الصحيح. فهذا الفرق بين حال موسى عليه السلام، وبين حال محمد ﷺ، وحال الملائكة -عليهم السلام-.

واعلم[1] أنّ في هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ ثناء الحقّ على نفسه بخلقه، وهو المثني على نفسه بغناه عن خلقه؛ فأيُّ الثنائين أتمّ وأحقّ، وما هو الحق من هذين الثنائين؟ وما هو الحقيقة منهما؟ أو كلاهما حقيقتان لِحَقَّيْن؟ أو هما حقّان ولهما حقيقتان؟

وفيه عِلْمُ الفرق بين العلم، والحكمة، والخِبرة.

وفيه عِلْمُ العلم بما في العالم بتقاسيم أحوالهم.

وفيه عِلْمُ النيابة في الأجوبة عن الله، ولا يكون ذلك إلّا لرسول، أو نبيّ، أو وارث؛ عن سماع لخطاب إلهيّ، لا عن تجلٍّ ولا خطاب حال.

وفيه عِلْمُ علم الله.

وفيه عِلْمُ أين أودع الله علمه في خلقه من العوالم؟ وهل أودعه في واحد؟ أو فيما زاد على واحد؟

وفيه عِلْمُ بماذا تتميّز به القبضتان في عالم الشهادة؟ وبماذا تتميّز به في عالم الغيب؟

وفيه عِلْمُ الدلالة على العلماء وأصحاب الأخبار الإلهيّة لنعرفهم، فنتلقّى[1] منهم ما يأتون به عن

١ ص ١٠٧ب

الله، فنساويهم[2] في العلم بذلك، رغبة في أن نلحق نفوسنا بنفوسهم في الصورة. وإن[3] اختلفت الطرق فلا أثر لاختلافها في صورة العلم. وهذا هو الذي يحرّض الأكابر من العلماء الأكابر على نشر العلم، كما يحرّض المتعلّمين على طلب العلم من أكابر العلماء، الذين يعلمون أنّهم أعلم بالله منهم. ومن هذا قال الرجل للتلميذ: "لأنْ ترى أبا يزيد مرّة؛ خير لك من أن ترى الله ألف مرّة" لِفضله (يعني أبا يزيد) عليه (أي على التلميذ) في العلم بالله، لمّا علم أنّ ظهور الحقّ لعباده على قدر علمهم به. فرؤيتنا اللهَ بعلم العلماء به، إذا استفدناه منهم، أتمّ من رؤيتنا بعلمنا قبل أن نستفيده منهم.

وفيه عِلمُ إحاطة الاعتبار بالجهات، وأنّ علم الاعتبار لا يخصّ حالا من حال، ولا جهة من جهة، وأنّه علم عام. وهو[4] علم يعطي الدلالة لمن رجع إلى الله بالعبودة.

وفيه عِلمُ الأمر الإلهيّ، بالمساعدة في العبادة وأعمال الخير.

وفيه عِلمُ إرسال النِّعم الخارقة، وما يحجب منها؟ وماذا يحجب؟

وفيه عِلمُ قوى المسخَّرات في التسخير، وإلى أين تنتهي قواهم فيما سُخّروا فيه؟

وفيه عِلمُ الموت المجهول في الميّت، وبماذا يُعرف؟ كما حكى القشيري في رسالته عن بعضهم: أنّه مات إنسان، فنظر إليه[5] الغاسل، فتحيّر. فلم يدر: أهو ميّت، أم ليس بميّت؟ وهو ميّت في نفس الأمر. ومثل هذا ظهر على صاحبٍ لي كان يخدمني، فمات عندي. فشكّ فيه الغاسل عند غسله؛ هل هو ميّت أم لا[6]؟

وفيه عِلمُ أثر العلم في العالِم، ومن ادّعى العلم ولم يؤثّر فيه ما هو عالم. وهي مسألة مشكلة، يورث الإشكالَ فيها الحسُّ؛ فإنّه ما رأينا أحدا يلقي نفسه في النار لِعلمه أنّها تحرقه إلّا طائفتين:

[1] ق: فيتلقى
[2] ق: فيساويهم
[3] ص ١٠٨
[4] ق: "وفيه" وفي الهامش "وهو" مع إشارة التصويب
[5] ص ١٠٨ب
[6] ذكر الشيخ في السفر الثالث (١/ ٦٥٨) أنّ صاحبه هذا هو عبد الله بن بدر الحبشي

الواحدة مَن تتّخذها قربانا، فتلقي نفسها فيها طلبا للإحراق قربة إليها، أو من يعلم أنّها لا تحرقه. فعلمنا أنّ العلم له أثر في العالِم.

وفيه عِلمُ آيات النِّعم، وعلى ماذا تدلّ؟ وما حقّها على من يراها آية؟

وفيه عِلمُ العلم القويّ الذي يذهب بما سِوَاهُ من العلوم التي يجدها في القلب.

وفيه عِلمُ الأدنى والأعلى، وما السبب الموجب للطالب في طلبه الأدنى وتَرْكِه الأعلى، مع علمه بمرتبة كلّ واحد منهما؟

وفيه عِلمُ أسباب الجزاء في الخير والشرّ.

وفيه عِلمُ البُعد والقُرب الكيانيّ والإلهيّ.

وفيه عِلمُ ما في علم القُرب والبعد من الآيات الدالّة على الله.

وفيه عِلمُ موافقة الظنّ العلمَ، وبماذا يعلم صاحب الظنّ[1] أنّه عِلم لا ظنّ، وقد كان يعتقد أنّ ذلك ظنّ؟

وفيه[2] عِلمُ حال أهل الرِّيَب، وبمن يلحقون من الأصناف؟ وما ينظر إليهم من الأسماء؟

وفيه عِلمُ الحوالة.

وفيه عِلمُ أحوال الملأ الأعلى، واختلافها عليهم لاختلاف الواردات في مقامهم المعلوم.

وفيه عِلمُ ما لا يُنسب إلى الله، أعني لا يوصف به: هل هو أمر عدميّ، أو وجوديّ؟

وفيه عِلمُ أين يشكّ العالِم وهو ليس بشاكٍّ؟ ولماذا يظهر بصورة الشاك؟

وفيه عِلمُ ما يُسأل عنه وما لا يُسأل عنه.

وفيه عِلمُ في ماذا يجمع الله بين عباده، ثمّ يفصل بينهم في عين هذا الجمع، فهم فيه مفصلون.

[1] ق: "الحقّ" وفي الهامش بقلم آخر: "الظن" وحرف خ
[2] ص ١٠٩

وفيه عِلْمُ من ادَّعى أمرا طولب بالدليل على ما ادّعاه، إذا ادّعى ما يريد أن يؤثّر به في أحوال العالَم.

وفيه عِلْمُ ما لا يقبل التقدّم ولا التأخّر من الأحوال.

وفيه عِلْمُ الحجاج.

وفيه عِلْمُ التقريب، وإلى من يكون القرب: هل إلى كون؟ أو إلى الله؟ وهل[1] يصحّ القرب إلى الله، أم لا، وهو أقرب إلى كلّ إنسان من حبل الوريد كما قال تعالى؟.

وفيه عِلْمُ الأعواض.

وفيه عِلْمُ الفرق والتبرّي بين الأرواح.

وفيه عِلْمُ ما يقال عند رؤية الدلالات.

وفيه عِلْمُ الأجر المعاد، وإلحاق الشيء بجنسه.

وفيه عِلْمُ من يدري ما يقول، ويقال له؟ ومَن لا يدري ما يقول، وما يقال له من ذلك؟

وفيه عِلْمُ ردّ الأمور كلّها؛ حيرتها وإبانتها إلى الله، وخيرها وشرّها، وأنّ الشرّ ليس إلى الله.

وفيه عِلْمُ الإدراك الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ ما لا يُدرك مما يجوز أن يُدرك.

وفيه عِلْمُ ما يمنع الاحتلام بالرؤية.

وفيه عِلْمُ الموانع.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

[1] ص ١٠٩ب
[2] [الأحزاب : ٤]

الباب الحادي والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات
وهو[1] من حضرة الغَيرة المحمديّة من الاسم "الودود"

إنّ المُكَمَّلَ لا ترْسَى مَراسِيْهِ فَلَا مَقامَ لَهُ فِي الكَوْنِ يَحْوِيْهِ

فَفُلْكُهُ سابِحٌ والرِّيْحُ تُزْجِيْهِ واللهُ فِي كُلِّ حالٍ فِيْهِ مُجْرِيْهِ

وَما لَهُ فَلَكٌ أَعْلَى فَيَقْطَعُهُ فَاعْلَمْ، إذا قُمْتَ فِيْهِ، مَن تُناجِيْهِ

الكُلُّ لِي وَلَهُ عَلَى السَّوَاءِ فَمَنْ أَدْناهُ خالِقُنا لا بُدَّ أُدْنِيْهِ

باللهِ يا أُخْتَ مُوْسَى عَجِّلِي وَخُذِي جَنَاحَ طَيْرِي فَقُصِّيْهِ وقصِّيْهِ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّ هذا المنزل من أعظم المنازل، له الاسم "الأوّل" و"الآخِر" و"الظاهر" و"الباطن" والخلق، والأمر. يحوي على مقامات وأحوال لا يعرفها إلّا القليل من الناس. عظّم الله مقدارَه، وأعلى منارَه. له زمام التكوين، وعنه ظهر وجود العالَم الحقّ[2]، والعالم الأعلى والأسفل ناظر إليه. له الغَيرة، والصَّوْن، والحجب. هو الغيب الذي يظهر منه ولا يظهر. يعطي عالم الشهادة، ويخفي عالم الغيب في الغيب. سلطانه قويّ لا يُرام، ومقامه عزيز لا يُضام. نعتُه النقص والكمال، وبصورته يظهر الليل والنهار. أوّلُ شيء أعطى الانقياد الإلهيّ والكونيّ.

فانْقِيادٌ لانْقِيادٍ عِنْدَ رَبٍّ وعِبادِ

بَيْنَ مَنْعٍ وعَطاءٍ مِنْ بَخِيْلٍ وَجَوادِ

فَصَلاحٌ لِصَلاحٍ وَفَسادٌ لِفَسادِ

واتِّفاقٌ لاتِّفاقٍ وَعِنادٌ لِعِنادِ

وانْفِصالٌ لانْفِصالٍ واسْتِنادٌ لاسْتِنادِ

[1] ص ١١٠
[2] ص ١١٠ب

وبَيَــاضٌ لِبَيــاضٍ	وَسَــوادٌ لِسَــوادِ
وبَقــاءٌ لِبَقــاءٍ	ونَفــادٌ لِنَفــادِ
واقْـتِرابٌ لاقْـتِرابٍ	وبُعــادٌ لِبُعــادِ
وَسَرِيْـرٌ لاسْـتِواءٍ	وسَمَــاءٌ لِمَهــادِ
وَتَــوَلٍّ لِبَغِــيضٍ	وتَجَــلٍّ لِــوِدادِ
ومَحَــلٌّ قَــدْ تَهَيَّــا	كُلَّ وَقْـتٍ لازْدِيادِ
مِــنْ عُلُـومٍ بِـأُمُورٍ	عِلْمُها عَيْنُ الرَّشَادِ
وَعَـذابٌ[1] فِي نَعِـيْمٍ	لِمُرِيْــدٍ ومُــرادِ
يَقْطعانِ اللَّيْلِ ذِكْرًا	بِسُـجُودٍ واجْتِهَـادِ
يَسـأَلانِ اللهَ أَمْنًـا	يَوْمَ إِسْمَاعِ المُنَادِي

ولمّا رجّح اللهُ وجودَ الممكنات على عدمها، لِطلبها الترجيح من ذاتها، كان ذلك انقيادا من الحقّ لهذا الطلب الإمكاني وامتنانا؛ فإنّه -تعالى- الغنيّ عن العالمين. ولكن لمّا وصف نفسه بأنّه يحبّ أن تعرفه المكناتُ بأنّه لا يُعرف، ومن شأن المحبّ الانقياد للمحبوب؛ فما انقاد في الحقيقة إلّا لنفسه. والممكن حجاب على هذا الطلب الإلهيّ الذي طلبه حبّ العرفان به من نفسه، وتبعه ما طلبه الممكن من ترجيح الوجود على عدمه. فلمّا أوجده عرّفه أنّه ربّه، فعرفه أنّه ربّه، ما عرف منه غير ذلك، ولا يمكن لغير الله أن يعرف اللهَ من حيث ما يَعرف اللهُ نفسَه.

ثمّ طلبه بالانقياد إليه فيما يأمره به وينهاه عنه. فقال الممكن: هذا مقام صعب لا أقدر عليه، كما أنّك، يا ربّ، ما يُبدَّل القول لديك، ولا يكون عنك إلّا ما سبق به علمك. فمشيئتك واحدة، والاختيار المنسوب إليك منّي لا منك. فالذي تقبله ذاتي من الانقياد إليك (هو) أن أكون لك حيث تريد، لا حيث تأمر، إلّا[2] إن وافق أمرُك إرادتَك؛ فحينئذ أجمع بينهما. وأكثر من هذا فما تعطي حقيقتي إذا نسبتها إليك.

١ ص ١١١
٢ ص ١١١ب

أنت القائل: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[1] وهو أكرم المكلَّفين عليك، وهذا الحكم منك، وعليك يعود؛ فما كان انقيادك إلّا إليك. وأنا صورة مائلة للمحجوبين الذين لا يعرفونك معرفتي فيقولون: قد أجاب الحقُّ سؤالَنا، وانقاد إلينا فيما نريده منه. وأنت ما أجبتَ إلّا نفسك وما تعلّقتْ به إرادتُك. فانقيادي أنا لنفسي فإنّه لا يمكن أن أطلبك لك، وإنما أطلبك لنفسي؛ فلنفسي كان انقيادي لمّا دعوتني، وجعلتك حجابا بيني وبين المحجوبين من خلقك الذين لا يعرفون فقالوا: "فلان أجاب أمرَ ربّه حين دعاه" وما علموا أنّ الانقياد منّي إنما كان لإرادتك، لا لأمرك؛ فإنّه ما يبدّل الحكم لديّ، فإنّي ما أقبل غير هذا قبول ذات، وفيه سعادتي.

ثمّ إنّك -سبحانك- مَشّيتَ لي ذلك، وأثنيتَ عليّ به، وأنت تعلم كيف كان الأمر. فظهرت بأمر تشهد الحقيقة بخلافه؛ فقلتَ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾[2]. والحقيقة من خلف هذا الثناء تنادي: "لا يعصون الله ما أراد منهم" وقرن الأمر منه بإرادته، فذلك هو الأمر الذي لا يعصيه مخلوق، وهو[3] قوله: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾[4] هذا هو الأمر الذي لا يمكن للمكن المأمور مخالفته، لا الأمر بالأفعال والتروك. يعرف ذلك العارفون من عبادك؛ ذوقا وشهودا. فإن أمرتَ الفعل المأمور به أن يتكوّن في هذا العبد المأمور بالفعل: تكوَّن، فتقول: "هذا عبدٌ طائع امتثلَ أمري" وما بيده من ذلك شيء. فالصمت حكم وقليل فاعله.

فمَن تكلّم بالله كانت الحجّة له؛ فإنّ الحجّة البالغة لله. ومَن تكلّم بنفسه كان محجوجا. كما أنّ الحقّ إذا تكلّم بعبده، كان كلامه بحيث يقتضيه مقام عبده. فإذا ردّ الجواب عليه عَبْدُهُ به لا بنفسه؛ ظهر كلامه على كلام ربّه؛ فنادى الحقّ عليه: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[5] وإن قال الحقَّ. ولكن ما كلُّ حقٍّ يُحمد، ولا كلّ ما ليس بحقّ يُذمّ. فالأدباء يعرفون المواطن التي يُحمد فيها الحقُّ؛ فيأتون به فيها، ويعرفون المواطن التي يُحمد فيها ما ليس بحقّ؛ فيأتون به فيها

١ [الزمر : ١٩]
٢ [التحريم : ٦]
٣ ص ١١٢
٤ [النحل : ٤٠]
٥ [الكهف : ٥٤]

مغالطة؛ جزاء وفاقا إلهيّا. فمن عرف الانقياد الإلهي والكونيّ، كما قرّرناه، كان من العارفين.

ولكن فيه أسرار وآداب ينبغي للإنسان، إذا تكلّم في هذا المقام وأمثاله، أن لا يغفل عن دقائقه؛ فإنّ فيه مكرا خفيّا لا يَشعر به إلّا أهل العناية. ومَن أراد العصمة من[1] ذلك؛ فلينظر إلى ما شرع الله له، وأبانه على ألسنة رسله؛ فيمشي معه حيث مشى، ويقف عنده حيث وقف من غير مزيد. وإن تناقضت الأمور وتصادمت، فذلك له لا لك، وقل: لا أدري. هكذا جاء الأمر من عنده، وارجع إليه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2] فهذا قد أبنّا عن المقام الأوّل.

* * *

وَصْلٌ: (المقام الثاني الذي بيد اسمه "المؤمن")

وأمّا المقام الثاني الذي بيد اسمه "المؤمن" فإنّه نتيجة عن الاسم "المؤمن" الكيانيّ، وهو المظهر له إذا كان بمعنى المصدِّق لا بمعنى معطي الأمان. فإن كان بمعنى معطي الأمان، فالاسم الإلهيّ "المؤمن" متقدّم على "المؤمن" الكياني. فأعطاه الأمان في حال عدمه، أنّه لا يعدمه إذا أوجده، ولا يحول بينه وبين معرفته بوجوده واستناده إليه؛ أعطاه الأمان في ذلك كلّه؛ فمن عرف ذلك لم يَخَفْ وكان من الآمنين.

فَتَصْدِيقُ صِدْقِ الحَقِّ مِنْ صِدْقِ كَوْنِهِ ... ولَوْلاهُ لَمْ يَصْدُقْ وَإِنْ كانَ صادِقا

فَلا تَنْظُرِ الأَشْياءَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ... هُوَ الأَصْلُ فاسْبُرْها فَإِنَّ الحَقائِقا

تُرِيكَ[3] أُمُورًا لَمْ تَكُنْ عَالِمًا بِها ... فَتُبْدِي لَكُمْ فِيها سَنًى وطَرائِقا

فَتُبْصِرُها بِالنُّورِ مِنْ خَلْفِ سِتْرِهِ ... وتَمْشي[4] بِها حَقًّا مُبِينًا وَخالِقا

فَيَدْعُوكَ مَنْ فِي الكَوْنِ فَقْرًا وَحاجَةً ... إذا كُنْتَ بِالرَّحْمَنِ رَبًّا وَرَازِقا

صدّق الممكنُ ربّه فيما أخبره به من إعطاء الأمان من العدم إذا أوجده.

---

١ ص ١١٢ب
٢ [طه : ١١٤]
٣ ص ١١٣
٤ س، ه: ويمشي. وحرف التاء مهمل في ق

فَصَدَّقَهُ اللهُ فِي صِدْقِهِ ... وأَجْرَى لَهُ الصِّدْقَ فِي خَلْقِهِ[1]

فالمصدِّق والصِّدِّيق ما هو الصادق إلّا بنسبتين مختلفتين. فالخبر لا يكون أبدا إلّا من الأوّل، والتصديق لا يكون أبدا إلّا من الآخر، و"الأوّلُ" و"الآخِرُ" اسمان لله. فإذا أقام الله عبده في الأوّليّة أعطاه الإخبار؛ فأخبر، وأقام الله نفسه في الاسم الآخِر؛ فصدّقه فيما أخبر به. وإذا أقام الله نفسه في الاسم "الأوّل" وأخبر، أقام العبدَ في الاسم "الآخِر" فصدّقه في خبره. فالصادق للأوّل أبدا، والصِّدّيق للآخِر أبدا. قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ وهو الأوّل ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ وهو الآخِر ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2] المفلحون[3] الباقون بهذا الحكم.

فَلَوْلا وُجودُ القَوْلِ ما صَدَقَ العَبْدُ ... وَلَوْلا وُجودُ الشَّفْعِ مَا ظَهَرَ الفَرْدُ

فَجِئْ مَعَهُ مِنْ حَيْثُ جاءَ فَإِنَّهُ ... لَهُ الحُكْمُ فِي الأَشْياءِ والذَّمُّ والحَمْدُ

فَإِنْ كانَ عَنْ وِفْقٍ كَمَا قالَ بَعْضُهُمْ ... وإِنْ كانَ عَنْ قَصْدٍ فَقَدْ حَكَمَ القَصْدُ

وَمَا قالَ بِالأَوْفاقِ إِلّا مُخَلِّطٌ ... جَهُولٌ بِنَعْتِ الحَقِّ بِالقَبْلُ والبَعْدُ

فالصدق متعلّقه الخبر، ومحلّه: الصادق، وليس بصفة لأصحاب الأدلّة، ولا للعلماء الذين آمنوا بما أعطتهم الآيات والمعجزات من الدلالة على صدق دعواه؛ فذلك عِلم. والصدق نور يظهر على قلب العبد، يصدّق به هذا الخبر، ويكشف بذلك النور أنّه صدق، ويرجع عنه برجوع المخبر؛ لأنّ النور يتبع المخبر حيث مشى. والصدق بالدليل ليس هذا حكمه، إن رجع المخبر لم يرجع لرجوعه. فهذا هو الفارق بين الرجلين.

وهذه المسألة من أشكل المسائل في الوجود؛ فإنّ الأحكام المشروعة أخبار إلهيّة[4] يدخلها النسخ، والصِّدّيق يتبع الحكم؛ فيثبته ما دام المخبِر يثبته، ويرفعه ما دام المخبِر يرفعه، ولا يتّصف الحقّ بالبدا في ذلك، وهو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون نسخ الأحكام. وأمّا الصادق فما أكذب نفسَه في الخبر الأوّل، وإنما أخبر بثبوته، وأخبر برفعه؛ وهو صادق في الحالين، ولا

---

١ كتب في الهامش: "بيت غير مقصود"
٢ [الزمر : ٣٣]
٣ ص ١١٣ب
٤ ص ١١٤

تناقُض.

ولمّا كان من حقيقة الخبر الإمكانُ لحكم الصفتين: الصدق والكذب، من حيث ما هو خبر، لا من حيث النظر إلى مَن أخبر به؛ لذلك ميّزنا بين القائل بصدق المخبِر: للدليل، والقائل بصدقه: للإيمان. فإنّ الإيمان كشفٌ نوريّ لا يقبل الشُّبه، وصاحب الدليل لا يقدر على عصمة نفسه من الدَّخَل عليه في دليله القادح؛ فيردّه هذا الدَّخَل إلى محلِّ النظر؛ فلذلك عرّيناه عن الإيمان. فإنّ الإيمان لا يقبل الزوال؛ فإنّه نور إلهيّ، رقيب، قائم على كلّ نفس بما كسبت. ما هو نور شمسيّ، كوكبي، يطلع ويغرب فيعقبه ظلامُ شكٍّ أو غيره.

فمن عرف ما قلناه؛ عرف مرتبة العلم من جهة الإيمان، ومرتبة العلم الحاصل عن الدليل؛ فإنّ الأصل الذي هو الحقّ ما علم الأشياء بالدليل، وإنما علمها بنفسه. والإنسان الكامل مخلوق على صورته. فعِلْمُه[1] بالله إيمانُ نورِ كشفٍ؛ ولذلك يصفه بما لا تقبله الأدلّة. ويتأوّله المؤمن به من حيث الدليل؛ فينقصه من الإيمان بقدر ما نفاه عنه دليله.

وَصْلٌ: (صَمت العبد إذا كلّمه الحقّ)

وفي هذا المنزل صَمت العبد إذا كلّمه الحقّ، والحقّ يكلّمه على الدوام؛ فالعبد صامتٌ مُصْغٍ على الدوام، على جملة أحواله: من حركة وسكون، وقيام وقعود. فإنّ العبد المفتوح السمع لكلام الحقّ، لا يزال يَسْمَعُ أمرَ الحقِّ بالتكوين فيما يتكوّن فيه من الحالات والهيئات. ولا يخلو هذا العبد ولا العالَم نَفَسا واحدا من وجود التكوين فيه.

فَلا يَزَالُ سامِعًا　　　فَـلا يَـزَالُ صامِتًا[2]

ولا يمكن أن يدخل معه في كلامه. فإذا سمعتم العبدَ يتكلّمُ؛ فذلك تكوينُ الحقِّ فيه، والعبد على أصله صامتٌ واقف بين يديه -تعالى-. فما تقع الأسماع إلّا على تكوينات الحقّ، فافهم؛ فإنّ هذا من لُباب المعرفة التي لا تحصل إلّا لأهل الشهود.

---

[1] ص ١١٤ب
[2] كتب في الهامش: "بيت غير مقصود"

فَمَـا ثَمَّ إلّا الصَّـمْتُ والحَـقُّ ناطِـقُ　　　وَمـا ثَمَّ إلّا اللهُ لا غَـيْرَ خـالِقُ
فَيُشْـــهِدُنا تَكْوِيْنَـــهُ فِي شُـــهُودِنا　　　تَـدُلُّ عَلَيْـهِ فِي الوُجُـودِ الحَقـائِقُ
فَمَنْ[1] شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَقُلْ　　　خِلافَ الذِي قُلْنَاهُ واللهُ صادِقُ

* * *

وَصْلٌ: (التقييد والإطلاق)

التقييد صفةٌ تضيفها العقولُ والكشفُ إلى الممكِنات، وتقصرها العقول عليها، وتضيف الإطلاق إلى الحقّ. وما علمتْ أنّ الإطلاق تقييد؛ فإنّ التقييد إنما أصله وسببه: التمييز؛ حتى لا تختلط الحقائق. فالإطلاق تقييدٌ؛ فإنّه قد تميّز عن المقيّد، وتقيّد بالإطلاق؛ ولا سيما وقد سمّى نفسه حليما لا يعجل. فإمهالُه العبدَ المستحقَّ الأخذَ، إلى زمانِ الأخذِ حبسٌ عن إرسال الأخذِ في زمان الاستحقاق؛ وكذلك سمّى نفسه بالصبور. فما ثَمّ إطلاق لا يكون فيه تقييد؛ لأنّ المقيّد، الذي هو الكون، تميَّز إطلاقُه بتقييده. فقد قيّده بالإطلاق، وهو تجلّيه في كلِّ صورة، وقبوله كلَّ حكم ممكن، من حيث أنّه عين الوجود؛ فقد قيّدَتْهُ أحكامُ الممكنات.

فَتَقْيِيْـدُهُ إطْلاقُـهُ مِـنْ وِثَاقِنـا　　　فَمـا ثَمَّ إطْـلاقٌ يَكُـونُ بِـلا قَيْـدِ
فَمَنْ[2] عَرَفَ الأَشْيَاءَ قالَ بِقَوْلِنا　　　فَعَـوْدٌ عَـلَى بِـدْءٍ، وَبِـدْءٌ عَـلَى عَـوْدِ
فَحَاذِرْ وُجُودَ المَكْرِ إنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا　　　فَمِنْ مَكْرِهِ مَكْرِي، وَمِنْ كَيْدِهِ كَيْدِي
لَهُ قُـوَّةُ المَكْـرِ الـتِي لا تَرُدُّهـا　　　قُوَى عَبْدِهِ المَوْصُوفِ بِالعِلْمِ والأَيْدِ

---

[1] ص ١١٥
[2] ص ١١٥ب

وَصْلٌ: (الشِّدَّة)

الشدّة نعتٌ إلهيٌّ وكيانيّ. قال موسى: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[1]. وتُلِي بحضور أبي يزيد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[2] فقال: "بطشي أشدّ"[3] (وذلك)[4] لخلوّ بطش العبد من الرحمة الكونيّة. وبطش الله ليس كذلك؛ فإنّ الرحمة الإلهيّة تصحبه، وهو يعلمها. وكذا هي في بطش العبد، إلّا أنّ العبد لا يشهدها، ولا يجد لها أثرا في نفسه، وإن كان يرحم نفسه بذلك البطش، ولكن لا يَعلم. والله عليم بكلّ شيء، فهو عليم بأنّ رحمته وسعت كلّ شيء؛ فوَسِعَتْ بطشه وبطش الكون. ولكن ما كلّ باطش يعلم ذلك.

ولمّا كان للعبد بطش من حيث عينه، وله بطش بربّه، وليس للربّ، في الحقيقة، بطشٌ بعبده؛ فأضاف أبو يزيد بطش ربّه إلى بطشه، فقال: بطشي أشدّ[5]؛ لأنّ فيه بطش ربّي، وما في بطش ربّي بعباده؛ بطشي. فإذا وصف الحقّ نفسه بالشديد، فهو ما يوجده من الأشياء بالأسباب الموضوعة في العالم. فيعذّب عبادَه بالنار؛ فللنار حكمٌ في العذاب، مضاف إلى ما يوجده الله من الألم القائم بالمعذَّب وهو في الحجاب عن الله، وليس للمعذَّب شهودٌ إلّا الأسباب. فبطشه بالعبد، بمشاهدة الأسباب، من كونه شديدا، لا من كونه معذّبا؛ فالشدّة تطلب الغير، ولا بدّ. وهذا لا يقدر أحدٌ على إنكاره، فإنّ المشاهِد أسبابَ الآلام، أعظمُ في العذاب ممن يجد الألم، ولا يشهد سببَه؛ ولا سيما إن كان يعلم أنّه قادر على إزالة السبب.

لَيْسَ لِلشِّدَّةِ حُكْمٌ مُسْتَقِلّْ ... دُونَ أَنْ يَبْدُو لِعَيْنِ الشَّخْصِ ظِلّْ
فَـــإِذا أَبْصَـــرَهُ يُبْهِـــرُهُ ... ذَلِكَ الظِّـــلُّ الَّذِي عَنْـــهُ انْفَعَـــلْ
فَهْوَ لا يَبْرَحُ مِنْ شِدَّتِهِ ... فَـــإِذا غَيَّبَـــهُ عَنْـــهُ انْتَقَـــلْ

1 [طه : ٣١]
2 [البروج : ١٢]
3 "وتلي.. أشد" ثابتة في الهامش
4 لم ترد في ق، ووردت في ه، س
5 ص ١١٦

وَصْلٌ: (الخضوع عند تجلّي الحقّ ومناجاته)

الخضوع[1] عند تجلّي الحقّ ومناجاته هو المحمود، وما سِوَى هذا فهو مذموم، ويلحق الذمّ بمن ظهر عليه، إلّا مَن يرى الحقّ في الأشياء كلّها، من الوجه الإلهيّ الذي لها، ولكن على ميزان محقَّق لا يتعدّاه؛ فإنّ الله قد وضع له ميزانا عندنا في الأرض. قال -تعالى-: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[2] فليصرّفه بحسب وضع الحقّ. فهو وإن شهده في كلّ شيء، فما يريد -تعالى- أن يعامله بمعاملة واحدة في كلّ شيء؛ بل يحمده في المواضع التي تطلبه منه المحامد ويقبل عليه، ويعرض عنه في المواضع التي[3] يطلب منه الإعراض عنه فيها؛ فلا يتعدّى الميزان.

وهذا المشهدُ المكرُ فيه خفيٌّ، ولا مزيل له إلّا العلم بالميزان الإلهيّ المشروع. فمَن عرفه، ووقف عنده، وتأدّب بآداب الله التي أدّب بها رُسُلَه؛ فقد فاز، وحاز درجة العلم بالله. قال -تعالى- معلّما ومؤدّبا لمن عظّم صفة الله على غير ميزان: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[4] يعني ذلك الجبّار، و«إنّ الله عند المنكسرة قلوبهم» أصحاب العاهات غيبا، وهو في الجبابرة المتكبّرين ظاهر[5] عينا وللظهور حكم أقوى.

وكان ﷺ حريصا على الناس أن يؤمنوا بوحدانيّة الله، وإزالة العمى الذي كانوا عليه. فلمّا جاء الأعمى في الظاهر، البصير بالباطن[6]؛ فكان باطنُ الجبابرة ظاهرَ هذا الأعمى؛ لحصل في النفس البشريّة ما حصل، والنبيّ ﷺ ليس له مشهود إلّا صفة الحقّ، حيث ظهرتْ من الأكوان. فإذا رآها؛ أعملَ الحيلةَ في سَلْبِها عن الكون الذي أخذها على غير ميزانها وظهر بها في غير موطنها، وهو ﷺ غيور، فقيل له: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾[7] يقول: إنّه لمّا شاهد صفة الحق، وهي غناه عن العالم، تصدّى لها؛ حِرصا منه أن يزكّي مَن ظهر بها عنده. فقيل له:

1 ص ١١٦ب
2 [الرحمن : ٧]
3 "تطلبه منه.. التي" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
4 [عبس : ١ - ٣]
5 ق: ظاهرا
6 ص ١١٧
7 [عبس : ٥ ، ٦]

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾[1] ولك ما نويت. وحكمه: لو تزكّى فما فاتك شيء، سواء تزكّى أو لم يتزكّ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[2] لكونه أعمى. أي لا تتطيّر، فنهاه عن الطيرة. فمن هنا كان يحبّ الفأل الحسن، ويكره الطيرة؛ وهو الحظّ من المكروه، والفألُ الحسنُ الحظُّ والنصيبُ من الخير.

وقيل له أيضا: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وانظر فيهم صفة الحقّ، فإنّها مطلوبك في الكون؛ فإنّي أدعو عبادي بالغداة والعشيّ- وفي كلّ وقت؛ أريد وجههم، أي ذاتهم، أن يسمعوا دعائي فيرجعوا إليّ ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ فإنّهم ظاهرون[3] بصفتي كما عرّفتك، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهذه الزينة أيضا في هؤلاء، وهي في الحياة الدنيا؛ فهنا أيضا مطلوبك ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ فإنّهم طلبوا منه ﷺ أن يجعل لهم مجلسا ينفردون به معه لا يحضره هؤلاء الأعْبُد. ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي جعلنا قلبه في غلاف، فحجبناه عن ذِكْرِنا. فإنّه إن ذَكَرَنا علِم أنّ السيادة لنا وأنّه عبد؛ فيزول عنه هذا الكبرياء الذي ظهر به، الذي عظّمته أنت لكونه صفتي، وطمعتَ في إزالته عن ظاهرهم؛ فإنّي أعلمتك أنّي قد طبعتُ على كلّ قلب متكبّر جبّار؛ فلا يدخله كبر وإن ظهر به. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي غرضه الذي ظهر به. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[4] أي قُدُمًا نصب عينيه؛ فهو مشهود له، لا يصرف نظره عنه إلى ما يقول له الحقّ على لسان رسوله وما يريده منه ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ﴾ الله أن يؤمن ﴿فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ﴾ الله أن يكفر ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾[5] فإنّهم ما يشاءون ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[6].

فكان رسول الله ﷺ إذا أقبل عليه هؤلاء، قال ﷺ: «مرحبا بمن عتبني فيهم ربّي» ويمسك

١ [عبس : ٧]
٢ [عبس : ٨ - ١٠]
٣ ص ١١٧ب
٤ [الكهف : ٢٨]
٥ [الكهف : ٢٩]
٦ [التكوير : ٢٩]

نفسه معهم في المجلس، حتى يكونوا هم الذين ينصرفون. ولم تزل هذه أخلاقه ﷺ[1] بعد ذلك، إلى أن مات. فما لقيه أحد بعد ذلك، فحدّثه، إلّا قام معه حتى يكون هو الذي ينصرف. وكذلك إذا صافحه شخص؛ لم يزِلْ يده من يده، حتى يكون الشخص هو الذي يزيلها. هذا رويناه من أخلاقه ﷺ.

لِرُؤْيَتِنَا النَّعْتَ الإِلَهِيَّ مِيزَانُ   إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ لِذِي العَيْنِ أَكْوَانُ
يُعَامِلُهُ الحَبْرُ اللَّبِيبُ بِمَا أَتَى   بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ شَرْعٌ وقُرْآنُ
فَذَاكَ هُوَ الإِسْلَامُ فاعْمَلْ بِحُكْمِهِ   كَمَا هُوَ إِيمَانٌ كَمَا هُوَ إِحْسَانُ

* * *

وَصْلٌ: (أداءُ الحقوق نعتٌ إلهيّ طولب به الكون)

أداءُ الحقوق نعتٌ إلهيّ طولب به الكون. قال تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[2] فذلك حقُّ ذلك الشيء الذي له عند الله، من حيث ذاته؛ فهو حقٌّ ذاتيٌّ. والحقُّ العرَضيُّ الذي له عند الله هو قوله: ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[3] فهذا حقٌّ على الله أوجبه على نفسه لمن وفّى بعهده، ومَن لم يَفِ فليس له عند الله عهد: إن[4] شاء عذّبه، وإن شاء أدخله الجنّة.

فمن عباد الله من يدخل الجنّة بالاستحقاق، ومنهم من يدخلها بالمشيئة لا باستحقاق. كما أنّه ثَمّ مَن يدخل النار بالاستحقاق، وهم المجرمون خاصّة. وهم أهلها؛ فلا يخرجون منها أبدا. ولهذا يقال لهم يوم القيامة: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[5] أي أهل الاستحقاق الذين يستحقّون سكنى هذه الدار. وما عدا المجرمين؛ فإنّهم، وإن دخلوا النار، فلا بدّ أن يخرجوا منها بشفاعة الشافعين، أو بمِنّة الله عليهم؛ وهم الذين ما عملوا خيرا قطّ. وإن كان المجرمون قد عملوا خيرا، ولكنّ الاستحقاق يطلبهم بالإقامة كأولاد أُمّ عيسى-[6]؛ فصورتهم صورة من يفعل ذلك

١ ص ١١٨
٢ [طه : ٥٠]
٣ [البقرة : ٤٠]
٤ ص ١١٨ب
٥ [يس : ٥٩]
٦ أم عيسى: الزرافة

بالخاصّية. فمن أعطى الحقّ من نفسه فما ترك عليه حجّة لأحد، ومن زاد على الحقّ؛ فذلك امتنان له، بما مَنَّ الله، خاصٌّ. وهذا نعتٌ فيه بين أهلِ الله كلام.

فإنّه في إعطاء الواجب عبدُ اضطرار، وفي الامتنان عبدُ اختيار. فمن الناس مَن رجّح مقام عبوديّة الاختيار على عبوديّة الاضطرار؛ فإنّ الاضطرار جبر؛ فحكمه غير حكم المختار. قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[1] وغير[2] المكرَه إذا كفَرَ أُخِذَ بكفره، وأيّ شيء فعل جوزي بفعله، بخلاف المجبور.

وما بقي النظر إلّا في معرفة: مَن هو المجبور المكرَه؟ وما صفته؟ فإنّ بعض العلماء لم يصحّ عنده الجبر والإكراه على الزنا فأخذ به؛ فإنّ الآلة لا تقوم له إلّا بسريان الشهوة؛ وحكمها فيه. وعندنا: إنّه مجبور في مثل هذا، مُكرَه على أن يريد الوقاع، ولا يظهر حكم إرادته إلّا بالوقوع. ولا يكون الوقاع إلّا بعد الانتشار ووجود الشهوة، وحينئذ يعصم نفسه من المكرِه له على ذلك، المتوعِّد له بالقتل إن لم يفعل؛ فصحّ الإكراه في مثل هذا بالباطن. بخلاف الكفر فإنّه يمتنع فيه بالظاهر، وإن خالفه الباطن. فالزاني يشتهي ويكره تلك الشهوة؛ فإنّه مؤمن. ولولا أنّ الشهوة إرادة بالتذاذ، لقلنا أنّه غير مريد لما اشتهاه.

مَنْ يَشْتَهِي الأَمْرَ قَدْ تَراهُ … غَيْرَ مُرِيْدٍ لِما اشْتَهاهُ
لَكِنَّهُ اضْطُرَّ فاشْتَهاهُ … فِي ظاهِرِ الأَمْرِ إِذْ رَآهُ
فَقُلْ لَهُ يَحْتَمِي عَساهُ … يَنْفَعُهُ اللهُ إِنْ حَماهُ
قَدْ[3] قُلْتُ قَوْلًا إِنْ كانَ حَقًّا … عَساهُ يَجْرِي إِلَى مَداهُ

ومن ذلك:

أداءُ الحُقُوقِ مِنَ الواجِبِ … عَلَى شاهِدٍ أَوْ عَلَى غائِبِ
وَما ثَمَّ إِلّا حُقُوقٌ فَمَنْ … يَقُومُ بِها قامَ بِالْوَاجِبِ

١ [النحل: ١٠٦]
٢ ص ١١٩
٣ ص ١١٩ب

وَمَنْ لَمْ يَقُمْ بِأَداءِ الحُقُوقِ … دَعَتْهُ الشرِيْعَةُ بِالغاصِبِ

* * *

وَصْلٌ: (الممكن إذا وُجِدَ لا بدّ مِن حافظ يحفظ عليه وجودَه)

الممكن إذا وُجِدَ لا بدّ مِن حافظ يحفظ عليه وجودَه، وبذلك الحافظ (يتحقّق) بقاؤه في الوجود، كان ذلك الحافظ ما كان من الأكوان؛ فالحافظ خلْق لله. فلذلك نُسِب الحفظ إليه، لأنّ الأعيان القائمة بأنفسها قابلة للحفظ. بخلاف ما لا يقوم بنفسه من الممكنات فإنّه لا يقبل الحفظ، ويقبل الوجود ولا يقبل البقاء. فليس له من الوجود غير زمان وجوده ثمّ ينعدم، ومتعلّق الحفظ إنما هو الزمان الثاني الذي يلي زمان وجوده فما[1] زاد. فالله حفيظ رقيب، والعين القائمة بنفسها محفوظة مراقَبةٌ، وحافظ الكون حفيظ زمان وجوده. والحقّ مراقَب -بفتح القاف- للعبد، غير محفوظ له؛ فإنّه لا يقبل أن يكون محفوظا؛ فإنّه الصمد الذي لا مِثل له.

ألا تراه قد قال لنبيّه ﷺ ما يقول لمن عَبَدَ غير[2] الله؛ ينبّههم أنّ كلّ ما سِوَى الله من معبود، يطلب بذاته، من يحفظ عليه بقاء وجوده فقال له: يا محمد ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[3] وقد قُرِئَ الثاني (ولا يَطْعَمُ) في الشاذّ -بفتح الياء-. فكلّ موجود له بقاء في وجوده، فلا بدّ من حافظ كيانيّ يحفظ عليه وجوده، وذلك الحافظ خَلْقٌ لله، وهو غذاء هذا المحفوظ عليه الوجود.

فلا تزال عينه وإن تغيّرت صورته، ما دام الله يغذّيه بما به بقاؤه: من لطيف وكثيف، ومما يُدرِك ومما لا يُدرِك. فالسعيد، مِن الحافظين، هو من يرى أنّه مجعول للحفظ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[4] وليس هؤلاء من حفظةِ الوجود، وإنما هؤلاء هم المراقِبون أفعالَ العِباد. وإنما الحفظة العامّة قوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[5] فنكّر، فدخل تحت هذا اللفظ: حفظةُ الوجود،

١ ص ١٢٠
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ [الأنعام: ١٤]
٤ [الإنفطار: ١٠]
٥ [الأنعام: ٦١]

وحفظةُ الأفعال.

إذا[1] قُلت: إنّ الله يَحْفَظُ خَلْقَهُ ... فَمَا هُوَ إلّا خلقه ما بِهِ الحِفْظُ
فَهَذَا هُوَ المَعْنَى الَّذِي قَدْ قَصَدْتُهُ ... ودَلَّ عَلَيهِ مِنْ عِبارَتِنا اللَّفْظُ
فَلا تَلْفَظَنْ ما قُلْتُ فِيهِ فإنّهُ ... سَيُرْدِيكَ إنْ حَقَّقْتَهُ ذَلِكَ اللَّفْظُ

* * *

وَصْلٌ: (القلمُ واللوحُ أوّلُ عالم التدوين والتسطير)

القلمُ واللوحُ أوّلُ عالم التدوين والتسطير، وحقيقتهما ساريتان في جميع الموجودات: علوًا وسفلا، ومعنى وحسّا، وبهما حفظ الله العلم على العالَم. ولهذا ورد في الخبر عنه ﷺ: «قيّدوا العلم بالكتابة[2]» ومن هنا كتب اللهُ التوراةَ بيده.

ومِن هذه الحضرةِ اتّخذ رسول الله ﷺ وجميع الرسل -عليهم السلام- كُتّابَ الوحي. وقال (تعالى): ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3] وقال في كتاب: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[4] وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[5] وقال: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[6] وقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾[7] وقال: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ[8]﴾[9] والكَتْبة: الضمُّ، ومنه سمّيت الكتيبة: كتيبة، لانضمام الأجناد بعضهم إلى بعض. وبانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني والأجسام، فظهرت النتائج في الأعيان. فمن حفظ عليها هذا الضمّ الخاصّ أفادته علوما لم تكن عنده، ومن لم يحفظ هذا الضمّ الخاصّ المفيد العلمَ؛ لم يحصل على طائل، وكان كلاما غير مفيد.

---

١ ص ١٢٠ب
٢ ق، س: بالكتاب
٣ [الإنفطار : ١١ ، ١٢]
٤ [الكهف : ٤٩]
٥ [يس : ١٢]
٦ [الواقعة : ٧٨]
٧ [عبس : ١٣ - ١٥]
٨ ص ١٢١
٩ [يس : ١٢]

إذا كانَ إنْتـاجٌ فَـلا بُـدَّ مِـنْ ضَمّ ... وما كُلُّ مَوْجُودٍ يَكُونُ عَنِ الضَّمّ
فَمَـنْ كَانَ دُونَ اللَّـوْحِ والقَـلَمِ الّذِي ... لَهُ الحُـكْمُ فِيـهِ بِالتَّعـانُقِ والـلَّـثْمِ
فَـلا بُـدَّ مِـنْ كَـوْنٍ يَكُـونُ بِضَـمّهِ ... إلَى لَوْحِـهِ فَـالكَوْنُ فِي رُتْبَـةِ الـكَمّ
وفِي الكَيْفِ فانْظُرْ فِي الّذِي قَدْ نَظَمْتُهُ ... وكُنْ مِنْهُ فِي هَذَا الوُجُودِ عَلَى عِلْمِ

* * *

وَصْلٌ: (مجالس الله مع عباده)

اعلم أنّ لله مجالسَ مع عباده، وعددها على عدد ما فرض عليهم[1] -سبحانه- مما كلّفهم به ابتداء؛ فلمّا سَوّاها دعاهم إليها ليجالسوه فيها؛ فمن تخلّف عن مجالسته فيها فقد عصى دعوتَه.

ولله مجالسُ تسمّى مجالس الايمان، خيّرهم في مجالسته فيها على وجهٍ خاصّ؛ فيجالسهم فيها إذا دخلوها من حيث دعاهم إليها؛ فيجدون خيرا كثيرا. فإن دخلوها لا من حيث ما دعاهم إليها؛ لم يجالسوه فيها، ولا وجدوا فيها خيرا ولا شرّا. وعدد هذه المجالس؛ بعدد ما أباح لهم في الشرع أن يتصرّفوا فيه مما لا أجر فيه ولا وِزر. فإذا فعلوا المباح من حيث أنّ الله -تعالى- أباحه لهم، (وهم) مؤمنون بذلك، حضر معهم بالإيمان. فهذا معنى قولي: من حيث ما دعاهم إليها.

ولله مجالس، في هذه المجالس التي أباح لهم الدخول فيها ليجالسوه إذا جاءوا إليها من حيث ما دعاهم إلى الدخول فيها، فإذا لم يأتوا إلى هذه المجالس التي في مجالس الإباحة المعيّنة منها، ولا جالسوا الحقّ فيها؛ فقد عصوا، وكان حكمهم في ترك مجالسته فيها حكم مجالس الفرائض. وأعني بالفرائض وكلّ ما أذكره، مِن فعل وترك، حتى يشمل الحظر والكراهة التي في مقابلة الندب. وعدد هذه المجالس بعدد ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر[2]؛ فأوجبه الله عليهم، وبعدد ما أمرهم به أولو الأمر منهم؛ فأوجبَ الله عليهم طاعتهم في ذلك؛ فإن لم يدخلوا هذه المجالس فقد عصوا.

وإنما جعلنا هذه المجالس معيّنة في مجالس الإباحة، لأنّ النذر لا يكون إلّا فيما أبيح له فعله، وخيَّره الحقّ فيه بين الفعل والترك. وكذلك ما أمرهم به أولو الأمر منهم، ما لهم أمر فيهم إلّا ما

---

١ ص ١٢١ب
٢ ص ١٢٢

أبيح لهم فِعله؛ فيجالسهم الحقّ في هذه المجالس المعيّنة مجالسته لهم في مجالس الفرائض.

ولله مجالسُ أعدّها -سبحانه- لعباده تسمّى مجالس نوافل الخيرات، بينها وبين مجالس الإباحة الترجيحُ؛ فإنّ الإباحة ليس فيها ترجيح، وكما قلنا في كلّ ذلك: "مِن فعل وترك". وقرن -تعالى- محبّته العالية السَّنا لأهل مجالس الفرائض. وقرن محبّة أخرى دون هذه المحبّة لأهل مجالس نوافل الخيرات. وعدد هذه المجالس بعدد النوافل، ولا تكون نافلة إلّا لما كان له مِثْلٌ في الفرائض؛ كصدقة التطوّع نافلة لأنّ لها أصلا في الفرائض؛ وهو الزكاة. وكذلك الحجّ والصيام والصلاة وكلّ فرض.

ولله مجالس يجالس الحقُّ فيها عباده تسمّى مجالس السنن الكيانيّة، وهو قوله ﷺ: «مَن[1] سنّ سنّة حسنة» وتُسمّى في العامّة: بدعة حسنة؛ لأنّها مبتدَعة لمن سَنّها؛ ما كتبها الله علينا ولا أوجبها. وعَدَدُها على عدد ما سَنّ من ذلك، وعدد من عمل بها. كلّ ذلك يكون مجالسةُ الحقّ فيها مع مَن سَنّها من حيث لا يشعر، إلّا أن يكشف الله له في هذه بمجالسته إيّاه بعدد كلّ عامل بها؛ فيرى مجالسة غريبة وهو غير عامل لها في الوقت، فيقال له: إنّ فلانا وفلانا عملا بالخير الذي سننتَه؛ فجالسناه فيه؛ فجالسناك؛ فاحمد فِعْلَك؛ فيشكر الله على ذلك.

ولكلّ مجلسٍ باب عليه يكون الدخول إلى هذه المجالس، وعلى كلّ باب بوّاب وهو الإيمان. ومن المجالس ما يكون عليها بوّابان: الإيمان والنيّة، والأبواب ما هي عين الشروع في ذلك العمل الذي هو بمنزلة الدخول. فالحال الذي يكون عليه في أوّل الشروع، الذي هو الدخول، ذلك هو الباب. قال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[2] والمصلّي يناجي ربّه، والمناجاةُ ذِكر، وهو جليس مَن ذَكَره -سبحانه-. والدوام على مناجاته: أن يكون العبد في جميع أحواله وتصرّفاته مع الله، كما هو في صلاته يناجيه[3] في كلّ عين. وسبب ذلك (هو) كونه لا بدّ أن يكون على حال من الأحوال، ولا بدّ أن يكون للشارع، وهو الله، في ذلك الحال حُكْمٌ، أيّ حكم كان،

١ ص ١٢٢ب
٢ [المعارج : ٢٣]
٣ ص ١٢٣

وهو -سبحانه- حاضر مع أحكامه حيث كانت. فالمراقِبُ يناجيه في كلّ حال: في محظور وغير محظور.

لأنّ الأفعال والتروك، وهي أحوال العبد، التي تعلّقتْ بها أحكامُ الحقّ، مقدّرة؛ فلا بدّ من وقوعها، وهو -سبحانه- خالقها؛ فلا بدّ من حضوره فيها؛ فيناجيه هذا العبد الذي قد عرف بحضور الحقّ معه في حاله؛ فهذا هو الدوام على الصلاة. وقالت عائشة تخبر عن حال رسول الله ﷺ إنّه «كان يذكر الله على كلّ أحيانه» تشير إلى ما قلناه؛ فإنّه قد كان يأتي البُراز، وهو ممنوع أن يَذْكر بلسانه ربّه في تلك الحال، وقد كان من أحيانه يمازح العجوز والصغير، ويكلّم الأعراب، ويكون في هذه الأحيان كلّها ذاكرًا؛ وهذا هو الذي يقال فيه: ذِكْر القلبِ الخارج عن ذِكْر اللفظ وذِكْر الخيال.

فمن ذكر الله بهذا الذِّكْر فهو جليسه دائمًا، وهو الذي أثنى عليه ربّه، وألحقه بـ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾. ولمّا فسّر الله الصلاة، ما فسّرها إلّا بالذِّكْر؛ وهو[1] التلاوة فقال (ص): «يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] يقول الله: حمدني عبدي» فقسم المناجاة بينه وبين عبده. فالمناجاة هي عين الصلاة، والمناجاة فِعل فاعِلَيْن؛ فيقول ويقول. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[3].

إذا تلَوْتَ الكتابَ الذِّكْرَ كُنتَ بِهِ ... مِمَّنْ يُجالِسُهُ وَمَنْ يُناجِيهِ
فَمَا الصلاةُ سِوَى الذِّكْرِ الحَكِيمِ فَمَنْ ... تلاهُ صَلَّى وفِيْهِ بَعْضُ ما فِيْهِ
مِنْ أَجْلِ فاتِحَةِ القُرآنِ قُلْتُ لَكُمْ ... بِأنّ فِيْهِ وذِكْرِي لَيْسَ يَحْوِيْهِ
فالحَمْدُ فَرْضُ المُصَلِّي في قِراءَتِهِ ... وَلَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ مِنْهُ يَدْرِيْهِ

١ ص ١٢٣ب
٢ [الفاتحة : ٢]
٣ [البقرة : ١٥٢]

وَصلٌ: (الرجوعُ الاختياريّ إلى الله يُشكر عليه العبد)

الرجوعُ الاختياريّ إلى الله يُشكر عليه العبد. قال ﷻ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[1] فإذا علمتَ هذا؛ فارجع إليه مختارا ولا ترجع إليه مضطرّا؛ فإنّه لا بدّ من رجوعك إليه، ولا بدّ أن تلقاه: كارها كنتَ أو محبّا، فإنّه يلقاك بصفتك لا يزيد عليها[2]. فانظر لنفسك يا وليّ. قال ﷺ: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

وأخبرنا، في الكشف، بالإخبار الإلهيّ المنفوث في الرّوع من الوجه الخاصّ، فقيل لنا: من استحى من لقاء الله، آنسه الله وأزال خجله. وذلك أنّ العبد ما يجعله يستحي إلّا ما ظهر به من المخالفة، أو التقصير عن حقّ الاستطاعة، وما ثَمّ غير هذين. فأُنس الحقّ في ذلك أن يقول له: "يا عبدي؛ إنما كان ذلك بقضائي وقدري، فأنت موضع جريان حكمي"؛ فيأنس العبد بهذا القول.

فلو قال هذا القولَ العبدُ لله لأساء الأدب مع الله، ولم يسمع منه. وبهذا، بعينه، يؤنسه الحقّ. فهو من جانب الحقّ في غاية الحسن، ومن جانب الخلق في غاية القبح. قال ﷺ: «الحياء خير كلّه»، «والحياء لا يأتي إلّا بخير» وأيّ خير أعظم من هذا الخير أن يقيم الحقُّ حجّةَ العبد أُنسًا له، ومباسطة، وإزالةَ خجل، ورفعَ وَجَل. فسبحان اللطيف الخبير المنعِم المفضِل.

ولمّا ورد عليّ هذا التعريف الإلهيّ لم يسعني وجود، بل ضاق عنّي الوجود؛ مما امتلأتُ من هذا الخطاب والتعريف الإلهيّ؛ حيث جعلني محلّا لخطابه، وأهّلني لما أهّل له أهلَ خصوصه[3]. وقد علمنا أنّ لقاء الله لا يكون إلّا بالموت؛ وعلِمنا معنى الموت؛ فاستعجلناه في الحياة الدنيا؛ فمتنا في عين حياتنا عن جميع تصرّفاتنا وحركاتنا وإراداتنا. فلمّا ظهر الموتُ علينا، في حياتنا التي لا زوال لها عنّا حيث كنّا؛ التي بها تسبّح[4] ذواتُنا وجوارحُنا وجميعُ أجزائنا؛ لقينا الله فلقينا؛ فكان لنا حكم مَن يلقاه محبّا للقائه. فإذا جاء الموتُ المعلوم في العامّة، وانكشف عنّا غطاء هذا

---

١ [هود : ١٢٣]
٢ ص ١٢٤
٣ ص ١٢٤ب
٤ ق: "تشح" وفي الهامش "تسبح" مع إشارة التصويب

الجسم؛ لم يتغيّر علينا حالٌ، ولا زدنا يقينا على ما كنّا عليه. فما ذُقنا إلّا الموتةَ الأُولى، وهي التي متناها في حياتنا الدنيا؛ فوقانا ربُّنا عذابَ الجحيم ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1] قال عليّ ﷺ: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا".

فمن رجع إلى الله هذا الرجوع سَعِد، وما أحسّ بالرجوع المحتوم الاضطراريّ؛ فإنّه ما جاءه، إلّا وهو هناك عند الله. فغاية ما يكون الموت المعلوم في حقّه؛ أنّ نفسه، التي هي عند الله، يُحال بينها وبين تدبير هذا الجسم الذي كانت تدبّره؛ فتبقى مع الحقّ على حالها، وينقلب هذا الجسد إلى أصله؛ وهو التراب الذي منه نشأتْ ذاتُه. فكان دارا رحل عنها ساكنها؛ فأنزله المليك في مقعد صدق عنده إلى يوم يبعثون. ويكون حاله، في[2] بعثه، كذلك، لا يتغيّر عليه حال من كونه مع الحقّ، لا من حيث ما يعطيه الحقّ مع الأنفاس. وهكذا في الحشر العام، وفي الجنان التي هي مقرّه ومسكنه، في النشأة التي ينزل فيها.

فيرى نشأةً مخلوقةً على غير مِثال، تعطيه هذه النشأةُ في ظهورها ما تعطيه نشأةُ الدنيا في باطنها وخيالها. فعلى ذلك الحكم يكون تصرّف ظاهر النشأة الآخرة؛ فينعم بجميع ملكه في النفس الواحد، ولا يفقده شيء من ملكه: من أزواج وغيرهنّ دائما، ولا يفقدهم. فهو فيهم بحيث يشتهي، وهم فيه بحيث يشتهون؛ فإنّها دار انفعال سريع، لا بُطء فيه، كباطن هذه النشأة الدنياويّة في الخواطر التي لها، سَواء. فالإنسان في الآخرة مقلوب النشأة؛ فباطنه ثابتٌ على صورة واحدة كظاهره هنا، وظاهره سريع التحوّل في الصور كباطنه هنا. قال تعالى: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[3] ولمّا انقلبنا قُلِبْنا، فما زاد علينا شيء مما كنّا عليه، فافهم.

وهذا الرجوع المذكور في هذا الوصل، ما هو رجوع التوبة، فإنّه لذلك الرجوع المسمّى: توبة، حدٌّ خاصّ عند علماء الرسوم وعندنا. وهذا رجوع عام في كلّ الأحوال التي يكون عليها الإنسان؛ فهذا الفرق بين الرجوعين. فإنّ التوبةَ رجعةٌ بندم[4]، وعزمٌ على أمر، وهذا ليس

---

١ [الدخان : ٥٧]
٢ ص ١٢٥
٣ [الشعراء : ٢٢٧]
٤ ص ١٢٥ب

كذلك. فالتوبة في العموم معلومة، وهذا الرجوع في الخصوص معلوم لا يناله إلّا أهل الله الذين هم هم.

إنّ الرُّجُوعَ هُوَ المَطْلُوبُ للهِ ... إِلَيْهِ مَنْ كُلِّ كَوْنٍ فِيهِ بِاللهِ
فَلا تَقُولَنَّ لِلأَشياءِ: لَسْتَ بِهِ ... فَلَيْسَ فِي الكَوْنِ إِلَّا هُوْ وَإِلَّا هِي
فَكُنْ مَعَ اللهِ فِي الأَحْوالِ أَجْمَعِها ... وَلا تَكُنْ عَنْ شُهُودِ اللهِ بِالسَّاهِي
فَإِنَّ للهِ عَيْنًا غَيْرَ نائِمَةٍ ... بِهَا يَرَاكَ وَلا يَشْهَدْ سِوَى اللهِ
مِنْ أَعْجَبِ الأَمْرِ أَنَّ الأَمْرَ واحِدَةٌ ... فَذا التَّقاسِيمِ فِي أَعْيانِنا ما هِي

* * *

وَصْلٌ: (العبوديّة ذلّةٌ محضةٌ خالصةٌ ذاتيةٌ للعبد)

العبوديّة ذلّةٌ محضةٌ خالصةٌ ذاتيّةٌ للعبد؛ لا يكلّف العبد القيام فيها؛ فإنّها عينُ ذاته. فإذا قام بحقّها، كان قيامُه عبادةً. ولا يقوم بها إلّا مَن يسكن الأرض الإلهيّة الواسعة التي[1] تسع الحدوث والقِدم؛ فتلك أرضُ الله؛ مَن سكن فيها تحقّق بعبادة الله، وأضافه الحقّ إليه. قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[2] يعني فيها. ولي مذ عبدتُ الله فيها، من سنة تسعين وخمسمائة، وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة.

ولهذه الأرض البقاء، ما هي الأرض التي تقبل التبديل؛ ولهذا جعلها مسكن عباده، ومحلّ عبادته. والعبد لا يزال عبدا أبدا، فلا يزال في هذه الأرض أبدا. وهي أرض معنويّة معقولة غير محسوسة، وإن ظهرتْ في الحِسّ؛ فكظهور تجلّي الحقّ في الصور، وتجلّي المعاني. ولا تظهر المعاني في الصور الحسّيّة، إلّا لقصور بعض النفوس عن إدراك ما ليس بمادة. فإذا كان متضلّعا من المعرفة بالله، لم يَرِ المعاني في موادّ، ولا رأى الموادّ في غير نفسها؛ فأدرك كلّ شيء في شيئيّته، كانت ما كانت؛ وهذا هو الإدراك الذي يعوّل عليه لأنّه بريْءٌ من التلبيس.

١ ص ١٢٦
٢ [العنكبوت : ٥٦]

ولا يصحّ بوجهٍ من الوجوه أن يشهد الإنسانُ محض عبوديّته، ولا يقام في عبادته المحضة، لا يخالطها شيء من الربوبيّة التي تعطيه الصورة التي خُلق فيها، إلّا عن تجلٍّ إلهيّ. فإذا لم يكن تجلٍّ، فإنّ الإنسان يقام في الصورة التي خلق عليها؛ فيكون[1]: عبدا ربًّا، مالكا مملوكا، مثل العامّة سَواء. غير أنّ الفارق بينه وبين العامّة؛ أنّه للعامّة اعتقاد، ولعلماء الرسوم علم، ولهذه الطائفة شهود. وهو العقد الممتزج الظاهر بالحقيقتين، وما يتخلّص من هذا المزج إلّا أهل العناية الذين يعمرون هذه الأرض الواسعة التي لا نهاية لها. وكلّ أرض سِواها، فمحدودةٌ ليس لها هذا الحكم؛ ولهذا أربابها كثيرون؛ فإنّ لكلّ عبد فيها ملكًا يملكه ويتصرّف فيه؛ ولا يتعدّى غيره عليه، وبنفس ما يملك منها ما يملكه؛ كان مالكا ربًّا فيها.

وهذه الأرض الواسعة هي المتصرِّفة في سكانها، الحاكمة عليهم بذاتها. وهي مجلى الربوبيّة، ومنصّة المالك الحقّ، وفيها يرونه. فمن كان من أهلها، حِيل بينه وبين الصورة التي خُلِق عليها؛ فكان عبدا محضا شاهدا؛ يشاهد الحقَّ في عين ذاته. فالشهود له دائم، والحكم له لازم. وهؤلاء هم المسوّدون الوجه في الدنيا والآخرة، إن علمتَ ذلك.

فالرَّبُّ رَبٌّ والعَبْدُ عَبْدٌ ... فَلا تُغالِطْ وَلا تُخَلِّطْ

* * *

إنّ أَرْضَ اللهِ واسِعَةٌ ... فاعْبُدُوا فِيْها الَّذِي هِيَ لَهْ
بَلِّغُوهُ[2] فِي عِبادَتِكُمْ ... بِالَّذِي تَرْجُونَهُ أَمَلَهْ
فالَّذِي لَهُ لَكُمْ والَّذِي ... لَكَ مِنْ نَعْتٍ فَمَا هُوَ لَهْ
فإذا ما قالَ: لَسْتُ هُنا ... إِنَّهُ أَقامَكُمْ مُثُلَهْ
ذَلِكُمْ مَعْنَى الخِلافَةِ فِي ... أَرْضِهِ فاسْلُكْ بِها سُبُلَهْ
ولَكُمْ بِعَيْنِ صُورَتِهِ ... فِي الذِي أَقامَكُمْ بَدَلَهْ

١ ص ١٢٦ب
٢ ص ١٢٧

واعْمَلُـوا فِي كُلِّ آونَـةٍ	بِالذِي أَرَاكُمُ عَمَـلَهُ

* * *

وَصْلٌ: (الانتقالاتُ في الأحوال هي من أثر كونه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾)

الانتقالاتُ في الأحوال (هي) من أثر كونه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]، والعالَم كلّه على الصورة، وليس سِوَى عين الشئون التي يظهر بها. ولا يشهد هذا الأمرَ كشفا إلّا أصحابُ الأحوال، ولا يشهد هذا حالا إلّا أهلُ السياحات، ولا يشهده علمًا إلّا[2] القائلون بتجدُّد الأعراض في كلّ زمان.

فإنّه من عباد الله مَن لا يُعرف بمكان، إلّا انتقل عنه إلى مكان؛ غَيْرةً منه على الله وعلى نفسه. فأمّا غَيرته على الله، فإنّه لا يُعرف إلّا به. فحاله هو الذي يظهر الحقّ لهم؛ فيغار على الجناب الإلهيّ؛ حيث لا يُذكر الله إلّا به، وينبغي في نفس الأمر أن لا يذكرون إلّا بالله. فلمّا رأوا أنّ الأمر ظهر بالعكس، وهو قوله ﷺ حين قيل له: «مَن أولياء الله؟ قال: الذين إذا رُءُوا ذُكِر الله» فغاروا من هذا، وأرادوا احترام الجناب الإلهيّ حتى يذكروه ابتداء، لا بسبب رؤيتهم.

وأمّا غَيرتهم على نفوسهم؛ فإنّهم ما تحقّقوا بالحقّ في تقلّباتهم؛ لمشاهدتهم شئون الحقّ؛ إلّا حتى لا يعرفهم الخلق، كما لا يعرفون الحقّ. فما داموا يُجْهَلون في العالم؛ طاب عيشهم، وعلموا أنّ الله قد جعلهم أخفياء، أبرياء، مصانين في الكنف الأحمى، من جملة ضنائنه. فمتى ما عُرفوا انتقلوا: إمّا بالحال؛ وهو التصرّف بحكم العادات التي هي مثل الآيات المعتادة. فلا يعرفها إلّا الذين يعقلون عن الله، وإمّا بالانتقال الحسّيّ المكانيّ؛ من مكان إلى مكان؛ لتحقُّقهم بالحقّ؛ في نزوله من سماء إلى سماء.

فمن أراد أن يتمتّع بوجود هذا الصنف[3] ومشاهدته، ويستفيد منه من حيث لا[4] يشعر؛ فلا

---

١ [الرحمن : ٢٩]
٢ ص ١٢٧ب
٣ الحروف المعجمة مهملة
٤ ص ١٢٨

يُظْهِرْ له أنّه يعرفه، ويُظْهِر العزّةَ عليه والاستغناء عنه، ويصحبه صحبة عادة العامّة، ولا تبدو منه كلمة لا يرضاها الله؛ فإنّه لا يحتملها صاحبُ هذا الحال، وينفر منه كما ينفر ممّن يعلمه. فلا يعامله إلّا بواجب، أو مندوب، أو مباح خاصّة؛ هذا يقتضي حالهم.

مَنْ شَهِدَ الحَقَّ فِي شُئُونِهْ	أَقَامَـهُ الحَـقُّ فِي فُنُونِـهْ
فَهْـوَ عَلِـيمٌ بِـكُلِّ شَيْءٍ	أَشْـهَدَهُ ذَاكَ مِـنْ مُبِينِـهْ
فَهْـوَ الإِمـامُ الذِي سَنَاهُ	يَظْهَرُ فِي الكَوْنِ مِنْ جُفُونِهْ
فَـكُلُّ شَيْءٍ تَـرَاهُ عَيْنًـا	فَإِنَّمَـا ذَاكَ مِـنْ عُيُونِـهْ
تَفَجَّرَتْ فِي القُلُوبِ عِلْمًا	عَيْنًـا وَحَقًّـا إِلَى يَقِينِـهْ
سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَرَاهُ غَيْرِي	كَمَا أَرَاهُ عَـلَى شُـئُونِهْ

* * *

وَصْلٌ[1]: (الحالة البرزخيّة لا يقام فيها إلّا أهل العظمة)

الحالة البرزخيّة لا يقامُ فيها إلّا من عظّمَ حرمات الله وشعائر الله من عباده؛ وهم أهل العظمة. وما لقيتُ أحدا من هذا الصنف، إلّا واحدا بالموصل، من أهل حديثة الموصل. كان له هذا المقام، ووقعتْ له واقعة مشكلة، ولم يجد مَن يخلّصه منها. فلمّا سمع بنا، جاء به إلينا مَن كان يعتقد فيه، وهو الفقيه نجم الدين محمد بن شاي الموصلي. فعرض علينا واقعته؛ فخلّصناه منها؛ فَسُرّ بذلك، وثلج صدره، واتّخذناه صاحبا.

وكان من أهل هذا المقام، وما زلت أسعى في نقلته منه، إلى ما هو أعلى، مع بقائه على حاله. فإنّ النقلة في المقامات ما هي بأن تترك المقامَ، وإنما هو بأن تحصّل ما هو أعلى منه، من غير مفارقة للمقام الذي تكون فيه. فهو انتقال إلى كذا، لا من كذا، بل مع كذا؛ فهكذا انتقال أهل الله. وهكذا الانتقال في المعاني، لا يلزم مَن انتقل من علم إلى علم، أن يجهل العلم الذي كان عليه؛ بل لا يزال معه إذا كان علما.

---

١ ص ١٢٨ب

وصاحب هذا الحال (قائم) بين الله وبين نفسه. فهو ناظر إلى نفسه ليرى ربَّه منها أو فيها، فإذا لم يَبْدُ له مطلوبُهُ صَرَفَ النظرَ بالحال إلى ربّه ليرى في ربّه نفسَهُ. فإذا[1] رآه الحقُّ على ذلك، جاء الاسم "الغيور" فخاف عليه أن يتألّه، فردَّه إلى رؤية نفسه، وأشهده في نفسه ربّه، وهو المقام الذي يأتي عقيب هذا -إن شاء الله-

مَنْ حالُهُ البَرْزَخُ أَنْ يَشْهَدا   ثلاثَــةً أَعْلامُهــا تَشْــهَدُ
بِأَنَّــهُ حَصَّــلَ أَعْيانَهــا   وأَنَّــهُ بِعِلْمِهــا السَّــيِّدُ
يَحْــكُمُ فِي ذاكَ وذا بِالَّذِي   أَعْلَمَــهُ بِحــالِهِ المَشْــهَدُ
فَهْوَ الإِمامُ المُرْتَضَى والذِي   لَهُ جِباهُ لِلنُّهَــى تَسْــجُدُ
فَهْوَ الذِي يُسْجَدُ مِنْ أَجْلِهِ   وَهْوَ الذِي يَسْجُدُ والمَسْجِدُ

* * *

وَصْلٌ: (مَن شهد نفسه شهود حقيقة، رآها ظِلًّا أزليًا لمن هي على صورته فلم يقم مقامه)

مَن شهد نفسه شهود حقيقة، رآها ظِلًّا أزليًا لمن هي على صورته؛ فلم يقم مقامه. لأنّ المنفعِل لا يقوم مقام فاعله؛ فلا تسجد الظلالُ إلّا لسجود من ظهرت عنه. فالظِّلال لا[2] أثر لها، بل هي المؤثَّر فيها. وكلُّ منفعِل، ففاعله أعلى منه في الرتبة. فلا تُشهد الأشياء إلّا بمراتبها، لا بأعيانها؛ فإنّه لا فرق بين الملِك والسُّوقة في الإنسانيّة. فما تميّز العالَم إلّا بالمراتب، وما شَرُف بعضه على بعضه إلّا بها[3]. ومَن علم أنّ الشرف للرتب لا لعينه؛ لم يغالط نفسه في أنّه أشرف من غيره، وإن كان يقول: إنّ هذه الرتبة أشرف من هذه الرتبة؛ وهذا مقام العقلاء العارفين. يقول رسول الله ﷺ كثيرا في هذا المقام، في حقّ نفسه وتعليما لنا: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[4] فلم ير لنفسه فضلا علينا، ثمّ ذكر الرتبة وهي قوله: ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾.

ولا خلاف بين العقلاء أنّه مَن تعاظم في نفسه بشرف غيره، أنّه أخرقُ جاهلٌ؛ إذ لم يكن

١ ص ١٢٩
٢ ص ١٢٩ب
٣ "إلّا بها" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ [الكهف: ١١٠]

شرفه بنفسه، والأمر ليس كذلك. فالعاقل الحاضر الشهيد، لا يرى لنفسه شرفا يفتخر به على أمثاله. ألا تراه ﷺ أنّه قال: «أنا سيّد الناس[1] يوم القيامة ولا فخر» فنفى أن يقصد بذلك الفخر، ثمّ ذكر الرتبة التي لها الفخر الذي هو ﷺ مترجم عنها وناطق بلسانها؛ فذكر رتبة الشفاعة والمقام المحمود؛ فالفخر للرتبة لا لنا؛ فما هلك امرؤٌ عرف قدرَه. ولنا -بحمد الله- في هذا المقام القَدمُ الراسخة. والمراتبُ[2] نِسبٌ عدميّة، فلا فخر بالذات إلّا لله وحده. وإذا كان الفخر فينا للرتب، والرتب نِسبٌ عدميّة، فما فخرنا إلّا بالعدم، وناهيك ممن فخره بالعدم.

فإنْ كُنتَ تَعْقِلُ ما قُلْتُهُ   فأَنْتَ المُرادُ وأَنْتَ الإِمامْ
وإنْ كُنْتَ تَجْهَلُ ما قُلْتُهُ   فأَنْتَ الجَهُولُ الذِي لا يُرامْ
فَلِلعِلْمِ فِيْنا حِجابُ السَّنا   ولِلجَهْلِ فِيْنا حِجابُ الظَّلامْ
فَقُــلْ لِلجَهُــولِ بِـأَحْوالِهِ   سَــتَعْلَمُ ذَلِكَ عِنْــدَ الحِمَــامْ
إذا كَشَفَ اللهُ عَنْ عَيْنِهِ   غِطاءً فَلاحَتْ بُدُورُ التَّمامْ

* * *

وَصْلٌ: (الأمر الإلهيّ نافذٌ في المأمور)

الأمر الإلهيّ نافذٌ في المأمور؛ لا يتوقّف لأمره مأموره. فإذا ورد الأمر الإلهيّ على لسان الكون؛ ظَهَرَ (هذا الأمر) في الأمثال؛ فاعتزّت النفوس أن تكون تتصرّف تحت أوامر أمثالها؛ فردّت[3] أوامر الحقّ: إمّا على جهالة بأنّها أوامر الحقّ، وإمّا على علم بأنّها أوامر الحقّ، لكن أثّرت فيها الواسطة؛ لأنّ المحلّ يردّ الحالَ فيه إلى صورته، كالماء في الأوعية. إلّا أنّ المأمور، إذا كان على بيّنة من ربّه، أبصر المأمور به؛ ليس في قدرته إيجاد عينه، إلّا أن يتعلّق به الأمر الإلهيّ الذي له النفوذ؛ فيهيّئ محلّه لوجود المأمور به عند إيجاد الحقّ إيّاه.

فإذا هيّأ محلّه؛ أوجده الحقُّ؛ فيقال في المحلّ: إنّه عبد طائع لله فيما أمره به. ولسان الحال

١ ق: كتب "صح" فوق كل من "الناس" و "القيامة" وفي الهامش: "ولد آدم"
٢ ص ١٣٠
٣ ص ١٣٠ب

والكشف يقول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1]. وإذا لم يهيّئ محلّه لوجود (=لإيجاد) المأمور به، لم يظهر للمأمور به عين؛ فقيل: عبدٌ عاصٍ أَمْرَ ربّه، مخالِفٌ. ولسان الحال والكشف يقول له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وسواء كان الواسطة يأمر، أو يتكلّم بلسان حقٍّ، أو بغير لسان حقٍّ. فإنّ هذه مسألة قد فشت في العامّة، وهي مبنيّة على أصل فاسد.

فيقولون في المذكِّرين إذا لم يؤثّروا في السامعين: "إنّه لو خرج الكلام من القلب لوقع في القلب، وإذا كان من اللسان لم يَعْدُ الآذان" ويشيرون بذلك إلى المذكِّر (أنّه) لو كان صادقا فيما يدعو به الناس إلى الله لأثّر. ومعلوم أنّ الأنبياء الرسل -عليهم السلام- صادقون في أحوالهم، بل هم أصدق الدعاة إلى الله. ثمّ إنّهم يدعون على[2] بصيرة إلى الله بصورة ما أوحى به إليهم؛ فهم صادقون بكلّ وجه، ومع هذا يقول نوح ﷺ: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾[3] وقال[4]: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني دعاء الحقّ على لسان الرسول ﷺ: ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا. اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾[5].

فلا تغالط نفسك، وانظر فيما دُعِيتَ إليه. فإن كان حقّا، ولو كان من شيطان، فاقبله؛ فإنّك إنّما تقبل الحقّ، ولا تبال مَن جاء به. هذا مطلب الرجال الذين يعرفون الأشياء بالحقّ، ما يعرفون الحقّ بالأشياء. وأصحاب هذا الوصف هم العارفون بالموازين الإلهيّة المعرفةَ التامّة، وهم قليلون في العالم. إلى وقتي هذا ما رأيت منهم واحدا. وإن كنت رأيته، فما رأيته في حال تصرُّفه في هذا المقام. وهم حكماء هذا الطريق، ناطقون بالله عن الله ما أمَرَهم به الله.

فَلِلّهِ مِنْ خَلْقِهِ طائِفَةٌ — عَلَيْهِ قُلُوبٌ لَها عاكِفَةْ
وَلَيْسَتْ لَهُمْ فِي الذِي قَدْ دَعا — مِنَ احْوالِهِمْ صِفَةٌ صارِفَةْ
إذا ما دَعاها بِأَنْفاسِها — يَراها عَلَى بابِهِ واقِفَةْ

١ [آل عمران : ١٢٨]
٢ ص ١٣١
٣ [نوح : ٥ ، ٦]
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ [فاطر : ٤٢ ، ٤٣]

تُبادِرُ[1] لِلْأَمْرِ مِنْ كَوْنِها — بِمَنْ قَدْ دَعاها لَهُ عارِفَةْ

* * *

وَصْلٌ: (إذا أضيف حكم من أحكام الوجود إلى غير الله، أنكره أهل الشهود خاصّة)

إذا أضيف حكم من أحكام الوجود إلى غير الله، أنكره أهل الشهود خاصّة؛ وهم الذين لا يشهدون شيئا، ولا يرونه، إلّا رأوا الله قبله، كما قال الصدّيق عن نفسه. وأمّا العلماء فهم في هذا المقام على حكم الحقّ فيه، لا على ما يشهدونه؛ فينكرون النكرة، ويعرفون المعرفة؛ إذ كان الوجود مبناه على المعرفة، وهو الأصل.

فلمّا جاءت الأمثال والأشباه، ظهر التنكير؛ فافتقرنا إلى البدل، والنعت، وعطف البيان. ولولا الأمثال وحصول التنكير ما احتجنا إلى شيء.

وليستِ الحدود الذاتيّة للأشياء تقوى قوّة النعوت. فإنّ الحدود الذاتيّة، مثلا، للإنسان بما هو إنسان، لا تميّز زيدا عن عمرو، فلا بدّ من زيادة يقع بها تعريف هذا التنكير. لو قلت: "جاءني إنسان" لم يُعرف مَن هو، حتى تقول[2]: "فلان" فإن كان في حضرة التنكير نَعَتَّهُ، أو أبدلتَ منه، أو عرّفته بعطف البيان، حتى تقيمه في حضرة التعريف ليَعْرِف المخبَر به مَن أردتَ. وهذا[3] مقام لم يتحقّق به أحد مثل الملاميّة من أهل الله، وهم سادات هذا الطريق.

ومن الناس من ينكر على الحقّ، لا على جهة الاعتراض عليه. وإنما يطلب، بذلك، أن يعلم ما هو الأمر عليه الذي جهله، بالتعريف الإلهي الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4] على مَن ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[5]. ومن هذا المقام قولي:

قُلْتُ لِمَنْ يُخْلِقُ ما يَخْلُقُ: — مَا لَكَ لا تُبْقِي الذِي تَخْلُقُ؟

١ ص ١٣١ب
٢ ق: يقول
٣ ص ١٣٢
٤ [فصلت : ٤٢]
٥ [ق : ٣٧]

فَقَــــالَ لِي: إنّ المَحَـــلَّ الذِي أَخْلُقُــهُ فِي نَفْسِــهِ ضَــيِّقُ
لا يَقْبَــلُ التَّكْــوِينَ إلّا كَــذَا فَاسْكُتْ فإنَّ البابَ لا يُغْلَقُ
مــا العَــيْنُ إلّا وَاحِــدٌ دَائِمٌ فَـلا تُبـالِ أنَّــهُ مُطْلَــقُ
أُجَــدِّدُ التَّكْــوِيْنَ فِي عَيْنِــهِ والناسُ فِي لَبْسٍ فَلا تَنْطِقُ
خَلْـفَ حِجَـابِ المِثْـلِ أَبْصارُهُمْ لِذلِكَ الـوَهْمُ لَهُـمْ يَسْـبِقُ
فاسْتَنْشِقِ[1] العَرْفَ مِنَ اعْراضِهِمْ فإنّهـا المِسْـكُ الذِي يَعْبَـقُ
فَــانْظُرْ إلَى مُوْجِـدِ أَعْيـانِهِمْ مَـا هُـوَ غَـيْرٌ هَكَـذَا حَقِّقُوا
فَــكُلُّ مَــا يَرْمِيْــهِ بَنَّـــاؤُهُ مِـنْ صُـوْرِه فِي ذاتِنـا يَعْلَـقُ
أَرْواحُهُــمْ غِــذَاءُ أَشْــبَاحِهِمْ وَرُوْحُهُـمْ مِـنْ ثَمَـرِي يَعْلُـقُ

* * *

وَصْلٌ: (الحدود الذاتيّة الإلهيّة، التي بها يتميّز الحقّ من الخلق؛ لا يعلمها إلّا أهل الرؤية)

الحدود الذاتيّة الإلهيّة، التي بها يتميّز الحقّ من الخلق؛ لا يعلمها إلّا أهل الرؤية، لا أهل المشاهدة، ولا غيرهم. ولا تُعلم بالخبر، لكن قد تُعلم بعلم ضروريّ يعطيه الله من شاء من عباده، لا يلحق بالخبر الإلهيّ. وما ثَمّ أمر لا يُدرك من جهة الخبر الإلهيّ إلّا هذا. وما عدا هذا، فلا يُعلم إلّا بالخبر الإلهيّ، أو العلم الضروريّ لا غير. فحدود الموجودات على اختلافها، هي حدود الممكنات، من حيث أحكامها، في العين الوجوديّة. وحدّ العين الوجوديّة الذاتيّ، ليس إلّا[2] عين كونها موجودة؛ فوجودها (هو) عين حقيقتها؛ إذ ليس لمعلوم وجود أصلا.

وغاية العارفين أن يجعلوا حدود الكون بأسره، هو الحدّ الذاتيّ لواجب الوجود، والعلماء بالله فوق هذا الكشف والمشهد كما ذكرناه قبل. وهم ﷺ يحافظون على هذا المقام لسرعة تفلّته من قلوبهم؛ فإنّه مَن لم تستصحبه الرؤية دائمًا مع الأنفاس، فإنّه لا يكون من هؤلاء الرجال. وهذا مقام مَن يقول: ما رأيت إلّا الله. فإن قيل له: فمن الرائي؟ قال: هو. فإن قيل له: فمن القائل؟

١ ص ١٣٢ب
٢ ص ١٣٣

قال: هو. فإن قيل له: فمن السائل؟ قال: هو. فإن قيل له: فكيف الأمر؟ فقال: نِسبٌ تظهر فيه، منه، له. فما ثَمّ، في ثَمّ، إلّا هو، وهو عين ثَمّ. وهذا هو مشهد أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه بالحال.

إنّ للهِ حُـدُودًا عُرِفَـتْ بِوُجُـودِي وَبِهـا قَـدْ عُرِفـا
لَوْ يَرَاها أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مِثْلَ ما شَاهَدْتُها ما انْصَرَفا
لا يَرَى ما قُلْتُهُ إلّا الذِي لَـمْ يَـزَلْ بِرَبِّـهِ مُتَّصِـفا
أَوْ عَلِيْمًا عَنْ دَلِيْلٍ قاطِعٍ بِوُجُودِي أَوْ حَكِيْمًا مُنْصِفا

ومن[1] عَرف الحقّ مَن كان الحقُّ سمعَه وبصرَه وجميعَ قواه. فمِن قواه العلمُ بالأمور، والحقُّ تلك القوّة، والعبد موصوف بها؛ فهو موصوف بالحقّ، والحقُّ يعلم نفسه. فهذا العبد عالم به من حيث ما هو الحقّ عينُ صفته، فما عَلِمَهُ إلّا به. ومَن له هذا المقام من العلم بالله، فلا يجاريه أحد في علمه بالله. فهذا هو العالِم بالحدّ الذاتيّ الذي لا ينقال.

* * *

وَصْلٌ: (سقيط الرفرف ابن ساقط العرش)

رأيت بقونية، في مشهد من المشاهد، شخصا إلهيّا يقال له: سقيط الرفرف بن ساقط العرش. ورأيت بفاس، شخصا يوقد في الأتون؛ ممن سقط، وصحبته وانتفع بنا. فإنّ جماعة من أهل الله يعرضون عن الساقطين، وسبب ذلك؛ أنّهم ما بلغوا من معرفة الله بحيث أنّهم يرونه عين كلّ شيء، فلمّا حصروه؛ صار عندهم كلُّ من سقط من ذلك المقام الإلهيّ الذي عيّنوه؛ أعرضوا عنه لِبُعده عندهم من الله -تعالى-. والعلماء بالله ما لهم حالة الإعراض عن هؤلاء؛ لأنّهم في حال الثبوت وحال السقوط ما خرجوا عن المقام الإلهيّ، وإن خرجوا عن المقام السعادي؛ فلا أثر للسقوط عندهم.

١ ص ١٣٣ب

فهم[1] مقبلون على كلّ ساقط؛ قبولَ رحمة، أو قبولَ علم ومعرفة؛ لأنّهم علموا أين حصل لَمّا سقط، أو مَن هو الذي سقط؟ وقد رفع الله المؤاخذة عنهم، وعمّن كانوا عنده. وهذا من أعظم العناية، لمن عقل عن الله، بهم وهم لا يشعرون. ولا يشعر بهم إلّا العلماء بالله. قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾[2] وهي ما تسقط إلّا من خشية الله كما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[3] والهبوط سقوطٌ بسرعة عن غير اختيار، والجبر الأصل. فهذا حكم الأصل قد ظهر في الساقطين.

إذا سَقَطَ النَّجْمُ مِنْ أَوْجِهِ ... وَكَانَ السُّقُوطُ عَلَى وَجْهِهِ
فَمَا كَانَ إِلّا لِيَدْرِي إِذا ... تَدَلَّى إِلَى السّفْلِ مِنْ كُنْهِهِ
فَيَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ رَبَّهُ ... كَمَا يَعْرِفُ الشِّبْهُ مِنْ شِبْهِهِ

* * *

وَصْلٌ: (رجال الله الذين يحفظون نفوسهم من حكم سلطان الغفلة)

وأمّا رجال الله الذين يحفظون نفوسهم من حكم سلطان الغفلة، الحائلة بينهم وبين ما أُمروا به من المراقبة، فهم قسمان: قسم[4] له الإطلاق في الحفظ، كإطلاق حكم الشرع في أفعال المكلّف؛ وقسم له التقييد في الحفظ ظاهرا لا باطنا. فأمّا أهل الإطلاق، فمنهم من يحافظ على ما عيّن الحقّ له منه أنّه وَسِعه، وهو القلب. ومنهم من يحافظ على ملازمة الحجاب، الذي يعلم أنّ الحقّ وراءه؛ فيكون له كالحاجب في العالَم ينفّذ أوامره.

وهذه حالة القطب؛ فليس له من الله إلّا صفة الخطاب، لا الشهود؛ لأنّه صاحب الديوان الإلهيّ؛ فلا يكون إلّا من وراء حجاب إلى أن يموت. فإذا مات لقي الله وهو مسئول عن العالَم، والعالَم مسئول عنه. وهذا هو مقام الرسل -صلوات الله عليهم أجمعين- وشرِكهم في هذا المقام، مَن يحافظ على الصلوات في الجماعات إذا قدر عليها، وعلى كثرة النوافل منها ليلا ونهارا.

١ ص ١٣٤
٢ [الأنعام : ٥٩]
٣ [البقرة : ٧٤]
٤ ص ١٣٤ب

ولمّا علموا أنّ الله على كلّ شيء حفيظ، وهم من الأشياء، وهم الذين ادّعوا أنّهم أهل الصورة المثليّة؛ لزمهم أن يقوموا في هذه الصفة؛ فيصدق عليهم اسم الحفيظ على كلّ شيء. فيحفظوا ما خصّص الله به نفسه في ملكه من الحقوق التي له؛ أن ينازعه فيها أحد من عالمهم، وينوب عن العالَم بأسره فيما فيه مصالحهم، لما هو العالَم عليه من[1] الغفلة والجهل. فبالجهل لا يعرف مصالحه من غير مصالحه، وبالغفلة يغفل عن مصالحه؛ وإن كان يعرفها إذا نُبّه لها؛ فيكون هذا العبدُ الحفيظ على كلّ شيء مستحقّا هذا الاسم. ولمّا علم أنّ عليه من الله حافظا يكتب ما يعمله[2] من أفعاله، حفظ ما يملى عليه، حتى يقع لصحيفته مَيْزٌ على سائر الصحف إذا رُفِعتْ إلى الله. هذا شأن القوم. وأمّا أنا فأقول:

قُلْ لِمَنْ يَحْفَظُ الأُمُورَ عَلَيْهِ ... إِنَّمَا يَحْفَظُ الْوُجُودَ الْحَفِيظُ
وَلِهَذَا إِذا الْحَفِيظَةُ جَاءَتْ ... وَأَتَى لِلَّذِي أَتَاهُ يَغِيظُ
قَامَ فَرْدًا فَزَاحَمَتْهُ أُمُورٌ ... فَيُرَى لازْدِحَامِهِنَّ كَظِيظُ
قُلْتُ: مَنْ زَاحَمَ الأُمُورَ؟ فَقَالُوا: ... هُوَ قَلْبٌ فَظٌّ عَلَيْهِ غَلِيظُ

ولمّا رأيت ما ينبغي لله، وما ينبغي للعبد، ورأيت ما حجب الله به عبادَه المنسوبين إليه، من حيث أنّه جعل لهم في قلوبهم أنّهم يعتقدون أنّ لهم أسماء حقيقة، وأنّ الحقّ -تعالى- قد زاحمهم فيها، وحجبهم[3] عن العلم بأنّ تلك الأسماء أسماؤه -تعالى- زاحموه بالتخلّق بالأسماء الإلهيّة، وقابلوا مزاحمةً بمزاحمة. وما تفطّنوا، لما لم يزاحمهم فيه، من الذلّة والافتقار الذي نبّه لأبي يزيد علينا ولنا، اعتناء من الله؛ فهذه أسماؤهم لا ما ادّعوها؛ فزاحموه فيما تخيّلوه من الأسماء أنّها لهم، وهم لا يشعرون.

ولقد كنتُ مثلهم في ذلك، قبل أن يمنّ الله عليّ بما مَنَّ به من معرفته. فعلّمني أنّ الأسماء أسماؤه، وأنّه لا بدّ من إطلاقها علينا. فأطلقناها ضرورة، لا اعتقادا. وأطلقتها أنا، ومَن خصّه

١ ص ١٣٥
٢ كتب فوقها "صح" وفي الهامش مقابلها بقلم الأصل: يعْلَمُهُ
٣ ص ١٣٥ب

الله بهذا العلم، على الله اعتقادا. وأطلقها غيرنا اضطرارا إيمانيا؛ لكون الشرع ورد بها، لا اعتقادا. فحفظنا عليه ما هو له، حين لم يحفظه ومكر بعباده في ذلك.

فَلَوْ يُضاهِيهِ خَلْقٌ مِنْ بَرِيَّتِـهِ ... ضَاهاهُ قَلْبِي ولَكِنْ عِزَّةٌ مَنَعا
فَقُلْتُ لِلقَلْبِ: لا تُحْجَبْ بِصُورَتِهِ ... فَمَا أَجابَ وَلا أَصْغَى وَلا سَمِعا
دَعـاهُ قَلْـبِي فَلَبَّـاهُ بِحاجَتِـهِ ... فَعِزُّهُ قَوْلُهُ: "لَبَّيْكَ" حِيْنَ دَعا
لَوْ[1] أَنَّ قَلْبِيَ يَدْرِي ما أَقُولُ لَهُ ... فِي مِثْلِ ما يَبْتَغِيهِ مِنْهُ ما طَمِعَا
لَكِنَّـهُ جاهِـلٌ بِالأَصْـلِ مُبْتَـئِسٌ ... فَعِنْدَما جاءَ ما أَغْناهُ قالَ معا

فمن حفظ على نفسه ذُلَّهُ وافتقارَه، وحفظ على الله أسماءه كلّها التي وَصف بها نفسَه، والتي أعطى في الكشف أنّها له؛ فقد أنصف، فاتّصف بأنّه على كلّ شيء حفيظ.

* * *

وَصْلٌ: (عندما يفتح الله باب الرّحمتين)

لمّا فتح الله باب الرحمتين، وبان الصبح بها لذي عينين؛ أوقف الحقُّ من عباده مَن شاء بين يديه وخاطبه مخبرا بما له وعليه، وقال له: إن لم تتّق الله جَهِلْتَه، وإن اتّقيته كنت به أجهل؛ ولا بدّ لك من إحدى الخصلتين. فلهذا خلقت لك الغفلة، حتى تتعرّى عن حكم الضدّين. لأنّه بدون الغفلة يظهر حكم أحدهما؛ فاشكر الله على الغفلة والنسيان.

ثمّ قيل له: احذر من أهل الستور أن يستدرجوك إليها، فإنّهم أهل خداع ومكر. أيكون الستر، على من هو منك أقرب من حبل الوريد؟ فما استتر عنك إلّا بك؛ فأنت عين ستره عليك؛ فلو رأيت باطنك رأيته، وكذلك ذا[2] الوجهين؛ فإنّ له وجها معك ووجها معي؛ فيحيّرك. فاحذره كما تحذر الحجّاب؛ فهم جعلوا أنفسهم حجّابا، ما أنا اتّخذتهم حجبة.

فإذا رأيت من يدعوك إليّ فيك؛ فأولئك حجبتي فاصغ إليهم؛ فإنّهم نصحوك وصدقوك.

١ ص ١٣٦
٢ ص ١٣٦ب، وكتب فوق الكلمة: "ذو"

ثمّ قيل له: لم يتّسمّ الله بالحكيم[1] إلّا من أجلك، وتسمّى بالعليم من أجلك ومن أجله؛ فقد خصّك بأمرٍ ليس له، وهو لك. فأنت أعظم إحاطة في الصفات منه؛ لأنّه كلّ ما له فيه اشتراك؛ فما اختصّ بشيء دونك؛ وهو كمالُه الذي ينبغي له. واختصصت أنت بأمر ليس له؛ وهو كمالُك الذي ينبغي لك، ولا ينبغي له؛ فما ثمّ إلّا كمال في كمال.

ثمّ قيل له: اتبع الخبر، ولا تتّبع النظر المعرّى عن الخبر؛ فإنّ الله ما تسمّى بالخبير إلّا لهذا.

ثمّ قيل له: اعتمد عليه -تعالى- في وكالتك، واحذر أن تكون له وكيلا.

ثمّ قيل له: أنت قلب العالَم، وهو قلبك؛ فشرفُك به، وشرف العالَم بك.

ثمّ قيل له: لا تجهل مَن أنت له وهو لك، مثل من أنت منه وما هو منك. كما لا تجعل من هو منك مَن أنت منه، واجرِ مع الحقائق على ما هي عليه في أنفسها، فإن لم تفعل وقلت خلاف هذا؛ تكذّبك مشاهدة الحقائق؛ فتكون من[2] الكاذبين. وهذا هو قول الزور؛ لأنّه قولٌ مالَ بصاحبه عن الحقّ الذي هو الأمر عليه، وزال عن العدل.

ثمّ قيل له: ليكن مشهودك ما تقصده حتى تعرف ما تقصد. فإن اجتهدتَ، وأخطأت بعد الاجتهاد، فلا بأس عليك وأنت غير مؤاخذ؛ فإنّ الله ما كلّف نفسا إلّا ما آتاها؛ فقد وفَّتْ بِقِسمها الذي أعطاها الله. فهو الذي ستر ما ستر لحكمة[3]، وكشف ما كشف لحكمة[4]؛ رحمةً بعبادة.

ثمّ قيل له: الحقّ أَوْلَى بعباده؛ المضافين إليه، المميّزين من غيرهم؛ وهم الذين لم يزالوا عباده في حالة الاضطرار والاختيار من نفوسهم، وما هو مع مَن لم يُضَفْ إليه بهذه المثابة. فلكلّ عالَم حظٌّ معلوم من الله لا يتعدّى قِسمه.

ثمّ قيل له: إذا بذلتَ معروفا فلا تبذله إلّا لمعروف، وأنت تعرف من هو المعروف. فإنّ

١ ق: "بالحكم" وفي الهامش "بالحكيم" مع إشارة التصويب
٢ ص ١٣٧
٣ ق، ه: لحكه، س: بحكه
٤ ق، ه: لحكه، س: بحكه

للمعروف أهلا، لا يعلمهم إلّا الله ومَن أعلمه الله.

ثمّ قيل له: قد علمت أنّ لله ميثاقين، وأنّك مطلوب بهما؛ فإنّ «العلماء ورثة الأنبياء» فانظر لمن أنت وارث؛ فإن ورثت الجميع تعيَّن عليك العمل بميثاق الجميع، وإن كنت وارثا لمعيَّن فأنت لمن ورثته.

ثمّ قيل له: اصدق ولا تأمن.

ثمّ قيل له: إن ذكرتَ النِّعم؛ كنت لها، وكنت عبدَ نعمة. وإن[1] ذكرتَ الله؛ كنت له، وكنت عبد الله. وإن ذكرت الأمرين؛ وكنت عبد المنعم وعبد الله؛ فأنت أنت حكيم الوقت. فإن لم تُناد بعبد المنعم، فاعلم أنّك عبد النِّعم خاصّة. فاجعل بالك إذا نوديتَ من سِرّك، بأيّ اسم تنادى من أسماء إضافة العبوديّة إليه؛ فكن منه على حذر.

ثمّ قيل له: إنّ لله قهرا خفيّا في العالَم لا يُشعَرُ به: وهو ما جبرهم عليه في اختيارهم، وقهرا جليّا: وهو ما ليس لهم فيه اختيار ويحكم عليهم. فرجال الله يراقبون القهر الخفيّ؛ لأنّه عليه يقع السؤال من الله، والمطالبة. فإن شهدتَ الجبر في اختيارك كنتَ ممن شهد الجبر الجليّ؛ فيرفع عنك المطالبة ذلك الشهود، ولكنّ المُشاهِد له عزيز، ما رأيتُ من أهل هذا الشأن والحال إلّا قليلا، بل ما رأيت إلّا واحدا بالشام؛ ففرحتُ به.

ثمّ قيل له: لك ستّ جهات: أربعة منها للشيطان، وواحدة لك، وواحدة لله. فأنت فيما منها لله معصومٌ؛ فمِن ثَمّ خذ التلقّي، واحذر من الباقي وهو الخمسة. وكذا جاء الشرع بخمسة أحكام منها جهتك وجهات الشيطان منك. وأمّا جهته منك فلا حكم فيها للشرع، وهي جهة معصومة لا تتنزّل على القلب منها إلّا العلوم الإلهيّة المحفوظة[2] من الشّوب.

ثمّ قيل له: إذا كنت مؤمنا فكن عالِمًا حتى لا تزلزلك الشُّبه، وما عِلمٌ لا تزلزل صاحبه

[1] ص ١٣٧ب
[2] ص ١٣٨

الشُّبَه إلّا ما كان من[1] الله. فكلّ علم عن غير الله، تزاحمه الشُّبَه والشكوك في أوقات.

ثمّ قيل له: لا يقيّدك مقام؛ فإنّك محمديّ. فلا تكن وارثا لغيره؛ تَحُز المالَ كلّه. فمن ورثه من أمّته، زاد على سائر الأنبياء بصورة الظاهر؛ فإنّهم ما شهدوه حين أخذوا عنه رسالاتهم إلّا باطنا. كما يتميّز على سائر الأنبياء مَن أدرك شريعته الظاهرة؛ كعيسى ﷺ وإلياس؛ فهذان قد كمل لهم المقام المحمديّ.

ثمّ قيل له: الاستئذان في الخير دليل على الفتور والرغبة. فإن استأذنتَ ربّك في خير، تعلم أنّه خير، فانظر: فإن أجابك بالعمل به فحسنٌ. وإن خيّرك؛ فقد مَكَر بك واستدرجك. وإن لم تقع عندك منه إجابة، فاعلم أنّ في إيمانك ثلمة؛ فإنّك ما علمت أنّه خيرٌ إلّا من جهة الشارع، والشارع الله، فلأيّ شيء تستأذن بعد العلم. فجَدِّد إيمانك بين يديه، وقل: "لا إله إلّا الله محمد رسول الله، آمنتُ بما جاء من عندك" واشرع في العمل، ولا تستأذن في شيء قطّ؛ فإنّ الله عليك رقيب؛ فهو يُلهمك ما فيه مصالحك. وميزان الشرع، الذي شرع لك، بيدك؛ لا[2] تضعه من يدك ساعة واحدة، ولا نَفَسا واحدا. بل لا يزال أهل الله مع الأنفاس في وزن ما هم عليه؛ فهم الصيارفة النقّاد.

ثمّ قيل له: أنت على ملكك، وعن ملكك زائل، وعن بلدك راحل، وعن الدنيا منتقل. فلا تفرّط في الزاد؛ فإنّك ما تأكل إلّا ما تحمل معك. ولا تشرب إلّا ما ترفع معك في مزادتك؛ فالطريق معطشة، والبلاد مجدبة.

ثمّ قيل له: لا تزد في العهود، ويكفيك ما جبرت عليه. ولهذا كَرِه رسول الله ﷺ النذر، وأوجبَ الوفاء به؛ لأنّه من فضول الإنسان. كما كان السؤالُ هو الذي أهلك الأمم قبل هذه الأمّة من فضولهم؛ فإنّ السؤال موجب إنزال الأحكام، وكما جرى في هذه الأمّة من إثبات القياس والرأي. فإنّ رسول الله ﷺ كان يحبّ التقليل على أُمّته من التكليف، وبالقياس كثر بلا

[1] ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[2] ص ١٣٨ب

شكّ. فشغلوا نفوسهم بما كرهه رسول الله ﷺ مع أنّ لهم في ذلك أجرا؛ لأنّهم أخطؤوا في الاجتهاد في إثبات القياس بلا شكّ؛ فالله ينفعهم بما قصدوا.

وأمّا سائر الأمّة فلا يلزمهم إلّا ما جاء عن الله وعن رسوله. وماكان عن رأي أو قياس فهم فيه مخيَّرون؛ إن اتّبعوه وقلّدوا صاحبه؛ فما قلّدوا إلّا ما قرّر الشارع حكمه[1] في ذلك الشخص. وفي هذا نظر. فإنّه ما أمرنا أن نسأل إلّا أهل الذِّكر، وهم أهل القرآن. يقول الله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[2] يريد القرآن.

ثمّ قيل له: لا تسلك من الطرق إلّا ما تقع لك فيه المنفعة والربح؛ فإنّها تجارة. وهكذا سمّاها الله. فقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] ثمّ ذكر الإيمان والجهاد. وقال: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[4] في حقّ من ابتاع الضلالة بما كان في يديه من الهدى.

ثمّ قيل له: عليك بالالتجاء إلى مَن تعرف أنّه لا يقاوَم، فإنّه يحميك.

ثمّ قيل له: عليك بآثار الأنبياء؛ فإنّها طرق المهتدين.

ثمّ قيل له: إيّاك والحسدَ فإنّه يحلق الحسنات، وأوّل ما يعود وباله على صاحبه.

ثمّ قيل له: لا يكون التيسير الإلهيّ من نعوت الحقّ إلّا إذا ظهر الحقّ بصورة أهله. فإنّ المنازع لله في إيجاد الممكن (هو) العدمُ الذاتيّ الذي للممكن؛ فانظر ما يزيله، والأمر الذاتي يحكم لنفسه. فتعمّل في الخروج من هذه الشبهة.

ثمّ قيل له: خلق اللهُ العالم أطوارا، وكلّ طور يزهد في طوره ويذمّه، ويثني على ما سِواه. فما الذي دعا إلى ذلك؟ وما الذي أفرح كلَّ أحد بما عنده، حتى منعه ذلك الفرح من الخروج عنه؟

١ ص ١٣٩
٢ [الحجر : ٩]
٣ [الصف : ١٠]
٤ [البقرة : ١٦]

ثمّ[1] قيل له: الاقتداءُ شأنُ الرجال؛ فاقتدِ بالله من كونه الميزان في يده، فإن فاتَكَ هذا الاقتداءُ هلكتَ.

ثمّ قيل له: الإيمان برزخٌ بين إسلام وإحسان، وهو الاستسلام. فلهذا يكون الإسلام ولا إيمان، ويكون الإيمان ولا استسلام؛ فالزم الاستسلام تفز بالجميع. وما ثَمّ برزخٌ لا يقوى قوّة الطرفين إلّا الإيمان؛ فكلُّ برزخ فيه قوّة الطرفين إلّا الإيمان.

ثمّ قيل له: أَلْحِقِ المتأخِّر بالمتقدِّم تسعد، ولا تعكس الأمر.

ثمّ قيل له: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[2] وخَلْقُ الله كلماته، و﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[3] وإنما التبديل لله، من كونه متكلِّما، لا من كونه قائلا. فإن ظهر القول بصورة الكلمة لم تُبدَّل؛ لكونها قولا، لا من حيث أنّها كلمة من الكلام.

ثمّ قيل له: الجزاء بالخير؛ حَتْمٌ، وبالشرّ؛ في المشيئة.

ثمّ قيل له: الاستناد إلى القويّ حِمًى لا يُنتهك؛ فيرجع طالبُ انتهاكه خاسرا.

ثمّ قيل له: النزول من العُلوّ، بإنزالٍ وبغير إنزال. فمن نزل من غير إنزال فهو محمود، ومن نزل بإنزال فقد يُحمد. والخلافةُ أرفعُ الدرجات، ولها العلوّ. فمن خلع نفسه منها حُمِد، وإن كان فيها. ومَن خُلع منها فقد يُحمد، وهو بحسب ما يقع له.

ثمّ قيل له: إن كنت وارثا فلا ترث إلّا الحقَّ. فقال: وكيف يورَث الحقّ؟ فقال: إذا أشهدك الحقّ غناه عن[4] العالَمين فقد تركهم؛ فهذه تركة إلهيّة لا يرثها إلّا أنت، إن كنت صاحب هذا الشهود. فتعرف، مِن هذا الورث، ما لم تكن تعرفه قبله من العالم.

ثمّ قيل له: لا تخلط بين الأمور، وأنزِل كلّ شيء حيث أنزلَتْهُ حقيقتُه؛ فلا تقل: "ما ثَمّ إلّا الله". ولو كان كذلك، وهو كذلك، أليس المراتب المعقولة قد ميَّزتْ بين كونه كذا وكونه كذا،

١ ص ١٣٩ب
٢ [الروم : ٣٠]
٣ [يونس : ٦٤]
٤ ص ١٤٠

والعين واحدة كما تقول؟ ولكن هو مِن كذا أَمْرٌ، ومِن كذا أَمْرٌ آخر. وأراك تُحِسُّ بالألم وتهرب منه، فما الذي دعاك إلى ما منه تهرب؟ وأراك تُحِسّ باللذّة وأراك فاقدا ما كنت تطلب. فبهذا القدر أَثْبِتْ عينَك واعرف أَيْنَك.

فعلى كلّ حال: الكثرة موجودة، والأغيار مشهودة، وعالِمٌ وجاهل، وآمرٌ ومأمور، وحاكم ومحكوم عليه، ومحكوم به ومحكوم فيه، ومريد ومراد، وتخيير وجبر، وفاضل ومفضول، وواصل وموصول، وقريب وأقرب، ووعد ووعيد. فالفائدة في مخاطِب ومخاطَب، وخطاب ومخاطَب به. الإنسانُ واحدٌ بجملته، وأعضاؤه متميّزة، وقواه متعدّدة، وهو هو لا غيره. فأيُّ شيء تألّم منه، سَرَى الألم في كلّه. وأرى شخصا يتألّم، وآخر يُسَرُّ بألمه، وآخر يحزن لذلك.

فلو كان الأمر واحدا كما هو في الإنسان، لَسَرَى الألمُ[1] في العالم بأسره إذا تألّم منه واحد. فليس الأمر كما تخيّلته؛ إذا كُشف الغطاءُ علمتَ ما أقول. فانصح نفسك إن أردت أن تلحق بالعلماء بالله، الذين أسعدهم الله. فالظاهر لله والباطن، كالروح والحسّ. فكما لا يفترقان، كذلك لا يفترقان. فما الأمر إلّا عبدٌ وربٌّ، فما هو إلّا أنت وهو. فالطائع ممتد، والعاصي حائر بين ما أُريد منه وما أُمِر به.

واعلم أنّ الله لمّا أنكحَ العقلَ النفسَ؛ لإظهار الأبناء لا لحصول لذّة الابتناء، أسكنَها أرضَ الطبيعة؛ فأثّرتْ في مزاجها؛ إذ كانت الأرض تقلب ما يُزرع فيها إلى طبيعتها. اجعل بالك إلى قوله -تعالى-: ﴿تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾[2] والأرضُ واحدة، وتختلف الطعوم والروائح والألوان. فإن قلنا في العسل: "إنّه حلو لذيذ" فترى بعض الأمزجة تتألّم به ولا تلتذّ، وتجده مُرًّا، وكذلك الروائحُ والألوان. فرأينا هذا الاختلاف يرجع إلى الإدراكات، لا إلى الأشياء؛ فرأيناها نِسَبا لا حقيقة لها في أعيانها إلّا من حيث جوهرها.

ثمّ قيل له: قف عند الإضافات والنِّسب؛ تعثر على الأمر على ما هو عليه.

١ ص ١٤٠ب
٢ [الرعد : ٤]

ثمّ قيل له: إذا أيّه بك فاعلم: من أين نوديتَ؟ وأين كنت؟ ولماذا[1] دُعيت؟ ومَن دعاك؟ وما دعاك؟ فكن بحسب ما ينتج لك ما ذكرته.

ثمّ قيل له: السعادة في الإيمان لا في العلم، والكمال في العلم. فإن جمعت بينهما فأنت إذَنْ أنت؛ ما فوقك غاية.

ثمّ قيل له: هذه حضرة الإخبار، فاجعل بالك لكلّ خبر يأتيك فيها. فإنّك إن فقدتها، لم تنل في غيرها ما تنال فيها. وفيها من العلوم ما أذكره لك -إن شاء الله-.

فمن ذلك عِلم من أين صدر الأمر والنهي، وجميع الأحكام والنواميس الوضعيّة والإلهيّة؟

وفيه عِلمُ التنبيه على حقائق الأشياء: بالصريح، والتضمّن، والإيماء.

وفيه عِلمُ خلق باطن الإنسان دون ظاهره، وكم إنسان في الوجود؟ فإذا علمتَ أنّه ما في الوجود إلّا ثلاثة أناسيّ: الإنسان الأوّل الكلّ الأقدم، وإنسان العالَم، والإنسان الآدميّ؛ فانظر ما هو الأتمّ من هؤلاء الثلاثة؟.

وفيه عِلمُ ما لا يُعلم إلّا بالإيمان.

وفيه عِلمُ الموازنة.

وفيه عِلمُ ما يؤثّره القصد في الأمور مما لا يقصد.

وفيه عِلمُ الالتحام.

وفيه عِلمُ الدواوين الإلهيّة، والكتّاب، والعمّال، والمتصرّفين.

وفيه عِلمُ الشروط، والشهادات، والقضايا المبثوثة في العالَم.

وفيه[2] عِلمُ محاسبة الديوان العمّال.

وفيه عِلمُ الحركة والسكون.

١ ص ١٤١
٢ ص ١٤١ب

وفيه عِلْمُ الإطلاق الذي لا تقييد فيه، فإذا علِمه مَن علِمه تقيّد فيه.

وفيه عِلْمُ الميل والاعتدال، وبأيّهما يقع التكوين.

وفيه عِلْمُ الخواصّ في الإنسان، وهي الطبيعة المجهولة.

وفيه عِلْمُ الإهمال والإمهال، ومَن يتولّى ذلك من الأسماء؟ وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[1].

وفيه عِلْمُ المحاربة الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ المنع الإلهيّ، وهو يناقض الجود المطلق: هل اقتضاه مَن اقتضاه لذاته، أو لأمر آخر؟

وفيه عِلْمُ عصمة الرسل.

وفيه عِلْمُ تنوّع العالَم؛ من أين قَبِلَه؟ وما صدر، فيما يعطيه الدليل العقليّ، إلّا ممن لا يقبل التنوّع.

وفيه عِلْمُ الأنبياء والأولياء والعقلاء، والفروق بين هؤلاء.

وفيه عِلْمُ حكمة التقديم والتأخير الزمانيّ والوجوديّ والمكانيّ والرتب.

وفيه عِلْمُ القبول والردّ.

وفيه عِلْمُ ما يجده الحيوان من الخور؛ هل هو أمر طبيعيّ، أم إلهيّ؟ ووصفُ الملائكة بالخوف، ولِمَ[2] خافت الملائكة ربّها من فوقها؟ فإنّه لا يُخاف -تعالى- إلّا لما يكون منه فما فوق الملائكة من الأسباب المخيفة؟ وأيّ الملائكة هم[3] الموصوفون بالخوف: هل كلّهم، أو جنس منهم؟

وفيه عِلْمُ تدبير الروح الواحدة نفوسا كثيرة، ومن هنا تعرف النشأة الآخرة.

وفيه عِلْمُ تعظيم العقوبة على المقرّب صاحب الرتبة العليا، ولماذا لم تحمِهِ رتبته عن العقوبة؟

١ [الفرقان : ٧٧]
٢ ق، ه: ولما
٣ ص ١٤٢

والفرق بين العقوبة والعذاب، والألم والآلام.

وفيه عِلْمُ ما جُبِلَت عليه النفوس من النزاع والمخالفات.

وفيه عِلْمُ طهارة النفوس؛ هل طهارتها ذاتيّة، أو مكتسبة؟

وفيه عِلْمُ فضل الشهادتين، وما يُحمد من الشرك، وما يُذمّ؟

وفيه عِلْمُ مرتبة المؤمن من غيره، مع الاشتراك في الإنسانيّة، ولوازمها وحدودها، والذي وقع به التمييز موجود في كلّ إنسان لأنّه محقّق في نفس الأمر، فنسبته إلى كلّ إنسان نسبة واحدة، فلماذا خصّص به المؤمن من غيره؟

وفيه عِلْمُ مراعاة الأكوان من الأكابر دون الحقّ؛ هل ذلك من الرحمة بهم، أو هو من خور الطبع؟

وفيه عِلْمُ مرتبة الواجبات الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ الانتساب إلى الله، ومن ينبغي أن ينتسب إلى الله؟ وبماذا يقع النَّسب إلى الله الزائد على العبودة؟

وفيه عِلْمٌ غريبٌ؛ وهو نزول الحقّ إلى العالَم في صفاتهم، أو[1] عروج العالَم إلى الله بصفاته؛ فإنّ الأمر فيه في غاية الغموض؛ فإنّ أكثر العلماء بالله يقولون: "إنّ الحقّ نزل إلى نعوت عباده" والحقائق تأبى ذلك، والكشف.

وفيه عِلْمُ الأنوار النبويّة المقتبسة من السبحات الإلهيّة، لا الوجهيّة.

وفيه عِلْمُ النقض بعد الإبرام؛ فلماذا أبرِم؟

وفيه عِلْمُ الاختصاص وأهله، في المحسوس والمعقول.

وفيه عِلْمُ قُرب النفوس وبُعدها من الحضرة الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ التحجير على الأكابر من العلماء بالله، وشهودهم لا يقضي به.

١ ص ١٤٢ب

وفيه عِلْمُ الآداب الإلهيّة؛ وماذا حجب الله عن عباده من المعارف؟ وهل المعارف هي العلوم؟ أو تختلف حقائقها كما اختلفت أسماؤها؟

وفيه عِلْمُ النفوس والأرواح؛ هل هما شيء واحد، أو يفترقان؟

وفيه عِلْمُ السبب الذي لأجله ظهر السلام في كلّ ملّة وفي الملائكة، قال -تعالى-: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[1].

وفيه عِلْمُ الاسم الإلهيّ "بالصبور"؛ هل للاسم "الحليم" فيه حكم، أم لا؟

وفيه عِلْمُ أسباب دفع الأذى من بعض العالم، وهل يرتفع من العالم حتى لا يبقى له حكم، أم لا؟

وفيه عِلْمُ[2] فضل ما سِوَى الإنسان على الإنسان؛ هل هو عامّ من جميع الوجوه؟ أو يفضل عليه في شيء ويفضل هو على غيره في شيء؟ والعلّة في ذلك؟ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ [الرعد : ٢٤]
٢ ص ١٤٣
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب الثاني والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسميّة
مصوّرة مدبّرة -من الحضرة المحمّديّة

يا قُـرَّةَ العَـيْنِ إنّ القَلْـبَ يَهْـواكِ ... لَوْلاكِ ما كُنْتُ في قَتْلاكِ لَوْلاكِ

ما لِي سِوَى عَيْن ما لِي قَدْ عَلِمْتِ بِهِ ... فإنْ رَضِيْتِ بِذاكَ القَدْرِ أَغْناكِ

إنّ الوُجُـودَ لَهُ فَقْـرٌ وَمَسْـكَنَةٌ ... إلَى الكَمـالِ فَبَيْـتُ الفَقْـرِ مـأْواكِ

لا تُعْجِـزَنَّ[1] لإدْرَاكِ الكَمـالِ فَمـا ... فِي الكَوْنِ مَنْ يَعْرِفُ المَطْلُوبَ إلّاكِ

اعلم -أيّدك الله- أنّه[2] إنما سمّي الطلسم بهذا الاسم لمقلوبه؛ يعني أنّه "مُسَلَّط" على كلّ مَن وكّل به؛ فكلّ مسلَّطٍ طلسمٌ ما دام مسلَّطًا. فمن ذلك ما له تسليط على العقول، وهو أشدّها؛ فإنّه لا يتركها تقبل من الأخبار الإلهيّة والعلوم النبويّة الكشفيّة إلّا ما يدخل لها تحت تأويلها وميزانها، وإن لم يكن بهذه المثابة فلا تقبله. وهذا أصعب تسليط في العالَم؛ فإنّ صاحبه، المحجور عليه، يفوته علم كثير بالله. فطلسمه (هو) الفكر، وسلّطه الله عليه أن يفكّر به لِيَعلم أنّه لا يُعلم أمر من الأمور إلّا بالله. فعكَس الأمر هذا المسلَّط فقال له: لا تعلم اللهَ -يا عقلُ- إلّا بي.

والطلسم الآخر (هو) الخيال، سلّطه الله على المعاني يكسوها موادَّ يظهرها فيها لا يتمكن لمعنى يمنع نفسه منه.

والطلسم الثالث (هو) طلسم العادات، سلّطه الله على النفوس الناطقة؛ فهي مهما فقدت شيئًا منها، جرت إليه تطلبه؛ لما له عليها من السلطان وقوّة التأثير. وما يتميّز الرجال إلّا في رفع هذه الطلسمات الثلاثة.

١ الكلمة متصرف فيها في ق، والإثبات من س، هـ
٢ ص ١٤٣ب

(طلسم الفكر):

فأمّا الطلسم الأوّل فرأيت جماعة من أهل الله قد استحكم فيهم سلطانُه، بحيث أنّهم لا يلتذّون بشيء من العلوم الإلهيّة[1] التذاذهم بعلم يكون فيه رائحة فكر؛ فيكونون به أعظم لذّة من علمهم بما يعطيهم الإيمان المحض بنوره، الذي هو أكشف الأنوار وأوضحها بيانا. وسبب ذلك ما نذكره؛ وذلك أنّ نورَ الإيمان وَهْبٌ إلهيّ ليس فيه من الكسب شيء، ولا أثر للأدلّة فيه ألبتّة. فإنّا قد رأينا من حصّل العلمَ بالدلالة، وبما دلّت عليه بحيث لا يَشكّ، ومع هذا لا أثر للإيمان فيه، بوجهٍ من الوجوه.

فلمّا خرج عن كسب العبد، فكأنّه إذا فرح بما أعطاه نورُ الإيمان من العلم؛ فَرِح بما ليس له، وأنّه إذا أعمل الفكر في تحصيل علمٍ بأمرٍ مّا، وحصل له عن فكره، ونظره فيه، واجتهاده؛ كان له تعمُّل واكتساب. فكانت لذّته بما هو كسب له، أعظم مما ليس له فيه كسب؛ لأنّه فيما اكتسبه خلّاق. ولم يكن ذلك، من هؤلاء، إلّا لجهلهم بأصولهم وبنفوسهم. لأنّهم لو علموا أنّهم ما خرجوا من العدم إلى الوجود إلّا بالمِنّة، والوهب، وهبه الله لهم؛ فأوجدهم؛ فلم يكن لهم تعمُّل في ذلك، وهم في غاية من الالتذاذ بوجودهم. فكانوا، على ما يعطي هذا الأصل، أفرح بعلوم الوهب الذي[2] يعطيهم نور الإيمان، من الذي يعطيهم الفكر بنظره.

ثمّ الحجاب الآخر في جهلهم بنفوسهم وبما فيهم؛ أنّ العقل والفكر ما حصل لهم من الحقّ بتعمُّلٍ ولا اكتساب، بل بوهب إلهيّ وهم به فرحون. فهلّا كان فرحهم بما وهبهم الحقّ من العلم بنور الإيمان، أعظم من فرحهم بما نالوه من جهة الفكر.

ثمّ إنّهم من جهلهم وحجابهم، إنّهم يَشهدون، في أوقات، في علم ما اتّخذوه بالفكر؛ شُبَها تدخل عليهم فيه؛ فتزيله من أيديهم، أو تحيّرهم فيه. فيغتمّون، لذلك، الغمَّ الشديد، ويُعملون فكرهم في أمر من أنواع الدلالات؛ إمّا أن يزيل عنهم تلك الشبهات حتى (=بحيث) يعلموا أنّها شبهات؛ فيرجعوا إلى ما كانوا عليه بلا مزيد، ويخسرون ما يعطيه المزيد الإلهيّ في كلّ نفس.

١ ص ١٤٤
٢ ص ١٤٤ب

وإمّا أن يعطيهم الفكر أنّ تلك الشبهة ليست بشبهة، بل هي دليل أعطاهم العلم بضدّ ما كانوا عليه، وأنّ الأمر الذي كانوا عليه فيفرحون به ويقولون: هو علم؛ لم يكن كذلك؛ بل كان شبهة. فلو فتح الله عليهم، لكانوا في هذا الذي رجعوا إليه، تحت إمكان أيضا، كما ظهر لهم في حكم الأوّل الذي رجعوا عنه. فلو[1] لم يكن لصاحب الفكر في العلم الإلهيّ صارفٌ يصرفه عنه إلّا هذا، لكان فيه كفاية. وكلامنا هذا إنما هو في حقّ المؤمنين من أهل الله.

وأمّا مَن يرى أنّه لا يأخذ إلّا من الأرواح العُلويّة، وأنّها المُمِدّة لهم، وأنّهم يستنزلونها لتفيدهم، وأنّ جميع ما هم فيه إنما هو منهم، كما يرون أنّ كلّ ما يحجبهم عن مثل هذا إنما هو نظرهم إلى شهواتهم، واشتغالهم بالأمور الطبيعيّة من أكل وشربٍ ونكاح، وغير ذلك من مثل هذه الأمور؛ فلا كلام لنا معهم؛ فإنّهم عبيد أكوان، لا عبيد الله. ليس لهم من الله رائحة إلّا بعلم واحد أنّه الأصل، من غير تفصيل ولا استرسال واستصحاب وظهور في كلّ جزء جزء من العالم الأعلى مساحةً ومعنى، والعالم الأسفل مساحة ومعنى. فهم عن هذا كلّه محجوبون، وبه غير قائلين.

ولمّا كان الطلسم، في أصل الوضع، لا يضعه واضعُه إلّا لخفاء ما يمكن أن يُشهد ويحصل، أُعمِلت الحيلة في رفع حكم ذلك الطلسم حتى يبدو ما كان يخفيه مما ينتفع به. فالإنسان من حيث قيّوميّته التي يعتقدها في نفسه، هو طلسمٌ على نفسه. وبتلك القيّوميّة استخدم فكرَه وجميعَ قواه؛ لأنّه يعتقد أنّه ربٌّ في ذاته، وفي مُلكه مالِك. ثمّ رأى الحقَّ[2] قد كلّفه واستعمله؛ فزاد تحقيقا في قيّوميّته؛ ولو لم يكن له قيام بما كلّفه الحقّ؛ ما كلّفه. فيقول: باستعمالي لهذه القوى يكون لي الدليل على أنّي صدقت ربّي، وهو الصادق فيما كلّفني به[3]، من استعمالها. ولم يتحقّق هذا المسكين المواضع التي يستعملها فيها.

ثمّ إنّهم رأوا أنّ أشرف ما يكتسبونه به (هو) العلم بذات الله، وما ينبغي لها أن تكون

١ ص ١٤٥
٢ ص ١٤٥ب
٣ ق: "إياه" وعليه إشارة استبدال، وفي الهامش: "به"

عليه. فتركوا استعمال قواهم فيما يمكن لهم أن يصلوا إليه، واستعملوها فيما لا يمكن الوصول إليه، مع تبيين الحقّ لهم فيما شرع من قول الله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[1] أي لا تستعملوا فيها الفكر. وقال رسول الله ﷺ: «لا تتفكّروا في ذات الله» فعصوا الله ورسوله -مع أنّهم من أهل الله- بالمعصية المقدّرة عليهم؛ فلا بدّ من نفوذ حكمها فيهم. فالله يجعلنا ممن عصمه الله أن يستعمل قواه فيما ليس لها التصرّف فيه، إنّه وليّ كريم منعِم محسان.

فإذا أراد الله أن يوفّقك لرفع حكم هذا الطلسم، حتى تشهد ما حجبك عنه؛ وفّقك لإزالة قيّوميّتك بقيّوميّته، واستعملك في فقرك وذُلّك وشهود أصلك، واستعمَل فكرك في أنّك لك موهوب، وأنّك[2] صادر من عين مِنّته عليك؛ في وجودك، وفي تقلّبك في أطوار نشأتك المحسوسة والمعنويّة، وفي إسلامك وإيمانك، إلى أن جعلك من أهله، واصطنعك لنفسه، وحجب غيرك ممن هو مثلك؛ لا لِيَدٍ لَكَ عليه؛ بل سابق عناية بك، ومِنّة اختصاص.

فإذا وفّقك لمثل هذا النظر، وفّقك للنظر أيضا في قواك، وما بَيّن لك من مصارفها. فلم تتعدّ بها مصرفها الإلهيّ، ووقفت عند حدوده. وعرفت قدرك، فعرفت قدره، وجعلت أمرك كلّه فيما تصرّفت فيه؛ وهبًا إلهيًّا من عين مِنّتِهِ. ونظرت إليه بنور الإيمان الذي وهبك إيّاه؛ فأشهدك الأمور كما هي عليه في نفسها. وكشف لك عن الحقّ ورزقك اتّباعه، وكشف لك عن الباطل ورزقك الاجتناب عنه.

ورأيتُ جماعة، في هذا الكشف، من أصحاب الأفكار العقلاء النظّار، قد أراهم الفكرُ الحقَّ باطلا؛ فحقّقوه؛ فاجتنبوا الحقّ واتّبعوا الباطل، ولا علم لهم بذلك؛ إذ الباطلُ في جِبلّة كلّ أحد اجتنابه. فإذا رأيتهم على ذلك رحمتهم. فربما تدعوهم إليه وهم ﴿يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[3] فيجهّلونك فيما تدعوهم إليه من الحقّ، كما كان ﷺ يدعو أهل الشرك إلى التوحيد، فيقول إذا[4] دعاهم إلى ذلك ودعوه إلى ما هم عليه: ﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي

١ [آل عمران : ٢٨]
٢ ص ١٤٦
٣ [سبأ : ٥٣]
٤ ص ١٤٦ب

لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾[1].

فيا وليّ؛ لا تقل في جوابي: "إنّهم أيضا يقولون له مثل ما قال لهم" ليس الأمر كذلك، فإنّهم مشركون؛ فقد أثبتوا، بكونهم مشركين، عينَ ما دعاهم إليه هذا الرسول. وهو ما[2] أثبت الشريك. وهم قالوا: إنما ندعوهم ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[3] فأثبتوا له ﷺ التعظيم، والمنزلة العظمى التي ليست لشركائهم. فمن هناك لم يتمكن لهم أن يقولوا في الجواب، مثل ما قال لهم. فإنّه قال لهم: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾[4] وهم علماء بما دعاهم الرسول إليه. فلمّا دعاهم، دعاهم بحالهم ولسانهم، من حيث ما أثبتوا عين ما دعاهم إليه، وزادوا الشريك الذي لا علم لمحمد ﷺ به.

فإذا قال صاحب الكشف لصاحب الفكر مثل هذا، كان جوابُ صاحب الفكر له، أشدَّ في البُعد عن الله، من المشركين مع رسول الله ﷺ. وكان المشركون أسعدَ حالة من أصحاب الفكر؛ فإنّهم أثبتوا، على كلّ حال، عينَ ما دعاهم إليه؛ أنّ له المنزلة العليا. وهؤلاء قالوا: إنّ الله لا يعلم ما نحن عليه. حيث قالوا: إنّه[5] أعظم من أن يعلم الجزئيّات؛ بل علمه في الأشياء علم كلّي؛ وهو أنّ في العالم من يتحرّك ويسكن؛ لا أنّه يعلم أنّ زيد بن عمرو هو المتحرّك عند زوال الشمس. هذا أعطاهم فكرهم؛ فمن هنا يُعلم أنّ المشركَ أسعدُ حالا منهم.

وأعطاهم فكرهم أنّ هذه النواميس الإلهيّة السائرة في العالم (هي) إمدادُ الأرواح العُلويّة للنفوس الفاضلة، القابلة لمصالح العالم في الدنيا؛ فهي أوضاع روحانيّة على ألسنة قوم قد خلّصوا نفوسهم من رقّ الشهوات وأسْرِ الطبيعة، وصَفُّوا مرائي قلوبهم؛ فأقبلت عليهم الأرواح العُلويّة، وجالسوا بأفكارهم الملأ الأعلى؛ فأمدّهم بما وَضَعوه في العالم من أسباب الخير؛ فسُمُّوا: أنبياء، وحكماء، ورسلا؛ وليس إلّا هذا. وجعلوا ما وضعوه من الوعد والوعيد المغيَّب، المسمّى: الدار الآخرة؛ سياسات يسوسون بها النفوس الشوارد عن النظر، فيما لا ينبغي لهم مما وجدوا له لا

١ [غافر : ٤١ ، ٤٢]
٢ ق: فما
٣ [الزمر : ٣]
٤ [غافر : ٤٢]
٥ ص ١٤٧

غير. ونعوذ بالله من هذا القول وهذا العلم. فهذا ما أعطاهم الفكر، حيث استعملوه في غير موطنه، وذهبوا به في غير مذهبه. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

(طلسم الخيال):

وأمّا الطلسم الثاني، وهو الخيال؛ فيجسّد المعاني، ويدخلها[2] في قالب الصور الحسّيّة. فهو طلسم أيضا على أهل الأفهام القاصرة، التي لا علم لها بالمعاني المجرّدة عن المواد؛ فلا تَشهدها، ولا يُشهدها إلّا صورا جسديّة. فيُحْرَمُ مَن حكم عليه طلسم الخيال، إدراكَ الأمور على ما هي عليه في أنفسها من غير تخيُّل. فهؤلاء لا يقبلون شيئا من المعاني، مع علمهم بأنّها ليست صورا جسديّة، إلّا حتى يصوّروها في خيالهم صورا، متحيّزة متميّزة؛ فيجمعون بين النقيضين. فأنتم تعلمون أنّها ليست صورا، ولا تقبلونها إلّا صورا.

فمن أراد رفع حكم هذا الطلسم، فإنّ الطلسم لا يرتفع أبدا من هذه النشأة؛ فإنّه وضعٌ إلهيّ. وكذلك جميع الطلسمات الإلهيّة لا ترتفع أعيانها، ولا ترتفع أحكامها، في الموضع الذي جعل الحقّ -تعالى- حكمها فيه. ولكن بعض الناس خرجوا بها عن طريقها، فذلك الحكم الذي أعطاه ذلك الخروج هو الذي يرتفع لا غيره، فاعلم ذلك.

فيرتفع صاحب هذا الطلسم، إذا أبصرَ الفكر قد دخل خزانة هذا الخيال مع الفكر، إذا انصرف خارجا من الخيال؛ فيصحبه إلى العقل ليشاهد المعاني مجرّدة عن الصور كما هي في نفسها. فأوّل ما يشهد من ذلك[3] حقيقةَ الفكر الذي صحبه إلى العقل، فيراه مجرّدا عن المواد التي كان الخيال يعطيه إيّاها؛ فيشكر الله، ويقول: "هكذا كنتُ أعلمه قبل أن أشهده، وما كان الغرض إلّا أن يوافق الشهودُ العلمَ" فإذا ارتفع إلى العقل، شاهده أيضا مجرّدا عن المواد في نفسه؛ فيحصل له أنس بعالَم المعاني المجرّد عن المواد.

فإذا تحقّق بهذه المشاهدة، انتقل إلى مشاهدة الحقّ الذي هو أنْزَهُ في التجرّد من المعاني،

١ [البقرة: ٢١٣]
٢ ص ١٤٧ب
٣ ص ١٤٨

فإنّه وإن تجرّدت المعاني المحدَثة، فما تجرّدتْ عن حدوثها وإمكانها. فيشاهد فيها صاحبُ هذا المقام عدمَها الأصليّ الذي كان لها، ويشاهد حدوثها، ويشاهد إمكانها؛ كلّ ذلك في غير صورة ماديّة. فإذا ارتقى إلى الحقّ، فأوّل ما يشاهد منه عينَ إمكانه؛ فيقع له عند هذا تحيُّرٌ فيه؛ فإنّه عَلِمَهُ (أنّه) غير ممكن. فيأخذ الحقُّ بيده، في ذلك، بأن يعرّفه أنّ الذي شاهده من الحقّ ابتداءً (إنما هو) عين الإمكان الذي يرجع إلى المشاهَد؛ وهو الذي يقول فيه: إنّه يمكن أن يُشهِدني الحقُّ نفسه، ويمكن أن لا يُشْهِدني. فهذا الإمكان هو الذي ظهر له من الحقّ في أوّل شهوده، فإنّه قد ترجّح له، بالشهود، أحدُ[1] الوجهين من الإمكان؛ فيسكن عند ذلك، وتزول عنه الحيرة.

ثمّ يتجلّى له الحقُّ في غير مادّة، لأنّه ليس عند ذلك في عالم الموادّ؛ فيعلم من الله على قدر ما كان ذلك التجلّي. ولا يقدر أحد على تعيين ما تجلّى له من الحقّ، إلّا أنّه تجلٍّ في غير مادّة لا غير. وسبب ذلك أنّ الله يتجلّى لكلّ عبد من العالَم في حقيقةٍ ما هي عين ما تجلّى بها لعبد آخر، ولا هي عين ما يتجلّى له بها في مجلى آخر؛ فلذلك لا يتعيّن ما تجلّى فيه، ولا ينقال.

فإذا رجع هذا العبدُ من هذا المقام إلى عالم نفسه، عالم الموادّ؛ صحبه تجلّي الحقّ. فما من حضرة يدخلها من الحضرات لها حكم، إلّا ويرى الحقَّ قد تحوّل بحكم تلك الحضرة، والعبد قد ضَبط منه أوّلا ما ضَبط؛ فيعلم أنّه قد تحوّل في أمر آخر؛ فلا يجهله بعد ذلك أبدا، ولا ينحجب عنه. فإنّ الله ما تجلّى لأحد فانحجب عنه بعد ذلك، فإنّه غير ممكن أصلا.

فإذا نزل العبد إلى عالم خياله، وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدة، وقد كان قبل ذلك عرفها علما وإيمانا؛ رأى الحقَّ في حضرة الخيال صورةً جسديّة؛ فلم ينكره، وأنكره العابر والأجانب. ثمّ نزل من عالَم الخيال إلى عالَم الحسّ والمحسوس؛ فنزل الحقُّ معه لنزوله؛ فإنّه[2] لا يفارقه. فشاهده صورةَ كلّ ما شاهده من العالَم، لا يخصّ به صورة دون صورة؛ من الأجسام والأعراض؛ ويراه عينَ نفسه، ويعلم أنّه ما هو عين نفسه ولا عين العالم. ولا يحار في ذلك؛ لما حصل له من التحقيق بصحبة الحقّ في نزوله معه من المقام الذي يستحقّه، ولا عالَم، ورآه

١ ص ١٤٨ب
٢ ص ١٤٩

يتحوّل في كلّ حضرة[1] بحسب حكمها.

وهذا مشهد عزيز؛ ما رأيت من يقول به من غير شهود، إلّا في عالم الأجسام والأجساد. وسبب ذلك عدم الصحبة مع الحقّ لمّا نزل من المقام الذي يستحقّه. فكأنّ القائلين به في عالم الأجسام والأجساد مقلّدون. ويُعرف ذلك من كونه لا يصحبهم ذلك، وتتوالى الغفلات عليهم. فإذا أحضروا نفوسَهم، حينئذ، يقولون بذلك. وصاحب الذوق لا غفلة عنده عن ذلك جملة واحدة؛ فإنّه معلوم عنده. والغفلة إنما تكون عن شيء دون شيء؛ لا تعمّ. فكلُّ ما يبقى، من الأمور، مشهود لصاحب الغفلة؛ فإنّ صاحب الذوق يشهد الحقّ فيما بقي له مشهودا في حال غفلته. ومَن ليس له هذا المقام ذوقا، يغفل عن (شهود) الحقّ بالأشياء، حتى يستحضره في أوقاتٍ مّا. فهذا هو الفارق بين أصحاب الذوق وبين غيرهم[2]، فلا تغالط نفسك.

وما رأيت أحدا من أهل هذا المقام، إلّا أنّه أخبرتني أهلي مريم بنت محمد بن عبدون، أنّها أبصرتْ واحدا، وصفتْ لي حالَهُ؛ فعلمتُ أنّه من أهل هذا الشهود. إلّا أنّها ذكرتْ عنه أحوالا تدلّ على عدم قوّته فيه وضعفه مع تحقّقه بهذا الحال ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

(طلسم العادات):

وأمّا الطِّلسم الثالث، وهو طِلسم العادات الحاكمة على النفوس الناطقة، لما حصل لها من الألفة بها، وتوقّف المنافع والمصالح عليها دائما لا يرتفع. فإذا أراد مَن أراد أن يرتفع عن حكم هذا الطِّلسم، إذ علِمَ أنّه لا يرتفع؛ فإنّ الأسباب المألوفة هي أوضاع إلهيّة؛ لا يمكن رفعها ولا دفعها؛ يرجع هذا الشخص إلى النظر في وجهه الخاصّ به، الذي لا أثر للسبب فيه؛ وهو خفيٌّ جدًّا. فيعمد إلى بابه؛ فيفتحه؛ ويُكثِرُ العكوفَ عليه. ويُحِسُّ بالأسباب تجذبه عنه، ليأخذ منها ما بيدها من الأمانات له، فلا يفعل، ولا يقبل ما تأتيه به. فإذا جاءه خاطرٌ أنّ ذلك سُوءُ أدب مع الله، فخذ ما أعطاك ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[4] وأنّ هذه الأسباب لا يمكن رفعها؛ فلا[1] تبطل

---

[1] ق: "صورة" وفي الهامش "حضرة" مع إشارة التصويب
[2] ص ١٤٩ب
[3] [الأحزاب : ٤]
[4] [الأعراف : ١٤٤]

حكمة الله في حقّك فتكون من الجاهلين. فلا يُصغ إلى هذا العتب ولا إلى هذا المعلِّم؛ فإنّه خاطر نفسيّ، ما هو خاطر إلهيّ. وليثبت على اعتكافه بالباب الخاصّ، وليقل لذلك المعلِّم: "إنّ الله قد نهى أن تؤتى البيوت من ظهورها، فلو كنتَ من الله لأتيتَ البيوت من أبوابها، وأنا بيت" لا يزيده على هذا.

فإذا أراده الحقُّ لذلك المقام، أدخل عليه ذلك السبب، بما عنده من الأمانة له، على باب ذلك الوجه الخاصّ الذي قد واجهه هذا العبد، واعتكف عليه؛ وذلك هو باب بيته. فإذا أعطاه ذلك السبب ما أعطاه؛ قَبِلَهُ منه؛ لأنّه ما جاءه إلّا من باب الوجه الذي يطلب الأمر منه، وقد أتى البيتَ هذا السببُ من بابه، وهذا هو المسمّى: خرق العوائد في العوائد. فإنّ العالَم لا يشهدون صاحب هذا المقام، إلّا آخِذا من الأسباب؛ فلا يفرّقون بينهم وبينه؛ فهو وحده يعرف كيف أخذ. وليس هذا المقام إلّا للملاميّة، وهم أعلى الطوائف؛ فإنّهم، في خرق العادة، في عين العادة. وبينهم، في المقام، ما بين المحجوب والمُشاهد، ولكن لا يشعرون.

وأصحاب خرق[2] العوائد الظاهرةِ ما لهم هذا المقام، ولا شمّوا منه رائحة أصلا، وهم الآخذون من الأسباب؛ فإنّ الأسبابَ ما زالت عنهم ولا تزول، ولكن خفيتْ. فإنّه لا بدّ لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسّيّة، هي سبب وجود عين ذلك المطلوب: فيغرف، أو يقبض بيده في الهواء؛ فيفتحه عن مقبوض عليه: من ذهب أو غيره. فلم يكن إلّا بسبب حركةٍ من يده، وقبضٍ. فما خرج عن سبب، لكنّه غير معتاد بالجملة. لكن القبض معتاد، وحركة اليد معتادة، وتحصيل هذا الذي حصل من غير هذا الوجه معتاد، وتحصيله من هذا الوجه غير معتاد؛ فقيل فيه: إنّه خَرْقُ عادة، فاعلم ذلك. فمن أراد رفع حكم طِلسم العادات، فليُعْمِل نفسه فيما ذكرناه؛ فلا تحكم عليه العوائد، وهو في العوائد غير معروف عند العامّة والخاصّة.

ومن علوم هذا المنزل: عِلمُ الإشارات والخطاب.

---

[1] ص ١٥٠
[2] ص ١٥٠ب

وفيه عِلمُ الدخَل بالشُّبَه على أصحاب الأدلّة.

وفيه عِلمُ الاسم الذي توجّه على الخلق بالإيجاد والتقدير. وعِلمُ[1] ما بين الإيجاد والتقدير من المدّة.

وفيه عِلمُ ترتيب الموجودات في الإيجاد بمرور الأزمان، وعلى مَن مرّت: هل على الموجد، أو على الموجودات؛ فيعلم من تقيّد بها؟ وهل كان ذلك التقييد بها اختيارا، أو شيئا لا بدّ منه؟

وفيه عِلمُ إذا توجّه الحقّ على إيجاد أمر مّا: هل في ذلك إعراض عن أمر آخر، أم لا؟

وفيه عِلمُ لماذا (=إلى ماذا) يستند الفكر في حكمه؟ وهل له سلطان إلهيّ يعضده حتى يستمسك بذلك أهل الأفكار، أم لا؟ وإن لم يشعروا بذلك، أو ربما أحالوه لو بيِّن لهم، وهو في نفس الأمر صحيح.

وفيه عِلمُ نزول الأمر الإلهيّ، ورجوعه إلى ما منه نزل، وكم مدّة ذلك من الزمان؟

وفيه عِلمُ ارتباط المسبِّب بالسبب -اسم فاعل بكسر الباء- وهل يصحّ فعل ذلك من الله من غير هذا السبب المعيّن، أو من غير سبب، أم لا؟

وفيه عِلمُ ارتباط العلم والرحمة والعزّة، مع[2] ما بين الرحمة والعزّة من التنافر.

وفيه عِلمُ الأعلى في الأنزل، وما ثَمّ عِلمُ الأنزل في الأعلى.

وفيه عِلمُ الأحسن في عالم الأمر والخلق، وبما هو أحسن، وما ثَمّ قبيح، ولا مفاضلة في الحسن؟

وفيه عِلمُ منزلة هذه النشأة الإنسانيّة على غيرها من النشآت، والعناية بها، مع كونها خُلقت لشقاء ولسعادة، وكان الأمر يقتضي أن لا شقاء؛ لما ظهر من العناية بها.

وفيه عِلمُ ما يتولّد عن هذا الإنسان في العالَم من الأمور.

---

١ ص ١٥١

٢ ص ١٥١ب

وفيه عِلمُ المساكن، وما قدّم منها وما أخّر؟ وما يتبدّل منها وما لا يتبدّل؟ وما يلحقه التغيير وما لا يلحقه التغيير؟

وفيه عِلمُ ما يختلف فيه نشأة الإنسان في الدارين، من حيث صورته الظاهرة، وما لا يختلف من نشأته في صورة روحه؟ أو لتلك النشأة الأخرى روح آخر، يخلقه الله لها بحسب استعدادها؟ وكيف هو الأمر في[1] نفسه، إذ قد وردت الإعادة؛ فما حقيقتها؟ وفي ماذا تكون؟ وهو علم غريب.

وفيه عِلمُ كون الحقّ لا يلقاه العبد إلّا بالموت، وهل هو لقاء خاص؟ أو ما ثَمّ لقاء إلّا بالموت؟

وفيه عِلمُ الموت، وبيد مَن هو؟

وفيه عِلمُ اختلاف العالَم: لماذا (=إلى ماذا) يرجع في صوره ونِحَلِه؟

وفيه عِلمُ التجديد الإلهيّ في الآخرة، مع كونها دار كشف للحقائق عند الناس، أو حكمها حكم الدنيا في بعض الأمور.

وفيه عِلمُ ما يردّك إلى مشاهدة حقيقتك، وأنّ في ذلك سعادتك.

وفيه عِلمُ حبّ الإنسان بالطبع، في أن يكون قيّوما مع ذلّه وافتقاره؛ ما الذي يدعوه إلى ذلك؟ ثُمّ اختلافهم في القيام؛ فمنهم من يقوم عبدا، ومنهم من يقوم سيّدا. والذي يقوم سيّدا؛ منهم من يقوم سيّدا بحجاب، ومنهم من يقوم سيّدا بكشف صحيح.

وفيه[2] عِلمُ ما لا يُعلم إلّا هناك.

وفيه عِلمُ أدنى الدنى، وأدنى الدنوّ؛ وما حقيقة هذا؟

وفيه عِلمُ اختلاف أسماء أهل الاستحقاق، مع وجود الاستحقاق.

---

١ ص ١٥٢

٢ ص ١٥٢ب

وفيه عِلْمُ الأولويّة.

وفيه عِلْمُ الحكم الإلهيّ يوم القيامة: بماذا يحكم ويفصل؟

وفيه عِلْمُ الاستبصار. وعِلْمُ ما ينفع من الخطاب. وعِلْمُ الفتح الإلهيّ. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

انتهى السفر الثالث والعشرون بانتهاء الباب، يتلوه السفر الرابع والعشرون، الباب الثالث والخمسون وثلاثمائة، في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسميّة حكميّة تشير إلى معرفة منزل السبب وما حقّه.

قل للإمام أبي إن كنت تأنس بي فإنّ أنسي بربّي لا بأشكالي

والحمد لله وحده.[2]

[1] [الأحزاب : ٤]

[2] كتب في الهامش: "قوبلت هذه المجلدة بالنسخة الأولى، وقبلها أربعة مجلدات عند (المطابقة؟) والحمد لله وحده، وصلواته على رسوله وصحبه، سنة تسع وثلاثين وستمائة". وأسفل المتن ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٧١

المحتويات

السفر الرابع والعشرون من الفتوح المكي[1]

[1] العنوان ص ١ب، ويليه بقلم الشيخ الأكبر: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي. رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه" يليه: "وقف هذا الكتاب مع ما بعده الشيخ المذكور أعلاه بخط المؤلف، رضي الله عنهما، في المكان والشرط المذكورين في أول الكتاب وآخره. تقبل الله منه ورضي عنه، آمين. فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم" وفي الصفحة ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٧٢، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٣٠٥ صحيفة. وفي الصفحة السابقة وهي الصفحة الداخلية للغلاف طابع دمغة برقم ١٨٦٨، وطابع آخر برقم ١٧٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل ثلاثة

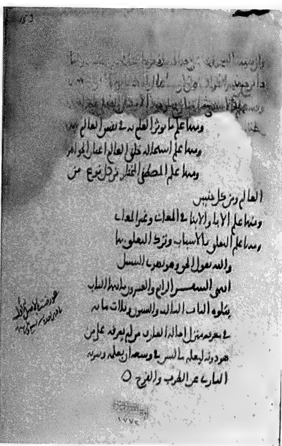
أسرار ظلمية ... تشير إلى معرفة

منزل ... وإدخاله وهو من الحضرة

المحمدية

[illegible]

الصفحة الثانية من مخطوط قونية


ومنها علم ما يورثه العلم به في نفس العالم
ومنها علم المصطفى المختار من كل نوع من
العالم ومن كل جنس
ومنها علم الآباء والأبناء في العادات وغير العادات
ومنها علم التعلق بالأسباب وترك التعلق بها
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الباب الثالث والخمسون وثلاثمائة

في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسميّة حكميّة

تشير إلى معرفة منزل السبب وأداء حقّه -وهو من الحضرة المحمديّة

قُلْ لِلإمامِ أَبي إنْ كُنتَ تأنَسُ بي ... فإنَّ أُنْسي بِرَبّي لا بِأَشْكالي

أُنْسي بِرَبّيَ لا بِالْوالِدَيْنِ وَلا ... بِالأَهْلِ إنَّ وُجودَ المِثْلِ أَمْثالي

مِنّي هَرَبْتُ ومِنّي اسْتَوْحَشَتْ خُلُقي ... فَكَيْفَ آنَسُ بِالماضي وبِالحالِ

وَكَيْفَ يُؤْنِسُني مَنْ لا يُناسِبُني ... وَلا يُناسِبُهُ شَيْءٌ مِنَ احْوالي

والمِثْلُ ضِدٌّ فَكَيْفَ الأُنْسُ يا سَكَني ... والعَقْلُ يَمْنَعُهُ فَالحالُ كالحالِ

لَمّا جَهِلْتُ الذي لا شَيْءَ يُشْبِهُهُ ... سِوايَ أَخْطَرْتُهُ جَهْلًا عَلى بالي

ما[2] لي أَقُولُ بِأَنَّ الحَقَّ يَطْلُبُني ... وَلَسْتُ أَعْرِفُهُ ما لي بِهِ ما لي

الأُنْسُ يَطْلُبُنا بِأَنْ يَقُومَ بِنا ... وَلَيْسَ يَأْنَسُ دُونَ الدُّونِ بِالعالي

قَدْ حِرْتُ فِيهِ وَإيحاشي يُلازِمُني ... وَلَسْتُ أَطْرُدُهُ إلّا بِآمالي

لا ذاقَ أُنْسًا حَكِيمٌ ما بَدَتْ مُثُلٌ ... لِعَيْنِهِ مِنْ عُلومٍ أَوْ مِنَ اعْمالِ

اعلم -أيّدك الله بروح منه- أنّ الله لمّا خلق النفس الناطقة المدبّرة لهذا الهيكل المسمّى إنسانا، سلّط عليه في هذا المزاج الخاص بهذه النشأة الدنياويّة ثلاثة أشياء، جعلها من لوازم نشأته (وهي): النفس النباتيّة، والنفس الشهوانيّة، والنفس الغضبيّة. فأمّا النفس النباتيّة والغضبيّة فيزولان في نشأة أهل السعادة في الجنان، ولا يبقى في تلك النشأة إلّا النفس الشهوانيّة، فهي لازمة للنشأتين، وبها تكون اللذّة لأهل النعيم.

[1] البسملة ص ٢
[2] ص ٢ب

وأمّا النفس النباتيّة فهي التي تطلب الغذاء لتجبر به ما نقص منه، فينمى به الجسم، فلا ينفكّ يتغذّى[1] دائمًا؛ فإمّا من خارج يُجلبُ إليها وهو المعبَّر عنه بالأكل، وإمّا من حيث شاء الله من غير تعيين. ولها أربعة وَزَعة: الجاذب، والماسك، والهاضم، والدافع.

فأمّا الجاذب فحُكمه أن ينقل الغذاء من مكان إلى مكان؛ فينقله من الفم إلى المعدة، ومن المعدة إلى الكبد، ومن الكبد إلى القلب وإلى سائر العروق وأجزاء البدن؛ فإنّه المقسِّم على جميع أجزاء البدن ما يحتاج إليه مما يكون به قُواها. ويساعده الدافع؛ فإنّه يدفع به من مكانه إذا رآه قد استوفى حقّه من ذلك المكان، وما بقي له فيه شغلٌ دَفَعَ به حتى لا يزاحم غيره إذا ورد؛ فهو يساعد الجاذب.

وأمّا الماسك فهو الذي يمسكه في كلّ مكان حتى يأخذ التدبير فيه حقّه، فإذا رأى أنّه وفّى؛ ترك يده عنه، فتولّاه الدافع والجاذب.

وأمّا الهاضم فهو الذي يغيّر صورة الغذاء، ويكسوه صورة أخرى حتى يكون على غير الصورة التي كان عليها. فإنّه كان على صورة حسنة، وذا رائحة طيّبة، فلمّا حصل بيده وغيّر صورة شكله، وكساه صورةً متغيّرةَ الريح مبدّدة النَّظْم، ولهذا سمّي هاضمًا من الاهتضام. ولكن وجود الحكمة (هو) في هذا الاهتضام؛ فإنّه لولا الهضم ما وُجد المقصود الذي قصده الغاذي بالغذاء؛ فظاهرُ الأمر[2] فساد، وباطنه صلاح. ولا يزال هذا الهاضم ينقله من صورة إلى صورة، والماسك يمسك عليه بقاءه، حتى يدبّر فيه ما يعطيه علمه، وما وُكّل به.

فإذا استوفياه، بحسب ذلك الموطن، تركاه، وأخذه الجاذب والدافع. فإذا أنزلاه، ونقلاه إلى المكان الآخر، ردّاه إلى الماسك وإلى الهاضم؛ فيفعلان فيه مثل ما فعلاه في المكان الذي قبله. ويفتح فيه صورا مختلفة؛ فيأخذه الجاذب والدافع؛ فيسلكان بتلك الصور طرقا معيّنة لا يتعدّونها، ما دام يريد الله إبقاء هذه النشأة الطبيعيّة. ولولا هؤلاء الوزعة ما تمكنت النفس

١ ص ٣
٢ ص ٣ب

النباتيّة من مطلوبها.

فإذا أراد الله هلاك هذه النشأة الطبيعيّة، طلبت النفس النباتيّة مساعدة الشهوة لها، حتى تنبعث النفسُ المدبّرة لجلب ما تشتهي فلم تفعل، وأضعفها الله باستيلاء سلطان الحرارة على محلّها، فضعفت كما يضعف السراج في نور الشمس؛ فيبقى لا حكم له. فتبقى النفس النباتيّة بحقيقتها تقول لوزعتها: لا بدّ لي من شيء أتغذّى به؛ فتتغذّى بأخلاط البدن وما بقي فيه من الفضول، ووزعتها قد ضعفوا أيضا مثلها. فلا تزال النشأة في نقص متزايد، والدافع يقوى[1]، والجاذب يضعف، وكذلك الماسك، إلى أن يموت الإنسان. ولولا هذا التدبير بهذه الآلات لهذه النشأة ما سمعتْ أذنٌ، ولا نظر بصرٌ، ولا كان حكم لشيء من هذه القوى الحسّيّة والمعنويّة.

وأمّا النفس الشهوانيّة فسلطانها في هذا الهيكل طلب ما يحسن عندها، ولا تَعرف: هل يضرّها ذلك، أو ينفعها؟ وهذا ليس إلّا في نشأة الإنسان.

وأمّا سائر الحيوان فلا يتناول الغذاء إلّا بالإرادة لا بالشهوة؛ ليدفع عن نفسه ألم الجوع والحاجة؛ فلا يقصد إلّا لما له فيه المنفعة. ويبقى حكم الشهوة في الحيوان، في الاستكثار من الغذاء؛ فمنه يدخل عليه الخلل. والإنسان يدخل عليه الخلل كذلك من الاستكثار مما ينفع القليل منه، ومن تناوله ما لا ينفعه أصلا، مما تطلبه الشهوة ويتضرّر به المزاج. فهذا الفارق بين الإنسان والحيوان في تناول الغذاء. فالنفس الشهوانيّة للنفس النباتيّة كما قيل:

إذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لَبِيْبٌ تَكَشَّفَتْ   لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيْقِ

فلها الصداقة مع النفس النباتيّة؛ لأنّها المساعدة لها على الغذاء وتناوله، وهي العدوّ؛ حيث تُدخل عليها من الأغذية[2] ما يضرّها ولا ينفعها. فمساعدتها للنفس النباتيّة إنما هو بالعرَض لا بالذات؛ فهي العدوّ اللازم الذي لا يمكن مفارقته ولا يؤمَن شرّه.

١ ص ٤
٢ ص ٤ب

وأمّا النفس الغضبيّة، وهي السَّبُعِيّة، فهي التي تطلب القهر لمّا رأت من شفوفها على سائر الحيوان بما أُعطيتْ من القوى والتمكن من التصرّف، وأبصرت العالَم مسخّرا لنشأتها ولمدبّرها، ورأت أنّ في الوجود عوارضَ تعرض اتّفاقيّة أو لأسباب تظهر؛ يمنعها، ذلك كلّه، من وصولها إلى أغراضها؛ فتغضب لعدم حصول الغرض. فإن كان لها سلطان قويّ مساعد: من همّة فعّالة، أو آمِرة من خارج لها بها إمضاءَ غضبها في المغضوب عليه؛ أهلكته، وأظهرت الانتقام منه، ولا تعرف ميزان الظلم والعدل في ذلك الانتقام والقهر؛ لأنّ ذلك ما هو لها، وإنما ذلك للعقل وناموس الوقت. ولذا أخطأ الشاعر[1] الذي قال:

الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فإنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

فلو قال: "القهر" بدلا من "الظلم" لقال الصحيح؛ فإنّ الظلم لا يأتي به إلّا الشرع؛ فمنه يُعرفُ؛ فليس للنفس إلّا القهر؛ حميّةً[2] جاهليّة. فإن صادفت الحقّ كانت حميّةً دينيّة. ولهذا يُحمد الغضب لله وفي الله، ويذمّ الغضب لغير الله وفي غير الله، وهذا من تدبير الحكيم[3] الحقّ؛ الذي رتّب الأمور مراتبها، وأعطى كلَّ شيء خلقَه؛ ليكون آية له لأُولي الألباب، ولسائر أهل الآيات من العالَم؛ إذ كانوا مختلفي المآخذ في ذلك، كما عدّدهم الله في كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4] وضمّ هذه الآيات كلّها في كتاب الوجود الذي ما فيه سِوَى البيان والرحمة، لا غير.

فكلّ ما ظهر في العالم -من جانب الحقّ، أو من معاملة بعضه بعضا- يناقض الرحمة، فأمر[5] عرضيّ في الكتاب أبان عنه البيان حيث هو ذلك العارض ما هو في نفس هذا الكتاب. فالكتاب رحمة كلّه، من حيث ذاته، وبيانٌ؛ فما جعله الله عذابا. فالله أكرم أن يعذّب خلقه عذابا لا ينتهي الأمر فيه إلى أجلٍ ضمّه وعيّنه بيان الكتاب، ثمّ يرجع الحكم للرحمة. هذا ما لا بدّ منه،

---

١ الشاعر هو أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ/٩١٥-٩٦٥م) والبيت من قصيدة طويلة مطلعها:
لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضا نظرت وخِلْتُ أني أسلم
٢ ص ٥
٣ ق: "الحكم" وفي الهامش "الحكيم"
٤ [فصلت : ٤٢]
٥ رسمها في ق يقترب من: "بأمر" وما أثبتناه من هـ، س

والله غفور رحيم.

ثمّ لتعلم أنّ الله أطلعني على حكم غريبٍ يتعلّق بالعالم الإنسانيّ. ولا أدري؛ هل له تعلُّق بما عدا الإنسان من العالم، أم لا؟ ما أطلعني الله على ذلك، ولا ينبغي لي أن أقول عن الله ما لا أعلم، الله يعصمني وإيّاكم[1] من ذلك. وهذا الحكم يظهر في العالم الإنسانيّ عند انقضاء كلّ ثلاثة آلاف عام من أعوام الدنيا، وهو عند الله يوم واحد؛ لا أدري لأيّ اسم إلهيّ يرجع هذا اليوم؛ لأنّي ما عُرِّفت به. غير أنّ الحقّ -تعالى- قسمه لي ثلاثة أثلاث، كلّ ثُلث ألف سنة، والألف سنة يوم واحد من أيّام الربّ. هو الذي أخبرني به ربّي. وهذه المدّة التي هي ثلاثة آلاف سنة، حكمها في الإنسان حكم بَدْءٍ وعَوْدٍ، وحياة وموت، كيف يشاء الله وحيث يشاء الله. غير أنّ الله لمّا رقَم لي هذا الأمر في درجي كلماتٍ وقفتُ عليها مشاهدة، جعل كلمةً بِفِضَّةٍ وكلمةً بذهب؛ على هذه الصورة رَقَمها؛ فعلمت أنّها أحوال وأحكام تظهر في الإنسان في الجنّة بمرور هذه المدّة المعيّنة.

وما أثّر -واللهِ-[2] عندي خبرٌ إلهيّ وَرَدَ عليّ، ما أثّر هذا من الجزع، والخوف المقلِق. فما سكّن روعي إلّا كون الكلمات من ذهب وفضة: الكلمة الذهبيّة، إلى جانبها الكلمة الفضيّة. ولمّا فرغ هذا الإلقاء الإلهيّ والتعريف الربّانيّ، وسكن عنّي ما كنت أجده من ألم هذا التجلّي في هذه الصورة، وسُرِّي عنّي؛ نظمت نظم إلهام لا نظم رويّة ما أذكُره:

لَنَا[3] حَبِيْبٌ نَزِيْهٌ لا أُسَمِّيْهِ وَهْوَ الحَبِيْبُ الذِي حارَ الوَرَى فِيْهِ
إنْ قُلْت: "هَذَا" فإنَّ الحَدَّ يَحْصُرُهُ أَوْ قُلْت: "هُوْ" فَكَلامٌ لَسْتُ أَدْرِيْهِ
كَيْفَ السبِيْلُ إلَى غَيْبٍ، وأَعْيُنُنَا فِي كُلِّ حِيْنٍ تَراهُ مِنْ تَجَلِّيْهِ
أَوْ قُلْت: "عِنْدكَ" جاءَ الظَّرْفُ يَطْلُبُهُ والظَّرْفُ حَقٌّ وَلَكِنْ لَيْسَ يَحْوِيْهِ

---

١ ص ٥ب
٢ لفظ الجلالة ثابت في الهامش بقلم آخر، مع حرف خ
٣ ص ٦

مـا إنْ رَأَيْتُ وُجُودًا لَسْتُ أَدْرِيهِ إلّا الذي أنا مَعْنًى مِنْ مَعانِيهِ
قَدْ حِرْتُ فِيْهِ وَحارَ الكَوْنُ فِيَّ وَكَمْ أُذْنايَ قَدْ سَمِعَتْ مِنْ قَوْلَةٍ فِيْهِ
هَذا الذي -وَجَلال الحَقِّ- أَمْرَضَهُ فَهَلْ لَهُ عِوَضٌ مِنْهُ فَيُشْفِيْهِ
هُوَ الشِّفاءُ، هُوَ الدَّاءُ، فَأَيْنَ أَنا العَيْنُ وَاحِدَةٌ وَكُلُّنا فِيْهِ[1]

ضمير "أمرضه" يعود على الكون.

واعلم أنّ لنا من الله الإلهام، لا الوحي؛ فإنّ سبيل الوحي قد انقطع بموت رسول الله ﷺ، وقد كان الوحي قبله، ولم يجيء خبرٌ إلهيّ[2] أنّ بعدَه وحيا، كما قال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[3] ولم يذكر وحيا بعده، وإن لم يلزم هذا. وقد جاء الخبر النبويّ الصادق في عيسى ﷺ، وقد كان ممن أوحي إليه قبل رسول الله ﷺ، أنّه (أي عيسى-) ﷺ لا يؤمّنا إلّا منّا، أي بسنّتنا. فله الكشف، إذا نزل، والإلهام؛ كما لهذه الأمّة.

ولا يُتخيل في الإلهام أنّه ليس بخبرٍ إلهيّ. ما هو الأمر كذلك؛ بل هو خبرٌ إلهيّ، وإخبار من الله للعبد على يد ملَك مغيّب عن هذا الملهَم. وقد يُلْهَم من الوجه الخاصّ. فالرسول والنبيّ يشهد الملَك، ويراه رؤية بصر عندما يوحي إليه. وغير الرسول يُحِسُّ بأثره، ولا يراه رؤية بصر؛ فيلهمه الله به ما شاء أن يلهمه، أو يعطيه من الوجه الخاصّ بارتفاع الوسائط وهو أَجَلُّ الإلقاء وأشرفه؛ وهو الذي يجتمع فيه الرسول والوليّ أيضا. فأصابع الرحمن للوجه الخاصّ، ولمّة الملَك للوجه المشترك.

والإلهام إلهامٌ إلهيٌّ أكثره لا واسطة فيه. فمن عرفه عرف كيف يأخذه، ومحلُّه النفس. قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ فالفاعلُ هويّته، فهو الملهِم لا غيره ﴿فُجُورَهَا﴾ ليُعلِمه، لا ليَعمل به ﴿وَتَقْوَاهَا﴾[4] ليُعلمه ويَعمل به؛ فهو إلهام إعلام، لا كما يظنّه مَن لا علم له، ولذلك قال: ﴿وَقَدْ

1 هذا البيت ثابت في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
2 ص ٦ب
3 [الزمر : ٦٥]
4 [الشمس : ٨]

خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1] والدَّسُّ إلحاقٌ[2] خفيٌّ بازدحام. فألْحَقَ العملَ بالفجور بالعملِ بالتقوى، وما فرّق في موضع التفريق؛ فجمع بينهما في العلم والعمل، والأمر ليس كذلك. وسببُ جهله بذلك أنّه رمى ميزان الشرع من يده. فلو لم يضع الميزان من يده لرأى أنّه مأمور بالتقوى، منهيّ عن الفجور، مبيَّنٌ له الأمران معا. ولمّا أضاف الله الفجور لها (أي للنفس) والتقوى، عِلمنا أنّه لا بدّ من وقوعهما في الوجود من هذه النفس الملهَمة. فكان الفجور لها (المقصود به هو) ما انفجر لها عن تأويل تأوّلته؛ فما أقدمت على المخالفة انتهاكا للحرمة الإلهيّة، ولا بتمكّن لها ذلك. وكان هذا من رحمة الله بالأنفس.

ولمّا كان الفجر فجرين: فجرٌ كاذب، وفجرٌ صادق؛ وهو الفجر المستطيل الكاذب؛ ألهمها تقواها. أي تتّقي، في فجورها، الفجر المستطيل؛ لأنّه يستطيل عليها بالأوّليّة؛ لتأخّر المستطير الذي يطير حكمه عنها. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ فتبيّن لها، بهذا الانفجار، ما هو المشكوك فيه من غير المشكوك ﴿وَتَقْوَاهَا﴾؛ وما تتّقي به ما يضرّها حكمه فيها. فلولا ما مكّنها مما تتّقي به، وهو المعنى الذي ألهمها لتتنبّه النفس على استعماله؛ فتفرّق ما بين الشبهة والدليل؛ فإنّ الله -سبحانه- كما لم يأمر بالفحشاء لم يلهم العبد العمل بالفحشاء، كما يراه بعضهم، ولو ألهمه العمل بالفحشاء لما قامت الحجّة[3] لله على العبد.

بل هذه الآية مثل قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[4] أي الطريقين بيّناهما له فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾[5] أي بيّنّا له ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ فيعمل في السبيل بمقتضاه: إن كان نهي انتهى، وإن كان أمر فعل ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ يقول: يستر على نفسه؛ فيخادعون أنفسهم؛ فإنّه ما ضلّ أحد إلّا على علم؛ فإنّ بيان الحقّ ليس بعده بيان؛ ولا فائدة للبيان إلّا حصول العلم. ثمّ يستره العالم به عن نفسه لغرض يقوم له؛ فتقوم الحجّة لله عليه؛ فالإلهام إعلامٌ إلهيّ. فمن زكّى نفسه بالتقوى؛ فاتّقى

1 [الشمس : ١٠]
2 ص ٧
3 ص ٧ب
4 [البلد : ١٠]
5 [الإنسان : ٣]

من الفجور ما ينبغي أن يُتّقى منه، وأخذ منه ما ينبغي أن يؤخذ منه. ومَن دَسّ نفسه في موضع، قيل له: لا تدخل منه فقد خاب.

فمن أراد طريق العلم والسعادة؛ فلا يضع ميزان الشرع من يده نَفَسًا واحدا، فإنّ الله بيده الميزان لا يضعه؛ يخفض القسط ويرفعه؛ وهو ما هو الوجود عليه من الأحوال. فلو وضع الحقُّ الميزانَ من يده؛ لفني العالم دفعة واحدة عند هذا الوضع. وكذلك ينبغي للمكلَّف، بل للإنسان، أن لا يضع الميزان المشروع من يده ما دام مكلَّفا. لأنّه إن وضعه من يده نفسا واحدا؛ فني الشرع كلّه، كما فني العالم؛ لو وضع الحقّ الميزان من يده. فإنّ كلّ حركة -في المكلَّف ومن المكلّف- وسكونٍ[1]، لميزان الشرع فيه حكمٌ، فلا يصحّ وضعه مع بقاء الشرع؛ فهذا الميزان له من كونه مكلَّفا.

وأمّا الميزان الآخر الذي لا ينبغي أن يضعه الإنسان، لا من كونه مكلَّفا، بل هو بيده دنيا وآخرة، فذلك هو ميزان العلم؛ الذي ميزان الشرع حُكمٌ من أحكامه. وهو مثل الميزان الذي بيد الحقّ؛ فبه يشهد وزن الحقّ. فنسبته إلى ميزان الحقّ نسبةُ شخصٍ بيده ميزان، وشخص آخر بيده مِرآة. فرأى في مرآته التي في يده: صورةَ ذلك الميزان، والوزّان، والوزن؛ فعلِم صورة الأمر مِن شهوده في وجوده. وكان هذا الأمر من ورائه غيبا له؛ لولا المرآة ما شهده. فأضاف ما رآه في مرآته إليه، لكون مرآته ليس غيره. فالغيب الذي يَزِن، والوزن والميزان حضرة الحقّ، والمرآة حضرة الإنسان. فالوزن لله -تعالى-، والشهود لمن كانت نفسُه مِرآة؛ فهو السعيد الصادق.

وإنما كشف الله هذا السرّ، لمن كشفه، ليرى في مرآته صورةَ الخلق الإلهيّ، وكيف صدور الأشياء، وظهورها في الوجود من عنده؛ وهو قول أبي بكر الصدّيق ﷺ: "ما رأيت شيئا إلّا رأيت الله قبله" فيرى من أين صدر ذلك الشيء؛ فيكون صاحبُ هذا[2] الكشف خلّاقا، وهو الذي أراده الحقُّ منه بهذا الكشف؛ بل يُعلم أنّه خلّاق من هذا الكشف، ولم يزل كذلك وهو

١ ص ٨
٢ ص ٨ب

لا يشعر. فأفاده هذا الكشفُ العلمَ بما هو الأمر عليه، لا أنّه بالكشف صار خلّاقا. فأمره الله، عند ذلك، أن يعطي كلّ شيء حقّه من صورته، كما أعطاه الله خلقَه في صورته؛ فلا تتوجّه عليه مطالبة لمخلوق، كما لا يتوجّه على الحقّ -تعالى- مطالبة لمخلوق. هذا أعطاه ذلك الكشفُ من الفائدة.

فإذا أقامه الحقّ -تعالى- في فعلٍ من أفعاله[1]؛ المأمور بها أو المحجور عليه فيها؛ نظر إلى ما لها من الحقّ قِبَله؛ فوفّى ذلك الفعل حقّه. فإن كان من الأمور المأمور بفعلها؛ أعطاها حقّها في نشأتها حتى تقوم: سويّةَ الخَلق، معدَّلة النشء؛ فلم يتوجّه لذلك الفعل حقٌّ على فاعله. فلله الخلق، وللعبد الحقّ. فالحقّ ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾[2]، والخَلق أعطى كلّ شيء حقّه؛ فدخل الحقّ في الخلق، ودخل الخلق في الحقّ في هذه المسألة. وإن كان من الأمور المنهيّ عنها؛ فحقُّها على هذا العبد أنّه لا يوجِدها، ولا يُظهر لها عينا أصلا. فإن لم يفعل فما وفّاها حقّها، وتوجّهت عليه المطالبة لها؛ فلم يعطِ كلّ شيء حقّه؛ فلم يقم في الحقّ مقام الحقّ في الخلق؛ فكان محجوجا. فهكذا ينبغي[3] أن تُعرف الأمور، والأوامر الإلهيّة.

وصورة التروك في الجناب الإلهيّ، هو الذي لم يوجَد من أحد الممكنين؛ لوجود الآخر المرجّح وجوده؛ فهو من حيث أنّه لم يوجَد تَرْكٌ له. وهذه مسألة نبّهناك عليها لِعلمنا أنّك ما تجدها في غير هذا الكتاب؛ لأنّها عزيزة التصوُّر، قريبة المتناوَل لمن اعتنى الله به؛ تعطي الأدب مع الله، وحفظ الشريعة على عباد الله. وهي من الأسرار المخزونة عند الله، التي لا تظهر إلّا على العارفين بالله، ولا ينبغي كتمها عن أحد من خلق الله. فإن كتمها العالِم بها فقد غشّ عبادَ الله و«من غشّنا فليس منّا» أي ليس مِن سُنّتنا الغشّ. ولمّا وقفنا على هذه المسألة في كتاب "الرحمة الإلهيّة"، الذي هو مسرح عيون قلوب العارفين، شكرنا الله -تعالى- حيث رفع الغطاء وأجزل العطاء؛ فله الحمد والمنّة.

١ ق: "الأفعال" وفي الهامش بقلم الأصل: "أفعاله"
٢ [طه : ٥٠]
٣ ص ٩

وإذا أقام العبد صورة ما ذكرناه من كونه خلّاقا، تعيَّن عليه -من تمام الصورة الإلهيّة التي هو عليها- أن يحفظ على ما أوجده صورتَه ليكون له البقاء، أعني لذلك الموجود عنه؛ فدفعه لمن يحفظ البقاء عليه، وهو الله، فاتّخذه وكيلا في ذلك الأمر وأمثاله، عن أمر ربّه، فلا يُنسب إلى سوء الأدب في ذلك. فالعبد في كلّ نفَس مشغول[1] بِخَلقِ ما أُمر بخلقه. والحقّ، بتوكيل هذا العبد له، قائم بحفظ ما خلقه بإذن ربّه في الخلق والتوكيل. وهذا علم دقيق إلهيّ، وهو رَدُّ الحفظ إلى الله بحكم الوكالة عن أمر الله، وإيجاد الأشياء عن العبد بأمر الله.

فلم يزَل هذا العبد، في كلّ حال، تحت أمر الله. ومَن لم يزَل تحت أمر الله في جميع أحواله، لم يزَل عبدا لله في شهوده أبدا دائمًا: دنيا وآخرة، فإنّه له النشء حيث كان في الأُولَى والآخرة عن أمر الله. قال -تعالى- في حقّ عيسى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِي﴾[2] وكذلك أمر المكلَّف بالعمل، فما عمل إلّا بإذن الله. وموطن هذا العبد واستقراره، إنما هو عند ربّه من حيث هو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[3] وهو الآخرة التي هي خير وأبقى، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[4] وهو عطاء "كُنْ" في الظاهر العين، كما هو له في الباطن.

فإنّ الإنسان له في باطنه قوّة "كُنْ" وما له منها في ظاهره إلّا المعتاد، وفي الآخرة يكون حكم "كُنْ" منه في الظاهر. وقد يعطى لبعض الناس في الدنيا، وليس لها ذلك العموم. فمِن رجال الله مَن أخذ بها، ومِن رجال الله من تأدّب مع الله فيها، لعلمه أنّ هذا ليس بموطن لها، ولا سيما وقد رأى الأكابر، الذين[5] لا خلاف في تقدّمهم عليه وعلينا، قد قيل له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[6] وقيل له: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[7] لأنّه إذا أسلم فليس من أهل النار. فلمّا

١ ص ٩ب
٢ [المائدة : ١١٠]
٣ [طه : ٧٣]
٤ [الضحى : ٤ ، ٥]
٥ ص ١٠
٦ [القصص : ٥٦]
٧ [الزمر : ١٩]

رآها رجالُ الله غيرَ عامّة الحكم في هذه الدار؛ جعل حكم ما تعمّ حكم ما لا تعمّه؛ فترك الكلّ إلى موطنه. وهذه حالة الأدباء، العلماء بالله، الحاضرين معه على الدوام.

فالأديب خلّاق في هذه الدار: بالعمل، لا بـ"كُنْ"؛ بل بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليعصم بـ"بسم"[1] في عمله من مشاركة الشيطان، حيث أمره الله بالمشاركة في الأموال والأولاد؛ فهو (أي الشيطان) ممتثلٌ هذا الأمر الإلهيّ، حريص عليه. ونحن مأمورون باتّقائه في هذه المشاركة؛ فطلبنا ما نتّقيه به؛ لكونه غيبا عنّا لا نراه؛ فأعطانا الله اسمه. فلمّا سمّينا اللهَ على أعمالنا، عند الشروع فيها، توحّدنا بها، وعصمنا من مشاركة الشيطان؛ فإنّ الاسم الإلهيّ هو الذي يباشره، ويحول بيننا وبينه. وإنّ بعض أهل الكشف ليشهدون هذه المدافعة، التي بين الاسم الإلهيّ من العبد في حال الشروع وبين الشيطان. وإذا كان العبد بهذه الصفة؛، كان على بيّنة من ربّه، وفاز ونجا من هذه المشاركة، وكان له البقاء في الحفظ والعصمة في جميع أعماله وأحواله.

وهذا المنزل يحوي على علوم، منها[2]:

عِلْمُ الفرق بين الدليل والآية، وأنّ صاحب الآية هو الأَوْلَى بِنسبة الحكمة إليه وبالاسم الحكيم من صاحب الدليل؛ فإنّ الآية لا تقبل الشبهة، ولا تكون إلّا لأهل الكشف والوجود، وليس الدليل كذلك.

وفيه عِلْمُ الاختراع الدائم، ولا يكون في الأمثال إلّا فيما تميّز به بعضها عن بعض؛ ذلك القدر هو حكم الاختراع فيها، وما وقع فيه الاشتراك فليس بمخترَع، فافهم.

وفيه عِلْمُ الخواصّ.

وفيه عِلْمُ السبب الذي لأجله لا يَرفع العالِم بما عِلمه رأسا مع تحقّقه أنّ ذلك الموضع له يضرّه.

١ "ليعصم ببسم" كتب في الهامش مقابلها: "ليسلم" مع إشارة التصويب
٢ ص ١٠ب

وفيه عِلْمُ الفرق بين قول الإنسان في الشيء نعم -بفتح العين وبين كسرها- وأين يقول ذلك؟ وأين يقول لا، وبلى؟

وفيه عِلْمُ تميُّز الجنّات بعضها مِن بعض: هل هو تميّز حالات في جنّة واحدة؟ أو تميّز مساحات؟ فإنّ كلّ اسم جاءنا للجنّات تستحقّه كلّ جنّة إن كان التميّز بالمساحات، فكلّ جنّة لا نشكّ أنّها: جنّة مأوى، وجنّة عدن، وجنّة خُلد، وجنّة نعيم، وجنّة فردوس؛ وهي واحدة العين، وهذه الأحكام لها. ولو تميّزت بالمساحات فلا بدّ من حكم هذه الأسماء لها.

وفيه[1] عِلْمُ الفرق بين الخلود، والتأبيد، والتسرمد، وعدم الخروج.

وفيه عِلْمُ الفرق بين الوعد والوعيد، بالمشيئة في أحدهما دون الآخر. ولماذا قَبِل الوعيدُ المشيئةَ دون الوعد، وكلاهما إخبار إلهيّ؟ وأين وجود الحكمة في ذلك؟

وفيه عِلْمُ السماء: هل هي شبه الأكرة؟ أو شبه الخيمة؟ أو هل هي أكرة في خيمة؟ أو خيمة في أكرة؛ فتدور الأرض لدورانها؟ وهل السماء ساكنة، أو متحرّكة؟ فإنّ الشهود يعطي جميع ما ذكرناه، وما بقي إلّا علم ما هو الأمر في نفسه، من غير نظر إلى شهود: هل هو كما يقضي به شهودُ كلّ شاهد؟ أم ليس كذلك؟

وفيه عِلْمُ جود الزوجين، وبماذا تكرّم كلّ واحد من الزوجين على صاحبه: هل هو بما هو محتاج إليه كلّ واحد[2] منهما؟ أم قد يكون بما لا حاجة فيه؟ فلا يفرّق بين العيْنين وبين أهله؟

وفيه عِلْمُ مَن لم يدّعي الألوهة: هل له خُلُق، أم لا؟ فإنّ المدّعي الألوهة لا خُلُق له ألبتّة، في حال دعواه، فإذا فارق الدّعوى كان حكمه حكم سائر الموجودات التي ليست لها هذه الدّعوى.

وفيه عِلْمُ حكم مَن اتُّخِذَ إلها من غير دعوى منه، بل هو في نفسه عبدٌ، غير راض بما نُسب

١ ص ١١

٢ "من الزوجين.. واحد" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

إليه، وعاجز عن إزالة ما ادُّعي فيه، وأنّه[1] مظلوم حيث سَلب عنه هذا المدّعي ما يستحقّه؛ وهو كونه عبدا؛ فظلمه؛ فينتصر الله له، لا لنفسه؛ فاتّخاذ الشريك من مظالم العباد.

وفيه عِلْمُ الحكمة؛ ما هي؟

وفيه عِلْمُ إلحاق ما ليس بنبيّ مشرّع، بالأنبياء في الرتبة العِلميّة بالله -تعالى-.

وفيه عِلْمُ الوصايا والآداب الإلهيّة النبويّة الموحَى بها والملهَمَة إليها.

وفيه عِلْمُ الأخذ بالأوّل[2] والمبادرة إليه.

وفيه عِلْمُ ما يدخل تحت القدرة الحادثة، مما لا يدخل.

وفيه عِلْمُ ما لا بدّ منه.

وفيه عِلْمُ الفرق بين الصوت، والحرف، والكلام، والأفهام.

وفيه عِلْمُ النِّعم الجليّة والخفيّة، والعامّة والمقصورة.

وفيه عِلْمُ نجاة استناد الناظر ولو كان شبهة.

وفيه عِلْمُ مَن ينبغي أن تلحق به المذامّ من العالَم؟

وفيه عِلْمُ الفرق بين مَن رجع إلى الله عن كشف، وبين مَن رجع إليه عن غير كشف.

وفيه[3] عِلْمُ المتقدِّم والعاقب، وهو واحد.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن لا يؤبه بالجهل به.

وفيه عِلْمُ ما لا يمكن الجهل به.

١ ص ١١ب

٢ ق: "بالأولى" وصححت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

٣ ص ١٢

وفيه عِلْمُ الوقت الذي يتعيّن فيه الثناء الجميل، وعلى ماذا يتعيّن؛ والأحوال كلّها تطلبه والأزمان؟

وفيه عِلْمُ ما يقع به الاكتفاء من الثناء؛ فلا يقبل المزيد.

وفيه عِلْمُ حكم الكثير حكم الواحد عند الواحد، واستناد الكثير إلى الكثير، واستناد الكثير إلى الواحد.

وفيه عِلْمُ التناكح للتناسل ولغير التناسل، وما هو الأعلى منهما؟

وفيه عِلْمُ ما يَشترك فيه الحقّ والباطل؟ وليس ذلك إلّا في الخيال.

وفيه عِلْمُ ما هو علم وليس بعلم.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

١ [الأحزاب : ٤]

الباب الرابع والخمسون وثلاثمائة
في معرفة المنزل الأقصى السرياني
وهو من الحضرة المحمديّة

مَعْدِنُ[1] الآياتِ فِي العَجَمِ ... وجِمَاعُ الخَيْرِ فِي الكَلِمِ

فِطْرَةُ الرَّحمنِ تَطْلُبُنِي ... بِصُنُوفِ الحُكْمِ والحِكَمِ

فَلْتَكُنْ فِي رَأْسِ مَرْقَبَةٍ ... كِشِهابٍ لاحَ فِي عَلَمِ

فَهُوَ المُزجِي سَحَائِبَهُ ... فِي غَمَامِ النُّورِ والظُّلَمِ

واتَّبِعْ ما أَنْتَ طالِبُهُ ... وارْتَفِعْ عَنْ مَوْضِعِ التُّهَمِ

هَذِهِ وَصِيَّةٌ صَدَرَتْ ... مِنْ حَدِيْدِ الطَّرْفِ غَيْرِ عَمِ

اعلم -أيّدك الله بروح منه- أنّ التبرئةَ[2] في العبد نظيرُ التنزيه في الحقّ سَوَاء. فمن نزّه الحقّ عند أداء ما أوجب الله عليه من العبادات، في العهد الذي أخذه عليه عقلا وشرعا، أشرك الله نفسه مع عبده في هذا الحكم، بما أوجبه على نفسه له، بما كتبه على نفسه من الرحمة[3] به والوفاء بعهده، وبرّأه عن أداء ما أوجب عليه؛ بأن كشف له عن قيام الحقّ عنه فيما كلّفه من العمل الذي كان أهل الحجاب ينسبونه إليه ويقولون: إنّ فلانا من ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[4] ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ﴾[5] لهذه البراءة ﴿وَجِيهًا﴾؛ فقالوا عند هذا الشهود بنور الإيمان: "لا فاعل إلّا الله" فقالوا قولا سديدا. وبمثل هذا القول أمر الله عباده المؤمنين أن يقولوه، فإذا قالوه أصلح لهم أعمالهم، وغفر لهم ذنوبهم ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[6]. فالسعيد (هو) من حال الله بينه وبين ربوبيّته، وأقامه عبدا في جميع أحيانه:

١ ص ١٢ب
٢ س، هـ: التنزيه
٣ ص ١٣
٤ [الرعد : ٢٠]
٥ [الأحزاب : ٦٩]
٦ [الأحزاب : ٧١]

يخاف ويرجو إيمانا، ولا يُخاف ولا يُرجى عيانا.

إنّما العَبْدُ مَنْ يَخافُ ويَرْجُو	لَيْس بِالعَبْدِ مَنْ يُخافُ ويُرْجَى
ولِهَذا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يُوَقَّى	وَلِهَـذا عَـنْ كُلِّ فِعْـلٍ يُـرَجَّى
فَـتَراهُ بِـكُلِّ وَجْـهٍ سَـعِيْدًا	وإذا زَلَّ بِالقَضَـاءِ يُنَجَّـى
يُحْشَرُ العَبْدُ فِي الوُفُودِ إِلَيْـهِ	فَـإِذا لَـمْ يَكُـنْ بِعَبْـدٍ فَـيُرْجَى
فَـإِذا[1] مـا نَجَـا الذِي يَتَّقِيْـهِ	فـالذِي قـامَ فِي المَعارِفِ أَنْجَى
كُلُّ مَنْ تُدركُ الحَقائِقُ مِنْهُ	مـا لَدَيْـهِ مِمَّـا لَهـا فَمُنَجَّـى

اعلم -أيدك الله- أنّ العالِم عند الله مَن عَلِمَ عِلم الظاهر والباطن، ومَن لم يجمع بينهما فليس بعالم خصوصيّ ولا مصطفى؛ وسبب ذلك أنّ حقيقة العلم تمنع صاحبَها أن يقوم في أحواله بما يخالف علمه. فكلّ من ادّعى علما، وعمل بخلافه في الحال الذي يجب عليه عقلا وشرعا العملَ به، فليس بعالِم، ولا ظاهر بصورة عالِم. ولا تغالط نفسك؛ فإنّ وبال ذلك ما يعود على أحد إلّا عليك.

فإن قلت: قد نجد مَن يعلم، ولا يرزق التوفيق للعمل بعلمه؛ فقد يكون العلم ولا عمل. قلنا: هذا غلط من القائل به؛ لتعلم أنّ مسمّى العلم ينطلق اسمه على ما هو علم وما ليس بعلم؛ فإنّ الله -تعالى- يقول: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[2] فأعْلَمنا أنّهم عملوا بما علموا. ولكن لا أريد بالعلم إلّا ما[3] حصل عن مشاهدة المعلوم، فإن حصل عن دليل فكري فليس بعلم حقيقي؛ وإن كان في نفس الأمر علما، كما قال النبيّ ﷺ حين ذكر سورة في القرآن ولم يسمّها؛ ليختبر أصحابه. فوقع في نفس بعض أصحابه أنّها ربما تكون الفاتحة؛ فأخبر النبيّ ﷺ أنّها الفاتحة، ولم تقع للصاحب على جهة القطع. فقال له رسول الله ﷺ

١ ص ١٣ب
٢ [النجم: ٢٩، ٣٠]
٣ ص ١٤

حين أخبره بما وقع له: «ليهنِكَ العلم» فهو عِلْمٌ في نفس الأمر، لا عند هذا الصاحب الذي وقع له ذلك.

فلمّا كان هذا، لذلك ذهب من ذهب، إلى القول بالعمل بخلاف العلم مع وجود العلم. والصحيح، إذا اختبرته وبحثتَ عليه، وجدتَ الحقّ فيما ذهبنا إليه. ولهذا قال رسول الله ﷺ لمن فهم عنه: «إنّ الله إذا أراد إمضاء قضائه وقدره؛ سَلَبَ ذوي العقول عقولهم، حتى إذا أمضى فيهم قضاءه وقدره ردّها عليهم ليعتبروا» وليس سِوَى ذهاب العلم عنهم، والاعتبارُ عملٌ أوجبه العلم. فهذا عينُ ما ذهبنا إليه. قال -تعالى- في حقّ قوم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعملوا بما علموا ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[1] فلم يعملوا لها؛ فإنّه[2] أغفلهم عنها؛ فنسوا آخرتهم؛ فتركوا العمل لها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3].

قال -تعالى- آمِرًا: ﴿وَذَكِّرْ﴾، يعني بالعلم، مَن غفل عنه أو نسيه ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وهم الذين علموا ما ثَمّ بنور الإيمان كشفا، ثمّ إنّهم غَفَلُوا؛ فحِيل بينهم وبين ما علموه من ذلك، وكان المشهود لهم ماكانوا له عاملين في وقت نسيانهم فإذا ذُكِّروا تذكّروا، وقام لهم شهود ما قد كانوا علموه؛ فنفعتهم الذِّكرى؛ فعملوا بما علموا؛ فشهد الله أنّ ﴿الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فإذا رأيت من يدّعي الإيمان، ويُذَكَّر؛ فلا يقع له نفعٌ بما ذُكِّر به؛ علمتَ أنّه -في الحال- ليس بعالِم بما آمن به؛ فليس بمؤمن أصلا؛ فإنّ شهادة الله حقّ؛ وهو صادق؛ وقد أعلمنا أنّ المؤمن ينتفع بالذِّكرى؛ وشهدنا أنّ هذا لم ينتفع بالذِّكرى؛ فلا بدّ أن نزيل عنه الإيمان؛ تصديقا لله. ولا معنى للنفع، إلّا وجود العمل منه بما علِم. وما نرى أحدا يتوقّف بالعمل[5] فيما يزعم أنّه عالم به، إلّا وفي نفسه احتمال، ومن قام له في شيءٍ احتمالٌ؛ فليس بعالم به، ولا بمؤمن بمن أخبره بذلك؛

١ [الروم: ٧]
٢ ص ١٤ب
٣ [ق: ٣٧]
٤ [الذاريات: ٥٥]
٥ ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

إيمانا يوجب له العلم. مع أنك لو سألته لقال: "ما نشكّ في أنّ ما جاء به[1] هذا الشخص حقّ" يعني الرسول ﷺ "وأنا به مؤمن" فهذا قولٌ ليس بصحيح، إلّا في وقت دعواه عند بعض الناس. ثُمّ إذا خلا بفكره قامَ معه الاحتمال. فكان ذلك الذي تخيَّلَ أنّه عِلْمٌ (إنما هو) أَمْرٌ عرَض له.

وبعضهم لا يزول عنه الاحتمال، في وقت شهادته، أنّ هذا حقٌّ صريح، مع وجود الاحتمال. وسبب هذه الشهادة بذلك: أنّ الأمر إذا كان يحتمل أن يكون صدقا، ويحتمل أن يكون كذبا؛ فيجلّي له في الوقت صِدْقُ وُدِّه وتصديقُه لذلك الذي هو به مؤمن، أحد محتملات ذلك الخبر، وهو كونه صدقا. هذا هو المشهود له في ذلك الحال، فيقطع في ذلك الوقت بصدقه، وبأنّه لا يشكّ فيه، وما علم أنّ ذلك من تجلّي أحد محتملاته. فإذا غاب عنه ذلك الواردُ، قامت معه المحتملات على السَّوَاء، فلم يترجّح عنده ذلك إلّا بطريق الظنّ، لا بالعلم. فانظر -يا أخي- ما أخفى غوائل النفس، وما أعظم حجاب الجهل، مع كونه عدما؛ فكيف بنا لو كان وجودا؟ فللّه الحمد والمنّة.

وإنما نبّهناك على هذا لتعلم حظَّك من الإيمان ومنزلتك؛ فإنّ النبيّ ﷺ يقول في الحديث الصحيح عنه: «لا يزني الزاني حين يزني[2] وهو مؤمن» أي مصدّق بالعقاب عليه؛ فإنّه -تعالى- قد يغفر. وإنّ الإيمان إذا لم يعطِ الكشف الذي يعطيه العلم؛ فليس بإيمان. فاعلم أنّ العلم يعطي العمل من خلف حجابٍ رقيق. وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ في «الزاني إذا زنى، خرج عنه الإيمان حتى صار عليه كالظّلّة» ولنا فيه تأويل حسن؛ وهو أنّ الزاني قد تعرّض لبلاء من الله ينزل عليه؛ فيخرج الإيمان حتى يصير عليه كالظّلّة يمنع نزول ذلك البلاء عليه إن نزل. فلا تغفل -يا وليّ- عن هذا القدر الذي نبّهتُك عليه.

ألا ترى الله -تعالى- ما نصبَ الآيات وكثّرها؛ إلّا ليحصل بها العلم؛ لِعلمه أنّ العِلمَ، إذا

[1] ص ١٥
[2] ص ١٥ب

حصل، لزم العمل؟ ألا ترى إلى شارب الدواء، وهو عملٌ، ما شربه وتجرّع مرارته إلّا لعلمه أنّ ثَمّ دواءً مزيلا لهذه العلّة التي يشكو منها؛ فيقول: عسى- يكون ذلك الدواء عينَ هذا الذي شربتُه؛ فشَربه بالإمكان والترجّي؛ فكيف به لو علم أنّه عين الدواء؟ بلا شكّ؛ لسارع إليه. فهذا حاله مع الترجّي والإمكان.

فإن قلتَ: فقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ في حقّ ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[1]؟ قلنا: إنّ الإله له القوّة في المألوه، وإله هذا[2] هو هواه؛ فحَكم عليه فأضلّه عن سبيل الله. وأمّا قوله: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ يعني مِن أنّه أضلّه الله على علم، لا أنّ الضالّ على علم؛ فإنّ الضالّ هو الحائر الذي لا يعرف في أيّ جهة هو مطلوبه؛ فمتعلَّق ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ أضلّه؛ وهو العامل فيه؛ وهو فعل الله -تعالى-.

والذي على الله إنما هو البيان خاصّة. قال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾[3] أي: ليحيّر قوما، بعد إذ[4] هداهم في أخذ الميثاق والفطرة التي ولدوا عليها ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ فإذا أبان لهم حيّرهم. فمنهم مَن حيّره بالواسطة؛ فشكّ في النبوّة وجار فيها، وما تحقّق أنّ هذا نبيّ؛ فتوقّف في الأخذ عنه. ومنهم مَن حيّره في أصل النبوّة: هل لها وجود، أم لا؟ ومنهم مَن حيَّره فيما جاء به هذا النبيّ مما تحيله الأدلّة النظريّة. فأورثهم البيانُ الإلهيّ هذه الحيرة؛ وذلك لعدم الإيمان؛ فلم يكن لهم نورُ إيمان يكشف لهم عين[5] حقيقة ما قاله الله وأبان عنه ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ هنا من إيمانه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[6] في القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[7] فعمل بما علم: فما علم أنّه يكون كوّنه، وما علم أنّه لا يكون لم يكوّنه؛ فكان عمله بعلمه. قل ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[8] والإنزال[1] عمل أوجده العلم. فلمّا أبان الحقّ ما أبانه لعباده؛

[1] [الجاثية : ٢٣]
[2] ص ١٦
[3] [التوبة : ١١٥]
[4] ق: "أن" وعليها إشارة التغيير بما أثبته في الهامش: "إذ"
[5] ق: "عن" وعليها إشارة التغيير بما أثبته في الهامش: "عين"
[6] [النور : ٤٠]
[7] [الأنفال : ٧٥]
[8] [النساء : ١٦٦]

فمنهم مَن رزقه الله العلمَ؛ فعمِل به، ومنهم مَن حرمه الله العلم؛ فَضَلَّ، وحار، وشكّ وارتاب، وتوقّف.

وأمّا قوله -تعالى-: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[2] فإنّهم مصدّقون بكتابه، وهذا النعت فيه، وقد أبصروه؛ فيعلمون أنّه عين هذا النعت. لا يعرفون الشخص الذي قام به هذا النعت؛ لجواز أنّه يقوم ذلك النعت بأشخاص كثيرين؛ فدخلهم الاحتمال في الشخص، لا في النعت.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] أنّه الحقّ، فيكتمونه عن مقلّديهم، وعن النبيّ ﷺ أنّهم عرفوه أنّه صاحب هذا النعت. ولا يلزم من العالِم بالحقّ الإقرار به في الظاهر، وإنّما يستلزمه التصديق به في الباطن. فهو مصدّق به، وإن كذّبه باللسان فقد عمل بما علِم؛ وهو التصديق. وقوله -تعالى- مثل هذا ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[4] أنّها آيات؛ فعلِموا، وعملوا بما علموا؛ وهو التيقّن؛ الذي هو استقرار العلم في النفس. فلولا ما علموا؛ ما تيقّنوا. وما كلّ عمل يعطي عموم النجاة، بل يعطي من النجاة قدرا مخصوصا، من[5] عموم أو خصوص.

فإن قلت: فإنّ أهل النار قد علموا صدق الله في إنفاذ الوعيد، وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[6] فلا نشكّ أنّهم في هذه الحال حصل لهم العلم، والله يقول: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[7] مع هذا العلم الذوقيّ الذي حصل لهم. قلنا: لمّا علم الله أنّ هذه الدار الدنيا، جعلها الله على طبيعة مخصوصة، وجعل نشأة الإنسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة وحبّ العاجلة، ويقبل ضدّ هذا على حسب ما يقام فيه؛ فعلم -سبحانه- أنّ نشأة هؤلاء الذين عيّنهم؛ أنّهم لو رُدّوا إلى الدنيا، في نشأتهم التي كانوا عليها في الدنيا، لعادوا إلى نسيان ما كانوا قد

١ ص ١٦ب
٢ [البقرة : ١٤٦]
٣ [البقرة : ١٤٦]
٤ [النمل : ١٤]
٥ ص ١٧
٦ [فاطر : ٣٧]
٧ [الأنعام : ٢٨]

علموا، وجعل على أعينهم غطاء على ما لو شهدوه علموا الأمر، فعملوا له. فهذا معنى: ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ لأنّ النشأة ليست إلّا تلك؛ فلو بقي لهم هذا العلم لَمَا عادوا.

ألا ترى النبيّ ﷺ يقول في الصحيح عنه: «إنّه يؤتى في القيامة بأنْعم أهل الدنيا فيُغمس في النار غمسة، فيقال له: هل رأيت نعيما قطّ؟ فيقول: لا والله» ومعلوم أنّه رأى نعيما، ولكن حجبه شاهد الحال عن ذلك النعيم؛ فنسيه. وكذلك صاحب البؤس؛ إذا غُمس في[1] الجنّة غمسة يقال له: «هل رأيت بؤسا قطّ فيقول: لا والله؛ ما رأيت بؤسا قطّ» فكذلك لو رُدّوا، لكانوا بحسب النشأة والحال التي يُردّون فيها.

وأمّا عصاة المؤمنين فإنّهم عالمون بإنفاذ الوعيد، ولكن لا يعلمون فيمن، في الدنيا. فلو تعيّن لواحد منهم أنّه هو الذي ينفذ فيه الوعيد، لما أقدم على سببه، الذي علم أنّه يحصل له إنفاذ الوعيد به. فإذا جُبر في اختياره، فذلك لا يعلمه؛ لأنّه لا يجد ذلك من نفسه. فإنّ الأمر في ذلك مشترَك، وقد تقدّم قبل هذا الكلام عليه في بعض المنازل. فمن شهد الجبر في اختياره عِلْما من طريق الكشف والشهود، أتى المخالفة بحكم التقدير، لا بحكم الانتهاك؛ فكان عاملا بما علِم. فلم يضرّه ذلك العمل، بل هو مغفور له.

واعلم أنّ هذا القدر الذي ذكرناه في هذه المسألة، هو من العلم الذي ورد فيه الخبر الذي لفظه: «إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلّا العالمون بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره عليهم إلّا أهل الغِرّة بالله». وهذا -من طريق الكشف عند أهله- حديث صحيح، مجمع عليه عندهم خاصة؛ عرفوه[2] وتحقّقوه. فجعله كهيئة المكنون، ما جعله مكنونا[3]؛ إذ لو كان مكنونا لانفرد به تعالى. فلمّا لم يعلمه إلّا العلماء بالله؛ علمنا أنّ العلم بالله يورث العلم بما يعلمه الله؛ فهو مستور عن العموم، معلوم للخصوص. ومعنى "العلم بالله" أنّه لا يُعلم، فقد علمنا أنّ ثَمّ ما لا يُعلم على التعيين، وما عداه فيمكن العلم به.

١ ص ١٧ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ١٨

فأَكِنّةُ هذا العلم: قلوبُ العلماء بالله. فإذا نطقوا به فيما بينهم -إذ لا يصحّ النطق به إلّا على هذا الحدّ- واتّفق أن يكون في المجلس مَن ليس من أهله، ولا من أهل الله -فإنّ أهل الله هم أهلُ الذِّكْر، وهم العلماء بالله- أنكره عليهم أهلُ الغِرّة بالله. فأضاف أهليّتهم إلى الغِرّة، وهم الذين يزعمون أنّهم عرفوا الله. فمن العلم الذي كهيئة المكنون وما هو بمكنون؛ هذا العلم[1]؛ فإنّ العلم المكنون يُعلم شهودا ولا ينقال. بخلاف علوم الفكر؛ فإنّها كلّها تنقال. فإذا حصلتْ، أيضا، لصاحب الكشف من غير فكر ولا روِيّة، فإنّها تنقال من غير دليل؛ فيقبلها منه العالم بالدليل. فهذا العلم هو الذي كهيئة المكنون؛ لأنّ العالم به غير عالم بالدليل.

فاعلم أنّ الديار داران: دارٌ تسكنها الأرواح الناطقة؛ وهو البدن الطبيعي، المسوَّى، المعدَّل، الذي خلقه الله بيديه، ووجّه عليه صفتيه. فلمّا[2] أنشأه؛ أسكنه دارا أخرى؛ هي دار الدار. وقسّم -سبحانه- دار الدار قسمين: قسما سمّاه: الدنيا، وقسما سمّاه: الآخرة. ثمّ علم ما يصلح لسكنى كلّ دار من الساكنين؛ الذين هم ديار النفوس الناطقة. فَخَلق للدار الدنيا -لفنائها، وذهاب عينها، وتبدّل صورتها، ووضعها، وشكلها، وخفاء حياتها- ساكنًا، وهو هذه الدار التي أسكنها النفس الناطقة. فجعل هذه النشأة مثل دار سكناها: خفيّة الحياة، فانية، ذاهبة العين، متبدّلة الصورة، والوضع، والشكل.

فاتّصف ساكنها، وهو النفس الناطقة، بالجهل، والحجاب، والشكّ، والظنّ، والكفر، والإيمان، وذلك لكثافة هذه الدار التي هي نشأته البدنيّة. وحال بينه وبين شهود أبيه، وجعله في حِجر أُمّه: ترضعه، وتقوم به. فما شهد من حين أُسكن هذه النشأة، سِوَى عين أُمّه، حتى أنّه جهل أباه بعض الساكنين.

ولولا أنّ الله منّ عليه بالنوم، وجعل له في ذلك أمرا يسمّى الرؤيا، في قوّة تسمّى الخيال؛ فإذا نام، كأنّه خرج عن هذه النشأة. فنظر إليه أبوه، وسُرّ به، وألقى إليه روحا، وأنّسه،

[1] "هذا العلم" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[2] ص ١٨ب

وبادرت إليه الأرواح، ونزل إليه الحقّ من تنزيهه. وبدا له ذلك كلّه في أجسادٍ، أَلِفَ شهودَها من جنس دار[1] نشأته التي فارقها بالنوم. فيظنّ، في النوم[2]، أنّه في دار نشأته[3] التي أَلِفَها ويعرفها، ويظنّ، في كلّ ما يراه -في تلك المواد- أنّها على حسب ما شهدها. فهذا القدر هو الذي له في هذه النشأة الدنيا؛ من الأُنس بأبيه، وإخوانه من الأرواح، ومن الأُنس بربّه. ومنهم من يتقوّى في ذلك، بحيث أنّه يرى ذلك في يقظته، وأعطاه علما سمّاه: عِلم التعبير؛ عَبَر به في مشاهدة تلك الصور إلى معانيها.

فإذا أراد الله أن يخلي هذه الدار الدنيا، من هذه النشأة التي هي دار النفس الناطقة، أَرْحَلَ عن هذه النشأة روحَها المدبِّر لها، وأسكنه صورة برزخيّة، من الصور التي كان يلبسها في حال النوم. فإذا كان يوم القيامة، وأراد الله أن ينقله إلى الدار الأخرى، دار الحيوان؛ وهي دارٌ ناطقة، ظاهرة الحياة، ثابتة العين غير زائلة؛ أنشأ لهذه النفس الناطقة دارا من جنس هذه الدار الأخرى، مجانِسة لها في صفتها، لأنّها لا تقبل ساكنا لا يناسبها. فخلق نشأة بدنيّة طبيعيّة للسعداء، عنصريّة للأشقياء؛ فسوّاها فعدلها؛ ثمّ أسكنها هذه النفس الناطقة؛ فأزال عنها حجب العمى والجهل، والشكّ والظنّ، وجعلها صاحبةَ علمٍ ونعيمٍ دائم، وأراها أباها؛ ففرحتْ به، وأراها خالِقَها ورازقها، وعرّف بينها وبين[4] إخوتها، وانتظم الشمل بالأحباب، وأشهدها كلَّ شيء كان في الدار الأُولَى غائبا، وأسكنَ هذه النشأةَ الدارَ الأخرى المسمّاة: جنّة منها. فإنّه قسّم الدار الأخرى إلى منزلين: هذا هو المنزل الواحد.

والمنزل الآخر المسمّى: جهنّم، جعل نشأةَ بدنِ أنفسها الناطقةِ عنصريّةً تقبل التغيير، وأَصحَبها الجهل، وسَلَبَ عنها العلم. فأعطى جهل المؤمنين من أهل التقليد مَن كان من أهل هذه الدار، دار الشقاء، عالما بدقائق الأمور. فدخل، بذلك الجهل، النارَ إذ كان من أهلها، وهي لا تقبل العلماء. وأعطى هذا العالِمَ -الذي كان في الدنيا عالما بدقائق الأمور، ولم يكن من أهل الجنّة-

[1] ص ١٩
[2] "فيظن في النوم" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[3] ق: "نشأ به" وصححت فوقها بقلم الأصل
[4] ص ١٩ب

جَهْلَ المؤمنِ المقلِّد؛ فإنّ الجنّة ليست بدار جهل. فيرى المؤمنُ الأبلهُ المقلِّدُ، ما كان عليه من الجهل على ذلك العالَمِ؛ فيستعيذ بالله من تلك الصفة، ويرى قبحَها. ويشكر الله على نعمته التي أعطاه إيّاها، بما كساه وخلع عليه مِن عِلْم ذلك العالَمِ الذي هو من أهل النار.

وينظر إليه ذلك العالَمُ؛ فيزيد حسرة إلى حسرته، ويعلم أنّ الدار أعطت هذه الحقائق لنفسها؛ فيقول: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] لعلمهم (أنّهم) إذا كانوا مؤمنين، وإن كانوا جاهلين، أنّهم[2] إذا انتقلوا إلى دار السعادة خُلِعت عنهم ثياب الجهالة، وخُلِع عليهم خِلع العلم؛ فلا يبالون بما كانوا عليه من الجهل في الدنيا لحسن العاقبة. وما علموا أنّهم لو رُدّوا إلى الدنيا، في النشأة التي كانوا عليها، لعادوا إلى حكمها؛ فإنّ الفعل بالخاصّيّة لا يتبدّل. فما تكلّموا، بما تكلّموا به من هذا التمنّي، إلّا بلسان النشأة التي هم فيها، وتخيّلوا أنّ ذلك العلم يبقى عليهم.

وما جعل الله، في هذه النشأة الدنيا، النسيان للعلماء بالشيء -فيما قد علموه، ويعلمون أنّهم كانوا قد علموا أمرا، فيطلبون استحضاره فلا يجدونه، بعد ما كانوا عالمين به- إلّا إعلاما وتنبيها أنّه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] بأن يسلب عنهم العلم بما كانوا به عالمين إذا دخلوا النار، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[4] وهو قوله -تعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾[5] وأيّ مُلك أعظم من العلم، وهو ما أعطاه من العلم للمؤمن المقلِّد، الجاهل، السعيد، في الدار الآخرة ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ وأيّ مُلك أفضل من العلم؛ فينزعه من العالِم غير المؤمن، الذي هو من أهل النار ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بذلك العلم ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بانتزاع ذلك العلم منه.

لَمّـا عَلِمْـتُ بِـأَنَّ اللهَ كَلَّفَـنِي   عَلِمْـتُ أَنِّيَ مَسْـؤولٌ وَمَقْصُـودُ

١ [الأنعام : ٢٧]
٢ ص ٢٠
٣ [آل عمران : ٢٦]
٤ [آل عمران : ٧٤]
٥ [آل عمران : ٢٦]

وأَنَّـنِي[1] لا أَزالُ الدَّهْـرَ أَعْبُـدُهُ   دُنْيـا وآخِـرَةً والحَـقُّ مَعْبُـودُ

وَمـا تَجَـلَّى لِشَـيْءٍ مِـنْ خَلِيْقَتِـهِ   إِلّا وَيَشْـهَدُ أَنّ الحَـقَّ مَشْـهُودُ

مِـنْ عَـيْنِ صُـوْرَتِهِ لا مِـنْ حَقِيْقَتِـهِ   فَالأَمْرُ والشأنُ مَوْجُودٌ وَمَفْقُودُ

لأَنّنـا بِعُيُـونِ الوَجْـهِ نُبْصِـرُهُ   وَكُلّنـا وَجْهُـهُ والوَجْـهُ مَحْـدُودُ

هُوَ الوُجُودُ وَمَنْ فِي الكَوْنِ صُورَتُهُ   فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَى الرَّحمنِ مَوْجُودُ

الدارُ داران: دَارُ الدارِ يَعْمُرُهـا   دَارُ اللطِيْفِ فَما فِي الكَوْنِ تَجْرِيْدُ

ولولا أنّ الحقائق تعطي أنّ المآل (ثابت) إلى الرحمة في الدار الأخرى؛ فيرحمه معنى وحسّا. فثمّ من تكون الرحمة به عين العافية، لا غير، وارتفاع الآلام. وهذا مخصوص بأهل النار الذين هم أهلها؛ فهم «لا يموتون فيها» لما حصل لهم من العافية بزوال الآلام، فاستعذبوا ذلك، فهم أصحاب عذاب، لا أصحاب ألم. «ولا يحيون» أي ما لهم نعيمٌ كنعيم[2] أهل الجنان، الذي هو أمر زائد على كونهم عافاهم من دار الشقاء.

فِي القَلْبِ مِنْكَ لَهِيْبٌ لَيْسَ يُطْفِئُهُ   إِلّا الذِي بِشُهُودِ الحُسْنِ يُنْشِئُهُ

إِنّي أَخافُ عَلَى الأشرافِ مِنْ شَرَفٍ   فَمَـنْ يَمُـرُّ عَـلَى قَلْـبِي يُنَبِّئُـهُ

إذا أَتَى صـاحِبُ العاهـاتِ يَطْلُبُـهُ   فإِنّـهُ بِشُـهُودِ الحـالِ يُبْرِئُـهُ

وَمـا يُعِيـدُ عَـلَى قَلْـبِي تَنَعُّمَـهُ   إِلّا الذِي كانَ قَبْلَ اليَومِ يُبْدِئُهُ

واعلم أنّه مَن زعم اليوم أنّ العلم هو السعادة؛ فإنّه صادق بأنّ العلم هو السعادة، وبه أقول. ولكن فاته ما أَدركه أهلُ الكشف؛ وهو أنّه إذا أراد اللهُ شقاوةَ العبدِ، أزال عنه العِلمَ؛ فإنّه لم يكن العلمُ له ذاتيا، بل اكتسب ما[3] كان منه مكتسَبا؛ فجائزٌ زواله، ويكسوه حلّةَ الجهل؛ فإنّه عين انتزاع العلم جهلٌ. ولا يبقى عليه من العلم، إلّا العلمَ بأنّه قد انتزع عنه العلمُ. فلو لم يُبْقِ اللهُ -تعالى- عليه هذا العلمَ بانتزاع العلمِ لما تعذّب، فإنّ الجاهل الذي لا[4] يعلم أنّه جاهل (هو) فارح

١ ص ٢٠ب
٢ ص ٢١
٣ س، ه: اكتسبه وما
٤ ص ٢١ب

مسرور، لكونه لا يدري ما فاته. فلو علِم أنّه قد فاته خير كثير؛ ما فرح بحاله، ولَتألّم من حينه. فما تألّم إلّا بعلمه ما فاته، أو مما كان عليه فَسُلِبَه.

ولقد أصابني أَلَمٌ في ذراعي، فرجعت إلى الله بالشكوى، رجوع أيّوب ﷺ أدبا مع الله، حتى لا أقاوم القهر الإلهيّ كما يفعله أهل الجهل بالله، ويدّعون في ذلك أنّهم أهل تسليم وتفويض، وعدم اعتراض؛ فجمعوا بين جهالتين. ولمّا تحقّقت ما حقّقني الله به في ذلك الوجع، قلت:

شَكَوْتُ مِنْهُ وَمِنْ ذِراعِي   وَذاكَ مِنّي لِضِيْقِ بَاعِي
فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: تَدَّعِيْهِ   فَأَيْنَ دَعْواكِ فِي اتِّساعِي؟
قالَتْ: أَنا أَشْتَكِيْهِ مِنْهُ   بِهِ، كَضُرّي عَيْنُ انْتِفاعِي
لَوْلا التَّشَكّي مِمّا أُقاسِي   خَرَجْتُ عَنْهُ وَعَنْ طِباعِي
وَذاكَ جَهْلٌ يَدْرِيْهِ قَلْبٌ   صَاحِبُ عِلْمٍ[1] بِالاتِّباعِ
لَوْلا[2] شُرُودِي عَنْهُ بِجَهْلِي   لَمَا دَعانِي إِلَيْهِ دَاعِ
فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ مَنْ دَعانِي   فَقالَ: أَبْغِي عَيْنَ المَتاعِ
قَدْ نَفَقَ السُّوْقُ فاغْتَنِمْهُ   فَعَيْنُ وَصْلِي عَيْنُ انْقِطاعِي

فخفّ عنّي ما كنتُ أجدُه، وغاب عنّي ما كنت أشهدُه.

فَلَوْلا وُجُودُ العَقْلِ مَا كُنْتُ أَدْرِيْهِ   وَلَوْلا وُجُودُ اللَّوْحِ ما كُنْتُ أُمْلِيْهِ
وَلَوْلا شُهُودُ الكَوْنِ ما كُنْتُهُ فِيْهِ   وَلَوْلا حُصُولُ العِلْمِ ما كُنْتُ أُجْرِيْهِ[3]
فَمَنْ قالَ: إِنّ الخَلْقَ يَعْرِفُ كَوْنَهُ   فَما عِنْدَهُ عِلْمٌ بِمَا حَقُّهُ فِيْهِ
وَيَكْفِيْهِ هَذا القَدْرُ مِنْ جَهْلِهِ بِمَا   هُوَ الأَمْرُ فِي عَيْنِ الحَقِيْقَةِ يَكْفِيْهِ

[1] كتب تحتها بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال: "حال"
[2] ص ٢٢
[3] ق: "أدريه" وعليها إشارة التغيير بما أثبته فوقها: "أجريه"

إذا انكشفت الحقائق: فلا ريب ولا مَين[1]، وبان صُبحُها لِذي عينين؛ كان[2] الاطّلاع، وارتفع النزاع، وحصل الاستمتاع. ولكن بينك وبين هذه الحال مفاوزُ مهلكة، وبيداءُ مُعْطِشة، وطُرُقٌ دارسة، وآثار طامسة؛ يحار فيها الخرّيت[3]، فلا يقطعها إلّا من يحيي ويميت، لا مَن يحيا ويموت. وكيف حال مَن يقاسي هذه الشدائد، ويسلك هذه المضايق؟. ولكن على قدر آلام المشقّات يكون النعيم بالراحات، وما ثَمّ بيداء ولا مفازة سِوَاكَ. فأنت حجابك عنك؛ فزُلْ أنت، وقد سهل الأمر.

فمن عَلِم الخلقَ؛ عَلِم الحقّ، ومَن جهل البعض من هذا الشأن؛ جهل الكلّ؛ فإنّ البعض من الكلّ؛ فيه عين الكلّ من حيث لا يدري. فلو عَلِم البعضَ من جميع وجوهه؛ عَلِم الكلَّ؛ فإنّه مِن وجوهِ كونِهِ بعضا؛ علِم الكلَّ. وهذا المنزل من المنازل التي كثرت آياتها، واتّضحتْ دلالاتها؛ ولكنّ الأبصار في حكم أغطيتها، والقلوب في أَكِنّتها، والعقولُ مشغولةٌ بمحاربة الأهواء؛ فلا تتفرّغ للنظر المطلوب منها.

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ مقاومة الأعداء، وتقابل الأهواء بالأهواء؛ فإنّ العقول إن لم تدفع الهوى بالهوى، لم تحصل على المقصود؛ فإنّ النفوس ما اعتادت إلّا[4] الأخذ عن هواها. فإذا كان العقل عالما بالسياسة، حاذقا في إنشاء الصور؛ أنشأ للنفس صورةَ مطلوبه في عين هواها؛ فقبِلته قبول عشق؛ فظفر بها.

وفيه عِلْمُ خواصّ الحروف والأعداد.

وفيه عِلْمُ بسائط الأعداد، وما حكمها فيما تركّب منها؟ وهل تبقى فيها، مع التركيب، خواصّها

[1] مين: كذب
[2] ص ٢٢ب
[3] خرت الشيء: ثقبه، والخرّيت: الدليل الحاذق، الماهر الذي يهتدي لأخراب المفاوز، فيكون هنا: الماهر بالدلالة.
[4] ص ٢٣

التي لها من كونها بسائط، أم لا؟

وفيه عِلْمُ الظروف الزمانيّة، وبيد مَن هي؟

وفيه عِلْمُ الزمان المستقبل إذا كان حالا؛ ما حكمه؟

وفيه عِلْمُ أحديّة العلم، وما ينسب إليه من الكثرة ليس لعينه، وإنما ذلك لتعلّقاته.

وفيه عِلْمُ ما ينتجه النظر الفكري في الظروف المكانيّة.

وفيه عِلْمُ آجال الأكوان في الدنيا والآخرة، مع كون الآخرة لا نهاية لها، وعموم قوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1] فلا بدّ لكلّ شيء من غاية، والأشياء لا يتناهى وجودُها، فلا تنتهي غاياتها، فالله يجدّد في كلّ حين أشياء، وكلّ شيء له[2] غاية، تلك الغاية هي أجلُه المسمّى، فليس الأجل إلّا أحوال الأعيان، فالأعيان غايتها عينٌ، لا غاية.

وفيه عِلْمُ المجاز والحقيقة والاعتبار؛ ومِمّ يعبّر؟ وإلى ماذا يعبّر؟ وما فائدة ذلك؟

وفيه عِلْمُ عمارة الدارين، وهو الذي ذكرنا منه طرفا في هذا الباب، وما استوفيناه.

وفيه عِلْمُ اختلاف أحوال الساعة.

وفيه عِلْمُ اختلاف المكلَّفين في أحوالهم، وأنّ الله يخاطب كلّ صنف من حيث ما هو ذلك الصنف عليه، لا يزيدهُ على ذلك.

وفيه عِلْمٌ يقضي بأنّ الأمر بَدْءٌ كلّه، لا إعادة فيه.

وفيه عِلْمُ كون الحقّ ينزل في الخطاب إلى فهم المخاطَب، وكلّه حقّ. وإن تناقض وظهر فيه تقابل، فثَمَّ عين واحدة تجمعه: كالسواد والبياض ضدّان متقابلان، يجمعهما اللون. وكالأكوان؛

١ [لقمان: ٢٩]
٢ ص ٢٣ب

حقائق مختلفة، يجمعهنّ العرَض.

وفيه عِلْمُ التوحيد بعين التشبيه.

وفيه عِلْمُ التفصيل.

وفيه[1] عِلْمُ حكم كلمات الله، حكم خلق الله.

وفيه عِلْمُ تكوين الأعمال الكونيّة، وإقامتها صورا.

وفيه عِلْمُ الجمع والوجود.

وفيه عِلْمُ ما تقتضيه النشأة الطبيعيّة من الأحكام.

وفيه عِلْمُ العلل، والأسباب، والجزاء.

وفيه عِلْمُ الفرق بين أسباب الدنيا، وأسباب الآخرة، وفضل أسباب الدنيا عليها.

وفيه عِلْمُ ما يعود على الإنسان من عمله، وما يضيف[2] إلى الله من ذلك، يضيفه إلى نفسه.

وفيه عِلْمُ التكوين الإلهيّ عن الأسباب الكونيّة، وهي الآثار العُلويّة البرزخيّة، لا غير.

وفيه عِلْمُ تغيّر الأحوال لِتغيّر الحركات الفلكيّة.

وفيه عِلْمُ حال الحيوان من حين نشئه إلى حين موته.

وفيه عِلْمُ القياس الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ تأثير الكون في الكون، وعِلْمُ ما يُتّقى به ذلك التأثير.

وفيه عِلْمُ القيامة، وأحوالها، ومراتبها.

وفيه[1] عِلْمُ أمر العالَم بجملته.

١ ص ٢٤
٢ ق: "أضيف" وعليها إشارة التغيير بما أثبته فوقها: "يضيف"

وفيه عِلْمُ فضل أهل النواميس الإلهيّة على أهل النواميس العقليّة الحكميّة.

فهذا ذِكْر أكثر ما يحوى عليه هذا المنزل من العلوم ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

ا ص ٢٤ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الخامس والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل السبل المولّدة، وأرض العبادة واتّساعها، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[1]

مـــا لأَرْضِ اللهِ واسِـــعَةٌ … وسَمَـــاءُ اللهِ تَنْكِحُهـــا
وَلأَبْـــوَابٍ مُغَلَّقَـــةٍ … وَيَمِـــيْنُ الجُـودِ تَفْتَحُهـا
وَصُـدُورٍ ضـاقَ مَسْـكِنُها … وَبِنُـورِ العِـلْمِ يَشْـرَحُها
مُـبْهماتُ السّـرِّ مُظْلِمَـةٌ … وعُلُومُ الكَشْـفِ تُوْضِحُها
كُلّ مـا أعْطيْـتَ مِـنْ نِعَـمٍ … حَضْـرَةُ المِحْسانِ تَمْنَحُها
ثُمَّ إِنْ قـامَ الفَسـادُ بِهـا … فَعَسَـى الرَّحمنُ يُصْلِحُها
ثُمَّ[2] إِنْ شَـذَّتْ وَإِنْ عَـدَلَتْ … فَلِجـامُ الهَـدْيِ يَكْبَحُهـا
كُلُّ دَعْـوَى غَـيْرِ صـادِقَةٍ … فَلِسـانُ العَجْـزِ يَفْضَـحُها
أَزْنُـدُ البَلْـوَى بِـكُلِّ أَذًى … مِنْ بَلاءِ الكَوْنِ تَقْدَحُها

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[3] ولم يقل: "منها" ولا "إليها" فهي أرض الله، سَوَاء سكنها مَن يعبده أو مَن يستكبر عن عبادته. وقال عزّ من قائل: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ فأضافها إليه، أشدّ إضافة من قوله: "إنّ أرض الله" وكذلك أضاف العبادَ إليه.

إضافةُ الأرض إضافةُ اختصاص. وكذلك أضافهم، في الأمر بالعبادة، إليه فقال: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾. وقال في غير هذا الموطن: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[4] و﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[5] فمن عرف قدر هذه

١ [العنكبوت : ٥٦]
٢ ص ٢٥
٣ [النساء : ٩٧]
٤ [النساء : ٣٦]
٥ [البقرة : ٢١]

الإضافة إلى المتكلِّم، عرف قدر ما بين الإضافتين، وإن كان المقصود بالعبادة واحدا. فضيَّق في توسعة في إضافتهم إلى المتكلّم، ووسّع في إضافتهم إلى الاسم.

وهنا[1] أسرار لا يعلمها إلّا مَن يعلم الأمر على ما هو عليه في نفسه، وهو قوله ﷺ لمّا فتح مكة: «لا هجرة بعد الفتح» مع أنّ مكّة أشرف البقاع، وأنّها بيت الله الذي يُحَجّ إليه من مشارق الأرض ومغاربها. ولكن أمر، وعظّم الأجر لمن هاجر منها، من أجل ساكنيها. فلمّا فتحها الله، وأسكنها المؤمنين من عباده، قال: «لا هجرة بعد الفتح». فمن فتح الله عليه؛ رآه في كلّ شيء، أو عينَ كلّ شيء؛ فلم يهاجر؛ لأنّه غير فاقد.

فإن هاجر؛ فعن أمره؛ فيهاجر منه، به، إليه، عن أمره؛ مثل خروجه إلى أداء الصلاة في مسجد[2] الجماعة، ومثل خروجه إلى مكة يريد الحجّ، وكخروجه أيضا إلى الجهاد، وإلى الزيارة، وزيارة أخٍ في الله -تعالى-، أو في السعي على العيال. فهذا كلّه ليس بهجرة على الحقيقة، وإنما هي سياحة عن أمر إلهيّ على شهود. فإن لم يكن على شهود، ولا كأنّه شهود، فما هو مطلوبنا في هذا الموضع؛ فإنّ أدنى مرتبة الإحسان: «أن تعبد الله كأنّك تراه».

ولمّا خلق اللهُ الإنسانَ الكاملَ بالصورتين، الموجود بالنشأتين، الذي جمع الله له بين الاسمين: الأوّل والآخِر، وأعطاه الحكمين في الظاهر والباطن؛ ليكون[3] بكلّ شيء عليما؛ خلقه من تراب، والأرض أنزَلُ موجودٍ خَلَق، ليس وراءها وَرَاء، كما أنّه «ليس وراء الله مرمى». فجعل مسكنه في أشرف الأماكن، وهو النقطة التي يستقرّ عليها عمد الخيمة، وجعل العرشَ المحيط مكانَ الاستواء الرحمانيّ[4]؛ إعلاما بالارتباط الإلهيّ الذي بين العرش والأرض، وما بينهما مراتب العالم المتحيّز[5] العامر للمساحات، من الأفلاك والأركان. فجميع العالم في جوف العرش، إلّا الأرض؛ فإنّها مقرّ السرير.

١ ص ٢٥ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٢٦
٤ أضافت س، ه: "كما يليق بجلاله"
٥ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

فلمّا أراد الله أن يخلقنا لعبادته؛ قرّب الطريق علينا؛ فخلقنا من تراب في تراب، وهو الأرض التي جعلها الله ذلولا، والعبادة (هي) الذلّة. فنحن الأذِلّاء بالأصْل، لا نشبه مَن خُلق نورا، من النور. وأمر بالعبادة؛ فبعدت عليهم الشقّة؛ لبعد الأصل مما دعاهم إليهم من عبادته. فلولا أنّ الله أشهدهم، بأن خلقهم في مقاماتهم ابتداء؛ لم ينزلوا منها؛ فلم يكن لهم في عبادتهم ارتقاء كما (هو) لنا؛ ما أطاقوا الوفاء بالعبادة. فإنّ النور له العزّة، ما له الذلّة. فمن عناية الله بنا -لمّا كان المطلوب مِن خَلْقِنا عِبادتَهُ- أن قرّب علينا الطريق؛ بأن خلقنا من الأرض التي[1] أمرنا أن نعبده فيها.

ولمّا عَبَدَ منّا مَن عَبَدَ غيرَ الله، غار اللهُ أن يُعبد في أرضه غيرُه، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[2] أي حَكَمَ. فما عبد مَن عَبد غيرَ[3] الله، إلّا لهذا الحكم؛ فلم يُعبد إلّا الله، وإن أخطؤوا في النِّسبة. إذ كان لله، في كلّ شيء، وجهٌ خاصٌّ، به ثبت ذلك الشيء؛ فما خرج أحدٌ عن عبادة الله. ولمّا أراد الله أن يميّز بين مَن عبده على الاختصاص، وبين مَن عبده في الأشياء؛ أمر بالهجرة من الأماكن الأرضيّة التي يُعبد الله فيها في الأعيان ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[4]. فالخبيثُ هو الذي عَبَدَ الله في الأغيار، والطيّبُ هو الذي عبد الله لا في الأغيار.

وجعل -تعالى- هذه الأرض محلّا للخلافة. فهي دار مُلْكِه، وموضع نائبه الظاهر بأحكام أسمائه. فمنها خَلَقنا، وفيها أسكننا؛ أحياء وأمواتا، ومنها يخرجنا بالبعث في النشأة الأخرى، حتى لا تفارقنا العبادة حيث كنّا؛ دنيا وآخرة؛ وإن كانت الآخرة ليست بدار تكليف، ولكنّها دار عبادة.

فمن لم يزل منّا مشاهدا لما خُلِق له في الدنيا والآخرة، فذلك العبد الكامل، المقصود من العالَم، النائب عن العالم كلّه، الذي لو غفل العالم كلّه؛ أعلاه وأسفله، زمنا فردا عن ذِكْر الله،

١ ص ٢٦ب
٢ [الإسراء : ٢٣]
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ [الأنفال : ٣٧]

وذَكَرَهُ هذا العبد؛ قام، في ذلك الذِّكْر، عن[1] العالَم كلّه، وحفظ به على العالم وجوده. ولو غفل العبد الإنسانيّ عن الذِّكْر؛ لم يقم العالَم مقامه في ذلك، وخرب منه مَن زال عنه الإنسان الذاكر. قال النبيّ ﷺ: «لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: اللهُ اللهُ».

ولمّا خلق الله هذه النشأة الإنسانيّة، وشرّفها بما شرّفها به من الجمعيّة، ركّب فيها الدّعوى، وذلك لتكمل بها صورتها؛ فإنّ الدّعوى صفة إلهيّة. قال -تعالى-: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[2] فادّعى أنّه "لا إله إلّا هو" وهي دعوى صادقة. فمن ادّعى دعوى صادقة؛ لم تتوجّه عليه حجّة، وكان له السلطان على كلّ مَن رَدَّ عليه دعواه؛ لأنّ له الشدّة والغلبة والقهر؛ لأنّه صادقٌ؛ والصدقُ الشدّة؛ فلا يُقاوَم.

ولمّا كانت الدّعوى خبرًا، والخبر: نسبة الصدق إليه ونسبة الكذب على السَّواء، بما هو خبر؛ يقبل هذا وهذا؛ علِمنا، عند ذلك، أنّه لا بدّ من الاختبار. فادّعى المؤمن الإيمان، وهو التصديق بوجود الله وأحديّته، وأنّه لا إله إلّا هو، وأنّ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] وأنّ الأمر لله مِن قبْل ومن بعد. فلمّا ادّعى بلسانه، أنّ هذا ممّا انطوى عليه جنانه، وربط عليه قلبه؛ احتمل أن يكون صادقا فيما ادّعاه أنّه صفة له، ويحتمل أن يكون كاذبا[4] في أنّ ذلك صفة له. فاختبره الله؛ لإقامة الحجّة له أو عليه؛ بما كلّفه من عبادته على الاختصاص، لا العبادة السارية سريانَ الألوهة. ونصب له وبين عينيه الأسبابَ، ووقف ما تمسّ حاجة هذا المدّعي إليه على هذه الأسباب؛ فلم يَقْضِ له بشيء؛ إلّا منها وعلى يديها.

فإن رزقه الله نورا يكشف به ويخترق سدف هذه الأسباب؛ فيرى الحقّ -تعالى- من ورائها مسبّبًا -اسم فاعل-، أو يراه فيها خالقا، وموجدا لحوائجه التي اضطرّه إليها؛ فذلك المؤمن الذي هو على نور من ربّه، وبيّنة من أمره، الصادق في دعواه، الموفي حقّ المقام الذي ادّعاه،

١ ص ٢٧
٢ [طه : ١٤]
٣ [القصص : ٨٨]
٤ ص ٢٧ب

بالعناية الإلهيّة التي أعطاه[1].

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[2] فقال بعد إقراره بربوبيّة خالقه لمّا أشهده على نفسه في أخذ الميثاق، حين قال له ولأمثاله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[3]. فلمّا أوجده في هذه الدنيا، أوجده على تلك الفطرة؛ فقال بألوهة الأسباب التي رزقه الله منها، وجعلها حجبا بينه وبين الله، ولم يكن له نور يهتدي به في ظلمات البرّ والبحر، وليس إلّا النجوم؛ وهي هنا: نجوم العلم الإلهيّ. فأضاف الألوهة إلى غير مستحقّها؛ فكذب في[4] دعواه لكثرة الأسباب، وإقراره في شركه بأنّ ذلك قربة منه إلى الله خالق الأسباب، وجعلها آلهة؛ فلم يصدق قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[5] ولهذا قال من قال: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[6] وليس العجب إلّا ممن كثّر الآلهة.

والذي لم يقل بنسبة الألوهة للأسباب، لكنّه لم ير إلّا الأسباب، وما حصل له من الكشف ما يخرجه عنها، مع توحيد الألوهة؛ كان ذلك شِركا خفيّا، لا يشعر به صاحبه أنّه شِرك، يحجبه عن الأمر العالي الذي طُلِب به. فلم يوجد صاحب هذه الدّعوى في توحيد الله، وتوحيده في أفعاله، مع الاضطراب عند فَقْد السبب، وسكونه عند وجوده، صادقا؛ فتَنْقصه، على قدر ما فاته من ذلك؛ هذا، ولم يجعل الأسباب آلهة.

فإن قلت: فالمشرك الذي ادّعى أنّه مشرك، فهو صادق في دعواه أنّه مشرك، فلماذا لم ينفعه صدقه؟ قلنا: هو كاذب في دعواه في نسبته الألوهة إلى مَن ليس بإله، هذه دعواه التي كفّر بها. فهو صادق في أنّه مشرك، وليس بصادق في أنّ الشركة في الألوهة صحيحة؛ لأنّه بحث عن ذلك بالأدلّة العقليّة والشرعيّة، فلم يوجد لما ادّعاه عينٌ في الصدق. فاختبر الله[7] العبادَ بما شرع

١ ق: "أعطيه" وصححت في الهامش بقلم الأصل
٢ [النور : ٤٠]
٣ [الأعراف : ١٧٢]
٤ ص ٢٨
٥ [البقرة : ١٦٣]
٦ [ص : ٥]
٧ ص ٢٨ب

بإرسال الرسل، واختبر الله المؤمنين بالأسباب؛ فكلّ صنف اختبره بحسب دعواه. فمن صدَق؛ أورثه، ذلك الصدق، ما تعطيه دعواه.

ولهذا يَسأل الصادقين عن صدقهم فيما صدقوا فيه: هل صدقوا فيما أُمروا به، وأُبيح لهم؟ أو هل صدقوا في إتيان ما حرّم عليهم إتيانه، مع كونهم صادقين؟ فيقال لهم: فيم صدقتم؟ فإنّ النمّامين صادقون، والمغتابين صادقون، وقد ذمّهم الله وتوعّد على ذلك مع كونه صِدقا. فلهذا يسأل الصادقين عن صدقهم؛ فيما صدقوا؟ فهذا من اختبار الله إيّاهم. وأصل هذا كلّه (هو) ما ركّب فيهم من الدعاوى.

ومما اختبرهم الله به في الخطاب؛ أن جعل ما ابتلاهم به؛ ليعلم الله الصادق في دعواه من الكاذب. فأنزل نفسه، في هذا الاختبار، منزلة من يستفيد بذلك علما، وهو -سبحانه- العالم بما يكون منهم في ذلك قبل كونه. فمن المنزِّهة، في زعمهم، من يقول: إنّ الله لا يستفيد من ذلك علما؛ فإنّه لا يعلم الأمر من حيث ما هو واقع من فلان على التعيين. فردّ كلام الله، وتأوّله، إذا خاف من وقوع الأذى به لذلك. ومِن الظاهريّة مَن التزم أنّه يعلم بذلك الاختبار، وقوفا عند هذا اللفظ. ومِن[1] الناس مَن صرف ذلك إلى تعلّق العلم به عند الوقوع؛ فالعلم قديم، والتعلّق حادث. ومِن المؤمنين مَن سَلَّم علم ذلك إلى الله، وآمن به من غير تأويل معيَّن. وهذا هو أسلم ما يُعتقد.

وهذا كلّه ابتلاء من الله لعباده الذين ادّعوا الإيمان به بألسنتهم، فإنّه قال: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾[2] وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[3] فميّز بينهما: فيجازي المجاهد بجزاء معيَّن، ويجازي الصابر عليه بجزاء معيَّن. وقال: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[4] لمّا ذكر الفتنة، وهي الاختبار. فإذا نظر

---

١ ص ٢٩
٢ [محمد : ٣١]
٣ [آل عمران : ١٤٢]
٤ [العنكبوت : ٣]

الإنسان إلى نشأته البدنيّة، قامت معه الأرض التي خلق منها، وجعل منها غذاؤه وما به صلاح نشأته، لم يرزقه الله في العادة من غيرها. ولا مَن أخرق[1] الله فيه العادة -بأن لم يرزقه منها- رَزَقه من أمرٍ طبيعيّ خفيّ، وهو السبب الذي أبقى عليه حياته به؛ فوفّر عليه حرارتَه، ورطوبتَه، التي هي مادة حياته، بأمر لطيف؛ لا يعلمه إلّا الله ومَن أطلعه عليه.

لأنّ الله لمّا وضع الأسباب، لم يرفعها في حقِّ أحد، وإنما أعطى اللهُ بعضَ عباده من النور، ما اهتدى به في المشي في ظلمات الأسباب؛ غير[2] ذلك ما فعل؛ فعاينوا من ذلك على قدر أنوارهم. فَحُجُبُ الأسباب مُسْدَلَةٌ لا تُرفع أبدا، فلا تطمع. وإن نقلك الحقّ من سبب، فإنما ينقلك بسبب آخر. فلا يفقدك السبب جملة واحدة؛ فإنّه حبل الله الذي أمرك بالاعتصام به، وهو الشرع المنزل، وهو أقوى الأسباب وأصدقها، وبيده النور الذي يهتدى به في ظلمات برّ هذه الأسباب وبحرها. فمن عمل كذا، وهو السبب، فجزاؤه كذا. فلا تطمع فيما لا مطمع فيه، ولكن سل الله -تعالى- رشّةً من ذلك النور على ذاتك.

وأَظْهَرَ الأمور اللطيفة أن جعل بَدَنَك ذا مسامّ، وأحاط بك الهواء الذي هو مادة الحياة الطبيعيّة؛ فإنّه حارٌّ رطب بالذات، وجعل فيك قوّةً جاذبة؛ فقد تجذب -في وقت فَقْدِك الأسبابَ المعتادةَ- الهواءَ من مسامّك؛ فتغذّي به بدنك وأنت لا تشعر. وقد علِمنا أنّ من الحشرات مَن يكون غذاؤه من مسامّ بدنه، مما يجذبه من الرطوبة، على ميزانٍ خاصّ يكون له به البقاء؛ من غير إفراط ولا تفريط.

ثمّ لتعلم -أيّها الأخ الوليّ- أنّ أرض بَدَنِك؛ هي الأرض الحقيقيّة الواسعة، التي أمرك الحقُّ أن تعبده فيها. وذلك لأنّه ما أمرك أن تعبده في أرضه، إلّا ما دام روحك يسكن[3] أرض بدنك؛ فإذا فارقَها أسقطَ عنك هذا التكليف، مع وجود بدنك في الأرض مدفونا فيها؛ فتعلم أنّ الأرض ليست سِوَى بدنك. وجعلها واسعة؛ لما وَسِعته من القوى والمعاني التي لا توجد إلّا في هذه

---

١ س، ه: خرق
٢ ص ٢٩ب
٣ ص ٣٠

الأرض البدنيّة الإنسانيّة.

وأمّا قوله: ﴿فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[1] فإنّها محلّ للهوى ومحلّ للعقل. فتهاجروا من أرض الهوى منها إلى أرض العقل منها، وأنت في هذا كلّه فيها، ما خرجتَ عنها. فإن استعملك الهوى: أرداك وهلكتَ، وإن استعملك العقل الذي بيده سراج الشرع: نجوتَ، وأنجاك الله به. فإنّ العقلَ السليمَ، المبَرّأَ من صفات النقص والشُّبَه، هو الذي فتح اللهُ عينَ بصيرته لإدراك الأمور على ما هي عليه؛ فعامَلها بطريق الاستحقاق؛ فأعطى كلّ ذي حقٍّ حقَّه.

ومن لم يعبد الله في أرض بدنه الواسعة؛ فما عبد الله في أرضه التي خُلِق منها، فإنّ الله يقول: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[2] وهو الماء الذي نبع من هذه الأرض البدنيّة، واستقرّ في رحم المرأة ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾[3] فبعد تسوية أرض البدن، وقبوله الاشتعال بما فيه من الرطوبة والحرارة؛ نفخ الله فيه فاشتعل؛ فكان ذلك[4] الاشتعالُ روحا له؛ فما خرج إلّا منه؛ فمنه خُلِق.

وجعل العقلَ، في هذه النشأة، نظير القمر في الأرض؛ نورا يستضاء به، ولكن ما له ذلك النفوذ؛ بالحجب المانعة من البيوت والجدرات والأكِنّة. وجعل الشرع، لهذا العقل في هذه الأرض البدنيّة، سراجا؛ فأضاءتْ زوايا كون هذه الأرض بنور السراج؛ فأعطى من العلم بها مما فيها؛ ما لم يعطه نور العقل الذي هو بمنزلة القمر.

ثمّ تعبّدَنا فيها؛ يعني في النشأة الأخرى أيضا، كما خلَقنا فيها، ويخرجنا إخراجا لمشاهدته، كما أنشأنا منها وأخرجنا لعبادته. فخلَق أرواحنا، من أرض أبداننا في الدنيا؛ لعبادته، وأسكننا أرض أبداننا في الآخرة لمشاهدته إن كنّا سعداء، كما آمنّا به في النشأة الأولى لما اعتنى الله بنا. والحال مثل الحال سَوَاء، في تقسيم الخلق في ذلك، وكذلك يكونون غدا. والموتُ بين النشأتين (هو)

[1] [النساء : ٩٧]
[2] [السجدة : ٧ ، ٨]
[3] [السجدة : ٩]
[4] ص ٣٠ب

حالةٌ برزخيّة، تعمر الأرواح فيها أجسادا برزخيّة خياليّة، مثل ما عمرتها في النوم. وهي أجساد متولّدة عن هذه الأجسام الترابيّة؛ فإنّ الخيال قوّة مِن قُواها، فما برحتْ أرواحها منها أو مما كان منها، فاعلم ذلك. فأَرضُ الله، التي هي ركن، موجودةٌ، وأنت فيها[1] مدفون؛ وما أُمرتَ بعبادة ربّك. وما دمت في أرض بدنك الواسعة مع وجود عقلك وسراج شرعك؛ فأنت مأمور بعبادة ربّك.

فهذه الأرض البدنيّة لك، على الحقيقة، أرضُ الله الواسعة التي أمرَك أن تعبده فيها إلى حين موتك، و«من مات فقد قامت قيامته» وهي القيامة الجزئيّة، وهو قوله (تعالى): ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾[2]. فإذا فهمتَ القيامة الجزئيّة بموت هذا الشخص المعيَّن، علمتَ القيامة العامّة لكلّ ميت كان عليها. فإنّ مدّة البرزخ هي[3] للنشأة الآخرة، بمنزلة حملِ المرأةِ الجنينَ في بطنها، ينشئه الله نشأً بعد نشءٍ؛ فتختلف عليه أطوار النشء إلى أن يولد يوم القيامة. فلهذا قيل في الميّت: إنّه[4] إذا مات «فقد قامت قيامته» أي ابتدأ فيه ظهور نشأة الأخرى في البرزخ، إلى يوم البعث من البرزخ، كما يُبعث من البطن إلى الأرض بالولادة.

فتدبير نشأة بدنه في الأرض، زمان كونه في البرزخ، تسوية وتعدلة على غير مثال سبق، مما ينبغي للدار الآخرة. فيعبده فيها، أعني في أرض نشأته الأخراويّة، عبادةً ذاتيّة لا عبادة تكليف؛ فإنّ الكشف يمنعه أن يكون عبدا لغير مَن يستحقّ أن يكون له عبدا. كما ينال هذا[5] المقام رجالُ الله هنا.

ولمّا خلق الله أرض بدنك؛ جعل فيها كعبةً وهو قلبك، وجعل هذا البيت العليّ[6] أشرف البيوت في المؤمن. فأخبر أنّ السماوات، وفيها البيت المعمور، والأرض، وفيها الكعبة؛ ما وسعته

[1] ص ٣١
[2] [طه : ٥٥]
[3] ق: "هو"
[4] ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
[5] ص ٣١ب
[6] حروفها المعجمة مهملة، ورسمها يسمح إلى حد ما بأن تقرأ: "القلبي" لتتفق في ذلك مع هـ، س.

وضاقت عنه؛ ووسعه هذا القلب من هذه النشأة الإنسانيّة المؤمنة. والمراد، هنا، بالسعة: العلم بالله -سبحانه-. فهذا يدلّك على أنّها الأرض الواسعة، أرض عبادتك.

فتعبده كأنّك تراه من حيث بصرك؛ لأن قلبك محجوب أن يدركه بصرُك، فإنّه في الباطن منك. فـ"تعبد الله كأنّك تراه" في ذاتك، كما يليق بجلاله، وعين بصيرتك تشهده؛ فإنّه ظاهرٌ لها ظهورَ عِلْمٍ؛ فتراه بعين بصيرتك، و"كأنّك تراه" من حيث بصرِك. فتجمع في عبادتك بين الصورتين؛ بين ما يستحقّه -تعالى- من العبادة في الخيال، وبين ما يستحقّه من العبادة في غير موطن الخيال؛ فتعبده مطلقًا ومقيّدًا، وليس ذلك لغير هذه النشأة. فلهذا جعل هذه النشأة المؤمنة حَرَمَهُ المحرَّم، وبيتَه المعظَّم المكرّم. وقد أشرتُ إلى هذا المعنى بقولي:

مَنْ[1] كانَ حَقًّا كُلّـهُ	قَدْ زالَ عَنْهُ كَلُّهُ
فَـالحَقُّ شَخْصٌ قـائِمٌ	وأَنْتَ مِنْهُ ظِـلُّهُ
أَوْ أَنْـتَ فِيْـهِ ظِـلُّهُ	فالأَمْرُ حَقٌّ كُلُّهُ
حَرامُـــهُ مُحْـــتَرَمٌ	فالحِـلُّ لا يُحِـلُّهُ
عَنْ كُلِّ ما لا يَنْبَغِي	فإنَّـــهُ يُجِـــلُّهُ

فكلّ مَن في الوجود من المخلوقات يعبد الله على الغيب؛ إلّا الإنسان الكامل المؤمن؛ فإنّه يعبده على المشاهدة. ولا يكمل العبد إلّا بالإيمان، فله النور الساطع؛ بل هو النور الساطع الذي يزيل كلّ ظلمة. فإذا عبده على الشهادة؛ رآه جميعَ قُواه؛ فما قام بعبادته غيرُه، ولا ينبغي أن يقوم بها سِواهُ. فما ثَمّ مَن حصل له هذا المقام إلّا "المؤمن" الإنسانيّ؛ فإنّه ما كان مؤمنا إلّا بربّه[2]، فإنّه -سبحانه- "المؤمن".

واعلم أنّك إذا لم تكن بهذه المنزلة، وما لك قدم في هذه الدرجة؛ فأنا أدلّك على ما تحصل

١ ص ٣٢
٢ ص ٣٢ب

لك به الدرجة العليا. وهو أن تعلم أنّ الله ما خلق الخلق على مزاج واحد؛ بل جعله[1] متفاوت المزاج، وهذا مشهودٌ بالبديهة والضرورة؛ لما بين المزاجين من التفاوت في النظر العقليّ والإيمان. وقد حصل لك، من طريق الحقّ، أنّ الإنسان مرآة أخيه؛ فيرى منه ما لا يراه الشخص من نفسه إلّا بوساطة مثله؛ فإنّ الإنسان محجوب بهواه، متعشّق به. فإذا رأى تلك الصفة من غيره، وهي صفته، أبصر عيبَ نفسه في غيره؛ فعلم قُبحها إن كانت قبيحة، أو حُسنها إن كانت ذات حُسن.

واعلم أنّ المرائي مختلفة الأشكال، وأنّها تصيّر المرئيّ عند الرائي بحسب شكلها: من طول، وعرض، واستواء، وعوج، واستدارة، ونقص، وزيادة، وتعدّد، وكلّ شيء يعطيه شكل تلك المرآة. وقد علمت أنّ الرسلَ أعدلُ الناس مزاجا لقبولهم رسالات ربّهم، وكلّ شخص منهم قَبِلَ من الرسالة قدر ما أعطاه الله في[2] مزاجه من التركيب؛ فما من نبيّ إلّا بُعث خاصّة إلى قوم معيّنين؛ لأنّه على مزاج خاصّ مقصور، وأنّ محمدا ﷺ ما بعثه الله برسالة عامّة إلى جميع الناس كافّة، ولا قَبِلَ هو مثل هذه الرسالة؛ إلّا لكونه على مزاج عامّ، يحوي على كلّ مزاج نبيّ ورسول؛ فهو أعدل الأمزجة وأكملها، وأقوم النشآت.

فإذا علمتَ هذا، وأردتَ أن ترى الحقّ على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانيّة، فاعلم أنّك ليس لك، ولا أنت على مثل هذا المزاج الذي لمحمد ﷺ، وأنّ الحقّ مهما تجلّى لك[3] في مرآة قلبك، فإنّ ما تظهره لك مرآتك على قدر مزاجها وصورة شكلها. وقد علمتَ نزولك عن الدرجة التي صحّتْ لمحمد ﷺ في العلم بربّه في نشأته. فالزم الإيمان والاتّباع، واجعله أمامك مثل المرآة التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك.

فإذا فعلتَ هذا، علمتَ أنّ الله -تعالى- لا بدّ أن يتجلّى لمحمد ﷺ في مرآته. وقد أعلمتُك أنّ المرآة لها أثر في ناظر الرائي في المرئيّ؛ فيكون ظهورُ الحقّ في مرآة محمد ﷺ أكملَ ظهورٍ،

١ ق: "خلقه" وصححت في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٣٣
٣ ق: "له" وصححت في الهامش بقلم آخر

وأعدلَه، وأحسَنه؛ لما[1] هي مرآته عليه. فإذا أدركته في مرآة محمد ﷺ فقد أدركتَ منه كمالًا، لم تدركه من حيث نظرك في مرآتك.

ألا ترى في باب الإيمان، وما جاء في الرسالة، من الأمور التي نسب الحقّ لنفسه بلسان الشرع مما تحيله العقول، ولولا الشرع والإيمان به، لما قبلنا من ذلك، من حيث نظرنا العقليّ؛ شيئًا ألبتّة؛ بل نردّه ابتداء ونجهّل القائل به؟ فكما أعطاه، بالرسالة والإيمان، ما قصرت العقول التي لا إيمان لها، عن إدراكها ذلك من جانب الحقّ؛ كذلك قصرتْ أمزجتنا ومرائي عقولنا، عند المشاهدة، عن إدراك ما تجلّى في مرآة محمد ﷺ أن تدركه في مرآتها، وكما آمنت به في الرسالة غيبا، شهدته في هذا التجلّي عينا.

فَلَــولاهُ وَلَـــولانا ... لَمَــا كانَ الَّذِي كانَا
وَلا جـاءَتْ رِسـالاتٌ ... مِـنَ الـرَّحمنِ مَـوْلانا
بِأَخْبـارٍ وأَحْـكامٍ ... وَسَمّـى ذاكَ تِبْيَـانا
وَتَـوراةً وإنْجِـيلًا ... وَفُرْقـانًا وَقُـرْآنا
وَسَمّـاهُ أُولُـو الأَلْبـابِ ... بِالأَفْـكارِ بُرْهـانا
وثَلّـثَ ذاكَ إِسْـلامًا ... وإيمَـانًا وإحْسـانا
فَسُبْحانَ[2] الَّذِي أَسْرَى ... بِـهِ لِـيرَاهُ مِحسـانا
وَخَـصَّ بِصُورَةِ الرَّحمنِ ... مَـنْ سَمّـاهُ إِنْسـانا
وَجـاءَتْ رُسْـلُهُ تَـتْرَى ... زُرافـاتٍ وَوِحْـدانا
وأَعْطَـانا وَحَـابانا ... هُنـا مـا شـاءَ كِتْمَـانا
وَجَنّـاتٍ وأَنْهـارًا ... وَرُوحًـا ثُمَّ رَيْحَـانا
وَكَشْـفًا ثُمَّ إِشْـهادًا ... وإِسْرارًا وإِعْـلانا

١ ص ٣٣ب
٢ ص ٣٤

فقد نصحتُك وأبلغتُ لك في النصيحة؛ فلا تطلب مشاهدة الحقّ إلّا في مرآة نبيّك ﷺ. واحذر أن تشهده في مرآتك، أو تشهد النبيَّ وما تجلّى في مرآته من الحقّ، في مرآتك؛ فإنّه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية.

فالزم الاقتداء والاتّباع، ولا تطأ مكانا لا ترى فيه قدم نبيّك؛ فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى والشهود الكامل في المكانة الزلفى. وقد أبلغتُ لك في النصيحة كما أُمِرتُ ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

وفي هذا المنزل من العلوم:

عِلْمُ مرتبة الحسبان والظنون.

وعِلْمُ التقرير الإلهيّ.

وفيه[2] عِلْمُ الأسرار الخفيّة عن أكثر الناس.

وفيه عِلْمُ علم الأفراد.

وفيه عِلْمُ الملاحم.

وفيه عِلْمُ المسابقة، وأين حلبة المسابقة التي بين الله وبين عباده؟ وهو علم شريف فيه من الرحمة الإلهيّة ما لا يصفه واصف. وفيها الردّ على من يقول بإنفاذ الوعيد وشمول الرحمة للجميع. وذلك أنّ الإنسان إذا عصى فقد تعرّض للانتقام والبلاء، وأنّه جارٍ في شأوِ الانتقام بما وقع منه، وأنّ الله يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفّار، وعفوّ، ومتجاوز، ورحيم، ورءوف. فالعبدُ يسابق، بالمعاصي والسيّئات، الحقَّ -تعالى- إلى الانتقام، والحقُّ أسبق؛ فيسبق إلى الانتقام قبل وصول العبد بالسيّئات إليه؛ فيجوزه الغفّار وإخوانه من الأسماء.

فإذا وصل العبد إلى آخر الشأو في هذه الحلبة، وجد الانتقام قد جازه الغفّار، وحال بينه

١ [البقرة: ٢١٣]
٢ ص ٣٤ب

وبين العصاة، وهم كانوا يحكمون على أنّهم يصلون إليه قبل هذا، وهو قوله -تعالى- في (سورة) العنكبوت: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ أي يسبقون[1] بسيّئاتهم مغفرتي[2] وشمول رحمتي ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[3] بل السبق لله بالرحمة بهم، هذا غاية الكرم؛ وهذا لا يكون إلّا في الطائفة التي تقول بإنفاذ الوعيد فيمن يموت على غير توبة. فإذا مات العاصي تلقّته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله أن تلقاه فيه.

وفيه عِلْمُ قول النبيّ ﷺ: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه» ولم يقل: "لم يلقه" فما كره الله إلّا لقاءه الذي كره؛ وهو أن يلقاه آخذًا له على جريمته ومنتقمًا؛ فكره الله أن يلقاه بما كره هذا المسيء. فلقيه -تعالى- بالمغفرة والرضوان؛ لأنّه علم أنّه ما كره لقاء الله، مع كونه مؤمنا بلقائه؛ إلّا لما هو عليه من المخالفة؛ فكره الله لقاءه بما تستحقّه المخالفة من العقوبة؛ فلقيه بالعفو والمغفرة.

وفيه عِلْمُ ما تستحقّه الذات لنفسها، لا من حيث اتّصافها بأنّها إلٰه.

وفيه عِلْمُ رَدِّ الأمور كلّها، وإن كانت لله، فإنّ الله بعد وقوفه عليها يردّها بما شاء على عباده.

وفيه[4] عِلْمُ إرسال الستور بين النفوس المؤمنة وبين المخالَفات، ومَن خالف منهم أُرسلت الستور بينه وبين العقوبات.

وفيه عِلْمُ معاملة الله عبادَه بما يوافق أغراضهم.

وفيه عِلْمُ منزلة الأسباب الموضوعة في العالَم التي لها الآثار فيه.

وفيه عِلْمُ ما تدعوه إليه الأسباب، وما ينبغي أن يجيب منها، وما ينبغي ألا يجيب؟

وفيه عِلْمُ إلحاق الأباعد بالأداني، والأسافل بالأعالي في التحام ذلك.

١ "أي يسبقون" من هـ فقط
٢ ص ٣٥
٣ [العنكبوت: ٤]
٤ ص ٣٥ب

وفيه عِلْمُ جهل مَن ساوى بين الحقّ والخلق، ومَن جَهِل مراتب العالَم عند الله؟

وفيه عِلْمُ التفسير والتمييز.

وفيه عِلْمُ ما يعود على العامل مِن عمله، وما لا يعود؟

وفيه عِلْمُ أعمار الأشياء؛ وهو بَقاء الشيء إلى زمان فساد صورته، التي بزوالها يزول عنه الاسم الذي كان يستحقُّه؛ جمادا كان، أو نباتا، أو حيوانا.

وفيه[1] عِلْمُ الأخذ الإلهيّ بالأسباب الكونيّة، وأنّ كلّ مأخوذ به (هو) جندٌ من جنود الله.

وفيه عِلْمُ كون العالَم آياتٌ بعضُه لبعضه.

وفيه عِلْمُ النصائح من المؤمنين وغير المؤمنين.

وفيه عِلْمُ بيان العلم بالأدلّة.

وفيه عِلْمُ ما تمسّ الحاجة إليه في كلّ وقت.

وفيه عِلْمُ الاعتبار.

وفيه عِلْمُ الإرادة والمشيئة.

وفيه عِلْمُ مَن ينبغي أن يُعتمد عليه في الأمور، ومن لا يُعتمد عليه فيها؟

وفيه عِلْمُ من أراد بأخيه المؤمن سوءا؛ حار عليه، وهو سارٍ في كلّ جنس من الأمم.

وفيه عِلْمُ من استعجل صفة ما يكون في يوم القيامة هنا، وما حكمه عند الله؟

وفيه عِلْمُ الهجرة والمهاجر.

وفيه عِلْمُ الوهب من غير الوهب.

وفيه عِلْمُ ما أدّى الجاهل مع علمه أن يقول: ﴿إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ[2] الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ

١ ص ٣٦
٢ ص ٣٦ب

عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] وأمثال هذا مثل قوله: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2] فانظر في هذا الخبر الإلهيّ فإنّه مبالغة منهم في التكذيب؛ إذ لو احتمل عندهم صدق الرسول ما قالوا مثل هذا القول؛ فإنّ النفوس قد جُبِلت على جلب المنافع لها، ودفع المضارّ عنها.

وفيه عِلْمُ الرفق بالأمم، والدعاء عليهم من أنبيائهم.

وفيه عِلْمُ العِلم بالدار الآخرة والزمان الآخِر، ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع؛ وما ثَمّ شمس تطلع، ولا ليل يُقبل؟

وفيه عِلْمُ تنوّع الأسباب.

وفيه عِلْمُ مراتب مَن اتّخذ من الآلهة دون الله.

وفيه عِلْمُ فضل العلماء والحكماء الإلهيّين.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي للمؤمن أن يثابر عليه.

وفيه عِلْمُ الصنعة والصانع.

وفيه عِلْمُ التنازع في الحديث، ومراتب المتنازعين.

وفيه عِلْمُ المجمَل، من المحكم، من المفصَّل، من المتشابه.

وفيه عِلْمُ تعلّق الايمان بما ليس بحقّ، مثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ[3]﴾[4].

وفيه عِلْمُ الداعي الذي يوجب استعجال طلب الشقاء[5].

وفيه عِلْمُ مواطن الأمان والزُّلَف.

---

١ [الأنفال : ٣٢]
٢ [العنكبوت : ٢٩]
٣ ص ٣٧
٤ [العنكبوت : ٥٢]
٥ حرف القاف مهمل، ولذا يمكن أن يكون: الشفاء

وفيه عِلْمُ مراتب الصبر والتوكّل.

وفيه عِلْمُ مَن عرف الحقّ واجتنبه؛ وما يُحمد من ذلك، وما يُذمّ؟ كالحقّ المأمور باجتنابه؛ كالغيبة.

وفيه عِلْمُ البسط المحمود والمذموم.

وفيه عِلْمُ مَن علم أمرا فقيل له: ما تعلمه.

وفيه عِلْمُ الحياة السارية في الموجودات، وبطونها في الدنيا وظهورها في الآخرة، وبأيّ بصر- كشفَها، في الدنيا، مَن كشفها؟

وفيه عِلْمُ الاضطرار؛ كيف يذهب بذهابه؟

وفيه عِلْمُ الطرق إلى الله، وإن اختلفتْ؛ فكلّها حقٌّ. وما يُحمد منها ويُذمُّ؟ وما يوصل إلى السعادة منها، وما يحيد بسالكه عن سعادته مع كونه يصل إلى الله؟

وفيه عِلْمُ المعيّة الإلهيّة ومراتب الموجودات فيها.

فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

---

١ [الأحزاب : ٤]

الباب[1] السادس والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل ثلاثة أسرار مكتمة
والسرّ الغربيّ في الأدب الإلهيّ والوحي النفسيّ[2] -وهو من الحضرة المحمديّة[3]

بَذَلْتُ نَفْسِي لِنَفْسِي كَيْ أَفُوْزَ بِمَنْ   قَدْ كَانَ عِنْدِي وَلَمْ أَشْعُرْ بِمَوْضِعِهِ
حَتَّى رَأَيْتُ لَهُ شَكْلًا يُمَاثِلُنِي   فَغِبْتُ فِيْهِ بِأَمْرٍ مِنْ مُشَرِّعِهِ
هَلْ لِلنَّعِيْمِ بِهِ أَوْ لِلتَّخَلُّقِ بالإنْشَاءِ فَانْظُرْ إلَى أَحْوالِ مُبْدِعِهِ
فَإنْ يُخَاطِبُكَ الرَّحمنُ مِنْ كَثَبٍ   بِسِرِّ حِكْمَتِهِ فانْظُرْ[4] عَسَى- تَعِهِ

اعلم -أيّدك الله- أنّ الله -تعالى- لمّا عمر الخلاء بالعالم كلّه، امتلأ به، وخلق فيه الحركة ليستحيل بعضه لبعضه. وتختلف الصور فيه بالاستحالات؛ لطبيعة الخلاء الذي ملأه من العالم، ذلك الذي استحال إليه. فلا يزال يستحيل دائمًا، وذلك هو الخلق[5] الجديد الذي أكثرُ الناس منه في لَبْسٍ وشكٍّ.

ومَن عَلِمَ هذا من أهل الله، الذين أشهدهم الله ذلك عينا في سرائرهم، عَلِمَ استحالة الدنيا إلى الآخرة، واستحالة الآخرة بعضها في بعضها، كما استحال منها ما استحال إلى الدنيا، كما ورد في الخبر في النيل والفرات وسيحان وجيحان: أنّها من أنهار الجنّة، استحالتْ؛ فظهرت في الدنيا بخلاف الصورة التي كانت عليها في الآخرة. ومن ذلك قوله: «بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة» واستحالتْ تربةً في الدنيا في مساحة مقدّرة معلومة. وكذلك وادي محسِّر هو وادٍ في النار استحال إلى الدنيا. وآدم وحوّاء وإبليس من عالم الآخرة، استحالوا إلى الدنيا، ثمّ يستحيلون إلى الآخرة. فتتغيّر عليهم الصور بحسب ما تعطيه طبيعة المكان المتوهَّم الذي تنقلهم

١ ص ٣٧ب
٢ ق: "الطبيعي" وعليها إشارة التغيير بما أثبته في الهامش: "النفسي"
٣ ق، س: - وهو من الحضرة المحمديّة
٤ كتب فوقها بقلم الأصل من غير إشارة الاستبدال: فاحضر
٥ ص ٣٨

إليه الحركة؛ فتؤثّر فيهم، روحا كان أو جسما، متحيّزا كان أو غير متحيّز، والله محرّكه على الدوام.

ولولا نحن ما تميّزت آخرةٌ من دنيا. فإنّ الله ما اعتبر من العالَم، في هذه الإضافة، إلّا هذا النوع الإنسانيّ والجانّ؛ فجعل الظهور للإنس من اسمه الظاهر، وجعل البطون للجانّ من[1] اسمه الباطن. وما عداهما فمسخَّر لهما، كما هو في نفسه مسخَّر بعضه لبعضه، من أجل الدرجات التي أنزلهم فيها. فأعطتهم الدرجات صور ما استحالوا إليه، لمّا نقلتهم الحركة الإلهيّة إليها. ولمّا لم نظهر لأعياننا إلّا هنا، سُمّيت هذه الدار: دار الدنيا والأُولَى، وسمّيت الحياة الدنيا. فإذا استحلنا إلى البرزخ، واستحلنا من البرزخ إلى الصور التي يكون فيها النشر والبعث، سُمّيت تلك: الآخرة. ولا يزال الأمر في الآخرة في خلق جديد منها؛ فيها أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النار في النار إلى ما لا يتناهى؛ فلا نشاهد في الآخرة إلّا خلقا جديدا في عين واحدة؛ فالعالم متناهٍ، لا متناهٍ.

ولمّا كان الأمر هكذا، لذلك يرى الإنسان نفسه إذا هو نام؛ في الجنّة، أو في القيامة، أو في غير مكانه وبلده، مما يعرفه أو يجهله، وفي غير صورته، وفي غير حاله. فقد استحال في نفسه، بحركته التي نقلته من اليقظة إلى النوم، إلى صور يعهدها في أوقات، ولا يعهدها في أوقات، وإلى أحوال محمودة حسنة يُسَرّ بها، وأحوال مذمومة قبيحة يتألّم لها. ثمّ تسرع إليه الاستحالة، فيرجع إلى اليقظة؛ إمّا باستيفاء المعنى الذي استحال إليه في النوم، فلم يبقَ فيه ما يعطيه في تلك الاستحالة[2] الخاصّة، وهو الذي ينتبه من غير سبب، وهو الانتباه الطبيعي لمّا أخذت النفس للعين حقّها من النوم الذي فيه راحتها.

فإن انتقل من النوم إلى اليقظة بسببٍ؛ إمّا من جهة الحسّ، وإمّا من أمر مفزع، أو حركةٍ مّا مزعجة ظهرت منه في حال نومه؛ فاستيقظ؛ فإن وافق ذلك الأمر استيفاء العين حقّها من النوم الطبيعي: كان، وإن لم يوافق، وبقي من حقّ العين بقيّة، لولا ذلك السبب لاستوفاها؛

١ ص ٣٨ب
٢ ص ٣٩

فإنّه يستوفيها في نوم آخر. ولذلك (نجد) بعض النائمين يطول نومهم في وقت، وسبب طوله ما ذكرناه.

وأمّا قِصَر نومه فلأحد أمرين، وهو ما ذكرناه: إمّا لسببٍ يوقظه، وإما لاستيفاء العين حقّها في تلك النومة الخاصة، من أجل المزاج الذي يكون عليه؛ فإنّه لا يستوي مزاج المتعوب ومزاج المستريح. فالمتعوب يطلب من الراحة ما يزيل به ذلك التعب؛ فيستغرقه النوم ويطول؛ لأنّه يحبّ استيفاء الراحة. فلا يوقظه قبل الاستيفاء[1] إلّا أحد ثلاثة أشياء، أو كلّها، أو بعضها؛ على حسب ما يقع: إمّا بأمر مزعج يراه في نومه، أو يوقظه أحدٌ من المتيقّظين قصدا[2]، أو صيحة عظيمة، أو حركة، أو ما كان من هذه الأسباب في عالم الحسّ مقصودا لانتباهه أو[3] غير مقصود، بل يقع بالاتّفاق. والأمر الثالث أن تكون النفس متعلّقة الخاطر بقضاء شغل مّا تحبّ أن تفعله؛ فينام على ذلك الخاطر، وهو متعلّق بذلك الأمر؛ فيزعجه؛ فينتبه قبل استيفاء حقّه من النوم. وليس المقصود مما ذكرناه إلّا تعريفك بأنّ العالم لا يخلو في كلّ نفس من الاستحالة.

ولولا أنّ عين الجوهر من الذي[4] يقبل هذه الاستحالة في نفسه، واحد ثابت لا يستحيل من حيث جوهره؛ ما علم حين يستحيل إلى أمر مّا، ما كان عليه من الحال قبل تلك الاستحالة. غير أنّ الاستحالات قد يخفى بعضها ويدقّ، وبعضها يكون ظاهرا تحسّ به النفس؛ كاستحالة خواطرها وحركاتها الظاهرة، وتدقّ وتخفى؛ كاستحالتها في علومها وقواها، وألوان المتلوّنات بتجديد أمثالها؛ فهي لا تدرك ذلك. إلّا من كان من أهل الكشف؛ فإنّه يدرك ذلك، وأزال عنه الكشفُ ذلك اللبسَ الذي أعمى غيره عن هذا الأمر.

فإن قلت: فهذه الصور التي يستحيل إليها جوهر العالم؛ ما هي؟ قلنا: الممكنات ليس غيرها هي في شيئيّة ثبوتها. وهو قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾[5] فإذا ظهر عن قول:

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ "من المتيقظين قصدا" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ٣٩ب
٤ "من الذي" كانت في ق: "ممن" وعدلت في الهامش
٥ [النحل : ٤٠]

﴿كُنْ﴾ لَبِس شيئيّة الوجود وهي[1] قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[2] أي قدرتك، أي ما كانت لك شيئيّة الوجود. وهي، على الحقيقة، شيئيّة الظهور: ظهوره لعينه، وإن كان في شيئيّة ثبوته ظاهرا متميّزا عن غيره بحقيقته، ولكن لربّه لا لنفسه. فما ظهر لنفسه إلّا بعد تعلّق الأمر الإلهيّ من قوله بظهوره؛ فاكتسب ظهوره لنفسه؛ فعرف نفسه، وشاهد عينه؛ فاستحال من شيئيّة ثبوته إلى شيئيّة وجوده. وإن شئت قلت: استحال في نفسه، من كونه لم يكن ظاهرا لنفسه إلى حالةٍ ظهر بها لنفسه، بتقدير العزيز العليم.

فالعالم كلّه طالعٌ غارب، فلَكٌ دائر، ونجم سابح ظاهر بين طلوع وغروب، عن وحي إلهيّ؛ وهو ما يتوجّه عليه من أمرٍ بظهور وخفاء، ووحي نفسي- وهو ما يطلبه من الحقّ -تعالى-؛ فيوحي إلى الحقّ، كما أوحى الحقّ إليه؛ فيعمل الحقّ بما أوحى إليه عبدُه وقتا، وقد لا يعمل وقتا. كما أنّ العبد إذا أوحى الحقُّ إليه؛ فأمره بشيء يعمله أو يتركه؛ فيطيعه وقتا ويعصيه وقتا. فظهر الحقُّ للمكلّف بصورته في العطاء والإباية، فما رأى العبدُ في الحقّ إلّا صورته، فلا يلومنّ إلّا نفسه إذا دعا الحقَّ في أمر فلم يجبه. ألا ترى إلى الملائكة لمّا لم يعصوا الله -تعالى- فيما دعاهم إليه من فعل، كما[3] أخبر عنهم؛ ما دعوه في شيء إلّا أجابهم؛ لأنّهم ليسوا على صورة منع مما دعاهم الحقّ إليه، والعالم لا يشهد من الحقّ إلّا صورة ما هو عليه. ولذلك قال ﷺ فيمن يقول: "آمين" بعد قراءة الفاتحة: «مَن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غفر له» لأنّ تأمين الملائكة مقبول عند الله، مجاب؛ فوافق زمان الإجابة للملائكة، فحصلت له الإجابة بحكم التبعيّة. إلّا أن يكون وقته وقت إجابة له؛ جزاء لما امتثل من أمر الحقّ في وقتٍ مّا.

والأصل في العالم (هو) قبول الأمر الإلهيّ في التكوين، والعصيانُ أمر عارض عرض له بِشَيءٍ. وفي الحقيقة ما عصى اللهَ أحدٌ، ولا أطاعه؛ بل الأمر كلّه لله، وهو قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ

١ ص ٤٠
٢ [مريم : ٩]
٣ ص ٤٠ب

الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[1] فأفعال العباد خَلْقٌ لله، والعبد محلّ لذلك الخلق. فالعالَم كلّه محصور في ثلاثة أسرار: جوهره، وصوره، والاستحالة، وما ثمّ أمر رابع.

فإن قلت: فمن أين ظهر حكم الاستحالة في العالم، من الحقائق الإلهيّة؟ قلنا: إنّ الحقّ وصف نفسه بأنّه كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ، والشئون مختلفة. ووصف نفسه بالفرح بتوبة عبده، ولم يفرح بها قبل كونها. وكذلك قوله[2] ﷺ: «إنّ الله لا يملّ حتى تملّوا» وذكر عنه العارفون به، وهم الرسل -عليهم السلام-: «إنّ الله -تعالى- يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله» كما يليق بجلاله. فقد نعتوه بأنّه كان على حالة قبل هذا الغضب، لم يكن فيها منعوتا بهذا الغضب. وقد ورد، في الصحيح، تحوُّله في الصور يوم القيامة إذا تجلّى لعباده. والتحوُّل هو عين الاستحالة، ليس غيرها، في الظهور[3].

ولولا ذلك ما صحّ للعالم ابتداءٌ في الخلق، وكان العالم مساوقا لله[4] في الوجود؛ وهذا ليس بصحيح في نفس الأمر. فكما قَبِل -تعالى- الظهور لعباده في صور مختلفة؛ كذلك، أيضا، لم يخلق، ثمّ خلق. فكان موصوفا في الأزل بأنّه عالم قادر، أي متمكن من إيجاد الممكن، لكن له أن يظهر في صورة إيجاده، وأن لا يظهر؛ فظهر في صورة إيجاد الممكن لمّا شاء، ولا فرق بين الممكنات في النسبة إليه -سبحانه-. ونحن نعلم أنّ زيدا ما أوجده الله، مثلا، إلّا أمس أو الآن؛ فقد تأخّر وجوده مع كون الحقّ قادرا. فكذلك يلزم الحكم في أوّل موجود من العالم، أن[5] يكون الله يتّصف[6] بالقدرة على إيجاد الشيء، وإن لم يوجده. كما أنّك قادر على الحركة في وقت سكونك، وإن لم تتحرّك؛ ولا يلزم من هذا محال؛ فإنّه لا فرق بين الممكن الموجود الآن، المتأخّر عن غيره، وبين الممكن الأوّل؛ فإنّ الحقّ غيرُ موصوف بإيجاد زيد في وقت عدم زيد؛ فالصورة واحدة إن فهمتَ.

---

١ [هود : ١٢٣]

٢ ص ٤١

٣ ق: "الصور" واستبدلت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب

٤ ق: "له" واستبدلت في الهامش بقلم الأصل

٥ ص ٤١ب

٦ ق: "يوصف" وعدلت فوقها بقلم الأصل

غير أنّ إطلاق لفظ الاستحالة لا يُطلق على الله، وإن كان قد أطلق على نفسه التحوّل، فنقف عنده مع معقوليّة ما ذكرناه. فما ثمّ إلّا الله، والتوجّه، وقبول الممكنات لِما أراد الله بذلك التوجّه؛ فهذه ثلاثة لا بدّ منها، ومن ظهور حكمها. فالغروبُ لا يكون إلّا عن طلوعٍ من طالعٍ ثمّ غرَب، والظهورُ لا يكون إلّا من بطون، لا عن بطون. وأعني بقولي: "لا عن بطون" أنّه لم يكن ظاهرا، ثمّ بطن، ثمّ ظهر عن ذلك البطون؛ بل لم يزل باطنا، ثمّ أظهره الله؛ فظهر لنفسه.

وَصْلٌ: (تقدُّم العدم نعتٌ نفسيٌّ لا العدم، والممكنات متميّزة الحقائق والصور في ذاتها)

لمّا كان الوصف النفسيّ- للموصوف لا يتمكن رفعه، إلّا ويرتفع معه الموصوف، لأنّه عين الموصوف، ليس غيره، وكان تقدُّم العدم للممكنات نعتا نفسيّا، لأنّ الممكن يستحيل[1] عليه الوجود أزلا؛ فلم يبق إلّا أن يكون أزليّ العدم. فتقدُّم العدم له نعتٌ نفسيٌّ لا العدم، والممكنات متميّزة الحقائق والصور في ذاتها، لأنّ الحقائق تعطي ذلك.

فلمّا أراد الله أن يكسوه حالة الوجود، وما ثمّ إلّا الله، وهو عين الوجود، وهو الموجود. ظهر -تعالى- للمكنات باستعدادات الممكنات وحقائقها؛ فرأت نفسها بنفسها في وجود موجِدها، وهي على حالها من العدم؛ فإنّ لها الإدراكات في حال عدمها؛ كما أنّها مدرَكة للمدرِك لها في حال عدمها. ولذا جاء في الشرع أنّ الله يأمر الممكن بالتكوين؛ فيكون. فلولا أنّ ثمّ له حقيقة السمع، وأنّه مدرِكٌ أمْرَ الحقّ إذا توجّه عليه؛ لم يتكوّن، ولا وصفه الله بالتكوّن[2]، ولا وصف نفسه بالقول لذلك الشيء المنعوت بالعدم.

فكذلك للممكن جميعُ القوى التي يدرِك بها المدرَكات التي تخصّ هذه الإدراكات. فلمّا أمرها بالتكوين لم تجد وجودا تتّصف به؛ إذ لم يكن ثمّ إلّا وجود الحقّ؛ فظهرت صورا في وجود الحقّ. فلذلك تداخلت الصفات الإلهيّة والكونيّة؛ فَوُصِفَ الخلقُ بصفات الحقّ، ووُصف الحقُّ بصفات

---

١ ص ٤٢

٢ ق: بالكون" وعدلت في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب

الخلق. فمن قال: "ما رأيت إلّا الله" صدق ومن قال: "ما رأيت إلّا[1] العالَم" صدق ومن قال: "ما رأيت شيئًا" صدق؛ لسرعة الاستحالة وعدم الثبات، فيقول: "ما رأيت شيئًا" ومن قال: "ما رأيت شيئًا إلّا رأيت الله قبلَه" فهو ما قلنا: إنّ للمكن إدراكًا[2] في حال عدمه.

فإذا جاءه الأمر الإلهيّ بالتكوين، لم يجد إلّا وجود الحقّ؛ فظهر فيه لنفسه؛ فرأى الحقَّ قبل رؤية نفسه. فلمّا لَبِسَهُ وجودُ الحقّ؛ رأى نفسه عند ذلك فقال: "ما رأيت شيئًا إلّا رأيت الله قبله" أي قبل أن يتكوّن فيه؛ فيقبل الحقّ صورة ذلك الشيء. فمن لم يعلم الأمرَ هكذا، وإلّا فما عَلِم الحقَّ، ولا الخلق، ولا هذه النِّسب. فـ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ بالصورة للاستحالات ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾، والضمير في ﴿وَجْهَهُ﴾ يعود على الشيء. فالشيء هالكٌ من حيث صورته، غيرُ هالك من حيث وجهه وحقيقته؛ وليس إلّا وجود الحقّ الذي ظهر به لنفسه.

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي لذلك الشيء الحكمَ في الوجه؛ فتختلف عليه الأحكام باختلاف الصور. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3] في ذلك الحكم؛ أي إلى ذلك الشيء يرجع الحكم، الذي حكم به على الوجه.

فالحُكْمُ والتَّحْكِيمُ لِلإِحالَةْ   لأَنَّها المَقْصُودُ لا مَحالَةْ[4]

فما ثَمّ إلّا هلاك وإيجاد في عين واحدة لا[5] تبديل إلّا لله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[6] ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[7] بل التبديل له. كما له الأمر من قبل ومن بعد. يقضي بذلك كونه أخبر عن نفسه أنّه الأوّل والآخِر من عين واحدة.

فَلَيْسَ[8] إلّا صُوَرٌ ظاهِرَةْ   هُنَـا وَفي البَـرْزَخِ والآخِـرَةْ

١ ص ٤٢ب
٢ كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "الإدراك" مع إشارة التصويب
٣ [القصص : ٨٨]
٤ كتب مقابلها في الهامش: رجز غير مقصود
٥ ص ٤٣
٦ [الروم : ٣٠]
٧ [يونس : ٦٤]
٨ كتب مقابل هذه الأبيات في الهامش بقلم الأصل: أبيات غير مقصودة

وَهُوَ الذي جاءَ بِهِ قَوْلُهُ:   ﴿إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾[1]
تَوَهَّمُوا ذاكَ وَما حَقَّقُوا   لِذاكَ قالُوا: ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[2]
فَلَوْ رَأَوْهـا، وَرَأَوْا إِنَّهـا   لَيْسَتْ سِوَى أَعْيانِها الظّاهِرَةْ

فما أحالوها ولا عرّجوا عنها، لكونهم ما نظرت أعينهم إلّا إليها. فكيف ينكرون ما رأوه؟ ويجحدون عن نفوسهم ما تيقّنوه؟ ومن لم يكن له هذا الإدراك، فقد حُرِم العلم والمعرفة التي أعطاها الشهود والكشف.

وفي هذا المنزل من العلوم: عِلْمُ المعجزات، وعِلْمُ الطمس، وعِلْمُ التتالي وتتابع الموجودات[3] في الخلق.

وفيه عِلْمُ اليقين.

وفيه عِلْمُ ما يحصل بالخبر.

وفيه عِلْمُ ما يُحمدُ ويُذمُّ.

وفيه عِلْمُ الغضب، ولا يقع إلّا ممن لم يعط الأمور حقّها في حدودها.

وفيه عِلْمُ الرحمة بالضعفاء، والخلق كلّهم ضعفاء بالأصالة؛ فالرحمة تشملهم.

وفيه عِلْمُ ورْث الكون الأسماء الإلهيّة.

وفيه عِلْمُ التمكين. وفيه عِلْمُ الإشهاد.

وفيه عِلْمُ البيان لتمييز ما يُحذر، وما لا يحذر.

وفيه عِلْمُ إلحاق الإناث بالذكور، وهو إلحاق المنفعل بالفاعل من حيث ما ينفعل عنه منفعل

١ [النازعات : ١٠]
٢ [النازعات : ١٢]
٣ ص ٤٣ب

آخر، حتى ينتهي الأمر إلى منفعل آخر لا ينفعل عنه منفعل. كما ينتهي الأمر من الطرف الآخر، إلى فاعل لا يكون منفعلا عن فاعل، وهو الحقّ -تعالى-.

وفيه عِلْمُ اختلاف الوجوه في العين الواحدة.

وفيه[1] عِلْمُ الآثار، وما تعطي العالِم بها من العلوم. ومن هنا أخذ السامريّ القبضةَ من أثر جبريل؛ فلولا علمه بما تعطيه الآثار ما فعل. ومن هذا الباب؛ الذين يقصّون الأثر في طلب الشيء. ومن هذا الباب تعرف أقدام السعداء من أقدام الأشقياء، إذا رأى صاحب هذا العلم وطأتهم في الأرض، وإن لم ير أشخاصهم. فإذا رأى أثر أرجلهم حكم عليهم بما يظهر له.

وفيه عِلْمُ التعريض، وقولهم في المثل السائر: "إنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب".

وفيه عِلْمُ التورية، ولذلك كان ﷺ إذا أراد غزو جهة ورّى بغيرها.

وفيه عِلْمُ ما تعطيه الأسباب من الحِكَم في العالم.

وفيه عِلْمُ حكم الأحوال على الرجال الأقوياء، بل حكم الأحوال على كلّ شيء. ومن هذا الباب رِضا الله عن المطيع، وغضبه على من شاء من العصاة.

وفيه عِلْمُ من أين نَصْرُ الشخص مَن يشبهه في الصفة إذا تعدّي عليه؟ وهو ضدّ لماثِله بالجسد[2] الذي ركّبه الله عليه، ويظهر ذلك في الحيوان[3] كثيرا.

وفيه[4] عِلْمُ الأسباب التي تورث الالتجاء إلى الله ﷻ وهي أسباب القهر.

وفيه عِلْمُ سفر الخواطر وسفر الأجسام، وما ينتج كلّ سفر منها؟

وفيه عِلْمُ من أين يَترك الإنسان طلب ما هو محتاج إليه بالطبع، مثل قول بعضهم في أنّ

---

١ ص ٤٤
٢ ق: حروفها المعجمة مهملة ولعلها: بالحسد
٣ هناك إشارة استبدال في ق بـ"الحيوانات" كما هي في س
٤ ص ٤٤ب

الفقير مَن ليست له إلى الله حاجة. وهذا، وإن كان لفظه في غاية القبح، فهو من جهة المعنى في غاية الحسن؛ لأنّه أرفع درجات التسليم، وصاحب هذا المقام هو الذي اتّخذ الله وكيلا، لعلمه بأنّه -تعالى- أعلم بما يصلح لهذا العبد؛ فلا يعيّن له العبد حاجة؛ لجهله بالمصالح. فالفقير ليست له إلى الله حاجة معيّنة، بل ردّ أمره كلّه إلى الله.

وفيه عِلْمُ ما ينتج من[1] له هذا المقام، وكان حاله؟

وفيه عِلْمُ مَن عرف مقدار النساء ومنزلتهنّ في الوجود؟ ولهذا حبّبهنّ الله لمحمد ﷺ فإنّه من أسرار الاختصاص. ولمّا أعلم الله موسى ﷺ قدر هذا؛ استأجر نفسه في مهر امرأة عشر سنين. وما يعرف مقدار النساء، وأعني بالنساء الأنوثة السارية في العالم، وكانت في النساء أظهر؛ فلهذا حُبِّبَتْ لمن[2] حبّبت إليه؛ فإنّ النظر العقليّ لا يعطي ذلك؛ لبعده عن الشهوة الطبيعيّة، وما علم هذا العقل أنّه ما تنزّه عن الشهوة الطبيعيّة الحيوانيّة في زعمه إلّا بالشهوة الطبيعيّة، فما زهد في شيء إلّا بما زهد فيه؛ فما خرج عن حكمه، وهذا أجهل الجاهلين. ولو لم يكن في شرف النساء إلّا هيئة السجود لهنّ عند النكاح، والسجود أشرف حالات العبد في الصلاة.

ولولا خوفي أن أثير الشهوة في نفوس السامعين، فيؤدّي ذلك إلى أمور يكون فيها حجاب الخلق عمّا دعاهم الحقُّ إليه -لجهلهم بما كنت أذكره في ذلك، ولكن له مواطن يستعمل فيها- لأظهرتُ من ذلك ما لا يَظهر على فضله فضلُ شيء، ولذلك قرن معه حبّ الطِّيب والصلاة، ومن أسماء الله -تعالى-: "الطيّب". ولو نظرتَ فيما أنتج الله من الكلام الإلهيّ لموسى ﷺ حين خرج ساعيا لأهله لما كانوا يحتاجون إليه من النار؛ فبِسَعْيِهِ على عياله، واستفراغه؛ ناداه الحقُّ وكلّمه في عين حاجته؛ وهي النار؛ فقال له: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[3].

---

١ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٢ ص ٤٥
٣ [النمل : ٨]

وفيه عِلْمُ وجود الحقّ في عين الخلاف، كما يوجد في عين الاتّفاق لمن عقل.

وفيه[1] عِلْمُ افتقار الأعلى إلى الأدنى، وحاجته إليه. وهذا العلم من أصعب العلوم لدقّة ميزانه؛ فإنّه ما كلُّ أحد يقدر يَزِن بهذا الميزان، ولا سيما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[2] فمن أيّ شيء تَحَفَّظَ في قوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾؟ ونحن نعلم أنّه لا يُطْعَمُ، ولا يطلب الرزق من عباده؛ بل ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ﴾[3] لمّا كانت القوّة فينا للغذاء فقال: ﴿أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ فتكون قوّتي مما طعمتُ؛ بل لي القوّة من غير غذاء ولا طعام.

وفيه عِلْمُ الإمامة في العالَم، وأنّه لا يجتمع أمر العالَم إلّا بها، ولا تكون المصالح إلّا بها.

وفيه عِلْمُ تعليم العلم.

وفيه عِلْمُ الغيب الإضافيّ، وما ثَمّ غيب مطلق.

وفيه عِلْمُ مَن طلب شيئا؛ فلمّا أُعطيه رَدَّه ولم يقبله؛ فما السبب الذي حمل الطالب على طلبه؟ وما السبب الذي جعله يردُّه ولا يقبله؟ فينبني على هذا علم السبب المؤدّي إلى الطلب على الإطلاق، من غير تخصيص طالبٍ من طالب.

وفيه عِلْمُ ما يتبع الشخص إلّا مَن له الحكم فيه، وما يَحْكُمُ فيه[4] إلّا مَن له التعشّق به. وهذا اتّباع الاختيار، لا اتّباع الجبر. فإنّ اتّباع الجبر قد لا يكون له حكم ما ذكرناه، وإن كان العاشق مجبورا للعشق القائم به، ولكنّ الفرق ظاهر بين الحركتين.

وفيه عِلْمُ التوصيل، وما ينتج؟

---

١ ص ٤٥ب
٢ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]
٣ [الذاريات: ٥٨]
٤ ص ٤٦

وفيه عِلْمُ الأصناف الذين يضاعَف لهم العطاء في الآخرة.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يطلب له العالم.

وفيه عِلْمُ ما يُحْذَر من الاتّباع، وما لا يُحْذَر؟ وما يُذمّ من الحذَر، وما لا يُذمّ؟

وفيه عِلْمُ السبب الموجب هلاكَ ما يهلك من العالم.

وفيه عِلْمُ المفاضلة في العالم بالمراتب.

وفيه عِلْمُ الأنساب والأحساب، وما يقع به الشرف في الانتساب، وما لا يقع؟ ونهي النبيّ ﷺ عن الطعن في الأنساب.

وفيه عِلْمُ الأهوال الشاغلة.

وفيه عِلْمُ الجبر، ومَن هو المجبور؟

وفيه عِلْمُ التنزيه.

وفيه عِلْمُ عواقب الثناء وأوائله.

وفيه[1] عِلْمُ الأحكام، ولمن تُنسب؟ ومَن يحكم بها؟

وفيه عِلْمُ التقدير الذي لم يقع؛ لو وقع ما ينتج؟ وهل ترك وقوعه من باب الرحمة بالعالم، أم لا؟

وفيه عِلْمُ إقامة الحجج.

وفيه عِلْمُ الابتلاء، وما فائدته؟

وفيه عِلْمُ صنعة الكيمياء[1].

---

١ ص ٤٦ب

وفيه عِلْمُ الاعتبار.

وفيه عِلْمُ التمنّي، وما يفيد منه وينفع المتمني؟ وما لا يفيد ولا ينفع؟

وفيه عِلْمُ أهليّة كلّ موجود لما أُهِّل له.

وفيه عِلْمُ مَن جازى بأفضل مما عُمل له، ومَن أجاب بأكثر مما سئل عنه.

وفيه عِلْمُ ما نهي عنه المؤمن: هل هو بقاءٌ على الأصل؛ لأنّه تركٌ؟ ولماذا تأخّر عن الأمر، وكلاهما حكم الله؟

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

---

[1] "صنعة الكيمياء" كتب مقابلها بقلم الأصل: "الصنعة المسماة كيمياء"

[2] [الأحزاب : ٤]

الباب السابع والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل البهائم[1] من الحضرة الإلهيّة، وقهرهم تحت سِرّين موسويّين

هَيْهاتَ ما تُسْدَلُ الأَسْتارُ والكِلَلُ ... إلّا لأَمْـرٍ عَظِـيمٍ كُلّـهُ جَلَـلُ

لَوْ أنّ مـا سَـتَرَتْ يَبْـدُو لأَعْيُنِنا ... لَمَـا بَـدَتْ نِحَـلٌ فِينـا وَلا مِلَـلُ

وَلا بَـدَا عَـرَضٌ فِي طَيِّـهِ مَـرَضٌ ... وَلا دَوَاءٌ وَلا طِـبٌّ وَلا عِلَـلُ

وَلا جَدِيـدٌ تَكُـونُ الـنَّفْسُ تَلْبسُـهُ ... وَلا التَّوَسُّـطُ مِنْـهُ لا وَلا السَّـمَلُ[2]

إنّ السُّتُورَ تُرَى فِي العَيْنِ صُوَرَتُها ... وَلَـيْسَ يُـدْرِكُها فِي ذَلِـكُمْ مَلَـلُ

وأَعْيُنُ الكَوْنِ خَلْفَ السِّـتْرِ ناظِـرَةٌ ... والحُجْبُ تُبْصِرُ مَا لا تُبْصِرُ المُقَلُ

اعلم -أيّدك الله- أيّها الطالبُ معرفةَ الأمورِ على ما هي عليه في أنفسها؛ أنّك لا تعلم ذلك إلّا إذا أوقفك الله عليك من نفسك، وأشهدك ذلك[3] من ذاتك؛ فيحصل لك ما طلبته ذوقا، عندما تقف عليه كشفا. ولا سبيل إلى حصول ذلك إلّا بعناية أزليّة تعطيك استعدادا تامّا لقبوله؛ برياضات نفسيّة، ومجاهدات بدنيّة، وتخلّق بأسماء إلهيّة، وتحقّق بأرواح طاهرة ملكيّة، وتطهير بطهارة شرعيّة، مشروعة لا معقولة، وعدم تعلّق بأكوان، وتفريغ محلّ من جميع الأعيان. لأنّ الحقّ ما اصطفى لنفسه منك إلّا قلبك حين نوّره بالإيمان؛ فوسع جلالَ الحقّ.

فعاين مَن هذه صفته الممكنات بعين الحقّ؛ فكانت له مشهودة. وإن لم تكن موجودة؛ فما هي له مفقودة. وقد كشف لبصيرته، بل لبصره وبصيرته، نور الإيمان حين انبسط على أعيان الممكنات؛ أنّها في حال عدمها؛ مرئيّة رائية، مسموعة سامعة؛ برؤية ثبوتيّة، وسَمْعٍ ثبوتي، لا

---

[1] ص ٤٧

[2] السَّمل: الخلَق من الثياب

[3] ص ٤٧ب

وجود له. فعيّن الحقُّ ما شاء من تلك الأعيان، فوجّه عليه دون غيره من أمثاله، قولَه المعبَّر عنه باللسان العربي، المترجم بـ"كُنْ" فأسمعه أمره. فبادر المأمورُ؛ فتكَوَّن عن كلمته، لا بل كان عينَ كَلِمَتِه. ولم تزل الممكنات، في حال عدمها الأزليّ لها، تَعرِف الواجب الوجود لذاته، وتسبّحه، وتمجّده، بتسبيح[1] أزليّ وتمجيد قديم ذاتيّ، ولا عين لها موجود، ولا حكم لها مفقود.

فإذا كان حال الممكنات كلِّها، على ما ذكرناه من هذه الصفات التي لا تجهل معها؛ فكيف تكون في حال وجودها وظهورها لنفسها جمادا لا ينطق؟! أو نباتا بتعظيم خالقه لا يتحقّق؟! أو حيوانا بحاله لا يصدِّق؟! أو إنسانا بربّه لا يتعلّق؟! هذا محال. فلا بدّ أن يكون كلّ ما في الوجود، من ممكن موجود، يسبّح الله بحمده بلسانٍ لا يفقه، ولحنٍ ما إليه كلُّ أحدٍ يتنبّه؛ فيسمعه أهلُ الكشف: شهادةً، ويقبله المؤمن: إيمانا وعبادة. فقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2] فجاء باسم الحجاب والستر، وهو قوله: ﴿غَفُورًا﴾ وجاء بالاسم الذي يقتضي- تأخير المؤاخذة إلى الآجل، وعدم حكمها في العاجل وهو "الحليم" لما علم أنّ في عباده مَن حُرِم الكشفَ والإيمان؛ وهم العقلاء عبيد الأفكار، والواقفون مع الاعتبار. فجازوا من الظاهر إلى الباطن مفارقين الظاهرَ، فعبروا عنه؛ إذ لم يكونوا أهل كشف ولا إيمان، لمّا حجب الله أعينَهم عن مشاهدة ما هي عليه الموجودات في أنفسها، ولا رُزقوا إيمانا في قلوبهم يكون له نور يسعى بين أيديهم.

وأمّا المؤمنون الصادقون[3]، أُولو العزم من الأولياء، فعبروا بالظاهر معهم، لا من الظاهر إلى الباطن، وبالحرف عينه إلى المعنى؛ ما عبروا عنه. فرأوا الأمور بالعينين، وشهدوا بنور إيمانهم النجدين. فلم يتمكن لهم إنكار ما شهدوه، ولا جحد ما تيقّنوه. فأسمعهم الله نُطقَ الموجودات، لا بل نطقَ الممكنات قبل وجودها؛ فإنّها حيّة، ناطقة، درّاكة: بحياة ثبوتيّة، ونُطق ثبوتيّ، وإدراك ثبوتيّ؛ إذ كانت في أنفسها أشياء ثبوتيّة. فلمّا قبِلَتْ شيئيّة الوجود قَبِلَتْها بجميع نعوتها وصفاتها،

١ ص ٤٨
٢ [الإسراء : ٤٤]
٣ ص ٤٨ب

وليس نعتُها سِوَى عينها. فهي في حال شيئيّة وجودها حيّةٌ بحياةٍ وجوديّة، ناطقة بنطق وجوديّ، درّاكة بإدراك وجوديّ.

إلّا أنّ الله -سبحانه- أخذ بأبصار بعض[1] عباده عن إدراك هذه الحياة السارية، والنطق، والإدراك الساري في جميع الموجودات، كما أخذ الله ببصائر أهل العقول والأفكار عن إدراك ما ذكرناه في جميع الموجودات، وفي جميع الممكنات. وأهل الكشف والإيمان على علم مما هو الأمر عليه في هذه الأعيان، في حال عدمها ووجودها. فمن ظهرتْ حياته سُمّي: حيّا، ومن بطنتْ حياته فلم تظهر لكلّ عين، سُمّي: نباتا وجمادا. فانقسم عند المحجوبين[2] الأمرُ، وعند أهل الكشف والإيمان لم ينقسم.

فأمّا صاحب (=أصحاب) الكشف والشهود، أهل الاختصاص، فقد أعطاهم الشهود، ما أعطى المحجوبين شهودهم. فيقول أهل الشهود: "سمعنا ورأينا" ويقول المحجوبون: "ما سمعنا ولا رأينا" ويقول أهل الإيمان: "آمنّا وصدّقنا" قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ و"شيءٌ" نكرة. وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾[3] فذكر الجماد والنبات والحيوان الذين وقع فيهم الخلاف بين المحجوبين من أهل العقول والأفكار، وبين أهل الشهود والإيمان.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾[4] وقال: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾[5] وقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[6] وقال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾[7] وقال: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾[1] وقال عن الهدهد إنّه

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ٤٩
٣ [الحج : ١٨]
٤ [النحل : ٤٩]
٥ [الرعد : ١٣]
٦ [الرعد : ١٥]
٧ [النمل : ١٨ ، ١٩]

قال لسليمان: إنّي ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي[2] وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[3] فانظر فيما أعطى الله هذا الهدهد من العلم بالله وما ذكره. وقال تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾. ثمّ أخبر أنّ طائفة من العباد لا توقن بذلك، وتخرجه بالتأويل عن ظاهره، فقال: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[4] أي لا يستقرّ الإيمان بالآيات، التي هذه الآية منها، في قلوبهم؛ بل يقبلون ذلك إيمانا. وطائفة منهم تتأوّل ذلك على غير وجهه الذي قصد به.

وقال ﷺ: «يَشهد للمؤذّن مدى صوته من رطب ويابس» وقال في أُحُدٍ: «هذا جبل يحبّنا ونحبّه» وقال: «إنّي لأعرف حجرا بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أُبعث» ثمّ إنّه قد صحّ أنّ «الحصى سبّح في كفّه» وصحّ «حنين الجذع إليه» الذي كان يستند إليه إذا خطب الناس قبل أن يُعمل له المنبر، فلمّا صُنع له المنبر تركه؛ فحنّ إليه؛ فنزل من منبره، وأتاه، فلمسه بيده حتى سكن. وصحّ أنّ «كتف الشاة المسموم كلّمه». وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تكلّم[5] الرجلَ عَذَبَةُ سوطِه، وتخبره فخِذُهُ بما فعل أهلُهُ بعْده» وثبت عنه في قتل اليهود في آخر الزمان: «إذا استتر اليهود خلف الشجر، يقول الشجر: يا مسلم؛ هذا يهودي خلفي اقتله، إلّا شجرة الغرقد» فإنّها ملعونة لا تنبّه على مَن يستتر بها من اليهود.

وهنا سِرّ إلهيّ عجيب؛ يُعلم أنّ من الأشجار مَن راعى حقّ مَن استجار به، اعتمادا من تلك الشجرة على رحمة الله، ووفاء لحقّ الجوار، وهو من الصفات المحمودة في كلّ طائفة، وفي كلّ ملّة. وقال رسول الله ﷺ لابنة عمّه أُمّ هاني: «قد أجرنا مَن أجرتِ يا أُمّ هاني» وكان مشركا. واليهود أهل كتاب على كلّ حال، فهم أَوْلَى بأن يوفّى لهم بحقّ الجوار. وكان هذا من الله في حقّ هذه الشجرة التي استجار بها اليهود، فسترتهم؛ ليتحقّق عندنا قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن

١ [النمل : ١٦]
٢ ص ٤٩ب
٣ [النمل : ٢٢ ، ٢٤]
٤ [النمل : ٨٢]
٥ ص ٥٠

يَشَاءُ﴾[1] فجاء بلفظة: "مَن" وهي نَكِرة؛ فدخل تحتها كلُّ شيء؛ لأنّ كلَّ شيءٍ حيٌّ ناطقٌ، فيدخل تحت قوله: "مَن".

لأنّ بعض النحاة يعتقدون أنّ لفظة "مَن" لا تقع إلّا على مَن يعقل، وكلّ شيء يسبّح بحمد الله، ولا يسبّح إلّا مَن يعقل مَن يسبّحه، ويُثني عليه بما يستحقّه. فـ"مَن" تقع على كلّ شيء، إذ كلُّ شيءٍ يعقِل عن الله ما يسبّحه به. فالله -تعالى- يرزقنا الإيمان، إذا[2] لم نكن من أهل العيان والكشف والشهود[3] لهذه الأمور، التي أعمى اللهُ عنها أهلَ العقول؛ الذين تعبّدتْهم أفكارُهم، وغير المؤمنين الذين طمس الله على قلوبهم.

فمَن علم أنّ كلَّ شيءٍ ناطقٌ ناظرٌ إلى ربّه؛ لزِمَهُ الحياءُ من كلّ شيء، حتى من نفسه وجوارحه؛ فإنّ الله يقول: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[5] وأخبر -تعالى- عن بعض الناس المشهود عليهم أنّهم يقولون ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ﴾ يعني بالشهادة عليكم ﴿الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[6].

فيا وليّ؛ لا تكُنِ الجلودُ أعلمَ بالأمر منك، مع دعواك أنّك من أهل العقل والاستبصار. فهذه الجلود قد علِمَتْ نُطق كلّ شيء، وأنّ الله مُنطِقه بما شاء. ثمّ قال: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ إنّ هذا لا يمكن الاستتار منه، لأنكم ما تعملون الذي تأتونه من المنكرات إلّا بالجوارح؛ فإنّها عين الآلة تصرّفونها في طاعة الله أو معصيته؛ فلا يمكن لكم الاستتار عمّا لا يمكنك العمل إلّا به ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا

١ [البقرة : ١٠٥]
٢ كتب تحتها "وإن" مع إشارة التصويب
٣ ص ٥٠ب
٤ [النور : ٢٤]
٥ [يس : ٦٥]
٦ [فصلت : ٢١]

مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] هذا خطابُ مَن يعتقد أنّ الله لا يعلم الجزئيّات خاصّة.

ثمّ قال: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ[2] الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3] والخسران ضدّ الربح، وهو نقصٌ من رأس المال، لمّا كان الأمرُ تجارةً اتّصف بالربح والخسران، يقول تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[4] عقيب قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ فلمّا باعوا الهدى بالضلالة خسروا. وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[5] وإنما عدل في هذه الأمور إلى التجارة دون غيرها؛ فإنّ القرآن نزل على قُرَشِيٍّ، بلغة قريش بالحجاز، وكانوا تجّارا دون غيرهم من الأعراب. فلمّا كان الغالب عليهم التجارة، كسا الله ذات الشرع والإيمان لفظ التجارة؛ ليكون أقرب إلى أفهامهم ومناسبة أحوالهم.

وبعد أن أبنتُ لك عن الأمور على ما هي عليه، إن كنتَ ذا نظر أو إيمان -فإنّي ما أخبرتك إلّا بممكن، ما أخبرتك بمحال- فلنقل بعد هذا البيان الشافي، والإيضاح الكافي لأهل طريق الله خاصّة، وخاصّته من عباده من مكاشف ومؤمن: إنّ البهائم ما اختصّت بهذا الاسم المشتقّ من الإبهام والمبهم، لكون الأمر أُبهم عليها؛ فإنّا قد بيّنّا لك ما هي عليه من المعرفة بالله وبالموجودات، وإنما سُمّيتْ بذلك لما انبهم علينا من[6] أمرها. فإبهام أمرها؛ إنما هو من حيث جهلنا ذاك، أو حيرتنا فيه، فلم نعرف صورةَ الأمر كما يعرفه أهلُ الكشف.

فهي عند غير أهل الكشف والإيمان بهائم؛ لما أُبهم عليهم من أمرها، لما يرون من بعض الحيوان من الأعمال الصادرة عنها، التي لا تصدر إلّا عن فكرٍ، ورويّة صحيحة، ونظر دقيق. يصدر منهم ذلك بالفطرة، لا عن فكر، ولا رويّة. فأبهم اللهُ على بعض الناس أمرَهم، ولا

١ [فصلت : ٢٢]
٢ ص ٥١
٣ [فصلت : ٢٣]
٤ [البقرة : ١٦]
٥ [الصف : ١٠- ١١]
٦ ص ٥١ب

يقدرون على إنكار ما يرونه مما يصدر عنهم من الصنائع المحكمة. فذلك جعلهم[1] يتأوّلون ما جاء في الكتاب والسنّة مِن نطقهم، ونسبة القول إليهم. ليت شعري؛ ما يفعلون فيما يرونه مشاهدةً في التي تصدر عنهم من الأفعال المحكمة؛ كالعناكب في ترتيب الحبالات لصيد الذباب الذي جعل الله أرزاقهم فيه؟ وما يدّخره بعض الحيوان من أقواتهم على ميزان معلوم وقدر مخصوص؟ وعلمهم بالأزمان، واحتياطهم على أنفسهم في أقواتهم؛ فيأكلون نصف ما يدّخرونه خوف الجدب، فلا يجدون ما يتقوّتون به؛ كالنمل؟

فإن كان ذلك عن نظرٍ، فهم يشبهون أهل النظر؛ فأين عدم العقل الذي يُنسب إليهم؟ وإن كان ذلك علما ضروريّا، فقد أشبهونا فيما لا ندركه إلّا بالضرورة؛ فلا فرق بيننا وبينهم لو رفع الله عن أعيننا غطاء[2] العمى كما رفعه الله عن أبصار أهل الشهود وبصائر أهل الإيمان. وفي عشق الأشجار بعضها بعضا التي لها اللقاح؛ فإنّ ذلك فيها أظهرُ آياتٍ لأهل النظر إذا أنصفوا.

واعلم أنّ العاقل -كان مَن كان مِن أيّ أصناف العالَم إن شئتَ- إذا أراد أن يوصِل إليك ما في نفسه، لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروفٍ ولا بدّ. فإنّ الغرض من ذلك إذا كان؛ إنما هو إعلامك بالأمر الذي في نفس ذلك المعلِّم إيّاك. فوقتا بالعبارة اللفظيّة المنطوق بها في اللسان[3]، المسمّاة في العُرْفِ: قولا وكلاما. ووقتا بالإشارة بيدٍ، أو برأسٍ، أو بما كان. ووقتا بكتاب ورقوم. ووقتا بما يحدث من ذلك المريد إفهامَك بما يريد الحقُّ أن يُفهمك؛ فيوجِد فيك أثرا تعرف منه ما في نفسه، ويسمّى هذا كلّه أيضا كلاما كما قال -تعالى-: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[4] فأخبر أنّها تكلِّمنا.

وذلك أنّها إذا خرجت من أجياد، وهي دابّة، أهلب[5]، كثيرة الشعر، لا يُعرف قُبُلها مِن دُبُرِها، يقال لها: الجسّاسة. فتنفخ؛ فَتَسِمُ بنفخها وجوهَ الناس: شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، برًّا

١ "فذلك جعلهم" كتب مقابلها في الهامش: "فَهَبْكَ" مع إشارة التصويب
٢ ص ٥٢
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٤ [النمل : ٨٢]
٥ أهلب: الفرس كثير الشعر

وبحرا. فيرتقم في جبين كلِّ شخص ما هو عليه في علم الله، من إيمان وكُفر. فيقول مَن سَمَّتُه مؤمنا لِمَن سَمَّتُه كافرا: "يا كافر؛ أعطني كذا وكذا" وما[1] يريد أن يقول له. فلا يغضب لذلك الاسم؛ لأنه يعلم أنّه مكتوب في جبينه كتابةً لا يمكنه إزالتَها. فيقول الكافر للمؤمن: "نعم" أو "لا" في قضاء ما طلب منه، بحسب ما يقع. فكلامُها المنسوب إليها ما هو في العموم سِوَى ما وَسَمَتْ به الوجوهَ بنفختها. وإن كان لها كلام مع من يشاهدها أو يجالسها من أهل[2] أيّ لسان كان؛ فهي تكلّمه بلسانه: من عرب أو عجم، على اختلاف اصطلاحاتهم، يعلم ذلك كلّه. وقد ورد حديثها في الخبر الصحيح الذي ذكره مسلم في حديث الدجّال، حين دلّتْ تميم الداري عليه، وقالت له: «إنّه إلى حديثك بالأشواق» وهي الآن في جزيرة في البحر الذي يلي جهة الشمال، وهي الجزيرة التي فيها الدجّال.

واعلم أنّه ما من صورة في العالم الأسفل، إلّا ومثلها (صورة) في العالم العُلويّ. فصور العالم العُلويّ تحفظ على[3] أمثالها في العالم السفليّ الوجودَ، وتؤثّر فيها ما تجده من العلم بالأمور التي لا تقدر على إنكارها من نفسها؛ لتحققّها بما تجده؛ فهذا أثر الصور العُلويّات الفلكيّات في الصور السفليّات العنصريّات. وتؤثّر الصور العنصريّات السفليّات في الصور العُلويّات الفلكيّات: الحُسن، والقبح، والتحرّك[4] بالوهب لما تحتاج إليه بما هي عليه من الاستعدادات. فلا تقدر الصور العُلويّات أن تحفظ نفسها عن هذا التأثير؛ لأنّ لهذا خُلِقَت.

وبين العالمين رقائق ممتدّة من كلّ صورة إلى مثلها، متّصلة غير منقطعة. على تلك الرقائق يكون العروج والنزول؛ فهي معارج ومدارج، وقد يعبَّر عنها بالمناسبات. وبين تلك الصور العلويّات الفلكيّات وبين الطبيعة رقائق ممتدّة، عليها ينزل من الطبيعة إلى هذه الصورة ما به قوام وجودها. فإذا انصبغتْ بذلك، أفاضت على الصور السفليّات العنصريّات ما به قوام وجودها، ولكن من حيث ما هي أجسام وأجساد لا غير؛ ليحفظ عليها صورها.

١ ص ٥٢ب
٢ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب وحرف خ
٤ ص ٥٣

وبين هذه الصور العلويّات الفلكيّات وبين النفس الكلّيّة التي عبَّر عنها الشارع ﷺ عن الله بـ"اللوح المحفوظ" لمّا حفظ الله عليه ما كتب فيه؛ فلم ينله محو بعد ذلك ولا تبديل. فكلّ شيء (مكتوب) فيه، وهو المسمّى في القرآن بـ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ تسمية إلهيّة، ومنه كتب اللهُ كتبه وصحفه المنزلة على رسله وأنبيائه، مثل قوله -تعالى-: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] وهو اللوح[2] المحفوظ. ففَصّلتِ الكتبُ المنزلةُ مُجْمَلَهُ، وأبانت عن موعظته. فبين هذه الصور وبين هذه النفس رقائق ممتدّة، من حيث أرواحها المدبّرة لصور أجسادها. تنزل عليها العلوم والمعارف بما شاء الله: إمّا من العلم به، أو العلم بما شاء من المعلومات الموجودات والمعقولات.

فإذا حصلت أرواح هذه الصور العُلويّات الفلكيّات، ما شاء الله من العلوم، التي هي لها بمنزلة الغذاء لصورها الجسميّة؛ فبه قوام وجودها، ونعيمها، ولذّتها؛ فإذا انصبغتْ بتلك الأنوار وتحقّقت بها؛ أفاضت على نفوس الصور السفليّات العنصريّات من تلك العلوم بحسب ما قَبِله استعدادها. فيتفاضلون في العلم؛ لتفاضل الاستعداد، ثمّ يُعْلِم بعضُهم بعضا. وليس التعليم إلّا رفع الحجب التي حجبها استعدادهم عن قبول ذلك الفيض؛ فكنى عن ذلك الرفع بالتعليم. فلم يكن التعليم إلّا من ذلك الفيض من تلك الصور العلويّات الفلكيّات، كما يُرفع المانع الذي يمنع الماء عن جريتِه، فإذا رفعته جرى الماء في ذلك الموضع الذي كان المانع يمنع من جَرْيَتِه[3] عليه. ففاتِحُ هذا السدِّ لم يُجْرِ الماء، كذلك المعلِّم من هذه الصور السفليّة لغيرها من أمثالها، إنما رفع عنها حجاب الجهل والشكّ. فانكشفتْ، لذلك، الفيض الروحاني؛ فقبِلتْ من العلوم ما لم يكن عندها؛ فتخيّلتْ أنّ العلم لها من رفع غطاء جهلها. وليس الأمر كذلك، فافهم.

وبين هذه الصور العُلويّات الفلكيّات وبين الصور السُفليّات العنصريّات رقائق ممتدّة للأسماء الإلهيّة والحقائق الربّانيّة، وهي الوجوه الخاصّة التي لكلّ ممكن الذي صدر منه عن

١ [الأعراف: ١٤٥]
٢ ص ٥٣ب
٣ ص ٥٤

كلمة: ﴿كُنْ﴾ بالتوجُّه الإراديّ الإلهيّ، الذي لا يعلمه السبب من غيره، وإن كان له وجهٌ خاصّ من نفسه، يعلم ذلك أو يجهله. ومن ذلك الوجه يَفتقرُ كلُّ شيء إلى الله، لا إلى سببه الكونيّ. وهو السبب الإلهيّ الأقرب من السبب الكونيّ؛ فإنّ السبب الكونيّ منفصل عنه. وهذا السبب لا يتّصف بالانفصال عنه ولا بالاتّصال المجاور، وإن كان أقرب في حقّ الإنسان من حبل الوريد؛ فقُربه أقرب من ذلك. فيعطي الله -تعالى- لكلّ صورة عُلويّة وسُفليّة[1]، من العلوم الاختصاصيّة التي لا يعلم بها إلّا ذلك المعطَى له خاصّة؛ ما شاء الله.

وهذه هي علوم الأذواق التي لا تنقال ولا تنحكي، ولا يعرفها إلّا مَن ذاقها. وليس في الإمكان أن يُبلِّغها مَن ذاقها إلى مَن لم يذقها، وبينهم في ذلك تفاضل لا يُعرف، ولا يمكن أن يعرف عين ما فضله[2] به؛ فكما كان في العلم هذا الاختصاص، كان ثَمّ جنّات اختصاص.

واعلم أنّه ليس في المنازل ولا في المقامات، منزل عمّ جميع العالم والإنسان، إلّا هذا المنزل؛ فله عموم الرحمة في العالم؛ لأنّ العالم من حيث حقيقته قام على أربعة أركان في صورته الجسميّة والروحانيّة. فهو من حيث طبيعته مربّع، ومن حيث روحه مربّع. فمن حيث جسده؛ ذو أربع طبائع عن أركان أربعة. ومن حيث روحه: عن أمٍّ، وأب، ونَفْخ، وتوجُّه. فجاءت الرحمة من أربعة وجوه؛ لكلّ وجه رحمة تخصّه. فالرحمة التي تبقي عليه رطوبته حتى لا تؤثّر فيها يبوسته، غير الرحمة التي تحفظ عليه يبوسته؛ لئلّا تفنيها رطوبته. والرحمة التي تحفظ[3] عليه برودته لئلّا تفنيها عليه حرارته، غيرُ الرحمة التي تحفظ عليه حرارته لئلّا تفنيها برودته[4]. فمانعتْ؛ فبقيتْ لهذا التمانع والتكافؤ[5] صورة الجسم، ما دام هذا التكافؤ والممانعة.

ومن هذا المنزل انبعثتْ هذه الرحمات الأربع. فمن وقف عليها من نفسه عَلِم مآلَه، ومن لم يقِف عليها من نفسه جَهِل حالَهُ. وإنما حجب الله مَن حجب عن شهودها حتى لا يتّكِلوا، كما ورد

١ ص ٥٤ب
٢ "عين ما فضله" هي في ق: "غيرَهم" وعدلت في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ ص ٥٥
٤ ق: "حرارته" وعدلت في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٥ رسمها في ق: والتكافي

في حديث معاذ وحديث عمر. وكشفها الله للأمناء؛ حيث علِم منهم أنّهم لا يؤدّون الأمانة إلّا لأهلها؛ فإنّ الله قد خلق للعلم أهلا بمثل هذا، وجعل وصول العلم إليهم بمثل هذا على نوعين: إمّا منه إليهم، وإمّا مِن معلِّم قد علِم أمانة غيره وهو أمين، مثل ما علِم من أمانته؛ فألقى ذلك العلم إليه؛ إذ كان من أهله، وهو مأمور من الله -تعالى- بأداء الأمانة.

فإذا وقفتَ على هذه الرحمات من نفسك؛ حالت بينك وبين كلّ[1] ما يؤدّي إلى بُعْدِك عن الله -تعالى- وعن سعادتك، واتّصفتَ بالانقياد إلى الله في كلّ حال، بما دعاك إليه. هذا أثرها فيك إذا شاهدتها؛ فتورثك الأدبَ الإلهيّ. ولا يكون هذا الآتي بهذا العلم إليك إلّا[2] عالما بك، وبما تكون به حياتك. وهو من الأرواح السيّارة، والملائكة أُولي الأجنحة، على طبقاتها في الأجنحة.

فأعلاهم (هو) أقلّهم أجنحة، وأقلُّهم أجنحة؛ مَن له جناحان. فإنّه ما ثَمّ مَن له جناح واحد لا مساعد له؛ إمّا من جناح أو غيره. وقد رأينا حيوانا على فرد رِجْلٍ -وقد خرج من صدره شبه درّة المحتسِب يحرّكه تحريك الجناح، ويعدو بتلك الحركة، ويحرّك رجله الواحدة بحيث أنّ السابق من الخيل لا يلحقه- ما بين القُلّ وجيجَل[3] ببلاد المغرب. فلهذا قلنا: "من لا مساعد له". فمِن الملائكة من له جناحان، إلى ستمائة جناح، إلى ما فوق ذلك. فهذا عِلمٌ لا يأتي، لمن أتى إليه، إلّا على يدي مَلَك كريم، مطيع، لا يعصي الله ما أمره، له جناحان ينزل بهما إلى قلب هذا العبد.

فإنّ أجنحة الملائكة للنزول لا للصعود، وأجنحة الأجسام العنصريّة للصعود، لا للنزول. لأنّ الملائكة تجري بطبعها، الذي عليه صورةُ أجسامها، إلى أفلاكها التي عنها كان وجودُها. فإذا نزلت إلى الأرض، نزلت طائرة بتلك الأجنحة. وهي إذا رجعتْ إلى أفلاكها، ترجع بطبعها؛

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٢ ص ٥٥ب
٣ جيجل: بلدة جزائرية تبعد ٧٥ كم عن بجاية من جهة الشرق، وتقع القل في شرق جيجل وتبعد عنها ٧٥ كم أيضا.

بحركة طبيعيّة، وإن حرّكتْ أجنحتها، حتى أنّها لو لم تحرّك أجنحتها لصعدت إلى[1] مقرّها ومقامها؛ بذاتها. وأجسام الطير العنصريّ يحرّك جناحه للصعود، ولو ترك تحريك جناحه أو بَسَطَهُ؛ لنزل إلى الأرض بطبعه. فما يبسط جناحه في النزول إلّا للوزن في النزول، لأنّه إن لم يَزِنْ نزوله وبقي مع طبعه؛ تأذّى في نزوله؛ لقوّة حكم الطبع. فحركة جناحه في النزول (هي) حركةُ حفظ. فاعلم ذلك.

واعلم أنّ البهائم تعلمُ من الإنسان، ومِن أمر الدار الآخرة، ومِن الحقائق التي الوجود عليها، ما يجهله بعضُ الناس ولاِ يعلمه. كما حكي عن بعضهم أنّه رأى رجلا راكبا على حمار، وهو يضرب رأسَ الحمار بقضيبٍ. فنهاه الرائي عن ضربه رأسَ الحمار. فقال له الحمار: "دعه؛ فإنّه على رأسه يَضْرِب" فجعله عينَ الحمار. وعَلِمَ الحمارُ أنّه يجازى بمثل ما فعل معه. وقوله: "دعه" لما علم الحمار ما له في ذلك من الخير عند الله، أو لعلمه أيضا بأنّه ما وفّى له بحقّ ما خُلق له من التسخير؛ فعلِم أنّه مستحقٌّ بالضرب. فنبّه، بذلك، هذا السامعَ له أنّ الشخص إذا لم يجيء بحقِّ ما تعيّن عليه لصاحبه؛ استحقَّ الضرب أدبا وجزاء لما كان منه. وهذه كلّها وجوهٌ محقّقة لصورة هذا الفعل والقول من هذا الحمار إلى[2] غير ذلك من الوجوه التي يطلبها هذا الفعل.

وقال رسول الله ﷺ في ناقته لمّا هاجر إلى المدينة، وبركتْ بفناء أبي أيّوب الأنصاري؛ فأراد مَن حضر من أصحابه ﷺ أن يقيمها والنبيّ ﷺ راكب عليها، فقال: «دعوها فإنّها مأمورة» وقال: «حبسها حابس الفيل» يعني عن مكة. وحديث الفيل مشهور الصحّة. فجميع ما سِوَى الثَّقلين، وبعض الناس والجانّ؛ على بيّنة من ربّهم في أمرهم من حيوان، ونبات، وجماد، وملَك، وروح.

ويتضمّن هذا المنزلُ من العلوم: عِلْمَ الأعداد.

وعِلْمَ الحروف، وهو عِلْمُ الأولياء؛ كذا قال محمد بن علي الترمذي الحكيم.

١ ص ٥٦
٢ ص ٥٦ب

وعِلْمَ المجمَل.

وعِلْمَ الرحمات المختصّة بالإنسان.

وعِلْمَ التبيان.

وعِلْمَ البشائر.

وعِلْمَ مراتب الإيمان.

وعِلْمَ إقامة نشآت الأعمال من المكلَّفين وغير المكلَّفين.

وعِلْمَ التلقّي الروحانيّ المَظْهَر، من التلقّي[1] الذي هو الحقّ، لا الملَك.

وعِلْمَ أداء حقوق الغير.

وعِلْمَ[2] ما يكون من الله لمن مشى في حقّ أخيه[3]. وعِلْمَ تولّي الحقّ ذلك بنفسه.

وعِلْمَ ما هي الحضرة الإلهيّة عليه من الأمان الذي لا يعلمه إلّا العالمون بالله ذوقا.

وعِلْمَ تقلُّب الأحوال؛ فتتقلّب لتقلُّبهم المواهبُ الإلهيّة.

وعِلْمَ الآيات والدلالات؛ وعلى ماذا تدلّ؟ واختلافها مع أحديّة المدلول.

وعِلْمَ ما حُجِبُ القلبِ عن العلم بالشيء، مع وجود البيان في ذلك.

وعِلْمَ العناية الإلهيّة بوهب العلم.

وعِلْمَ ما يحصل من العلم بطريق الورث.

١ "التلقي.. التلقي" حروفهما المعجمة مهملة، ولذلك يمكن قراءتهما أو أي منهما: "الملقي.. الملقي"
٢ ص ٥٧
٣ مصحفة في ق بين: أخيك و أخيه

وعِلْمَ مراتب الحيوان، وفيماذا يتفاضلون؟ وما يكونون فيه على السَّواء؟ وهل الإنسان يلحق بالحيوان؛ أو هو نوع خاصّ؟ وبماذا يختصّ عن الحيوان، وقد علِمنا أنّ كلّ حيوان فهو ناطق؟

وعِلْمَ آداب الملوك، وكيف ينبغي أن يكون الملِك في مُلكه؟ ولنا في هذا الفنّ كتاب سمّيناه: "التدبيرات الإلهيّة في[1] إصلاح المملكة الإنسانيّة".

وعِلْمَ النصائح لدفع الضرر والتوقّي.

وعِلْمَ التوحيد الذي يختصّ بالبهائم.

وعِلْمَ جواز الكذب على كلّ ناطق، مع العلم بأنّه صادق، ماعدا الثّقلين؛ فإنّهما قد يكذبان في كثير مما يخبرون به.

وعِلْمَ اتّخاذ الملوكِ الجواسيسَ، وما ينبغي للجاسوس أن يظهر به من الصفات في حال تجسّسه؟ وما يحمد من ذلك وإن كان كذبا؟

وعِلْمَ مشورة الأعلى الأدنى، مع علمه بأنّه يصل إلى العلم بما يريد العلم به، من غير مشورة؛ وكون الحقّ -تعالى- أمرَ نبيّه ﷺ بمشاورة أصحابه في الأمر الذي يَعِنُّ له، إذا لم يوحي إليه فيه بشيء.

وعِلْمَ قول النبيّ ﷺ: «تهادَوا تحابّوا» وما للعطاء في النفوس من الأثر القادح في الإيمان: هل هو محمود، أو مذموم؟ فإنّ الإحسان محبوب لذاته؛ فهل المحسن مثل ذلك؟ أم ينفصل عن الإحسان؟ فإنّها مسألة خطرة عظيمة في إحسان مَن أمرك الله أن تعاديَه؛ فتقبل إحسانه من[2] غير أن يؤثّر فيك مودّة له[3]؛ إيثارا لجناب الله وامتثالا أمْرَه؛ وهذا هو خروجٌ عن الطبع. وهو

١ ص ٥٧ب
٢ ص ٥٨
٣ ق: "فيه" وكتب فوقها "له"

صعب مشكِل يمكن أن لا يُتصوّر وقوعه، وإن لم يظهر له حكم في الظاهر؛ فإنّ الباطن لا يمكن له دفع ذلك.

وعِلْمَ الموازنة بين المحسنَيْن فيما أحسنا فيه لشخص بعينه: هل يقع للنفس ترجيحٌ من حيث ما أحسن به، لا من حيث الإحسان؟ فإن وقع فيه تفاضلٌ؛ هان الأمر فيه على المؤمن العالم المشاهد إحسانَ الله العامّ المسخِّر[1].

وعِلْمَ الخواصّ، والظهور به في موطن القربة إلى الله -تعالى- بذلك.

وعِلْمَ شكر المنعِم.

وعِلْمَ ما تستحقّه الربوبيّة مما لا يقع فيه اشتراك.

وعِلْمَ الالتباس للابتلاء.

وعِلْمَ النظر إلى المخطوبة، وما أُبيح للناظر[2] أن ينظر منها شرعا؛ فإنّه أمر بذلك؟

وعِلْمَ صورة تعليم العلم.

وعِلْمَ الاعتراف بين يدي المعلّم بالجهل.

وعِلْمَ[3] الحِيَل، والمكر، والكيد؛ وما يُذمّ من ذلك؟ وما يُحمد؟

وعِلْمَ الثناء المطلق والمقيّد؛ وهل ثَمّ ثناء مطلَق؟ أو لا يصحّ ذلك بالحال، وإن أطلقه اللفظ؟.

وعِلْمَ حصر ما يتقيّد به الثناء من كلّ مُثنٍ ومُثنى عليه.

وفيه عِلْمُ التخيير من العالِم بالحقّ.

وفيه عِلْمُ منزلة الأرض، وما زُيّنتْ به.

١ مضافة في الجوار مع إشارة التصويب
٢ كتب فوقها بخط قريب من الأصل: "للخاطب" مع حرف خ، ليتفق مع س
٣ ص ٥٨ب

وفيه عِلْمُ سبب إجابة الله دعاء الكافر والمشرك، ومتى يوحِّد المشركُ ربَّه؟

وفيه عِلْمُ اندراج النور في الظلمة.

وفيه عِلْمُ الخلق والرزق.

وفيه عِلْمُ القيامة.

وفيه عِلْمُ إنكار الممكن.

وفيه عِلْمُ كشف الغيب في حضرة الغيب.

وفيه عِلْمُ مَن ينادي ولا يجاب.

وفيه عِلْمُ هل يعمّ الحشرُ كلَّ ميّت؟ أو لا يُحشر إلّا بعض الموتى؟

وفيه عِلْمُ الناقور الذي هو الصُّوَر، وما هو؟

وفيه[1] عِلْمُ أيّ جزاء هو أفضل من عمله؟ أو كلّ جزاء أفضل من عمله؟ وهو علم شريفٌ.

وفيه عِلْمُ عبادة الربّ من حيث ما هو مضافٌ إلى كون مّا.

وفيه عِلْمُ ما تعطي الرؤية من علم ما كان يعلم.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ٥٩
٢ [الأحزاب: ٤]

الباب الثامن والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل ثلاثة أسرار مختلفة الأنوار
والفرار والإنذار وصحيح الأخبار

إنّ المَقــــادِيرَ أَوْزانٌ مُنَظَّمَـــةٌ ... تأْتِي بِها ظُلَلٌ مِنْ فَوْقِها ظُلَلُ

مِنَ الغَمَامِ وَمِنْ غَيْرِ الغَمَامِ يُرَى ... عِنْدَ التَّنَزُّلِ فِي أَعْجَازِها كِلَلُ

تَحْوِي عَلَى كُلِّ مَعْنًى لَيْسَ يُظْهِرُهُ ... إلّا الخِطابَةُ والأَشْعارُ والمَثَلُ

فَمِنْـهُ مـا هُـوَ مَحْمُـودٌ فَمُرْتَفِـعٌ ... وَمِنْهُ ما هُوَ مَذْمُومٌ فَمُنْسَفِلُ

وَمَـنْ[1] يُـنازِعُني فِيْمَـا أَفُـوهُ بِـهِ ... فالنّاسُ كُلُّهُمُ أَعْداءُ ما جَهِلُوا

اعلم -أسعدنا الله وإيّاك بسعادة الأبد- أنّ النفس الناطقة سعيدةٌ في الدنيا والآخرة، لا حظّ لها في الشقاء؛ لأنّها ليست من عالم الشقاء، إلّا أنّ الله ركّبها هذا المركب البدنيّ، المعبَّر عنه بالنفس الحيوانيّة. فهي لها كالدابّة، وهي كالراكب عليها. وليس للنفس الناطقة في هذا المركب الحيوانيّ إلّا المشي بها على الطريق المستقيم الذي عيّنه لها الحقّ. فإن أجابت النفسُ الحيوانيّة لذلك؛ فهي المركب الذلول المرتاض. وإن أبَتْ؛ فهي الدابّة الجموح: كلّما أراد الراكب أن يردّها إلى الطريق، حَرَنَتْ عليه وجمحتْ، وأخذت يمينا وشمالا لقوّة مِراسها[2] وسُوء تركيب مزاجها.

فالنفس الحيوانيّة ما تقصد المخالفة ولا تأتي المعصية انتهاكا لحرمة الشريعة، وإنّما تجري بحسب طبعها؛ لأنّها غير عالمة بالشرع، واتّفق أنّها على مزاج لا يوافق راكبها على ما يريد منها. والنفس الناطقة لا يمكن لها المخالفة؛ لأنّها من عالم العصمة والأرواح الطاهرة. فإذا وقع العقاب يوم القيامة، فإنّما يقع على النفس الحيوانيّة؛ كما يضرب[3] الراكب دابّته إذا جمحتْ وخرجتْ عن

١ ص ٥٩ب
٢ ق، ه: "رأسها" ولم ترد في س
٣ ص ٦٠

الطريق الذي يريد صاحبُها أن يمشي- بها عليه. ألا ترى الحدود في الزنا، والسرقة، والمحاربة، والافتراء، إنما محلّها النفس الحيوانيّة البدنيّة؛ وهي التي تُحِسُّ بألم القتل، وقطع اليد، وضرب الظهر؛ فقامت الحدود على الجسم، وقام الألم بالنفس الحسّاسة[1] الحيوانيّة التي يجتمع فيها جميعُ الحيوان المحِسّ للآلام؟ فلا فرق بين محلّ العذاب من الإنسان، وبين جميع الحيوان في الدنيا والآخرة. والنفس الناطقة، على شرفها، مع عالَمها في سعادتها دائمة.

ألا ترى إلى النبيّ ﷺ قد قام لجنازة يهوديّ، فقيل له: إنها جنازة يهوديّ. فقال ﷺ: «أليستْ نفسا؟» فما علّل بغير ذاتها؛ فقام إجلالا لها، وتعظيما لشرفها ومكانتها. وكيف لا يكون لها الشرف، وهي منفوخة من روح الله؟ فهي من العالم الأشرف الملَكيّ الروحانيّ، عالم الطهارة. فلا فرق بين النفس الناطقة مع هذه النفس البدنيّة الحيوانيّة، وبين الراكب على الدابّة في الصورة: فإمّا جموح، وإمّا ذلول. فقد بان لك أنّ النفس الناطقة ما عصتْ، وإنما النفس الحيوانيّة ما ساعدتها على ما طلبت منها، وأنّ النفس الحيوانيّة ما[2] خوطبت بالتكليف؛ فتتّصف بطاعةٍ أو معصيةٍ؛ فاتّفق أن كانت جموحا اقتضاه طبعُها لمزاج خاص، فاعلم ذلك. وأنّ الله ينعم برحمته الجميع؛ فإنّ رحمة الله سبقت غضبه لمّا تجاريا إلى الإنسان.

واعلم أنّ الله -تعالى- لم يزل ناظرا إلى أعيان الأشياء الممكنة في حال عدمها، وأنّ الجود الإلهيّ لا يزال يمتنّ على ما سبق العلم من تقدُّم بعضها على بعض في الوجود بالإيجاد. ولمّا كان ما به بقاء عين الجوهر الكلّ لا يتمكن إلّا بقيام بعض الممكنات به، مما لا يقوم بنفسه منها؛ لم يزل الحفظ الإلهيّ يحفظ عليها بقاءها به، وهي في ذاتها لا تقبل البقاء إلّا زمان وجودها، فلا يزال الجود الإلهيّ يوجِد لهذا الجوهر الكلّ الذي فتح الله فيه صور العالم؛ ما به بقاؤه من الممكنات الشرطيّة؛ فلا يزال الله خالقا على الدوام، حافظاً له على الدوام.

وكذلك ﷺ لولا أنّه أسرى بسرّ الحياة في الموجودات؛ ما كانت ناطقة، ولولا سريان العلم

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٢ ص ٦٠ب

فيها؛ ما كانت ناطقة بالثناء على الله موجدها. ولهذا قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] فأتى بلفظ النكرة، وما خصّ شيئا ثابتا من[2] شيء موجود؛ لأنّها قبلت شيئيّة الوجود على الحال التي كانت عليها في شيئيّة الثبوت. وقد أعلمَنا الله أنّه خاطبها في حال عدمها، وأنّها امتثلتْ أمره عند توجُّه الخطاب؛ فبادرت إلى امتثال ما أمرها به. فلولا أنّها منعوتة، في حال عدمها، بالنعوت التي لها في حال وجودها، ما وصفها الحقّ بما وصفها به من ذلك، وهو الصادق المخبر بحقائق الأشياء على ما هي عليه.

فما ظهرتْ أعيان الموجودات إلّا بالحال التي كانت عليها في حال العدم. فما استفادتْ إلّا الوجودَ من حيث أعيانها، ومن حيث ما به بقاؤها. فكلّ ما هي عليه الأعيانُ القائمةُ بأنفسها (هو) ذاتيّ لها، وإن تغيّرتْ عليها الأعراض بالأمثال والأضداد. إلّا أنّ حكمها في حال عدمها؛ ليس حكمها في حال وجودها، من حيث أمر مّا. وذلك لأنّ حكمها في حال عدمها ذاتيّ لها، ليس للحقّ فيها حكم، ولو كان (كذلك) لم يكن لها العدم صفة ذاتيّة.

فلا تزال الممكنات في حال عدمها، ناظرة إلى الحقّ بما هي عليه من الأحوال؛ لا يتبدّل عليها حال، حتى تتّصف بالوجود؛ فتتغيّر عليها الأحوال؛ للعدم الذي يسرع إلى ما به بقاء العين. وليست كذلك في حال العدم، فإنّه لا يتغير عليها شيء في حال العدم[3]؛ بل الأمر الذي هي عليه في نفسها ثابت؛ إذ لو زال؛ لم تزُل إلّا إلى الوجود، ولا يزول إلى الوجود إلّا إذا اتّصف العينُ القائمُ به هذا الممكنُ الخاصّ بالوجود. فالأمر بين وجود وعدم، في أعيان ثابتة، على أحوال خاصّة.

فإذا حقّقتَ هذا الذي أبرزناه إليك، علمتَ الخلق والخالق، وما ينبغي للخلق أن يكون عليه من الحكم، وما ينبغي للخالق أن يوصف به، فإنّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] و﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي

١ [الإسراء: ٤٤]
٢ ص ٦١
٣ ص ٦١ب
٤ [الشورى: ١١]

شَأْنٍ﴾[1] فلا يشبهه شيء ثابت، ولا شيء موجود. وما وقفتُ على ما وقفتُ عليه من هذا العلم، الذي أدّاني شهوده وحكمه إلى البقاء معه، وأنّ الزهد في الأشياء لا يقع إلّا من الجهل القائم بهذا الزاهد؛ وهو عدم العلم، ومن الغطاء الحجابيّ الذي على عينه؛ وهو عدم الكشف والشهود لما ذكرناه. فإذا عَلِمَ أو شاهد أنّ العالَم كلّه ناطق بتسبيح خالقه والثناء عليه، وهو في حال الشهود له؛ كيف يتمكن له الزهد فيمن هذه صفته وعينه؟ وذاته وصفاته من جملة العالَم. وقد أشهده الله وأراه آياتِه في الآفاق؛ وهي ما خرج عنه، وفي نفسه؛ وهي ما هو عليه.

فلو خرج عن غيره؛ ما خرج عن نفسه. فمن[2] خرج عن العالم وعن نفسه؛ فقد خرج عن الحقّ، ومن خرج عن الحقّ؛ فقد خرج عن الإمكان، والتحق بالمحال، ومَن حقيقته الإمكان لا يلحق بالمحال. إذَنْ فدعواه بأنّه خرج عن كلّ ما سِوَى الله جهلٌ محضٌ. وإنما ذلك انتقالُ أحوالٍ لا يَشعر بها لِجَهْلِه، فيخيّلُ له جَهْلُهُ أنّ العالم بمعزل عن الله، والله بمعزل عن العالم؛ فيطلب الفرار إليه؛ فهذا فرار وهميّ.

وسبب ذلك عدم الذوق للأشياء، وكونه سمع في التلاوة: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[3] وهو صحيح. إلّا أنّ هذا الفارّ بهذه المثابة لم يجعل باله إلى ما ذكر الله في الآية التي أتبعها هذه الآية وهي قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[4]. فلو عرف هذا التتميم؛ عرف قوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أنّه الفرار من الجهل إلى العلم، وأنّ الأمر واحد أحَدِيٌّ، وأنّ الذي كان يتوهّمه أمرا وجوديّا من نسبة الألوهة لهذا الذي اتّخذه إلها؛ محالٌ عدميٌّ، لا ممكن ولا واجب. فهذا معنى الفرار المأمور به؛ فإليه، من حيث نِسبة الألوهة إليه؛ يكون الفرار، فافهم.

وأمّا الفرار[5] الثاني المتلوّ فقوله عن موسى ﷺ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[6] لَمّا علم أنّ

١ [الرحمن : ٢٩]
٢ ص ٦٢
٣ [الذاريات : ٥٠]
٤ [الذاريات : ٥١]
٥ ق: "الاغترار" وما أثبتناه من هـ، ولم ترد هذه الصفحة في س
٦ [الشعراء : ٢١]

الله وضع[1] الأسباب، وجعل لها أثرا في العالَم؛ بما يوافق الأغراض وبما لا يوافقها، وبما يلائم الطبع وبما لا يلائمه، وخلق الحيوان على مزاج يقبل به الألم واللذّة، بخلاف النبات والجماد؛ فإنّهما، وإن اتّصفا بالحياة عند أهل الكشف، فهما على مزاج لا يقبل اللذّة والألم. ووقع من موسى ﷺ ما وقع من قتل القبطيّ، ففرّ إلى النجاة التي يمكن أن تحصل له بالفرار، فرأى أنّ الفرار من الأسباب الإلهيّة الموضوعة في بعض المواطن؛ لوجود النجاة. فهو فرار طبيعي؛ لأنّه ذكر أنّ الخوف من السبب جعله يفرّ معرّى عن التعريف بما ذكرناه من الوضع الإلهيّ، فلم يوفّ النظر العقلي حقّه؛ فإنّ هذا كان قبل نبوّته ومعرفته بما يريده الحقّ به.

فلمّا فرّ خوفا من فرعون؛ تلقّاه الحقّ بالنجاة، وجمع بينه وبين رسولٍ من رسله؛ وهو[2] شعيب -عليهما السلام-. ثمّ أعطاه النبوّة والحكم الذي خاطب الله به القبطَ وبني إسرائيل أن يكونوا عليه، وأرسله بذلك إلى مَن خاف منه (وهو فرعون)؛ فكان ذلك الإرسال كالعقوبة؛ لما لحقه من الخوف من السبب الموضوع، ولم يوفّ السبب الموضوع حقّه، أعني النظر العقلي. فكان ينبّه[3] في الفرار أنّه خوف من الله؛ إذ لا قدرة مؤثّرة لممكن في إيصال خير أو شرّ إلى ممكن آخر، وأنّ ذلك كلّه بيد الله. فجاءه بالرسالة والحكم من عند الله. وأمّنه، بما أعطاه الله من العلم، بما يؤول إليه أمره مع فرعون وآله. وأراه، إذ كلّمه، ما أراه من قلب العصا حيّة.

وإنما قلنا: عقوبةً كان ذلك الإرسال إلى فرعون، وأنّ الخوف معه باقٍ منه[4]؛ لقوله -تعالى- له ولأخيه حين قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[5] فقال الله: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[6] وقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ ما نسي- مما كان قد علم[7] ما علم من امتناننا عليه ﴿أَوْ يَخْشَى﴾[8] يقول: أو يخاف مما يعرفه مِن أَخْذِنا وبَطْشنا الشديد بمن قال مثل

١ ص ٦٢ب
٢ "رسول.. وهو" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ ص ٦٣
٤ ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٥ [طه : ٤٥]
٦ [طه : ٤٦]
٧ "ما نسي.. علم" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٨ [طه : ٤٤]

مقالته ممن تقدّمه، وحصل عنده العلم به. وهذا مثل قوله -تعالى- لنبيّنا ﷺ: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[2].

فهذا جدال في الله ليّنٌ مأمورٌ به وتعطُّف. والترجّي من الله إذا وَرَدَ واقعٌ بلا شكّ. ولهذا قال العلماء: "إنّ كلمة عسى من الله واجبة[3]" وقد ترجّى من فرعون التذكّر والخشية، فلا بدّ أن يتذكّر فرعونُ ذلك في نفسه، وأن يخشى. ولكن لم يظهر من ذلك شيئا على ظاهره، وإن كان قد حَكَمَ التذكّر والخشيةُ على باطنه. ولذلك لم يبطش بموسى ولا بأخيه في المجلس؛ فإنّه صاحب السلطان والقهر في ذلك الوقت؛ فما منعه إلّا ما قام به من التذكّر والخشية من الحقّ. ومانع آخر فلم يكن هناك؛ إذ لو كان هناك مانع آخر ظاهر يلجأ إليه موسى عليه السلام ما قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ لعدم التكافؤ في القوّة الظاهرة. فأيّده بما أوصاها به من القول باللين.

فكانت هذه المخاطبةُ من جنودِ الله، قابل بها جنودَ باطن فرعون؛ فهزموهم بإذن الله، بما تذكّر وخشي، لَمّا انهزم جيشه الذي كان يتقوّى به؛ فذلّ في نفسه؛ فشغلته تلك الذلّة والمعرفة عن أن يحكم بقوّة ظاهره، فلم يبطش بهما في ذلك المجلس. فهذه فائدة العلم. فإنّ العلم إذا لم يثمر لصاحبه ما تعطيه حقيقته، فما ثمّ علمٌ أصلا، ولا ذلك عالِم. وقد تقدّم الكلام في مثل هذا، فيما[4] مضى من المنازل. فالناس يأخذون بهذا الفرار الموسويّ، ولا يعرفون حقيقة ما أخذوا به، ولا نظروا في ذلك هذا النظر الذي ذكرناه.

وإذا علمت هذا، فاعلم أيضا، أنّ الله ما خلق الإنسان عالما بكلّ شيء؛ بل أمر نبيّه ﷺ أن يطلب منه -تعالى- مزيد علم، إذ قال له: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[5] فهو في كلّ حال يستفيد من

١ [النحل : ١٢٥]
٢ [آل عمران : ١٥٩]
٣ ص ٦٣ب
٤ ص ٦٤
٥ [طه : ١١٤]

العلم ما به سعادته وكماله. فالذي فُطر عليه العالَمُ والإنسانُ، من العلم، العلمُ بوجود الله، والعلمُ بفقر المحدَث إليه. فإذا كان هذا، فلا بدّ لكلّ مَن هذه صفته، أن يفرّ إلى الله؛ لمشاهدة فقره، وما يعطيه حكم الفقر من الألم للنفس؛ ليغنيه من انقطع إليه وفرّ، بما يزيل عنه ألم الفقر، مما به تقع اللذّة له؛ وهو الغنى بالله. وهو مطلبٌ لا يصحّ حصوله أصلا.

لأنّه لو استغنى أحدٌ بالله، لاستغنى عن الله، والاستغناء عن الله محال. فالاستغناء بالله محال. لكن الله يعطيه أمرا مّا من الأمور التي يحدِث الله فيه عند هذا الطلب؛ يغنيه به، ويزيل عنه، ما يجده من اللذّة، ألَمَ ذلك الفقر المعيَّن، لا يزيل عنه الفقر الكلّيّ الذي[1] لا يمكن زواله عن الممكن؛ لأنّ الفقر له وصفٌ ذاتيٌّ، لا في حال عدم ولا في حال وجود. ولهذا لم يجعل في نفس الممكن إلّا ما إذا أعطاه ذلك؛ وجد عنده لذّة مزيلة ألَمَ الطلب. ثمّ يحدث له طلب آخر لأمر آخر، أو لبقاء ذلك الحاصل له على الدوام، دنيا وآخرة.

فلا بدّ لمن هذه حاله مِن تَخَلٍّ وفرارٍ عن الأمور الشاغلة له عن هذا الأمر، حتى يكشف الله عن بصيرته وبصره؛ فيشاهد الأمر على ما هو عليه؛ فيعلم عند ذلك: كيف يطلب، وممن يطلب، ومن يطلب، وأمثال هذا. ويعلم معنى قوله[2]: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[3] أي المثنى عليه بالغنى. وتدبّر قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4] لأنّه يستحيل عليه أن يعبد نفسه. ولِما قلناه؛ أتى بـ"الحميد" لأنّ صفة الغنى لا شيء أعلى منها، وهي صفة ذاتيّة للحق -تعالى- فافهم الإشارة؛ فالعبارة هنا حرام.

وإذا تقرّر هذا علمت كون رسول الله ﷺ كان يخلو بغار حراء؛ ليتحنّث فيه، ويفرّ من مشاهدة الناس، لما كان يجده في نفسه من الحرج والضّيق في مشاهدته. فلو نظر إلى وجه الحقّ فيهم؛ ما فرّ منهم، ولا كان يخلو بنفسه. وما[5] زال على هذه الحال؛ حتى فجِئه الحقّ؛ فرجع

١ ص ٦٤ب
٢ ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب
٣ [لقمان : ٢٦]
٤ [الذاريات : ٥٦]
٥ ص ٦٥

إلى الخلق، ولم يزل فيهم. فإنّه مَن لم يزل في غار حراء بنفسه[1]، فما زال إلّا من بعض الناس، لا من كلّ الناس. فافهم.

فلا بدّ لكلّ طالبٍ ربّه أن يخلو بنفسه مع ربّه في سرّه؛ لأنّ الله ما جعل للإنسان ظاهرا وباطنا؛ إلّا ليخلو مع الله في باطنه، ويشاهده في الظاهر في أسبابه[2]، بعد أن ينظر إليه في باطنه؛ حتى يميّزه في عين الأسباب؛ وإلّا فلا يُعرف أبدا. فما وقع من يرجع إلى الخلوة مع الله في باطنه؛ إلّا لأجل هذا. فباطن الإنسان بيت جلوته لو عقل عن الله.

فلمّا علمتُ، في أوّل الأمر، أنّ الشأن على ما ذكرته؛ تجرّدتُ عن هيكلي هذا؛ تجرّدا علميّا حاليّا؛ لجهلي بمكانة الحقّ من هذا الهيكل، وعدم علمي بأنّ لله وجها في كلّ شيء. فلمّا صِرتُ عن هذا الهيكل أجنبيّا؛ نظرت إليه كأنّه سبجة[3] سوداء؛ مظلم الأقطار؛ لم أر فيه من النور شيئا. فسألت عن هذه الظلمة: من أين لحقت؟ فقيل لي: هذه ظلمة الطبيعة. فإنّ الظلمات ثلاث؛ تراكم بعضها على بعض، حتى إذا أخرج أحد يدَه لم يكد يراها، فأحرى أن يراها. فنفى مقاربة الرؤية؛ فكيف الرؤية؟ فالظلمة حجاب إلهيّ، يحجب عن الوجود الحقّ.

فقلت: ما هذه الظلمات الثلاث[4]؟ فقيل لي: الظلمةُ الأُولَى المشهودةُ لك: ظلمةُ الطبيعة؛ فهي الطبقة الأُولَى التي تلي بصرك. ثمّ إنّ هذه الطبيعة ما وُجدت إلّا في المرتبة الثالثة؛ ففوقها ظلمة السبب الحادث الممكن التي وُجِدت عنها. فهي وجود محدَث عن محدَث؛ وهي النفس، فهي الظلمة الثانية. فاشتدّ ظلام الطبيعة، وتضاعف بظلمة النفس. فأُشهدتُ النفسَ؛ فرأيتُ ظلمة فوق ظلمة. ثمّ قيل لي: فوق هذه الظلمة الثانية ظلمة ثالثة؛ وهي السبب الذي وُجدتْ عنه هذه النفس؛ وهو العقل الأوّل. فكشف لي عنه؛ فرأيت ظلاما متراكما بعضه فوق بعض.

فقلت: أفلهذا سببٌ آخر وُجِد عنه؟ فقيل لي: لا، بل هذا أوجده الحقُّ، لا عند سبب.

[1] س، ه: مع نفسه
[2] ق: "أسمائه" وكتب في الهامش "أسبابه" كما هي في س، ه
[3] سبجة: ثوب من جلد وجمعها سباج
[4] ص ٦٥ب

فقلت: فما باله مظلما؟ فقيل لي: هذه الظلمة له ذاتيّة، وهي ظلمة إمكانه، يستمدّها من ظلمة الغيب الذي لا يقع عليه شهود، كما يقع على المغيّب فيه إذا ظهر منه وفارقه، وصار شهادة. فعن هذه الظلمات الثلاث كان الإنسان -من حيث هو جسمٌ حيوانيّ في بطن أُمّه- في ظلمات ثلاث: ظلمة الرَّحِم، وظلمة المشيمة، وظلمة البطن. فإذا ولد اندرجتْ ظُلمته فيه؛ فكان ظاهره نورا، وباطنه ظلمة. فلا يتمكن له المشي في ظلمة باطنه؛ إلّا[1] بسراج العلم، إن لم يكن له هذا السراج؛ فإنّه لا يهتدي فيها.

فلمّا رأيتُ هيكلي وظُلمته؛ علمت أنّه لو لم يكن له نور بوجهٍ مّا؛ ما صحّ نظري إليه، ولا إدراكي إيّاه. فسألت عن النور الذي أعدّه لتعلّق رؤيتي به. فقيل لي: نور الوجود، به رأيته. فنظرتُ إليّ، من حيث أنّي راءٍ لتلك الظلمة، فرأيت ظلّها ينبسط عليّ، وما رأيت نوري يزيلها؛ فتعجّبتُ! فقيل لي: لا يزول عنك ظلامُ إمكانك؛ فإنّه نعتٌ ذاتيٌّ لك؛ فإنّك لستَ بواجب الوجود لذاتك.

فقلت: فمن لي بنورٍ لا ظلمة فيه؟ قيل لي: لا تجده أبدا. فقلت: إذَنْ، فلا أشاهد موجِدي أبدا؛ فإنّه النور المحض، والوجود الخالص. فقيل[2] لي: لا تشاهده أبدا إلّا منك؛ ولهذا لا تراه أبدا في صورة واحدة؛ فلا تحيط به علما. فلا يتجلّى ولا يُشهد كما يَشهد نفسَه؛ فإنّه غنيّ عن العالمين. فما يُستدلّ عليه إلّا به؛ فلا يُعرف إلّا من طريق الكشف والشهود على حدّ ما ذكرناه. وأمّا بالأدلّة النظريّة؛ فلا يُعلم إلّا حكمه، لا عينه. فلهذا يحكم العقل بدليله، على ما يستلزم هذا الموجود الواجب الوجود، مما يفتقر الممكن إليه فيه؛ فهذا القدر يدلّ عليه. ويعطيه الشهود رتبةً فوق هذا: تُذاق، ولا تنقال، ولا تنحكي.

فلمّا أشهدني الله[3] ذاتي، وأشهدني هيكلي؛ أشهدني، بعد هذا، نِسبةَ العالَم كلّه إليّ، وتوجّهه عليَّ في إيجاد عيني. فرأيت تقدّمه عليّ، وآثاره فيّ. وعلمتُ انفعالي عنه، وأنّه لولاه ما

[1] ص ٦٦
[2] ق: وقيل
[3] ص ٦٦ب

كان لي وجودٌ عينيٌّ. فذللتُ في نفسي؛ حيث أنا تحت قهر ممكن مثلي. وعلمت، عند ذلك، أنّي من القليل الذين يعلمون أنّ ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ﴾ وهي الأسباب العلويّة لوجودي ﴿وَالْأَرْضِ﴾ وهي الأسباب السفليّة لوجودي ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[1] قدرا؛ لأنّ لها نسبة الفاعليّة، وللناس نسبة الانفعال. فأدركني انكسارٌ يكاد أن يؤيسني عن مشاهدة الحقّ، من حيث ما تشهده هذه الأسباب التي لها عليّ في القدر، شفوف الفاعلات.

فلمّا حصل عندي ذلك الانكسار، قيل لي: هذه الأسباب، وإن كان لها هذا القدر عليك في المرتبة فيما ظهر، فاعلم أنّك العين المقصودة. فما وُجِدَت هذه الأسباب إلّا بسببك؛ لتظهر أنت؛ فما كانت مطلوبة لأنفسها. فإنّ الله لمّا أحبّ أن يُعْرَف لم يمكن أن يعرفه إلّا مَن هو على صورته، وما أوجدَ الله على صورته أحدا إلّا الإنسان الكامل، لا الإنسان الحيوان. فإذا حَصَلَ؛ حصلت المعرفة المطلوبة. فأوجد[2] ما أوجد من الأسباب؛ لظهور عين الإنسان الكامل، فاعلم ذلك. فجُبِرَ هذا التعريف الإلهيّ انكساري، وعلمت أنّي من الكمّل، وأنّي لست بإنسان حيوان فقط. فشكرت الله على هذه المنّة.

فلمّا أشهدني نسبة العالم إليّ، ونسبتي إلى العالَم، وميّزت بين المرتبتين، وعلمت أنّ العالم كلّه لولا أنا ما وُجِد، وأنّه بوجودي صحّ المقصود من العلم الحادث بالله والوجود الحادث، الذي هو على صورة الوجود القديم، وعلمت أنّ العلم بالله المحدَث الذي هو على صورة العلم بالله القديم، لا يتمكن أن يكون إلّا لمن هو في خلقه على الصورة؛ وليس غير الإنسان الكامل؛ ولهذا سمّي كاملا، وأنّه روح العالم، والعالم (هو) المسخّر له: علوّه وسفله، وأنّ الإنسان الحيوانيّ من جملة العالم المسخّر له[3]، وأنّه يشبه الإنسان الكامل في الصورة الظاهرة، لا في الباطن من حيث الرتبة، كما يشبه القردُ الإنسانَ في جميع أعضائه الظاهرة.

فتأمّل درجة الإنسان الحيوان من درجة الإنسان الكامل، واعلم من أيّ الأناسي أنت؛ فإنّك

١ [غافر : ٥٧]
٢ ص ٦٧
٣ "علوّه .. له" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب

على استعداد قبول الكمال لو عقلت؛ ولهذا تعيّن التنبيه والإعلام من العالِم. فلو لم تكن على استعداد يقبل[1] الكمال، لم يصحّ التنبيه، ولكان التعريف بذلك عبثا وباطلا. فلا تلومنّ إلّا نفسك في عدم القبول لما دُعِيتَ إليه، فإنّ الداعي ما دعا إلّا على بصيرة، ليلحقك بذاته في البصيرة.

فإذا علمت هذا، وأشهدك الحقُّ نسبة العالَم إليك؛ بقي عليك أن تعلم نسبة الحقّ إليك، ونسبتك إليه. فأوقفني الحقّ على نسبة الأسماء الإلهيّة إليّ؛ لتحصل لي الصورة المقصودة؛ فتنطلق عليّ جميع الأسماء الإلهيّة التي تنطلق عليه -تعالى-، لا يفوتني منها اسم بوجهٍ من الوجوه.

فاعلم أنّ الاسم لمّا كان يدلّ على المسمّى بحكم المطابقة؛ فلا يفهم منه غير مسمّاه؛ كان عينه في صورة أخرى تسمّى: اسما؛ فالاسم اسم له ولمسمّاه. وأراد الله -سبحانه- أن يُعرف، كما قرّرناه، بالمعرفة الحادثة؛ لتكمل مراتب المعرفة، ويكمل الوجود بوجود المحدَث، ولا يمكن أن يعرف الشيء إلّا نفسُه أو مِثلُه. فلا بدّ أن يكون الموجود الحادث، الذي يوجده الله للعلم به، على صورة موجده؛ حتى يكون كالمِثل له. فإنّ[2] الإنسان الكامل حقيقة واحدة، ولو كان بالشخص ما[3] كان، مما زاد على الواحد، فهو عين واحدة. وقال فيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] فجعله مِثلا، ونفى أن يماثَل.

فلمّا نصبه في الوجود مِثلا؛ تجارتْ إليه الأسماء الإلهيّة بحكم المطابقة، من حيث ما هي الأسماء ذات صور[5] لفظيّة ورقميّة، كما أنّ الإنسان ذو صورة جسميّة. فكانت هذه الأسماء الإلهيّة، على هذا الإنسان الكامل، أشدّ مطابقة منها على المسمّى "الله". ولمّا كان المِثل عن مِثله متميّزا بأمر مّا؛ لا يتمكن أن يكون ذلك الأمر إلّا له، لا يكون لِمِثله؛ كان الأمر في الأسماء التي

١ ص ٦٧ب
٢ ق: كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "فخلق" مع إشارة التصويب
٣ ص ٦٨
٤ [الشورى : ١١]
٥ ق: كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "حروف" مع إشارة التصويب، وربما يقصد فيها الإضافة لتصير: "صور حروف"

يتميّز المِثل عن مِثله به[1]، ولا يشاركه فيه من جانب الحقّ الاسم "الله". فعيّن ما اختصّ به المِثل عن مِثله، وكان للمِثل الآخر الاسم "الإنسان الكامل الخليفة" مما اختصّ به هذا المِثل الكونيّ.

وأسماءُ الحقّ الباقية مركّبةٌ من روح وصورة. فمن حيث صورتها تدلّ بحكم المطابقة على الإنسان، ومن حيث روحها ومعناها تدلّ بحكم المطابقة على الله. ولنا حالة وله حالة، والأسماء تتبع تلك الأحوال. فلنا التجريد عن الصور متى شئنا. فالذي لنا من ذاتنا: الصور. ولكن[2] من حقيقة ذاتنا، أيضا، التجرّد عنها متى شئنا؛ فتتبعنا الأسماء، في حال تجريدنا، من حيث أرواحها المجرّدة عن صورها. وله (=ولله) التلبُّس[3] بالصور، وهو بالذات غير صورة، وبالذات أيضا يقبل التجلّي لنا في الصور؛ فتتبعه الأسماء عينا[4]، من حيث صورها، إذا لبس الصورة، متى شاء؛ فالأمر بيننا وبينه على السَّوَاء. مع الفُرقان الموجود المحقّق: فإنّه الخالق ونحن المخلوقون، وهو الله وأنا الإنسان الخليفة. فيشركنا في الخلافة لتحقُّق الصورة، فإنّه أمرنا أن نتّخذه وكيلا، والوكالة خلافة.

فالمختصّ به الذي يتميّز به عنّي (هو) الاسم "الله" صورة ومعنى. فإذا تجلّى في الصورة؛ انطلق عليه، بحكم المطابقة، صورة الاسم "الله". وإذا بقي على ما هو عليه، من غير تقييد بصورة؛ انطلق عليه روح الاسم "الله". وكذلك الإنسان؛ هذا الاسم هو الذي يميّزه عنه، وله حالة[5] البقاء على ما هي ذاته عليه من الصورة، وله التجريد. ولو لم يكن في العالم مَن هو على صورة الحقّ، ما حصل المقصود من العلم بالحقّ، أعني العلم الحادث في قوله: «كنتُ[6] كنزا لم أُعرف فأحببتُ أن أُعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرفوني» فجعل نفسه كنزا، والكنز لا يكون إلّا مكتنزا في شيء.

١ ق: كتب في الهامش مقابلها: "بها" وبجانبها حرف خ
٢ ص ٦٨ب
٣ ق: "الالتباس" وعدلت في الهامش بقلم الأصل
٤ ق: كتب مقابلها في الهامش: "عينها" مع إشارة التصويب
٥ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٦ ص ٦٩

فلم يكن كنزُ الحقّ نفسه إلّا في صورة الإنسان الكامل في شيئيّة ثبوته؛ هناك كان الحقّ مكنوزا. فلمّا كسا[1] الحقُّ الإنسانَ ثوبَ شيئيّة الوجود؛ ظهر الكنز بظهوره؛ فعرفه الإنسان الكامل بوجوده، وعلِم أنّه كان مكنوزا فيه؛ في شيئيّة ثبوته، وهو لا يشعر به. فهذا قد أعلمتُك بنسبة الأسماء إليه. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2] ولفظة "كلّ" تقتضي الإحاطة والعموم. وقال رسول الله ﷺ في دعائه ربّه: «اللهم إنّي أسألك بكلّ اسم سمّيتَ به نفسك» فهذه إضافة حقيقيّة، وهي إضافة الشيء إلى نفسه؛ لمّا ذكر لفظين مختلفين صحّت الإضافة -كحقّ اليقين، وعلمِ اليقين، والعين واحدة- وهي لفظة "النفس" و"كاف الخطاب".

وإنّما قلنا هذا من أجل أصحاب اللسان، حيث قالوا من طريق الأدلّة: "إنّ الشيء لا يضاف إلى نفسه" وهو قول صحيح. غير أنّ الإضافة[3] ما وقعتْ هنا في الصورة، والصورة صورتان. فجاز أن تضاف الصورة الواحدة إلى الأخرى؛ وهي النفس وكاف الخطاب، وكحقّ اليقين، وعلمِ اليقين، وعين اليقين. والوجه الآخر (هو) أن تكون النفسُ نفسَ الإنسان الكامل، القابلة لجميع الأسماء الإلهيّة والكونيّة. فإنّ الأسماء الكونيّة أيضا تدلُّ بحكم المطابقة عليه، إلّا ما يختصّ به منها المحدَث؛ كـ"الغنيّ" لله، و"الفقير" للإنسان؛ بل للعالم كلّه. فتكون النفس، هنا، مضافة إلى كاف الخطاب؛ وهو الحقّ. وتكون إضافة مِلك، وتشريف، واستحقاق.

فإضافة المِلك كمثل مال زيد. وإضافة التشريف كمثل عبد الملك وخديمه. وإضافة الاستحقاق كسرج الدابّة، وباب البيت. وهذه كلّها سائغة في قوله: "نفسك" إذا عنى بها الإنسان. مثل قول عيسى عليه السلام: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ يعني بهذه النفس هنا؛ نفس عيسى، أضافها إلى الحقّ، كما هي في نفس الأمر. وهو أتمّ في الثناء على الله والتبرّي مما نسب إليه وقُرِّر عليه واستُفْهِم عنه من قوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فقال له:

١ ق: كتب في الهامش بقلم آخر: "ألبس" وبجانبها حرف خ
٢ [البقرة : ٣١]
٣ ص ٦٩ب

أنت ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا﴾ فيها ﴿إِنَّكَ أَنْتَ[1] عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[2]. فإنّه ما يكون فيها إلّا ما تجعله أنت؛ فكيف يَستفهم مَن له الخلق والأمر؟ ولم يقل له: "ما قلتُ إنّي إله" لِعلمه بأنّه خليفة وإنسان كامل، وأنّ الأسماء الإلهيّة له. فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾[3] ما زدتُ على ذلك شيئا. وإذا قال القائلُ ما أُمر به أن يقول، لم يلزم أن يقول كلّ[4] ما هو عليه؛ فإنّه ما أمر أن يقوله، وقد خرج عن العهدة بما بلّغ.

وقال ﷺ: «أو علّمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم غيبك» فذكر أنّه -تعالى- استأثر بشيء في علم غيبه مما لا يعلمه إلّا هو؛ وليس إلّا ما يمكن أن يكون للإنسان الكامل؛ لكنّ الله -تعالى- استأثر به في علم غيبه؛ فعلم من الإنسان مما هو عليه ما لا يعلمه الإنسان الكامل من نفسه، فهو غيب الحقّ؛ لأنّه المِثل. فاجتمع قول محمد ﷺ وقول عيسى- عليه السلام في أمر واحد، وهو قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[5] وقول محمد ﷺ: «أو استأثرت به في علم غيبك».

فالإنسان الكامل محلُّ الأسماء كلّها التي في قوّته قبولها، وما ليس في قوّته قبولها فلا يتمكن له قبولها؛ فليس ذلك من الأسماء التي يقال فيها: "إنّه نقّص عنها" كالأسماء التي يختصّ بها الإنسان ولا يجوز أن تطلق على[6] الله. ولا يقال: إنّ الله قد نقصه هذا الاسم أن يطلَق عليه. فمعنى ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[7] كلّ اسم في حقيقة هذا المسمّى أن يقبله، فاعلم ذلك.

فمن عَلِم نسبة الأسماء الإلهيّة إلى الإنسان؛ كيف هي؟ ونسبة الأسماء الكونيّة إلى الله؛ كيف هي؟ عَلِم مرتبةَ الإنسان. وتميُّزه عن العالم كلّه، وشرفه بما هو عليه من الجمعيّة؛ كالمتفنّن، صاحب الذوق في كلّ علم، وقد يكون صاحبُ علمٍ مّا أكملَ منه في ذلك العلم، مع المشاركة؛ فهو أفضل منه في وجه خاصّ، وهذا أفضل منه بالجمعيّة. كما نقول بالمفاضلة في النقص، فنقول

[1] ص ٧٠
[2] [المائدة : ١١٦]
[3] [المائدة : ١١٧]
[4] ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
[5] [المائدة : ١١٦]
[6] ص ٧٠ب
[7] [البقرة : ٣١]

في البليد: "إنّه حمار" ومعلوم قطعا أنّ الحمار أفضل من الإنسان في البلادة؛ فإنّه أَبْلَدُ منه. وكذلك الملَك مع الإنسان: الملَك أفضل منه في الطاعة لله، وقد شهد الله له بذلك؛ وذلك لِتعرّيه عن لباس البشريّة؛ فلا يعصي الله ما أمره؛ لأنّه ما هو على حقائق متضادَّة: تجذبه في أوقات، وتغفله وتنسيه عمّا دعي إليه (في أوقات) كما يوجد ذلك في النشأة العنصريّة. والإنسانُ نشأةٌ عنصريّة، تطلبه حقائق متجاذبة بالفعل، صاحبُ غفلة ونسيان. يؤمر ويُنهى؛ فتُتصوّر منه المخالفة والموافقة.

فالملَك أشدُّ موافقة لله من الإنسان؛ لما[1] تعطيه نشأته ونشأة الإنسان. قال -تعالى- في الملَك: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾[2] وقال في الخليفة الذي علّمهم الأسماء: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[3] فوصفه بالمعصية. فالملَك أفضل في الموافقة لأمر الله، والخليفة الإنسان أعلمُ بالأسماء الإلهيّة. لأنّ الخليفة إن لم يظهر بما يستحقّه مَن استخلفه حتى يطاع ويُعصى-، وإلّا فليس بخليفة. فهو أتمّ في الجمعيّة، وأفضل. والملَك أفضل في وجهٍ خاصّ، أو وجهين؛ لكن ما له فضل الجمع. والصورة لا تكون إلّا بالمجموع، وإلّا فليست بصورة مِثليّة. ولا يقدح في الصورة وكمالِها ما تمتاز به الصورة على مِثلها، فإنّه لا بدّ من ذلك. ولولا ذلك، لم تكن الصورة مِثلا؛ بل هي عَيْنُها. ومعلوم أنّ الأمر ليس كذلك. وهذا المنزل يتّسع الكلام فيه، يكاد إلى غير نهاية. فلنقتصر على ما ذكرناه، ولنذكر بعض ما يتضمّنه من العلوم كما تقدّم.

فمن ذلك علم الرسوم الطامسة، ومراتبها، وحصرها في الحقائق التي انحصرت فيها.

وفيه عِلْمُ مَن رُدَّ أمره؛ فكاد أن يقتل نفسه؛ وهو دليل على[4] الضّيق والحرج؛ وهل هذا من كمال الإنسان، أم لا؟ فإنّ الله وصف نفسه بالغضب والانتقام. فهذا الإنسان لَمّا لم يتمكن له في قوّته أن يجد على من يرسل غضبه بالانتقام منه؛ أراد أن يرسله على نفسه فيقتل نفسه؛ فهو

[1] ص ٧١
[2] [التحريم : ٦]
[3] [طه : ١٢١]
[4] ص ٧١ب

ناقص كامل. فأعطاه الله الصبرَ على حمل الأذى؛ فقاوم به ما يجده الطبع من الغيظ على من يردّ كلمته وأمره ويريد مقاومته.

وفيه عِلْمُ التسكين، ووجود الفرح بالمستنَد إليه إذا تنزّل له في الخطاب على سبيل الرفق به؛ لما يجده، وهو أن يخاطبه بما يغريه به في نفسه في الأمر الذي غاظه؛ فيريه من هو أكبر منه قد أغيظ؛ فيجد لذلك عزاء في نفسه؛ ولهذا قال الله -تعالى- لنبيّه ﷺ: ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[1].

وفيه عِلْمُ كلّ مَن جنى فعلى نفسه يجني؛ فإنّ الأعمال لا تضاف إلّا إلى عاملها، وإن أضيفت إلى غير عاملها؛ فقد غصبتها حقّها.

وفيه عِلْمُ الاستبصار.

وفيه عِلْمُ الأمزجة؛ فيعلم منه ما يضرّ زيدا ينفع عمرا، وما هو[2] دواء لخالد هو داء لحسن.

وفيه عِلْمُ نداء الحقّ واختلافه، مع أحديّة النداء.

وفيه عِلْمُ آداب جواب المنادي.

وفيه عِلْمُ الاستنزال باللطف.

وفيه عِلْمُ الجبر.

وفيه عِلْمُ التقرير الكونيّ، ونزول الأعلى إلى مخاطبة الأدنى باللطف مع قهره بالصورة؛ فما المانع له من ذلك: هل هو قهر خفيٌّ من حيث لا يشعر به؟ أو هو عن رحمة هو عليها مجعولة؟ أو جِبِلّيّة؟

وفيه عِلْمُ تنبيه العالِم على اكتساب معالي الأمور بإظهار أسبابها لمن لا يعرفها.

---
١ [هود : ١٢٠]
٢ ص ٧٢

وفيه عِلْمُ أسباب الحيرة عن جواب السائلين، إذا كان السؤال مما لا يُتصوّر عليه الجواب المطابق الذي يطلبه السائل في سؤاله، وهل كلّ سؤال يقتضي جوابا، أم لا؟ والسؤال عين الجواب من حيث أحديّة الكلام، والواحد لا يقع فيه التفصيل ولا الانقسام، والسؤال ما هو عين الجواب، والكلام أحديّ العين؛ فأين محلّ الانقسام؟

وفيه[1] عِلْمُ الجدل، مع العلم مِن المجادِل أنّه مُبْطِل وأنّ خصمه على الحقّ؛ فلماذا يبقى على جدله، وقد بان له الحقّ في نفسه: فهل له وجه مّا إلى الحقّ؟ أو هو باطل من جميع الوجوه؟ وإذا كان باطلا من جميع الوجوه، فالباطل عدم، والعدم لا يقاوم الوجود؛ فإنّ "لا شيء" لا يكون أقوى من "الشيء".

وفيه عِلْمُ ما تنتجه المساعدة.

وفيه عِلْمُ الزجر والتخويف، والرضا بالقضاء والمقضيّ معًا؛ للقوّة التي تكون في الراضي، وما ينبغي أن يُرضى به من المقضيّ؟ وما لا ينبغي أن يُرضى به من ذلك؟

وفيه عِلْمُ ما يؤثّره الاستناد إلى الكثرة من القوّة في نفس المستنِد وإن خاب؛ فقد يرزق الواحد من القوّة ما يزيد على قوّة الكثير؛ فلا يقاومه الكثير.

وفيه عِلْمُ تأثير الكون في الكون: هل يفتقر إلى أمر إلهيّ؟ أو إلى العلم؟ أو منه ما يكون عن علم، ومنه ما يكون عن أمر إلهيّ[2]؟ ومراتب الخلق في ذلك.

وفيه عِلْمُ سرد الأخبار، وما فائدتها الزائدة على تأنيس النفوس بها؟ فإنّ النفوس تستحلي الأحاديث بطبعها.

وفيه عِلْمُ تفاضل العالَم في العلم.

---
١ ص ٧٢ب
٢ "أو إلى العلم.. إلهي" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

وفيه[1] عِلْمُ ما ينبغي أن يضاف إلى الحق من الأمور، وما لا ينبغي؛ وإن كان له.

وفيه عِلْمُ عزّة النفس أن تلحق بها المذامّ مع كونها متّصفة بها؛ فما الذي يحجبها؛ حتى تتّصف بالمذامّ ولا تحبّ أن توصف بها؟

وفيه عِلْمُ مفاضلة النفوس بعضها بعضا على الإطلاق.

وفيه عِلْمُ سبب دوام النعيم، وعدم دوام نقيضه.

وفيه عِلْمُ المُدد؛ ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع انتهاؤها فيما يوصف منها بالانتهاء: هل هو للفعل الموجود فيها؟ أو هل هو لأمر آخر؟

وفيه عِلْمُ تقاسيم الزمان إلى أزمنة، وهو عين واحدة.

وفيه عِلْمُ طلب الأعمال الجزاء، وإن تنزّه العاملون عنها. وعِلْمُ مَن أعلى منزلة: هل المتنزّه عن طلب الأعواض؟ أو طالب الأعواض؟

وفيه عِلْمُ بدء الرسالة في العالَم: ما سببه؟ وهل في العالَم من خرج عن التكليف، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ما يتميّز به العالي من الأسفل: هل بنفسه؟ أو بأمر نسبي؟ والأشرف منهما؟

وفيه[2] عِلْمُ اختلاف الآيات؛ لاختلاف الأعصار والأحوال، وأين ذلك من العلم الإلهيّ؟

وفيه عِلْمُ دخول الواسع في الضيّق من غير أن يتّسع الضيّق، أو يضيق الواسع.

وفيه عِلْمُ الفرق بين الإناث والذكور في كلّ صنف صنف.

وفيه عِلْمُ من يصحّ عليه اسم الأخوّة ممن لا يصحّ؟ ومراتب الأخوّة.

١ ص ٧٣
٢ ص ٧٣ب

وفيه عِلْمُ الموازنات الإلهيّة والموضوعة.

وفيه عِلْمُ السبب الذي يقوم بالإنسان حتى يعمي قلبه عن طريق الحق مع علمه بالإمكان؛ وهو من أعجب الأشياء مثل قول من قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[1] مع علمهم بأنّ ذلك ممكن، ولم يوفّقهم الله أن يقولوا: تب علينا، أو أسعدنا.

وفيه عِلْمُ مراتب الوحي الإلهيّ في الإنسان.

وفيه عِلْمُ الدلالة التي لا يمكن ردّها. وفيه عِلْمُ الفُرقان بين النظم والمنظوم، والنثر والمنثور؛ وهو[2] علم المقيّد والمطلق.

وفيه عِلْمُ التقلّب من حال إلى حال، ومن منزل إلى منزل.

وفيه عِلْمُ تنزّل الأرواح الناريّة: من أين تنزل؟ وعلى من تنزل؟ وأين محلّها؟ وما ينبغي أن يُنسب إليها؟

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3].

١ [الأنفال : ٣٢]
٢ ص ٧٤
٣ [الأحزاب : ٤]

الباب التاسع والخمسون وثلاثمائة
في معرفة منزل: "إيّاك أعني فاسمعي يا جارة".
وهو منزل تفريق الأمر وصورة الكتم في الكشف -من الحضرة المحمّديّة

انْظُرْ إلَى نَقْصِ ظِلِّ الشَّمسِ[1] فِيْهِ إذا   مـا الشَّـمْسُ تَعْلُـو فَتُفْـنِي ظِـلَّهُ فِيْـهِ
ذاكَ الدلِيْـلُ عَـلَى تَحْرِيْكِـهِ أَبَـدًا   بَـدْءًا وفَيْئًـا، وَهَـذا القَـدْرُ يَكْفِيْـهِ
لَـوْ كانَ يَسْـكُنُ وَقْتًـا مـا بَـدَا أَثَـرٌ   فِي الكَوْنِ مِنْ "كُنْ" وَذاكَ الحُكْمُ مِنْ فِيْهِ
فـالكَوْنُ مِـنْ نَفَـسِ الـرَّحمنِ لَـيْسَ لَهُ   أَصْـلٌ سِـوَاهُ فَحُـكْمُ القَـوْلِ يُبْدِيْـهِ
خِـلافَ[2] مـا يَقْتَضِـيْهِ العَقْـلُ فـارْمِ بِـهِ   فَـإنّ حِكْمَـةَ شَرْعِ اللهِ تقْضِـيْهِ[3]
مـا إنْ رأَيْـتُ لَهُ عَيْنًـا وَلا أَثَـرًا   وَلَـوْ يَكُـونُ لَـكانَ القَـوْلُ[4] يُخْفِيْـهِ

اعلم -أيّدك الله بروح منه- أنّ الأشياء، لمّا خلقها الله على حكم ما اقتضاه الوجود، الأصلُ الذي عليه وله وُجِد كلُّ ما سِوَى الله -تعالى-؛ فما خلق شيئا إلّا وخلق له ضدًّا، ومِثلا، وخلافا. فجعل الموافقة في الخلاف، والمنافرة في الضدّ، والمناسبة في المِثل. فأشدّ الأشياء مواصلة، ومحبّة، واتّحادا (هو) الخلاف مع مخالفه؛ ولهذا يكون الخلاف بحيث مَن يخالفه، ولا يتميّز عن صاحبه إلّا بحكمه. فيتّحد الخلافان بالمحلّ، ويتميّزان بالحكم فيه.

وأمّا المِثل مع مِثله فإنّ المناسبة تجمع بينهما في المودّة؛ فيحبّ كلُّ مِثلٍ مِثلَه، بما فيه من مناسبة المِثليّة، وإن لم يجتمعا.

فيشبه المِثلُ الخلافَ في المحبّة، وإن كان بينهما فُرقان بالحقائق فيها. ويشبه الضدّ في أنّهما لا

١ س، ه: الشخص
٢ ص ٧٤ب
٣ س، ه: تقضيه
٤ س، ه: العقل

يجتمعان أبدا. فهما كغائب أحبّ غائبا، وهام فيه عشقا، وحكمت الموانعُ[1] بأن لا يجتمعا.

وأمّا الضدّ مع ضدّه فالمنافرة بينهما ذاتية، وليس بينهما المودّة التي بين الخلافين؛ فكلّ واحد من الضدّين يريد ذهاب عين ضدّه من الوجود. بخلاف الخلافين؛ فالمودّة التي بينهما تمنع كلّ واحد منهما أن يريد ذهاب عين خلافه من الوجود، لكن يريد ويشتهي أن لو يمكن الاتّحاد به، حتى لا تقع المشاهدة إلّا على واحدٍ بعينه، ويغيب فيه الآخر؛ إيثارا لكلّ مِثلٍ على نفسه لمِثله. لكنّهما لا يجتمعان أبدا؛ لذاتهما. مثال المثلين: بياضان، ومثال الضدّين: بياض وسواد، ومثال الخلافين: لون ورائحة وطعم، في محلّ واحد. والمراد، من هذا الذي ذكرناه، تعريفك بنسبة العبد من الله: ما له من هذه النِّسب.

فاعلم أنّ الإنسان الكامل جمع بذاته هذه الأمور كلّها، وليس ذلك لغيره. فهو مع الحق: مِثلٌ، ضِدٌّ، خِلافٌ. كما أنّ ما ذكرناه، له هذا الحكم أيضا؛ كلُّ واحد من هؤلاء الثلاثة مِثلٌ ضدٌّ خلافٌ. فإنّ البياض يخالف البياض بالمحلّ؛ فإنّ المحلّ يميّزه، فيقال: هذا البياض ما هو هذا البياض. ويضادّ مِثله؛ فإنّهما لا يجمعهما محلٌّ واحد. وهو مِثل له؛ لأنّ الحدّ[2] والحقيقة تشملهما[3] من جميع الوجوه. فكلٌّ واحد، مما ذكرناه، يقبل ما يقبله الآخر من المِثليّة، والضدّيّة، والخلافيّة.

والذي يُحتاج إليه، في هذا الباب، معرفة الإنسان مع قرينه من الإنس إن عمّ، أو مع غيره من العالَم من حيث نسبةٍ مّا إن خصّ، ومعرفة الإنسان مع الحقّ ليعلم صورته منه: على ماذا يكون؟ فإنّه قد اعتنى به غاية العناية (ك) ما لم يعتن بمخلوق؛ بكونه جعله خليفة، وأعطاه الكمال بعلم الأسماء، وخلقه على الصورة الإلهيّة. وأكمل من الصورة الإلهيّة ما يمكن أن يكون في الوجود. فالإنسان الكامل "مِثلٌ" من حيث الصورة، "ضِدٌ" من حيث أنّه لا يصحّ أن يكون في حال كونه عبدا؛ ربّا لمن هو له عبدٌ. "خِلافٌ" من حيث أنّ الحقّ سمعُه، وبصرُه، وقواه. فأثبته، وأثبت نفسه في عين واحدة. فـ«مَن عرَف نفسه عرَف ربّه» معرفة مِثلٍ، وضدٍّ،

١ ص ٧٥
٢ ص ٧٥ب
٣ كتب فوقها كبديل: "فيها عين واحدة" مع حرف خ، متفقة في ذلك مع س

وخلافٍ؛ فهو الوليّ العدوّ.

قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ بخلاف[1] المؤمن ﴿أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ لكونكم أمثالا له؛ لِما بين المِثلين من الضدّيّة. فقال للمؤمن: عامل العدوَّ بضدّيّة المِثل، لا بمودّة المِثل[2]؛ لأنّ حقيقتكما واحدة، فافهم. فإنّ العدوّ يريد إخراجك من الوجود، كما قدّمنا في معرفة الضدّ. ولذلك قال -تعالى- في هذه الآية: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾[3] فما عاملكم العدوّ، وإن كان مِثلكم، إلّا بضدّيّة المِثل، لا بمودّته؛ وهذا عين ما ذكرناه من أنّ الضدّ يريد ذهاب عين ضدّه من الوجود. فأمرنا، إذا أرادوا ذلك بنا، أن نقاتلهم؛ فنُذهِب أعيانَهم من الموضع الذي يكونون فيه؛ فننقلهم إلى البرزخ بالقتل. فانظر ما أعجب القرآن، وما أعطي ﷺ من العلم بالأمور!.

وإن لم تَسْرِ هذه الضدّيّة في ذات المِثل؛ فليس بمؤمن، ولا هو عند الله بمكان. ولكن يحتاج إلى ميزان وكشف صحيح حتى تعرف العدوّ الذاتي الذي ينبغي أن تعامله بمثل هذه المعاملة، من العدوّ العرَضي الذي تعرض له هذه العداوة، ثمّ تزول عنه لزوال ذلك العارض الذي أوجبها. كما قال -تعالى- يخبر عن بعض العباد ما يقول يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ[4] بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[5] يعني شيطان الإنس. يقول تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[6] فإنّه قال: ما أضلّني عن الذِّكر إلّا فلان، وسمّى إنسانا مثله، حيث أصغى إليه وقلّده في مقالته، وحالَ بينه وبين اتّباع ما أمره الله باتّباعه؛ وهو ما جاء به رسول الله ﷺ.

وسبب ذلك ما جاءهم به عن الله من التحجير الجديد، وإن كانوا في تحجير، إذ لا بدّ منه لمصالح العالم، ولكنّهم كانوا قد ألِفُوه، ونشأوا عليه، ولم يعرفوا غيره. فهم ما أنكروا التحجير، وإنما

١ س، هـ: يخاطب
٢ ص ٧٦
٣ [الممتحنة : ١]
٤ ص ٧٦ب
٥ [الفرقان : ٢٧ - ٢٩]
٦ [الأنعام : ١١٢]

أنكروا هذا التحجير الخاص، ومفارقةُ المألوفِ بالطبع عسيرٌ. ولهذا لا يألف الطبع الألم، وإن تمادى به، فإنّه يُسَرُّ بزواله؛ لعدم ألفة الطبع به؛ فلو ألِفَه لتألّم بزواله. ولمّا لم يتمكن أن يكون كلُّ إنسان له مرتبة الكمال المطلوبة في الإنسانيّة، وإن كان يفضل بعضهم بعضا: فأدناهم منزلةً مَن هو إنسان حيوان، وأعلاهم مَن هو ظِلُّ الله؛ وهو الإنسان الكامل، نائب الحقّ؛ بكون الحقّ لسانه وجميع قواه. وما بين هذين المقامين مراتب.

ففي زمان الرسل يكون الكاملُ: رسولا، وفي[1] زمان انقطاع الرسالة يكون الكامل: وارثا. ولا ظهور للوارث مع وجود الرسول؛ إذ الوارث لا يكون وارثا إلّا بعد موت مَن يرثه؛ فلم يتمكن للصاحب، مع وجود الرسول، أن تكون له هذه المرتبة. فالأمر يتنزل من الله على الدوام، لا ينقطع؛ فلا يقبله إلّا الرسل خاصّة على الكمال. فإذا فُقدوا، حينئذ، وُجِد ذلك الاستعداد في غير الرُّسل؛ فقبِلوا ذلك التنزيل الإلهيّ في قلوبهم؛ فسُمّوا: ورثة. لم ينطلق عليهم اسم: رُسُل، مع كونهم يخبرون عن الله بالتنزّل الإلهيّ. فإن كان في ذلك التنزّل الإلهيّ حكم، أخذه هذا المُنزَل عليه وحكم به. وهو المعبَّر عنه بلسان علماء الرسوم: بالمجتهد الذي يستنبط الحكم عندهم، وهو العالم بقول الله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2]. فهذا حظّ الناس اليوم من التشريع، بعد رسول الله ﷺ.

ونحن نقول به، ولكن لا نقول بأنّ الاجتهاد هو ما ذكره علماء الرسوم؛ بل الاجتهاد عندنا: بذلُ الوسع في تحصيل الاستعداد الباطن، الذي به يقبل هذا التنزّل الخاص، الذي لا يقبله في زمان النبوّة والرسالة إلّا نبيّ أو رسول. إلّا أنّه لا سبيل إلى مخالفة حكم ثابت قد تقرّر من[3] الرسول ﷺ في نفس الأمر، فإن لم يكن ذلك في نفس الأمر، فلا يُلقى إلى هذا المجتهد الذي ذكرناه إلّا ما هو الحكم عليه في نفس الأمر؛ حتى أنّه لو كان الرسول ﷺ حيّا لحكم به. مع أنّه قرّر حكم المجتهد وإن أخطأ، فما أخطأ المجتهد إلّا في الاستعداد كما ذكرناه. فلو أصاب في

١ ص ٧٧
٢ [النساء : ٨٣]
٣ ص ٧٧ب

الاستعداد؛ ما أخطأ مجتهدٌ أبدا؛ بل لا يكون مجتهدا في الحكم، وإنما هو ناقلٌ ما قَبِلَهُ من الحقّ النازل عليه في تجلّيه.

وهذا عزيز في الأمّة؛ ما يوجد إلّا في أفراد. وعلامتهم أنّهم ما يختلفون في الحكم أصلا؛ لوحدانيّة الرسالة في هذا الزمان. فإذا اختلفوا؛ فما هم الذين ذكرناهم. فيكون صاحب الحقّ -إذا كانت الأحكام منحصرة القسمة- واحدا منهم. فإن بقي قسم لم يقع به حكم؛ ربما كان الحقّ فيه. ومع هذا تعبّد كلُّ واحد بما أعطاه دليله؛ فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر؛ فوقع الاجتهاد في الاجتهاد. وإذنْ تقرّر أنّ التنزّل الإلهيّ لم ينقطع، وأنّه على ضروب، وكلّها علم، سَوَاء كان تنزّل حكم شرعي أو غير ذلك بحسب المواطن. ألا ترى موطن الآخرة في الجنّة؛ التنزّلُ دائم، ولكن ليس فيه حكم تحجير[1] جملة واحدة، بخلاف تنزّله في الدنيا؟ فهذا أعني: بـ"حُكم المواطن"، والكلّ[2] تعريف إلهيّ.

ولمّا كان في الإنسان الكامل المِثل، والضدّ، والخلاف، كما هو في الأسماء الإلهيّة المِثل: كالرحمن الرحيم، والخلاف: كالرحمن الصبور، والضدّ: كالضارّ النافع؛ قال النبيّ ﷺ يرفع هممنا إلى الرتب العالية: «لو كنت متّخذا خليلا لاتّخذتُ أبا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل الله» والله يقول: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[3] وقال ﷺ لربّه: «أنت الصاحب في السفر».

فإذا علمتَ أنّ الله لا يستحيل عليه خلّة عباده؛ فاجهد أن تكون أنت ذلك الخليل؛ بأن تنظر إلى ما يؤدّي إلى تحصيل هذه الخلّة الشريفة؛ فإنّك لا تجد لها سببا إلّا الموافقة، ولا عِلم لنا بموافقتنا الحقّ إلّا موافقتنا شرعَه: فما حرّمَ حرّمناه، وما أحلّ أحللناه، وما أباحه أبحناه، وما كرهه كرهناه، وما نَدَب إليه نَدَبْنا إليه، وما أوجبَ أوجبناه. فإذا عمّكَ هذا في نفسك، وكانت هذه صفتك، وقمت فيها مقام حقٍ: صحّتْ لك الخلّة؛ لا بل المحبّة التي هي أعظم وأخصّ من الخلّة. لأنّ الخليل يصحبك لك، والمحبّ يصحبك لنفسه؛ فشتّان[4] ما بين الخلّة والمحبّة. وقد دللتك

١ ص ٧٨
٢ ق: الكلّ
٣ [النساء: ١٢٥]
٤ ص ٧٨ب

على تحصيل هذين المقامين. فالخليل يعتضد بخليله، والحبيب يبطن في محبّه؛ فيقيه بنفسه. فالحقّ مِجَنُّ المحبوب، والخليل مِجَنُّ خليله.

ألا ترى إلى ما أجرى الله في نفوس العالم، حيث يجعلون الخبز والملح سببا موجبا لأنّ يكون كلّ واحد من الشخصين اللذين بينهما المالحة؛ فداء لصاحبه: يقيه من كلّ مكروه، ويحفظ عليه حِفظَهُ على نفسه؟! وكذلك هو الأمر في عينه. ولمّا شهدناه مع الحقّ مشاهدة عينٍ، ووقعت المالحة، ورأيت أثرها، بحمد الله، برهانا قاطعا؛ قلت في ذلك:

لأكُلَـنَّ الخُـبْزَ والمِلْحَـا ... حَتَّى أرَى البُرْهانَ والفَتْحا
وأنْظُـرَ الأمْـرَ الذِي قَـدْ بَـدَا ... يَثْبُتُ فِي اللَّوْحِ فَلا يُمْحَى
وأطْلُبُ الحَرْبَ مِنَ اجْلِ العِدا ... لا أطْلُبُ السِّلْمَ وَلا الصُّلْحا
فَلَوْ أتانِي الأمْـرُ مِـنْ عِنْـدِهِ ... أمْرٌ يُرِيْنِي الكَشْفَ والشَّرْحا
ألْزَمْـتُ[1] نَفْسِـي طَلَبًا لِلْعُلَى ... أنْ نُؤْثِرَ المَعْرُوفَ والنُّصْحا
وَقُلْـتُ لِلبَـانِي: ألَا فَـابْنِ لِي ... مِنْ عَمَلِ الأزْواحِ لِي صَرْحَا
عَسَى أرَى بلقِيْسَ إذْ شَمَّرَتْ ... عَنْ ساقِها إذْ أبْصَرَتْ صَرْحَا
تَخَيَّلَـتْ بِأنَّـهُ لُجَّـةٌ ... فَأضْرَبَتْ عَنْ عَرْشِها صَفْحَا
ما عَرَفَتْ -إذْ أبْصَرَتْ- نَفْسَها ... سِتْرًا وَلا كَشْفًا وَلا لَمْحا

فأعطاه الخبز والملح؛ أن لا يتّخذ عدوًّا لله، محبوبا ولا محبّا.

ولمّا علم الله ما هو عليه الإنسان في جِبِلّته، من حبّه المحسن لإحسانه، ومن استجلابه الودّ من أشكاله بالتودّد إليهم، علم أنّه -تعالى- إذا قال لهم: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي﴾ أنّهم، لما ذكرناه، لا يقومون في هذا النهي في جانب الحقّ، مقام ما يستحقّه الحقّ. فزاد في الخطاب فقال: ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ وذلك ليبغّضهم إلينا، لعلمه بأنّا نحبّ أنفسنا ونؤثر أهواءنا عليه[2] -تعالى-. فليس في

١ ص ٧٩
٢ ص ٧٩ب

القرآن ذمٌّ في حقّنا من الله، أعظم من هذا. فإنّه لو علم منّا إيثاره على أهوائنا، لاكتفى بقوله: ﴿عَدُوِّي﴾.

ثمّ تمّم على نسق واحد فقال: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾ يعني من موطنه؛ فإنّ مفارقة الأوطان من أشقّ ما يجري على الإنسان. فلمّا علِم الله أنّكم لا يقوم عندكم -إخراج الرسول، مع بقائكم في أوطانكم- ذلك، مقام ما يستحقّه الرسول منكم، قال: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾[1] فشرّككم في الإخراج مع الرسول، كما شرّككم في العداوة مع الله؛ لتكونوا أحرص على أن لا تلقوا إليهم بالمودّة، وأن تتّخذوهم أعداء. والمؤمنون هنا كلُّ ما سِوَى الرسول؛ فإنّ الرسول إذا تبيّن له أنّ شخصا مّا عدوٌّ لله؛ تبرّأ منه. قال تعالى في حق إبراهيم وأبيه آزر، بعد ما وعظه وأظهر الشفقة عليه، لكونه كان عنده في حدّ الإمكان أن يرجع إلى الله وتوحيده من شِركه. فلمّا بيّن الله له في وحيه، وكشف له عن أمر أبيه، وتبيّن إبراهيم أنّ أباه آزرَ عدوّ لله تبرّأ منه مع كونه أباه؛ فأثنى الله عليه فقال: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[2] وقد كان إبراهيم في حقّ أبيه أوّاها حليما، لا الآن. وقد ورد في الخبر أنّ إبراهيم يجد أباه بين رجليه في صورة ذيخ[3]، فيأخذه بيده فيرمي به في النار. فانظر[4] ما أثّر عند الخليل إيثارُه لجناب الحقّ من عداوة أبيه في الله -تعالى-.

فالله يجعلنا ممن آثر الحقَّ على هواه، وأن يجعل ذلك مناه. فما أعظمها عندي من حسرة حيث لم نكن بهذه المثابة عند الله، حتى نكتفي بذِكْر عداوتهم لله وإخراج الرسول. فهنا ينبغي تُسكب العبرات. فالسعيد مَن وجد ذلك من نفسه فلم يدخل تحت هذا الخطاب. وعلى قدر ما ينقصك من هذا الحال، ينقصك من المعرفة بالله.

ومن الوقت الذي فتح الله عليّ في هذا الطريق، ما لقيتُ أحدا على هذا القدم، فعرفته به. وإن كان عليه في نفس الأمر؛ ولكن ما عرّفني الله به، وربما عرّضت له به، فلم أجد عنده إلّا

---

١ [الممتحنة : ١]
٢ [التوبة : ١١٤]
٣ ق: ضيخ، وكتب تحتها: ذيخ، والذيخ: ذكر الضباع الكثير الشعر، وقد ورد ذكر ذلك في تفسير فتح القدير، وتفسير ابن كثير في تفسير الآيات الخاصة بسيدنا إبراهيم وبالذات الآية ٨٧ في سورة الشعراء
٤ ص ٨٠

النقيض. لكنّي أعلم أنّ في الأرض عبادا لهم هذا المقام. فالحمد لله الذي فتح عليّ به، ونرجو -إن شاء الله- البقاء عليه؛ فإنّ أكثر أبواب المعرفة بالله تحولُ بين هذا المقام وبين المؤمنين والعلماء. فهو مقام غامض، صعب التصوّر، تقدح فيه معارفُ إلهيّة كثيرة. ومتى ما لم يحصل لأحد هذا المقام ذوقا، فاعلم أنّ بينه وبين مَن هو عدوّ لله مناسبة، ولتلك المناسبة[1] لم يتبرّأ منه إذا تبيّن له؛ لأنّه قَبل التبيين يُعذَر.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[2] وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾[3] فليس بأصحاب الجحيم إلّا أعداء الله -تعالى- الذين هم أهل الجحيم.

فَكُنْ مَعَ الحَقِّ لا تَبْغِي بِهِ بَدَلا   وأَفْرِدِ الحَقَّ لا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلا

والله وليّ الإعانة والتوفيق.

واعلم أنّ هذا المنزل يحوي على علم الزيادة من الخير.

وفيه عِلْمُ ما يتميَّز به الحقُّ من الباطل، والحدود التي تفصل بين الأشياء، وتميّز بعضها من بعض.

وفيه عِلْمُ عبيد الكنايات، لا عبيد الأسماء، وما بينهما من المراتب في الرفعة والشرف، ومَن أشدّ وصلة في العبوديّة: هل عبد الكناية، أو عبد الاسم؟

وفيه عِلْمُ ما يتعلّق بالعالم كلّه من العلوم.

وفيه عِلْمُ ما يختصّ به الحقّ من الصفات دون خلقه؟

---

١ ص ٨٠ب
٢ [التوبة : ١١٣]
٣ [التوبة : ١٢٠]

وفيه[1] عِلمُ التنزيه؛ لما (=إلى ما) يرجع: هل لوجودٍ، أو لعدم؟

وفيه عِلمُ الموازين.

وفيه عِلمُ ما أوجب اتّخاذ الشريك في العالَم، وكلُّ مولود فإنما يولَد على الفطرة؛ فمن أين كفر الأوّل، وأبواه هما اللذان يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يشرّكانه، أو يمجّسانه؟ وهل العقل ينزل هنا، من حيث فكره، منزلة الأبوين، في كون هذا الشخص قد أخرجه نظرُه مِن فطرته إلى إثبات الشريك؟

وفيه عِلمُ ما يملكه الإنسان بذاته مما لا يملكه، وتصرُّفه فيما لا يملكه: لماذا تصرّف فيه؟

وفيه عِلمُ ما يؤول إليه قائلُ الزور والشاهد به، وكون الحاكم غير معصوم باتّباع هواه، ولماذا أبقاه الله حاكماً في ظاهر الأمر، وإن كان معزولاً في باطن الأمر فيما حكم فيه بهواه. وقوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[2].

وفيه عِلمُ العلامات التي يُعرف بها الصادق من الكاذب، وهي من العلامات التي لا تنقال، بل يجدها الإنسان من نفسه إذا كان من أهل المراقبة لأحواله؛ فلا يفوته علم ذلك. ومَن لم تكن المراقبة حاله؛ فإنّه لا يعرف تلك العلامات أصلاً[3]. والمؤمنون أحقُّ بمعرفتها من أصحاب النظر.

وفيه عِلمٌ يختصُّ به الشيوخ في هذا الطريق، يُعرف به حالُ المريدين: متى يستحقّون أن يكونوا مريدين، وأن يَقبل عليهم الشيخ قبولَ إفادة؟ وليس للشيخ في هذا الطريق أن ينبّه المريد على صورة[4] ما يكون بحصول معناها في نفسه حصول الفتح له ونيل السعادة؛ لئلّا يظهر بالصورة في ذلك، والباطن معرّى من المعنى الموجب لتلك الصورة.

فإن قلتَ: فهذا لا ينبغي للشيخ أن يستره عن المريد. قلنا: بل ينبغي أن يستره عن المريد، وواجب عليه ذلك؛ لِعلمه أنّ المعنى الموجِب لظهور تلك الصورة، إذا قام بالمريد؛ أوجبَ له

[1] ص ٨١
[2] [الأنبياء: ١١٢]
[3] ص ٨١ب
[4] لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س

ظهور تلك الصورة؛ فيعلم الشيخ عند ذلك أنّ الله قد أهّل ذلك المريد أنّ يكون من أهل الحقّ. وإذا أعلمه الشيخ بذلك المعنى الموجِب لإظهار هذه الصورة، والنفس مجبولة على الخيانة وعدم الصدق؛ ظهر بالصورة مع عدم المعنى؛ فيقع الغلط. كما يظهر المنافق بصورة المؤمن في العمل الظاهر، والباطن معرّى عن الموجب لذلك العمل.

وفيه عِلمُ ضيق النار؛ ما سببه مع[1] ما فيها من السعة؟

وفيه عِلمُ ما يَقرن مع المؤمن في الجنّة، وما يَقرن مع المشرك في النار، والفرق بين الوجود والتوحيد. فإنّ المشرك مؤمن بالوجود غير موحِّد، والعذاب أوجبه في النار عدمُ التوحيد لا إثبات الوجود؛ فمن هنا تعرف[2] قرين المشرك من قرين المؤمن.

وفيه عِلمُ دخول جميع الممكنات في الوجود من حيث أجناسها وأنواعها، لا من حيث أشخاصها وآحادها، لا بل أشخاص بعضها لا كلّها. وهنا نظر دقيق يعطيه الكشف: هل الخلق الجديد في الصورة كلّها في الوجود بحاملها الذي بعض الناس في لَبْس منها؟ فمن رأى التجديد قال: لا يتناهى أشخاص كلّ نوع أبدا. ومن رأى أن لا تجديد؛ قال في الآخرة: إنّه قد تناهت أشخاص هذا النوع الإنساني، فلا يوجد إنسان بعد ذلك. وهي مسألة دقيقة لا يمكن لنا الكلام فيها جملة واحدة؛ فإنّها من جملة الأسرار التي لا تذاع إلّا لأهلها؛ فإنّها من العلوم التي تنقال لأهل الروائح، ومَن لا شمّ له لا يقبل الإخبار عن حقيقتها.

وفيه[3] عِلمُ ما يطغي مما لا يطغي.

وفيه عِلمُ ما هي السعادة في أن يُجهل؛ فإنّ العلم يعطي في العالم، إذا علِم أمرا مّا، فقد اكتفى به فيه، وصار يطلب علما آخر؛ إذ الحاصل لا يُبْتغى. فإذا قال: "علمت كذا" فمن المحال أن تتشوّف النفس إليه بعد حصوله؛ فلذلك لا يعلم أحدٌ اللهَ أبداً؛ لأنّه يؤدّي إلى الاستغناء عنه، من حيث علمه به. فإن قلتَ: بل عِلمه به جعله لا يستغني عنه. قلنا لك: ما هذا هو العلم به؛

[1] ص ٨٢
[2] ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[3] ص ٨٢ب

بل العلم الذي ذكرته هو العلم بكونه لا يُستغنَى عنه، والعلم به الذي أردناه (هو) أمرٌ آخر. فأنت عالِم بالحكم، لا به؛ فلا تعارض بين ما اعترضت به علينا، وبين ما قلناه، فافهم.

وفيه عِلْمُ ابتلاء العالَم بعضه ببعض: هل هو من باب الرحمة بالعالَم؟ أو من باب الشقاء؟

وفيه عِلْمُ الموانع التي منعتْ من قبول ما جاء من عند الله، مع تشوّف النفوس إلى رؤية الغريب إذا ورد، والقبول عليه. فإنّ رحمة الشريعة لا يدركها إلّا العلماء[1] خاصّة، ولهذا لا يردّها عالِم حيث يراها؛ ولهذا أُمرنا بالإيمان بها، وإن كانت قد نُسِخت وارتفع حكمها، وصار العمل بها حراما علينا.

وفيه عِلْمُ منع المنع.

وفيه عِلْمُ ما تراه شيئا وليس بشيء، وهو شيء؛ لأنّك رأيته شيئا. مثاله: السراب تراه ماء، والآلُ، الذي هو شخص الإنسان في السراب يَعْظُم، فلا يُشَكُّ في عِظَمه. فإذا جئته لم تجده كما رأيته، ولا تشكّ فيما رأيته. وغيرك في ذلك الحين، ممن هو على المسافة التي رأيته أنت فيها عظيما؛ يراه عظيما، وأنت تراه ليس بعظيم حين جئته. وهو علمٌ إلهيّ شريف.

وفيه عِلْمُ المفاضلة بين الضدّين؛ كالمفاضلة بين السواد والبياض، وذلك لكون اللون جمعهما؛ فوقعتِ المفاضلة. فلا بدّ في كلّ مفاضلة في الوجود، مِن جامع يجمع بينهما، أي يجتمع فيه جميع مَن في الوجود. ولهذا فرّتْ الباطنيّة في الباري إذا قيل لها: "إنّه موجود" إلى أن تقول: "ليس بمعدوم" وما علِمَتْ أنّها وقعتْ في عين ما فرّت منه. فإنّه، أيضا، كما[2] ينطلق على الموجود الحادث لفظة "موجود" ينطلق عليه أنّه "ليس بمعدوم" فقد وقعتْ الشركة في أنّه ليس بمعدوم. وكذا جميع ما يسأل عنه الباطنيّ. ولهذا كانوا أجهل الناس بالحقائق.

وفيه عِلْمُ الغَمام، وهو من الغمّ، وكون الحقّ يأتي فيه يوم القيامة، أو الملائكة، أو الحقّ والملائكة؛ فما يعطي من الغمّ؟

١ ص ٨٣
٢ ص ٨٣ب

وفيه عِلْمُ متى ينفرد الحقُّ بالمُلك؟ أو لم يَزَل منفردا به، ولكن جُهِل في موطن، وعُرف في موطن، وهو هو ليس غيره؟ فإنّه -تعالى- مَلِك بالحقيقة، والمخلوق مَلِكٌ بالجَعْل. قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾[1] ومن هنا تعلم مَن هو مُلك المُلك؟

وفيه عِلْمُ الظلْم الذي أتت به الشرائع، وما أثره؟ وعِلْمُ الظلْم الذي يعطيه العقل، وما أثره؟ وعِلْمُ الظلْم المحمود والمذموم.

وفيه عِلْمُ الفرق بين شياطين الإنس وبين شياطين الجنّ. ومَن ينبغي أن يُصحب، ومَن لا ينبغي أن يُصحب مطلقًا من[2] هذا النوع الإنسانيّ؟

وفيه عِلْمُ التجاء الدعاة إلى الله إذا لم تُسمع دعوتهم، سَوَاء كان رسولا أو وارثا.

وفيه عِلْمُ كون الحقّ جَعل لكلّ شيء ضدًّا.

وفيه عِلْمُ اختصاص أحد الضدّين بالحبّ الإلهيّ، والآخر بالبغض الإلهيّ، والصدور من عين واحدة. أو هو من يدين مختلفتين في الحكم؟

وفيه عِلْمُ حدوث الأحكام بحدوث النوازل، وأنّ الشرع ما انقطع ولا ينقطع إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وإن انقطعت النبوّة فالشرع ما انقطع، ما دام في العالَم مجتهِد.

وفيه عِلْمُ المضاهاةِ الإلهيّةِ الأكوانَ؛ فهل ذلك لعلوّ قدر الأكوان، أو لأمر آخر مثل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3]؟

وفيه عِلْمُ من يمشي على بطنه من الأناسيّ، وفي أيّ صورة يُحشر مَن هذا مشيه؟

وفيه عِلْمُ مَن حبس نفسه مع الأدنى مع معرفته بالأعلى، والأعلى[4] يدعوه إليه، والأدنى لا يدعوه إليه؛ فمن يدعوه إلى الأدنى حتى يحبس نفسه عليه؟

١ [المائدة : ٢٠]
٢ ص ٨٤، وكتب فوق كلمة "من" صح، وفي الهامش "ومن" وفوقها صح.
٣ [الفرقان : ٣٣]
٤ ص ٨٤ب

وفيه عِلْمُ ما يتعدّى الإنسان، أيّ إنسانٍ كان، في عِلمِهِ بغيره عِلْمَهُ بنفسه.

وفيه عِلْمُ شهود الكيفيّات، ومَن هو الموصوف عندنا بالكيفيّة؟

وفيه عِلْمُ إلحاق الإنسان الكامل بربّه، والغَيرة الإلهيّة على المقام إذا ظهر الإنسان بالفعل بصورة ربّه، وأنّ حكم الشيء "بالفعل" يعطي خلاف ما يعطيه "بالقوّة" فإعطاؤه "بالفعل" أقوى.

وفيه عِلْمُ الظهور والخفاء والراحة.

وفيه عِلْمُ الأنفاس الظاهرة في العالم بالرحمة، وما سبب ذلك؟ وعموم دخول الخلق في هذه الأنفاس.

وفيه عِلْمُ ما يريد الحقُّ ظهورَه، ويريد الإنسان المخالف ستره؛ وهو الذي يرى المصلحة في غير الواقع في الوجود. ويحتاج صاحب هذا المقام إلى بصر حديد من أجل الموازين الشرعيّة؛ فإنّ الجهل بما[1] يراه الحق من المصالح، أكثر من العلم بالمصالح الظاهرة في الكون أنّها ليست مصالح في النظر العقليّ عند العقلاء. وهو علم دقيق، إذا عمل به الإنسان، عن كشف وتحقيق؛ لم يخطئ أبداً، وإذا عمل به مَن ليست له هذه الصفة؛ أخطأ. وهو الذي تقول العامّة فيه: خطأُ السعيدِ صواب، وصوابُ من ليس بسعيد خطأ. ورأيت هذا في خطلجة بسانبي بملطية، وشافهني بذلك.

وفيه عِلْمُ الامتزاج الذي لا يمكن فيه فصل، وهو كلّ ضدّين بينهما واسطة؛ كالفاتر بين الحارّ والبارد، لا يقدر أحد على فصل الحرارة من البرودة في هذا الفاتر.

وفيه عِلْمُ الفَرق بين مَن هو لله، وبين مَن هو على الله.

وفيه عِلْمُ الطريق إلى الله بالنيّة، وإن لم تكن مشروعة، أنّها نافعة بكلّ وجهٍ؛ فإنّه ما قصد إلّا الله. وعموم التجلّي الإلهيّ معلوم، فللعبد المشيئة في ذلك.

---

[1] ص ٨٥

وفيه عِلْمُ ما يختصّ بالاسم "الرحمن" دون غيره من الأسماء الإلهيّة، وما ينبغي أن يعامَل به الاسم "الرحمن" دون غيره من الأسماء الإلهيّة[1].

وفيه عِلْمُ المسمّى: شيئاً؛ ما هو؟

وفيه عِلْمُ التناوب، وأنّ المتناوبَيْن لا يجتمعان، وما يُحمد[2] في عالم الإنسان منهما؟

وفيه عِلْمُ التؤدة والسكون؛ وأين يُحمدان؟

وفيه عِلْمُ صفات السعداء من غيرهم؛ عقلا وشرعا.

وفيه عِلْمُ ما يقبل التبديل من الصفات مما لا يقبل، وممن لا يقبله.

وفيه عِلْمُ المجهولين[3] والمعصومين من العلماء العارفين بالله -تعالى-.

وفيه عِلْمُ ما تفتح الذِّكْرى من المؤمن؟

وفيه عِلْمُ مَن طلب الإمامة فأُعِيْنَ عليها.

وفيه عِلْمُ عناية الدعاة إلى الله، وشرف منزلتهم عند الله.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[4].

---

[1] ص ٨٥ب
[2] س، هـ: يحدث
[3] س، هـ: المحفوظين
[4] [الأحزاب: ٤]

الباب الموفّي ستّين وثلاثمائة
في معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة

نُورُ[1] القبولِ عَلَى التَّحْقِيقِ إِيْمَانُ ... وَنُـورُ فِكْـرِكَ آياتٌ وبُرْهَـانُ
فَنُـورُ فِكْـرِكَ لا يَنْفَـكُّ ذا شُـبَهٍ ... وَفِيْـهِ وَقْتًـا زِيادَاتٌ ونُقْصَـانُ
ونُـورُ إِيْمَانِـكَ الأَعْـلَى لَهُ عَـلَمٌ ... فِي رَأْسِ مَرْقَبـةٍ مَـا فِيْـهِ بُهْتَـانُ
وَلِي عَلَيْـهِ إِذا مـا العَقْـلُ نَاظَـرَهُ ... عَلَى مَسالِكِهِ دَخلٌ[2] وَسُلْطَانُ
هُـوَ الضَّرُورِي لا فِكْـرٌ وَلا نَظَـرٌ ... وَلا يُقَيِّـدُهُ رِبْـحٌ وَخُسْـرانُ[3]

اعلم -علّمك الله ما يُبقيك وجعلك ممن يتّقيك- أنّ النورَ يُدرَك ويُدرَك به، والظلمة تُدرَك ولا يُدرَك بها. وقد يعظم النور بحيث أن يُدرَك ولا يُدرَك به، ويَلْطُف[4] بحيث أن لا يُدرَك ويُدرَك به. ولا يكون إدراكٌ إلّا بنورٍ في المدرِك لا بدّ من ذلك عقلا وحِسّا. سئل ﷺ: «هل رأيت ربّك؟ فقال: نور أَنَّى أراه» فنبّه بهذا القول على غاية القُرب فإنّه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[5] يقول الله ذلك في المحتضر. فالحقُّ هو النورُ المحض، والمحالُ هو الظلمةُ المحضة؛ فالظلمة[6] لا تنقلب نورا أبدا، والنور لا ينقلب ظلمة أبدا.

والخَلق بين النور والظلمة برزخ؛ لا يتّصف بالظلمة لذاته، ولا بالنور لذاته. وهو البرزخ والوسط الذي له من طرفيه حكم؛ ولهذا جعل (الله) للإنسان عينين، وهداه النجدين؛ لكونه بين طريقين. فبالعين الواحدة، من الطريق الواحدة، يقبل النور وينظر إليه بقدر استعداده.

[1] ص ٨٦
[2] كتب فوقها بقلم آخر كبديل: "حكم" وحرف خ
[3] هذا البيت ثابت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
[4] كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "ويقرب" مع حرف خ
[5] [الواقعة : ٨٥]
[6] ص ٨٦ب

وبالعين الأخرى، من الطريق الأخرى، ينظر إلى الظلمة ويقبل عليها[1]؛ وهو في نفسه لا نور ولا ظلمة. فلا هو موجود ولا هو معدوم. وهو المانعُ القويُّ الذي يمنع النور أن ينفِّر الظلمة، ويمنع الظلمة المحضة[2] أن تذهب بالنور المحض. فيتلقّى الطرفين بذاته. فيكتسب، بهذا التلقّي، من النور ما يوصَف به من الوجود، ويكتسب، بهذا التلقّي، من الظلمة ما يوصف به من العدم. فهو محفوظ من الطرفين، ووقاية للطرفين، فلا يقدر قدر الخلق إلّا الله. فهذا أصل الأنوار والظلمات الظاهرة في العالم، وهو ما انصبغ به الممكن من الطرفين.

ولولا ما هو بهذه المثابة من الحفظ لِعين الطرفين، ما وصف الحقُّ نفسَه بما أوجبه على نفسه، بقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[3] وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4] جزاء[5] وفاقا لما هو عليه الممكن من الوقاية. وراعى المحال، أيضا، له ذلك؛ فأفاض عليه من حقيقته، فحفظ عليه عدمه، وحفظ الحقُّ عليه وجوده؛ فاتّصف الممكن بالوجود والعدم معًا في الإثبات؛ أي هو قابل لكلّ واحد منهما. كما اتّصف، أيضا لهذا، بأنّه لا موجود ولا معدوم في النفي؛ فجمع بينهما في وَصْفِه بين النفي والإثبات. فلو كان موجودا لا يتّصف بالعدم لكان حقّا، ولو كان معدوما لا يتّصف بالوجود لكان محالا؛ فهو الحافظ المحفوظ، والواقي الموقي.

فهذا الحدّ له لازمٌ ثابتٌ لا يخرج عنه. ولهذا، أيضا، اتّصف بالحيرة بين العدم والوجود لعدم تخلُّصه إلى أحد الطرفين، لأنّه لذاته كان له هذا الحكم.

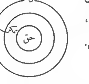
فإِنْ قُلْتَ: "حَقٌّ" كانَ قَوْلُكَ صادِقًا ... وَإِنْ قُلْتَ فِيْهِ: "باطِلٌ" لَسْتَ تَكْذِبُ

فإذا علمتَ هذا، فلنقل: ما تجاوز فيه الناس من مسمّى النور والظلمة، المعروفين في العُرف ظاهرا- كالأنوار المنسوبة إلى البروق والكواكب والسُّرُج وأمثال ذلك، والظُّلَم المشهودة

[1] "ينظر.. عليها" كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "يقبل الظلمة وينظر إليها" مع إشارة التصويب وحرف خ
[2] ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[3] [الأنعام : ٥٤]
[4] [الأعراف : ١٥٦]
[5] ص ٨٧

المعلومة المدرَكة ظاهرا للحسّ، وأنوار الباطن المعنويّة[1]؛ كنور العقل ونور الإيمان ونور العلم. وظلمة الباطن؛ كظلمة الجهل والشرك وعدم العقل. والذي ليس بظلمة ولا نور، كالشكّ والظنّ والحيرة والنظر، فهذا أيضا ليس بظلمة ولا نور. فهذه مجازات حقائق الواجب، والمحال، والممكن؛ في عُرف الممكنات. فقد جمع الممكن بنفسِه حقيقته، وحقيقةَ طرَفَيْه. وأَيْنَ ما يكون ذلك في الممكن[2] (هو) ما فيه من المعاني، والمحسوسات، والخيالات. وهذا المجموع لا يوجد حكمه إلّا في الممكن، لا في الطرفين أصلا.

فالعلم بالممكن هو بحر[3] العلم الواسع العظيم الأمواج، الذي تغرق فيه السفن؛ وهو بحرٌ لا ساحل له إلّا طرفيه. ولا تتخيّل في طرفيه ما تتخيّله العقول القاصرة عن إدراك هذا العلم؛ كاليمين والشمال لما بينهما. ليس هذا الأمر كذلك، بل إن كان ولا بدّ من التخيّل، فلتتخيّل ما هو الأقرب بالشّبه لما ذكرناه؛ أنّ الشأن في نفسه كالنقطة من المحيط وما بينهما. فالنقطةُ: الحقُّ، والفراغ الخارج عن المحيط: العدم، أو قل: الظلمة. وما بين النقطة والفراغ الخارج عن المحيط: الممكن. كما رسمناه مثالا في الهامش



وإنّما أعطيناه النقطة؛ لأنّها أصل وجود المحيط، محيط الدائرة، وبالنقطة ظهرت. كذلك ما ظهر الممكن إلّا بالحقّ، والمحيط من[4] الدائرة؛ إذا فرضتَ خطوطا من النقطة إلى المحيط، لا تنتهي إلّا إلى نقطة؛ فالمحيط كلّه بهذه المثابة من النقطة. وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾[5] وقوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾[6]. فكانت كلُّ نقطة من المحيط انتهاء الخطّ، والنقطة الخارج منها الخطّ[7] إلى المحيط ابتداء الخطّ. فـ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[8]. فهو أوّلٌ لكلّ ممكن؛ كالنقطة أوّلٌ لكلّ

١ ص ٨٧ب
٢ "بنفسه.. الممكن" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ٨٨
٥ [البروج : ٢٠]
٦ [فصلت : ٥٤]
٧ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٨ [الحديد : ٣]

خطّ. وما خرج عن وجود الحقّ وما ظهر (=ولم يظهر) من الحقّ؛ فذلك العدم الذي لا يقبل الوجود. والخطوطُ الخارجة (بمثابة) الممكنات. فمن الله ابتداؤها، وإلى الله انتهاؤها، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[1].

فإنّ الخطّ إنّما ينتهي إلى نقطة. فأوّليّة الخطّ وآخريّته: هما من الخطّ، ما هما من الخطّ؛ كيف شئتَ قلت. وهذا هو الذي ينبغي أن يقال فيه: "لا هي هو، ولا هي غيره" كالصفات عند الأشاعرة. فمن عرف نفسه هكذا؛ عرف ربّه. ولهذا أحالك الشارع في العلم بالله، على العلم بك. وهو قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾ وهي الدلالات ﴿فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ فما ترك شيئا من العالَم. فإنّ كلّ ما خرج من العالَم عنك؛ فهو عين الآفاق، وهي نواحيك ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2] لا غيره؛ إذ لا غير.

ولهذا كان الخطّ مركّبا من نُقط، لا يُعقل إلّا هكذا. والسطح مركّب من خطوط؛ فهو[3] مركّب من نقط. والجسم مركّب من سطوح؛ فهو مركّب من نقط. فغاية التركيب الجسم، والجسم ثمان نقط؛ وليس المعلوم من الحقّ إلّا الذات والسبع الصفات. فلا هي هو، ولا هي غيره. فما الجسم غير النقط، ولا النقط غير الجسم، ولا هي عينه.

وإنّما قلنا: ثمان نقط؛ أقلّ الأجسام. لأنّ اسم الخطّ يقوم من نقطتين فصاعدا، وأصل السطح يقوم من خطّين فصاعدا؛ فقد قام السطح من أربع نقط. وأصل الجسم يقوم من سطحين فصاعدا؛ فقد قام الجسم من ثمان نقط. فحدث للجسم اسم الطول من الخطّ، واسم العَرض من السطح، واسم العمق من تركيب السطحين. فقام الجسم على التثليث، كما قامت نشأة الأدلّة على التثليث، كما أنّ أصل الوجود، الذي هو الحقّ، ما ظهر بالإيجاد إلّا بثلاث حقائق: هويّته، وتوجّهه، وقوله. فظهر العالم بصورة موجده جسما ومعنى؛ فنور على نور، وظلمة فوق ظلمة. لأنّه في مقابلة كلّ نور ظلمةٌ، كما أنّه في مقابلة كلّ وجود عدمٌ. فإن كان

١ [هود : ١٢٣]
٢ [فصلت : ٥٣]
٣ ص ٨٨ب

الوجود واجبا قابَلَهُ العدم الواجب، وإن كان الوجود ممكنا قابله العدم الممكن؛ فالمقابِل على صورة مقابِله؛ كالظلّ مع الشخص.

واعلم ما نبّهك الله عليه في قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1] فالنور المجعول[2] في الممكن، ما هو إلّا وجود الحقّ. فكما وصف نفسه بأنّه أوجب عليها ما أوجب من الرحمة والنصر[3]، في مثل قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[4] وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] كذلك وصف نفسه بالجَعْل في الممكن. إذ لولا النور، ما وجد له عين، ولا اتّصف بالوجود. فمن اتّصف بالوجود فقد اتّصف بالحقّ، فما في الوجود إلّا الله. فالوجود، وإن كان عينا واحدة، فما كثّره إلّا أعيان الممكنات؛ فهو الواحد الكثير. فينقسم، بحكم التبعيّة، لأعيان الممكنات؛ كما نحن، في الوجود، بحكم التبعيّة. فلولاه ما وُجدنا، ولولانا ما تكثَّر، بما نَسب إلى نفسه من النِّسب الكثيرة، والأسماء المختلفة المعاني.

فالأمر الكلّ متوقّف علينا وعليه؛ فبه نحن، وهو بنا. وهذا كلّه من كونه إلها؛ خاصّة. فإنّ الربَّ يطلب المربوب طلبا ذاتيّا؛ وجودا وتقديرا. والله غنيّ عن العالمين؛ لأنّه لا دليل عليه سِوَى نفسِه؛ لأنّه وصف نفسه بالغنيّ. فإنّ غير الوجود الحادث ما تعرفه معرفة الحدوث. ولا يتّصف الممكن بالوجود، حتى يكون الحقُّ عينَ وجوده؛ فإذا علِمه من كونه موجودا، فما علمه إلّا هو. فهو غنيّ عن العالمين، والعالَم ليس بغنيّ عنه جملة واحدة؛ لأنّه ممكن، والممكن فقير إلى المرجّح.

فالحجب الظلمانيّة والنوريّة التي احتجب بها الحقّ عن العالم، إنما[6] هي ما اتّصف به الممكن،

1 [النور : ٤٠]
2 ص ٨٩، وابتداء من هذه الصفحة إلى نهاية السفر هناك تشوّه في الأسطر الأولى من كل صفحة ربما بسبب رطوبة أثرت عليها ومنعت وضوح رسم الكلمات.
3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
4 [الأنعام : ٥٤]
5 [الروم : ٤٧]
6 ص ٨٩ب

في حقيقته، من النور والظلمة، لكونه[1] وسطا. وهو (أي الممكن) لا ينظر إلّا لنفسه، فلا ينظر إلّا في الحجاب. فلو ارتفعت الحجب عن الممكن؛ ارتفع الإمكان، وارتفع الواجب والمحال؛ لارتفاعه. فالحجب لا تزال مُسدلة، ولا يمكن إلّا هكذا. انظر إلى قوله (ص) في ارتفاع الحجب، ما ذكر من «إحراق سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه» وقد وصف (الحقّ) نفسَه بأنّ الخلق يراه، ولا يحترق. فدلّ على أنّ الحجب لم تُرفع مع الرؤية. فالرؤية حجابيّة، ولا بدّ.

والضمير في "بصره" يعود على "ما" و"ما" هنا: عين خلقه. فكأنّه يقول في تقدير الكلام: "ما أدركه بصرُ خلقه" فإنّه لا شكّ أنّه -تعالى- يدركنا اليوم ببصره -تعالى- وسبحات وجهه موجودة. والحجب إن كانت عينَه فلا ترتفع، وإن كانت خلقا فإنّ السبحات تحرقها؛ فإنّها مدرَكة لبصره من غير حجاب. ولو احترقت الحجب احترقنا؛ فلم نكن. ونحن كائنون بلا شكّ. فالحجب مسدلة.

فلو فهِم الناس معنى هذا الخبر؛ لعلِموا نفوسَهم، ولو علِموا نفوسَهم لعلموا الحقّ، ولو علموا الحقّ لاكتفوا به؛ فلم ينظروا إلّا فيه، لا في ملكوت السماوات والأرض. فإنّهم، إذا انكشف لهم الأمر، علِموا أنّه عينُ ملكوت السماوات والأرض، كما علِمه الترمذيّ الحكيم، فأطلق[2] عليه[3] عند هذا الكشف الإلهيّ اسم: مُلك المُلك.

فَـالأَمْرُ دَوْرِيٌّ وَلَا يُعْـلَمُ   وَالشـأْنُ مَحْكُـومٌ وَلَا يُحْكَمُ
فَلَـيْسَ إِلّا اللهُ لا غَـيْرُهُ   وَلَـيْسَ إِلّا كَوْنُـهُ[4] المُحْـكَمُ
فَهْوَ الذِي يُعْـلَمُ وَقْـتًا كَمَا   يُجْهَلُ فِي وَقْـتٍ وَلا يُعْـلَمُ[5]

1 غير واضحة في ق، وما أثبتناه من هـ
2 ص ٩٠
3 رسمها في ق يقرب من: "عليهم" وما أثبتناه من هـ، س
4 كتب فوقها بقلم الأصل: خلقه
5 ذكر في الهامش بقلم الأصل عن هذه الأبيات: "أبيات غير مقصودة"

وَصْلٌ: (لولا النور ما أُدرِكَ شيء)

واعلم -أيدك الله- أنّ الأمر يعطي أنّه لولا النور ما أُدرِكَ[1] شيء؛ ولا معلوم، ولا محسوس، ولا متخيَّل أصلا. وتختلف على النور الأسماء الموضوعة للقوى؛ فهي عند العامّة أسماء للقُوَى، وعند العارفين أسماء للنور المدرَك به. فإذا أدركتَ المسموعات، سُمّيتَ ذلك النور: سمعا. وإذا أدركتَ المبصَرات، سُمّيتَ ذلك النور: بصرا. وإذا أدركتَ الملموسات، سُمّيتَ ذلك المدرَك به: لمسا. وهكذا المتخيَّلات. فهو القوّة اللامسة ليس غيره، والشامّة، والذائقة، والمتخيّلة، والحافظة، والعاقلة، والمفكّرة، والمصوّرة، وكلّ ما يقع به إدراك فليس إلّا النور.

وأمّا المدرَكات فلولا أنّها في[2] أنفسها على استعداد به تقبل إدراك المدرِك لها؛ لما أُدركت. فلها ظهور إلى المدرِك، وحينئذ يتعلّق بها الإدراك. والظهور نور، فلا بدّ أن يكون لكلّ مدرَك نسبة إلى النور، بها يستعدّ إلى أن يُدْرَك. فكلُّ معلوم له نِسبة إلى الحقّ، والحقُّ هو النور؛ فكلّ معلوم له نِسبة إلى النور. فبالنور أدركتُ المحال، ولولا ظهور المحال، وقبوله بما هو عليه في نفسه لإدراك المدرِك؛ ما أدركتُه. ولهذا ينسحب على كلّ قسم من أقسام العقل.

كما ينسحب عليها أيضا، أعني على الأقسام: الوجوب. فنقول محالٌ على الواجب الوجود[3] بالذات، أن يقبل العدم. ومحال على الممكن، أن يقبل الوجود الذاتيّ. ومحال على المحال، أن يقبل الإمكان. وكذلك نقول في الوجوب: واجبٌ للمكن أن تكون نسبة العدم إليه والوجود، نسبة واحدة، وواجبٌ للمحال أن لا يوصف بالإمكان. ولا نقل مثل هذا في الإمكان. لا نقل: ممكن للمحال أن يكون على كذا أو على كذا، وممكن للواجب أن يكون على كذا، أو على كذا. فيدخل الممكن تحت حكم الواجب والمحال، ولا يدخل الواجب ولا المحال تحت حكم الممكن. ولهذا لا يجوز أن يقال في الواجب: إنّه يمكن أن يُفعل به كذا، أو لا يُفعل. وإنما الذي يقال، ويصحّ أن يقال في الممكن: إنّه يمكن أن يُفعل به كذا، أو لا يُفعل[4]. وهذه مسألة أغفلها كثير

١ ق: "ما أدركه" وكتب فوقها: "ما أدرك" مع إشارة التصويب وحرف خ، ويتفق في ذلك مع س، ه
٢ ص ٩٠ب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ "وإنما الذي.. يفعل" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب

من الناس.

فقد علمتَ أنّه ما ثَمّ معلومٌ، من[1] محال أو غيره، إلّا وله نسبة إلى النور، ولولا ذلك النور الذي له إليه نسبة مّا، ما صحّ أن يكون معلوما؛ فلا معلوم إلّا الله. وعلى الحقيقة، فلا يدري أحد ما يقول، ولا كيف ينسب الأمور؛ مع كونه يعقلها، والعبارات تقصر عن الإحاطة بها على وجهها. فإنّ الله عليم بكلّ شيء، من حيث ما لذلك الشيء من النور، الذي به يكون معلوما، والعدم والمحال معلومان.

فَلا شَيْءَ غَيْرُ[2] الشَّيْءِ إِذْ لَيْسَ غَيْرَه ... فَمِنْ كَوْنِهِ نُوْرًا[3] يُحِيطُ بِهِ العِلْمُ

فإذا حقّقتَ ما أشرنا إليه، وقفتَ على حقائق المعلومات: كيف هي في أنفسها، في اتّصافها بوجود أو عدم؟ أو لا وجود ولا عدم؟ أو نفي أو إثبات؟

فَهَذَا هُوَ العِلْمُ الغَرِيْبُ فَإِنْ تَكُنْ ... مِنَ اصْحَابِهِ أَنْتَ الغَرِيْبُ وَلا تَدْرِي
كَمَا ثَمَّ مَنْ يَدْرِي بِغُرْبَتِهِ وَذا ... أَتَمُّ وُجُودًا فِي مُطَالَعَةِ الأَمْرِ
فَسُبْحَانَ مَنْ أَحْيا الفُؤَادَ بِنُورِهِ ... وَنَوَّرَهُ بِالفِكْرِ وَقْتًا وبِالذِّكْرِ

وأمّا[4] النور الذي لا يُدرَك[5]، وهو قوله ﷺ: «نور أنّى أراه» فإنّ ذلك لاندراج نور الإدراك فيه؛ فلم يدركه؛ لأنّه ليس هو عنه بأجنبيّ؛ فهو كالجزء عاد إلى كلّه. إذ لا يصحُّ اسم الكلّ عليه، ما لم يحو على أجزائه. فاندرج الجزء في الكلّ؛ وليس الكلُّ غيرَ أجزائه. فالكلّ يدرِكُ أجزاءه جزءًا جزءًا لا كُلًّا، والجزءُ لا يدرِك الكلّ. ولهذا يَعلم الحقُّ الجزئيّات، ولا تعلمه الجزئيّات. وإذا علِم الجزءُ الكلَّ فما يعلم منه إلّا عين جزئيّته؛ فإنّه على كلٍّ في نفسه لنفسه. وقد لا يعلم أنّه جزءٌ لِكلٍّ. ولهذا تتفاضل الناس في العلم؛ فالعالم بالشيء (هو) مَن لم يبق له في ذلك المعلوم وجه إلّا عَلِمَهُ منه، وإلّا فقد عَلِم منه ما عَلِم.

١ ص ٩١
٢ ق: الحروف المعجمة مهملة ورسمها أقرب إلى: عين
٣ "فمن كونه نورا" كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "فَمن عينُه نور"
٤ ص ٩١ب
٥ هناك كلمتان غير واضحتين بعدها في ق، ولا يوجد مقابل لهما في ه، س.

وأمّا النور الذي يُدرَك ويدرِك به غيره؛ فهو نور مكافئ لنور[1] الإدراك. فيصحبه، ولا يندرج فيه؛ فيدركه، ويدرك به ما كشفه له. وما انكشف له ما انكشف إلّا بالنورين: نور الإدراك، ونور المدرَك. ولولا وجود نور الإدراك لما ظهرت الأشياء؛ فلا يظهر شيء بنور المدرك من غير نور الإدراك. وقد يظهر بعض الأشياء لنور الإدراك، ولكن بنور المدرَك. وإن لم يدركه[2] به، كما قلنا في نسبة كلّ معلوم إلى النور الذي لولاها ما علم. فالبصر يدرِك الظلمة نفسَها، ولا يدرك بها غيرها[3]، إذا كان الإدراك بالبصر خاصّة.

وصل: (الظُّلَم المعنويّة مدرَكة للعالِم ما لم تقم بالجاهل)

وأمّا الظُّلَم المعنويّة؛ كظلمة الجهل، فإنّها مدرَكة للعالِم ما لم تقم بالجاهل. فإذا قامت به لم يدركها، إذ لو أدركها كان عالما. وما عدا ظلمة الجهل من الظُّلَم فإنّها تدرَك كلّها.

ثمّ لتعلم إن كان الجهل (هو) نفي العلم من المحلّ بأمر مّا[4]، فكلّ ما سِوَى الله جاهل؛ أي (أنّ) ظلمةُ الجهل له لازمة، لأنّه ليس له علم بإحاطة المعلومات. ولذلك أَمر اللهُ رسولَه ﷺ بطلب الزيادة من العلم فقال له: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[5]. وإن كانت ظلمة الجهل عبارةً عن اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، أيّ شيء كان، فأهل الله قد أخرجهم من هذه الظلمة؛ فإنّهم لا يعتقدون أمرا يكون في نفسه على خلاف ما يعتقدونه. وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[6] ولم يذكر حقائق[7] المسمّيات؛ فعلِم بعضا، ولم يعلم بعضا.

فالمسمّيات قوله: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ وهي المشار إليها في قوله تعالى: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[8] وأراد بالأسماء هنا: الأسماء الإلهيّة التي استند إليها المشار إليهم بـ﴿هَؤُلَاءِ﴾ في

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ كتب في الهامش بقلم آخر: "يدرَك" مع حرف خ، وهي كذلك في س
٣ ص ٩٢
٤ "بأمر ما" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٥ [طه : ١١٤]
٦ [البقرة : ٣١]
٧ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٨ [البقرة : ٣١]

إيجادهم وأحكامهم، توبيخا[1] للملائكة وتقريرا. يقول: هل سبّحتموني بهذه الأسماء، أو قدّستموني بها، حيث قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[2] فزكّوا نفوسَهم، وجرّحوا خليفةَ الله في أرضه، ولم يكن ينبغي لهم ذلك. ولكن لتعلم أنّ أحدا من العالَم ما قدر اللهَ حقّ قدره، إذ لا أعلم من الملائكة بالله وما ينبغي لجلاله من التعظيم، ومع هذا قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[3] فهذه الأداة هنا لا ينبغي أن تكون إلّا من الأعلى في حقّ الأدنى، مثل قوله تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[4]. بل أشدّ من هذا هو قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾.

لَمّا رَأَوْا جِهَةَ الشّمالِ وَلَمْ يَرَوْا　　　مِنْهُ يَمِيْنَ القَبْضَةِ البَيْضاءِ

فإنّ قوله: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ قد يكون تقريرا للحجّة على مَن عَبَد عيسى- عليه السلام وأُمّه، وقالوا: إنّهما إلهان. فإذا قال عيسى عليه السلام في الجواب: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[5]، والمدّعي يسمع ذلك، وقد علم بقرينة الحال والموطن، ذلك المدَّعي، أنّ عيسى ليس من أهل الكذب، وأنّ إنكاره لِمَا ادّعوه صحيح؛ علِمنا، عند ذلك[6]، أنّه -تعالى- أراد توبيخهم وتقريرهم. فالاستفهام لعيسى عليه السلام، والتقرير والتوبيخ لمن عبَدَه. فإنّ الاستفهام لا يصحّ من الله جملة واحدة، ويصحّ منه -تعالى- التقرير لإقامة الحجّة والتوبيخ؛ فإنّ الاستفهام، على الحقيقة، لا يكون إلّا ممن لا يَعلم ما استفهم عنه.

وأمّا ظلمة البُعد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾[7] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[8] وفي مثل قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[9] وأمثاله، فهذا من حكم الأسماء الإلهيّة. إذ كان لكلّ وقتٍ

١ ص ٩٢ب
٢ [البقرة : ٣٠]
٣ [البقرة : ٣٠]
٤ [المائدة : ١١٦]
٥ [المائدة : ١١٦]
٦ ص ٩٣
٧ [البقرة : ٢١]
٨ [البقرة : ١٠٤]
٩ [النور : ٣١]

اسمٌ إلهيٌّ له الحكم في عينٍ مّا من أعيان العالَم، فإن كان من الأسماء التي أحكامُها تناقض حكم ما أُمر به المكلَّف أو نهي عنه، فإنّ الاسم الإلهيّ الذي يعطيهم موافقة ما أمر الله به هذا المخالِف أو نهى عنه، بعيدٌ عنه. فيناديه؛ ليرجع إليه، ويصغي إلى ندائه؛ ليكون له الحكم فيه؛ سَواء كان الدعاء من قريب، أو بعيد. لكنّه، بالضرورة، لعدم الموافقة فيما أمره الله به؛ بعيد.

ألا ترى الإشارة تكون مع القُرب، من المشير والمشار إليه، إذا كان معهما ثالث لا يريد المخبِر، أو المخبَر، أو هما؛ أن يعلم الثالثُ الحاضرُ ما يريد المخبِر أن يلقيه إلى صاحبه؛ فيشير[1] إليه من حيث لا يعلم الثالث. والإشارة، عند القوم: نداءٌ على رأس البُعد. ويقولون أيضا: أبعدكم من الله أكثرُكم إشارة إليه. والعلّة في ذلك، أنّها تدلّ على الجهل بالله -تعالى-.

فلا فرق بينه، في تلك الحالة، وبين مَن لا يبلغه الصوت وتبلغه الإشارة. فهذه كلّها قد حجبت الثالث عن علم ما بين الاثنين. فهذه ظلمة الدعاء والإشارة، فاجعل بالك. فإنّ الله قد نبّه أقواما من عباده، وأيّة بهم على أمور، بكلام لا يفهمه إلّا المرادون به؛ وهو الرمز. قال تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[2].

وأمّا ظلمة التسوية بين الأمرين فإنما سُمّيت ظلمة؛ لأنّ التسوية بين الأمرين محال. لأنّ التسوية المحقّقة المثليّة، من جميع الوجوه، لا من بعض الوجوه، ولا من أكثرها. قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾[3] لأنّهم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾[4] فكأنّ الله حكى لنبيّه ﷺ وعرّفه بأنّ حالهم (هو) ما ذكروه عن نفوسهم. فهذه ظلمة قد تكون ظلمة جهل، وقد تكون ظلمة جحد؛ لهوى قام بهم، وهو من أشدّ الظُّلَم.

ولكن هذه[5] كلّها سُدَفٌ سحريّة، بالنظر والإضافة إلى ظلمة الجهل، الذي هو نفي العلم من

١ ص ٩٣ب
٢ [آل عمران : ٤١]
٣ [البقرة : ٦]
٤ [الشعراء : ١٣٦]
٥ ص ٩٤

المحلّ بالكلّيّة. وهو قوله: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فنفى العلم، والطرق الموصلة إليه العلمَ بذلك. فهذه أشدّ ظلمة في العالَم. فإنّ اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به قد علِمَ الشيء، وما علم حقيقته. أي علِمَ في الجملة أنّ اسمه كذا، ثمّ اعتقد فيه ما ليس هو عليه؛ فقد اعتقد أمرا مّا. فظُلمته دون ظلمة نفي العلم من المحلّ، كما قال -تعالى- في أمثالهم: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1] وهذه سابقة في الشقيّ والسعيد. ففي السعيد؛ فيمن مات على غير توبة، وهو يقول بإنفاذ الوعيد؛ فيغفر له. فكان الحكم للمشيئة، فسبقت بسعادتهم. فتبيّن لهم، عند ذلك، أنّهم اعتقدوا في ذلك الأمر خلاف ما هو ذلك الأمر عليه. فإنّ الذي هو عليه، إنما هو الاختيار. والذي عقدوا عليه كان عدم الاختيار. فمثل هذا يسمّى: شبهة.

يا بَني الزّوراءِ ما لي وَلَكُمْ   إنَّني إلٌّ لِمَنْ لا يهتضَمْ
فإذا[2] قُلْتُ: ألا، قُولُوا: بَلَى   وإذا ما قُلْتُ: هَلْ، قُولُوا: نَعَمْ
إنّما الأَمْرُ الذي جِئْتُ بِهِ   أَمْرُ مَوْجُودٍ لَهُ نَعْتُ القِدَمْ
واحِدٌ في عَيْنِهِ لَيْسَ لَنَا   في الذي يَظْهَرُ فِيهِ مِنْ قَدَمْ
والذي أَحْصُرُه يَحْصُرُني   بَيْنَ أَمْرَيْنِ وُجُودٍ وعَدَمْ
فَلَنا الأَنْوارُ مِنْهُ إنْ بَدَا   وَلَهُ مِنّا غَيَاباتُ الظُّلَمْ
هِيَ حُجُبُ اللهِ أَنْ نُدْرِكَهُ   وَبِها قامَتْ دَلالاتُ التُّهَمْ
ثُمّ فِيها مِنْ عَلاماتِ الهُدَى   لِتَجَلّيهِ عُلُومٌ وحِكَمْ
فِطَرُ العالَمِ قَدْ قَسَّمَها   ما هُوَ الحَقُّ عَلَيْهِ فَحَكَمْ
فَكَما نَحْنُ بِهِ فَهْوَ بِنا   اسْتِحالاتٌ كِثارٌ في عَلَمْ
كُلَّما[3] قُلْتُ: بَدَتْ صُورَتُهُ   حَوَّلَ الصُّورَةَ في كَيْفٍ وَكَمْ

١ [الزمر : ٤٧]
٢ ص ٩٤ب
٣ ص ٩٥

فتحوّلْتُ أنا فانبَهَمَتْ — حالَةُ الأمرِ علَيْنا فانْبَهَمْ

لَيْتَ شِعْري هَلْ هُوَ الأمْرُ كَمَا — قَدْ بَدَا أوْ غَيْرُهُ قُلْ يا حَكَمْ

قالَ: واللهِ أنا مِثْلُكُمُ — حائِرٌ ما لِيَ في العِلْمِ قَدَمْ

واعلم -أيدك الله- أنّ الإنسان لمّا أبرزه الله من ظلمة الغيب الذي كان فيه؛ وهو المفتاح الأوّل من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلّا هو؛ فانفرد -سبحانه- بعلمها، ونفى العلمَ عن كلّ ما سِوَاهُ بها. فأنبئك في هذه الآية، وأعلمك أنّك لست هو؛ إذ لو كنت هو، كما تزعم، لعلمتَ مفاتح الغيب بذاتك. وما لا تعلمه إلّا بموقّف، فلستَ عين الموقف. والممكنات كلّها وأعني بـ"كلّها" ميزها عن المحال والواجب، لا أنّ أعيانها يحصرها الكلّ؛ ذلك محال. هي في ظلمة الغيب؛ فلا تعرف لها حالة وجود. ولكلّ ممكن منها مفتاح، ذلك[1] المفتاح لا يعلمه إلّا الله؛ فلا موجِد إلّا الله، هو خالق كلّ شيء، أي موجِده.

فأوّل مفتاح فتح به (هو) مفتاح غيب الإنسان الكامل، الذي هو ظلّ الله في كلّ ما سِوَى الله. فأظهره من النفَس الرحماني الخارج من قلب القرآن، سورة "يس" وهو نداء مرخَّم. أراد: يا سيّد؛ فرخّم. كما قال (ص): يا أبا هِر -أراد: يا أبا هريرة- فأثبت له السيادة بهذا الاسم، وجعله مرخّما؛ للتسليم[2] الذي تطلبه الرحمة، والقطع مما بقي منه في الغيب الذي لا يمكن خروجه. فصورته في الغيب (هي) صورة الظلّ في الشخص الذي امتدّ عنه الظلّ.

ألا ترى الشخص إذا امتدّ له ظلٌّ في الأرض، أليس له ظلٌّ في ذات الشخص الذي يقابله ذلك الظلّ الممتدّ؟ فذلك الظلّ القائم بذات الشخص المقابل للظلّ الممتدّ، ذلك هو الأمر الذي بقي من الإنسان، الذي هو ظلّ الله الممدود في الغيب، لا يمكن خروجه أبدا. وهو باطن الظلّ الممتدّ، والظلّ الممدود هو الظاهر. فظاهر الإنسان ما امتدّ فظهر، وباطنه ما لم يفارق الغيب. فلا يُعلم باطن الإنسان أبدا. ونسبة ظاهره إلى باطنه، متّصلة به لا تفارقه طرفة عين،

---

[1] ص ٩٥ب

[2] كتب في الهامش بقلم آخر: "للتسهيل" مع إشارة التصويب وحرف خ

أرواح

أمثال

أجسام

إنسان كامل

ولا تصحّ مفارقته. فهو في الظاهر غيب، وفي الغيب ظاهر، له حكم ما ظهر عنه في الحركة والسكون. فإن تحرّك تحرّك[1] بحق، وإن سكن سكن بحقّ. وهو على صورة موجده، وما سِوَاهُ من الممكنات ليس له هذا الكمال؛ فلا غيب أكمل من غيب الإنسان.

فلمّا أبرزه الله للوجود؛ أبرزه على الاستقامة، وأعطاه الرحمة؛ ففتح بها مغالق الأمور، علوا وسفلا. فأمدّ الأمثالَ بذاته، وأمدّ غير الأمثال بميله. فبميله ظهرت الأجسام، وبميله الآخر ظهرت الأرواح. فهي له كاليمين والشمال؛ لنقص الأجسام عن الأرواح، كنقص الشمال عن اليمين. والمطلَق اليدين هو المِثل. ومثاله في الهامش.

وما وُجِد العالَم على ما ذكرناه إلّا عن حركة إلهيّة، وهي حركة المفتاح عند الفتح. والممكنات، وإن كانت لا تتناهى، فهي من وجهٍ محصورة في عشرة أشياء، وهي المقولات العشرة. وقد ذكرناها من قبل في هذا الكتاب، فلنبيّن هنا مراتبها فيما يختصّ بهذا الباب، مما لم نذكره قبل.

(مراتب المقولات العشرة)

(النيابة الأولى: الإنسان الكامل الأوّل وحده هو خليفة الحقّ)

فاعلم أنّ لله -تعالى-، في حضرة الغيب الذي له من الأسماء الإلهيّة، "الباطن". فلا نعلم أبدا له -تعالى- حُكما يظهر في الإنسان دون غيره من المخلوقات، لما هو عليه من الجمعيّة، وما اختصّ به من عموم النفَس الرحمانيّ. وذلك الحكم في غيب الحقّ، له الثبوت دائما ما دام يتّصل الباطن بالظاهر، للإمداد[2] الذي من الخالق للمخلوق؛ إذ لو انقطع عنه لفني.

ولذلك جعل أهلُ اللسان الوصلَ في الكلام هو الأصل، والوقف عارضٌ يطرأ في الكلام

---

[1] ص ٩٦

[2] ص ٩٦ب

لضيق النفَس الذي تبرزه القوّة الدافعة؛ فلو تمادى هلك. فإذا خافت على المتنفِّس الهلاكَ، جذبت القوّة الجاذبة الهواء من خارج إلى داخل؛ فكان بين انتهاء الدافعة وابتداء الجاذبة وَقْفُ المتكلِّم للراحة؛ فلهذا قلنا فيه: إنّه عارض.

وهو في النفَس الإلهيّ، من حيث ما هو نفَس الرحمن، ما يبتلي اللهُ به عبدَه من الضّيق والحرج، ثمّ ينفِّس عنه بالسعة؛ فيقابل الشيءَ بضدّه. ولا بدّ بين النقيضين، إذا تعاوروا على المحلّ، مِن بهتٍ يقوم بالمحلّ. ذلك البهت هو المسمّى: "وقفا" في عالم الكلام؛ وهذا من جوامع الكلم الذي هو جمع كلمة. فما بين الكلمة والكلمة يكون بهتا[1]، لكون النفَس في الكلمتين عينا واحدة. قال -تعالى-: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2] إذا وقفت. فـ"عليما" هو الذي في الغيب الإلهيّ، و"حكيما" هو حكمه في الإنسان بما أمدّه الله به. فإن وَصَلَهُ بكلام بعده، قبضه الله إليه قبضا يسيرا؛ فعاد إلى غيبه؛ فلم يظهر في الإنسان حكمه. وهذا من أسرار الحقّ التي غايةُ العبارة عنها[3] ما ذكرناه.

فالإنسان الكامل الظاهر بالصورة الإلهيّة، لم يعطه الله هذا الكمال إلّا ليكون بدلا من الحقّ؛ ولهذا سمّاه خليفة. وما بعده، من أمثاله، خلفاء له. فالأوّل وحده هو خليفة الحقّ. وما ظهر عنه من أمثاله في عالم الأجسام؛ فهم خلفاء هذا الخليفة، وبدل[4] منه في كلّ أمر يصحّ أن يكون له. ولهذا صحّت له المقولات العشرة التي لا تقبل الزيادة على هذا العدد. فهذه هي النيابة الأولَى.

(النيابة الثانية: أن ينوب الإنسان بذاته عن نصف الصورة من حيث روحانيّتها)

وأمّا النيابة الثانية فهي أن ينوب الإنسان بذاته عن نصف الصورة من حيث روحانيّتها. لأنّ الله إذا تجلّى في صورة البشر، كما ورد، فإنّه يظهر بصورتها حسًّا ومعنى. فالنيابة هنا الخاصّة،

١ ق: بهت
٢ [النساء: ١٧]
٣ ص ٩٧
٤ كتب في الهامش بقلم آخر: وبدلاء

هي النيابة عن روح تلك الصورة المتجلّي فيها، ولا يكون ذلك إلّا في حضرة الأفعال الإلهيّة التي تظهر في العالم على يد الإنسان، من حيث ما هو مريد لفعل ما يريد أن يفعله، في الحال أو المستأنف؛ إذ لا يكون الفعل ماضيا إلّا بعد ظهوره في الحال. فينوب الإنسانُ عن الله -تعالى- في أفعال الحال كلّها، الظاهرة على يده. وليس لغير الإنسان هذه النيابة. فإنّ المَلَك والحيوان والمعدن والنبات؛ ليس لهؤلاء إرادة تتعلّق[1] بأمر من الأمور، إنما هم مع ما فُطروا عليه من السجود لله والثناء عليه؛ فَشُغلهم به لا عنه. والإنسان له الشغل به، وعنه. والشغل عنه هو المعبَّر عنه بالغفلة والنسيان. فالحقُّ هنا دائرة من حيث جمع الصورة بين المعنى الروحانيّ والظاهر للبصر. فهذا الإنسان، في هذه النيابة، إنما هو نائبٌ عمّا يتعلّق من الأفعال بروحانيّة تلك الصورة. وعالم الأرواح أخفُّ من عالم الأجسام. ولخِفّته يسرع بالتحوّل في الصور من غير فساد العين. وعالم الأجسام ليس كذلك.

(النيابة الثالثة: في صدور الممكنات عنه)

واعلم أنّ النيابة الثالثة في تحقيق الأمر الذي قام بالممكن، حتى أخرجه من العدم إلى الوجود. فإنّ ذلك نيابة عن المعنى الذي أوجب للحقّ[2] أن يوجد هذا الممكن المعيّن، ولم يكن أوجده قبل ذلك؛ سَوَاء كان روحا، مَثَلا، أو جسما.

فاعلم أنّ الأفعال الصادرة عن المريد، لها من الأمثال نيابة في الظاهر عن الله، في صدور الممكنات عنه. ولا يكون نائبا عنه -تعالى- حتى يكون مَن استخلفه واستنابه: سمعَه، وبصرَه، ويدَه، وجميعَ قواه. ومتى لم يكن بهذه الصفة، فما[3] هو نائب ولا خليفة. فإنّ الممكنات، في حال عدمها، بين يدي الحقّ: ينظر إليها، ويميّز بعضها عن بعض، بما هي عليه من الحقائق في شيئيّة ثبوتها. ينظر إليها بعين أسمائه الحسنى؛ كالعليم، والحفيظ الذي يحفظ عليها، بنور وجوده، شيئيّةَ ثبوتها، لئلّا يسلبها المحال تلك الشيئيّة؛ ولهذا بسط الرحمة عليها التي فتح بها الوجود.

١ ص ٩٧ب
٢ كتب في الهامش بقلم آخر: "على الحق" مع حرف خ
٣ ص ٩٨

فإنّ ترتيب إيجاد الممكنات يقضي بتقدُّم بعضها على بعض، وهذا ما لا يقدر على إنكاره؛ فإنّه الواقع. فالدخول في شيئيّة الوجود إنما وقع مرتّبا بخلاف ما هي عليه في شيئيّة الثبوت؛ فإنّها كلّها غير مرتّبة. لأنّ ثبوتها منعوت بالأزل لها، والأزل لا ترتيب فيه، ولا تقدُّم، ولا تأخُّر. ولمّا كان في الأسماء الإلهيّة عامٌّ وأعَمّ، وخاصٌّ وأخصّ؛ صحّ في الأسماء الإلهيّة التقدّم والتأخّر والترتيب. فبهذا قبِلتْ شيئيّاتُ الوجودِ الترتيبَ.

فما من وقت يمرّ عليك هنا لا يظهر فيه ممكن معيَّن، يظهر في الوقت الثاني؛ إلّا وبقاؤه في شيئيّة ثبوته، مرجَّح في الوقت الذي لم تقم به شيئيّة وجوده. إذ[1] لو لم يكن مرجَّحا، لَوُجِد في الوقت الذي قلنا إنّه مرَّ عليه فلم يوجد فيه. فصار بقاءُ كلّ ممكن، مرجّحا في حال عدمه، وإن كان العدم له أزلا، كما أنّ قبوله لشيئيّة وجوده مرجّح. وهذا من أعجب دقائق المسائل إن فكّرتَ فيه. فتوقّف حكم الإرادة على حكم العلم، ولهذا قال: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾[2] فجاء بظرف الزمان المستقبل في تعليق الإرادة، والإرادة واحدة العين. فانتقل حكمها من ترجيح بقاء الممكن في شيئيّة ثبوته، إلى حكمها بترجيح ظهوره[3] في شيئيّة وجوده. فهذه حركة إلهيّة، قدسيّة، منزَّهة، أعطتها حقيقة الإمكان التي هي حقيقة الممكن.

فلمّا خلق الله المخلوق، الممكن، المنعوت بالإرادة، والقدرة على ظهور الأفعال منه بحكم النيابة عن الله، في ظاهر الأمر لا في باطنه؛ فهو -سبحانه- في الباطن مظهر الممكن في شيئيّة وجوده، من خلف حجاب الظاهرِ المريدِ القادرِ الذي هو المخلوق، الذي له هذه الصفة. فهو يدُ الله، المريد بإرادة الله؛ فيفعل بالهمّة؛ كقوله: ﴿كُنْ﴾، ويفعل بالمباشرة؛ كخلقه آدم بيديه، وجميع ما أضافه إلى خلق يده -سبحانه-. فيقال في الحقّ، مع هذه النِّسبة: "من غير مباشرة" وهي في[4] العبد: "مباشَرة".

١ ص ٩٨ب
٢ [النحل : ٤٠]
٣ ق: "ظهورها" وهناك حرف هاء مستقل فوقها لتقرأ "ظهوره"
٤ ص ٩٩

فإن وقعتْ من غير مريد لها، فما هو مطلوبنا، ولا تكلّمنا فيه؛ وإنما ذلك له -سبحانه- أظهره في هذا المحلّ الخاصّ؛ كحركة المرتعش. وكلّ ما صدر عن غير إرادة؛ فما هو نائبٌ صاحِبُ هذه الصفة. فالنائب يطلعه الله في قلبه على ما يريد الحقّ إيجاد عينه من الممكنات، وهو على ضَرْبَيْن في اطّلاعه: فتارة يكون عن نظر وفكر، فينوب بنظره وفكره عن الله المدبّرِ المفصِّل، من حيث أنّه ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾[1]. وتارة يخطر له بديهيّا[2] ما يلقيه الله في باطنه، كما يعطي العلمُ الإلهيُّ الإرادةَ الإلهيّةَ التعلُّقَ بإيجاد أمر مّا من غير حكم الاسم "المدبِّر المفصِّل". فيظهر هذا الممكن على يد هذا المخلوق الذي هو مريد له، وهو النائب بالوجهين: التدبير والبديهة.

فقد حصل لهذا النائب اطّلاعٌ على حضرة[3] أعيان الممكنات في شيئيّة ثبوتها، في النائب، في حضرة خياله. وذلك أنّ الله أخرج هذا الممكن من شيئيّة ثبوته إلى شيئيّة وجوده، في حضرة خيال؛ ليقع الفرق بين الله وبين النائب، في ظهور هذه العين المطلوب وجودها في عالم الحسّ. فتتّصف هذه العين بأنّها محسوسة إن كانت صورة، وإن لم تكن صورة يدركها[4] البصر، وتكون معنى؛ فيلبسها صورة العبارات عنها، أو صورة ما يدلّ عليها من إيماء وإشارة؛ فتلك صورتها التي يمكن أن تظهر لعين الرائي فيها، أو السامع، أو ما كان.

فالنائب، على الحقيقة، إنما أخرج بالإرادة ما أخرج، من وجود خياليّ متوهَّم معقول، إلى وجود حسّيّ مقيّد بصورة عينيّة، أو لفظيّة، أو ما كان. وتعلّق بهذا الموجود البصرُ من الرائي، إن كان في صورة عين، وإن[5] كان في صورة لفظ وأشباهه، فيدركه بسمع؛ فيضاف، مثل هذا الوجود والإيجاد، إلى النائب. ولكن لا بدّ من شرط الإرادة والاختيار في ذلك، فإن تعدّى عنها فليس بنائب، ولو ظهر ذلك منه وعليه، بل ذلك لله -تعالى-. وأمّا وجود ما لا ينقال،

١ [الرعد : ٢]
٢ ق: "تدبير" وعدلت في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ٩٩ب
٥ ق: "أو" وعدلت في الهامش بقلم الأصل

فليس للنائب فيه دخول ألبتّة، فإنّ ذلك من خصائص الحق. فتفهّم ما بيّنّاه لك، فإنّه من لُباب المعرفة.

(النيابة الرابعة: نيابته فيما نصبه الحقُّ له، مما لو لم يكن عنه، لكان ذلك عن الله -تعالى)

وأمّا النيابة الرابعة فهي نيابته فيما نصبه الحقُّ له، مما لو لم يكن عنه، لكان ذلك عن الله -تعالى-. فاعلم أنّ الله -تعالى- لمّا أراد أن يُعرف، فلا بدّ أن يَنصب دليلا على معرفته، ولا بدّ أن يكون الدليل سادا. وله -تعالى- في العلم به، من حيث هو، أمران: كونه عالما بنفسه من حيث ما هو موصوف بصفة[1] تسمّى العلم، وعالم بنفسه بما هو يرى نفسه، وتسمّى مكاشفة أو مشاهدة، وهذا من كونه ذا بصر؛ فإنّ الله وصف نفسه بأنّ له بصرا، كما وصف نفسه بأنّ له علما. قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[2]، وفي الخبر الإلهيّ ما قاله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[3] وورد في حديث الحجب وهو صحيح: «ما أدركه بصرُه من خلقه».

فلمّا نصب الدلالة عليه، نَصَبها في الآفاق؛ فدلّت آيات الآفاق على وجوده خاصّة. فما نابتِ الآفاقُ في الدلالة عليه، بما جعل فيها من الآيات، منابَه، لو ظهر للعالم بذاته. فخَلَق الإنسانَ الكامل على صورته، ونصبه دليلا على نفسه، لمن أراد أن يعرفه بطريق المشاهدة، لا بطريق الفكر الذي هو طريق الرؤية في آيات الآفاق. وهو قوله -تعالى-: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ ثمّ لم يكْتَفِ بالتعريف، حتى أحال على الإنسان الكامل حتى قال: ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ وهنا قال: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾[4] إشارة إلى ما خلق عليه الإنسان الكامل الذي نصبه دليلا أقرب على العلم من طريق الكشف والشهود. فقال أهل الشهود: كفانا.

وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[5] فذكر الكيف، والظلّ لا يخرج إلّا على

[1] ص ١٠٠
[2] [النساء : ١٦٦]
[3] [طه : ٤٦]
[4] [فصلت : ٥٣]
[5] [الفرقان : ٤٥]

صورة مَن مَدَّهُ منه. فخلقه رحمة، فإنّ الظلّ رحمةٌ واقية. فلا[1] مخلوق أعظم رحمة من الإنسان الكامل، ولا أحد من المخلوقين أشدّ بطشا وانتقاما من الإنسان الحيوانيّ. فالإنسان الكامل، وإن بطش، وكان ذا بطش شديد، فالإنسان الحيوانيّ أشدُّ بطشا منه. ولذلك قال أبو يزيد: "بطشي أشدّ" من حيث نفسه الحيوانيّة؛ لأنه يبطش بما لم يَخْلُق؛ فلا رحمة له فيه، والحقُّ يبطش بمن خَلَق؛ فالرحمة مندرجة في بطشه حيث كان. فإنّ الحدود التي نصبها في الدنيا، وحيث كانت؛ إنما هي للتطهير. وكذلك الآلام، والأمراض، وكلّ ما يؤدّي إلى ذلك؛ كلُّ ذلك للتطهير، ورفع الدرجات، وتكفير السيّئات.

فلمّا خَلَق الإنسانَ الكاملَ وخلفاءه[2] من الأناسيّ على أكمل صورة، وما ثَمّ كمال إلّا صورته تعالى؛ فأخبر أنّ آدم خلقه على صورته لِيُشْهَد فَيُعرف من طريق الشهود. فأبطن في صورته الظاهرة (أي في صورة الإنسان الكامل الظاهرة) أسماءه -سبحانه- التي خلع عليه حقائقها، ووصفه بجميع ما وصف به نفسه، ونفى عنه المِثليّة فلا يماثل، وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] من العالَم، أي ليس مِثل مِثله شيء من العالم، ولم يكن مِثلا إلّا بالصورة. فاعترضت الملائكةُ لنشأة آدم من الطبيعة، لما تحمله الصورة من الأضداد، ولا سيما وقد جعل وجود آدم من العناصر؛ فهو إلهيّ[4] طبيعيّ عنصريّ. فلم تشاهد (الملائكةُ) الأسماءَ[5] الإلهيّة التي هي أحكام هذه الصورة؛ وهي كون الحقّ سمعه، وبصره، وجميع قواه. فلو شهدتْ ذلك ما اعترضتْ؛ فأدّبها الله بما ذكر.

ثمّ نظر العقل بآيات الآفاق، وغاص بفكره في تلك الآيات الآفاقيّة بمشاهد التنزيه، دون التشبيه الذي أعطته المماثلة بالصورة. فلمّا أسمعه الحقُّ الخطاب؛ أعني أسمعَ العقلَ المركّبَ في الإنسان الحيواني، لا في الإنسان الكامل؛ فإنّ الإنسانَ الكامل بنفسه عرفه، والإنسانُ الحيواني

[1] ص ١٠٠ب
[2] ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
[3] [الشورى : ١١]
[4] ص ١٠١
[5] هذا السطر مطموس في ق، وفي س: "إلا" بدلا من "الأسماء" التي أثبتناها من هـ

عرفه بعقله بعد ما استعمل آلةَ فِكره. فلا الملَك عرف الإنسانَ الكامل؛ لأنّه ما شاهده من جميع وجوهه، ولا الإنسان الحيواني عرفه بعقله[1] من جميع وجوهه. فكلّما قام له شهود في نفسه -من حيث لم يشعر أنّه شهود- أنّه الحقُّ؛ ردَّه، ونزَّه الحقَّ عنه. فإذا ورد عليه خبر إلهيّ يعطي ما أعطاه الخيال الفاسد عنده، تأوّل ذلك الخبر على طريق يُفضي به إلى التنزيه خاصة؛ فحَدَّه من حيث لم يشعر، وما أطلقه. فَجَهل الكلُّ الإنسانَ الكاملَ؛ فجهلوا الحقَّ.

فما عرف الحقَّ إلّا الإنسانُ الكامل، ولهذا وصفته الأنبياء بما شهدوه وأنزل عليهم بصفات المخلوقين؛ لوجود الكمال الذي هو عليه الحقّ. وما وصل إلى هذه المعرفة بالله[2] لا ملَك ولا عقل إنسان حيواني؛ فإنّ الله حجب الجميع عنه، وما ظهر إلّا للإنسان الكامل، الذي هو: ظلُّه الممدود، وعرشه المحدود، وبيته المقصود، الموصوف بكمال الوجود. فلا أكمل منه؛ لأنّه لا أكمل من الحقّ -تعالى-. فعلِمه الإنسانُ الكامل من حيث عقله وشهوده، فجمع بين العلم البصريّ الكشفيّ وبين العلم العقليّ الفكريّ.

فمن رأى، أو مَن علِم الإنسانَ الكاملَ الذي هو نائب الحقّ؛ فقد علم مَن استنابه واستخلفه؛ فإنّه بصورته ظهر. وأمرنا بالطاعة لأُولي الأمر، كما أمرنا بالطاعة لله ورسوله، وأن لا نُخْرِج يدا من طاعة فنموت ميتة جاهليّة. والجهل أشدّ ما على الإنسان.

فلو لم ينصب ﷺ الإنسانَ الكامل لتتحقّق المعرفة بالله، من حيث ما هو إله، في الوجود الحادث معرفةً كمال؛ وهي المعرفة التي طلب منّا؛ لظهر بنفسه وذاته إلى خلقه؛ حتى نعرفه على المشاهدة والكشف؛ فلا يُنكَر. وما أنكره مَن أنكره -في الآخرة، وحيث وقع الإنكار- إلّا لمّا تقدّمهم النظر العقليّ، وقيّدوا الحقّ. فلمّا لم يروا ما قيّدوه به من الصفات؛ عند ذلك أنكروه. ألا تراهم إذا تجلّى لهم بالعلامة التي[3] قيّدوه بها، عند ذلك يقرّون له بالربوبيّة؟ فلو تجلّى لهم ابتداء قبل هذا التقييد، لما أنكره أحد من خلقه؛ فإنّه بتجلّيه ابتداءً يكون دليلا على نفسه. فلهذا قلنا

[1] ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
[2] ص ١٠١ب
[3] ص ١٠٢

في الإنسان الكامل: إنّه نائب عن الحقّ في الظهور للخلق؛ لحصول المعرفة به على الكمال الذي تطلبه الصورة الإلهيّة. والله من حيث ذاته غنيٌّ عن العالمين، والإنسان الكامل بوجوده وكمال صورته غنيٌّ عن الدلالة عليه؛ لأنّ وجودَه عينُ دلالته على نفسه.

فالكشفُ أتمُّ المعارف وإن لم يتكرّر التجلّي، فإنّ المتجلّي واحد معلوم. فإنّ الإنسان يعلم نفسه أنّه يتقلّب في أحواله، وخواطره، وأفعاله، وأسراره كلّها، في صور مختلفة. ومع هذا التقليب والتحوّل يعلم عينه ونفسه، وأنّ هويّته هي هي ما زالت، مع ما هو عليه من التقليب. فهكذا هي صور التجلّي، وإن كثُرت ولم تتكرّر؛ فإنّ العلم بالتجلّي في هذه الصور واحد العين غير مجهول، فلا تحجبك التكييفات عنه. فهذه هي النيابة الرابعة قد وفّيناها حقّها. ولا يعرف ما ذكرناه إلّا مَن كان زنيما ذا مال، فإنّه بصورةٍ، دخل في الألوهة وليس بإله؛ فكان زنيما. والمال موجب الغنى، فله صفة الغنى بما هو عليه من الصورة، فاعلم[1] ذلك.

(النيابة الخامسة: نيابة الإنسان عن رفيع الدرجات في العالم)

وأمّا النيابة الخامسة فهي نيابة الإنسان عن رفيع الدرجات في العالم، لا غير. وصورة رَفْعِهِ الإنسانَ الكامل، حيث أنّه ليس أحد معه في درجته، لأنّه ما حاز الصورة الإلهيّة غيرُه؛ فدرجته رفيعة عن النَّيل، فلا يعرفه إلّا اللهُ، ولا يعرف اللهَ إلّا الإنسانُ الكامل؛ فهو مجلاه. ولمّا ارتفعتْ درجته بالإحاطة وحصول الكلّ، لم يتمكن للجزء أن يعرفه؛ إذ لا معرفة للجزء بالكلّ؛ لأنّ الشيء لا يَعرف إلّا نفسَه، ولا يَعرف شيئا إلّا مِن نفسِه. وما للجزء صفةُ الكلّ، فاستحال أن يَعرف أحدٌ الإنسانَ الكامل؛ لأنّه ليست له درجة الكلّ. فالكلّ يعرف الكلّ مِثلَه، ويعرف ما تحوي كلّيّته عليه من الأجزاء؛ لأنّها كالأعضاء والقوى لصورته، فالشيء لا يجهل نفسه.

فظهر كلُّ الإنسان في درجةٍ لا يُبلغ إليها، فناب -بما ذكرناه، مما ظهر فيه- مناب ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[2] فكأنّ الإنسانَ ثنّى موجِده؛ فكأنّ أحديّته قَبِلت الثاني على صورة

[1] ص ١٠٢ب
[2] [غافر : ١٥]

أحديّتها. فإذا ضربتَ أحديّة الإنسان الكامل في أحديّة الحقّ لم تخرج لك إلّا أحديّة[1] واحدة. فلك أن تنظر، عند ذلك، أيّة أحديّة خرجَتْ، وأيّة أحديّة ذهبَتْ: هل أحديّة النائب؟ أو أحديّة مَن استنابه؟ فاعمل بحسب ما ظهر لك من ذلك تسعد. فما من حكم للنائب -مما له أثر في الكون، أو تنزيه عن المِثل- إلّا وذلك الحكم لمن استنابه. فلا تبالِ أَيَّةُ أحديّة ظهرَتْ، ولا أيَّةُ أحديّة بطنَتْ. فما أمره إلّا واحدة، كما ذكر عن نفسه:

مـا الأَمْـرُ إلّا هَكَـذَا مـا الأَمْـرُ إلّا مـا ذَكَـرْ
فـالقَوْلُ قَـوْلٌ فاصِـلٌ لَهُ احْـتِكَامٌ فِي البَشَـرْ
والشـأنُ شَـأْنٌ واحِـدٌ فِي عَيْنِـهِ لِمَـنْ نَظَـرْ
أَنْـتَ الرَفِيْعُ المُجْتَبَى عِنْـدَ مَلِيْـكٍ مُقْتَـدِرْ
إنْ كُنْتَ مِنْ صُوْرَتِهِ عَـلَى شُـهُودٍ واعْتَـبِرْ
مـا[2] قُلْتُـهُ فإنَّـهُ يَـدْخُلُ فِي حُكْمِ الفِكَرْ
إنْ كُنْـتَ ذَا عَقْـلٍ سَـلِيْمٍ آمِنًـا مِـنَ الغِـيَرْ
تَجِـدْهُ حَقًّـا واضِحًـا فِي سُـوَرٍ بِـلَا صُـوَرْ
فـالعَيْنُ قَـدْ تَشْـهَدُهُ فِي صُـوَرٍ وفي سُـوَرْ
والحَـقُّ مـا بَيْنَهُمَـا فِي عَرْشِـهِ عَـلَى[3] سُرُرْ
يُقَابِـلُ المِثْـلَ كَمَا يُقَابِلُ الصُّوَرُ الصُّوَرْ
فَقُـلْ لِمَـنْ يَعْرِفُـهُ بِأَنَّـهُ عَـلَى خَطَـرْ
وَقُـلْ لِمَـنْ يَجْهَلُـهُ بِأَنَّـهُ عَـلَى غَـرَرْ

(النيابة السادسة: في إيجاد ما يتكلّم به، بالفصل بين كلماته، والفهم في ذلك)

وأمّا النيابة السادسة فإنّ الله وصف نفسه بأنّ له كلمات؛ فكثّر، فلا بدّ من الفصل بين

١ ص ١٠٣
٢ ص ١٠٣ب
٣ كتب مقابلها في الهامش: "بل في" مع إشارة التصويب

آحاد هذه الكثرة. ثمّ الكلمة الواحدة أيضا منه، كثّرها في قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾[1] فأتى بثلاثة أحرف: اثنان ظاهران، وهما الكاف والنون، وواحد باطن خفي لأمر عارض، وهو سكونه وسكون النون؛ فزال عينه من الظاهر لالتقاء الساكنين؛ فناب الإنسانُ الكامل في هذه المرتبة، منابَ الحقّ في الفصل بين الكلمة المتقدّمة والتي تليها. فنطّق -سبحانه- هذه النشأة[2] الإنسانيّة، وكلّ من ظهر بصورتها، (بالحروف)[3] في مخارج النفَس من هذه الصورة. ووجود الحرف في كلّ مخرج (هو) تكوينُه، وإن لم يكن مكوّنه هناك، وإلّا فمن يكوّنه؟

فلا بدّ للممكن أن يكون بين كلّ كلمتين أو حرفين لإيجاد الكلمة الثانية أو الحرف الثاني، وتعلّق الأوّل به، لا بدّ من ذلك في الكلمات الإلهيّة التي هي أعيان الموجودات. كما قال في عيسى عليه السلام إنّه: ﴿كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[4] وقال فيها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾[5] وما هو إلّا عيسى. وجعله كلمات لها؛ لأنّه كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة. فكلّ جزء منه، ظاهرا كان أو باطنا، فهو كلمة. فلهذا قال فيه: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ لأنّ عيسى- روح الله من حيث جملته. ومن حيث أحديّة كثرته هو قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾.

فلمّا نطق الإنسانُ بالحروف، وهي أجزاء كلّ كلمة مقصودة للمتكلِّم، الذي هو الإنسان، المريد إيجاد تلك الكلمات لِيُفْهَمَ عنه بها ما في نفسه، كما فُهِمَ عن الله بما ظهر من الموجودات، ما في نفس الحقّ من إرادة وجود أعيان ما ظهر؛ فلا بدّ في الكلام من تقديم وتأخير، كما ذلك في الموجودات، وهي[6] أعيان الكلمات الإلهيّة تقديم، وتأخير، وترتيب؛ يُظْهِر ذلك الدهرُ، والدهر هو اللهُ بالنصّ الصريح، وهو قوله عليه السلام: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر» فبه ظهر الترتيب، والتقديم، والتأخير، في وجود العالَم. وسَوَاء كان الكلام متلفَّظا به، أو قائما

١ [النحل : ٤٠]
٢ ص ١٠٤
٣ ثابتة في هـ، س، ولم ترد في ق
٤ [النساء : ١٧١]
٥ [التحريم : ١٢]
٦ ص ١٠٤ب

بالنفس؛ فإن كان في النفس فلا بدّ من وجود الحروف فيه في وجود الخيال. وإن لم يكن ذلك، وإلّا فليس بكلام؛ وهو قول العربي:

إنّ الكَلامَ لَفِي الفُؤادِ وإنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيْلا

أراد: "على ما في الفؤاد" فإن لم يكن المترجمُ يضع في ترجمته الترجمةَ على ما في الفؤاد بحكم المطابقة، وإلّا فليس بدليل. وقد وُجدت الكثرةُ في الترجمةِ، والتقدّمُ، والتأخّرُ. فلا بدّ أن يكون الترتيب في الكلام الذي في الفؤاد، على هذه الصورة؛ وليس إلّا الخيال خاصة. وقال -تعالى-: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[1] فأضاف الكلام إلى الله -تعالى-، وجعله مسموعا للعربي المخاطب بحاسّة سمعه؛ فما أدركه إلّا متقطّعا، متقدّما، متأخّرا. ومن لم ينسب[2] ذلك الكلام المسمّى[3] قرآنا إلى[4] الله، فقد جحد بما أنزله الله وجهل الحقائق.

فلا بدّ للنائب، إذا تكلّم، أن يضاف إليه الكلام على ما قلناه، وأن يكون هذا النائب يفصل، بذاته، بين كلّ حرفين وكلمتين؛ ليوجِد الثانية وتتعلّق بها الأولى؛ حتى ينتظم به ما يريد إظهاره للمصلحة التي يعلمها؛ فدلّ بكلامه على ما في نفسه. وما كلُّ مَن سمع بسمعه عَقَل جميع[5] ما أراده المتكلّم أو بعضَه، إلّا مَن نوّر اللهُ بصيرته. ولهذا قد يكون حظُّ السامع من كلام المتكلّم ترتيبَ حروفه، من غير أن يعقل ما أراده المتكلّمُ بما تكلّم به. ويظهر ذلك في السامع إذا كان المتكلِّمُ يكلّمه بغير لحنِه ولغته؛ فإنّه لا يفهم منه سِوَى ما يتعلّق به سَمْعُهُ من ترتيب[6] حروفه. فهو التعلّق العام من كلّ سامع، ولكن لا يعلم ما أُريدت له هذه الكلمات.

كذلك العالَم كلّه، لا يعرف من الموجودات، التي هي كلمات الله، إلّا وجود أعيانها خاصّة. ولا يعلم ما أريدت له هذه الموجودات، إلّا أهل الفهم عن الله. والفهم أمر زائد على كونه

١ [التوبة : ٦]
٢ ق: "يسم" وعدلت تحتها بقلم الأصل
٣ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٤ ص ١٠٥
٥ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٦ ثابتة في الهامش

مسموعا. فكما ينوب العبدُ الكامل الناطق، عن الله في إيجاد ما يتكلّم به، بالفصل بين كلماته؛ إذ لولا وجوده هناك؛ لم[1] يصحّ وجود عين الكلمة والحرف؛ كذلك ينوب أيضا في الفهم في ذلك، منابَ الحقّ، في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾[2] فوصف نفسه بأنّه يبلو ليَعلم في المستأنَف. وهذه كلّها نيابة أحديّة، لا نيابة غير الأحديّة، من حيث أنّ لها القيّوميّة على أعيان الموجودات، بما هي الموجودات عليه من الكسب. إذ هو القائم على كلّ نفس بما كسبت، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3] أي قيّدها كَسْبُها.

فلولا الحقّ ما تميّزت الموجودات بعضها عن بعض، ولكان الأمر عينا واحدا كما هو من وجه آخر. مثال ذلك؛ أنّ الإنسان، من حيث حَدِّه الشامل لآحاده، واحدُ العين؛ فالآحاد كلّها عين واحدة من حيث إنسانيّتها، مع عِلمنا بأنّ زيدا ما هو عين عمرو، ولا غيره من أشخاص الأناسيّ. فعين تمييز[4] الحقّ لها (هو) وجودُها، وعين تمييز بعضها عن بعض فلأنفسها. ولذلك لم تزد كلمة الحضرة في كلّ كائن عنها على كلمة "كن" شيئا آخر، بل انسحب على كلّ كائن عينُ "كن" لا غير. فلو وقفنا مع "كن" لم نر إلّا عينا واحدة، وإنما وقفنا مع أثر هذه الكلمة -وهي المكوّنات- فكثرتْ، وتعدّدت، وتميّزت بأشخاصها[5].

فلمّا اجتمعت في عين حدّها، علمنا أنّ هذه الحقيقة وجدت كلمة الحقّ فيها، وهي كلمة: "كن" و"كن" أمر وجوديّ لا يُعلم منه إلّا الإيجاد والوجود. ولهذا لا يقال للموجود: كن عدما، ولا يقال له: كن معدوما؛ لاستحالة ذلك. فالعدم نفسيّ لبعض الموجودات، ولبعضها تابع لعدم شرطِه المصحّح لوجوده. وبهذه الحقيقة كان الله خلّاقا دائما، وحافظا دائما. ولو كان على ما يذكره مخالفو أهل الحقّ القائلون ببقاء الأعراض، لم يصحّ أن يكون الحقُّ خلّاقا دائما، ولا حافظا على بعض الموجودات وجودها. وإذْن لم يزل خالقا دائما، فلا يزال مع كلّ مخلوق ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا

١ ص ١٠٥ب
٢ [محمد : ٣١]
٣ [المدثر : ٣٨]
٤ في الأصل: "ميز" وصححت في الهامش مع إشارة التصويب
٥ ص ١٠٦

﴿كُنتُمْ﴾[1] و"كنتم". أمر وجوديّ بلا شكّ. فلا شيء أدقّ من نيابة الفصل بين الكلمات لمن يعرف ما ذكرناه.

(النيابة السابعة: النيابة في الأفعال الظاهرة والباطنة في وجود الإنسان)

وأمّا النيابة السابعة فهي النيابة في الأفعال الظاهرة والباطنة في وجود الإنسان؛ وهو ما يُحدثه في نفسه من الأفعال والكوائن، لا ما يُحدثه في غيره. وآيته من كتاب الله -تعالى- قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾[2] والعلم صفة له قديمة. وهذا العلم الخاصّ الظاهر عن الابتلاء هو ما نريده بالنيابة فيه هنا، فقال -تعالى- عن نفسه إنّه يجيب الداعي إذا دعاه، وإنّ بيده ملكوت كلّ[3] شيء؛ فوصف نفسه بأنّه قاهر لكلّ شيء، في هذه الآية.

فإذا ادّعينا نحن[4] الصبرَ على ما يكلّفنا به، وحملَ المشقّة في ذلك طاعة لله؛ فدعوناه؛ ثمّ نظرنا أثر ذلك في قلوبنا؛ فإذا عمّ الدعاءُ ذاتَنا كلَّها، بحيث أنّه لا يبقى فيه جزء له التفاتة إلى الغير؛ حصلت الإجابة، بلا شكّ، على الفور من غير تأخير. فعلِمنا، بهذا الاختبار، صدق توجّهنا؛ لأنّا قد علمنا صِدْقَه فيما أخبر به عن نفسه. ولولا مراعاة الأدب الإلهيّ لكان قولنا: بلوناه بما دعوناه به حتى نعلم قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي﴾[5] فإنّها كلمة دعوى، حتى تكون النيابة صحيحة في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[6].

ثمّ طردنا ذلك في حقّ كلّ مدّعٍ دعوى؛ من صادق وكاذب؛ فنُبنا عنه -سبحانه- في الاختبار والابتلاء. فإن كان صاحب دعوى صادقة؛ كالرسل، ومن صدق في دعواه؛ فإنّه يقيم الدلالة على صدقه؛ بما بلوناه به من طلب الدلالة، كانت الدلالة ما كانت. كما بلونا به الكاذب لمّا ادّعى ما ليس له، فلم يقم بوجود ما بلوناه به. فقال له النائب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

[1] [الحديد : ٤]
[2] [محمد : ٣١]
[3] ص ١٠٦ب
[4] ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
[5] [البقرة : ١٨٦]
[6] [محمد : ٣١]

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ وهو أمر إمكانيّ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي[1] كَفَرَ﴾[2] وقامت الحجّة عليه. فالابتلاء أصله الدّعوى. فمن لا دعوى له، لا ابتلاء يتوجّه عليه. ولهذا ما كلّفنا الله حتى قال لنا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3] فقلنا: ﴿بَلَى﴾ فأقررنا بربوبيّته علينا. وإقرارنا بربوبيّته علينا (هو) عينُ إقرارنا بعبوديّتنا له، والعبوديّة بذاتها تطلب طاعة السيّد. فلمّا ادّعينا ذلك؛ حينئذ كلّفنا؛ ليبتلي صِدقنا فيما ادّعيناه.

فإن قلت: فما علمنا بهذا الإشهاد الميثاقيّ الذي ورد به الخبر؟ فإنّ ذلك حظّ الإيمان[4]، لا حظّ العقل[5]، وليس هو بأمر ضروريّ؛ فكيف يدخل في هذا الابتلاء العاقل الذي ليس بمؤمن؟ قلنا: إنّ العاقل أوجب على نفسه، بعقله، تعظيم خالقه، والموجِبُ اللهُ؛ لأنّه الذي وهبه ذلك العقل، فقام العقل له مقام الرسول لنا. فنَظَر العاقل بعقله في وجوده؛ لماذا (=إلى ماذا) يستند: هل هو في نفسه لم يزل كذلك؟ أو هو الذي أوجد نفسه فاستحال عنده الأمران؟ وقد تقدّم الكلام في هذا الكتاب في هذا المعنى. فلمّا استحال ذلك عنده استند إلى موجِدٍ ما هو عينه. فنظر فيما ينبغي لذلك الذي استند إليه؛ فنزّهه عن كلّ نعتٍ يفضي-اتّصافه به إلى حدثه.

وسبب[6] ذلك في قوّة[7] النفس حتى لا يتعبّدها مثلُها، أعني ممكنا محدَثا مثلها. فإنّه قد علِم حدوثَه؛ فرأى أنّه ينبغي بالدليل أن يكون واحدا، لا كثيرين، ورأى أنّه منفيّ المِثليّة، وأنّه على مرتبةٍ توجب له التعظيم والحمد والثناء؛ فأوجب عليه العقلُ، الذي هو بمنزلة الرسول عندنا، تعظيم جنابه بما يستحقّه مما أعطته الأدلّة العقليّة. فأخذ في تمجيده، وتعظيمه، وتكبيره، وتنزيهه. وعلِم ما تستحقّه السيادة فعاملَها به؛ فناب عن الحقّ فيما أوجده في نفسه بنظره، من المعرفة به

[1] ص ١٠٧
[2] [البقرة : ٢٥٨]
[3] [الأعراف : ١٧٢]
[4] كتب في الهامش بقلم آخر مع حرف خ: "المؤمنين" وهي كذلك في س
[5] كتب في الهامش بقلم آخر مع حرف خ: "العقلاء" وهي كذلك في س
[6] "سبب" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
[7] ص ١٠٧ب

والعبادة لموجده. لأنّه علِم، بنظره، ذاتَهُ[1]، وافتقارَه، في ظهور عينه، إلى مُظهِر بعيد عن الصفات الموجبة حدوثه. فدخل، في هذه النيابة، كلُّ عاقل موحّد بدليله، وإن لم يكن مؤمنا. وهو قول النبيّ ﷺ في الحديث الصحيح: «من مات وهو يعلم» ولم يقل: "يقول" ولا "يؤمن" وإنما ذكر العلم خاصّة. فقال: «وهو يعلم أنّه لا إله إلّا الله؛ دخل الجنّة».

فكلّ موحِّد لله، في[2] الجنّة يُدخله الله خاصّة، لا غيره. ويشفع المؤمنون والأنبياء في أهل الكبائر من أهل الإيمان، لأنّ الأنبياء بُعثت بالخبر، وهو متعلَّق الإيمان. والموحِّدون الذين لم يؤمنوا -لكونهم ما بُعث إليهم رسولٌ، أو[3] كانوا في فترة- فهم الذين يُحشر كلّ واحد منهم أمّة وحده. فإن بُعث في أمّة، هو (أي هذا الموحّد) فيهم، رسولٌ، فلم يؤمن به (هذا الموحّد) مع علمه بأحديّة خالقه؛ دخل النار. فما يخرج منها إلّا بإخراج خالقه؛ لأنّ الخلود في النار لا يكون بالنصّ لأهل التوحيد، بأيّ وجه حصل لهم. فلا يبقى في النار إلّا مشرك أو معطِّل، لا عن شبهة، ولا عن نظر مستوفى بالنظر إلى قوّته. فلم يبق في النار إلّا المقلِّدة الذين كان في قوّتهم واستعدادهم أن ينظروا؛ فما نظروا.

وهذه مسألة عظيمة الفائدة صحيحة الأصل، وآيتها من القرآن: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ يعني، في زعمه، أنّه برهان. وإن لم يكن برهانا في نفس الأمر، فهو قد وفّى وُسْعَه، فإنّ الله ما كلّف نفسا إلّا ما آتاها، وهو أمر يتفاضل فيه الناس، فقال: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ هل وفّى ما آتاه الله من النظر في ذلك، أم لا؟ ثمّ قال: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[4] وليس الكافر إلّا مَن علِمَ ثمّ سَتَرَ، وإن لم يعلم فما هو كافر. ثمّ أمر نبيّه أن يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ هذه الفِرَق التي وفّت النظر استطاعتها التي آتيتَها، فلم تصل إلّا إلى التعطيل أو الشرك ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[5]، فإنّهم ما تعدّوا ما آتاهم الله؛ فشفع هنا فيهم رسولُ الله ﷺ من

١ س، هـ: ذلته
٢ س، هـ: ففي
٣ ص ١٠٨
٤ [المؤمنون: ١١٧]
٥ [المؤمنون: ١١٨]

حيث لا[1] يشعرون.

فإذا نالتهم السعادة بالخروج من النار، وقد عرّفهم الله بسؤال الرسول فيهم، إذ قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ حين أمره الله بذلك، وما أمره بهذا[2] الدعاء إلّا ليجيبه، فأجابه في ذلك؛ فعرفوا قدر رسول الله ﷺ عند ذلك، إذا دخلوا الجنّة؛ فينتمون إليه فيها؛ لأنّه السيّد الأكبر. وهذا الدعاء يعمُّ كلَّ مَن هو بهذه المثابة، من وقت آدم إلى نفخة الصعق؛ لأنّه ما خصّص في دعوته إلّا مَن هذه صفته، ومَن ينبغي أن يُرحم ويُغفر له.

وينبغي لكلّ نائب منّا أن يُحضِر في نفسه هذه الفِرَق وكلّ من له عذر من الأمم، في تخلّفه عن الحقّ الذي هو في نفس الأمر، أن يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فإنّه الله -تعالى- يضرب له بسهم في هذه الشفاعة. فلا تغفل -يا وليّ- عن حظّك منها، ولا تكن ممن غلب إبليس عليه؛ فحَجَر رحمةَ الله أن تصيب إلّا المؤمن، ولم يفرّق بين من يأخذها وتتناوله بطريق الوجوب، ممن تتناوله من عين المنّة.

فهذه شفاعة من الرسول والنوّاب لهؤلاء في الدنيا، يقوم بها الحقّ في الآخرة لهم من حيث لا يُعلم، حتى يدخلوا الجنّة. فإذا دخلوها؛ رأينا فيهم العلامة التي تعطينا فيهم قبول الشفاعة[3] الدنياويّة. فينبغي لكلّ تالٍ، إذا تلا القرآن، أن يتدبّره، ويأخذ كلَّ أمرٍ أمَرَ الله به نبيّه ﷺ أن يبلّغه، ويقوله، أو يعمله؛ فليقله في تلاوته. لا[4] يكون حاكيا؛ بل يكون صاحب نيّة، وقصدٍ، وابتهال في ذلك، وأنّه مأمور به من الحقّ، إن أراد أن يكون من هذا الحزب النبويّ.

فإنّ الله أخفى النبوّة في خلقه، وأظهرها في بعض خلقه. فالنبوّة الظاهرة هي التي انقطع ظهورها، وأمّا الباطنة فلا تزال في الدنيا والآخرة؛ لأنّ الوحي الإلهيّ والإنزال الربّانيّ لا ينقطع؛ إذ كان به حفظ العالَم؛ فجميع العالم لهم نصيب من هذا الإنزال والوحي. فمنه ما ذكر مثل قوله:

١ ص ١٠٨ب
٢ "وما أمره بهذا" ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
٣ ص ١٠٩
٤ س، هـ: ولا

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[1] و﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾[2]، وقال الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾[3] وقد قال النبيّ ﷺ في المجتهدين ما قال، وما فرض لهم الإصابة في كلّ ما اجتهدوا فيه، وإنّما فرض لهم الأجر في ذلك: أصابوا أم أخطؤوا، وفضّل بين المصيب والمخطئ في الأجر. وهذه نيابة عجيبة، رفيعة المقدار، لا يعلمها كلّ أحد.

(النيابة الثامنة: شفع وتريّة الحقّ من حيث أنّه -تعالى- مجلى لها، وهي مجلى له)

وأمّا النيابة الثامنة التي شفعتْ وتريّة الحقّ من حيث أنّه[4] -تعالى- مجلى لها، وهي مجلى له. فهو ينظر نفسه فيها نظرَ كمال، وهي تنظر نفسها فيه نظرَ كمال، وذلك راجع إلى ما هو عليه الحقّ -تعالى- من الأسماء الإلهيّة. فلا تظهر هذه الصورة إلّا في مرآة الإنسان الكامل، الذي هو ظلّه الرحمانيّ. فنصب له عرشا استوى عليه، على التقابل من عرشه المنسوب إليه، بحكم الاستواء عليه.

ومثاله (هو) ما وصف الحقّ به أهلَ الجنّة: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾[5] ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[6] أي يقابل بعضهم بعضا، والاتّكاء: الاعتماد بصفة الجبروت. فاتّكاءُ الحقّ عليه (هو) فيما ظهر من الحقّ وبطن من الإنسان الكامل؛ فإنّه يعلو على متّكئِهِ، والإنسان الكامل يتّكئ أيضا على ربّه؛ فيما يظهر به الإنسان من النيابة حين يبطن الحقّ فيها. فتُنْسَبُ المشاهدةُ وما يُشْهَدُ إلى الشاهد، لا إلى أمر آخر. كما يُنْسَبُ في حضرة الأفعال الفعلُ بالعوائد إلى المخلوق، والحقّ مبطون فيه. ويُنْسَبُ الفعلُ بخرق العادة إلى الله تعالى، لا إلى المخلوق؛ لأنّه خارج عن قدرة المخلوق. فيظهر الحقُّ، وإن كان[7] لا يظهر، إلّا في خلق.

وإنّما ثنّى الخلقُ وجودَ الحقِّ؛ لأنّ كلَّ حقيقة تُعْقَلُ للحقّ لا تُعْقَلُ مجرّدة عن الخلق؛ فهي

١ [النحل : ٦٨]
٢ [النمل : ١٨]
٣ [النمل : ٢٢]
٤ ص ١٠٩ب
٥ [الواقعة : ١٦]
٦ [الحجر : ٤٧]
٧ "وإن كان" ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب

تطلب الخلق بذاتها. فلا بدّ من معقوليّة حقّ وخلق؛ لأنّ تلك الحقيقة الإلهيّة من المحال أن يكون لها تعلّق[1] أثريّ في ذات الحقّ، ومن المحال أن تبقى معطّلة الحكم؛ لأنّ الحكم لها ذاتيٌّ. فلا بدّ من معقوليّة الخلق، سَوَاء اتّصف بالوجود أو بالعدم. فإنّ ثبوتَ عينه في العدم، به يكون التهيّؤ لقبول الآثار. وثبوتُه في العدم كالبزرة لشجرة الوجود؛ فهو في العدم بزرة، وفي الوجود شجرة.

ثُبُوتُ العَيْنِ فِي الإِمْكَانِ بَزْرٌ   وَلَوْلَا البَزْرُ لَمْ يَكُ ثَمَّ نَبْتُ
ظُهُورِي عَنْ ثُبُوتِي دُونَ أَمْرٍ   إِلَهِيٍّ مُحالٌ حِينَ كُنْتُ

وإذ، والأمر على ما ذكرناه، فما في العلم إلّا الشفع؛ وهو تثنية الجمع؛ لأنّ الحقائق الإلهيّة كثيرة، والمحقّقات على قدرها أيضا. فثنّت المحقّقات الحقائق في العلم، وإن لم تتّصف بالوجود العينيّ.

فَلَوْلا ثُبُوتُ العَيْنِ مَا كَانَ مَشْهُودَا   وَلا قالَ: "كُنْ" كَوْنًا وَلا كَانَ مَقْصُودَا
فَمَا زَالَ حُكْمُ العَيْنِ لِلهِ عابِدًا   وَمَا زَالَ كَوْنُ الحَقِّ لِلعَيْنِ مَعْبُودَا
فَلَمّا[2] كَساهُ الحَقُّ حُلَّةَ كَوْنِهِ   وَقَدْ كانَ قَبْلَ الكَوْنِ فِي الكَوْنِ مَفْقُودَا
تَكَوَّنَتِ الأَحْكامُ فِيْهِ بِكَوْنِهِ   فَمَا زَالَ سَجَّادًا فَقِيدًا وَمَوْجُودَا

ولمّا ظهر حكم تثنية الأمر المعلوم في نفسه، لم يصحّ إلّا بالمثليّة لا غيرها. لأنّه لو لم يكن مثلا؛ ما عمّه بذاته، ولا قابله؛ وليس إلّا الإنسان الكامل، أو مجموع العالَم بالإنسان. فالإنسان لا بدّ منه، فلنقتصر عليه.

وحكم الثبوت بين الله والإنسان الكامل، خلاف حكم الوجود. فبحكم الوجود يكون الإنسان هو الذي ثنّى وجودَ الحقّ. وليس لحكم الثبوت هذا المقام. فإنّ الحقَّ والخلق معًا في الثبوت، وليس معًا في الوجود. فلمّا كان الأمر في الثبوت على السَّوَاء؛ أعطيناه صورة

١ ص ١١٠
٢ ص ١١٠ب

الاعتدال، وعدم الميل إلى أحد الجانبين. وهذه هي المنزلة الرفيعة المنار، العامّة الآثار.

فإذا ظهر الحقّ في الصور، لم تعمّ المِثليّة الاعتداليّة. فكان المِثل بحسب الصورة المتجلّى فيها. فإن كانت صورة روحيّة؛ ينسب إليها ما هي عليه من الحُكمِ الأرواحُ. وإن كانت صورة جسميّة؛ ينسب إليها ما هي عليه صور الأجسام الظاهرة من[1] الحكم؛ وهو اتّصافه بالأوصاف الطبيعيّة؛ من تغيّر الأحوال: في الغضب، والرضا، والفرح، والنزول، والهرولة. فإذا أثبتَ لك الحقّ عن نفسه أمرا مّا؛ فانظر فيما أثبته لأيّ صورة هو؛ فاحكم عليه بحكم ما هو به؛ لتلك الصورة، وما ثَمّ إلّا مِثل أو غير مِثل. فهذا حكم هذه النيابة الثامنة قد استوفيناه.

(النيابة التاسعة: الظهور في البرزخ المعقول الذي بين المِثلين)

وأمّا النيابة التاسعة فهي الظهور في البرزخ المعقول الذي بين المِثلين، وهو الفصل الذي يكون بين الحقّ والإنسان الكامل. فإنّ هذا الفصل أوجب تمييز الحقّ من الخلق، فينظر بمن هو ألْيَق. ومَوْضِعُهُ، في ضرب المثال: الظلُّ الذي في الشخص الممتدّ عنه الظلّ الممدود. فالظلّ القائم به بين الشخص والظلّ الممدود المنفصل عنه؛ ذلك هو البرزخ. وهو بالشخص القائم ألصق، فهو به أحقّ. فبالحقّ كان مَيْز الخلق عنه، لا بالخلق تميّز الحقّ عنه؛ لأنّ الخلق متلبِّس بنعوت الحقِّ، وليس الحقُّ متلبّسا بالخلق.

ولذلك كان ظهور الخلق بالحقّ، ولم يكن ظهور الحقّ بالخلق؛ لكون الحقّ لم يزل ظاهرا لنفسه؛ فلم يتّصف بالافتقار في ظهوره إلى[2] شيء، كما اتّصف الخلق بالافتقار في ظهوره، لعينه في عينه، إلى الحقّ. ونريد بالخلق هنا: الإنسان الذي له المِثليّة، لا غيره؛ فإنّ هذا الفصل وقع بين المِثلين. فللفصل حكم المِثلين بلا شكّ؛ لأنّه يقابل كلَّ مِثل بذاته، ولولاه لما تميّز المِثل عن مِثله.

١ ص ١١١
٢ ص ١١١ب

خلق
فصل
حقّ

ومِثليّتك له؛ قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[2] ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[3] بإعطاء كمال الإنسانيّة؛ وهو الصورة لبعضهم؛ وهم الذين رفعهم الله، والمرفوع عليهم هم الأناسيّ الحيوانيّون.

ومِثليّته لك؛ أن جعل نفسَه لك وكيلا فيما هو حقٌّ لك؛ فيتصرّف فيه عنك، بحكم الوكالة المطلقة المفوَّضة الدوريّة؛ فإنّ وكالة الحقّ لا بدّ أن تكون دوريّة؛ اعتناءً من الله بعبده؛ لأنّه خلقه صاحبَ غفلات ونِسيان. والغفلة والنِّسيان أحوالٌ تطرأ على هذه النشأة الإنسانيّة، والأحوال لها الحكم مطلقا في كلّ مَن اتّصف بالوجود؛ لا أحاشي موجودا من موجود. فإذا غفل الإنسان في حركةٍ مّا من حركاته؛ فتصرّف فيها بنفسه؛ فذلك التصرّف النفسيّ- (بمثابة) عَزْل الحقّ عن الوكالة. فإذا[4] كانت الوكالة دوريّة، كان كلّما انعزل الحقّ عن هذه الوكالة بالتصرّف النفسيّ، ولّي الأمر؛ فلم يتصرّف إلّا الله؛ فإنّ الله أمرك أن تتّخذه وكيلا في سورة المزّمّل. فهذه فائدة الوكالة الدوريّة.

وهي عن أمره -تعالى- عَبْدَهُ، وجعلها في التوحيد فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[5] إشارة إلى التصرُّف في الجهات، وما ذكر منها إلّا المشرق وهو الظاهر، والمغرب وهو الباطن. وبالعين الواحدة التي هي الشمس، إذا طلعت أحدثت اسم المشرق، وإذا غربت أحدثت اسم المغرب. والإنسان ظاهر وباطن. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ في ظاهرك وباطنك؛ فإنّه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فانظر ما أعجب القرآن!.

وهذه النيابات كلّها، التي ذكرناها ونذكرها، نيابات توحيد، لا غير ذلك. فإن ظهرتَ أنت لم

١ [الحديد : ٧]
٢ [الأنعام : ١٦٥]
٣ [الزخرف : ٣٢]
٤ ص ١١٢
٥ [المزمل : ٩]

يكن الظاهرُ إلّا هو، وإن لم تظهر فهو هو. إذ الواحد لا ينقسم في نفسه إلّا بالحكم والنّسب، وهو -تعالى- ذو أسماء كثيرة؛ فهو ذو نِسب وأحكام؛ فأحديّته بنا أحديّةُ الكثرة، والعينُ واحدة. ولهذا يُنسب الظهور لنا في وقتٍ، ويُنسب إليه في وقت[1]، ويضاف إليه في[2] حكم، ويضاف إلينا في حكم. فقد تبيّن لك أنّه عينَ ما قام فيه الإنسان (هو) عينُ ما قام فيه الحقّ، بين ظاهر وباطن.

فإذا ظهر مَن ظهر بطنَ الآخر، وكانت النيابة للظاهر عن الذي بطن، وكانت النيابة للذي بطن فيما بطن فيه، عن الذي ظهر؛ فلا يزال حكم الخلافة والوكالة، وهي خلافة ونيابة دائمًا أبدا دنيا وآخرة. فإنّ الحقَّ كلّ يوم من أيّام الأنفاس، هو في شأنٍ ما وكّلته فيه. فإنّه لك يتصرّف، ولك يصرّف فيما استخلفك فيه. فأنت تتصرّف عن أمر وكيلك، فأنت خليفة خليفتك. كما أنّه مُلك المُلك بالوكالة. فهذا عين ما هو الوجود عليه. وما بيننا وبين الناس فَرْقٌ في ذلك، في نفس الأمر، إلّا أنّي أعرفه وهم لا يعرفون ذلك؛ لأجل الأغطية التي على عين بصيرتهم، والأكنّة والأقفال التي على قلوبهم، وفيها.

(النيابة العاشرة: نيابة توحيد الموتى)

وأمّا النيابة العاشرة فهي نيابة توحيد الموتى. فإنّه بالموت تنكشف الأغطية، ويتبيّن الحقّ لكلّ أحد. ولكنّ ذلك الكشف، في ذلك الوقت، في العموم، لا يعطي سعادة إلّا لمن كان من العامّة عالما بذلك؛ فإذا كشف الغطاء؛ فرأى[3] ما علِمَ عينا؛ فهو سعيد. وأمّا الشهود هنا، فهو لهم "عين"، وعند كشف الغطاء تكون تلك العين لهم "حقّا". فينتقل أهلُ الكشف من "العين" إلى "الحقّ"، وينتقل العالِمُ من "العلم" إلى "العين". وما سِوى هذين الشخصين فينتقلون من "العمى" إلى "الإبصار"؛ فيشهدون[4] الأمر بكشف غطاء العمى عنهم؛ لا عن علمٍ تقدّم. فلا بدّ من مزيدٍ، لكلّ طائفة، عند الموت ورفع الغطاء.

١ "ويُنسب إليه في وقت" ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
٢ ص ١١٢ب
٣ ص ١١٣
٤ بسبب الماء المؤثر على بداية الصفحة في ق ربما قرئت: "فيشاهدون"، والترجيح من س، هـ

ولهذا قال من قال من الصحابة: "لو كُشف الغطاء" فأثبت لك أنّ ثمّ غطاء، ثمّ قال: "ما ازددت يقينا" يعني فيما علِم إذا عاينه؛ فلا يزيد يقينا في العلم، لكن يعطيه كشف الغطاء أمرا لم يكن عنده. فيصحّ قوله: "ما ازددت يقينا" في علمه إن كان ذا علم، وفي عينه إن كان ذا عين. لا أنّه لا يزيد بكشف الغطاء أمرا لم يكن له، إذ لو كان كذلك؛ لكان كشف الغطاء، في حقّ مَن هذه صفته، عبثا معرّى عن الفائدة.

ولكنْ للعَيانِ لَطِيفُ مَعْنًى   لِذا سَأَلَ المُعايَنَةَ الكَلِيمُ

فما كان الغطاء إلّا ووراءه أمر وجوديّ، لا عدمي. فهذه النيابة عن الحقّ للعبد في البرزخ؛ فيقوم حاكما بصورة حقّ ونيابة[1] في عالم الخيال؛ فيكون له عليه سلطان في هذه الدار الدنيا؛ فيجسّد ما شاءه من المعاني للناظر، وقد نال من هذه السلطنة حظّا قريبا. أهل السحر الذين قال الله فيهم: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى موسى[2] ﴿مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[3] وليست بساعية في نفس الأمر، وهي ساعية في نظر موسى ونظر الحاضرين، إلّا السحرة فإنّهم يرونها خيالا. والغريبُ لو وَرَدَ لرآها كما يراها الساحرُ. بخلاف من له النيابة على عالم الخيال، وفي حضرته؛ كموسى؛ فإنّه يرى ما يجسّده من المعاني جسدا، كما جسّده ما يريه جسدا، ويراه هو معنى؛ إنّما ذلك للساحر لعدم قوّته.

وما بين الساحر وبين صاحب هذه النيابة كموسى، إلّا كون الحقّ جعله نائبا، واتّخذه موسى وكيلا. فألقى موسى عصاه عن أمر حقّ، وهو أمر موكّله، فقال له: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾[4] فرآها حيّة؛ فخاف. وأخبر عن السحرة أنّهم ألقوا حبالهم وعصيّهم، لا عن أمر إلهيّ؛ بل عن حكم أسماء كانت عندهم، لها في عيون الناظرين خاصّيّة النظر إلى ما يريد الساحر إظهاره. فله، بتلك الأسماء، قلبُ النظر لا قلبُ المنظور فيه. وبالأمر الإلهيّ؛ قلب المنظور فيه؛ فيتبعه النظر.

١ ص ١١٣ب
٢ "أي إلى موسى" ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
٣ [طه : ٦٦]
٤ [الأعراف : ١١٧]

فالنظر ما انقلب في حقّ النائب. والفعل في النظر وفي[1] المنظور فيه، لم يكن إلّا بعد الإلقاء؛ فلمّا خرج عن ملك مَن ألقاه، تولّى اللهُ قلب المنظور في حقّ النائب، وقلب النظر في حقّ مَن[2] ليس بنائب وله علم هذه الأسماء، التي هي سيمياء، أي علامات على ما ظهر في أعين الناظرين.

فالعموم -عند كشف الغطاء بالموت، وانتقالهم إلى البرزخ- يكونون هنالك، مثل ما هم في الدنيا في أجسامهم سَوَاء، إلّا أنّهم انتقلوا من حضرة إلى حضرة، أو من حكم إلى حكم. والعارفون، نوّاب الحقّ، لهم هذا الحكم في الحياة الدنيا. وإنما كانت النيابة هنا نيابة توحيد؛ لأنّه لا يظهر الحكم إلّا بعد الإلقاء، وهو أن يخرج الأمر من مِلك الملقي؛ فيتولّاه الله بحكم الوكالة في حقّ النائب، وبحكم الحقيقة في حقّ الساحر، للغيرة الإلهيّة؛ فلا يكون حكمٌ في الأشياء إلّا لله.

وبقي لصاحب هذه النيابة، في هذه الحضرة، التصرُّف دائما كما ذكرناه، المسمّى في العامّة: كرامات، وآيات، وخرق عوائد. وهي عند المحقّقين ليست بخرق عوائد، بل هي إيجاد كوائن؛ لأنّه ما ثمّ في نفس الأمر عوائد؛ لأنّه ما ثمّ تكرار؛ فما ثمّ ما يعود. وهو قوله في أصحاب العوائد: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[3] يقول: إنّهم لا يعرفون أنّهم في كلّ لحظة، في خلق جديد. فما يرونه في اللحظة الأُولَى[4] ما هو عين ما يرونه في اللحظة الثانية، وهم في لبْس من ذلك؛ فلا إعادة؛ فلا خرق. هكذا يدركه المحقّقون من أهل الله، وليس الأمر إلّا[5] كما ذكرناه، فإنّه بهذا يكون الافتقار للخلق دائما أبدا، ويكون الحقّ خالقا حافظا على هذا الموجود وجودَه دائما، بما يوجده فيه من خلق جديد لبقائه.

فانْظُرْ فَدَيْتُكَ فِيْمَا قَدْ أَتَيْتُ بِهِ فالعِلْمُ يُدْرِكُ ما لا يُدْرِكُ البَصَرُ

* * *

١ ص ١١٤
٢ "وفي المنظور.. من" هذا السطر مطموس تماما في ق، ولم يرد في س، وأثبتناه من هـ
٣ [ق : ١٥]
٤ ص ١١٤ب
٥ ثابتة في الهامش

وَصْلٌ
(تصرّف النائب في هذه الأغيار الخياليّة كما يريد ويشاء، عن أمر وكيله)

فَرِجَالُ العِلْمِ أَوْلَى بِالعِبَرْ وَرِجالُ العَيْنِ أَوْلَى بِالنَّظَرْ
فالذِي يُوْصَفُ بِالعَقْلِ، لَهُ قُوَّةٌ تُخْرِجُهُ عَنِ البَصَرْ
والذِي يُوْصَفُ بِالكَشْفِ، لَهُ صُوْرَةٌ تَسْمُو عَلَى كُلِّ الصُّوَرْ
فَتَرَاهُ دائِمًا فِي حَالِهِ ظاهِرًا مِنْ غَيرٍ إلَى غَيرْ

فيتصرّف النائب في هذه الأغيار الخياليّة كما يريد ويشاء[1]، ولكن عن أمر وكيله؛ لجهل الموكِّل بالمصالح التي يعرفها الوكيل في التصريف. فإن غلط وتصرّف عن غفلة بغير أمر الوكيل، فإنّ الله يحفظ عليه وقته؛ لكون الوكالة، كما قلنا، دوريّة.

ولكن مع هذا الحفظ، الذي ذكرناه، لا تكون الصورة الواقعة عن تصريف الغفلة، تبلغ، من الدرجة، مبلغ الصورة التي تكون عن تصريف الوكيل، الذي صرّف فيه هذا النائب؛ لتتميّز المراتب، ويعلم الرفيع والأرفع.

واعلم أنّ هذه المرتبة، التي هي هذه النيابة الخاصّة، لا تكون إلّا بالموت. والموت على قسمين: موت اضطراريّ؛ وهو المشهود في العموم والعُرف، وهو الأجل المسمّى الذي قيل فيه: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2] والموت الآخر؛ موتٌ اختياريّ؛ وهو موت في حياة دنياويّة، وهو الأجل المقضيّ- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى- أَجَلًا﴾[3] ولمّا كان هذا الأجلُ المقضيُّ- معلومَ الوقتِ عند الله، مسمّى عنده؛ كان حكمه، في نفسه، حكمَ الأجل المسمّى. وهو قوله ﷻ: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[4] يعني في حاله.

١ ص ١١٥
٢ [الأعراف : ٣٤]
٣ [الأنعام : ٢]
٤ [لقمان : ٢٩]

ولا يموت الإنسان في حياته إلّا إذا صحّتْ له هذه النيابة؛ فهو ميّت لا ميّت. كالمقتول[1] في سبيل الله؛ نقله الله إلى البرزخ، لا عن موت. فالشهيد مقتولٌ، لا ميّت. ولمّا كان هذا المعنى به؛ قد قتل نفسه في الجهاد الأكبر، الذي هو جهاد النفس، رزقه الله حكم الشهادة؛ فولّاه النيابة في البرزخ في حياته الدنيا؛ فموته معنويّ، وقتله (هو) مخالفة نفسه. وقد جئنا على ما ذكرناه أوّلا، مِن ذِكرنا هذه النيابات العشرة، التي هي أمّهات. وأمّا ما تتضمّنه كلّ نيابة من فعل كلّ ما لا يصحّ إلّا بنيابة؛ فكثير لا يحصى. ولله الحمد والمنّة على ما أعطى. وممّا يتعلّق بهذا الباب؛ نور[2] توحيد الذات.

واعلم أنّه لمّا كان في قوّة الواحد، أحديّةُ كلّ موجود ومعلوم ومعدود؛ ظهر جميع ما ظهر من العالم من مجموعٍ ومفرد، وفي العالَم من تقسيم عقليّ في المعلومات؛ بأحديّة تخصّه أعطتها أحديّةُ الذات الواهبةُ الوجودِ ما وجد، والواهبة عِلم ما عُلم من المعلومات. فالأحديّة ظاهرة في الآحاد، خفيّة في المجموع.

فأحديّة الذات في الآحاد والبسائط، وأحديّة المجموع في المركّبات، وهي المعبَّر عنها في الإلهيّات: بلسان الشرع بالأسماء، وفي العقول السليمة: بالنِّسب، وفي العقول القاصرة[3] النظر: بالصفات. وأبينُ ما يظهر فيه حكم الواحد (هو) في العدد؛ لأنّه بالواحد يظهر العدد، وينشأ على الترتيب الطبيعي؛ من الاثنين إلى ما لا يتناهى. وبزوال الواحد منه؛ يزول. فالمعلول، لولا عِلّته، ما ظهرت له عين. والعالَم، لولا الله، ما وُجد في عينه.

وأعطى -سبحانه- اسم الذات لِنفسه. واسم النفس؛ لما يحمل اسم النفس من التذكير والتأنيث. كما قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[4] الآية، فأنّث. فقال: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ﴾ بكاف مكسورة خطاب المؤنّث ﴿آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾[5] بتاء

---

١ ص ١١٥ب

٢ ق: "بعد" من غير نقط، وما أثبتناه فمن هـ، س.

٣ ص ١١٦

٤ [الزمر : ٥٦]

٥ [الزمر : ٥٩]

مفتوحة خطاب المذكّر، والعين واحدة. فإنّ النفس والعين عند العرب يذكّران ويؤنّثان، وذلك لأجل التناسل الواقع بين الذّكر والأنثى. ولذلك جاء في الإيجاد الإلهيّ بـ"القول" وهو مذكّر، و"الإرادة" وهي مؤنّثة؛ فأوجد العالم عن قولٍ وإرادة؛ فظهر[1] عن اسم مذكّر ومؤنّث، فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ و"شيء": أنكرُ النكرات، و"القول" مذكّر ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ و"الإرادة" مؤنّثة ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] فظهر التكوين في الإرادة عن القول، والعين واحدة بلا شكّ.

فبنور توحيد الذات ظهرت المحدثات[3]: علوا وسفلا، وحسّا[4] ومعنى، ومركّبا ومفردا؛ فسرت الأحديّة في كلّ شيء. فما ثَمّ إلّا واحد، وما ظهر أمرٌ إلّا به، ومنه، وفيه. ففيه من حيث ما للنفس من التأنيث، وبه من حيث ما للنفس من التذكير والتأنيث، ومنه من حيث ما للنفس من التذكير. فعينٌ واحدةٌ، فاعلةٌ، منفعلةٌ. والانفعال (هو) ما ظهر في الأعيان من الموجودات والمعلومات المعقولة، وإن لم يوجد لها عين.

ثمّ جعل التوليد في الحيوانات، بل في كلّ ما يقبل الولادة على ثلاثة أضرب: فـ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ مراعاة لمحلّ التكوين، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[5] مراعاة للمُلقي ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ مراعاة للمجموع. فإن زوّجهم إناثا، أو ذكرانا، أو ذكَرا وأنثى؛ فلوجود الجمع المؤذِن بما في الأصل مِن جَمْع النّسب ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾[6] لمن لا يقبل الولادة؛ كأسماء التنزيه. فما في الوجود أحديّةٌ إلّا أحديّة الكثرة، وليست إلّا الذات. والألوهة لهذه وصفٌ نفسيٌّ؛ لأنّه لذاته هو إلهٌ، و﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[7] فافهم. فلهذا قلنا: أحديّة المجموع، أو أحديّة الكثرة.

فإن قلت: إنّ الله غنيّ عن العالمين؟ فقلنا: هذا لا يقدح في أحديّة الكثرة. فإنّ كونه ذاتا، ما

---

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل

٢ [النحل : ٤٠]

٣ "ظهرت المحدثات" كتب تحتها بقلم آخر: "ظهر جميع الموجودات" مع حرف خ

٤ ص ١١٦ب

٥ [الشورى : ٤٩]

٦ [الشورى : ٥٠]

٧ [طه : ٨]

هو كونه غنيّا. فمعقولُ الذات خلافُ معقول نعتها[1] بالغنى. فأنت، في هذا الاعتراض، مثبتٌ لما تريد نَفْيَه؛ فقوّيتَ قولي. وأعظم من هذه النِّسبة إلى الإله[2]؛ فما ثَمّ (=لا توجد).

وأزيدك أمرا آخر في هذه المسألة. وهو أنّ الله، وإن كان في ذاته غنيّا عن العالمين، فمعلوم أنّه منعوت بالكرم والجود والرحمة، فلا بدّ من مرحوم ومتكرَّم عليه، ولهذا قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3] فأجاب -سبحانه- الداعي جودا وكرما. ولا نشكّ أنّ السؤال بالأحوال أتمّ من السؤال بالقول، والإجابة أسرع للسائل بالحال؛ لأنّه سائل بذاته، والجود على المضطرّ المحتاج أعظمُ في نفس الأمر من الجود على غير المضطرّ، والممكن في حال عدمه أشدُّ افتقارا إلى الله منه في حال وجوده؛ ولهذا لا تُصحب للممكن دعوى في حال عدمه، كما تصحبه في حال وجوده؛ فإفاضة الوجود عليه، في حال عدمه، أعظم في الجود والكرم.

فهو -تعالى- وإن كان غنيّا عن العالمين، فذلك تنزيه عن أن يقوم به فقرٌ، أو يدلّ عليه دليل غير نفسه. فأوجدَ العالَم من جوده وكرمه، وهذا لا يشكّ فيه عاقل ولا مؤمن، وأنّ الجودَ له نعت نفسيٌّ؛ فإنّه جواد كريم لنفسه؛ فلا بدّ من[4] وجود العالَم. وما حَكَم العلم بكونه، يستحيل عدم كونه؛ فلا بدّ من نِسب أو صفات على مذهب الصفاتيّين، أو أسماء على مذهب آخرين، فلا بدّ من الكثرة في العين الواحدة، فلا بدّ من أحديّة الكثرة على كلّ وجه من كلّ قائل؛ بنسبة، أو صفة، أو اسم. فليست أنوار الذات بشيء سوى الموجودات، وهي سبحات الوجه؛ لأنّها عين الدلالات عليه -سبحانه- لنا. ولهذا قال ﷺ: «مَن عَرَف نفسه عَرَف ربّه» فجعل نفسَ العارف، إذا عرفها العارف، دليلا على معرفة الله، والنور دليل على نفسه وعلى ما يظهره للعين.

---

[1] ص ١١٧
[2] "إلى الإله" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب
[3] [البقرة : ١٨٦]
[4] ص ١١٧ب

فبنور الموجودات ظهرت الموجودات، وظهر موجدها لها؛ فما عَلِمته إلّا منها. فهو المطلوب لها، والطلب يؤذن بالافتقار في حقّ المحدَثات. وهو المطلوب؛ فهو الغنيّ. فمن كونه مطلوبا لها: صحّ افتقارها إليه، وصحّ غناه عنها. فقبوله عليها (هو) قبول جود وكرم. فالسبحات الوجهيّة انتشرت على أعيان الممكنات وانعكست؛ فأدرك نفسه. وأنوار الشيء لا تحرقه، والممكن، في حال عدمه، لا يقبل الحرق. فلو اتّصف بالوجود احترق وجودُه؛ لرجوع الوجود إلى من له الوجود[1]. فبقيت الممكنات على حقيقة شيئيّة ثبوتها. وظهر، بالسبحات الوجهيّة، كثرة الممكنات في مرآة الحقّ؛ أدركها الحقّ في ذاته بنوره، على ما تستحقّه الممكنات من الحقائق التي هي عليها؛ فذلك ظهور العالم وبقاؤه. فالحكمة (تبدو) في النظر، وفي كيفيّة ما يدركه البصر، وماذا يدرك؟ ومَن يدرك؟ والله الموفّق.

فَفي الحَقِّ عَيْنُ الخَلْقِ إنْ كُنْتَ ذا عَيْنِ ... وفي الخَلْقِ عَيْنُ الحَقِّ إن كُنْتَ ذَا عَقْلِ
فَإنْ كُنتَ ذا عَيْنٍ وعَقْلٍ مَعًا[2] فَما ... تَرَى غَيْرَ شَيْءٍ واحِدٍ فِيْهِ بِالفِعْلِ
فَإنّ خَيَالَ الكَوْنِ أَوْسَعُ حَضْرَةً ... مِنَ العَقْلِ والإحْساسِ بِالبَذْلِ والفَضْلِ
لَهُ حَضْرَةُ الأَشْكالِ فِي الشَّكْلِ فَاعْتَبِرْ ... تَرَاهُ يَرُدُّ الكُلَّ فِي قَبْضَةِ الشَّكْلِ
فَإنْ قُلْتَ: كُلٌّ، فَهْوَ جُزْءٌ مُعَيَّنٌ ... وإنْ قُلْتَ: جُزْءٌ، قامَ لِلْكُلِّ بِالكُلِّ
فَما ثَمَّ مِثْلٌ غَيْرُهُ مُتَحَقِّقٌ ... بِمُوْجِدِهِ فَهْوَ المُمَثَّلُ لِلْمِثْلِ
فَعِلْمِي[3] بِهِ أَحْلَى إذا ما طَعِمْتُهُ ... وأَشْهَى إِلَى أَذْوَاقِنا مِنْ جَنَى النَّحْلِ

وهنا يظهر لك توحيد الإلحاق. فإنّ الرائي لمّا ظهرت أعيانُ الممكنات في مرآة ذاته، أدركها في نفسه بنوره، فلَحِق المرئيُّ بالرائي؛ حيث أدركه في ذاته؛ وهو واحد في الوجود؛ لأنّ الممكنات المرئيّة منعوتةٌ، في هذه الحالة، بالعدم؛ فلا وجود لها، مع ظهورها للرائي، كما ذكرناه. فسمّي هذا الظهور: توحيد إلحاق؛ أي أَلْحَقَ الممكنَ بالواجب في الوجوب، فأوجب للممكن ما

---

[1] ص ١١٨
[2] ثابتة في الهامش بقلم الأصل
[3] ص ١١٨ب

هو عليه الواجبُ لنفسه من النِّسب والأسماء.

فله الإيجاد على الإطلاق، ما عدا نفسه -تعالى-، وللخيال الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه. فالخيال موجود لله ﷻ في حضرة الوجود، والحقُّ موجود للخيال في حضرة الانفعال الممثَّل.

فالكُلُّ يَدْخُلُ تَحْتَ الحَصْرِ أجمعه ... فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَى مَنْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ
فاعْجَبْ لِمُنْفَعِلٍ فِي ذَاتِ فاعِلِهِ ... يَكُنْ بِهَا فاعِلًا والكُلُّ قَدْ جَمَعُوا
عَلَى[1] وُجُودِ الذِي قُلْناهُ مِنْ عَجَبٍ ... وَكُلُّهُمْ بِالذِي جِئْنا بِهِ قَطَعُوا

فإذا ثبت إلحاق الخيال في قوّة الإيجاد بالحقّ ما عدا نفسه، فهو على الحقيقة المعبَّر عنه بالإنسان الكامل؛ فإنّه ما ثَمّ على الصورة الحقّيّة مثله. فإنّه يوجِدُ في نفسه كلَّ معلوم ما عدا نفسه، والحقُّ نِسبةُ الموجودات إليه (هي) مثلُ هذه النِّسبة. فتوحيدُ الإلحاق (هو) توحيدُ الخيال، مع كونه من الموجودات الحادثة، إلّا أنّ له هذا الاختصاص الإلهيّ الذي أعطته حقيقته؛ فما قَبِل شيء من المحدَثات صورة الحقّ سِوَى الخيال.

فإذا تحقّقتَ ما قلناه علمتَ أنّه في غاية الوصلة. وهذا يسمّى: توحيد الوصلة، والاتّصال، والوصل. كيف شئت قل. فلم نفرّق في هذا التوحيد بين المِثلين، إلّا بكونهما مِثلين، لا غير. فهما كما قال القائل:

رَقَّ الزُّجاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ ... فَتَشاكَلا فَتَشابَهَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّما خَمْرٌ وَلا قَدَحٌ ... وَكَأَنَّما قَدَحٌ وَلا خَمْرُ

فمن[2] شدّة الاتّصال يقول: هو هو، ظهر في موطنين معقولين. لولا الموطنان ما عرفتَ ما حكمتَ به من التمييز بين المِثلين، فما خرج شيء من الموجودات عن التشبيه. ولهذا قال:

١ ص ١١٩
٢ ص ١١٩ب

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فأتى بكاف الصفة، ما هي الكاف زائدة كما ذهب إليه بعض الناس، ممن لا معرفة له بالحقائق؛ حذرا من التشبيه. فنفى أن يماثل المِثل غير مِثله. فنَفْيُ المِثل عن مِثل المماثل (هو) نفيُ المِثل عن المماثِل؛ فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض.

مِثْلُ انْدِراجِ المِثْلِ فِي المِثْلِ ... فِي صُورَةِ العَيْنِ وفِي الشَّكْلِ
وَهُو عَلَى التَّحْقِيقِ فِي ذاتِهِ ... مِثْلُ انْدِراجِ الظِّلِّ فِي الظِّلِّ

فهذا قد ذكرنا شيئا يسيرا مما يحتوي عليه هذا المنزل. وفيه من العلوم سِوَى ما ذكرناه:

علم منزلة عِلم الله من الله؛ وأين هي من منزلة غيره من الصفات المنسوبة إليه، وكم تراجمها في الموجودات؟

وفيه عِلْمُ الفرض المنزل، وأين هو من علم الفرض المستنبط من[2] المنزل؟

وفيه عِلْمُ الأدلّة والبراهين العقليّة التي تحكم على موجِدها بما يستحقّه، وتصديقه إيّاها -سبحانه- فيما حكمتْ به عليه. فإنّ الله ما نصب بعض الآيات إلّا لأُولي الألباب، وهم الذين يعقلون معانيها بما ركّب فيهم -سبحانه- من القوّة العقليّة، وجعل نفس العقل للعقل آية، وأعطاه القوّة الذاكرة المذكِّرة، التي تذكِّره ما كان تجلّى له من الحقّ حتى عرفه شهودا ورؤية، ثمّ أرسل حجب الطبيعة عليه، ثمّ دعاه إلى معرفته بالدلالات والآيات، وذكَّره أنّ نفسه أوّلُ دلالة عليه فلينظر فيها.

وفيه عِلْمُ الحدود التي توجب للناظر العاقل الوقوف عندها. فللظاهر حدٌّ، وللباطن حدّ، وللمطلع حدّ، وللحد حدّ. فمن وقف عند حدِّ نفسه، فأحرى أن يقف عند حدّ غيره. فهذا الحدّ قد عمّ كلَّ ما ذكرناه، وما هو الوجود عليه. ولولا الحدود ما تميّزت المعلومات، ولا كانت معلومات. ولذلك لَعَنَ اللهُ على لسان رسوله مَن غيَّر منار الأرض، يعني الحدود.

ولمّا اجتمع المِثلان لأنفسهما، ولم يتوقّفا على[1] تعيين موجدهما، توجّهتْ عليهما الأسماء الإلهيّة

١ [الشورى : ١١]
٢ ص ١٢٠

الحسنى بمائة درجة جنانيّة، تحجبها مائة دركة جهنّميّة، على مرأى من أهل الكشف؛ فسعدا بهذا الاجتماع الذي أوجب لهما توجُّه العالم الأخراويّ برمّته.

وفيه عِلْمُ اجتماع المِثلين في الحكم النفسيّ، وإلّا فليسا بمِثلين.

وفيه عِلْمُ ما يشرك به الشيء من ليس مثله، فهو مثله من ذلك الوجه الذي أشركه فيه خاصّة، وينفصل عنه بأمور أُخر له فيها أمثال. فما ثَمّ معلوم ما له مِثلٌ جملة واحدة، فما ثَمّ إلّا أمثالٌ وأشباه. ولذلك ضرب الله الأمثال، ونهى عن ضربنا الأمثال له، وعلّل فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] فمن علّمه الحقّ ضَرْبَ الأمثال ضَرَبَها على علم. فلا يضرب الأمثال إلّا العلماء بالله الذين تولّى اللهُ تعليمهم، وليس إلّا الأنبياء والأولياء. وهو مقامٌ وراء طوْر العقل، يريد أنّه لا يستقلّ العقل بإدراكه، من حيث ما هو مفكِّر؛ فإنّ الذي عند العقل من العلم بالله، من حيث فكره؛ علم التنزيه. وضرب الأمثال تشبيه، وموضع التشبيه من ضرب المَثل دقيق، لا يعرفه إلّا من عرف المشبَّه والمشبَّه به، والمشبَّه به غير معروف. فالأمر الذي تحقّق منه ضَرْب المَثل له مجهول، فالنظر فيه من حيث الفكر حرام على كلّ مؤمن، وهو في نفس الأمر ممنوع الوصول[3] إليه عند كلّ ذي عقل سليم.

وفيه عِلْمُ التربيع من حيث الشهود.

وفيه عِلْمُ السبب الذي لأجله طُلب من المدّعي الدلالة على ما ادّعاه، وذلك لأنّه يريد التحكّم بما ادّعاه، والتحكّم صفة إلهيّة، والمدّعى فيه معنى الغيب والشهادة. فالشهادة بانتْ بعينها، ولو لم تُدَّعَ[4] لأغنى عينُها فيه عند المشاهد عن الدّعوى. والغيب يحتاج معه إلى إقامة البيّنة على ما ادّعى. ويعترض هنا أمر عظيم؛ وهو المعترِف بأمر يوجب الحدّ، واعترافه على نفسه دعوى، ولا يطالَب ببرهان، بل تمضي فيه الحدود؛ فقد خرج هذا المدّعي بدعواه، عن ميزان ما تطلبه

1 ص 120ب
2 [النحل : 74]
3 ص 121
4 كتب مقابلها في الهامش بقلم آخر: "تدّعها" مع إشارة التصويب وحرف خ

الدّعوى بحقيقتها. وأمّا التحكّم من المعترف بما ادّعاه، وإن كان كاذبا على نفسه في دعواه، فإنّه قد تحكّم فيك أن تقيم عليه الحدَّ، الذي يتضمّنه ما اعترف به.

وهنا دقائق تغيب عن أفهام أكثر العارفين. فإنّ المعترف قد يكذب في اعترافه؛ ليدفع، بذلك، في زعمه، ألما يعظم عنده على الألم الذي يحصل له من الاعتراف، إذا أقيمتْ عليه حدوده. وذلك لجهله بما يؤول إليه أمره عند الله في ذلك، ولجهله بما لنفسه عليه من الحقّ. والله يقول: إنّا لا نُصلح منك شيئا أفسدتَه من نفسك[1]. فالحقوق، وإن عظمتْ، فحقّ الله أحقّ، ويليه حقُّ نفسك. وما خرج عن هذين الحقّين؛ فهيّنُ الخطب.

وفيه عِلْمُ من اتّخذ الله دليلا: في أيّ موطن يتّخذه؟ وما دعواه التي توجب له ذلك؟

وفيه عِلْمُ الآداب الإلهيّة، ومعرفة المواطن التي ينبغي أن تُستعمل فيها. وأكثر ما يظهر ذلك في باب الإيمان بالله.

وفيه عِلْمُ المواخاة بين الفضل الإلهيّ والرحمة، وهل بين الآلام والرحمة مؤاخاة، أم لا؟ من باب دفع ألم كبير بألم دونه.

وفيه عِلْمُ الأمر الذي يكرهه الطبع، ويحمده الحقّ، وما يُغَلَّبُ من ذلك؟ ومَن يجني ثمرة ذلك الكُره، ومرارة تلك الفظاعة ذوقا؟

وفيه عِلْمُ تصريف الحكمة الإلهيّة في النوع الإنسانيّ خاصّة دون سائر المخلوقات.

وفيه عِلْمُ ما ينبغي أن يكون عليه العاقل إذا رأى في الوجود ما يقضي- له العقل بالوقوف عنده، والعدول عمّا في الأخذ به من مذامّ الأخلاق.

وفيه[2] عِلْمُ ما يعلمه الإنسان في زعمه، وهو في نفس الأمر على خلاف ذلك؛ كيف يعلمه الله: هل يعلمه كما هو عليه في نفسه؟ أو كما هو في عِلم هذا العالِم في زعمه؟ وهي مسألة صعبة في الشرع. وأمّا في العقل فهي هيّنة الخطب.

1 ص 121ب
2 ص 122

وفيه عِلْمُ ما يعظ به العالِم مَن هو دونه، وتربية الشيخ للتلميذ الإلهيّ.

وفيه عِلْمُ ما ينفي[1] أن يكون في المعلوم ضِدّان من جميع الوجوه جملة واحدة، من غير أن يكون بينهما مثليّةٌ بوجهٍ مّا.

وفيه عِلْمُ ما تنتجه مؤاخاة الصفات المِثليّة الإلهيّة في الكون؟

وفيه عِلْمُ الرمي المحسوس والمعنويّ، وما يقع فيه الاشتراك؟ وما لا يقع فيه اشتراك من ذلك؟

وفيه عِلْمُ نِسبة الكلام إلى كلّ صنف صنف من المخلوقات كلّها.

وفيه عِلْمُ أُلفة النِّسب، وهل يقع بين المتناسبين افتراق معنويّ أم لا؟

وفيه عِلْمُ التصرُّف في الخلاء؛ وهل يصحّ تصرُّف في الملأ، أم لا؟ وهل[1] في العالم خلاء؟ أو هو كلّه ملأ؟ وحكمة وجود الأجسام مختلفة فيما يقبل الخرق منها بسهولة، وما لا يقبل الخرق إلّا بمشقّة. وما شقّ منها، وما لم يشقّ؟ وما لطف منها، وما كثف؟ وقوّة الألطف على الأكثف حتى يزيله ويخرقه.

وفيه عِلْمُ حكمة التحيّة في العالم دنيا وآخرة.

وفيه عِلْمُ هل للبصر أثر في المبصر، أم لا؟

وفيه عِلْمُ ما يحفظ به الخرق بين الشيئين حتى لا يلتئما.

وفيه عِلْمُ الفاعل والمنفعل خاصّة، لا الانفعال.

وفيه عِلْمُ الاستعدادات التي يقبل صاحبها التعليم ممن لا يقبله، وإذا رأى الشيخ ذلك: هل يبقى على تعليمه وتربيته؟ أم يقصر في ذلك؟ أو يتركه رأسا؟ فمن الناس من يرى أنّه يتركه، أو يقصر في أمره حتى يتركه التلميذ من نفسه، ومنهم من يقول: إنّ الشيخ يبذل المجهود في تعليم

١ ص ١٢٢ب

مَن يعلم منه أنّه لا يقبل، وما عليه إلّا ذلك. فيوفّي حقَّ ما يجب عليه، ولا يلزمه إلّا ذلك؛ فإنّه ليس بمضيّع زمانا في ذلك. وهذا هو الحقّ عند الأكابر، ومعاملة الحقّ بما تستحقّه الربوبيّة. وقد جاء في الشرع المطهّر: «لأزيدنّ على السبعين» وأمّا التبرّي منه بعد البيان، فلا يناقض التعليم والإرشاد، وإن لم يقبل. فإنّه، وإن تبرّأ[1] منه في قلبه، وفي الدعاء له، فلا يتبرّأ بما بعث به. فله أن يقول ويعلم ما يلزمه إلّا هذا. ورأينا جماعة من أهل الله على خلاف هذا، وهو غلط عظيم.

وفيه عِلْمُ نيابة هاء الهويّة عن هاء التنبيه، وكم مرتبة لها في العلم الإلهيّ؟

وفيه عِلْمُ ما يذهب الفقر من النكاح، وبه كان يقول أبو العبّاس السبتي صاحب الصدقة بمراكش، رأيته وعاشرته. فرأيته، وجاءه إنسان يشكو الفقر، فقال: تزوّج. فتزوّج، فشكا إليه الفقر. فقال: تزوّج أخرى. فتزوّج اثنتين[2]، فشكا إليه الفقر. فقال له: ثلّث. فثلّث، فشكا إليه[3] الفقر. فقال له: ربّع. فربّع. فقال الشيخ: قد كمل؛ فاستغنى، ووسّع الله في رزقه. ولم يكن في نسائه اللّاتي أخذهنّ مَن عندها شيء من الدنيا، فأغناه الله[4].

وفيه عِلْمُ الاسترقاق الكونيّ، والتخلّص منه، وما لمن يسعى في تخليص الإنسان من رقّ الأمثال له؟ وهل يوازن فكُّ العاني حرّيّةَ العبد، أم لا؟

وفيه عِلْمُ مقامات رجال الله.

وفيه عِلْمُ ما يجتمع فيه خلق الله؟

وفيه عِلْمُ الآثار العُلويّة.

وفيه عِلْمُ الكون والفساد.

وفيه عِلْمُ الحيوان.

١ ص ١٢٣
٢ س، هـ: اثنين
٣ من هـ فقط
٤ "فرأيته.. الله" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب

وفيه عِلْمُ الاستجلاب والاستنزال.

وفيه عِلْمُ ما يحتاج إليه النوّاب.

وفيه[1] عِلْمُ أحكام المكلَّفين، وبماذا يتعلّق التكليف؟

وفيه عِلْمُ رفع الحرج من العالم في حقّ هذا العالم به، مع وجود الحرج في العالم.

وفيه عِلْمُ إلحاق الأجنبيّ بالرحم.

وفيه عِلْمُ مَن لم ير غير نفسه في شهوده: ما حكمه في ذلك في معاملته نفسَه؟

وفيه عِلْمُ الاختيار والجبر.

وفيه عِلْمُ ما يعطيك العلم بكلّ شيء، وهو العلم الإلهيّ.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ص ١٢٣ب
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الأحد والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل الاشتراك مع الحقّ في التقدير
(وهو من الحضرة المحمديّة)

لَوْ كانَ فِي الكَوْنِ غَيْرُ اللهِ ما وَجَدُوا   مَا كانَ مِنْ فاعِلٍ فِيْهِ ومُنْفَعِلِ

لَكِنَّهُ واحِدٌ فِي الكَوْنِ مُنْفَرِدٌ   بِالاخْتِراعِ وبِالتَّبْدِيلِ لِلدُّوَلِ

ولَيْسَ يَرْجِعُ تَكْوِينٌ إِلَى عَدَمٍ   وَلا اسْتِقامَتُهُ فِي العَيْنِ عَنْ مَيَلِ

فانْظُرْ[1] إِلَى دُوَلٍ فِي طَيِّها مِلَلٌ   وانْظُرْ إِلَى مِلَلٍ تبتزّ[2] عَنْ نِحَلِ

وارْقَ بِهِ فَلَكًا مِنْ فَوْقِهِ فَلَكٌ   مِنَ الهِلالِ عَلَى قَصْدٍ إِلَى زُحَلِ

أَتَى بِها مَلَكٌ مِنْ سِدْرَةٍ بَلَغَتْ   نِهايَةَ الأَمْرِ فِي سِتْرٍ مِنَ الكِلَلِ

وَلا تُنادِ بِما نادَتْ بِهِ فِرَقٌ   يا مَبْدَأَ الأَمْرِ بَلْ يا عِلَّةَ العِلَلِ

لأَنَّهُ لَقَبٌ أَعْطَتْ مَعالِمُهُ   فَقْرًا يَقُومُ بِهِ كَسائِرِ العِلَلِ

اعلم -أيّدك الله بروح منه- أنّ الله ﷻ يقول لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3] على جهة التشريف والاختصاص لآدم عليه السلام: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ في نظرك، وكذلك كان. فإنّه أخبر عنه أنّه استكبر. وقال لنا ﷻ في كتابه العزيز إنّ إبليس قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[4] وقال لمّا قيل له: اسجد: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[5] فهذا معنى قولنا: "في نظرك"، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ في نفس الأمر، أي[6] أنّك في نفس الأمر خير منه. فهنا ظهر جهلُ إبليس. وقد يريد بالعالين: الملائكة المهيّمة في جلال الله، الذين لم يدخلوا تحت الأمر بالسجود. وهم أرواحٌ، ما هم ملائكة.

١ ص ١٢٤
٢ س، هـ: تبين. ومعنى تبتز: تسلب وتؤخذ
٣ [ص : ٧٥]
٤ [ص : ٧٦]
٥ [الإسراء : ٦١]
٦ ص ١٢٤ب

فإنّ الملائكة هي الرسل من هذه الأرواح؛ كجبريل عليه السلام وأمثاله. فإنّ الألوكة هي الرسالة في لسان العرب. فالملائكة هم الرسل من هذه الأرواح خاصة، فما بقي مَلَك إلّا سجد؛ لأنّهم الذين قال الله لهم: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[1]. ولم تدخل الأرواح المهيّمة فيمن خوطب بالسجود؛ فإنّ الله ما ذكر أنّه خاطب إلّا الملائكة. ولهذا قال: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[2] ونصبَ إبليس على الاستثناء المنقطع، لا المتصل. وهذه الأرواح المهيّمة في جلال الله لا تعلم أنّ الله خلق آدم ولا شيئا؛ لشغلهم بالله.

يقول الله لإبليس: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي من هؤلاء الذين ذكرناهم، فلم تؤمر بالسجود؟ والسجودُ التطاطئ في اللسان؛ لأنّ آدم خُلق من تراب، وهو أسفل الأركان، لا أسفل منه. ومن هنا تعرف شرف نقطة الدائرة على محيطها؛ فإنّ النقطة أصل وجود المحيط. فالعالون ما أُمروا بالسجود؛ لأنّهم ما جرى لهم ذِكْرٌ في تعريف الله إيّانا. ولولا ما ذكر اللهُ إبليسَ بالإباية، ما عرفنا أنّه أُمر بالسجود. فما أضاف آدم إلى يديه إلّا على جهة التشريف على[3] غيره والتنزيه؛ لِتُعلم منزلته عند الله.

ثمّ زاد في تشريفه بخلقه باليدين قوله معرّفا الأناسيّ الحيوانيّين بكمال الأناسيّ المكمّلين: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الضمير في "يروا" يعود على الأناسيّ الحيوانيّين ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ أي من أجلهم، فالضمير في "لهم" يعود على الناس الكمّل المقصودين من العالم بالخطاب الإلهيّ ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فأضاف عمل[4] الخلق إلى الأيدي الإلهيّة. وعمّ الأسماء الإلهيّة، بالنون من "أيدينا" ﴿أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[5] إنعامًا؛ وذلك لتمام التشريف الذي شرف به آدم عليه السلام في إضافة خلقه إلى يديه ﴿أَنْعَامًا﴾ وهي من إنعامه عليهم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ فملكوها بتمليك الله. بخلاف الإنسان الحيوان، فإنّه يملكها عند نفسه بنفسه، غافلا عن إنعام الله عليه بذلك. فيتصرّف في المخلوقات

١ [البقرة : ٣٤]
٢ [الحجر : ٣٠]
٣ ص ١٢٥
٤ ثابتة في الهامش
٥ [يس : ٧١]

الإنسانُ الحيوانُ بحكم التبعيّة، ويتصرّف الإنسانُ الكاملُ فيها بحكم التمليك الإلهيّ. فتصرُّفه فيها بيد الله، وبمال الله الذي آتاه كما قال -تعالى- آمِرا في حقّ المماليك: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[1].

فكلُّ مخلوق في العالم، فمضافٌ خلقُه إلى يد إلهيّة؛ لأنّه قال: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فجمع. فكلّ يد خالقة في العالم، فهي يَدُه: يد مِلك وتصريف. فالخلق كلّه لله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ[2]﴾[3]. وقد ورد في شجرة طوبى أنّ الله غرسها بيده، و«خلق جنّة عدن بيده» وهي دار المقامة، وثنّى اليد، وجمعها، ووحّدها. وما ثنّاها إلّا في خلق آدم عليه السلام، وهو الإنسان الكامل. ولا شكّ أنّ التثنية برزخٌ بين الجمع والإفراد، بل هي أوّل الجمع. والتثنية تقابل الطرفين بذاتها، فلها درجة الكمال؛ لأنّ المفرد لا يصل إلى الجمع إلّا بها، والجمع لا ينظر إلى المفرد إلّا بها.

فبالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة؛ فهو قلبٌ لجسم العالم، الذي هو عبارة عن كلّ ما سِوَى الله. وهو البيت المعمور بالحقّ لمّا وسعه. يقول -تعالى- في الحديث المرويّ: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» فكانت مرتبة الإنسان الكامل، من حيث هو قلب؛ بين الله والعالَم. وسمّاه بالقلب؛ لتقليبه في كلّ صورة: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[4] وتصريفه واتّساعه في التقليب والتصريف، ولذلك كانت له هذه السعة الإلهيّة؛ لأنّه وصف نفسه -تعالى- بأنّه كلّ يوم في شأن. واليوم هنا: الزمن الفرد في كلّ شيء. فهو في شئون، وليست التصريفات والتقليبات كلّها في العالَم سِوَى هذه الشئون التي الحقُّ فيها. ولم يرد نصّ عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أنّه أعطي "كن" سِوَى[5] الإنسان خاصة؛ فظهر ذلك في وقتٍ في النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فقال: «كن أبا ذر» فكان أبا ذر.

وورد الخبر، في أهل الجنّة، أنّ الملَك يأتي إليهم، فيقول لهم بعد أن يستأذن في الدخول

١ [النور : ٣٣]
٢ ص ١٢٥ب
٣ [الأعراف : ٥٤]
٤ [الرحمن : ٢٩]
٥ ص ١٢٦

عليهم، فإذا دخل ناولهم كتابا من عند الله، بعد أن يسلِّم عليهم من الله. فإذا في الكتاب لكلّ إنسان يخاطَب به: "من الحيّ القيّوم الذي لا يموت، إلى الحيّ القيّوم الذي لا يموت. أما بعد: فإنّي أقول للشيء: كن فيكون، وقد جعلتك تقول للشيء: كن فيكون" فقال ﷺ: «فلا يقول أحد من أهل الجنّة لشيءٍ: كن، إلّا ويكون» فجاء بـ"شيء" وهو مِن أنكر النكرات، فعمّ.

وغايةُ الطبيعة (هو) تكوين الأجسام وما تحمله، مما لا تخلو عنه وتطلبه بالطبع. ولا شكّ أنّ الأجسامَ بعضُ العالَم، فليس لها العموم. وغايةُ النفس (هو) تكوينُ الأرواح الجزئيّة في النشآت الطبيعيّة، والأرواح جزء من العالم، فلم يعمّ. فما أُعطي العموم إلّا الإنسان الكامل، حامل السرّ الإلهيّ. فكلّ ما سِوَى الله جزء من كلِّ الإنسان. فاعقل إن كنت تعقل، وانظر في كلّ ما سِوَى الله، وما وصفه الحقُّ به، وهو قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] ووصف الكلَّ بالسجود، وما جعل لواحد منهم أمرا في العالَم، ولا نهيا، ولا خلافة، ولا تكوينا[2] عاما؛ وجعل ذلك للإنسان الكامل.

فمن أراد أن يعرف كمالَه، فلينظر في نفسه: في أمره، ونهيه، وتكوينه؛ بلا واسطة لسان، ولا جارحة، ولا مخلوق غيره؛ فإن صحّ له المضاء في ذلك، فهو على بيّنة من ربّه في كماله؛ فإنّه عنده شاهد منه، أي من نفسه؛ وهو ما ذكرناه. فإن أَمر، أو نهى، أو شرع في التكوين؛ بوساطة جارحة من جوارحه؛ فلم يقع شيء من ذلك، أو وقع في شيء دون شيء، ولم يعمّ مع عموم ذلك، بترك الواسطة؛ فقد كمل. ولا يقدح في كماله ما (=الذي) لم يقع في الوجود عن أمره بالواسطة؛ فإنّ الصورة الإلهيّة بهذا ظهرتْ في الوجود. فإنّه أمر -تعالى- عبادَه على ألسنة رسله -عليهم السلام- وفي كتبه. فمنهم مَن أطاع، ومنهم مَن عصى. وبارتفاع الوسائط لا سبيل إلّا الطاعة خاصّة، لا يصحّ ولا تمكن إباية. قال ﷺ: «يد الله مع الجماعة» وقدرته نافذة.

ولهذا إذا اجتمع الإنسان في نفسه، حتى صار شيئا واحدا؛ نفذتْ همّته فيما يريد. وهذا ذوقٌ

١ [الإسراء : ٤٤]
٢ ص ١٢٦ب

أجمع عليه أهلُ الله قاطبة، فإنّ «يدَ الله مع الجماعة» فإنّه بالمجموع ظهر العالم، والأعيان ليست إلّا هو. انظر في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ثمّ قال: ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ وهو ما دون الثلاثة ﴿وَلَا[1] أَكْثَرَ﴾ وهو ما فوق الثلاثة إلى ما لا يتناهى من العدد ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[2] وجودا أو عدما، حيثما فُرضوا. فهو -سبحانه- ثانٍ للواحد، فإنّ المعيّةَ لا تصحُّ للواحد من نفسه؛ لأنّها تقتضي الصحبة، وأقلّها اثنان. وهو ثالث للاثنين، ورابع للثلاثة، وخامس للأربعة؛ بالغا ما بلغ. وإذا أُضيفت المعيّة للخلق دون الحقّ، فمعيّة الثاني ثاني اثنين، ومعيّة الثالث للاثنين ثالث ثلاثة، ومعيّة الرابع للثلاثة رابع أربعة؛ بالغا ما بلغ؛ لأنّه عين ما هو معه في المخلوقيّة؛ فهو من جنسه. والحقّ ليس كذلك، فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] فليس بثالث ثلاثة، ولا خامس خمسة، فافهم. فقد تبيّن الحقّ من الخلق من وجهٍ، وقد ظهر بصورته أيضا من وجهٍ.

واعلم أنّ الطبيعةَ ظلّ النفس الكلّيّة الموصوفة بالقوّتين، المعبَّر عنها بلسان الشرع بـ"اللوح المحفوظ". فما لم يمتدّ من ظلّ النفس وبقي فيها، فهو الذي نزلتْ به عن العقل في درجة النوريّة[4] والإضاءة. وما امتدّ من ظلّ النفس: سمّي "طبيعة" وكان امتداد هذا الظلّ على ذات الهيولَى الكلّ، فظهر من جوهر الهيولَى والطبيعة: الجسم الكلّ مظلما، ولهذا شبّهوه بالسبَجَة السوداء؛ لهذه الظلمة الطبيعيّة. وسمّوا النفس: "الزُّمُرُّذَة الخضراء[5]" لما نزلتْ به عن العقل في النور. وفي الجسم الكلّ ظهرت صور عالم الأجسام وأشكاله. فكان ذلك للجسم الكلّ كالأعضاء.

فلمّا استعدّ الجسم لما استعدّ به، توجّهتْ عليه النفس وأنارته؛ فانتشرت الحياة في جميع أعضائه كلِّها؛ فتلك أرواح عالم الأجسام العُلويّ والسفليّ، من فلَك وعنصر. ثمّ استحال بعضه إلى بعضه؛ لتأثير حكم الحركة الزمانيّة التي عيّنها الاسم الدهر في الأفلاك. فظهرت للعين صور

١ ص ١٢٧
٢ [المجادلة : ٧]
٣ [الشورى : ١١]
٤ ق: "النور" وعدلت في الهامش، مع إشارة التصويب
٥ ص ١٢٧ب

المولّدات: الفلكيّة كالكواكب، والجنّات، ومَن فيها وما فيها[1]؛ والعنصريّة من معدن، ونبات، وحيوان؛ وصور غريبة، وأشكال عجيبة، في عين وجوديّة. فما خرج شيء من العدم إلّا الصور والأعراض، من تركيب وتحليل. والجوهر ثابت العين، قابل لهذه الصور كلّها: دنيا وآخرة.

وإذا علمتَ هذا وتقرّر، فاعلم أنّ قوله -تعالى-: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾[2] أنّ المعنى المراد من ذلك (هو) التقدير والإيجاد. فالتدبير للتقدير، والتفصيل للإيجاد؛ من فصلت الشيء عن الشيء؛ إذا قطعته منه، وفصلت بينه وبينه حتى تميّز. فإن كان الفصل عن تقدير، فهو على صورته وشكله. وإن كان عن غير تقدير، فقد لا يكون على صورته، وإن أشبهه في أمر مّا فإنّه يفارقه في أمر آخر. كالبياض والسواد يشتركان في اللونيّة، وإن كانا ضدّين. وكاللون والحركة يشتركان في العرَضيّة، وإن[3] كانا مختلفين. قال الشاعر:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ الناسِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

كالإسكاف وأمثاله من صانع، وخيّاط، وحدّاد، وأمثال ذلك؛ يريد أن يقطع من جلدٍ نعلا؛ فيأخذ نعلا[4]؛ فيقدّره على الجلد. فإذا أخذ مقداره[5] من الجلد؛ قطع من الجلد ذلك المقدار، وفصله منه. والظلالات أوجدها الله على مثال الأشخاص، ولمّا أراد فصلَها؛ مدَّها؛ فظهرت أعيانها على صورة مَن هي ظلّه؛ حَذْوَكَ النعل بالنعل.

فلمّا خلق الله العالَم دون الإنسان، أي دون مجموعه، فهذا صورته (أي صورة الإنسان) على صورة العالَم كلّه؛ فما في العالم جزء إلّا وهو على صورة الإنسان. وأريد بالعالَم كلَّ ما سِوَى الله. ففصله عن العالَم بعد ما دبّره، وهو عين الأمر المدبَّر. ثمّ إنّه -تعالى- حذاه حذوا معنويّا على حضرة الأسماء الإلهيّة، فظهرت فيه ظهور الصور في المرآة للرائي. ثمّ فصله عن حضرة الأسماء الإلهيّة، بعد ما حصلت فيه قواها؛ فظهر بها في روحه وباطنه. فظاهِر الإنسان خَلْقٌ،

١ "والجنات.. فيها" ثابتة في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٢ [الرعد : ٢]
٣ ص ١٢٨
٤ "فيأخذ نعلا" لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س
٥ س، هـ: قدرة

وباطنه حقّ. وهذا هو الإنسان الكامل المطلوب. وما عدا هذا فهو الإنسان الحيوانيّ. ورتبة الإنسان الحيوانيّ من الإنسان الكامل[1]، رتبةُ خلق النسناس من الإنسان الحيوان. هذا جملة الأمر في خلق الإنسان الكامل، من غير تفصيل.

وأمّا تفصيل خلقه، فاعلم أنّ الله لمّا خلق الأركان الأربعة دُونَ الفلَكِ[2]، وأدارها على شكل الفلَك، والكلّ أشكالٌ في الجسم الكلّ.

(الأمر الأوّل: النار):

فأوّل حركة فلكيّة ظهر أثرها فيما يليها من الأركان؛ وهو النار. فأثّر فيه اشتعالا؛ بما في الهواء من الرطوبة. فكان ذلك الاشتعال واللهب من النار والهواء، وهو المارج، أي المختلط، ومنه سمّي المرج: مرجا؛ لأنّه يحوي على أخلاط من الأزهار والنبات، ومنه وقع الناس في هرج -أي: قتل- ومَرَج، أي اختلاط. ففتح الله في تلك الشعلة الجانَّ.

ثمّ أفاضت الكواكب النيّرة بأمر الله وإذنه، فإنّه أوحى في كلّ سماء أمرها؛ فطرحت شعاعها على الأركان، والأركان مطارح الشعاعات. فظهرت الأركان بالأنوار، وأشرقت وأضاءت. فأثّرت، وولّدت فيها: المعدن، والنبات، والحيوان. وهي، على الحقيقة، التي أثّرت في نفسها. لأنّ الأفلاك، أعني السماوات، إنما أوجدها الله عن الأركان، ثمّ أثّرت في الأركان بحركاتها وطَرْحِ شعاعات كواكبها؛ ما تولّد فيها من المولّدات. فبضاعتها رُدَّتْ إليها، فما أثّر فيها سِوَاها. وجعل ذلك من أشراط الساعة؛ فإنّه من أشراطها: «أن تلد المرأة بعلَها» فولدت الأركانُ الفلَكَ؛ ثمّ نكحها الفلَكُ؛ فولّد فيها ما ولّد. فهو ابنُها زوجُها.

ولم يظهر في الأركان صورة للإنسان، الذي هو[3] المطلوب من وجود العالم. فأخذ التراب اللزج، وخلطه بالماء؛ فصيّره طينا بيديه -تعالى- كما يليق بجلاله؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4]

١ "المطلوب.. الكامل" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب
٢ ص ١٢٨ب
٣ ص ١٢٩
٤ [الشورى : ١١]

وتركه مدّة يختمر، بما يمرّ عليه من الهواء الحارّ الذي يتخلّل أجزاء طينته. فتخمّر وتغيّرتْ رائحته، فكان حمأ مسنونا، متغيّر الريح. ومن أراد أن يرى صدق ذلك، إن كان في إيمانه خلل، فليحكَّ ذراعه بذراعه حكًّا قويًّا، حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه؛ ثمّ يستنشقه. فيجد فيه رائحة الحمأة، وهي أصله الذي خلق الجسم منها. قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[1] و﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[2].

فلمّا ظهرت فخّارة الإنسان، بطبخ ركن النار إيّاها، والتأمتْ أجزاؤه، وقوِيتْ، وصلبتْ؛ قَصَرَها[3] بالماء الذي هو عنصر الحياة؛ فأعطاها الماءُ من رطوبته، وآلَانَ بذلك من صلابة الفخار ما آلَانَ؛ فَسَرَتْ فيه الحياة. وأمدّه الركنُ الهوائيُّ، بما فيه من الرطوبة والحرارة، ليقابل بحرارته بردَ الماء؛ فامتنعا.

فتوفّرت الرطوبة عليه؛ فأحال جوهرة طينته إلى لحم، ودم، وعضلات، وعروق، وأعصاب، وعظام. وهذه كلّها أمزجة مختلفة؛ لاختلاف آثار طبيعة العناصر، واستعدادات أجزاء هذه النشأة. فلذلك اختلفتْ أعيان هذه النشأة الحيوانيّة، فاختلفت أسماؤها، ليتميّز كلّ عين من غيره.

وجعلَ غذاء هذه النشأة[4] مما جُعلت منه، والغذاء سبب في وجود النبات، وبه ينمو. فعبَّر عن نموّه، وظهور الزيادة فيه، بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[5] ومعناه: فنبتّم نباتا. فإنّ مصدر "أنبت" إنما هو "إنبات" فأضاف النبات إلى الشيء الذي ينمو. يقول: جعل غذاءكم منها. أي مما تنبته، فتنبتون به. أي تنمي أجسامكم وتزيد.

فلمّا أكمل النشأة[6] الجسميّة النباتيّة الحيوانيّة، وظهر فيها جميع قوى الحيوان؛ وأعطاه الفكر

١ [الرحمن : ١٤]
٢ [الحجر : ٢٦]
٣ قصرها: حبسها
٤ ص ١٢٩ب
٥ [نوح : ١٧]
٦ كتب في الهامش مقابلها "نشأته" مع إشارة التصويب

من قوّة النفس العمليّة، وأعطاه ذلك من قوّة النفس العلميّة، من الاسم الإلهيّ "المدبّر" فإنّ الحيوان، جميع ما يعمله من الصنائع وما يعلمه؛ ليس عن تدبير ولا رويّة؛ بل هو مفطور على العلم بما يصدر عنه؛ لا يعرف من أين حصل له ذلك الإتقان والإحكام؛ كالعناكب، والنحل، والزنابير. بخلاف الإنسان، فإنّه يعلم أنّه ما استنبط أمرا من الأمور، إلّا عن فكر ورويّة وتدبير. فيعرف من أين صدر هذا الأمر؟ وسائر الحيوان يعلم الأمر، ولا يعلم من أين صدر. وبهذا القدر سمّي إنسانا، لا غير؛ وهي حالة يشترك فيها جميع الناس. إلّا الإنسان الكامل؛ فإنّه زاد على الإنسان الحيوان في الدنيا، بتصريفه الأسماء الإلهيّة التي أخذ[1] قواها لمّا حذاه الحق عليها، حين حذاه على العالم.

فجعل الإنسان الكامل خليفةً عن الإنسان الكلّ الكبير، الذي هو[2] ظلّ الله في خلقه من خلقه. فعن ذلك هو خليفة. ولذلك هم خلفاء عن مستخلِف واحدٍ. فهم ظلاله، للأنوار الإلهيّة، التي تقابل الإنسان الأصلي. وتلك أنوار التجلّي تختلف عليه من كلّ جانب؛ فتظهر له ظلالات متعدّدة على قدر أعداد التجلّي. فلكلّ تجلٍّ فيه نور يعطي ظِلًّا من صورة الإنسان في الوجود العنصريّ؛ فيكون ذلك الظلّ خليفة؛ فيوجد عنه الخلفاء خاصّة.

وأمّا الإنسان الحيوان فليس ذلك أصله جملة واحدة، وإنما حكمه حكم سائر الحيوان؛ إلّا أنّه يتميّز عن غيره من الحيوان بالفصل المقوّم له، كما يتميّز الحيوان بعضه عن بعض بالفصول المقوّمة لكلّ واحد من الحيوان. فإنّ الفرس ما هو الحمار من حيث فصله المقوّم له، ولا البغل، ولا الطائر، ولا السَّبُع، ولا الدودة. فالإنسان الحيوان من جملة الحشرات. فإذا كمل فهو الخليفة. فاجتمعنا لِمعانٍ، وافترقنا لِمعانٍ.

ثمّ إنّ الله أعطاه حكم الخلافة، واسم الخليفة، وهما لفظان مؤنّثان؛ لظهور التكوين عنهما. فإنّ الأنثى محلُّ التكوين، فهو[3] في الاسم تنبيه. ولم يقل فيه نائب[1]، وإن كان المعنى عينه،

١ ص ١٣٠
٢ "الذي هو" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ١٣٠ب

ولكن قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] وما قال: "إنسانا" ولا "داعيا" وإنما ذكره وسمّاه بما أوجده له.

وإنما فرّقنا بين الإنسان الحيوان والإنسان الكامل الخليفة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[3] فهذا كمال النشأة الإنسانيّة العنصريّة الطبيعيّة. ثمّ قال له بعد ذلك: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[4] إن شاء في صورة الكمال؛ فيجعلك خليفة عنه في العالم، أو في صورة الحيوان؛ فتكون من جملة الحيوان؛ بفصلك المقوّم لذاتك، الذي لا يكون إلّا لمن ينطلق عليه اسم الإنسان. ولم يذكر في غير نشأة الإنسان قطّ تسوية ولا تعديلا، وإن كان قد جاء: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾[5] فقد يعني به خلق الإنسان. لأنّ التسوية والتعديل لا تكونان معًا إلّا للإنسان، لأنّه سوّاه على صورة العالَم، وعدّله عليه، ولم يكن ذلك لغيره من المخلوقين من العناصر.

ثمّ قال بعد التسوية والتعديل: ﴿كُنْ﴾ وهو نفَس إلهيٌّ. فظهر الإنسان الكامل عن التسوية، والتعديل، ونفخ الروح، وقول: ﴿كُنْ﴾ وهو قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾[6] فشبّه الكامل، وهو عيسى عليه السلام[7]، بالكامل وهو آدم عليه السلام خليفةً بخليفة. وغير الخلفاء إنما سوّاه، ونفخ فيه من روحه، وما قال فيه: إنّه قال له: ﴿كُنْ﴾ إلّا في الآية الجامعة في قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾[8] فاجعل بالَك لما نبّهتُك عليه. فنقَص عن مرتبة الكمال التي أعطاها اللهُ الخلفاءَ من الناس.

ولمّا قسّم الله الفلَك الأطلس، الذي هو فلك البروج، وهو قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

١ "ولم يقل فيه نائب" ضمن سطر مطموس في ق، وأثبتناه من ه، وفي س: "ولم يقبل فيه ثابت"
٢ [البقرة : ٣٠]
٣ [الإنفطار : ٦ ، ٧]
٤ [الإنفطار : ٨]
٥ [الأعلى : ٢]
٦ [آل عمران : ٥٩]
٧ ص ١٣١
٨ [النحل : ٤٠]

الْبُرُوجِ﴾[1] على اثني عشر قِسما، وأوحى الله -تعالى- في سماء البروج أمرها؛ فلكلّ برج فيها أمرٌ يتميّز به عن غيره من البروج. وجعل الله لهذه البروج أثرا من أمر الله الموحى به فيها، فيما دون هذه السماء من عالم التركيب. والإنسان، من حيث جسمِه وطبيعتِه، من عالم التركيب. وهو زبدةُ مَخْضِ الطبيعة التي ظهرتْ بتحريك الأفلاك؛ فهو المخضة التي ليس في اللبن ألطف منها؛ بل هي روح اللبن؛ إذا خرج منه؛ بقي العالم مثل النخالة. فهو فيه، لا فيه. فإنّه متميّز عنه بالقوّة، وهو منه. فإنّ الإنسان ما خرج من العالم، وإن كان زُبْدُ مَخْضة العالم. إذ لو انفصل عنه؛ ما بقي العالم يساوي شيئا. مثل اللّبَن؛ إذا خرج عنه الزُّبْدُ؛ استحال، وقلَّ ثمنه، وزال خيره الذي كان المطلوب منه[2]. ومن أجل تلك الزبدة كان يستعمل اللّبَن ويعظم قدره.

فلمّا قضى الله أن يكون لهذه البروج أثر في العالَم الذي تحت حيطة سماء هذه البروج؛ جعل الله في نشأة هذا الإنسان اثني عشر قابلا؛ تَقْبَلُ هذه الآثار؛ فيظهر الإنسان الكامل بها. وليس ذلك للإنسان الحيوان، وإن كان أتمّ في قبول هذه الآثار من سائر الحيوان. ولكنّه ناقص، بالنظر إلى قبول الإنسان الكامل. فمن الاثني عشر لُصُوقها بالعالَم حين حذيت عليه، ولصوقها بحضرة الأسماء الإلهيّة، وبه صحّ الكمال لهذه النفس.

وهذه المجاورة على ثلاث مراتب، منها: مرتبة الاختصاص، وهي في الإنسان الحيوان بما هو محصِّلٌ حقائق العالم. وهي في الكامل كذلك، وبما اختصّ به من الأسماء الإلهيّة، حين انطلقتْ عليه، بحكم المطابقة للحذو الإلهيّ الاعتنائيّ، ولكونه ظِلّا؛ ولا شيء ألصق من الظلّ بمن هو عنه.

والمرتبة الثانية من المجاورة: مرتبة السّببيّة[3] الرابطة بين الأمرين، وهي الأدوات التي بها يظهر عن الإنسان ما يتكوّن عنه. فيشترك الإنسان الحيوان مع الكامل في الأدوات الصناعيّة

١ [البروج : ١]
٢ ص ١٣١ب
٣ الكلمة مصحفة في ق، ويمكن قراءتها: "السببية، النسبة"، وهي في س: "النسبة"، ه: "الشيئية"

التي بها يتوصّل إلى مصنوعٍ مّا مما يفعل بالأيدي، ويزيد الكامل عليه[1] بالفعل بالهمّة. فأداته همّته، وهي له بمنزلة الإرادة الإلهيّة إذا توجّهتْ على إيجاد شيء؛ فمن المحال أن لا يكون ذلك الشيء المراد.

والمرتبة الثالثة: الاتّصال بالحقّ، فيفنى عن نفسه بهذا الاتّصال، فيظهر الحقُّ حين يكون سمعَه وبصرَه؛ وهذا (هو) المسمّى: علم الذوق. فإنّه لا يكون الحقّ شيئا من هذه الأدوات، حتى تحترق بوجوده؛ فيكون: هو، لا هي.

وقد ذقنا ذلك، ووجدتُ الحَرَق حِسًّا في ذِكْري لله بالله. فكان هو، ولم أكن أنا. فأحسستُ بالحرق في لساني، وتألّمتُ لذلك الحرق تألّما حِسّيّا حيوانيا، لحرق حِسّيّ قام بالعضو. فكنت ذاكرا الله باللهِ في تلك الحالة، ستّ ساعات أو نحوها. ثمّ أبْقَى اللهُ لي لساني؛ فذكرتُه بالحضور معه، لا به. وهكذا جميع القوى؛ لا يكون الحقّ شيئا منها، حتى يحرق تلك القوّةَ وُجودُه؛ فيكون هو، أيّ قوّة كانت. وهو قوله: «كنت سمعَه وبصرَه ولسانَه ويدَه» ومَن لم يشاهد الحَرق في قواه، ويُحِسُّه، وإلّا فلا ذوق له، وإنما ذلك توهّمٌ منه. وهذا معنى قوله في الحجب الإلهيّة: «لو كشفها لأحرقتْ سبحات وجهه» فأيّ قوّة أراد الحقّ إحراقها من عبده حتى يحصل له العلم من طريق الذوق، برفع الحجاب الذي بين الإنسان من حيث تلك القوّة وبين[2] الحقّ؛ فتحترق بنور[3] الوجه، فيسدّ بنفسه خلل تلك القوّة. فإن كان سمعا؛ كان الحقُّ سمعَه في هذه الحال، وإن كان بصرا[4]؛ فكذلك، وإن كان لسانا[5]؛ فكذلك. ولنا في هذا المعنى:

ألا إنّ ذِكْـرَ اللهِ باللهِ يُحْـرِقُ ... وحُكْمي بِهذا فِيْهِ حُكْمٌ مُحَقَّقُ
فإنّي وَرَبِّ الـوارداتِ طَعِمْتُهُ ... فحُكمي عَلَيْهِ أنّهُ الحَقُّ يَصْدُقُ

ولذلك قال الحقّ في الحديث الصحيح: «كنت سمعَه وبصرَه» فجعل كينونته سمعَ عبدٍ منعوتٍ

١ ص ١٣٢
٢ ص ١٣٢ب
٣ ق: بين
٤ ق، ه: بصره
٥ ق، ه: لسانه

بوصفٍ خاصّ. وهذا أعظم اتّصال يكون من الله بالعبد، حيث يزيل قوّةً من قواه، ويقوم، بكينونته في العبد، مقام ما أزال على ما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تكييف، ولا حصر، ولا إحاطة، ولا حلول ولا بدليّة. والأمر على ما قلناه ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ. وَسَلِ الْقَرْيَةَ﴾[1] يعني الجماعة ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعني أهل الله، المنعوتين بهذه الطريقة من عباد الله، الذين قاموا بنوافل الخيرات، وداوموا عليها، وأقبلوا إلى الله بها. والله يؤيّدنا بالعصمة في الاعتقاد والقول والعمل؛ إنّه وليّ الرحمة.

* * *

(الأثر الثاني: المِثلان اللغويّان لا يلزم مِن وصف كلّ واحد منهما بالمِثليّة لصاحبه المماثِل له، الاشتراك في صفات النفس)

الأثر[2] الثاني من الاثني عشر: إنّ المِثلين اللغويّين لا يلزم مِن وصف كلّ واحد منهما بالمِثليّة لصاحبه المماثِل له، الاشتراكُ في صفات النفس؛ لأنّ المِثليّة لغويّة وعقليّة. فالعقليّة هي التي يشترك بها في صفات النفس[3]، واللغويّة بأدنى شَبَهٍ بأمرٍ مّا يكون مِثلا له في ذلك الأمر، فيكون للمِثل حُكم مِثله من حيث ما هو مِثله فيه، وقابلٌ له. وما ثَمّ بين العبد الإنسانيّ الكامل والحقّ في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] إلّا قبوله جميعَ الأسماء الإلهيّة التي بأيدينا، وبها صحّتْ خلافته، وفضُل على الملائكة.

فالخليفة إن لم يظهر فيمن هو خليفة عليه بأحكام مَن استخلفه وصورته في التصرُّف فيه، وإلّا فما هو خليفة له. كما أنّ الخليفة قد استخلف مَن استخلفه في ماله وجميع أحواله، لمّا اتّخذه وكيلا. فهو، فيما استخلفه الحقّ فيه من التصرّف في المستخلَف عليه، لا يتصرّف إلّا بنظر وكيله؛ فهو المستخلَف المستخلِف. فاستخلافُ العبد ربَّه لمّا اتّخذه وكيلا (هي) خلافة مطلقة، ووكالة مفوّضة دوريّة. واستخلافُ الربِّ عبدَه (هي) خلافة مقيّدة بحسب ما تعطيه ذاته

١ [يوسف : ٨١ ، ٨٢]
٢ ص ١٣٣
٣ "لأن المثلية.. النفس" ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٤ [الشورى : ١١]

ونشأته[1].

يقول النبيّ ﷺ لربّه ﷻ لمّا سافر: «أنت الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل» فسمّاه خليفة. والله -تعالى- قد أقسم بكلّ معلوم من موجود ومعدوم فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾[2] فأقسم بنفسه وبجميع المعلومات. فهل لنا أن نقسم بما أقسم الحقُّ -تعالى- به؟ أو محجور علينا ذلك، فلا نكون إذَنْ خلفاءَ فيما هو محجور علينا؟ والمقسَم[3] به؛ قد يقسم بالأمر مضافا ومفردا. فالمفرد: "واللهِ لأفعلنّ كذا". والمضاف مثل قول عائشة -رضي الله عنها- في قسمها: "وربّ محمد، وربّ إبراهيم" فدخل المضاف في المضاف إليه في الذّكر بالقسَم.

فعلى هذا الحدِّ يُقسِم الإنسان الكامل بكلّ معلوم، سَوَاء ذَكَر الاسم أو لم يذكره. وهو بعض تأويلات وجوه قَسَم الله بالأشياء، في مثل قوله -تعالى-: ﴿وَالشَّمْسِ﴾[4]، ﴿وَالضُّحَى﴾[5]، ﴿وَاللَّيْلِ﴾[6]، ﴿وَالتِّينِ﴾[7] يريد: "وربّ الشمس"، "وربّ الضحى" فما أقسم إلّا بنفسه، فلا قَسَم إلّا بالله. وما عدا ذلك من الأقسام فهو ساقط؛ ما ينعقد به يمين في المقسَم[8] عليه. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ واللغوُ: الساقطُ، فمعناه: لا يؤاخذكم الله بالأيمان التي أسقط الكفّارة فيها إذا حنثتم ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾[9] فكما سقط[10] العقد بالقلب عند اليمين، سقطت الكفّارة إذا وقع الحنث. ولا خلاف بين العلماء أنّ الكفّارة في الأيمان المذكورة في القرآن أنّها في اليمين بالله، لا بغيره. وجاء بالأيمان معرّفة بالإضافة، والألف واللام. وقد صحّ عن النبيّ ﷺ النهي عن اليمين بغير الله.

١ ص ١٣٣ب
٢ [الحاقة : ٣٨ ، ٣٩]
٣ ق: "والمقسوم" وعدلت في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٤ [الشمس : ١]
٥ [الضحى : ١]
٦ [الليل : ١]
٧ [التين : ١]
٨ ق: "المقسوم" وعدلت في الهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب
٩ [المائدة : ٨٩]
١٠ ص ١٣٤

فالخليفةُ ينبغي له أن يكون مع إرادة مَن استخلفه، فيما استخلفه فيه. فإنّ الله يقول: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾[1] والصورة قد يكون الأمر في اللسان والشأن. فقوله: «إنّ الله خلق آدم على صورته» أي على أمره وشأنه. فالله غالبٌ على أمره، أي على مَن أظهره بصورته، أي بأمره؛ فإنّ له حكم العزل فيه مع بقاء نشأته. فيدلّك، ذلك، على أنّه ما أراد بالصورة: النشأةَ، وإنما أراد: الأمرَ والحكمَ. فالعالِم لا يعدِل عن سنن العلم بمرادِ الله في الأشياء.

وهذا الأمرُ وحده على الاختصاص من آثار الجوزاء خاصّة، وهي برج هوائيٌّ. فطابق الأمرُ قولَ النبيّ[2] ﷺ: «إنّ الربّ كان في عماء» -بالمدّ والهمز- وهو السحاب الرقيق «ما فوقه هواء وما تحته هواء» فنفى عن هذا العماء إحاطة الهواء به. وما تعرّض لنفي الهواء، فالأمر لله. فليست نِسبة العماء إليه بأَوْلَى مِن نِسبة الهواء. فنفيُ الإحاطة الهوائيّة بهذا[3] العماء، لا بدّ من نفي المجموع. وقد بيّنّا في النفَس الرحمانيّ حديث العماء.

والجوزاء بين الماء والتراب، لأنّها بين الثور والسرطان كآدم بين الماء والطين. ولهذا كان حكم الهواء أعمّ من حكم سائر الأركان؛ لأنّه يتخلّل كلّ شيء، وله في كلّ شيء سلطان. فيزلزل الأرض، ويموّج الماء ويجريه، ويوقد النار، وبه حياة كلّ نفس متنفّس، وله الإنتاج في الأشجار؛ وهو الرياح اللواقح. فهذا الأثر الثاني من الأقسام الاثني عشر.

* * *

(الأثر الثالث: ما يظهر في العالم مما يمكن أن يستغنى عنه. وإنما ظهر مع الاستغناء عنه، لتظهر مرتبة قوّة الاثنين)

وأمّا الأثر الثالث وهو ما يظهر في العالم مما يمكن أن يستغنى عنه. وإنما ظهر مع الاستغناء عنه، لتظهر مرتبة قوّة الاثنين، لئلّا يقال: "ما في الوجود إلّا الله" مع ظهور الممكنات والمخلوقين؛ فيُعلم أنّ الله غنيّ عن العالمين، مع وجود العالمين. فالاستغناء عنه معقول. فجاء، في

١ [يوسف : ٢١]
٢ لم يرد في ق، وأثبتناه من هـ، س
٣ ص ١٣٤ب

العالَم، هذا الأمر الذي يمكن أن يستغنى عنه مع وجوده؛ لبيان غنى الحقّ عن العالَم؛ فما جعله الله في العالَم عبثًا. فأعطى وجودُه، مع الاستغناء عنه، هذا العلم. وهو علم نافع، وله نظم خاصّ يشبه نظم ما لا يستغنى عنه، مثل وجود الولد عن النكاح، وهو مستغنى عنه. دليلنا نكاحُ أهل[1] الجنّة في الجنّة، ونكاحُ العقيم.

* * *

(الأثر الرابع: حِفظ العالَم بذِكر الله)

وأمّا الأثر الرابع فكقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: اللهُ اللهُ» فأتى به مرّتين ولم يكتفِ بواحدة. وأثبت، بذلك، أنّه ذِكْرٌ على الانفراد، ولم ينعته بشيء، وسكّن الهاء من الاسم. وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[2] وهو تكرار هذا الاسم. وقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3] ولم يَذكُر إلّا الاسم "الله" خاصّة. وهو مأمور من الله أن يبيّن للناس ما نزّل إليهم.

فلولا أنّ قول الإنسان: "اللهُ اللهُ" له حِفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذِّكر، لم يقترن، بزواله، زوال الكون الذي زال منه، وهو الدنيا. وهذا الاسم كان ذِكْرَنا وذِكْرُ شيخنا الذي دخلنا عليه. وما في فوائد الأذكار أعظم من فائدته. فلمّا قال الحقّ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ولم يذكر صورة ذِكْرٍ آخر، مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهيّة، فاتّخذه أهل الله ذِكرًا وحده. فأنتج لهم، في قلوبهم، أمرا عظيما لم ينتجه غيره من الأذكار.

فإنّ بعض العلماء بالرسم لم يَرَ بهذا الذِّكر؛ لارتفاع الفائدة عنده فيه؛ إذ كلُّ مبتدأ لا بدّ له من خبر. فيقال له: لا يلزم ذلك في اللفظ، بل لا بدّ له من فائدة، وقد ظهرت في الذاكر به حين[4] ذِكره بهذه الكلمة خاصّة؛ فأنتج له في باطنه، من نور الكشف، ما لا ينتجه غيره. بل له

١ ص ١٣٥
٢ [الأحزاب : ٤١]
٣ [العنكبوت : ٤٥]
٤ ص ١٣٥ب

خبر ظاهر في اللفظ؛ أو إضافة إلى تنزيه، أو ثناء بفعل. ومعلوم إذا ذُكِر أمرٌ مّا، ثمّ ذُكِر أمرٌ مّا، وكُرِّر على طريق التأكيد له؛ إنّه يعطي من الفائدة، ما لا يعطيه من ليس له هذا الحكم، ولا قصد به؛ فهو أسرع وأنجح في طلب الأمور؛ فلا عبث في العالم جملة واحدة.

* * *

(الأثر الخامس: وقوع الشَّبه في الآثار، كما وقع في الأصل)

وأمّا الأثر الخامس، وهو يشبه الرابع، كما أشْبَهَ قسمُ الحَمَل من البروج قسمَ الأسد والقوس وغيره، وإن كان هذا ما هو عين هذا، وينفرد كلٌّ واحد منهما بأمرٍ لا يكون لغيره من مماثله، مع كونه على مثله؛ فلهذا وقع الشَّبَه في الآثار، كما وقع في الأصل؛ وهو: كلّ ما وقع في العالَم، ويعطي معنى صحيحا عين ظهوره، ولو سقط من العالَم، لم يختلّ ذلك الأمر الذي أعطى فيه هذا المعنى، ولكنّه لا بدّ أن ينقص عن الأمر الذي يعطيه وجوده.

وهذه تسمّى عوارض الأُعطيات، التي لا يخلّ سقوطها وعدم وقوعها بحقيقة ما عدمت منه، وإن كان لها معنى. كوجود لذّة الجماع من غير جماع؛ لحصلت الفائدة التي كان لها الجماع. ولكن لحصولها[1] بالجماع معنًى لا يحصل إلّا بالجماع؛ لأنّ المقصود بالنكاح الالتذاذ ووجود اللذّة، وقد وُجدت. فما أخَلّ سقوط الجماع باللذّة، ولهذا زوّجنا الله بالحور العين.

* * *

(الأثر السادس: يتعلّق بصاحب الهمّة، إذا أراد أن يتكوّن عنه ما لا يقع بالعادة إلّا بآلة؛ فيفعله بهمّته)

وأمّا الأثر السادس فهو ما يتعلّق بصاحب الهمّة، إذا أراد أن يتكوّن عنه ما لا يقع بالعادة إلّا بآلة؛ فيفعله بهمّته، لا بآلة، وفي وقتٍ بآلة. فإنّ الله قادر أن يكوّن آدمَ ابتداء من غير تخمير، ولا توجُّه يَدَيْن، ولا تسويةٍ، ولا تعديلٍ لنفخ روح؛ بل يقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[2]. ومع هذا

١ ص ١٣٦
٢ [البقرة : ١١٧]

فخمّر طينتَه بيديه، وسَوّاه، وعدله، ثمّ نفخ فيه الروح، وعلّمه الأسماء، وأوجدَ الأشياء على ترتيب. كما أنّه لو شاء، جعلنا نكتفي بالعلم به عن أسمائه، ولكن تَسمّى بكذا، في كلّ لسانٍ وَصَفَه في العالَم. فيسمّى بـ"الله" في العرب، وبـ"خذاي" في الفرس، وبـ"واق" في الحبش. وفي كلّ لسان له أسماء، مع العلم بوجوده. وأظهرَ فائدةَ ذلك، مع الاستغناء عمّا ظهر، والاكتفاء.

ومن هذا الباب ما يظهر عنّا من الأفعال، مع أنّه يجوز أن يفعلها الله لا بأيدينا، ولكن ما وصل إلى هذا الفعل، في الشاهد، إلّا بأيدينا. فأراد تحريكَ الجسم من مكان إلى مكان؛ فجعل فينا إرادة طلب[1] الانتقال؛ فقمنا[2] بحركةٍ اختياريّة نعقِلها من نفوسنا، وانتقلنا. والانتقالُ خَلْقٌ لله بالأصل، ولكنّه وُجِد عن إرادة حادثة اختياريّة، بخلاف حركة المرتعش؛ فإنّها اضطراريّة. فالإنسانُ المختارُ مجبورٌ في اختياره، عند السليم العقل. ثمّ ما مَن حقيقتُه أن لا يظهر حكمه إلّا بالمحلّ، فلا يظهر إلّا بالمحلّ؛ فيفرّق بين ما يجوز وبين ما لا يجوز؛ فالتحرّك محالٌ وجوده إلّا في متحرّكٍ.

ومن هذا الباب نزوله -تعالى- إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل، مع كونه معنا أينما كنّا. فهذا حُكْمُ نزولٍ قد ظهر لفعلٍ، ما يمكن حصول ذلك المراد من غير هذا النزول. لكن إذا أضفتَه إلى قوله -تعالى- إنّه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[3] كان نزولا، ولا بدّ، عن مرتبة الغنى؛ لأنّه لا يقبل هذا النزول إلّا لِنِسبةٍ إلهيّة تقتضيها ذاتُه؛ فلم تكن إلّا بنزول، فافهم. فإنّ الإضافات لها من الحكم الذاتي ما ليس لغير المضاف، والحقائق لا تتبدّل، والشأن إنما هو ظهور حكم في محكوم. فهو من وجهٍ تطلبه ذاته، ومن وجهٍ لا تطلبه ذاته -تعالى-؛ كالخالق يطلب الخلق، والعالِم يطلب المعلوم.

---

١ ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ١٣٦ب
٣ [آل عمران : ٩٧]

(الأثر السابع: الظرفيّة في الكون؛ هل هي أصلٌ في الكون، ثمّ حملناها على الحقّ حملا شرعيّا؟ أو هي في الحقّ بحسب ما يليق بجلاله، وظهرت في العالم بالفعل)

وأمّا الأثر السابع فوجود الظرفيّة في الكون: هل هي أصلٌ في الكون، ثمّ حملناها على[1] الحقّ حملا شرعيّا؟ أو هي في الحقّ بحسب ما يليق بجلاله، وظهرت في العالم بالفعل كقول رسول الله ﷺ للسوداء: «أين الله؟ فأشارت إلى السماء، وكانت خرساء». قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] وبِنْيَةُ فعيل تَرِدُ بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول، كقَتيل وجريح. وأمّا "عليم" فهو بمعنى عالِم، وبمعنى معلوم. وكلا الوجهين سائغٌ في هذه الآية، إذا كانت الباء من قوله: ﴿بِكُلِّ﴾ بمعنى الفاء. فهو في كلّ شيء معلوم. و﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[3] أي له في كلّ شيء إحاطة، بما هو ذلك المعلوم عليه، وليس ذلك إلّا لله، أو لمن أَعلَمَه الله.

* * *

(الأثر الثامن: إذا أردتَ أن تَسألَ عن حقيقة أمر، فاسألْ عنه من له فيه ذوق)

وأمّا الأثر الثامن فقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[4] أي إذا أردتَ أن تَسألَ عن حقيقة أمر، فاسألْ عنه من له فيه ذوق. ومن لا ذوق له في الأشياء، فلا تسأله؛ فإنّه لا يخبرك إلّا باسم ما سألت عنه، لا بحقيقته. فلا يُسأل العبد عن الله؛ فإنّه لا ذوق له في الألوهة، ولا خبرة له بها. فما عنده منها إلّا الأسماء خاصة. فاسأل اللهَ عن الله، واسأل العبدَ عن العبودة. فنسبةُ العبودة للعبد نسبةُ الألوهة لله. فإخبار الحقّ عن العبودة[5] إخبار إله، وإخبارُ العبد عن الألوهة إخبارُ عبد.

ولذلك ورد: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» فيعرف نفسَه معرفة ذوق، فلا يجد في نفسه للألوهة مدخلا، فيعلم بالضرورة أنّ الله لو أشبهه، أو كان مِثلا له؛ لعرفه في نفسه. وعلِم

---

١ ص ١٣٧
٢ [البقرة : ٢٨٢]
٣ [فصلت : ٥٤]
٤ [الفرقان : ٥٩]
٥ ص ١٣٧ب

بافتقاره من ثمّ من يفتقر إليه، ولا يمكن أن يشبهه؛ فعرف ربّه أنّه ليس مثله، وإن كان الله قد أقامه خليفةً، وأوجده على الصورة؛ فيُخاف ويُرجى، ويُطاع ويُعصَى. فقد بيّنّا معنى ذلك في هذه الآثار من هذا الباب.

* * *

(الأثر التاسع: قوله في خلق السماوات والأرض أنّه ما خلقها إلّا بالحقّ)

وأمّا الأثر التاسع وهو قوله في خلق السماوات والأرض أنّه ما خلقها إلّا بالحقّ، أي ما خلقها إلّا له -تعالى جدّه وتبارك اسمه- لأنه قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] فما خلق العالَم إلّا له -تعالى-. ولذلك قال فيمن علِم أنّه جعل في نشأته عزّة، وهما الجنّ والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] أي ليتذلّلوا إليّ؛ لما ظهر فيهما من العزّة، ودعوى الألوهة، والإعجاب بنفوسهم. فمِن لطف الله بهم أن نبّههم على ما أراد بهم في خلقه إيّاهم؛ فمن تنبّه كان من الكثير الذي يسجد لله، ومَن لم[3] يتنبّه كان من الكثير الذي حقّ عليه العذاب.

وأمّا قوله في هذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ﴾ قد يريد به الإنسان وحده، من حيث ما له ظاهر وباطن. فمن حيث ما له ظاهر هو إنسٌ، مِن أنستُ الشيءَ إذا أبصرتُه. قال -تعالى- في حقّ موسى إخبارا عنه: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾[4] أي أبصرتُ. والجنُّ: باطنُ الإنسان؛ فإنّه مستور عنه. فكأنّه قال: وما خلقت ما ظهر من الإنسان وما بطن، إلّا ليعبدني؛ ظاهرا وباطنا. فإنّ المنافق يعبده ظاهرا لا باطنا، والمؤمن يعبده ظاهرا وباطنا، والكافر المعطِّل لا يعبده لا في الظاهر ولا في الباطن، وبعض العصاة يعبده باطنا لا ظاهرا، وما ثَمّ قسم خامس.

وما أخرجْنا الجنّ الذين خلقهم الله من نار، من هذه الآية، وتأوّلناها[5] في الإنسان وحده،

1 [الإسراء : ٤٤]
2 [الذاريات : ٥٦]
3 ص ١٣٨
4 [طه : ١٠]
5 ذكر في الهامش بقلم آخر: "وجعلناها" مع إشارة التصويب، وحرف خ

من جهة[1] ما ظهر منه وما استتر؛ إلّا لقول الله لمّا ذكر السجود، إنّه ذكر جميع من يسجد له ممن في السماوات ومَن في الأرض، وقال في الناس: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾[2] فما عمّهم، ودخل الشياطين في قوله: ﴿مَن فِي الْأَرْضِ﴾ وذلك أنّ الشيطان، وهو البعيد عن الرحمة، يقول للإنسان إذا أمره بالكفر فكفر: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[3] فأبان الله لنا[4] عن معرفة الشيطان بربّه، وخوفه منه. فلذلك كان صرف الجنّ، في هذه الآية، إلى ما استتر من الإنسان، أَوْلَى من إطلاقه على الجانّ. والله أعلم.

* * *

(الأثر العاشر: هو ما ظهر في العالم من إبانة الرسل المترجمين عن الله، ما أنزل الله على عباده، مع إنزال كتبه.)

وأمّا الأثر العاشر فهو ما ظهر في العالم من إبانة الرسل المترجمين عن الله، ما أنزل الله على عباده، مع إنزال كتبه. فما اكتفى بنزول الكتب الإلهيّة، حتى جعل الرسلَ تبيّنُ ما فيها؛ لما في العبارة من الإجمال، وما تطلبه من التفصيل. ولا تفصَّل العبارة إلّا بالعبارة، فنابت الرسلُ منابَ الحقّ في التفصيل؛ فيما لم يفصّله وأجمله. وهو قوله -تعالى-: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[5] بعد تبليغه ما أُنزل إلينا.

وهذه حقيقةٌ سارية في العالَم، ولولاها ما شُرِحت الكتب، ولا تُرجمت من لسان إلى لسان، ولا من حال إلى حال. قال -تعالى-: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[6] وهو ما أنزل خاصّة. وأمّا ما فصّله الرسول، وأبان عنه؛ فهو تفصيل ما نزل، لا عين ما نزل. ويقع البيان بعبارة خاصة، ويُعقل بأيّ شيء كان.

1 كتب في الهامش بقلم آخر: "حيث" مع إشارة التصويب
2 [الحج : ١٨]
3 [الحشر : ١٦]
4 ص ١٣٨ب
5 [النحل : ٤٤]
6 [التوبة : ٦]

(الأثر الحادي عشر والثاني عشر: هما مرتبة الاتصال بالحقّ، ومرتبة السبب الرابط بين الأمرين.)

وأمّا الأثر الحادي عشر والثاني عشر فهما[1] المرتبتان من المراتب الثلاثة التي ذكرناها في أوّل هذه الآثار، وهما مرتبة الاتّصال بالحقّ، ومرتبة السبب الرابط بين الأمرين. وقد تقدّم. فلنذكر ما في هذا المنزل من العلوم -إن شاء الله-.

فمن ذلك علم السبب الموجب لبقاء المؤمن في النعيم في دار النعيم.

وفيه عِلْمُ أسباب الفوز والنجاة من الجهل الذي هو شرّ الشرور.

وفيه عِلْمُ ما يستحقّه الموطِن من الأمور التي تكون بها السعادة للإنسان، وقد تظهر في موطن آخر ولا تعطي سعادة.

وفيه عِلْمُ كلّ ما ثبت عينُه، هل يسقط حكمُه؟ أو لا يسقط إلّا حكم بعض ما ثبت عينه؟ أو لا يسقط له حكم على الإطلاق؛ بل يسقط عنه حكم خاصّ، لا كلّ حكم؟ فهل يشتغل بما سقط حكمه، أو لا يشتغل به؟ كلغو اليمين؛ فإنّ الكفّارة سقطت عنه مع الحنث.

وفيه عِلْمُ ما يظهر من الزيادة إذا أضيف الفعل إلى المخلوق بوجهٍ شرعيّ يوجب ذلك، أو كَرَمُ خُلُق عقليّ؟

وفيه عِلْمُ الملا والخلا.

وفيه[2] عِلْمُ فعل ما ينبغي وترك ما ينبغي.

وفيه عِلْمُ التعدّي في حدود الأشياء؛ وهل الحدّ داخل في المحدود، فلا يكون تعدٍّ؟ وإذا دخل: كيف صورة دخوله؟ والفرق بين قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[3] وقوله: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ

١ ص ١٣٩
٢ ص ١٣٩ب
٣ [المائدة : ٦]

إِلَى اللَّيْلِ﴾[1] وهذا حدٌّ وهذا حدٌّ بكلمة معيّنة؛ تقضي في الواحد خروج الحدّ من المحدود، وفي الآخر دخول الحدّ في المحدود. وينبني هذا على معرفة الحدّ في نفسه: ما هو؟ فإنّ للحدّ حدًّا، ولا يتسلسل.

وفيه عِلْمُ العهود والأمانات؛ وما هي الأمانات؟ وما هي العهود والعقود التي أمرنا بها؟ والعهد الإلهيّ: هل له حكم عهد المخلوق أم لا؟

وفيه عِلْمُ الفصل بين المال الموروث والمكتسب، وبأيّ المالين تقع اللذّة أكثر لصاحبه؟ وهو علم ذوق، ويختلف باختلاف المزاج. فإنّه ثَمّ مَن جُبِلَ على الكسل، فمال الميراث عنده ألذّ؛ لأنّه لا تعمُّل له فيه؛ ومنهم أهل الفتوح. ومن الناس مَن هو مجبول في نفسه على الربّانيّة، فيلتذّ بالمال المكتسَب ما لا يلتذّ بالمال الموروث؛ لما له فيه من التعمُّل لإظهار قدرته فيه بجهة كسبه.

وفيه[2] عِلْمُ توقّف المسبَّبات على أسبابها: هل هو توقّف ذاتيٌّ، أم اختياريّ من الله؟

وفيه عِلْمُ الاستحالات من حال إلى حال: فهل تتبع الأعيانُ تلك الأحوال؛ فتستحيل من عين إلى عين؟ أم العين واحدة، والاستحالة تقع في الأحوال؟ والمذاهب في ذلك مختلفة؛ فأين الحقّ منها؟

وفيه عِلْمُ حفظ الصانع لِصنعته، هل حفظه لِصنعته أو لعين المصنوع؟ فإنّ الصنعة للصانع قد تكون مستفادة له؛ كصنعة الخياطة وغير ذلك مما لا يحصل إلّا بالتعلّم. وقد تكون الصنعة بالفطرة لا بالتفكّر؛ كصنعة الحيوانات: كالنحل والعناكب، وكلّها بالجِبِلّة. وقد تكون ذاتيّة؛ كإضافة الصنعة إلى الله. وما معنى قوله مع هذا: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾[3] فنَسب التدبير إليه.

وفيه عِلْمُ حكمة ما يَثبت من الأمور في الكون، وما لا يَثبت. وضَرْبُ مَثَلِ النبيّ ﷺ بذلك

١ [البقرة : ١٨٧]
٢ ص ١٤٠
٣ [الرعد : ٢]

فيما جاء به بالمطر والبقاع فيمن نفعه الله بما جاء به، ومن لم ينفعه.

وفيه عِلْمُ وجود الأعلى من الأدنى؛ فأمّا في المعاني كوجود علمنا بالله[1] عن وجود علمنا بأنفسنا.

وفيه عِلْمُ ما للنيابة في الأمر من الحكم للنائب.

وفيه عِلْمُ معرفة الشيء بما يكون منه، لا به. وفي هذا الباب تسميةُ الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له، أو كان منه بسبب، أو يتضمّنه.

وفيه عِلْمُ التوحيد المطلوب من العالم: ما هو؟

وفيه عِلْمُ الفضائل حتى يقع الحسد فيها: هل هي فضائل لأنفسها؟ أو هي بحكم العُرف والوضع؟

وفيه عِلْمُ ما يتّقى به كلّ شيء على التفصيل والاختلاف، فما كلّ واقٍ من شيء يكون واقيا من شيء آخر، وما الأمر الجامع لكلّ وقاية؟

وفيه عِلْمُ فائدة وجود الأمثال، مع الاكتفاء بالأوّل من الأمثال.

وفيه عِلْمُ الحجب الحائلة بين الناس وبين العلم بالأشياء[2].

وفيه عِلْمُ مَن اتّخذ الجهلَ علما: هل يجد في نفسه القطع به؟ أو تكون نفسه تزلزله في ذلك، حتى إذا حقّق النظر في نفسه وَجَد الفرق بين ما يوافق العلم من ذلك، وبين ما لا يوافقه؟ وليس ذلك إلّا في الجهل خاصّة، وأمّا في الظنّ والشكّ فليس حكمها هذا الحكم. فإنّ الظانّ يعلم[3] بظنّه، والشاكّ يعلم بشكّه. وقد لا يعلم الجاهل بجهله؛ فإنّه مَن علِم بجهله، فله علمٌ يمكن أن

١ ص ١٤٠ب
٢ "وفيه علم الحجب.. بالأشياء" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ ص ١٤١

يوصفَ به.

وفيه عِلْمُ حكمة التأييد: هل هو عناية؟ أو إقامة حجّة؟ أو في موضعٍ عناية، وفي موضعٍ إقامة حجّة؟ بالنظر إلى حال شخصين.

وفيه عِلْمُ ما يُنسب إلى العالِم بالشيء مما لا يستحقّه عِلمه به، ومع ذلك ينسبه إلى نفسه؟ كالترجّي من العالِم بوقوع ما يترجّاه، أو عدم وقوعه؛ فما يتعلّق الرجاء مع العلم.

وفيه عِلْمُ حكمة مَن يأتي الأحسن وهو لا يقطع بثمرته: هل ذلك راجع إلى عِلمه بجهل مَن أحسن إليه بمرتبة الإحسان؟ أو راجع إلى نفسه بكونه لا يعلم أنّه وفّى حقّ الإحسان فيه؟

وفيه عِلْمُ حكمة استمرار العذاب والضرّ على المضرورين أصحابَ الآلام: هل ذلك على جهة الرحمة بهم، أم لا؟

وفيه عِلْمُ مَن استعمل الأمر في غير ما وُضع له، أو لم يستعمله إلّا فيما وضع له، إذا كان له وجوه كثيرة متضادّة، فما خرج عن حكم ما هو له. كالمرض: له وجهٌ إلى الصبر، وله وجهٌ إلى الضجر.

وفيه عِلْمُ تذكُّر الناسي: هل ينفعه تذكُّره، أم لا؟

وفيه[1] عِلْمُ الصادق يسمّى كاذبا.

وفيه عِلْمُ الاستعاذة، وما يُستعاذ به، ومنه؟ وأين يُحمد؟ وفي أيّ موضع يُذَمّ؟

وفيه عِلْمُ ما ينفع من الاعتراف مما لا ينفع، فإنّ للمَواطن حكما في الاعتراف، وللأحوال فيه حكما أيضا. فإنّ مِن الناس مَن يعترف بالخطأ مع بقائه عليه، ومِن الناس مَن يزول عنه.

وفيه عِلْمُ شرف الخِطاب، ووجود الالتذاذ به.

١ ص ١٤١ب

وفيه عِلْمُ حكمة وجود الشكّ في العالَم.

وفيه عِلْمُ نجاة المجتهد أخطأ أم أصاب، بعد[1] توفيته ما آتاه الله من ذلك.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

١ ق: "مع" وعليها إشارة استبدال، وصححت فوقها بقلم الأصل
٢ [الأحزاب : ٤]

الباب الثاني والستّون وثلاثمائة
في معرفة منزل سجود القلب والوجه، والكلّ والجزء، وهو منزل السجودَين والسجدتين

مُقَامُ سَهْلٍ[1] سُجُودُ القَلْبِ لَيْسَ لَهُ ... فِي غَيْرِ سَهْلٍ مِنَ الأَكْوَانِ أَحْكَامُ

لا[2] يَرْفَعُ القَلْبُ رَأْسًا بَعْدَ سَجْدَتِهِ ... والوَجْهُ يَرْفَعُ والتَّغْيِيرِ إِعْلامُ

فإِنَّهُ غَيْرُ مَشْهُودٍ بِقِبْلَتِهِ ... وقِبْلَةُ القَلْبِ أَسْمَاءٌ وأَعْلامُ

يُبْدِي حَقِيقَتَهُ تأْبِيدُ سَجْدَتِهِ ... وَما لَهُ فِي عُلُومِ الخَلْقِ أَقْدَامُ

هذا المنزلُ يسمّى: منزل التمكين، وإلى ما يؤول إليه أمرُ كلِّ ما سِوَى الله، ويسمّى أيضا: منزل العصمة.

اعلم أنّ الله -تعالى- لمّا خلق العالم جعل له ظاهرا وباطنا، وجعل منه غيبا وشهادة لنفس العالَم. فما غاب من العالَم عن العالَم؛ فهو الغيب. وما شاهد العالَم من العالَم؛ فهو شهادة. وكلّه لله شهادة وظاهر. فجعل القلبَ من عالَم الغيب، وجعل الوجهَ من عالَم الشهادة.

وعيّن للوجه جهةً يَسجد لها، سمّاها: بيته وقبلته. أي: يستقبلها بوجهه إذا صلّى، وجعل استقبالها عبادة، وجعل أفضل أفعال الصلاة: السجود، وأفضل أقوالها: ذِكْرُ اللهِ بالقرآن. وعيّن للقلب: نفسَهُ -سبحانه-؛ فلا يقصد غيره، وأمره أن يسجد له. فإن سجد عن كشف؛ لم يرفع رأسه أبدا من سجدته: دنيا وآخرة[3]. ومَن سجد عن غير كشف؛ رفع رأسه. ورَفْعُهُ (هو) المعبَّر عنه بالغفلة عن الله، ونسيانِ الله في الأشياء.

١ سهل: هو العارف بالله سهل بن عبد الله التستري
٢ ص ١٤٢
٣ ص ١٤٢ب

فمن لم يرفع رأسه في سجود قلبه. فهو الذي لا يزال يشهدُ الحقَّ دائمًا في كلّ شيء؛ فلا يرى شيئًا إلّا ويرى الله قبلَ ذلك الشيء، وهذه حالة أبي بكر الصدّيق. ولا تظنّ في العالَم أنّه لم يكن ساجدا، ثمّ سجد. بل لم يزل ساجدا؛ فإنّ السجود له ذاتيّ. وإنما بعض العالَم كُشف له عن سجوده؛ فعَلِمه، وبعض العالَم لم يُكشف له عن سجوده؛ فجَهِله؛ فتخيّل أنّه يرفع، ويسجد، ويتصرّف كيف يشاء.

واعلم أنّ السجود الظاهر لمّا كان نقلةً من حال قيام، أو ركوع، أو قعود، إلى تطأطي ووضع وجهٍ على الأرض، يسمّى ذلك التطأطؤ: سجودا، علِمنا أنّه طرأ على الساجد حالةٌ لم يكن عليها في الظاهر المرئيّ لأبصارنا، فطلبنا من الله الوقوف على مُنقِّل هذا المنقول من حال إلى حال. فمن الناس مَن جعل ذلك وأمثاله نِسَبًا، وهو الذي أعطاه الكشف الإلهيّ في العلم بالأكوان، التي هي: الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق.

فالحركة عبارة عن كون الجسم أو الجوهر، قد شوهد في زمانٍ، في حيّز أو في مكان، ثمّ شوهد في الزمان الآخر، في حيّز آخر أو في مكان آخر، فقيل: قد تحرّك[1]، وانتقل. والسكون (هو) أن يشاهَد الجوهر أو الجسم، في حيّزٍ واحدٍ، زمانين فصاعدا؛ فسمّى إقامته في حيّزه: سكونا. والاجتماع عبارة عن جوهرين أو جسمين، في حيّزين متجاورين، ليس بين الحيّزين حيّز ثالث. والافتراق عبارة عن جوهرين أو جسمين، في حيّزين غير متجاورين، بينهما حيّز ليس فيه أحدهما. فليس الأمر سِوَى هذا. ووافق بعضُ أهل الكلام أهلَ الكشف في هذا.

وبقي من المسألة: مَن هو المحرّك: هل المتحرّكُ، أو أمرٌ آخر؟ فمن الناس من قال: المحرّك هي الحركة قامت بالجسم؛ فأوجبتْ له التحرّك والانتقال. واختلفوا في الحركة التي أوجبت التحرّك للجسم: هل تعلّقتْ بها مشيئة العبد، فتسمّى اختياريّة، أي حركة اختيار؟ أو لم تتعلّق بها مشيئة المتحرّك، فتسمّى اضطراريّة كحركة المرتعش؟ وهذا كلّه، إذا ثبتَ أنّ ثَمّ حركة، كما زعم بعضهم.

[1] ص ١٤٣

ولم يختلفوا في أنّ هذه الأكوان أعراضٌ، سَوَاء كانت نِسَبًا أو معاني قائمة بالمحالّ الموصوفة بها. فإنّا لا نشكّ أنّه قد عَرَض لها حالٌ لم تكن عليه، ومن المحال أن يكون واحد من تلك الأعراض ذاتيًا لها، وإنما الذاتيّ لها قبولها. واختلفوا فيمن أوجد تلك الحركة أو السكون، إذا ثبت أنّ ذلك[1] عينٌ موجودةٌ: هل هو الله -تعالى-؟ أو غير الله؟ فمِن قائل بهذا الوجه، ومِن قائلٍ بهذا الوجه. وسَوَاء ذلك في المرتعش، وغير المرتعش. ومن قائل: إنّ الأكوان لا وجود لها، وإنما هي نِسَبٌ؛ فلمن نستند؟

فنحن نقول في النِّسبة الاختياريّة: إنّ الله خلق للعبد مشيئة، شاء بها حكم هذه النِّسبة، وتلك المشيئة الحادثة (هي) عن مشيئة الله. يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2] فأثبت -سبحانه- المشيئة له ولنا، وجعل مشيئتنا موقوفةً على مشيئته. هذا في الحركة الاختياريّة. وأمّا في الاضطراريّة، فالأمرُ عندنا واحد. فالسبب الأوّل: مشيئةُ الحقّ، والسبب الثاني: المشيئة التي وُجدت عن مشيئة الحقّ.

غير أنّ هنا لطيفةً أعطاها الكشفُ، وأشار بها من خلف حجاب الكون، وهي قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فالله هو المَشِيءُ بالكشف، وإن وَجَد العبد في نفسه إرادةً لذلك؛ فالحقُّ عينُ إرادته، لا غيره. كما أنّه إذا أحبّه، كان سمعَه وبصرَه ويدَه وجميعَ قواه. فحكم المشيئة التي يجدها في نفسه ليست سِوَى الحقّ. فإذا شاء الله؛ كان ما شاءه؛ فهو عينُ[3] مشيئة[4] كلّ شيء[5]. كما يقول مثبتُ الحركة: إنّ زيدا تحرّك، أو إنّه حرّك يده. فإذا حققتَ قولَه على مذهبه، وجدتَ أنّ الذي حرّك يده، إنما هي الحركة القائمة بيده. وإن كنت لا تراها؛ فإنّك تدرك أثرَها، ومع هذا تقول: إنّ زيدا حرّك يده. كذلك يقال: إنّ زيدا حرّك يده، والمحرّك إنما هو الله -تعالى-.

[1] ص ١٤٣ب
[2] [الإنسان : ٣٠]
[3] ثابتة في الجوار بقلم آخر مع إشارة التصويب
[4] ص ١٤٤
[5] ق: كتب فوقها بقلم آخر: "صوابه: شاء"، وفي س: شيء شاء الله

واعلم أنّه ليس في العالَم سكونٌ أَلْبَتَّة، وإنما هو متقلِّب أبدا دائما؛ من حال إلى حال؛ دنيا وآخرة؛ ظاهرا وباطنا. إلّا أنّ ثَمّ حركة خفيّة، وحركة مشهودة. فالأحوال تَرِد وتذهب على الأعيان القابلة لها، والحركات تعطي في العالَم آثارا مختلفة، ولولاها لما تناهت المدد، ولا وُجِد حكمٌ للعدد، ولا جرت الأشياء إلى أجل مسمّى، ولا كان انتقالٌ من دار إلى دار. وأصلُ وجود هذه الأحوال: النعوتُ الإلهيّة؛ من نزول الحقّ إلى السماء الدنيا كلّ ليلة، واستوائه على عرش محدَث، وكونه -ولا عرش- في عماء. وهذا الذي أوجب أن يكون الحقُّ سمعَ العبدِ، وبصرَه، وعينَ مشيئته؛ فبه يسمع، ويبصر، ويتحرّك، ويشاء. فسبحان مَن خفي في ظهوره، وظهر في خفائه، ووصف نفسه بما يقال فيه: إنّه[1] صمدٌ، لا إله إلّا هو؛ يصوّرنا في الأرحام كيف يشاء، ويقلِّب الليل والنهار، وهو معنا أينما كنّا، وهو أقرب إلينا منّا. فكثّرناه بنا، ووحّدناه به، ثمّ طلب منّا أن نوحّده بـ: لا إله إلّا الله، فوحّدناه بأمره، وكثّرنا بنا.

ما كُلُّ وَقْتٍ يُرِيْكَ الحَقُّ حِكْمَتَهُ — فِي كُلِّ وَقْتٍ[2] وَلا يُخْلِيْهِ عَنْ حِكَمِ
فانْظُرْ إلَى فَرَجٍ فِي القَلْبِ مِنْ فُرَجٍ — مِنَ الطِّباقِ عَنِ الأَلْواحِ عَنْ قَلَمِ
جاءَتْ بِها رُسُلُ الأَرْواحِ نازِلَةً — عَلَى سَرائِرِنا مِنْ حَضْرَةِ الكَلِمِ
بِكُلِّ عِلْمٍ خَفِيٍّ عَزَّ مَطْلَبُهُ — عَلَى العُقُولِ التِي لَمْ تَحْظَ بِالقِدَمِ
فَقُمْتُ حُبًّا وإجْلالًا لِمَنْزِلِها — أَمْشِي عَلَى الرأْسِ سَعْيًا، لا عَلَى القَدَمِ

ولَمّا لم تكن الأكوان سِوَى هذه الأربعة الأحوال، فبقي الكلام في الساكن إذا سكن: فِيْمَن؟ وإذا تحرّك: فإلى من؟ وإذا اجتمع: فَبِمَن؟ وإذا افترق: فعمَّن؟

فَما[3] ثَمَّ إلّا اللهُ ما ثَمَّ غَيْرُهُ — وَما ثَمَّ إلّا عَيْنُهُ وإرادَتُهْ

فسكن في الله فهو[4] حيّزه، إذ كان في عِلْمه ولا عين له؛ فهو هيولاه؛ فتصوَّرَ بصورة العبد؛

[1] ص ١٤٤ب
[2] ق: كتب فوقها: "شيء"، وهي كذلك في س
[3] ص ١٤٥
[4] غير واضحة في ق وربما كانت: فعمر، وأثبتناها من هـ، وفي س: إذ كان

فكان له حكم ما خلق، ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[1] ومن المحال أن يكون الأمر خلاف هذا؛ فبه تلبَّس، وعليه أُسّس بنيانه وثبت.

فإِنْ شَهِدْتَ سِوَاهُ فَهْوَ صُوْرَتُهُ — وإنْ تَكَثَّرَتِ الآياتُ والصُّوَرُ
لَيْسَتْ بِعَيْنِ سِوَى مَن كانَ مَنْزِلَها — لَكِنَّها سُوَرٌ تَعْنُو لَهَا سُوَرُ

فما في الكون حركة معقولة، كما أنّه ما ثَمّ سكون مشهود.

فانْظُرْ إلَى الضِّدِّ كَيْفَ يَخْفَى — وَلَيْسَ شَيْءٌ سِوَاهُ يَبْدُو

فاعجبْ لحركةٍ في عين سُكون! فإنّ الخلا قد امتلا؛ فالعالم ساكن في خلائه، والحركة لا تكون إلّا في خلاء، هذه حركة الأجسام. والخلاء ملآنُ؛ فلا يقبل الزيادة؛ فإنّه ما[2] لها أينٌ. وكما سكن في الله[3]، تحرّك إلى الله، كما قال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾[4] أي ارجعوا إلى ما منه خرجتم. فإنّهم خرجوا مقرّين بربوبيّته، ثمّ داخلوه فيها. فقيل لهم: ارجعوا إلى ما منه خرجتم، وليس إلّا الله. ولا رجوع إليه إلّا به؛ إذ هو الصاحب في السفر؛ فإن رَجَعَ رَجعْنا؛ فإنّ الرجوع لا يكون إلّا لمن له الحكم، ولا حكم إلّا لله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[5].

فَهَذا صِدْقُ ما قُلْنَا — فَلا تَعْدِلْ عَنِ الرَّشَدِ
فَكُونُوا كَيْفَمَا شِئْتُمْ — فإنّ الحَقَّ بِالرَّصَدِ

وإذا تحرّكتَ إليه فهو "الهادي"، فمِمَّن؟ فمنه؛ من اسمه "المضلّ" فحيَّرك، ثمّ هداك، فتاب عليك بالهدى، فتحرّكت إليه بالتوبة. فمِن مضلٍّ إلى هادٍ[6] ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[7]. وأمّا قولنا: "إذا اجتمع؛ فبمن؟" بالله، في عين كونٍ تولّاه الله، وهو قوله لعبده: «هل واليتَ فِيّ وليّا» فإنّه عند وليّه. فمَن والى وليّا في الله، فقد وَالَى اللهَ، وليس الاجتماع سِوَى ما ذكرناه. ورد في الخبر:

[1] [الأنعام : ١٣]
[2] ص ١٤٥ب
[3] ق: "لله" وفوقها بقلم الأصل: "في الله"
[4] [النور : ٣١]
[5] [التوبة : ١١٨]
[6] "فتاب.. هاد" ثابتة في الهامش
[7] [العلق : ٨]

«إنّ الله يقول: يا عبدي؛ مرضتُ فلم تعُدني؟ فيقول: يا ربّ؛ كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟! فقال: يا عبدي؛ أما علمتَ أنّ عبدي فلانا مرض فلم تعُده، أما أنّك لو عُدتَه لوجدتني عنده» فإنّ المريض لا يزال ذاكرا الله[1]، ذِكْرَ اضطرار وافتقار. وهو الذِّكْرُ الأصليّ الذي انْبَنى عليه وجود الممكن، والحقُّ -تعالى- جليس الذاكر له. فمَن والى في الله وليّا، فقد اجتمع بالله.

فإن كنت أنت وليّا، فاعلم أنّ الله أيضا معك. فإذا واليتَ وليّا، والله معه، فقد اجتمع الله بالله؛ فجمعتَ بين اللهِ ونفسِه؛ فحصل لك أجر ما يستحقّه صاحب[2] هذه الجمعيّة؛ فرأيتَ الله برؤية وليّه. فإن كان في الولاية أكبرُ منك، فالله عنده أعظم وأكبر مما هو عندك. فإنّ الله عند أوليائه على قدر معرفتهم به. فأكثرهم جهلا به وحيرة فيه؛ أعظمُهم علما به. وإذا لم تحصل لك، بولاية وليّ الله، نِسبةُ اللهِ إلى ذلك الوليّ الخاص، حتى تفرّق بين نِسبته -سبحانه- إليك، ونِسبته -تعالى- إلى ذلك الوليّ؛ فما واليته جملة واحدة.

فيكلّمك الحقُّ على لسان ذلك الوليّ بما يسمع؛ ليفيدك علما لم يكن عندك. أو يُذكِّرك، وتسمع أنت منه، إن كنت وليّا تشهد ولايتك، فتسمع بالحقّ -إذ هو سمعُك- ما يتكلّم به الحقّ على لسان ذلك الوليّ. فيكون الأمر كمن يحدِّث نفسَه بنفسِه، فيكون المحدِّثُ عينَ السامع. وهذا ذوقٌ يجده كلُّ أحد من نفسه، ولا يعرف ما هو إلّا مَن شهِد الأمرَ على ما هو عليه.

وأمّا[3] قولنا: "الافتراق؛ فعمَّن؟" فتمام الخبر، وهو قوله: «أو عاديت فيّ عدوّا» ومَن عاديتَه فقد فارقتَه، فإنّ الهادي يفارق المضِلّ، والضارّ يفارق النافع. فمَن أحكمَ الأسماء الإلهيّة انفتحَ له، في العلم بالله، بابٌ عظيم، لا يضيق عن شيء.

فَلَـوْ عَلِمْـتَ الّذِي أَقُـولُ ... لَمْ تَكُ غَيْرَ الّذِي يَقُولُ

١ ص ١٤٦
٢ ثابتة في الهامش
٣ ص ١٤٦ب

ما أَنْتَ مِثْلِي بَلْ أَنْتَ عَيْنِي ... فَلا قَؤُولٌ وَلا مَقُولُ
تَحَـيَّرَتْ، فِي الّذِي عَنَيْنَـا ... فِيْمَا أَتَيْنَا بِهِ، العُقُولُ

فالمحقّق إذا اعتبر ما يشاهده صاحب الكشف، ربما عثر على الحقّ المطلوب؛ فإنّه في غاية الوضوح والظهور لذي عينين.

فالحَالُ يَلْعَبُ بِالعُقُولِ وبِالنُّهَى ... كَتَلاعُبِ الأَسْمَاءِ بِالأَكْوَانِ

فالعداوة والمعاداة، من هناك ظهرت في الكون. فالعالِم المشاهِد لا يتغيّر عليه الحال في عينه، بقيام الأضداد به؛ فإنّه[1] حقٌّ كلّه. فإن فهمتَ ما أشرنا إليه علمت: كيف توالي؟ وكيف تعادي؟ ومَن تعادي؟ ومَن يعادى؟ ومَن توالي؟ ومَن يوالى؟ ومَن يعادي؟ ومَن يوالي؟[2] فسبحان مَن أوجدك منك، وأشهدك إيّاك، وامتنّ عليك بك. فـ«مَن عرَف نفسَه عرَف ربّه» فلم ينسب شيئا إلّا إليه، و﴿اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[3].

واعلم أنّ الله لمّا نسب الألوهة للهوى، وجعله مقابلا له، فقال لنبيّه ﷺ داود: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾[4] وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[5] وليس الهوى سوى: إرادة العبد، إذا خالَفَتِ الميزانَ المشروعَ، الذي وضع الله له في الدنيا. وقد تقرّر قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[6] فقد علمت بمن حكم مَن حكم بهواه، ولهذا قال: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[7] أي حيّره، فإنّ العلم بالله أوجب له الحيرة في الله، إذ لا حاكم إلّا الله.

فَقَـدْ زَلْـزَلَ الأَرْضَ زِلْزَالَهـا ... إِلَهٌ وَقـالَ لَنـا مـا لَهـا[8]
فَلَـوْ نَظَـرَتْ أَعْيُنٌ أَدْرَكَـتْ ... إِلَى رَبِّهَا حِيْنَ أَوْحَى لَهَا

١ ص ١٤٧
٢ "ومن يعادي ومن يوالي" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٣ [آل عمران : ٩٧]
٤ [ص : ٢٦]
٥ [الجاثية : ٢٣]
٦ [الإنسان : ٣٠]
٧ [الجاثية : ٢٣]
٨ كتب فوق هذا الشطر بقلم آخر: "وقال لنا ما لها ما لها" وفوقها حرف خ

وَحَـدَّثَتِ[1] الأرضُ أَخْبَارَهـا   كَمَا أَخْرَجَتْ لَكَ أَثْقالَها

فمَن لم يشاهِد هذا المشهد، لم يشهد عظمة الله تعالى في الوجود، وفاته علم كثير بفوت هذا الشهود.

واعلم أنّ الأمر لمّا كان محصورا في أربع حقائق: ﴿الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[2] وقامت نشأة العالَم على التربيع، لم يكن في طريق الله -تعالى- صاحب تمكين إلّا مَن شاهد التربيع في نفسه وأفعاله. فأقام الفرائض؛ وهي الإقامة الأُولى، وأقام النوافل؛ وهي الإقامة الأخرى، في ظاهره وفي باطنه؛ فإنّ حكم ذلك في الظاهر وفي الباطن؛ فعمّ حكمُ الله نشأتَه. فإذا شهد هذا ذوقا من نفسه، علِم ما يثمر له هذا الأمرُ. فله، في ظاهره، ستّ جهات. والستّة لها الكمال، فإنّها أوّل عدد كامل. فإنّ سُدسها إذا أضفته إلى ثُلثها ونصفها، كان كالكلّ. والقلب له ستة وجوه، لكلّ جهةٍ وجهٌ من القلب، هو عين تلك الجهة؛ بتلك العين يدرك الحقّ إذا تجلّى له في الاسم "الظاهر".

فإن عمّ التجلّي الجهاتَ كلّها، من كونه بكلّ شيء محيطا، عمّ القلب، بوجوهه، ما بدا له من الحقّ في كلّ جهة[3]؛ فكان نوراً كلّه. وهناك يقول العبد: فعلتَ يا ربّ؛ ويخاطبه ويقول: أنت. كما قال العبد الصالح: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ﴾[4] فظهر الضمير، مع وجود كونه ضميرا. والمضمر يخالف الظاهر، وقد ظهر مع كونه مضمَرا في حال ظهوره. فنقول في الحقّ: "إنّه الظاهر في حال بطونه، والباطن في حال ظهوره" من وجهٍ واحد. فإنّ كلمة "أنت" ضمير مخاطب، وليس سِوَى عينك، وأنت مشهود بالخطاب. فأنت المضمَر الظاهر، بخلاف الاسم. فأسماء المضمَرات أعظمُ قوّة، وأمكنُ في العلم بالله من الأسماء.

وحكي عن بعض العارفين، ورأيته منقولا عن أبي يزيد البسطامي، أنّه قال في بعض

١ ص ١٤٧ب
٢ [الحديد: ٣]
٣ ص ١٤٨
٤ [المائدة: ١١٧]

مشاهده مع الحقّ في حال من الأحوال: "أنايَتي أنايَتُك" أي: كما ينطلق على الاسم المضمَر بحقيقته، كذلك ينطلق عليك. ما هو[1] مثل الاسم الظاهر، ولا مثل الوصف الظاهر. وهذا عين ما قلناه من قوّة المضمَرات.

ولمّا وقع في الكون التشبيهُ والاشتراكُ في الصور، بحيث أن يغيب أحدُ الشخصين ويحضر الآخر؛ فيتخيّل الناظر إلى الحاضر أنّ الحاضر عينُ الغائب؛ وضعَ الله في العالَم الإشارات في الإخبارات، والضمائر؛ لارتفاع هذا اللَّبْس، والفصل بين ما هو، وبين من يظهر بصورته، واعتمدوا[2] عليه. ولمّا أخبر الله -تعالى- أنّ الإنسان مخلوق على الصورة، قال عيسى- عليه السلام: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ففصل بين الحقّ، وبين مَن هو على الصورة. فكأنّه قال: ﴿كُنْتَ﴾ من حيث عينِك، لا مَن هو على صورتك: ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ فناب ﴿أَنْتَ﴾ في هذا الموضع، مناب العين المقصودة. ولنا جزء في هذه الأسماء المضمَرة سمّيناه: "كتاب الهو" وهو جزء حسنٌ، بالَغْنا فيه في هذه الأسماء المضمَرة، وهي تقبل كلّ صورة قديمة وحديثة؛ لتمكّنها، وعلوّ مقامها. والعالَم وإن تكثَّر، فهو راجع إلى عين واحدة.

فَكُلُّ مَنْ فِي الوُجُودِ حَقٌّ   وَكُلُّ مَنْ فِي الشُّهُودِ خَلْقُ
فانْظُرْ إلى حِكْمَةٍ تَجَلَّتْ   فِي عَيْنِ حَقٍّ يَحْوِيهِ حُقُّ
فالعَبْدُ مُحِقٌّ والحَقُّ مُحِقٌّ   فَلَيْسَ حَقٌّ فَلا مُحِقُّ

فيا وليّ؛ لا تعطّل زمانك في النظر في الحركات وتحقيقها، فإنّ الوقت عزيز. وانظر إلى ما تنتجه؛ فاعتمد عليه، بما يعطيك من حقيقته. فإنّك، إن كنت نافذَ البصيرة، عرفتَ، من عين النتيجة[3]، عينَ الحركة والمحرِّك؛ فإنّ الحركة خفيّةُ العين، والمحرِّكُ من وراء حجاب الكون، والنتيجة ظاهرة سافرة معربة عن شأنها؛ فاعتمد عليها. فهذه نصيحتي لك -يا وليّ-.

ولهذا ما نَسب الحقُّ إلى نفسه انتقالا، إلّا وذكر النتيجة؛ ليعرّفك ما هو عين الانتقال

١ "ما هو" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
٢ ص ١٤٨ب
٣ ص ١٤٩

المنسوب إليه في نازلةٍ مّا مثل قوله (ص): «ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل» ثمّ ذكر النتيجة فقال: «فيقول: هل من تائب؟ هل من داعٍ؟ هل من مستغفر؟» وقال مثل هذا كثيرا؛ ليريح عباده من تعب الفكر والاعتذار. فإنّ المقصود من الحركات (هو) ما تُنْتِج، لا أعْيُنها. وكذا كلّ شيء.

فالمبتدأ، لولا الخبر ما كان له فائدة، ولكان عبثا الإتيانُ به. ومن هنا يعرف قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[1] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾[2] ومن هنا يقع التنبيه على معرفة الحكمة التي أوجد اللهُ لها العالَم، وأنّ اسمه الحقّ -تعالى- حقٌّ، وقوله: إنّه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[3] أنّ معناه: غنيٌّ عن وجوده، لا عن ثبوته. فإنّ العالَم، في حال ثبوته، يقع به الاكتفاء والاستغناء عن وجوده؛ لأنّه وفّى الألوهة حقَّها: بإمكانه.

ولولا طلب الممكنات، وافتقارها إلى ذوق الحالات، وأرادتْ أن تذوق حال الوجود، كما ذاقت حال العدم؛ فسألت، بلسان ثبوتها، واجبَ الوجود، أن يوجِد أعيانها ليكون[4] العلم لها ذوقا؛ فأوجَدَها: لها، لا له. فهو الغنيّ عن وجودها، وعن أن يكون وجودها دليلا عليه، وعلامة على ثبوته. بل عدمها في الدلالة عليه، كوجودها. فأيّ شيء رَجَح، من عدم أو وجود؛ حصل به المقصود من العلم بالله. فلهذا عِلمنا أنّ غناه -سبحانه- عن العالَم (هو) عينُ غناه عن وجود العالَم.

وهذه مسألة غريبة، لاتّصاف الممكن بالعدم في الأزل، وكون الأزل لا يقبل الترجيح، وكيف قَبِله عدم الممكن مع أزليّته؟ وذلك إنّه، من حيث ما هو ممكن لنفسه، استوى في حقّه القبول للحكمين. فما يُفرض له حال عدم، إلّا ويُفرض له حال وجود. فما كان له الحكم فيه، في حال الفرض، فهو مرجِّح. فالترجيح ينسحب على الممكن أزلا، في حال عدمه، وأنّه منعوت بعدمٍ

١ [المؤمنون : ١١٥]
٢ [ص : ٢٧]
٣ [آل عمران : ٩٧]
٤ ص ١٤٩ب

مرجَّح. والترجيح من المرجِّح -الذي هو اسم الفاعل- لا يكون إلّا بقصدٍ لذلك، والقصد حركة معنويّة، يظهر حكمها في كلّ قاصدٍ[1]، بحسب ما تعطيه حقيقته. فإن كان محسوسا: فرّغ حيّزا، وشغل حيّزا. وإن كان معقولا: أزال معنى، وأثبت معنى، ونقل من حال إلى حال.

وفي هذا المنزل من العلوم علوم شتّى؛ منها:

علم[2] الدعاء المقيّد، والدعاء المطلق، وما ينبغي أن يقال لكلّ مدعوّ ويعامَل به؟

ومنها عِلْمُ الحركات، وأسبابها، ونتائجها.

ومنها عِلْمُ منزلة مَن تكلّم فيما لا يعلم، ويتخيّل أنّه يعلم: هل ما تكلّم به عِلمٌ في نفس الأمر؟ أم ليس بعلم؟ أم يستحيل أن يكون إلّا علما، لكن لا يعلمه هذا المتكلّم؟ وهل ظهر مثل هذا في العالم، وهو خلق لله لتمييز المراتب؛ فيُعلم به مرتبة الجهل من العلم، والجاهل من العالِم. أو ما ثَمّ إلّا عِلم؟

ومنها عِلْمُ تعيين مَن جَعَلَ اللهُ الحيرةَ في العالم على يديه، وهل الحيرة تعطي سعادة على الإطلاق؟ أو شقاوة؟ أو فيها تفصيل: منها ما يعطي سعادة؟ ومنها ما يعطي شقاوة؟ وهل المتحيِّر فيه: هل كونه متحيَّرا فيه -اسم مفعول- لذاته؟ أم يمكن أن لا يُتحيَّر فيه؟ وعِلْمُ سبب الاحتراق الذي يجده صاحب الحيرة في باطنه، في حال حيرته؛ وهل إذا علم الحائر أنّ الذي تحيَّر فيه، لا يكون العلم به إلّا التحيُّر فيه؛ فيزول عنه ألم الاحتراق؟

ومنها عِلْمُ نصب الأدلّة؛ كيف رتّبها الله للعقلاء أصحاب النظر[3] والاستبصار.

ومنها عِلْمٌ غريب؛ وهو: هل يمكن أن يمرّ على القابل للعلوم زمانٌ لا يستفيد فيه علما، أم لا؟

١ ق: "واحد" وغيّرت مقابلها في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب
٢ ص ١٥٠
٣ ص ١٥٠ب

ومنها عِلْمُ الزينة الإلهيّة: هل تحجب عن الله؟ أو تدلُّ على الله؟ وصفة مَن تحجبه، وصفة مَن تكون له دلالة على خالقه.

ومنها عِلْمُ كون الله ما أوجدَ واحدا قطّ، ولا يصحّ؛ وإنما أوجد اثنين فصاعدا معًا، من غير تقدُّم في الوجود ولا تأخُّر.

ومنها عِلْمُ كون الحقّ لا تثبت له أحديّة إلّا في ألوهته، وأمّا في وجوده فلا بدّ من معقولَيْن فصاعدا؛ فاجعل ذلك ما شئتَ: إمّا نِسَبًا، أو صفات، بعد أن لا تعقل أحديّة.

ومنها عِلْمُ تعلُّق الأسماء الإلهيّة بالكائنات.

ومنها عِلْمُ سعي الآخرة: إلى أين تجيء؟ ومن أين جاءت؟ وما هذه الحركة المنسوبة إليها؟

ومنها عِلْمُ معقول الدنيا والآخرة، ما هو؟

ومنها عِلْمُ جهل مَن أعرض عن الله، و﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1]؛ فكيف يشقى مَن أقبل على وجه الله، وإن لم يقصد الإقبال[2] على وجه الله، وهو في نفس الأمر مقبل على وجه الله، مُعرِض عن وجه الله؟ ومتى ينطلق على الإنسان الإقبالُ على الله بكلّ وجهٍ؟ وذلك إذا كان الإنسان وجهًا كلّه، وعينا كلّه؛ لم يصحّ، في حقّ مَن هذه صفته، إعراضٌ عن الله.

ومنها عِلْمٌ غريب؛ وهو أنّه لا يرجع إلى الإنسان إلّا ما خرج منه؛ للأصل الذي يعضده؛ وهو قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[3]، ومنه بدأ الأمر كلّه فإليه يعود، وهذا معنى قوله ﷺ: «إنما «إنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم» فاجهدْ أن لا يخرج عنك إلّا ما تحمد رجوعَه إليك.

ومنها عِلْمُ مَن يكون مع الله على آخر قدم؛ ما يصنع؟ ولا يكون ذلك إلّا في حضرة التكليف، إذ لا آخِر إلّا فيه؛ فابحث على علم هذا.

١ [البقرة: ١١٥]
٢ ص ١٥١
٣ [هود: ١٢٣]

ومنها عِلْمُ الربح والخسران؛ وما يقع فيه الربح والخسران؟ وهل ثَمّ موطن للإنسان يكون فيه، لا يكون دنيا ولا آخرة؟ وأعني بالآخرة: الدار الآخرة التي جاءت الشرائع بها عن الله.

ومنها عِلْمُ ما انقسم بالحال في الدنيا انقسمَ بالدار في الأخرى، ففي الآخرة منزلان: جنّة وجهنّم، وفي الدنيا منزلتان: عذابٌ[1] ونعيم، أو ألَمٌ ولذّة. فإذا كان الإنسان في حالٍ يقال فيه: إنّه لا صفة له، كدعوى أبي يزيد، فهل صاحب هذه الدّعوى هو الذي له الموطن الذي ليس بدنيا ولا آخرة؟

ومنها عِلْمُ ما يؤول إليه حال مَن ترك الأخذ بالأهمّ فالأهمّ؟

وفيه عِلْمُ الأمور العوارض؛ ما لها من الأثر في العالم؟

ومنها عِلْمُ خزائن الأرزاق، وقول بعض الصالحين، وقد شكا إليه شخصٌ كثرة العائلة، فقال له: ادخل إلى بيتك، وانظر كلَّ مَن ليس له رزقٌ على الله، فأخرِجْهُ. فقال له[2]: كلُّهم رزقهم على الله. فقال له: فما تضرُّك كثرتهم، أو قلّتهم؟

ومنها عِلْمُ الفصل بالشهود والكشف بالحكم.

وفيه عِلْمُ الفرق بين الإرادة والمشيئة، والهمّة والعزم، والقصد والنيّة.

وفيه عِلْمُ ما للنائب مِن صفات مَن استنابه: هل يقوم به كلّها؟ أو ما يطلبه مَن استنيب فيه؟

ومنها عِلْمُ مراتب القول؛ وبماذا يُنسب السوء إليه، من الحسن، من الطيّب؟

ومنها عِلْمُ بيان الطرق الموصلة إلى الثناء على الله بطريق التنزيه والإثبات[3].

١ ص ١٥١ب
٢ ثابتة في الهامش، مع إشارة التصويب
٣ ص ١٥٢

ومنها عِلْمُ ما يقع به التساوي بين الأشقياء والسعداء في الدنيا؟

ومنها عِلْمُ الميل إلى الأكوان، والميل إلى جانب الحقّ؛ وما يُحمدُ من ذلك، وما يُذَمّ؟

ومنها عِلْمُ إقامة نشأة ما نَسب الحقّ إلى نفسه مما لا يقوم إلّا على أيدي عباده.

ومنها عِلْمُ الكَوْر والحور، واللازم والقائم، والخاضع والنازل.

ومنها عِلْمُ الإعلام بتكرار القصد إلى الحقّ، في الأمور التي دعا الحقّ عبادَه إليها من العبادات.

ومنها عِلْمُ السبل القريبة والبعيدة، والسالكين فيها، واحتساب الآثار؛ إذا كان السلوك فيها وعليها مشروعًا وغير مشروع، لكن يقتضيه العقل السليم والنظر الصحيح. وتعيين القُرب الإلهيّة في ذلك من غير توقيف. وما يصحّ من ذلك، وما لا يصحّ؟

ومنها عِلْمُ الحمد لله على آلائه القريبة المناسبة من الإنسان.

ومنها عِلْمُ ما لكلّ موجود من المنافع في العالم؟

ومنها عِلْمُ الموانع في العالم، وما مَنعتْ عقلا وشرعا.

ومنها[1] عِلْمُ ظهور المعدوم في صورة الموجود، وتميّزه في الوجود من الوجود الحقيقي.

ومنها عِلْمُ النِّحَل والمِلَل.

ومنها عِلْمُ ما لا يُنتفع به إلّا بعد إزالة ما ينتفع به منه.

ومنها عِلْمُ أحوال السائلين، وما يليق بكلّ سائلٍ من الجواب؟

ومنها عِلْمُ ما يقبل الحقّ من أعمال عباده مما لا يقبل، مع كونه ليس بمحرّم ولا مذموم؟

١ ص ١٥٢ب

ومنها عِلْمُ الفرق بين العظمة الإلهيّة والكبرياء.

ومنها عِلْمُ الإحسان، ومعرفة ماهيّته.

ومنها عِلْمُ صفة مَن ينوب الحقّ عنه في صرف ما يسوءُه، مع وجود ما يسوءه.

ومنها عِلْمُ المعاوضة بالمِثل.

ومنها عِلْمُ عواقب الأسماء الحسنى.

ومنها عِلْمُ العمارة والخراب، وحكمها في الدنيا والآخرة.

ومنها عِلْمُ الرجوع عن الحقّ؛ ما يؤثّر في الراجع؟

ومنها عِلْمُ تقدير الواحد بالكثير، كما قال بعضهم:

وما[1] على اللهِ بمُستَنكَرٍ   أنْ يَجمعَ العالَمَ في واحِدِ

ومنها عِلْمُ التخالج في الحديث؛ وما يرفع من ذلك، وما لا يرفع؟

ومنها عِلْمُ عرض الفتن على القلوب، وحكم مَن أَنِس بها من غيره.

ومنها عِلْمُ السبب المبقي للشاكّ على شكّه، مع التمكّن من النظر المخرج عن الشكّ، فلم يفعل.

ومنها عِلْمُ الفرق بين الإيمان والعلم؛ وما بين العالِم والمؤمن من المراتب؟

ومنها عِلْمُ تتبع الحقّ مراضي عبادِه الذين تتبّعوا مراضيه؛ جزاء وفاقا.

ومنها عِلْمُ تأخير البيان مع التمكن من استعجال إيضاحه، لأمر يراه العالِم، مع الحاجة إليه.

ومنها عِلْمُ صفة مَن يطلبه العفو الإلهيّ.

ومنها عِلْمُ ما ينبغي أن يُكشف من العلوم؟ وما ينبغي أن يُستر منها؟

١ ص ١٥٣

ومنها عِلْمُ تداخل عالم الغيب في الشهادة، وعالم الشهادة في الغيب.

ومنها عِلْمُ الاستدراج والمكر.

ومنها عِلْمُ كلِّ علمٍ غايته العمل فلم تظهر غايته: ما العلّة في ذلك؟

ومنها عِلْمُ كون السماء كالخيمة، لا كالكرة المجوَّفة، وأنّ[1] هيئة السماوات على خلاف ما ذكره أصحاب علم الهيئة، ولماذا (=وإلى ماذا) يرجع سير الكواكب: هل لأنفسها؟ أو لفلَكٍ دائرٍ بها؟

وفيه عِلْمُ ما لا ينبغي فيه تنازعٌ لوجود الإمكان العقليّ فيه.

ومنها عِلْمُ ما يؤثّر العلم به في نفس العالِم به؟

ومنها عِلْمُ استحالة خلق العالَم أعيانَ الجواهر.

ومنها عِلْمُ المصطفى المختار من كلّ نوع من العالَم، ومن كلّ جنس.

ومنها عِلْمُ الآباء والأبناء في المعاني وغير المعاني.

ومنها عِلْمُ التعلُّق بالأسباب، وترك التعلّق بها.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2].

انتهى السفر الرابع والعشرون بانتهاء الباب، يتلوه الباب الثالث والستون وثلاثمائة، في معرفة منزل إحالة العارف مَن لم يعرفه على مَن هو دونه ليعلّمه ما ليس في وسعه أن يعلمه، وتنزيه الباري عن الطرب والفرح[3].

---

١ ص ١٥٣ب

٢ [الأحزاب : ٤]

٣ كتب في الهامش: "عورضت بالأصل الأول في ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة" وأسفل المتن ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٧٢



طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب





تحقيق : عبد العزيز سلطان المنصوب

وأشد الآلام: عدم نيل الغرض. وقد روينا أن الله يقول للملك: "لا تقضِ حاجة فلان في هذا الوقت، فإني أحب أن أسمع صوته" وإن كان يتألم ذلك الشخص من فقد ما يسأل فيه ربه؛ فهذا منْعٌ مؤلم، عن رحمة إلهية... فما عند الله باب يفتح إلا أبواب الرحمة. غير أنه ثمّ رحمة ظاهرة لا ألم فيها، وثمّ رحمة باطنة يكون فيها ألم في الوقت، لا غير؛ ثم يظهر حكمها في المآل. فالآلام عوارض، واللذات ثوابت؛ فالعالم مرحوم بالذات، متألم بما يعرض له. (والله عزيز حكيم) يضع الأمور مواضعها، وينزلها منازلها.

محيي الدين بن عربي؛ الفتوحات المكية، ج. (8).

أردت بإذن الله أن أمنح عباد الله شربا من عُباب المعارف، وأظهر لهم حلاوة العلم بترتيب الحكمة في الآلاء والعوارف؛ وكانت (الفتوحات المكية) - التي ألفها الولي الأكبر، والقطب الأعظم الأفخر، مَظهر الصفة العلمية، ومَجْلي الكمالات العينية والحكمية؛ لسان الحقيقة وأستاذ الطريقة، المتبوع والتابع لآثار الشريعة، محيي الدين، قدامة الأولياء المقرَّبين: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي المغربي الأندلسي، قَدّس الله سرَّه، وأعلى عنده مقامه وقدره- أعظم الكتب المصنَّفة في هذا العلم نفعا، وأكثرها لغرائبه وعجائبه جمعا، وأجلَّها إحاطة ووسعا؛ تكلم فيها بألسنة كثيرة، وأفصح عن معانٍ غريبة خطيرة؛ فصرح تارة عن حالة، ورمز أخرى عن حال؛ وأفصح طورا عن مقصود، وأدمج أخرى عن مُراد في المقال.

عبد الكريم الجيلي (ت. 826 هـ).



الغلاف: عبد العزيز السماحي